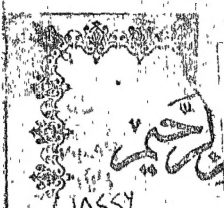


و بعد من



عليه عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن

يقول

الحضري وفقه

الحمد لله

واللهوت * العالم فلا

تبي في السموات والأرض

وإنما ويسر لنا منها أرزاقا

ونلبا الأيام والأوقوت * وله

والفوت وهو البقي الذي لا يموت * والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي

الدرعي المكنى في الدورة والأشجول المدهوت * الذي تنفخ لنصاؤه الكون قبل أن

تصالحب الاحاد والسوت * وينتهي زحل واليهوت * وعلى آله وصحبه

الذين لم في صوته وإتباعه الأثر البعيد واليهوت * والنبل الجميع في مظاهرتو

ولعدوهم الشل الشفيع * صلى الله عليه وسلم ما اتصل بالاسلام جنة المبعوث * وانقطع

بالأكر حيلة المبعوث * وسلم كثيرا

بدء الملك والملكوت * وله الأسماء المحسني

بي أو ينفذ الملكوت * التادر فلا يجره

من الأرض قسما * واستعبرنا فيها أجيالا

رحام والنوت * ويكفينا الرزق والفوت *

قال التي خط علينا كتابها الموقوت * وله البقاء

والفوت وهو البقي الذي لا يموت * والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي

الدرعي المكنى في الدورة والأشجول المدهوت * الذي تنفخ لنصاؤه الكون قبل أن

تصالحب الاحاد والسوت * وينتهي زحل واليهوت * وعلى آله وصحبه

الذين لم في صوته وإتباعه الأثر البعيد واليهوت * والنبل الجميع في مظاهرتو

ولعدوهم الشل الشفيع * صلى الله عليه وسلم ما اتصل بالاسلام جنة المبعوث * وانقطع

بالأكر حيلة المبعوث * وسلم كثيرا

أما بعد فإن في التاريخ من الدون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشد البرد الركائب

والرجال * ونسوا إلى معرفة السوفة والأغفال * ونسافس في

وتتساقى في فهم العلماء والأجيال * أذهو في ظاهرو لايز

الدول * والدوائر من القرون الأول * سمو فيها الأقوال

أرف بها الأندية إذا غشها الاحتفال * ونؤدي لنا شارة الضمائم

أما بعد فإن في التاريخ من الدون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشد البرد الركائب

والرجال * ونسوا إلى معرفة السوفة والأغفال * ونسافس في

وتتساقى في فهم العلماء والأجيال * أذهو في ظاهرو لايز

الدول * والدوائر من القرون الأول * سمو فيها الأقوال

أرف بها الأندية إذا غشها الاحتفال * ونؤدي لنا شارة الضمائم

أما بعد فإن في التاريخ من الدون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشد البرد الركائب

والرجال * ونسوا إلى معرفة السوفة والأغفال * ونسافس في

وتتساقى في فهم العلماء والأجيال * أذهو في ظاهرو لايز

الدول * والدوائر من القرون الأول * سمو فيها الأقوال

أرف بها الأندية إذا غشها الاحتفال * ونؤدي لنا شارة الضمائم

أما بعد فإن في التاريخ من الدون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشد البرد الركائب

والرجال * ونسوا إلى معرفة السوفة والأغفال * ونسافس في

وتتساقى في فهم العلماء والأجيال * أذهو في ظاهرو لايز

الدول * والدوائر من القرون الأول * سمو فيها الأقوال

أرف بها الأندية إذا غشها الاحتفال * ونؤدي لنا شارة الضمائم

وله الأسماء المحسني
عليه عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن
عليه عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن
عليه عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن

٤

وحيث ان هذا
من التأليف المبدع والمفيد
للمتخصصين في هذا المجال

بيت دولته ومصروفه * كما فعل ابو حنيفة مؤرخ الاندلس والدولة
 الرافدية مؤرخ افرقية والدولة التي كانت بالقيروان ثم لم يات
 الا مقلد * وبلد الطبع والعقل او متبلد * ينتج على ذلك المجلد *
 بالمال * ويذهل عما احاطه الايام من الاحوال * واستبدلت به من
 الامم والاجيال * فيعلمون الاخبار عن الدول * وحكايات الوقائع في
 صور اول * صور اول * عن مآثرها * وصناعاتها من اغداها *
 ومعارف تستكر الخيل بطريقها * ولما في حوادث لم تعلم اصولها * وانواع لم
 تعتبر اجناسها ولا تحققت * ويغفلون امر الاجيال الباشة في ديارها * بما
 اعجز عليهم من ترجمانها * ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة
 تسبق اخبارها * لا يصدقها * لا يتعرضون لبدائها * ولا
 يذكرون السبب الذي * من آياتها * ولا هالة الوقوف عند غايتها *
 فيبقى الناظر متطلعا بعد * الى مبادئ الدول ومراتبها * مفتشا عن اسباب
 تراجيحها او تعاقبها * بانها من انتم في زمانها او ناسها * حسبما تذكر ذلك كله في
 مقدمة الكتاب ثم جاء اخرون بافراط الاختصار * وذهبوا الى الاكتفاء بساء الملوك
 والاقصصار * مقطوعة عن الانساب والاخبار * موضوعة عليها ايامهم بحروف
 الضمار * كما فعله ابن رشيقي في ميزان العبل * ومن اتقى هذا الاثر من الملوك * وليس
 يعتبر لهؤلاء مقال * ولا يعد لهم ثبوت ولا انتقال * لما اذهبوا من التوائد * واخروا
 بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعوائد

ولما طالت كتب القوم * وسرعت غرور الامم واليوم * نهبت عين الفريضة من
 سنة الغفلة واليوم * وصمت التصنيف من نفسي وانا المفاخر * فانشأت في
 التاريخ كتابا * رفعت به عن احوال النائفة من الاجيال * فصلته في الاخبار
 والاعتبار بابا بابا * وابدعت فيه لاولية الدول والامم * وابتدأت على
 اخبار الامم الذين عمرو المغرب في هذه الاعصار * في الصواحي من
 الامصار * وما كان لهم من الدول الطوال او القصار * من سالف لم من الملوك
 العرب والبربر * اذا اجماعان اللذان عرف بالانزب ما لها ومال
 ابشواها * حتى لا يكاد يتصور فيوما عداها * ولا يعرف اهله .

في الدول * واسع الدول

دول * وكان منهم الدول

دقيق * وعلم بكتليات الدولة

بان يعد في علومها وخلق * وان

وجمعوها * وسطرها في صفحات الد

البدال وهي فيها والتدعوها * وزخار

واقفي تلك الآثار الكثير من بعدهم * و

اسباب الوقائع والاحوال ولم يراعوها

فالتحقق قليل * وطرف التفتيح في الشا

وخليل * والتقليد عريق في الاديبيين و

ومرجع الجهول بين الانام وخيم وبيل * و

الظفر شطانة * والناقل اما هو علي وينزل

يملأ لها صفحات الصواب ويصقل *

حو

دفعوها *

ب للاخبار

ربض طويل *

طل يذف بشهاب

ميج اذا قتل * والاهل

هذا وقد دون الناس في الاخبار واكثرى وانواريج الامم والدول في

العالم وسطروا * والذين ذهبوا بفعل الشهرة والامامة المعتبرة * واستغروا دواوين

من قلم في مصنفهم المتأخرة * هم قليلون لا يكادون يتجاوزون عدد الانامل * ولا

حركات العوامل * مثل ابن ابي الطياري وابن الكلبي ومحمد بن عمر الواقدي

وسيف بن عمر الاسدي والمسعودي وغيرهم من المشاهير * المتميزين عن الجهابير *

وان كان في كتب المسعودي والواقدي من المصنفين والمفهرمين هو معروف عند الاثبات *

ممشة و بين المخططة الثقات * الان الكافة اختصتهم بقول اخبارهم * واقتفاء سننهم

وانما آثارهم * والناقد البهيم قسطاس نفسه في ترتيبهم فيما يتفنون او

فلاهم * تتبع في احواله ترجع اليها الاخبار * وتقبل عليها الروايات

ثم لم * ربح لولاه عامة المناهج والمسا لك * لعلوم الدوليين صدد

م في الا * وتناولها البهيم من الغايات في الماخذ والمنازل *

بل الملة من الدول والاسم * والامر المهم * كالمس

فوقه * من عدل عن الاطلاق الى التقييد * ووقف *

الشأ والبعد ففيا * ثارده عصره * واستوعب انبيا

البربر، فإن قيس بن صبي من أعظم ملوكهم الأول وكان لهم موسى عليه
السلام أو قبله قليل غزا إفريقية وأثنى في البربر وأنه الذي سماهم بهذا الاسم حين سمع
رطانهم وقال ما هذه البربر فأخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من حينئذ وأنه لما انصرف
من المغرب حمزها لك قبائل من حمير فاقاموا بها واختلطوا بأهلها ومنهم صنهاجة وكنانة
ومن هذا ذهب الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبى والبيهقي الى أن صنهاجة وكنانة
من حمير وتأباه نسبة البربر وهو الصحيح وذكر المسعودي أيضاً أن ذا الأذعار من
ملوكهم قبل إفريقيش وكان على عهد سليمان (عليه السلام) غزا المغرب ودوَّخه وكذلك
ذكر مثله عن ياسر بن ميمونة وأنه بلغ وادي الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسكناً
لكنه الرمل فرجع وكذلك يقولون في تبع الآخر وهو أسعد أبو كرب وكان على عهد
يستمسك من ملوك الفرس الكيانية أنه ملك الموصل وأذربيجان وأقوى الترك فبزمهم وأثنى
ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك وأنه بعد ذلك أغزى ثلاثة من بنيه بلاد فارس وإلى بلاد
الهند من بلاد أمم الترك وراء النهر وإلى بلاد الروم فملك الأول البلاد إلى سرقند
وقد وقع المنازعة إلى الصين فوجد أخاه الثاني الذي غزا إلى سرقند قد سبقه إليها فأثنا في
بلاد الصين ورجعاً بالثاني وتركوا بلاد الصين قبائل من حمير فهم بها إلى هذا
العهد وبلغ الثالث إلى قسطنطينية فدرسها ودوَّخ بلاد الروم ورجع وهذه الأخبار
كلها بعدة عن الحقيقة عربية في الروم والخلط وإنه باحدث القصص الموضوعة. وذلك
أن ملك التباينة لما كان بجيزة العرب وقرارهم وكربهم صنعاء اليمن وجيزة العرب
يحيط بها اليمن ثلاث جهات بها فبصر الهند من الجنوب وبحر فارس الهابط منه إلى البصرة
من المشرق وبحر الرويس الهابط منه إلى السويس من أعمال مصر من جهة المغرب كما
تراه في مصور الجغرافيا فلا يجد الساكنون من اليمن إلى المغرب طريقاً من غير السويس
والمسلك هناك ما بين بحر السويس والبحر الشامي قدر مائة ميل فادونها وبعدها أن
يرجع إلى المسلك ملك عظيم في عساكر موفورة من غير أن تعبر من أعمالها وهذا ممنوع سبغ
العادة وقد كان تلك الأعمال العاقبة وكعاب بالتمام والثبات بمصر ثم ملك العاقبة
مصر وملك بنو إسرائيل الشام ولم يقل قط أن الديانة حاربوا أحداً من هؤلاء الأمم ولا
تبعاً من تلك الأعمال وإيضاً فاقعة من البحر إلى المغرب بعيدة والأزود والعاقبة
كثيرة فإذا ساروا في غير أعمال احتاجوا إلى انتهاب الزرع والنعم وانتهاب البلاد
يؤن ولا يكتفي ذلك للأزودة والعاقبة عادة وأن نقلنا كتابهم من ذلك من

في هذه سواها * فهديت مناحية تهديتها * وقرينة لا
 في ترتيبه وتوبه مسلكتا غريباً * واخترت من
 وطريقة مبتدعة واسلوباً * ودرجت فيو من احوال العصر
 يعرض في الاجتماع الانساني من العوارض الذاتية ما يمتلك بعالم ال
 ويعرفك كيف دخل اهل الدول من ابوابها * حتى تترع من التقليد يد
 على احوال ما قبلك من الايام والاجيال وما بعدك ورتبة على مقدمة وتا
 المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقق مذاهو والامام بمفاتيح المؤرخين
 الكتاب الاول في العبران وذكر ما يعرض في
 والسلطان والكسب والمهاتن والصنائع والعلوم وما
 الكتاب الثاني في اخبار العرب واجيالهم
 يوفيه الاماع ببعض من عاصره من الامم
 والنرس وفي اسرايل والقبيلة
 الكتاب الثالث في اخبار العرب
 وذكر اوليهم واجيالهم
 وما كان لهم بديار المغرب خاصة من الملك والدول ثم
 الرحلة الى المشرق لاجلئلاء
 انوارهم * وقضاء الغرض والسنة في مطافه ومزارع * والوقوف على آثاره في دواوينه
 واصفاره * فردت ما نقص من اخبار ملوك العبر بتلك الديار * ودول الترك فيها
 ملكية من الانصار * وانتهت بها ما كتبه في تلك الاسفار * وادرجتها في ذكر المعاصرين
 لتلك الاجيال من اسم النواحي * وملوك الامصار والنواحي * سالكا سبيل الاختصار
 والتفخيص * مبتدئاً بالامام السهل من العويس * داخلًا من باب الاسباب على العموم
 الى الاخبار على الخصوص فاستوعب اخبار الخليفة استيعاباً * ودلّل من الحكم النافرة
 بصحانها * واعطي لملايك الدول عللاً وسباباً * فاصحج المصنعة صولاً وللماربع جراباً *
 ولما كان متدياً * اشار العرب والبربر * من اهل المدر والور * والاماع * من
 عاصره من الاول * واضح بالذكري والعبر * في مبتدأ الاحوال وما بعدها من
 الخبر سميت كتاباً * وديوان المبتدأ والخبر * في ايام العرب والعجم والبربر *
 ومن عاصره من * ان الاكبر * ولم اترك شيئاً في اولية الاجيال والدو
 الامم * اب التصرف والحول * في القرون الخالية وال
 العبران من دولة وملة * ومدينة وحلة * وعزة وذلة * وك

له فوقع في يده رجل منها ما قدر عليه وبلغ خبره الى معاوية فاجزاه وقص غلبه فقص
 عن كعب الاحبار وسأله عن ذلك فقال اني ابرم ذات العباد وسيدخلها رجل من
 المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل
 له ثم التفت فابصر ابن فلانة فقال هذا والله ذلك الرجل وهذه المدينة لم يسمع لها خير
 من يوشد في شيء من بقاع الارض وصارى عدن التي زعموا انها بنيت فيها في وسط
 ابلين وما زال عمرانه متعاقبا والادلاء تنص طرقة من كل وجه ولم يفل عن هذه المدينة
 خبير ولا ذكرها احد من الاخباريين ولا من الامم ولو قالوا انها درست فيما شرس من
 الآثار لكان اسمه الان ظاهرا كلامهم انها موجودة وبعضهم يقول انها دُمشتى بناء على
 ان قريش عاد ملكوها وقد ينتهي الهذيان بعضهم الى انها غاثية وانما يعتار عليها اهل الرابضة
 والسبع مزارع كلها اشبه بالخرافات والذي جعل المنسرين على ذلك ما اقتضت صنعة
 الاعراب في لفظة ذات العباد انها صفة ارم وحملوا العباد على الاساطين فتعبر ان يكون
 بناء ورشح لم ذلك قراءة ابن الزبير عاد ابرم على الاضافة من غير تبيين ثم وقعوا على
 تلك الحكايات التي في اسمه بالاقتصاص الموضوعة التي هي اقرب الى الكذب المتوالي
 في عداد المضحكات والا فالعاد هي عاد الاخية بل الخبيات وان اريد بها الاساطين فلا
 بدع في وصفهم بانهم اهل بناء واساطين على العموم بما اشتهر من قوتهم لانه بناء خاص في
 مدينة معينة او غيرها وان اضيق است كما في قراءة ابن الزبير فعلى اضافة العصابة الى القبيلة
 كما تقول قريش كنانة والباس مضر وربيعة نزار واي ضرورة الى هذا المجهل المبعيد
 الذي تمحلت لتوجيهه لامثال هذه الحكايات الواهية التي ينزه كتاب الله عن مثالي بعدد
 عن الصحة ومن الحكايات المدخولة للورخين ما يتفاوتة كافة في سبب ملكة الرشيد
 للبرامكة من قصة العباس اخيه مع جعفر بن يحيى بن خالد مولا وانه لكتفو بكنائهما من
 معاقرته اياها الخمر اذن لما في عقد النكاح دون الخلو حرصا على اجتماعهما في مجلس وان
 العباس تمحلت عليه في الناس الخلو يوما لما شغبها من حبه حتى واقعا (زعموا في حاله سكر)
 فمضى به وبذلك الرشيد فاستغضب وهدم ذلك من منصب العباسية في دينها
 بالبرامكة والاهل وانما بنيت عبد الله بن عباس بينها وبينه اربعة رجال من اشراف
 الاله الملة من بعده والعباسية بنت محمد المهدي ابن عبد الله ابي جعفر المصور
 بن علي بن الحنفية ابن عبد الله ترجمان القرآن ابن العباس عم

له حبيفة اخيت معاينة فتركت بالملك العزيز والاف السوية

اعالم فلا تقي لم الزواجل بنقله فلا بد وان يبروا في طريقهم كلها باعمال قد ملكوها وشيئا
 لتكون الميرة منها فان قلنا ان تلك العساكر من جهولاء الاسم من غير ان يصحبهم
 الميرة بالمساكنة فذلك ايضاً واشد امتناعاً فدل على ان هذه الاخبار واجبة او مشروطة
 واما وادي الرومل الذي يسمي السالك فلم يسمع قط ذكره في المغرب على كثرة
 ومن يقص طريقة من الركاب والفرى في كل عصر وكل جهة وهو على ما ذكره
 الغرابية لتوفر الدواعي على نقله واما غزوم بلاد الشرق وارض الترك وان كانت
 اوسع من ممالك السويس الا ان الشقة لها ايضاً وام فارس والروم معترضة فيها
 دون الترك ولم ينقل قط ان التابعة ملكها بلاد فارس ولا بلاد الروم واما كائنات بخاريون
 اهل فارس على حدود بلاد العراق وما بين البحرين والبحيرة والجزيرة بين دجلة والفرات
 وما بينهما في الاعمال وقد وقع ذلك بين ذي الازعار منهم وكيناوس من ملوك الكينانية
 وبين نج الاصغر ابي كرب ويستاسف منهم ايضاً ومع ملوك الطوائف بعد الكينانية
 والساسانية من بعدهم بجوارز فارس بالفرز والى بلاد الترك واللبث وهو متبع عادمين
 اجل الامم المعترضة منهم والحاجة الى الازودة والعلوفات مع بعد الشقة كما مر فالاخبار
 بذلك واجبة مدخولة وهي لو كانت صحيحة النقل لكان ذلك قادحاً فيها فكيف وفي لم
 تنقل من وجه صحيح وقول ابن اسحاق في خبر يثرب والايوس والخزرج ان تبعاً الاخر
 سار الى المشرق بمهولاً على السراق وبلاد فارس واما بلاد الترك واللبث فلا يسمع
 غزوم اليها بوجه لما نقرر فلا يفتن بما يلقى اليك من ذلك وتامل الاخبار واعرضها على
 التوازين الصحيحة يقع لك تحصيلها باحسن وجه والله الهادي الى الصواب فصل وابد
 من ذلك واعرق في الوهم ما يتناقله المنسرون في تفسير سورة البقرة في قوله تعالى الم
 تركب فعل ربك بعد ارم ذات العباد فمجهولون لنظرة ارم اما المدينة وصفت بانها ذات
 عباد اي اساطين ويقولون انه كان لعاد بن عوض بن ارم ابانها شديد وشداد ملكا
 من بعده وهلك شديد فخلص الملك لشداد ودانت له ملوكهم وجمع وصف الجنة فقال
 لا يبنون ما لها قبى مدينة ارم في صحارى عدن في مدة ثلاثة سنة وكانت عمره تسعمائة سنة
 وانه مدينة عظيمة قصورها من الذهب واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها
 الشجر والاعنار المطردة ولما غمضوا سار اليها ما هل ملكته حتى اذا كان منها على
 يوم وابله بعث الله عليهم صبيحة من السماء فهاكوا كلهم ذكر ذلك الشاري والبعالي
 وغرهم من المنسرين ويقولون عن عبد الله بن قلابة من الصحابة انه شرب

الإصرار على شأنهم إلى كبار الخليفة كقصصهم في يحيى بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أخي محمد المهدي الملقب بالنفس الزكية المخارج على المصور ويحيى هذا هو الذي استنزل الفضل بن يحيى من بلاد الديلم على أمان الرشيد بنخلو وبذل لهم فيه ألف ألف درهم على ما ذكره الطبري ودفعه الرشيد إلى جعفر وجعل اعتقاله بداره وإلى نظره فحبسه مدة ثم حملته الدالة على تخليه سبيله والاستبداد بحمل عقاب له حرماً لدماء أهل البيت بزعمه ودالة على السلطان في حكمه. وسأله الرشيد عنه لما وثى به اليو فظن وقال أطلقته فأبدى له وجه الاستحسان وأسرّها في نفسه فأوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه حتى نُزل عرشهم وألغيت عليهم ساوهم وخسفت الأرض بهم وبدارهم وذمبت سلفاً ومثلاً للأخريين إياهم ومن تأمل أخبارهم واستقصى سير الدولة وسيرهم وجد ذلك محققاً الأثر بعد الأسباب وأنظر ما نقله ابن عبد ربه في مفاوضة الرشيد عم جده داود بن علي في شأن نكبتهم وما ذكره في باب الشعراء في كتاب العقد في معاورة الأصمعي الرشيد والفضل بن يحيى في سمرقنتهم أنه أمان قتلهم الفيرة والمناخسة في الاستبداد من الخليفة فن دونه وكذلك ما تحمّل به أعداؤهم من العجالة فيها دونه للبنيون من الشعر أحياناً لا على إساءة الخليفة وتغريك حناؤهم لم وهو قوله

أبست هذا البحر تاماً نعد وشئت أنسباً ما شئت

وأستبدت مرة واحدة أنا العاجز من لا يستبد

وإن الرشيد لما سمعها قال إني والله أني عاجز حتى يعنوا بأعمال هذه كامن غيرته وبطلان عليهم بأس انتقامه تعود بالله من غلبة الرجال وسوء الحال وأما ما نقله به الحكاية من معاقرة الرشيد الحمر واقتربان سكره بذكر الندمان فحاشا الله ما علمنا عليه من سوء وابن هذا من حال الرشيد وقبائه بما يجب لمصعب الخلافة من الدين والدالة وما كان عليه من صفات العلماء والأولياء ومعاوراته للفضل بن عبيد بن السبائك والعمري ومكانته سفيان الثوري وبكائه من معاصمهم ودعائه بمكة في طوافه وما كان عليه من العبادة والحفاظة على أوقات الصلوات وشهود الصبح لاول وقتها حتى الطبري وغيره أنه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة نافلة وكان يترجى عاماً ويحج عاماً وأند زجر ابن أبي مرزوم معصيته في سمرقنت تعرض له بتلب ذلك في الصلاة لما سمع بقرا ومالي لا أعبد الذي فطرني وقال والله ما أدري لم فاعمالك الرشيد أن ضحك ثم التفت إليه مضطرباً وقال يا ابن رخصس أعصا يا كاياك والقرآن والدين ولك ما شئت بعدها وأيضاً فؤاد

الرسول وعمومته وإمامة الملة ونور الوجي ومهبط الملائكة من سائر جهاتها قروية
 بدائع العرب وشداجة الدين البعينة عن عوائد الشرف ومرايع الفرائض فإن يطلب
 الصون والعتاف إذا ذهب عنها أو ابن توجد الظهارة والذكاء إذا فقدوا من بينهما أو كيف
 لهم نسبهم بغير بن يحيى وتونس شرفها العربي بمولى من موالى العجم ملكة جد من الفرس أو بولاه
 جدها من عمومة الرسول وإشراف قریش وغايته أن جذبت دولهم بقضيه وضيق أيد
 واحتفظتهم ورفقهم إلى منازل الأشراف وكيف يسوغ من الرشيد أن يصير إلى موالى
 الأعاجم على بعد جهته وعظم آثامه وأونظر المتأمل في ذلك نظر المنصف وقاس العباسية
 بأبنية ملك من عظامه ملوك زمانه لاستنكف لها عن مثله مع مولى من موالى دولتها وفي
 سلطان قومها واستنكره ولا في تكذيبه بين قدر العباسية والرشيد من الناس وإنما تنكب
 البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتقارهم أهل الجباية حتى كانت الرشيد
 يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه فتلبس على أمره وشاركره في ساطاه ولم يكن له
 معهم نصرف في أمور ملكه فقامت آثارهم وبعد صيتهم وعمرها مراتب الدولة وخطتها
 بالرواسب من ولدهم وصنائعهم واحتاروها عن سواهم من وزارة وكنانة وقيادة وشجاسة
 وسيف وقلم يقال أنه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيساً من
 ابن صاحب سيف وصاحب قلم زاحوا فيها أهل الدولة بالمناكب ودفعهم عنها بالارواح
 فكان أبهم يحيى من كنانة هارون ولي عهد وحليته حتى شس في خبره ودرج من عهده
 وعلم على أمره وكان يدعوه بأبوت فتوبه الأئمة من السلطان إليهم وعظمت الدالة
 منهم وانسط الجاه عندهم وانصرفت نفوهم الوجي ونخضعت لهم الرقاب وقصرت عليهم
 الأموال ونقضت إليهم من أقصى التقوم هذا بالملوك ونحف الأمراء ونسرت إلى خرائيمهم
 في سبيل التزلف والاستقالة أموال الجباية وإفاضوا في رجال الشيعة وعطاء الأمانة العلماء
 وطو قوم الممن وكسوا من بيوتات الأشراف الممدوم وكلوا العاني ومدسوا به بالم مدح و
 خلائيمهم واستولوا لغنائهم الجواهر والصلوات واستولوا على القرى والضيايع من الصحاحي
 والأصهار في سائر الممالك حتى استولوا البطانة واحتدوا الخاصة وأغروا أهل الولاية فكننت
 لهم وجوه المنافسة والمجد وديت إلى مهادم الزئير من الدولة عتارب السعاية حتى أخذ
 كان تنقضه اختل لجعفر من اعظم الساعين عليهم لم تعدلهم لما وقر في نفوسهم من
 المجد عواطف الرحمة ولا ورعهم وأصر الثراية وقارن ذلك عند عقد ومهم نواحي الثيرة
 والاستنكاف من الحمر والأفنة وكان المنفود التي لعنتها منهم صفاء الله وانك القوم

تجنبا من ارتكاب السرف والترف في ملابسهم وزينتهم وسائر متاعهم لما كانوا عليه من خشونة البدن وسداجة الدين التي لم يفارقوها بعد فاعطيتهم ما يخرجهم عن الاباحة الى الحظر وعن الخلية الى المحرمة ولقد اتفق المؤرخون الطبري والمدهودي وغيرهم على ان جميع من سلف من خلفاء بني أمية وبني العباس انما كانوا يركبون بالخلية الخفيفة من النضة في المناطق والسيوف والليم والسروج وان اول خليفة احدث الركوب بحلة الذهب هو المعتز بن المتوكل ثامن الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان حالهم ايضا في ملابسهم فاعطيتهم بمشاربهم ويدين ذلك بآتم من هذا اذا فهمت طبيعة الدولة في اولها من البدن والعصاة كما نعرض في مسائل الكتاب الاول ان شاء الله والله الهادي الى الصواب . ويناسب هذا او قريب منه ما ينقلونه كافة عن يحيى بن اكثم قاضي المامون وصاحب ولاة كان يقرر الخمر وانه سكر ليلة مع شربه فدفن في الرميحان حتى افاق وبشدهن على لسانه

باسيدي وامير الناس حكامهم قد جاز في حكمه من كان يسقيني
اني غفلت عن الساق في فصبرني كما تراتي سلبه العنل والدين

وحال ابن اكثم والمامون في ذلك من حال الرشيد وشرابهم انما كان التبدد لم يكن مظهورا وعدم اما السكر فليس من شأنهم وصحابة للمامون انما كانت خلة في الدين ولقد ثبت انه كان ينام معه في البيت ونقل في فصول المامون وحسن عشرته انه اشته ذات ليلة عطشان فقام يتحسس ويلبس الاناء متخافة ان يوقظ يحيى بن اكثم وثبت انها كانا بهليان الصبح جميعا نائمين هذا من المعافاة وايضا فان يحيى بن اكثم كان من علية اهل الحديث وقد اخبرني عليه الامام احمد بن حنبل واسماعيل القاضي وخروج عنه الترمذي كتابه الجامع وذكر المزي في الحفاظ ان البخاري روى عنه في غير الجامع فالتدريج فيه قد جرح في جميعهم وكذلك ما يهزمه الحان بالميل الى العلمان بهتانا على الله وقرية على العلماء ويستندون في ذلك الى اخبار القصص الواهية التي لعلماء من افتراء اندادهم فانه كان محسودا في كاليه وخطو السلطان وكان مقامة من العلم واندوين منهما عن مثل ذلك ولقد ذكر لابن حنبل ما يروي به الناس فقال سبحانه الله سبحانه الله ومن يقول هذا وامكر ذلك انكارا شديدا واني عليه اسماعيل القاضي فقبل له ما كان يقال فيه فقال معاذ الله ان تقول عدالة مثلا يتكذب باغر وحاسد وقال ايضا يحيى بن اكثم ابرا الى الله من ان يكون فيوشية ما كان يرى به من امر القيان ولقد كنت اقف على سرائره فاجده تدبد الخوف من الله لكنه كانت فيه رحمن خلق قومي بارحمي وذكره ابن حبان في الثقات وقال لا يشغل بما يمكن

كان من العلم والبراسة مكان لقرب عهده من سلفه المتحطين لذلك ولم يكن بينه وبين
 جده أبي جعفر بعد زمن اثنا خاتمة غلاماً وقد كان أبو جعفر مكان من العلم والدين قبل
 الخلافه وبعدها وهو الفاضل لما لك حين اشار عليه بتأليف الموطأ يا ابا عبد الله انه لم يبق
 على وجه الارض اعلم مني ومنك والي قد شغلني الخلافه فضع انت للناس كتاباً يتفهمون
 ويحجب فيو رخص ابن عباس وشاذ اند ابن عمرو وطبته للناس تحفة قال ما لك فوالله
 لقد طمني التصانيف يومئذ ولقد ادركه ابنه المهدي ابو الرشيد هذا وهو يتورع عن كسوة
 المجدي له يا لو من بيت المال ودخل عليه يوماً وهو يجلس يبشر الخياطين في ارفع
 الخفان من ثياب هياكله فاستكشف المهدي من ذلك وقال يا امير المؤمنين علي كسوة هذه
 العيال عامنا هذا من عطائي فقال له لك ذلك ولم يصد عنه ولا سمح بالاتفاق فيو من
 اموال المسلمين فكيف يليق بالرشيد على قرب العهد من هذا الخليفة وابوته وماري عليه
 من امتل هذه السير في اهل بيته والتحق بها ان يعاقر الخضر او يجاهر بها وقد كانت
 حالة الاشراف من العرب الجاهلية في اجتناب المخبر معلومة ولم يكن الكرم شجرهم وكان
 شربها مذمة عند الكثير منهم والرشيد واباؤه كانوا على شج من اجتناب المذمومات
 في دينهم ودنياهم والتحق بالهامة واصناف الكمال وزعات العرب وانظر ما نقله
 الطبري والمسعودي في قصة جبريل بن يحيى شيوخ الطيب حين اخضر له السمك في
 مائدة فخما عهدهم امر صاحب المائدة بحمله الى منزله فطعن الرشيد وارتاب به ودمس
 خادمة حتى عابته بتأوله فاهد ابن يحيى شيوخ للاعذار ثلاث قطع من السمك في ثلاثة
 اقداح خاض احدها بالغم المالح بالتمائل والبقول والبولارد والحلوى وصب على الثانية
 ماء مثلياً وعلى الثالثة خمراً صرفاً وقال في الاول والثاني هذا طعام امير المؤمنين ان
 خض السمك بغيره اول لم يخلطه وقال في الثالث هذا طعام ابن يحيى شيوخ ودفعها الى صاحب
 المائدة حتى اذا اتته الرشيد واحضره للتوبيخ احضر ثلاثة اقداح فوجد صاحب المخبر
 قد اختلط واماع وتفتت ووجد الآخرين قد فسدوا وتغيرت رائحتهم فكانت له في ذلك
 معذرة وتبين من ذلك ان حال الرشيد في اجتناب المخبر كانت معروفة عند بطائفة
 واهل مائدته ولقد ثبت عنه انه عهد بحبس ابني نواس لما بلغه من انها كوفي المعاقرة حتى
 ناب واقبل وانما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب اهل العراق ونفاوهم فيها
 معروفة واما المخبر الصرفة فلا سبيل الى انها به ولا تقليد الاخبار الواهية فيها فلم يكن
 الرجل يبيت بواقع صبراً من اكبر الكفاة عند اهل الملة ولقد كانت اوتك الذم

ذلك من تكذيب دعواه والرد عليهم فانهم متفقون في حديثهم عن مبدأ دولة الشيعة ان
 ابا عبد الله الحسني لما دعي بكثامة الرضى من آل محمد واشهر خبره وعلم تحويه على عبيد
 الله المهدي وابنه ابي التماس خشيما على انفسهما فربما من المشرق محل الخلاف واجتازا بمصر
 وانها خرجا من الاسكندرية في زبي التباروني خبرها الى عيسى النوشري عامل مصر
 والاسكندرية فسرّح في طلبها الخبالة حتى اذا ادركا خفي حالهما على تابعها بما لسموا به من
 الشارة والزبي فافلحوا الى المغرب وان المعتضد اوعز الى اغالبة امراء افرقيا بالقبول
 وبني مدرار امراء سبلاسة باخذ الافاق دليها واذكاء العيون في طلبها فغنى اليسع صاحب
 سبلاسة من آل مدرار على خفي مكانها ببلده واعقبها مرضاة للظينة هذا قبل ان تهاجر
 الشيعة الى الاغالة بالقبول وان ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بالمغرب
 وافريقيا ثم باليمن ثم بالاسكندرية ثم بمصر والشام والحجاز وقاموا بني السهاس في مالكة
 الاسلام شق الالهة وكادوا يلجون عليهم مواطهم ويزيلون من امرهم ولقد اظهر دعوتهم
 ببغداد وعراقها الامير البساسيري من موالي الديلم المتعالمين على خلاء بني العباس في
 مغاضبة جرت بينه وبين امراء الجيوش وخطب لهم على منابرها حولا كاملا وما زال بنو
 العباس يفتنون بمكانهم ودولتهم وولاء بني امية وراة البصر ينادون بالويل والحرب منهم
 وكيف يقع هذا كله لدعوتهم في النسب يكذب في اشغال الامر واعتبر حال الفرع على ان كان
 دعيا في اتساع كيف تلاشت دعوة وتفرقت اتباعه وظهر سريرا على خبيثهم ومكرهم فسادت
 دلتهم وذاقوا وبال امرهم ولو كان امر العبيديين كذلك لعرفوا واهل دولة

ومها تكن عند ادري من خليفته وان ظاهرا شق على الناس تعلم
 فقد اتصلت دولتهم شعرا من مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام ابراهيم عليه السلام
 ومصلحته وموطن الرسول صلى الله عليه وسلم ومدفنه وموقف الشجيرة ومهبط الملائكة ثم
 انقضض امرهم وشيعتهم في ذلك كله على انهم ما كانوا عابوا من الطاعة لم تالمح فيهم
 واعتقادهم بنسب الامام اسماعيل بن جعفر الصادق ولقد خرجوا مرارا بعد ذناب الاله
 ودروس انزها داعين الى بدعتهم هاتفت باسماء بيان من اعتقادهم بزعمون استغاثتهم
 للخلافة ويذهبون الى تعيينهم بالوصبة من سلالة قبلهم من الائمة ولو ارتابوا في تدعيم لما
 ركبو اعناق الاخطار في الانتصار لم فصاحب البدعة لا يلهي في امره ولا يشبه في بدعته
 ولا يكذب نفسه فيما ينشأه في الحجب من القاضي ابي بكر الباقلاني شيخ النظار من المغرب
 شيخ الى هذه المقالة المرجوحة وبزي هذا الراي الضعيف فان كانت ذلك من الاغالة

عنه لان اكثرها لا يجمع عنه ومن امثال هذه الحكايات ما نقله ابن عبد ربه صاحب العقد
 من حديث الزنبل في سبب اصهار المامون الى الحسن بن سهل في بنته يوران وانه عثر
 في بعض الليالي في تجاريفه سكرت بغداد في زينيل مدني من بعض السطوح بما اتي وجدل
 بمقارة النفل من الحرير فاقتعده وتناول المعاني فاهترت وذهب به صعدنا الى مجلس شاة
 كذا ووصف من زينة فرشه وتضيد ابنته وجمال رويته ما يستوقف الطرف وبك
 النفس وان امرأة برزت له من خال الستور في ذلك المجلس رائقة الجمال فتانة الحسن فحبه
 ودعته الى المأدمة فلم يزل يعاقرها بخمر حتى الصباح ورجع الى اصحابه بمكانهم من انظاره
 وقد شغفته حبا معة على الاصهار الى ابنتها وابن هذا كة من حال المامون المعروفة في
 دينه وعلمه وافتنائيه سنن الخلفاء الراشدين من آثائه واخذ به سير الخلفاء الاربعة اركان
 الملة ومناظرته العلماء وحفظه لحدود الله تعالى في صلواته واحكامه فكيف تصح عنه احوال
 التساق المستهين^(١) في التطواف بالليل وطروق المنازل وغيبان البحر سبل عشاق
 الاعراب وابن ذلك من منصب ابنة الحسن بن سهل وشرفها وما كان يدار ابنتها من الصون
 والعفاف وامثال هذه الحكايات كثيرة وفي كتب المؤرخين معروفة وانما بيعت على وضعها
 والحديث بها الاتهام في الذل والحرمة وهتك فتاح المغدرات وبتة اللون بالناسي بالقوم
 فيها ياتونه من طاعة لذاتهم فلذلك تراهم كثيرا ما يلهيهم باشباه هذه الاخبار وينفرون
 عنها عند تصفهم لاوراق السراويل واوانسوا بهم في غير هذا من احوالهم وصفات الكمال
 الثلاثة بهم المشهورة عنهم اكان خيرا لم او كانوا يملكون ولقد عدلت يوما بعض الامراء من
 ابناء الملوك في كلهم بهلم النساء وولعه بالاورار وقلت له ليس هذا من شاك ولا يليق
 بمنصك فقال لي افلا تدري الى ابراهيم بن المهدي كيف كانت امام هذه الصناعة ورئيس
 المصنعين في زمانه فقلت له يا سبحان الله وهل تاسيت يا به او اخبره او ما رايت كيف قعد
 ذلك ابراهيم عن ماصهم فسم عن عدلي واعرض والله يهدي من يشاء ومن الاخبار
 الى هبة ما يذهب الروا الكثير من الموءرخين والاثبات في العبيد بين خلفاء الشيعة بالتدري وان
 القاهرة من نعيم عن اهل البيت صلوات الله عليهم والاطعن في نسيم الى اسماعيل الامام
 ابن جعفر الصادق بعدد من في ذلك على احوالهم لفقت المستضعفين من خلفاء بني العباس
 تركنا اليهم بالقدح فيمن ناصبهم ونشك في الثبات بعدد من حسبنا نذكر بعض هذه الاساطير
 في اخبارهم ويعلمون عن النطقان لشواهد الواقعات وادلة الاحوال التي اقتضت خلافت

١ المشتهر الذي بالغ المروج بولاها على ما عمل هو وشبه له والذي كثرت اباطيله اء دماره

الحسن وان ذهبت مع الاغراض والمحفود وماجت بسايرة البغي والباطل نفق الهرج
 والزائف والناقد البصير قسطاس نظره وميزان بغيه وملتقى ومثل هذا وبعد منه كثيراً
 ما يتناجي به الطاعنون في نسب ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن
 ابن علي بن ابي طالب (رضوان الله عليهم) الامام بعد ابيو بالمغرب الاقصى وبعضون
 تعريض الحمد بالنظان في المجهل المختلف عن ادريس الاكبر انه لراشد مولاهم فيهم الله
 وابعدهم ما اجدهم اما يعلمون ان ادريس الاكبر كان اصهاره في البربر وانه منذ دخل
 المغرب الى ان توفاه الله عز وجل عريق في البدو وان حال البادية في مثل ذلك غير
 خافية اذ لا مكان لم يتاني فيها المريب واحول حرمهم اجمعين برأى من جاراتهم
 ومسمع من جيرانهم لتلاصق المجدران وتطامن البنيان وعدم الفواصل بين المساكن
 وقد كان راشد يتولى خدمة الحرم اجمع من بعد مولاهم شهد من اوليائهم وشيعتهم ومراقبة
 من كافهم وقد اتفق برابرة المغرب الاقصى عامة على بيعة ادريس الاصغر من بعد ابيو
 وانه طاعتهم عن رضى واصفاق وابعوه على الموت الاحمر وظفروا بدونه بحجار النما في
 حروبه وغزواته ولوحدهوا انفسهم بمثل هذه الريبة او قرعت اسماعهم ولو من عدو
 كاشع او منافق مراتب تختلف عن ذلك ولو بعضهم كلا والله انما صدرت هذه الكلمات
 من بني العباس اقتناهم ومن بني الاغلب عالم كانوا بآفريقية وولاتهم وذلك انه لما فر
 ادريس الاكبر الى المغرب من وقعة نخ او عر المهادي الى الاغلبية ان يقعدوا له بالمرصاد
 ويذكروا عليه العيون فلم يظفروا به وخلص الى المغرب فتم امره وظهرت دعوته وظهر
 الرشيد من بعد ذلك على ما كان من واضع مولاهم وعاملهم على الاسكندرية من دسيسة
 الشيعة العلوية وادها في نخاة ادريس الى المغرب وقتله ودس الشياخ من موالي المهدي
 ابيو القليل على قتل ادريس فاطهرا للحاق به والبراءة من بني العباس مواليه فاشغل عليه
 ادريس وخاطله بنفسه وناولته الشياخ في بعض خلواته سباً استمكته به ووقع خبر ملكه من
 بني العباس احسن المانع لما رجع من قطع اسباب الدعوة العلوية بالمغرب واقتلاع
 جرتهم ولما تآدى اليهم خبر الحمل المخاف لادريس فلم يكن لهم الا كلاً ولا اذا بالدعوة
 قد عادت والشيعة بالمغرب قد ظهرت ودولتهم بادريس بن ادريس قد تجددت فكان
 ذلك عليهم انكى من وقع السهام وكان النشل والهزم قد نزل بدولة العرب عن ان يسموا
 الى الفاصية فلم يكن منتهى قدرة الرشيد على ادريس الاكبر بمكانه من قاصية المغرب
 ان شغل البربر عليه لا القليل في اهلاكيه با لسموم فمعد ذلك فزعوا الى اوليائهم من الاغلبية

من الاتحاد في الدين والتمسك في المرافضة فليس ذلك بدافع في صدر دعوتهم وليس اثبات
 مستهم بالذي يغني عنهم من الله شيئاً في كفرهم فقد قال تعالى لنوح عليه السلام في شأن
 ابنه انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم وقال صلى الله
 عليه وسلم لنا طلبة بعضها يا فاطمة اعلمي فان اغبي عنك من الله شيئاً ومتى عرف امرهم
 قضية او استيقن امراً وجب عليه ان يصدع به والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والقوم
 كانوا في مجالس الطغاة والدول بهم وتحت رقبة من الطغاة لتوفر شيعةهم وانتشارهم في
 القاصية بدعوتهم وتكرار شر وجههم مرة بعد اخرى فلاذت رجالهم بالاختفاء ولم يكادوا
 يعرفون كما قيل

فلو تسأل الايام ما سئى ما درست وابن مكاني ما عرفن مكاني

حتى لقد سئى محمد بن اسماعيل الامام جد عبيد الله المهدي بالماكنوم سمته بذلك شيعةهم
 لما انتقلوا عليه من اخوانه حذراً من المتغلبين عليهم فتوصل شيعة بن العباس بذلك عند
 ظهورهم الى الطغاة في نسبهم وازدلت بهذا الرأي النائل للمستضعفين من خلفائهم وعجب
 به اولادهم وامراء دولتهم المتولون لشرورهم مع الاعداء يدفعون به عن انفسهم وسلطانهم
 معرفة العجز عن المقاومة والمدافعة لان غلبهم على التمام ومصر والنجار من البربر الكتابيين
 شيعة العبيديين واهل دعوتهم حتى لقد اسجل القضاء ببغداد بنسبهم غرت هذا النسب
 وشهد بذلك عندهم من اعلام الناس جماعة منهم الشريف الرضي واخوه المرتضى وابن
 البطاوي ومن العلماء اوحامد الاسفرايني والقدوري والصبيري وابن الاكفاني والابوردي
 وابو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم من اعلام الامة ببغداد في يوم مشهود وذلك
 سنة ستين واربعمائة في ايام القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف
 بين الناس ببغداد وغالبها شيعة بن العباس الطاعنون في هذا النسب فقله الاخباريون
 كاسمعه ورووه حساب وعرفه والحق من ورائه في كتاب المعتضد في شأن عبيد الله الى ابن
 الاغلب بالقرين وابن ابن مدرار بن مهلماسة اصدق شاهد وارضح دليل على صحة نسبهم فالمعتضد
 اقعده بنسب اهل البيت من كل احد والدولة والسلطان سوق للعالم تجلب اليه بضائع
 العلوم والصنائع وتنافس فيه ضوال الحكم وتحدي اليه ركائب الروايات والاخبار وما
 نزه فيمن اغنى عند الكفاية فان تنزهت الدولة عن التعسف والميل والافن والسفينة
 في اخبار النفع الامم ولم تخرج^(١) عن قصد السبيل نفع في سوقها الا برز الخالص والحين

المسار الختم المصارع حاراي لم نقل اه

الاسم والاجيال من اهل الافاق فتعرض التهمة فيه ولما كان نسب بني ادريس هولاء
 بموطنهم من فاس وسائر ديار المغرب قد بلغ من الشهرة والوضوح مبلغا لا يكاد يلحق ولا
 يطعن احد في دركو اذ هو نقل الامة والاجيال من المختلف عن الامة والاجيال من السلف
 وببيت جدهم ادريس حفظ فاس وموسمها بين يوتهم ومسيده لصق بمعلمهم ودروهم
 وسينه منقضى براس الماشنة العلقى من قرار بلدهم وغير ذلك من اثاره التي جاوزت
 اثاره ما حرد التواتر مرات وكادت تلحق باليمان فاذا نظر غيرهم من اهل هذا النسب الى
 ما اناهم الله من امثالها وما عضد شرفهم النبوي من جلال الملك الذي كان اسلفهم بالمغرب
 واسبقين انه يعزل عن ذلك وان لا يبلغ مد احدهم ولا تصفه ران غاية امر المنتمين
 الى البيت الكريم ممن لم يحصل له امثال هذه التواهد ان يسلم فلم يحاط لاث الناس
 مهذون في انسابهم ويون ما بين العلم والظن واليقين والتسليم فاذا علم بذلك من
 نفسه غص بريقه وود كثير منهم لو يردونهم عن شرفهم ذلك سوقة ووضعاء^(١) حسنا من
 عند انفسهم فيرجعون الى العناد والركاب والباحج واليهت بثل هذا الطعن الفاتل والقول
 المكذوب بالأساواة في الفطنة والمشاغبة في تطارق الاحتمال ومبهات لم ذلك فليس
 في المغرب نيا نعلمه من اهل هذا البيت الكريم من بلغ في صراحة ذنبه ووضوحه مبلغ
 اعقاب ادريس هذا من اكل الحسن وكبرائهم لهذا العهد وعمران فاس من ولد يحيى
 الحموي بن محمد بن يحيى العوام بن القاسم بن ادريس بن ادريس وهم نباء اهل البيت
 هناك والسلمكون ببيت جدهم ادريس ولم السيادة على اهل المغرب كافة حسبما ذكرهم
 عند ذكر الادارة ان شاء الله تعالى ويلحق بهذه المقالات الفاسدة والمذاهب الفاتلة
 ما يتناول ضعفه الراي من فقهاء المغرب من الفتح في الامام المدي صاحب دولة
 الموحدين وسببه الى الشعوذة والشعوب فيما اتاه من التهام بالوحد الحق والحق على
 اهل الدين قبة وتكذيبهم لجميع مدعياته في ذلك حتى فيما يزعم الموحدين اتباعه من
 انتسابه في هل البيت وانما حمل التفتاء على تكذيب ما كان في نفوسهم من حسده على شاذ
 فانيهم لا راول من انفسهم مناضضة في العلم والفتيا وفي الدين برعهم ثم امتاز عنهم بانه
 موع الهادي مسرع القول موطوء العقب انفس ذلك عليه وغضوا بالفتح في مذهبه
 والتكذيب لمذعياته وايضا فكما يونسون من ملوك لينة اعدائه تيلة وكراة لم تكن لهم
 من غيرهم لا كانوا عليه من السذاجة والتمثال الديانة فكان لجهة العلم بدولتهم مكان من

بأفريقية في سد تلك الفرقة من ناحيتهم وحسم الدماء المتوقع بالدولة من قبلهم واقتلاع
ملك العروق قبل ان تلحق منهم بخاطبهم بذلك المأمون ومن بعده من خلفائهم فكانت
الاعطال عن برابرة المغرب الأقصى اعجز ولما من الزيون على ملوكهم احوج لما طرق
المخلافه من انتزاء مالك العجم على سدنها وامتناعهم صهوة التغلب عليها وقصر بهم
احكامها طوع اغراضهم في رجائها وجبايتها واهل خضعتها وسائر نقضها وازرامها كما قال
شاعرهم

طليئة في قنص بين وصيف وبغا
يفول ما قاله كاتول البغا

تخفي هؤلاء الامراء الاعطال بؤادر السعيات وتلوا بالماذير تطوراً باحقار المغرب واهله
وطوراً بالارهاب بشأن ادريس الخارج به ومن قام مقامه من اعقابهم بخاطبهم فجاوزه
حدود النجوم من عمو وبغدون سكنة في قفهم وهذا بهم ومرتج جباياتهم نهر يصا باستفحال
وجوبه بلا باستداد شركته وتعطياً لما دفعه اليه من مطالبته ومراسه ومداً بالناس الدعوة
ان الجمل اليه وطوراً يطعنون في نسب ادريس ينزل ذلك الطعن الكاذب تخفيفاً
لشأنه لا يبالون بصدقه من كذب بل بعد المسافة واقتول من خلف من صبية بني العباس
وما اكهم العجم في القبول من كان قاتل ولسع لكل ناعق ولم يزل هذا دأبهم حتى افضى
امر الاعطال ففرغت هذه الكلمة الدنماء اسماع الفوغاء وصرت عليها بعض الطامعين اذنه
وامعها ذريعة الى النيل من خلفهم عند المنافسة ومالم فيهم الله والدول عن مقاصد
المرية فلا تعارض فيها بين المظبوط والمظنون وادريس ولد على فراش ابيه والواد
الفراش على ان تنز به اهل البيت عن مثل هذا من عقائد اهل الايمان فانه سبحانه قد
اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ففراش ادريس طاهر من الدنس ومنزه عن الرجس
بحكم القرآن ومن اعتقد خلاف هذا فقد باء بائه ووجع الكفر من بابه وانما اطابت سينه
هذا الرد سداً لايواب الرب ودفعاً في صدر المحاسد لما سمعته اذناي من قائله المتدني
عليهم به القادح في نسبهم بقرته وبغلة نزعه عن بعض مورثي المغرب ممن انحرف عن
اهل البيت وارتاب في الايمان بسلامهم والا فاهل منزله عن ذلك معصوم منه وبني العباس
حيث يتعجل العيب عيب لكني جادلت عنهم في المحبة الدنيا وارجون مجادلتي في يوم
القيامة ولعلهم ان اكثر الظاهرين في نسبهم انما هم المحسدة لاعتقاب ادريس ههنا من منتم
الى اهل البيت او دخل فيهم فان ادعاء هذا النسب الكرم دعوى شرف عريض حرام

وتدرجت في مهنوظاتهم حتى صار فن التاريخ واحداً مختلطاً وناظرة مرتبكا وعد من مباحي
 العامة فاذا اجتاحت صاحب هذا الفن الى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف
 الامم والبقاع والاعصار في السير والاخلاق والعوائد والمثل والمذاهب وسائر الاحوال
 والاحاطة بالحاضر من ذلك ومائلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق او بون ما بينها
 من الخلاف وتعليل المتفق بينهما والخلاف والقيام على اصول الدول والمثل ومبادئ ظهورها
 واسباب حدوثها ودواعي كونها واحوال الفائزين بها واخبارهم حتى يكون مستوعبا لاسباب
 كل حادث واقفا على اصول كل خبره وحينئذ يعرض خبر المنقول على ما عده من
 القواعد والاصول فان وافقها وجرى على مقتضاها كانت صحيحة والا زينة واستغنى عنه
 وما استذكر القدماء علم التاريخ الا لذلك حتى انتقله الطبري والبخاري وابن اسحاق من
 قبلها وامثالهم من علماء الامة وقد ذهبل الكثير عن هذا السرفيه حتى صار انتحاله في جملة
 واستغفب العلوم ومن لا رسوخ له في المعارف مطالعة ومحملة والمخوض فيه والطفل على
 فاختلط المرعي بالهل والالباب بالنشر والصادق بالكاذب والى الله عاقبة الامور ومن
 الغلط الخفي في التاريخ انه يؤول عن تبدل الاحوال في الامم والاحوال بتبدل الاعصار
 ومروور الايام وهو دائم دوي شديد الخفا اذ لا يقع الا بعد احتجاب متضائلة فلا يكاد
 يتفطن له الا الاحاد من اهل الخلق وذلك ان احوال العالم والامم وعوائدهم ونظمهم
 لا تدوم على وثيرة واحدة ومنهاج مستقر انا هو اختلاف على الايام والازمنة وانتقال من
 حال الى حال وكما يكون ذلك في الاشخاص والاقوات والامصار فكذلك يقع في الافاق
 والاقطار والازمنة والدول سنة الله التي قد خلت في عاده وقد كانت في العالم امم
 النرس الاولى والسرانيون والندط والديابرة وبنو اسرائيل والقبط وكانوا على احوال
 خاصة بهم في دولهم وممالكهم وسياساتهم وصناعاتهم ولغاتهم واصطلاحاتهم وسائر مشاركاتهم
 مع انباء جنسهم واحوال اعتبارهم للعالم تشبه بها آثارهم ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية
 والروم والعرب فتبدلت تلك الاحوال وانقلبت بها العوائد الى ما يحاسبها او يشامها
 والى ما يباينها او يباعدها ثم جاء الاسلام بدولة مضر فانقلبت تلك الاحوال اجمع انقلابا
 اخرى فصارت الى ما اكثره متعارف هذا العهد ياخذ الخلف عن السلف ثم درست
 دولة العرب وقيامهم وذهبت اسلاف الذين شيدوا عزهم ومهدوا ملكهم وصار الامر في
 ايدي سوام من العجم مثل الترك بالمشرق والبربر بالمغرب والفرنجية بالشمال فذهبت
 بذهابهم اسم وانقلبت احوال وعوائد نسي شأنها وغفل امرها والسبب الشائع في تبدل

الوجهة والانتساب للشورى كل في بلده وعلى قدره في قومه فاصبحوا بذلك شيعه لهم
 وحررا لعدوهم ونموا على المهدى ما جاء به من خلافتهم والتربس عليهم والمناصه لهم فشيوعا
 للثبوت ونصبا لا ولهم وبكان الرجل غيره مكاتبه وحاله على غير معتقداتهم وما ظلت برجل
 نعم على اهل الدولة ما نعم من احول لم يخالف اجتهاده فتباهم فنادى في قومه ودعا الى
 جهادهم بنفسه فاقبلت الدولة من اصولها وجعل عا لها ساقها اعظم ما كانت قوة واشد شوكة
 واعز انصارا وحامية ونساقطت في ذلك من اتباعه نفوس لا يصبها الا خالفها قدبا يعو
 على الموت ووقوه بانفسهم من الهلكة ونفروا الى الله تعالى باتلاف مهيمن في اظهار تلك
 الدعوة والتصب لتلك الكلمة حتى علت على الكلم ودالت بالعدوتين من الدول وهن
 بجاليقن التثقف والمحصر والصبر على المكروه والنقل من الدنيا حتى قبضه الله وابس على
 شيعه من الحظ والمنافع في دنياه حتى الوالد الذي ربما تنبع اليه النفوس وتجادع عن تمويه
 فليت شعري ما الذي قصد بذلك ان لم يكن وجه الله وهو لم يحصل له حظ من الدنيا
 في عاجله ومع هذا فلو كان قصده غير صالح لما تم امره وانصحت دعوتة سنة الله التي قد
 خلت في عبادته واما انكارهم بسبه في اهل البيت فلا تصدقه حجة لهم انه ان ثبت انه
 اداه وانتسب اليه فلا دليل بقوم على بطلان لان الناس مصدقون في اسامهم وان قالوا
 ان الرياسة لا تكون على قوم في غير اهل جلدتهم كما هو الصحيح حسبا ياتي في النصل
 الاول من هذا الكتاب والرجل قد رأس سائر المصايدة ودانوا باتباعه ولا تقيد اليه
 والى عصايتو من هرقة حتى تم امر الله في دعوتو فاعلم ان هذا النسب الناطق لم يكن امر
 المهدى يتوقف عليه ولا اتبعت الناس سبيبه وان كان اتباعهم له بعصبية الهرقة والمصودية
 ومكانة منها وروسخ شجرتو فيها وكان ذلك النسب الفاطمي خفيا قد درس عند الناس
 وبقي عنده وعند عشيرته يتناقلونه بينهم فيكون النسب الاول كانه السليمة وليس جلدته
 هولا وظاهر فيها فلا يضره الانتساب الاول في عصايتو اذ هو مجهول عند اهل العصاية
 ومثل هذا واقع كثيرا اذا كان النسب الاول خفيا وانظر قصة عريضة وجرر في رياسة
 بجلة وكيف كان عريضة من الازد وليس جلدته بجلة حتى تنازع مع جرير رياسته عند
 عمر رضي الله عنه كما هو مذكور عنهم منه وجه الحق والله الهادي للصواب وقد علمنا ان
 نفخرج عن غرض الكتاب بالاخطاب في هذه المغالط فقد زلت اقدام كثير من الاتبات
 والمورخين المغالط في مثل هذه الاحاديث والاراء وعلمت بافكارهم ونقلها عنهم الكافة
 من ضعفة النظر والغفلة عن التماس وتلقوها هم ايضا كذلك من غير بحث لا روية

ذلك لقانون يحفظه من الخطأ وصار العلم ملكة يحتاج الى التعلم فاصبح من جملة الصانع
والحرف كما ياتي ذكره في فصل العلم والتعليم واشتغل اهل العصبية بالقيام بالملك والسلطان
فدفع له لم من قام بمن سواهم واصبح حرفة المعاش وشغفت انوف المترفين واهل السلطان
عن التصدي للتعليم واخص الخالة بالمستضعفين وصار متقلة محترقا عند اهل العصبية
والملك والمحاجج بن يوسف كان ابيه من سادات ثقيف واشرافهم ومكانهم من عصبية
العرب ومناهضة قريش في الشرف ما عانت ولم يكن تعليمه للقرآن على ما هو الامر
عليه هذا العهد من انه حرفة المعاش وانما كان على ما وصفناه من الامر الاول في الاسلام
ومن هذا الباب ايضا ما يترده المصنفون لكتب التاريخ اذا سمعوا احوال القضاء وما
كانوا عليه من الرياسة في الحرب وقود العساكر فتراهم يسمونهم وسواهم اليهم مثل ذلك الرتب
يحمسون ان الشأن في خطه القضاء لهذا العهد على ما كان عليه من قبل ويطنون بان
ابي عامر صاحب هشام المستبد عليه وابن عباد من ملوك الطوائف باستيلاء انا جميعا ان
اباهم كانوا قضاء ائهم مثل القضاء لهذا العهد ولا ينفطون لما وقع في رتبة القضاء من
مخالفة العوائد كما نبه في فصل القضاء من الكتاب الاول وابن ابي عامر وابن عباد كانوا
من قبائل العرب القائمين بالادارة الاموية بالاندلس واهل عصبيتها وكان مكانهم فيها
مسلوكم ولكن تباهم لما نالوه من الرياسة والملك بمخلة القضاء كالي هذا العهد بل انما كان
القضاء في الامر التقدم لاهل العصبية من قبيل الدولة ومواليها كما هي الوزارة لعهدنا
بالغرب وانظر مخرجهم باليساكر في الطوائف وتقليدهم عظام الامور التي لا تقلد الا
بالغنى فيها بالعصبية فيمط السامع في ذلك ويحمل الاحوال على غير ما هي واكثر
ما يقع في هذا الفاظ ضعفاء البهائم من اهل الاندلس لهذا العهد لتفندات العصبية في
هواطهم منذ اعصار تعبئة بناع العرب ودولتهم بها ومخرجهم عن ملكة اهل العصبية (١)
من الدبر فقيمت انسابهم السرية جهنم فظلموا والذريع الى العز من العصبية والتناصر منقودة
بل صاروا من جملة الرعايا المتخاذلين الذين تعد لهم التمر ورثنا للعدالة يحسمون ان انسابهم

١ العصبية من النصب ونحو ان يثبت الرجل على حرم صاهو ونحو من ساق الخد في سمره منوعة الى
الخدمة معركة وح اقارب الرجل من قبل اسولادهم المداون عن حرم من هو منهم ونحو هذا الذي مدونة بالما
الخدمة المدونة في الحديث الشايع القدر ليس من دعا الى عصبية وليس من دعا الى عصبية وليس من
دعا الى عصبية فهي نصب رجال اذ له على رجال قبيلة اخرى غير ديانة كان كان يقع من قيام سعد على حرام
سنة الى العصبية على قوم الرجل الذين يحمسون له ولهم سورا قارب ملوك كان او مقلوبوا وفي القاتون بالبحرية
من مباح قبول الهادة العصبية وتجانس بعض الرجل الرجل لانه من بني الاندلس من قبله كندا والوجه في ذلك طاهر وهو
ازكيات العزم من الحديث ليس من دعا الى عصبية وهو موجب للنسب ولتسادة اربكهم خالفا لاندلس امو الروا

الاحوال والعوائد ان عوائد كل جبل تابعة لعوائد سلطانه كايقال في الامثال الحكيمه
 اناس على دين الملك واهل الملك والسلطان اذ استولوا على الدوله والامير فلا بد من ان
 يفرعوا الى عوائد من قبلهم وياخذون الكثير منها ولا يغفلون عوائد جوبهم مع ذلك فيقع
 في عوائد الدوله بعض الخالفه لعوائد الجبل الاول فاذا جاءت دوله اخرى من بعدهم
 وبرزت من عوائدهم وعوائد ما خالفتم ايضا بعض الشيء وكانت الاولى اشد مخالفة
 ثم لا يزال التدرج في الخالفه حتى ينتهي الى المباينة بالجملة فما دامت الاسم والاجيال
 تتعاقب في الملك والسلطان لا يزال الخالفه في العوائد والاحوال واقعة والقياس
 والهاكاه للانسان طبيعة معروفة ومن الغلط غير مأمونة شرجة مع الدهول والغفلة عن
 قصد ونوع شيء عن مراد فرما يسمع السامع كثيرا من اخبار الماضين ولا يتفطن لما
 وقع من تغير الاحوال وانقلابها فيغير بها الاول وهلة على ما عرف ويقبض بما شهد وقد
 يكون الفرق بينهما كثيرا فيقع في مبراهن الغلط فمن هذا الباب ما ينقله المؤرخون من احوال
 الحجاج وان ابناء كان من المعلمين مع ان التعليم لهذا العهد من جملة الصنائع المعاشية المعينة
 من اعتزاز اهل العصبية والمعلم مستضعف مسكين يقطع الجند " فيشوف الكثير من
 المستضعفين اهل الحرف والصنائع المعاشية الى نيل الرتب التي ليس لها باهل ويعدها
 من التمكنات لم تذهب هم وساوس المطامع وربما انقطع حبها من ايديهم فسقطوا في
 مبراهن الهلكة والتلف ولا يعلمون استنباطها في حقهم وانهم اهل حرف وصنائع المعاش
 وان التعليم صدر الاسلام والدولتين لم يكن كذلك ولم يكن العلم بالجملة صناعة انما كان
 نقلا لما سمع مع الشارح ونمايا لما جزل من الدين على جهة البلاغ فكان اهل الانساب
 والعصبية الذين قاموا بالماله هم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على
 معني التبليغ الخبري لا على وجه التعليم الصناعي اذ هو كتابهم المنزل على الرسول منهم وبه
 هدايتهم والاسلام دينهم قاتلوا عليه واخصوا به من بين الامم وشرفوا فيمضون
 على تبليغ ذلك وتنبيه الامة لا تصدم عنه لائمة الكبر ولا ينزعهم عاذل الانفة ويشهد
 لذلك بعث النبي صلى الله عليه وسلم كبار اصحابه مع وفود الحرب يعلمونهم حدود الاسلام
 وما جاء به من شرائع الدين بعث في ذلك من اصحاب العشرة فمن بعدهم فلما استقر الاسلام
 ووثجت عروق الملة حتى تناولها الامم البعيدة من ايدي اهلها واستعملت برور الابار
 احوالها وكثرت استنباط الاحكام الشرعية من النصوص لتعدد الوقائع وتلاحقها فاحتاج

واعتاض من اجدال البربر اهله على القدم من طراً فيو من اذن المائة الخامسة من اجدال
 العرب بما كسروهم وغلبوهم وانزعوا منهم عامة الاوطان وشاركوهم فيما بقي من البلدان
 لما حكم هذا الى ما نزل بالهران شرقاً وغرباً في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون
 الجارف الذي تخوف الامم وذهب باهل الجبل وطوى كثيراً من محاسن العمران وسحبا
 وجاه للدول على حين هزها واولغ الغاية من مداها ففلس من ظلالها وفلس من حدها
 واروهن من سلطاتها وتداعت الى التلاشي والاضمحلال اموالها وانقص عمران الارض
 بانقراض البشر فخربت الامصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل
 وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب
 لكن على نسبته ومقدار عمرانه وكان نادى لسان الكون في العالم بالخيول والانتباض فبادر
 بالاجابة والله وارث الارض ومن عليها واذا نزلت الاحوال جملة فكانت اشد الخلق من اصله
 وشول العالم بأسره وكأني خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث فاجتمع لهذا العهد من
 يدون احوال الخليفة والافاق واجيالها والعوائد والنجلى التي تبدلت لاهلها وبقيت مسلك
 السعودي لعصره ليكون اصلاً يقتدي به من يأتي من المورثين من بعده وانا اذكر في
 كتابي هذا ما امكنني منه في هذا القطر المنير اما صريحاً او مودجاً في اخباره وتلويحاً
 لاختصاص قصدي في التاليف بالمغرب واحوال اجداله واميه وذكر ما كره ودوله دون
 ما سواه من الاقطار لعدم اطلاعي على احوال المشرق واميه وان الاخبار المتساقطة لاني
 كره ما اريد منه والمسعودي انما استوفى ذلك لبعده رحلي وتقليبه في البلاد كما ذكر في
 كتابه مع انه لما ذكر المغرب قصر في استنباط احواله وثوق كل ذي علم عليم ومرد العلم
 كله الى الله والبشر عاجز قاصر والاعتراف متعين واجب ومن كان الله في عونه تيسرت
 عليه المذاهب وانجست له المساعي والمطالب ونحن آخذون بعون الله فيما رماه من
 اغراض التاليف والله المسدد والمعين وعليه التكلان وقد بقي علينا ان نقدم مقدمة في
 كيفية وضع المحروف التي ليست من لغات العرب اذ اعرضت في كتابنا هذا
 اعلم ان المحروف في النطق كما يأتي شرحه بعد في كيفية الاصوات الخارجة من
 الحنجرة تفرض من تقطيع الصوت بقرع اللهاة واطراف اللسان مع الخنك والمخاف
 والاضراس او بقرع الشفتين ايضاً فتتغير كيفية الاصوات بتغير ذلك الفرع وتجي
 المحروف متمايزة في السمع وتتركب منها الكلمات الدالة على ما سمي الضائير وليست الامم
 كلها متساوية في العلم بذلك المحروف فقد يكون لامة من المحروف ما ليس لامة اخرى

مع خطاطة الدولة هي التي يكون لها الغلب والتحكم فتجد اهل الحرف والصنائع منهم
متصددين لذلك ساعين في نيولها فاما من باشر احوال القبائل والعصبية ودولهم بالعقد
الغربية وكيف يكون التغلب بين الامم والعشائر فقلما يغلطون في ذلك ويخطئون في
اعتبارهم. ومن هذا الباب ايضا بما يسلكه المورخون عند ذكر الدول ونسب ملوكها
فيذكرون اسم ونسبه واباه وامه ونسأه ولقبه وخاتمة وقاضيه وحاجبه ووزيره كل ذلك
تقليد مورخي الدوليين من غير تفتان لمصادم والمورخون لذلك العهد كانوا يضعون
تواريخهم لاهل الدولة وابناؤها متشوقون الى سير اسلافهم ومعرفة احوالهم ليقتنوا اثارهم
ويستجيبوا على منوالهم حتى في اصطلاح الرجال من خلف دولتهم وتقليد المخطوط والمرايب
لأبناء صانعهم وذوهم والنساء ايضا كانوا من اهل عصبية الدولة وفي عداد الوزراء
كما ذكرناه لك فيصاحبون الى ذكر ذلك كايامنا حين تباينت الدول وتباعد ما بين
العصور ووقف الغرض على معرفة الملوك بانفسهم خاصة ونسب الدول بعضهم بعض
في قوتها وغلبتها ومن كان يباهيها من الامم او يقصر عنها في المائدة للمصنف في هذا
العهد في ذكر الابناء والنساء ونسب الخاتم واللقب والناضي والوزير والحاجب من دولة
قديمة لا يعرف فيها اصولهم ولا انسابهم ولا مقاماتهم اما جعلهم على ذلك التقليد والغفلة
عن مقاصد المؤلفين الاقدمين والذهول عن تحري الاغراض من التاريخ اللهم الا ذكر
الوزراء الذين عظمت اثارهم وغنت عن الملوك اخبارهم كالحجاج وبني المطلب والبرامكة
وبني سهل بن نوحجت وكافور الاخشيدي وابن ابي عامر وامامهم فقير كبير الامامع بابائهم
والاشارة الى احوالهم لانتظامهم في عداد الملوك. ولندكر هنا فائدة نغتم كلامنا في هذا
الفصل بها وهي ان التاريخ انما هو ذكر الاخبار الخاصة بعصر او جيل. فاما ذكر الاحوال
العامة فلا فاق والاجيال والاعصار فهو اس للمورخ تدني عليه اكثر مقاصده وتبين به
اخباره وقد كان الناس يفرقونه بالتأليف كما فعله المسعودي في كتاب مروج الذهب
شرح فيه احوال الامم والافاق لعهد في عصر الفاروق والفلانة غربا وشرقا وذكر
نظمهم وعاداتهم ووصف البلدان والجيال والنفار والملوك والدول وفرق شعوب العرب
والعجم فصار اماما للمورخين يرجعون اليه واصلا يعلون في تحقيق الكثير من اخبارهم عليه
ثم جاء البكري من بعده ففعل مثل ذلك في المسالك والممالك خاصة دون غيرها من
الاحوال لان الامم والاجيال اعمد لم يقع فيها كثير انتقال ولا عظيم تغير واما لهذا العهد
وهو اخر المائة الثامنة فقد اقلبت احوال المغرب الذي نحن شاهده وتبدلت بالجم

العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العرمان من الاحوال مثل التوحش والناهن والعصبيات
 واصناف التغلطات البشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول
 ومراتبها وما ينشأ من البشر باعمالهم وساعاتهم من الكسب والمناش والعلوم والصنائع وما
 يحدث في ذلك العرمان بطبيعتهم من الاحوال ، ولما كان الكذب متطرقا للغير
 بغيره وله اسباب تقتضيه . فمنها الشهوات للاراء والمذاهب فان النفس اذا كانت على
 حال الاعتدال في قبول الخبر اعطت حكمة من التعميص والنظر حتى تتبين صدقة من
 كذبه واذا خامرها شيع لراي او غلبت قبلت ما يوافقها من الاخبار لاول وهلة وكان ذلك
 الميل والشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتعميص فتقع في قبول الكذب
 ونقله . ومن الاسباب المتضمنة للكذب في الاخبار ايضا الثقة بالناقيلين ونقص ذلك
 يرجع الى التعديل والتبرج . ومنها الدهول عن المقاصد فكثير من الناقيلين لا يعرف القصد
 بما عين او يسمع وينقل الخبر على ما في ظنهم ويصدقون في الكذب . ومنها توهم الصدق
 وهو كسار وانما يبيح في الاكثر من جهة الثقة بالناقيلين . ومنها الجهول بتطبيق الاحوال
 على الوقائع لاجل ما بداخلها من التباس والصعق فربما نقل الخبر كما راها وهي بالصدق على
 غير الحق في نفس . ومنها تقرب الناس في الاكثر لاصحاب التواء والمراتب بالانواع والمدح
 وتحسين الاحوال والثناء الذي ذكره بذلك في سفيض الاخبار بها على غير حقيقة فالنفوس
 مولعة بحسب الفناء والناس يهطلون الى الدنيا ولا يابها من حمار وثروة وليسوا في الاكثر
 براغبين في الفضائل ولا متنافسين في اهلها . ومن الاسباب المتضمنة له ايضا وهي سابقة
 على جميع ما تقدم الجاهل بتطبيقات الاحوال في العرمان فان كل حادث من المصادات دائما
 كان او فعلا لا بد له من طبيعة متضمنة في ذاته وفيما يعرض له من احواله فاذا كان السامع
 عارفا بتطبيقات المصادات والاحوال في الوجود ومقتضياتها اعانه ذلك في تمحيص الخبر على
 تمييز الصدق من الكذب وهذا ابلغ في التعميص من كل وجه يعرض وكثيرا ما يعرض
 للناس من قبول الاخبار المستعجلة وبغلوها ونوع عنهم كما نقله المسعودي عن الاسكندر
 لما صدته دواب البحر عن بناء الاسكندرية وكيف اتخذ ثابوت المشب وفي باطنه
 صدوق الرجاء وغاص في البحر حتى صور تلك الدواب الشيطانية التي راها
 وعمل ثنائيا من اجساد معدنية ونصبها ابناءه انبياء ففرقت تلك الدواب حين خرجت
 وعطينها وتم له بناؤها في حكاية طويلة من احاديث خرافة مستحيلة من قبل اثنائه الثابوت
 الرجائي ومصادمة البحر واجه به يومه ومن قبل ان الملوك لا تحبل انفسها على مثل هذا

والحروف التي نطقت بها العرب في ثمانية وعشرون حرفاً كما عرفت ونجد للعبرانيين
 حروفاً ليست في لغتنا وفي لغتنا أيضاً حروف ليست في لغتهم وكذلك الافرنج والترك
 والبربر وغير هؤلاء من الأمم ثم ان اهل الكتاب من العرب اصطفا في الدلالة على
 حروفهم المسبوعة بأوضاع حروف مكتوبة متميزة بالخاصة كوضع الف وباء وجيم وراء
 وطاء الى اخر الثمانية والعشرين وإذا عرض لم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي
 مهملًا عن الدلالة الكتابية مغفلاً عن البيان وربما يرسم بعض الكتاب شكل الحرف الذي
 يكتنفه من لغتنا قبله أو بعده وليس ذلك بكاف في الدلالة بل هو تغير للحرف من
 اصله. ولما كان كتابنا مشتملاً على اخبار البربر وبعض الأمم وكانت تعرض لساكني
 اناسهم أو بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابنا ولا اصطلاح أوضاعنا اضطررنا
 الى بيان ما لم يكتف به الحرف الذي يليه كما قلناه لانه عندنا غير كاف بالدلالة على
 فاصططحت في كتابي هذا على ان اضع ذلك الحرف العجمي بما يدل على المحرفين اللذين
 يكتنفونه ليتوسط الفارئ بالبطى بين مخرجي ذلك الحرفين فتصل تاديتي وأنا
 أقبست ذلك من رسم اهل المصنف حروف الاناس كما الصراط في قراءة متلف فان
 النطق بصاده فيها مجهم متوسط بين الصاد والزاي فوضعا المصاد ورسم في داخلها شكل
 الزاي ودل ذلك عندهم على المتوسط بين الحرفين فكذلك رسمت انا كل حرف متوسط
 بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف المصرية عندنا والجيم
 او القاف مثل اسم تكون فانسها كافاً وانطقها بنجمة الجيم واحدة من اسفل او بتجاه الالف
 واحدة من فوق او اثنين فيدل ذلك على انه متوسط بين الكاف والجيم او القاف وهذا
 الحرف اكثر ما يجيء في لغة البربر وما جاء من غيره فعلى هذا التماس اضع الحرف المتوسط
 بين حرفين من لغتنا بالحرفين معاً ليعلم الفارئ انه متوسط فينطق به كذلك فيكون قد
 دللنا على ولو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانب أو كتاباً قد صرفناه من منجزه الى
 منجز الحرف الذي من لغتنا وغيرنا لغة الأمم فاعلم ذلك والله الموفق للصواب وهو الفضل

الكتاب الاول

في طبيعة العبران في الحقيقة وما يعرض فيها من البدو والمخضر والتقلب والكسب
 والمعايش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من الملل والاسباب
 اعلم انما كانت حقيقة التاريخ انه خير عن الاجتماع الانساني الذي هو عرنا

الرواة حتى يعلم ان ذلك المخبر في نفسه ممكن او مستحيل واما اذا كان مستحيلا فلا فائدة
 النظر في التعديل والتفريع ولقد عدا اهل النظر من الماطعين في الخبر استحقاقه لمداول
 اللفظ وتاويله ان يقول بما لا يلائم العقل وانما كان التعديل والتفريع هو المعسر في صحة
 الاخبار الشرعية لان معظمها تكاليف انسانية او حسب الشارح العمل بها حتى يحصل
 الخلق بصرفها وسبيل صحة الظن الثقة بالرواة بالعدالة والصدق ولما الاخبار عن
 الراتعات فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب ان ينظر في امكان
 وقوعه وصار فيها ذلك ام من التعديل ومقدما عليه اذ فائدة الانسداد مقتضية منه فقط
 وفائدة المخبر منه ومن الخارج بالمطابقة فاذا كان ذلك فالقانون في تدوير الحق من المباحل
 في الاخبار بالامكان والاستحالة ان ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران ونزوما
 يلحقه من الاحوال ابدائه وينتضي طبعه وما يكون عارضا لا يستدعي وما لا يمكن ان يعرض
 له فاذا فعلنا ذلك كان ذلك لما قانونا في تمييز الحق من الباطل في الاخبار والصدق
 من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للثبوت فيه وصحبه فاذا مبسما عن شيء من الاحوال
 الواقعة في العمران علما ما تمكن توكيدا تحكم بتدبيره وكان ذلك لما معيارا حقيقيا يتفرع
 به المرء ويخبر طريق الصدق والهدى فيما يتناول وهذا هو عرض هذا الكتاب الاول
 من تأليفنا وكان هذا علم مستقل شديدا فانه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع
 الانساني ذو مسائل وفي بيان ما يلحقه من العوارض والاحوال الدائمة واجابة بها اخرى
 وهذا شان كل علم من العلوم ونسبنا كان او عدا . فاعلم ان الكلام في هذا التفرس
 مستحدث الصنعة غريب النزعة عزيز الثبات اعثر عليه الهرب والقي اليه الذنوب وليس
 من علم المطابقة الذي هو احد العلوم الالهية فان موضوع المشابهة انما هو الاقوال الالهية
 الدافعة في استبانة المجهول الى رأي او صدمته ولا هو ايضا من علم الدراسة الدينية اذ
 السياسة المدنية هي في منزل او المدنية بما يسميه في الامثلة ولم تمكن اهل الجهور
 على مهياج يكون فيه ضبط النتوج وشاؤه في خاتمة موضوعه وهو في حاشية الكتب
 الذين ربما يشبهونه وكان علم مستجدا لاهية وبشري لم اقف على الكلام في ذلك لانه
 من الملقمة ما ادر لغفلهم عن ذلك وليس الظن بهم او لاهلهم كثر في هذا التفرس
 باستواريه ولم يجر اليها فالعلوم كثيرة والكماء في اسم النوع الانساني منه درس وما لم
 يصل اليها من العلوم اكثر ما وصل فابن علوم الفرس التي امر عرض الله بها جميعها
 عند الترخ من علوم الكلدانيين والسريانيين واهل بابل وما دهر علمهم من آثارها وتاريخها

الغرور ومن اعتمده منهم فقد عرض نفسه للهلكة وانتفاض العقدة واجتمع الناس الى غيره
 وفي ذلك انلافة ولا ينتظرون بوجوه من غروره ذلك طرفة عين ومن قبل ان
 المحن لا يعرف لها صور ولا تماثيل تخص بها انما هي قادرة على التشكل وما يذكر من
 كثرة الرؤوس لها فانما المراد به البشاعة والهبوب لا لانه حقيقة . وهذه كلها قادمة في تلك
 المحاربة والقادح المحل لها من طريق الوجوداين من هذا كلوه وان المنحس في الماء وان
 كان في الصندوق يضيق عليه الهواء للنفس الطبيعي وتستن روحه بسرعة لتتو^(١) فينفد
 صاحبه الهواء البارد المعدل لمزاج الرئة والروح الفلبي وبذلك مكانة وهذا هو السبب
 في هلاك اهل الحمامات اذا طبقت عليهم عن الهواء البارد والمبدلين في الآبار والمطامير
 العميقة الهوى اذا سجنوا هوائها بالعنونة ولم تداعلها الرياح فتختلها فان المبدلي
 فيها يهلك لحبوه وبهذا السبب يكون موت المحوت اذا فارق البحر فان الهواء لا يكتفي
 في تعديا رتبه اذ هو حار بافراط والماء الذي يمد له بارد والهواء الذي خرج اليوحار
 فيستولى الحار على روحه الحيواني وبذلك دفعة ومنه هلاك المصعوقين وامثال ذلك
 ومن الاخبار المستقيمة ما نقله المسعودي ايضا في ثمال الزرور الذي بروية تجتمع اليه
 الزراري في يوم معلوم من السنة حاملة للريجون ومنه يتخذون زينة وانظر ما ابعد ذلك
 عن الجمرى الطبيعي في اتخاذ الزيت . ومنها ما نقله البكري في بناء المدينة المسماة ذات
 الابواب فتحط باكثر من ثلاثين مرحلة وتفتل على عشرة الابواب والمدن انما اتخذت
 للتحصن والاعصام كما ياتي وهذه خرجت عن ان يحاط بها فلا يكون فيها حصن ولا
 معتصم وكما نقله المسعودي ايضا في حديث مدينة الحاس وانها مدينة كل بانها تحاس
 بصحراء بلباسة ظاهرها موسى بن نصير في غزوة الى المغرب وانها مغلقة الابواب وان
 الصاعد اليها من اسوارها اذا اشرف على الحائط صنت ورمى بنفسه فلا يرجع اخر الدهر
 في حديث مستعمل عادة من خرافات الفصاص وصحراء بلباسة قد تنفضها الركاب
 والادلاء ولم يقل هذه المدينة على خبر ثم ان هذه الاحوال التي ذكرها عنها كلها مستعمل
 حادثة نافذة الامور الطبيعية في بناء المدن واختطاطها وان المعادن غلبة الموجودتها ان يصرف
 في الآتية والبحر في^(٢) واما تشييد مدينة منها فكما تراه من الاستعالة والعدد وامثال ذلك
 كثيرة ونحوها انما هو بمعرفة طبائع العيران وهو احسن الوجوه ولو ثبتها في شخص الاخبار
 وعبر صدقها من كذبها وهو سابق على التخصيص بتعديل الرواة ولا يرجع الى تعديل

وابن علوم القبط ومن قبلهم وأما وصل الدنيا علوم امة واحدة وهم يونان خاصة لكافة
 الاميون بأشراجها من لغتهم واقتداره على ذلك بكثرة المترجمين وبذل الاموال فيها
 ولم تنقب على شيء من علوم غيرهم وإذا كانت كل حقيقة متعقبة طبيعية يصلح ان يبحث عما
 يعرض لها من المعارض لذاتها وجب ان يكون باعتبار كل مفهوم وحقيقة علم من العلوم
 قضية لكن الحكمة لهم اما لا يحتل في ذلك العناية بالثبات وهذا انما ثمرته في الاشجار
 فقد كما رايت وان كانت مسائله في ذاتها وفي اختصاصها شريفة لكن غلبة تفصيل الاخبار
 وهي ضعيفة فلذا اشروء والله أعلم وما اوتيتهم من العلم الا قليلا . وهذا الذن الذي لاسع لنا
 النظر فيه تيد منه مسائل تجري بالعرض لاهل العلوم في براميين علومهم وهي من جنس
 مسائل المرضوع والطلب مثل ما يذكره الحكمة والعلماء في انبات النوع من ان الذئب
 مصاومون في وجودهم فينباجون فيه الى الحكم والاراع ومثل ما يذكر في اصول الفقه
 في باب انبات اللغات ان الناس يحتاجون الى المصارعة عن القاصد بتدبيرة التعاوض
 والاجتماع وتبيان الصارات اخف ومثل ما يذكره الفقهاء في تعادل الاحكام الشرعية
 بالقاصد في ان الزنا مخلط للانساب ففسد النوع وان القتل ايضا مفسد للنوع وان
 الظلم مفسد للزنا والسرقة المفضي لتساد النوع وغير ذلك من سائر القاصد الشرعية
 في الاحكام فانها كلها مبنية على المحافظة على النمران فكان لها الشرف في معرض له ومن
 ظاهر من كلامنا هذا في هذه الامثلة وكذلك ايضا يقع اليها القليل من مسائله في
 كلمات منفردة . فكأن السانة لكتهم لم يستوفهم في كلام العرب انما هو بهرام بن بهرام في
 حكاية اليوم التي تليها المجردي . انما المالك ان ذلك لا يتم عنده الا بالاندية والديار
 لله هلمنوع والصرف تمت امره ونهرو ولا قرار الاندية الا بالمالك ولا عر للملك الا
 بالرجال ولا قوام الرجال الا بالمال ولا سبل الى المال الا بالاندية ولا سبل للتجارة الا
 بالعدل والعدل الا بالاندية المصنوع بين الخليفة فدية الرب وجعل له قايما وهو الملك .
 ومن كذا انوار سوط في هذا المعنى يستوي الملك بالجنيد والجنيد بالمال والمال بالتزاج
 والتزاج بالتجارة والتجارة بالعدل والعدل بالمال والمال بالاندية والاندية بالاندية
 والاراس الكل بافاد الملك حيال ربحه بفقته واقتداره على تاديبها حتى يملكها ولا تأكله .
 وفي الكتاب المشهور لا يرد في رواية المباشرة بين الاس جبر صامح . الا انه غير
 مستوف ولا معطى حقة من الداهين وتخلط بهرو وقد اشار في ذلك الكتاب الى هذه
 الكلمات التي نقلناها عن المورخان وابوشوان وجعلها في الدائرة القريبة التي اعظم القول

الخلق والحيوان والنبات وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة يحتاج الى مواهب وآلات
 لا يتم الا بصناعات متعددة من حداد وبنجار وفاخوري جب انه يأكله حيا من غير علاج
 فهو ايضا يحتاج في نفسه الى ايضا حيا الى اعمال اخرى اكثر من هذه من الزراعة والحصاد
 والدراس الذي يخرج الحبوب من خلاف السنبيل ويحتاج كل واحد من هذه الآلات متعددة
 وصناعات كثيرة اكثر من الاولى بكثير وسنجد ان نوث بذلك كذا او ببعضه و قدرة الواحد
 نلا بد من اجتماع القدر الكثيرة من اباء جنس ليصل القوت له ولم فيحصل بالنعاون
 قدر الكفاية من الحاجة لاكثر منهم باضعاف وكذلك يحتاج كل واحد منهم ايضا في
 الدفاع عن نفسه الى الاستعانة بابناء جنسه لان الله سبحانه لما ركب الطلياع في الحيوانات
 كما وقسم القدر بينها جعل حفظا كثير من الحيوانات العجم من القدر اكمل وق
 حفظ الانسان بقدرة الفرس مثلا اعظم بكثير من قدرة الانسان وكذا قدرة الحمام والفور
 وقدرة السمك والذئب والذئب اضعاف من قدرته . ولما كان الانسان طاعيا في الحيوان جعل
 لكل واحد منها عضوا يتخصص بمدافعه ما يصل اليه من عادية عبود وجعل للانسان
 عضوا من ذلك كله الفكر واليد فاليد مهيئة للصنائع بيد الفكر والصنائع تقبل له
 الآلات التي تدوب له عن الجوارح الملق في سائر الحيوانات الدفاع مثل الرماح التي
 تدوب عن القرون الماشية والسوف النباتية عن الخنازير والاربع والدراس الماشية عن
 البشرا والاسباب التي غير ذلك وغيره ما ذكره جالينوس في كتاب دافع الاعضاء لئلا يحد
 من البشر لانها قوتهم قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المتفرسة فهو عاجز عن مدافعها
 وحده بالجملة ولا يتم قدرته ايضا باستعمال الآلات المصنعة للدفاعه لعتبتها وكثرة
 الصنائع والمواهب الملق له لا بد في ذلك كله من النعاون عليه ما اعطاه الله وما لم يكن
 هذا النعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم حياته لما ركب الله تعالى عليه من الحاجة
 الى الغذاء في حياته ولا يحصل له ايضا دفاع عن نفسه لضعف السلاح فيكون فريسة
 للحيوانات وبعاجلة الهلاك عن مدى حياته ويصل نوع البشر واذا كان النعاون جعل
 له القوت الغذاء والسلاح للدفاعه وتمت حكمه الله في فائده وحفظ نوعه فاذن هذا
 الاجتماع ضروري لاساني ولا يمكن ان يتركهم وما ارادة الله من ان يار العالم بهم
 واستغلافيهم وهذا هو المعنى العراني الذي جعله موضحا لهذا العلم وفي هذا الكلام
 نوع اثبات للموضوع في فيه الذي هو موضوع له وهذا وان لم يكن واجبا على صاحب الفان
 الا قرر في الصناعة المطلوبة انه ليس على صاحب علم اثبات الموضوع في ذلك العلم فليس

والاعمال في تصديقه من وجوهه واكتساب اسبابه لما جعل الله فيه من الافتقار الى
الغذاء في حياته ونقائه وهذه الى التمارين وطالبه قال تعالى اعلم كل شيء خلفه ثم هدى
ومنها العمران وهو التماثل والتمثيل في مصراع وحلة للانس بالعباد والافتقار الى الحاجات
التي في طاعتهم من التماثل على المعاش كما دونه ومن هذا العمران ما يكون بدنياً وهو
الذي يكون في الضاحي وفي الجبال وفي اعمال المتقدمة في الثغار واطراف الرمال ومنه
ما يكون حقيقياً وهو الذي بالمصار والقرى والمدن والمدار للاعتماد بها والمخصص
ببدراتها ولك في كل هذه الاحوال امور تغرض من حيث الاجتماع عروضا ذاتية له فلا
يجمع انفس الكلام في هذا الكتاب في ستة فصول - الاول في العمران الذي على الجملة
واصنافه وقسمه من الارض - الثاني في العمران الذي وذكر القابل والامم والوحشية
والثالث في الدول والخلافة والملوك وذكر المراتب الساطانية - الرابع في العمران
المنزلي والمدني والامصار - الخامس في الله نافع والمعاش والكتب ووجوه
والسادس في المعلوم واكتسابها ونهاياها - وقد قدمت العمران البدني لانه سابق على
سائرهما كما بين لك هذا وكذا تقدم الملائكة الى البلدان والامصار لانه تقدم اليها فلان
المعاش في روي طينته وتعلم العلم كانه او حاجته والبدني اقدم من الثاني وجبات
الاستمتاع مع الكسب لانها منه بعض الوجوه ومن سبب العمران كانه لك بعد الله
الموفق للكتاب والمدين عايد

الكتاب الاول

من الكتاب الاول

في العمران السري على الجملة وفيه مقدمة

الاولى بان الاجتماع الانساني ضروري ويعبر الحكما عن هذا بقولهم الانسان مدني
بالطبع اي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران
ويبانه ان الله سبحانه تعالى الانسان وركبة على صورة لا يبعث سبائهم وبقاؤها الا بالزاد
وهذه الى التماس بطريقه وبارك في من القدرة على تصديقه لان قدرة الخالق مدني
الشراقة عن تصديق حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة سبائهم ولو مرضا
منه اقل ما يمكن فخره وهو قوت يوم من المنة هناك فلا يحصل الا بهلاك كثير من

كروني وانما محنوفة بعنصر الماء كما انها عنية طافية عليه فالخسر الماء عن بعض جوانبها
 لما اراد الله من تكبير المحيطات فيها وعمرائها بالنوع البشري الذي له الخلافة على
 سايرها وقد يتوهم من ذلك أن الماء تحت الارض وليس بصحيح وانما التفت الطليعي
 قلب الارض ووسط كرتها الذي هو مركزها والكل يطلبها بما فيه من الثقل وما عدا ذلك
 من جوانبها وانما الماء المحيط بها فهو فوق الارض وان قيل في شيء منها فإنه تحت الارض
 فيها لاضافة الى جهته اخرى منه وانما الذي انحسر عنه الماء من الارض فهو النصف من
 سطح كرتها في شكل دائرة احاطت النصف المائي بها من جميع جهتها بما يسمى البحر
 المحيط ويسمى ايضا بلابيه بنعيم اللام القابية ويسمى اوقيانوس آسانا بسمية وقال له
 البحر الاخضر والاسود ثم ان هذا المكسف من الارض للهران فيه الفناء والتخلاء اكثر
 من عمرانها والحالي من جهة الجيوب منه اكثر من جهة الشمال وانما المعجونة قطبة أميل
 الى الجانب الشمالي على شكل سطح كروي ينتهي من جهة الجنوب الى نقطة الاستواء ومن جهة
 الشمال الى خط كروني ووراءه الجبال الفاصلة بينه وبين الماء العنصري الذي بينهما
 سد يأجوج ومأجوج وهذه الجبال مائلة الى جهة المشرق وينتهي من المشرق والمغرب
 الى عنصر الماء ايضا بقلة بين من الدائرة المحيطة وهذا المكسف من الارض قائم هو
 مقدار النصف من الكرة أو أدل والماء ورمقه ما روي وهو انقسم بالانقسام السبعة
 وخط الاستواء يقسم الارض ستمائة من المغرب الى المشرق وهو طول الارض واكثر
 خط في كرتها كما ان منقطعة فلك البروج ودائرة معدل النهار أكثر خط في الفلك ومنقطعة
 البروج منقطعة بفلكية وستين درجة والدرجة من مسافة الارض خمسة وعشرون فرسخا
 والفرسخ اثنا عشر ذراع في ثلاثمائة لسان الملل اربعة آلاف ذراع والذراع اربعة
 وعشرون اصبعًا والاصبع ست حبات شعير مصغرة ملصقة ببعضها البعض ظهرها الى
 وبين دائرة معدل النهار التي تقسم الفلك بنصفين وتسامت خط الاستواء من الارض وبين
 كل واحد من القطبتين تسعين درجة لكن العارة في الجهة الشمالية من خط الاستواء اربع
 وستون درجة والباقي منها خلاصة لاجارة فيو لشدة البرد والجمود كما كانت الجهة الجنوبية
 خلاصة كلها لشدة الحر كما بين ذلك كله ان شاء الله تعالى ثم ان الخبرين عن هذا المعجور
 وحدوده وما فيه من الأمصار والبلدان والجبال والبحار والأنهار والقنار والرمال مثل
 بابل وبوس في كتاب الجغرافيا وصاحب كتاب زجاري بعده قسما هذا المعجور
 لبعة اقسام يسمونها الاقاليم السبعة محدودة وهى بين المشرق والمغرب متساوية

ايضا من المذوعات عندهم فيكون اثباته من التبرعات والله الموفق بفضلهم . ثم ان
هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما قرناؤه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع
بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست السلاح التي جعلت
دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لانها موجودة لجمهورهم
فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لفساد جميع
الحيوانات عن مداركهم والمامتهم فيكون ذلك الوازع واحداً منهم يكون له عليهم الغلبة
والسلطان واليد الفاهرة حتى لا يصل احد الى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك وقد
تبين لك بهذا ان للانسان خاصة طبيعية ولا بد لم منها وقد يوجب في بعض الحيوانات
العجم على مذكره الحكمة كما في النمل والجراد لما استقرق فيها من الحكم والاعتقاد والانواع
الارثية من انتفاصها بتميز عنهم في خلقهم وجمادى الا ان ذلك موجود لغير الانسان بتميز
الطائرة والحادية لا بتميز النكرة والسباسة ايجل كل شيء خاصة ثم هدى وتزيد التلاسة
على هذا البرهان حيث يجادلون اثبات النبوة بالدليل العقلي وانها مفادة طبيعية للانسان
فيقروون هذا البرهان الى غاية انه لا بد للبشر من الحكم الوازع ثم يؤولون بعد ذلك
وذلك الحكم يكون مفرغ مفروض من عند الله ياتي به واحد من البشر وانما لا بد ان
يكون متميزاً عنهم بما يودع الله فيه من خواص هذا يتولى بيع التسليم له والقول منه حتى يتم
الحكم فمهم وعالمهم من غير انكار ولا تزيف وهذه القضية للكماء غير برهانية حكماً براه اذ
الوجود وحياة البشر قد تم من دون ذلك بما ينرضه الحكماء لنفسه او بالجمعية التي
يقدرها على قهرهم وحملهم على حادثة فاهل الكتاب والمتبعون للانبياء قائلون مانسة
الى الجوس الذين ليس لهم كتاب فانهم اكثر اهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدول
والآثار فضلاً عن الحياة وكذلك في هذا العلم في الاقاليمة المخرقة في الشمال والمحجوب بخلاف
حياة السر فوضى دون وازع لم الية فانه يمنع وهذا يبين لك عظمتهم في وجوب النوات
وانه ليس بهتلي وانما دركة التبرع كما هو مذهب السالف من الامة والله ولي التوفيق والحادية

المقدمة الثانية

في قسمة العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه

من الاستخبار والاخبار والاقاليم

اعلم انه قد تبين سيفه كسب الحكماء الناظرين في احوال العالم ان شكل الارض

أرض العراق وأقوامهم أخريس بعدم إلا القفار والخلد وعليه من جهة الشمال الصين
 من عند مبدئهم ثم الهند ثم السند ثم سواحل الهند من الاحقاف وزيد وغيرها ثم بلاد
 الهند عند نهايتهم وبعدهم الحبشة قالوا ويجترج من هذا البحر الحبشي بمران آخرات
 احدها يجترج من نهايتهم عند باب الهند فبدأ متصافاً ثم يمر مستجراً الى ناحية الشمال
 ومشرقاً قليلاً الى ان ينتهي الى مدينة القازم في الجزء الخامس من الاقاليم الثاني على الف
 واربعائة ميل من مبدئهم ويسمى بحر القازم وبحر السويس وبيته وبين فسطاط مصر
 من هنا لك ثلاث مراحل وعليه من جهة الشرق سواحل الهند ثم البحر وجزءه ثم مدين
 والبلد وفاران عند نهايتهم ومن جهة الغرب سواحل الصعيد وعذاب وسواكن وزيلع
 ثم بلاد الحبشة عند مبدئهم واخره عند القازم يسامت البحر الرومي عند العرش وبينها
 نحو ست مراحل وما زال الملوك في الاسلام وقبلة بروم من خرق ما بينهما ولم يتم ذلك
 والبحر الثاني من هذا البحر الحبشي ويسمى الخليج الاخضر يجترج ما بين بلاد السند والاحقاف
 من الهند الى ناحية الشمال مشرباً قليلاً الى ان ينتهي الى الابله من سواحل البصرة
 في الجزء السادس من الاقاليم الثاني على اربعائة فرسخ واربعمائة فرسخاً من مبدئهم ويسمى
 بحر فارس وعليه من جهة الشرق سواحل السند ومكران وكرمان وفارس والابله عند
 نهايتهم من جهة الغرب سواحل البحر بين واليامة وعمان والنعير والاحقاف عند مبدئهم
 وفيها بيت بحر فارس والقازم جزيرة العرب كانت دخلت من البر في البحر يحيط بها البحر
 الحبشي من الجنوب وبحر القازم من الغرب وبحر فارس من الشرق وتنفذ الى العراق
 بين الشام والبصرة على الف وخمسائة ميل بينهما ومنها لك الكوفة والقادسية وبغداد
 وابوان كسرى والحيرة ووراء ذلك امام الاعاجم من الترك والخرز وغيرهم وفي جزيرة العرب بلاد
 الحجاز في جهة الغرب منها وبلاد اليامة والبحرين وعان في جهة الشرق منها وبلاد الهند
 في جهة الجنوب منها وسواحل على البحر الحبشي قالوا وفي هذا المعمور بحر اخر منقطع
 من شاطئ البحر في ناحية الشمال بارض الديلم يسمى بحر جرجان وطبرستان طول الف
 ميل في عرض ستمائة ميل في غربيه اثريان والديلم وفي شرقيه ارض الترك وخوارزم
 وفي جنوبيه طبرستان وفي ثلثيه ارض الخزر والمان هذه جملة البحار المشهورة التي
 ذكرها اهل الجغرافيا قالوا وفي هذا الجزء المعمور انهار كثيرة اعظمها اربعة انهار وهي
 النيل والفرات ودجلة ونهر بلخ المسمى جيخون فاما النيل فتدئ من جبل عظيم وراء
 جبل الاسواء بسبع عشرة درجة على سمت الجزء الرابع من الاقاليم الاول ويسمى جبل

في الأرض مختلفة في الطول فالأقاليم الأول أطول مما بعده وهكذا الثاني الى
آخرها فيكون السابع اقصر لما اقتضاها وضع الدائرة الناشئة عن انحصار الماء عن
كرة الأرض وكل واحد من هذه الأقاليم عدهم منقسم بعشرة اجزاء من المغرب الى
المشرق على التوالي وفي كل جزء المغرب عن احوال واحول عمران . وذكرنا ان هذا
البحر المحيط يخرج منه من جهة المغرب في الاقليم الرابع البحر الرومي المعروف ببدأ
في خليج منضيق في عرض اثني عشر ميلاً او نحوها ما بين طنجة وطريف ويسمى الرافق
ثم يذهب مشرقاً وينبع الى عرض ستمائة ميل ونهايته في آخر الجزء الرابع من الاقليم
الرابع على الف فرسخ ومائة وستين فرسخاً من مبدئيه واوله هناك سواحل الشام وعليه
من جهة الجنوب سواحل المغرب اولها طنجة عند المخرج ثم افريقية ثم برقة الى الاسكندرية
ومن جهة الشمال سواحل القسطنطينية عند المخرج ثم الدادقة ثم رومة ثم الافرشة ثم
الاندلس الى طريف على الرافق قبالة طنجة ويسمى هذا البحر الرومي والشامي وفيه
جزر كثيرة عامرة كبازيل اثر بطش وقبرص وصقلية ومروقة وسردانية ودانية قالوا
ويخرج منه في جهة الشمال بحران آخران من خاليين احدهما مسامت للقسطنطينية يبدأ
من هذا البحر منضيقاً في عرض ودية السهم وثلثة بحار فبصل ما لقسطنطينية ثم
ينبعث في عرض اربعة اميال وعشر في جريد ستم مياً ويسمى خليج القسطنطينية ثم
يخرج من فوهة عرضها ستة اميال فيمد بحر بطش وهو بحر ينصرف من هناك في مدهو
الى ناحية الشرق فيمر بارض هرقلية وينتهي الى بلاد الخزرية على الف وثلاثمائة ميل
من فوهة وعليه من الجانبين امم من الروم والترك وبرجان والروس . والى البحر الثاني من
خليجي هذا البحر الرومي وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على سمت الشمال فاذا
انتهى الى سمت الجبل الخرف في سمت المغرب الى بلاد البنادقة وينتهي الى بلاد انكلالة
على النور واثنا ميا من مبدئيه وعلى حافته من البنادقة والروم وغيرهم امم ويسمى خليج
البنادقة . قالوا وينساح من هذا البحر المحيط ايضا من الشرق وعلى ثلاث عشرة درجة
في الشمال من خط الاستواء بحر عظيم متسع ثم الى الجنوب قليلاً حتى ينتهي الى الاقليم
الاول ثم ثم في مفرقا الى ان ينتهي في الجزء الخامس منه الى بلاد الحبشة والارغ
على بلاد باب المندب منه على اربعة آلاف فرسخ ونحوها مائة فرسخ من مبدئيه ويسمى البحر
البيتي بالبلندي والحبشي وعليه من جهة الجنوب بلاد الارغ وبلاد بربر التي ذكرها
امرئ القيس في شعره وليسوا من البربر الذين هم قبائل المغرب ثم باد مقدشو ثم بلسفالة

تكملة لهذه المقدمة الثانية

في أن الربع الشمالي من الأرض أكثر عرضاً من الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك

ونحن نرى بالمقدمة الأخيرة المتواترة أن الأول والثاني من الأقاليم الممورة أغلب
 عرضاً ما بعدها وما وجد من عمارته فيقاله التحلله والنفار والإرمال والبحر الهندي الذي
 في الشرق منها وأم هذين الأقليمين وأساسهما ليست لم الأكثرية البالغة وأما صاره ومدته
 كذلك والثالث والرابع وما بعدها بخلاف ذلك فالنفار فيها قليلة والإرمال كذلك
 أو معدومة وأما وأساسها تتجاوز الحد من الأكثرية وأما صارها ومدتها تتجاوز الحد عدداً
 والبرهان فيها مندرج ما بين الثالث والسادس والجنوب بخلاف ذلك وقد ذكر كثير من
 الحكماء أن ذلك لأقارب المحرقة ميل الشمس فيها عن سمت الرؤوس فلنوضح ذلك
 ببرهانين ويتبين منه سبب كثرة العماره فيها بين الثالث والرابع من جاسب الشمال إلى
 الخامس والسابع فنقول أن قطبي الدلائل الجنوبي والشمالي إذا كانا على الأفق فهناك
 دائرة عظيمة تسمى تلك بنصفين هي أعظم الدوائر المارة من المشرق إلى المغرب وتسمى
 دائرة معدل النهار وقد تبين في موضعه من المنة أن ذلك الأعلى متحرك من المشرق
 إلى المغرب حركة يومية مركزها ساير الأفالاك في جوفه قهراً وهذه الحركة محسوسة
 وكذلك تبين أن الكواكب في أفلاكها حركة مخالفة لهذه الحركة فهي من المغرب إلى المشرق
 وبخلاف أمادها باختلاف حركة الكواكب في السرعة والبطء ومنزات هذه الكواكب
 في أفلاكها تتوازي كلها دائرة عظيمة من الدلائل الأعلى تسمى بنصفين وهي دائرة فلك البروج
 منقسمة بانتي عشر برجاً وهي على مائتين في موضعه مقابلعة دائرة معدل النهار على نقطتين
 متقابلتين من البروج هما أول الحمل وأول الميزان فتقسمها دائرة معدل النهار بنصفين
 نصفين مائلين عن معدل النهار إلى الشمال ويؤثر أول الحمل إلى آخر السلسلة ونصف
 مائل عنه إلى الجنوب ويؤثر من أول الميزان إلى آخر السلسلة وإذا وقع القطبان على الأفق
 في جميع مواضع الأرض كان على سطح الأرض خط واحد يساهم دائرة معدل النهار بجزء
 من المذهب إلى المشرق ويسمى خط الاستواء ووقع هذا الخط بالرصد على ما زعموا في مبدأ
 الأقاليم الأول من الأقاليم السبعة والبرهان كله في الجهة الشمالية عنه والقطب الشمالي يرتفع
 عن أفاق هذا المهور بالتدريج إلى أن ينتهي ارتفاعه إلى أربع وستين درجة وهنا تلك

القرى ولا يعلم في الارض جبل اعلى منه تخرج منه عيون كثيرة فيصب بعضها في بحيرة
هناك وبعضها في اخرى ثم تخرج انهار من البحيرات فتصب كلها في بحيرة واحدة
عند خط الاستواء على عنبر مراحل من الجبل ويخرج من هذه البحيرة نهران يذهب
احدهما الى ناحية الشمال على سمى وعمر ببلاد النوبة ثم ببلاد مصر فاذا جاوزها تسب في
شعب متفارية يسمى كل واحد منها خلتيا فتصب كلها في البحر الرومي عند الاسكندرية
ويسمى نيل مصر وعليه الصعيد من شرقه والواحات من غربه ويذهب الآخر معطفا
الى المغرب ثم يمر على سمى الى ان يصب في البحر الحيد وهو نهر السودان وامهم كلهم على
ضفتيه . واما الفرات فيبدؤ من بلاد ارمينية في الجزء السادس من الاقليم الخامس
وعبر جنوبا في ارض الروم وماحية الى نهر ثم يمر بصين ثم بالرقعة الى ان
يتنهي الى البصرة التي بين البصرة واسط ومن هناك يصب في البحر الحبشي وتنب
اليه في طريقه انهار كثيرة ويخرج منه انهار اخرى فتصب في دجلة . واما دجلة
فيبدؤ من بلاد خلاص من ارمينية ايضا وتخرج على سمى الجنوب بالموصل وانريمان
وبغداد الى واسط فتتفرق الى خيلجان كلها تصب في بحيرة البصرة وتفضي الى بحر فارس
وهو في الشرق على عين التراث وتنب اليه انهار كثيرة عنيفة من كل جانب
وفيها بين التراث ودجلة من اول بحيرة الموصل قبالة الشام من عدوق التراث وقبالة
الدرعيان من عدوق دجلة . واما نهر جيحون فيبدؤ من بلخ في الجزء الثامن من الاقليم
الثالث من عيون هناك كثيرة وتنب اليه انهار عظام وذهب من الجنوب الى الشمال
في بحر بلاد خراسان ثم يخرج منها الى بلاد خوارزم في الجزء الثامن من الاقليم الخامس
فيصب في بحيرة المجر جاية التي باسفل مدنتها وهي مسيرة شهر في مقلها والى بها ينصب نهر
فرغانة والشاش الآتي من بلاد الترك وعلى غره في بحر جيحون بلاد خراسان وتوابعه وروى
شرقيه بلاد بخاري وتره وسمرقند ومن هالك الى ما وراء بلاد الترك وفرغانة
والخرججة وام الاعاج وقد ذكر ذلك كله بطليموس في كتابه والشرقي في كتاب زجاج
وصوروا في البحر افبا جميع ما في النهر من الجبال والبحار والودية واستوفوا من ذلك
من لا حاجة لنا بطولها ولان عنايتنا في الاكثر انما هي بالمغرب الذي هو وطن العرب
وبالاطلاق التي للعرب من المشرق والله الموفق

ذلك بقرب من المجاهدا في خط الاستواء وافرط البحر يفعل في المجر تجفيفا وينساع
من التكون لانه اذا أفرط البحر جفت المياه والرطوبات وقصد التكوين في المعدن
والبحر والاداء ان التكوين لا يكون الا بالرطوبة ثم اذا مال رأس السرطان عن سمت
الرؤوس في عرض خمس وعشرين فما بعده نزلت الشمس عن المسامنة فيصير البحر الى
الاعتدال أو يعمل عنه مائلا قليلا فيكون التكوين ويتزايد على التدرج الى أن يفرط
البرد شيئا فتؤلفه الضوء وكون الاشعة منفرجة الزوايا فينقص التكوين وينسد بيد أن
فساد التكوين من جهة شدة البحر أعظم منه من جهة شدة البرد لأن البحر أسرع تأثيرا
في التجميد من تأثير البرد في الجهد فذلك كان العنبر في التلحم الاول والثاني قليلا
وفي الثالث والرابع والخامس متوسطا لاعتدال البحر متصافا بالضوء وفي السادس
والسابع كثيرا لنقص البحر وإن كثرة البرد لا تؤثر بعد اولها في فساد التكوين كما
يفعل البحر الا لتجميد فيها الأعدا الإفراط بها يعرض لها حرق من البرد ليس كما بعد
السابع فلذلك كان العنبر في الربع السابع أكثر وأوفر والله اعلم . ومن هنا اخذ المحقق
خلال خط الاستواء وما وراءه راويز عليهم الله من ممر المشاهدة والانشاء المتواترة
فكفهم ثم العنبران على ذلك والاعراض لم يروا انما يتابع التمرات فيه ما كالتة انما
ادام الارض الى ان فساد التكوين ذو قوت مادام البحر والعنبران فيه اما متبع ان
سكن انلي وهو كذلك فان شدة الاستواء والبرد وان كان فيه عنبران كما قلنا
فهو قليل جدا . وقد زعم ابن رشد أن خط الاستواء معتدل وأن ما وراءه في الجنوب
بشابة ما وراءه في الشمال فيندرس ما يمر به من هذا النجم وقاله غير محتج من جهة فساد
التكوين وإنما ادعى في ما وراءه نقل الاسماء في الجنوب من جهة ان البحر المائي غمر وجهه
الارض هنا لك الى الجهد الذي كان قابلا من الجهة التي انما يتماثل التكوين ولما امتنع المعتدل
لذلة الماء تبعه ما سوا لان العنبران تدرج ويأخذ في التدرج من جهة الوجود لامن جهة
الامتناع واما القول بانما يعني خط الاستواء فبدره الغل المسمى والله اعلم ولترسم به هذا
الكلام ضرورة الجغرافيا كما رسمها صاحب كتاب زحار ثم اخذ في تفصيل الكلام عليها الى آخره

تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا

اعلم أن المحقق قسموا هذا المهور كما تقدم ذكره على سبعة أقسام من الشمال الى
الجنوب يسرون كل قسم منها اقالما فانقسم المهور من الارض كله على هذه السبعة اقالما

يقطع العبران وهو آخر الأقليم السابع وإذا ارتفع على الأفق تسعين درجة وفي التي بين
 القطب ودائرة معدل النهار صار القطب على سمت الرأس وصارت دائرة معدل النهار على
 الأفق وبقيت ستة من البروج فوق الأفق وهي الشمالية وستة تحت الأفق وهي الجنوبية
 والعارة فيما بين الأربعة والستين إلى التسعين سميت لأن المجر والبرد حيث لا يحصلان
 من مزج بين بعد الزمان بينهما فلا يحصل التكوين فإذا انشعبت الشمس تسامت الرؤوس على خط
 الاستواء في رأس الميزان والميزان تم عمل عن المسافة إلى رأس السرطان ورأس المجدى
 ويكون نهاية ميلها عن دائرة معدل النهار أربعاً وعشرين درجة ثم إذا ارتفع القطب الشمالي
 عن الأفق مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرأس بقدر ارتفاعه وانخفض القطب
 الجنوبي كذلك بقدر ارتفاعه وتساوى في الثلاثة وهو المسمى عند أهل المواقف عرض البلد وإذا
 مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرأس حلت عليها البروج الشمالية مندرجة في
 بقدر عاوها إلى رأس السرطان وانخفضت البروج الجنوبية من الأنف كذلك إلى
 رأس المجدى لاشعافها إلى الشبايين في أنق الاستواء كما قلنا فلا يزال الأفق الشمالي
 يرتفع حتى يصوراً بعد النهاية وهو رأس السرطان في سمت الرأس وذلك حيث يكون
 عرض البلد أربعاً وعشرين في الجواز وما يليه وهذا هو الميل الذي إذا مال رأس
 السرطان عن معدل النهار في أنق الاستواء ارتفع بارتفاع القطب الشمالي حتى صار
 مساماً فإذا ارتفع القطب أكثر من أربع وعشرين نزلت الشمس عن المسامته ولا يزال
 في انقفاض إلى أن يكون ارتفاع القطب أربعاً وستين ويكون انقفاض الشمس عن
 المسامته كذلك وانقفاض القطب الجنوبي عن الأفق فلها فينتفع التكوين لأفراط الرد
 والجهد وطول زمانه غير مزج بالبحر ثم إن الشمس عند المسامته وما ياربها تحت
 الأشعة على الأرض على زوايا قائمة وفيما دون المسامته على زوايا منفرجة واحدة وإذا
 كانت زوايا الأشعة قائمة عظم الضوء وانتشر بخلاني في المنفرجة والحادّة فلذا يكون البحر
 عند المسامته وما يقرب منها أكثر مئة فيا بعد لأن الضوء سبب البحر والشمس
 ثم إن المسامته في خط الاستواء تكون مرتين في السنة عند نقطتي الحمل والميزان
 وإذا مالت فغير بعيد ولا يكاد البحر يعتدل في آخر ميلها عند رأس السرطان والمجدى
 لأن صعدت إلى المسامته فتبقى الأشعة القائمة الزوايا تلج على ذلك الأفق ويطول
 مكثها أو يدوم فيها تعمل الهواء حرارة ويفرط في شدتها وكذا ما دامت الشمس تسامت
 مرتين فيا بعد خط الاستواء إلى عرض أربع وعشرين فإن الأشعة ملحة على الأفق في

الحمودي ملك صقلية من الافرنج وهو زجار بن زجار عندما كان نازلاً عليه بصقلية بعد
 خروج صقلية من امارة لثة وكان تاليفه للكتاب في منتصف المائة السادسة وجمع له
 كتاباً جملة للسعودي وابن خرداذبة والمحولي والتدري وابن اسحاق النخعي وبطليموس
 وغيرهم ونبدأ منها بالاقليم الاول الى آخرها والله سبحانه وتعالى يعصمنا به وفضلو
 الاقليم الاول. وفيه من جهة غربي الجزائر الخالدات التي منها بدأ بطليموس
 باخذ احاداً الى البلاد وابعدت سيرة بسيرة الاقليم وانما في سيرة البحر المحيط جرد متكررة
 اكبرها وابهرها ثلاثة ويقال انها مجهزة وقد باعنا ان سفان من الافرنج مرت بها في
 اواسط هذه المائة وقاتلهم فقتلوا منهم وسبوا وباعوا بعض اسراهم بسواحل المغرب الاقصى
 وصاروا الى خدمة المملوك فلما تعلموا اللسان العربي انصرفوا عن حال جزائهم وانهم
 يجتنبون الارض الزراعية بالقرن وان المديد مفقود بارضهم وعيشهم من الشعير
 وما شئهم المهن وقتالهم بالحجارة يرونها الى خلف وعبادتهم السجود للشمس اذا طلعت ولا
 يصرفون ديناً ولم تزلهم دعوة ولا يوقف على مكان هذه الميراث الا بالانور لا بالهذيل لان
 سفار السفن في البحر انما هو بالرياح ومعرفه جهات الميراث الى ابن يبرعل اذا ريت على الاستقامة
 من البلاد التي في ممر ذلك الميراث وانما اختلاف الميراث في ذلك يوصل على الاستقامة
 نحوذي في الفلق فاما على جبل الفينة بها على قرابين في ذلك ممراته من الزانية الى الملاحين
 الذين هم رؤساء السفن في الميراث والاد التي في صفاني البحر الرومي وفي حدوده مكتوبة
 كلها في صحيفة على شكل ما في عليه في الوجود وفي وجهها سيرة سواحل البحر على ترتيبها
 ومهابت الرياح وتراها على اختلافها من ممرها في تلك الصحيفة وديونها الكتاب
 وعلما يستمدون في امعارهم وهذا كله مفقود في البحر المحيط فلذلك لا يتبع فيه السفن لانها
 ان طابت عن مراكب السراجل فقل ان تهدي الى الرجوع اليها مع ما يمد في جنو هذا
 البحر وعلى سيرة ماز من الاميرة المائة للنف في سيرها وفي لعددها لا تتركها اضرابا
 الشمس المنكسة من سطح الارض فقل لها فلذلك عسر الاستقامة اليها وصعب الوقوف على
 سيرها ولما ايجز الاول من هذا الاقليم وفيه من جبل النيل الاقي من مبدئ عند جبل
 القركا ذكرناه ونسب الى السودان ويذهب الى البحر المحيط فيصطب فيه عند جزيرة
 اولياء وعلى هذا النيل مدينة سلا وتكرور وبانة وكلها لهذا العهد في مملكة ملك مالي
 من اسم السودان والى بلادهم تسافر قباير الاقصى وان اردب منها من نجاها بلاد
 لينة وسائر طوائف المذنبين ونمازيمواون فيها وفي جنوبي هذا النيل قوم من السودان

كل واحد منها أخذ من الغرب الى الشرق على طوله . فالاول منها مأثر من المغرب
 الى المشرق مع خط الاستواء بحد من جهة الجنوب وليس وراءه هناك الا القنار
 والريال وبعض عمارة ان صحت في كلاً عمارة ويليه من جهة شماليه الاقليم الثاني ثم
 الثالث كذلك ثم الرابع والخامس والسادس والسابع وهو آخر العمران من جهة الشمال
 وليس وراء السابع الا الخلاء والفتار الى ان ينتهي الى البحر المحيطة كمال شماليه وراء الاقليم
 الاول في جهة الجنوب الا ان الخلاء في جهة الشمال اقل بكثير من الخلاء الذي في
 جهة الجنوب . ثم ان ازمة الليل والنهار تناوت في هذه الاقاليم بسبب ميل الشمس عن
 دائرة معتدل النهار وارتفاع القلب الى ان آفاقها فيتناوت قوس الليل والنهار لذلك
 وينتهي طول الليل والنهار في اخر الاقليم الاول وذلك عند حلول الشمس رأس الجدي
 لليل وبراس السرطان النهار كل واحد منها الى ثلاث عشرة ساعة وكذلك في آخر
 الاقليم الثاني ما يلي الشمال فينتهي طول النهار عند حلول الشمس براس السرطان
 وهو مقابله للصيفي الى ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة ومثله اطول الليل عند مقابلة
 الشتوي براس الجدي ويبقى للاقص من الليل والنهار ما يبقى بعد الثلاث عشرة ساعة
 من جملة اربع وعشرين الساعات الزمانية لجموع الليل والنهار وهو دورة الساعات الكاملة
 وكذلك في اخر الاقليم الثالث ما يلي الشمال ايضاً ينتهي الى اربع عشرة ساعة وفي آخر
 الرابع الى اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وفي آخر الخامس الى خمس عشرة ساعة
 وفي آخر السادس الى خمس عشرة ساعة وربع وفي آخر السابع الى خمس عشرة ساعة
 وبذلك ينقطع العمران فيكون تناوت هذه الاقاليم في الاطول من النهار والنهار ما ينصف
 ساعة لكل اقليم يتزايد من اوله في ناحية الجنوب الى اخره في ناحية الشمال . وبقية على
 اجزاء هذا البلد . واما عرض البلدان في هذه الاقاليم وهو عمارة عن بعد ما بين
 راس البلد ودائرة معتدل النهار الذي هو سمت راس خط الاستواء . ومثله سائر اقسام
 القطب الجبوبي عن افق ذلك البلد ويرتفع القلب الشمالي عنه وهو ثلاثة ابعاد متساوية
 تسمى عرض البلد كما مر ذلك قبل . والى ان يكون على هذه الجدران قسم الى كل واحد من
 هذه الاقاليم السعة في طوله من المغرب الى المشرق بعشرة اجزاء متساوية . وتذكر ان
 ما اشتمل عليه كل جزء منها من البلدان والامصار والنجبال والانهار والمسافات بينها في
 المسالك ونحن الان نوجز القول في ذلك ونذكر مشاهد البلدان والانهار والبحار في
 كل جزء منها ونهاضي بذلك ما وقع في كتاب نزهة المستاق الذي ألفه العلوي الاندلسي

وهو جبل عال من جهة مصر ومنخفض من جهة النوبة فينشد فيو النيل وينصب في
 مهوى بعيداً مهيلاً فلا يمكن ان تسلكه المراكب بل يحول الوسق من مراكب السمودان
 فيعمل على الظفر الى بلد اسوان قاعدة الصعيد وكذا وسق مراكب الصعيد الى فوق
 الجندل وبين الجندل واسوان اثنتا عشرة مرحلة والواحات في غربها صدوة النيل وهي
 الآن خراب وبها آثار العارة القديمة . وفي وسط هذا الاقليم في الجزء الخامس منه بلاد
 الحبشة على وادي ياتي من وراء خط الاستواء ذاهباً الى ارض النوبة فيمص هناك في
 النيل الماطل الى مصر وقد هم فيه كثير من الناس وزعموا انه من نيل القمر وبطلهموس
 ذكره في كتاب الجغرافيا وذكر انه ليس من هذا النيل . والى وسط هذا الاقليم في الجزء
 الخامس ينتمي بحر الهند الذي يدخل من ناحية الصين ويشعر طامة هذا الاقليم الى هذا الجزء
 الخامس فلا يبقى فيه عمران الا ما كان في الجزائر التي في داخله وهي متعددة يقال تنتمي
 الى الف جزيرة او فيها على سواحل الجنوبية وفي آخر المعبر في الجنوب او فيها على سواحل
 من جهة الشمال وليس منها في هذا الاقليم الا اول اطراف من بلاد الصين في جهة
 الشرق وفي بلاد الصين . وفي الجزء السادس من هذا الاقليم فيما بين البحرين الماطل
 من هذا البحر الهندي الى جهة الشمال وهما بحر قلزم وبحر فارس وفيها بينهما جزيرة العرب
 وتشتمل على بلاد اليمن وبلاد الشمر في شرقها على ساحل هذا البحر الهندي وعلى بلاد
 الحجاز والحامه وما إليها كما نذكره في الاقليم الثاني وما بعده فاما الذي على ساحل هذا
 البحر من غربيه فبلد زالع من اطراف بلاد الحبشة وبحالات النوبة^(١) في شمالي الحبشة ما بين
 جبل العلاقي في اعالي الصعيد وبين بحر القلزم الماطل من البحر الهندي وتحت بلاد زالع
 من جهة الشمال في هذا الجزء خليج باب المندب يضيق البحر الماطل هناك مزاحمة
 جبل المندب المائل في وسط البحر الهندي ممثلاً مع ساحل اليمن من الجنوب الى الشمال
 في طول اثني عشر ميلاً يضيق البحر بسبب ذلك الى ان يصير في عرض ثلاثة اميال او
 نحوها ويسمي باب المندب وعليه قرى مراكب اليمن الى ساحل السويس قريباً من مصر
 وتحت باب المندب جزيرة سواكن ودهلك وقبالة من غربيه مجالات النوبة من ام
 السودان كما ذكرناه ومن شرقه في هذا الجزء مهاج اليمن ومنها على ساحل بلد علي بن
 يعقوب وفي جهة الجنوب من بلد زالع وعلى ساحل هذا البحر من غربيه قرى بربريدان
 بعضها بعضاً وينبع طلف من جنوبه الى آخر الجزء السادس ويلها هناك من جهة شرقها

يقال لهم الموم كنار ويكنون في وجوههم وأصدانهم وأهل غانة والتكرور وغير ذلك
عدهم ويسمونهم ويبيعونهم للتجار فيلبونهم إلى المغرب وكلهم عامة رقيقهم وليس وراءهم في
المحبوب عمارات يعتبر إلا أناسي أقرب إلى المحبوسان العبيد من المباحين يسكنون الهياضي
والكثوف ويأكلون العشب والمحسوب غير مهابة وربما يأكل بعضهم بعضا وليسوا في عداد
البشر وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل ثوابت وتكرار وريت
ورركان. فكان في غانة قبا يقال ملك ودولة لقوم من الملوين يعرفون ببني صالح
وقال صاحب كتاب زبارة صالح بن عمدا الله بن حسن بن الحسن ولا يعرف صالح هذا
في ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت هذه الدولة لهذا العهد وصارت غانة لسلطان مالي
وفي شرقي هذا البلد سبعة الجزر الثالث من هذا الأقاليم بلد كوكو على ممر ينع من بعض
الجبال هناك وعز منربا فينوص في رمال الجزيرة الثاني. وكان مالك كوكو قائما بهنوس
ثم استولى عليها سلطان مالي وأصبحت في مملكته وخرت لهذا العهد من أجل فاقة ودمت
هناك تذكرها عند ذكر دولة مالي في كتابها من تاريخ البربر وفي جبروتي بلد كوكو بلاد
كاثم من ام السودان وبعدهم وفارة على ضفة النيل من شماله وفي شرقي بلاد وفارة
وكاثم بلاد زغاوة وناجرة المتصلة بأرض النوبة في الجزيرة الرابع من هذا الأقاليم وفيه عز
نيل مصر ذاهبا من مدنو عند خط الاستواء إلى البحر الرومي في الشمال. ومن خرج هذا
النيل من جبل النمر الذي فوق خط الاستواء بسبع عشرة درجة وانحدر في وسط
هذه اللقطة فصبها بهم فخرج القاف والمم نسبة إلى قرا الماء اثنتي عشرة وكثيرة ضرو
وفي كتاب المشرق لياقوت يضم القاف وسكن الميم نسبة إلى قوم من أهل الهند وكانوا
ضبطها ابن سعيد فيخرج من هذا الجبل عشرة ميمون يتجمع كل خمسة منها في بحيرة ومنها
سنة ايمال ويخرج من كل واحدة من البحيرات ثلاثة أنهار فيجتمع كلها في البحيرة واحدة
في أسفلها جبل معترض يشق البحيرة من ناحية الشمال وينقسم ماؤها إلى ميمون يسير الغربي
منه إلى بلاد السودان مغربا حتى يصب في البحر الحمر ويخرج الشرقي منه ذاهبا إلى
الشمال على بلاد الحبشة والنوبة وفيها يسير وينقسم في أعلى أرض مصر فيصب ثلاثة من
جداوله في البحر الرومي عند الاسكندرية ورشد ودمياط ويصب واحد في بحيرة ميمون
قبل أن ينصل بالبحر في وسط هذا الأقاليم الأول. وعلى هذا النيل بلاد النوبة واللبشة
وبعض بلاد الواحات إلى أسوان وحاضرة بلاد النوبة مدينة دنقلة وفي في غربي هذا
نيل وبعدها غلة وبلقي وبعدها جبل الجندال على ستة مراحل من بلقي في الشمال

وعلى سبيلها شرقاً أرض سنترية وتسمى الراحةات الداخلة وفي الجزء الرابع من اعلاؤه بقية
 أرض الراجوين ثم يعترض في وسط هذا الجزء بلاد الصعيد حناني الدليل المذهب من
 مبدئ في الاقليم الاول الى مصده في البحر فيؤثر في هذا الجزء بين الجبال الحاجزين وهما
 جبل الواحات من غربي وجبل المنظم من شرقي وطريق من اعلاؤه بلاد اسنا والمنت
 ويتصل كذلك سفاقية الى اسبوط وقوص ثم الى صول وبقرق النيل هناك على ثمانين
 عيني الامين منها في هذا الجزء عدد اللاهون والاسراء دلاص وفيها بينها اعلى ديار
 مصر وفي الشرق من جبل المنظم صحارى عذابات ذاتة في الجزء الخامس الى ان تنتهي
 الى سراسر اس وهو بحر القارم المأبذ من البحر الهندي في الجنوب الى جهة الشمال وفي
 عدوتيه الشرقية من هذا الجزء أرض البحاز من جبل يلج الى بلاد بترق وفي وسط البحاز
 مكة شرقها الله وفي ساحلها مدينة جدة تقابل بلد عذابات في العدوة الغربية من هذا
 البحر وفي الجزء السادس من غربي بلاد نجد اعلاها في الجنوب وتالسة وجرش
 الى عكاظ من الشمال ونجت نجد من هذا الجزء بقية أرض الحجاز وعلى سبيلها في الشرق
 بلاد نجران وخيبر وشبهها أرض المليدة وعلى سبيلها نجران في المشرق أرض سبا وماأرب ثم
 أرض النمر وينتهي الى بحر فارس وهو البحر الثاني المأبذ من البحر الهندي الى الشمال
 كما روينا في هذا الجزء بالخراف الى الشرق في مابين شرقيه وجوفيه قلعة فائدة
 عليها من اعلاؤه مدينة قاهيات وهي ساحل النهر ثم شبهها على ساحله بلاد عراف ثم بلاد
 البحرين وهي منها في آخر الجزء وفي الجزء السابع في الاعلى من غربيه قطمة من شرقه وادور
 فصل بالقلعة الاخرى في السادس والتمرس الهند بجانبه الاعلى كلة وبلدها بلاد
 الهند الى بلاد مكران ويقابلها بلاد الداوران وهي من بلاد ايضا في فصل الى بلاد كلة
 في الجانب الغربي من هذا الجزء وشمال المازندنة وبلاد أرض الهند وبنفيرة بلاد الكلى
 من ناحية بلاد الهند ويصير في البحر الهندي في الجنوب ولؤل بلاد الهند على ساحل البحر
 الهندي وفي سبيلها شرقاً بلاد بلرا وتحتها الملبان بلاد الصم الملة ثم عدهم الى اهل من
 الهند الى اعلى بلاد بنان وفي الجزء الثامن من غربيه بقية بلاد بلرا من الهند وعلى
 سبيلها شرقاً بلاد الداوران في البحر وفي الجبال اعلى على ساحل البحر الهندي وفيها
 في الجانب الاقصى الى اس كابل وبعدها شرقاً الى البحر الى بلاد الراجوين مابين ثمانين
 الى مائة وسبعمائة عيني الاقليم في الجزء التاسع في الجانب الغربي من هذا بلاد
 اقلاد الاقصى ويصل في هذا الجانب الغربي من بلاد الهند الى بلاد الهند في بلاد

بلاد الرخ ثم بلاد سفالة على ساحل البحر الجنوبي في الجزء السابع من هذا الاقليم وفي شرقي
 بلاد سفالة من ساحل البحر الجنوبي بلاد الواقي متصلة الى آخر الجزء العاشر من هذا
 الاقليم عند مدخل هذا البحر من البحر المحيط . واما جرائر هذا البحر فكثيرة . من
 اعظمها جزيرة سرنديب ، مدورة الشكل وبها الجبل المشهور يقال ليس في الارض
 اعلى منه وهي قبالة سفالة . ثم جزيرة النهر وهي جزيرة مستطيلة تدأ من قبالة ارض
 سفالة وتذهب الى الشرق متعرجة بكثير الى الشمال الى ان تقرب من سواحل اعالي الصين
 ويصنف بها في هذا البحر من جنوبها جزائر الواقي ومن شرقها جزائر السيلان
 الى جزائر اخرى في هذا البحر كثيرة العدد وفيها انواع الطيب والافاويه وفيها يقال
 معدن الذهب والرورد وعاءها على دلت الجوسية وفيهم ملوك متعددون وبهذه
 الجزائر من ادول الصران يخائب ذكرها اهل الجغرافيا وعلى الصفة التالية من هذا
 البحر في الجزء السادس من هذا الاقليم بلاد الين كلها فمن جهة بحر القارم بالذري
 في النجيم وبها ميناء الين ونعدها بلد صعبة مقر الامامة الزيدية وفي بيعة عن البحر الجنوبي
 ومن البحر الشرقي وفيها بعد ذلك مدينة علب وفي شمالها صنعاء وبعدها الى المشرق
 ارض الاحقاف وثلاثا وبعدها ارض حضرموت ثم بلاد النعم ما بين البحر الجنوبي
 وبحر فارس . وهذه القطعة من الجزء السادس هي التي اكتشف عنها البحر من اجراء هذا
 الاقليم السواحل ويكتشف ببلده اقليل من الجزء التاسع واكثر منه من العاشر فيه اعالي
 بلاد الصين ومن مدته هيرة خفاكو وقبالتها من جهة الشرق جزائر السلان وقد تقدم
 ذكرها وهذا آخر الكلام في الاقليم الاول والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق وبه فضله
 الاقليم الثاني . وهو متصل بالاول من جهة الشمال وقبالة المغرب منه في البحر
 المحيط جزيرتان من الجزائر الشمالية التي ذكرها في الجزء الاول والثاني منه في
 الجانب الاعلى منها ارض قنورية وبعدها في جهة الشرق اعالي ارض غانة ثم بحالات
 زغافون الـ . ودان في الجانب الاسفل منها حصن له نيسر متصلة من المغرب الى الشرق ذات
 مناور تسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان وفيها بحالات النين من
 صباهة ثم شحوب كثيرة ما بين كرويلو لموتية وسراة ولطاة ووركة وعلى سمت هذه
 الماخذ ثرقا ارض فران ثم بحالات اركار من قبالة الدارر ذاهبة الى اعالي البحر الثالث
 في جهتها في الشرق وبعدها من هذا الجزء بلاد كيار من اسم السودان ثم قاعة من
 الماجورين . وفي اسفل هذا الجزء الثالث وهي سبعة الشمال منه بقية ارض ودان

عن جبل درن غربيها كله متاوز وفي الشرق منها بلد غدامس
 التي بقية في الاقليم الثاني كما مر القطعة الجوية عن جبل
 ومب في الغرب منها جبل اوراس وتسعة والاويس وعلى
 تمت هذه البلاد شرقا بلاد افريقية فعلى ساحل البحر مدينة
 وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن بلاد الجريد توزر
 بين السواحل مدينة القيروان وجبل وسلاط وسيطة وعلى
 بلد طرابلس على البحر الرومي وباراغيا في الجنوب جبل دمر
 بجبل درن وفي مقابلة غدامس التي مر ذكرها في آخر القطعة
 بالشرق سويقة ابن مشكورة على البحر وفي جنوبها مجالانت
 الجزء الثالث من هذا الاقليم يمر ايضا فيه جبل درن الا انه
 ال ويذهب على سمت الى ان يدخل في البحر الرومي ويسمى
 الرومي من شاليه بتمر طائفة منه الى ان يضاق ما بينه وبين
 بل في الجنوب وفي الغرب منه بقية ارض وكان ومجالانت
 طاب ثم رمال وقبار الى اخر الحزم في الشرق وفيها بين الجبل
 يت على البحر ثم خلاه وقبار تحول فيها العرب ثم اجد ابيه ثم
 طلحة على البحر هنا لك ثم في شرق المنعطف من الجبل بحالات
 وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم وفي الاعلى من غربيه صحاري
 بد ورواحه ثم يدخل البحر الرومي في هذا الجزء فيذهب طائفة
 لرفه الاعلى ويبقى بينه وبين اخر الجزء قنار تحول فيها العرب
 وهي على مصب احد الشعبين من النيل الذي يمر على اللاهون
 الرابع من الاقليم الثاني ويصب في بحيرة فيوم وعلى سواحل شرقا
 بيرة على الشعب الثاني الذي يمر بدلاص من بلاد الصعيد
 ق هذا الشعب اقترافا ثانيا من تحت مصر على شعبين آخرين
 الايمن منها من قرمط بشعبين آخرين ويصب جميعها في
 ربي من هذا الشعب بلاد الاسكندرية وعلى مصب الوسط بلد
 لد دمياط وبين مصر والقاهرة وبين هذه السواحل البحرية
 محشوة عمراناً وفلجا وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم بلاد

ذلك الجانب قطعة من بلاد الصين فيها مدينة شيغون ثم تنصل بلاد الصين في الجزء
 العاشر كله الى البحر المحيط والله ورسوله اعلم وبه سبحانه التوفيق وهو ولي النفل والكرم
 الاقليم الثالث وهو متصل بالثاني من جهة الشمال في الجزء الاول منه وعلى نحو
 الثالث من اقله جبل درن معترض فيو من غربيو عند البحر المحيط الى الشرق عند
 آخره ويسكن هذا الجبل من البربر ارم لا يخصصهم الا حالهم حسبما ياتي ذكره وفي القطعة
 التي بين هذا الجبل والاقليم الثاني وعلى البحر المحيط منها رباط ماسة ويتصل به شرقا
 بلاد سوس ونول وعلى سمنها شرقا بلاد درعة ثم بلاد بيجلاس ثم قطعة من صحراء بيسر
 المنازة التي ذكرناها في الاقليم الثاني وهذا الجبل مطل على هذه البلاد كلها في هذا الجزء
 وهو قليل النبايا والمسا لك في هذه الناحية الغربية الى ان يسامت وادي ملوية فيكثر
 ثاباء ومسا اكثرا الى ان ينتهي وفي هذه الناحية منه ام المصامدة ثم هنتانة ثم تغلث ثم كدمويه
 ثم مشكورة ثم آخر المصامدة فيو ثم قبائل صنهاكة وهم صنهاجة وفي آخر هذا الجزء منه
 بعض قبائل زناتة ويتصل به هذا لك من جوفيو جبل اوراس وهو جبل كثامة وبعد
 ذلك ام اخرى من البرابرة نذكرهم في اماكنهم ثم ان جبل درن هذا من جهة غربية
 مطل على بلاد المغرب الاقصى وفي جوفيو في الناحية الجنوبية منها بلاد مراكش
 واطغات وتادلا وعلى البحر المحيط منها رباط اسفي ومدينة سلا وفي الجوف عن بلاد مراكش
 بلاد فاس ومكناسة وتازا وقصر كثامة وهذه هي التي تسمى المغرب الاقصى في عرفها لها
 وعلى ساحل البحر المحيط منها بلدان اصيلا والعرايش وفي تمت هذه البلاد شرقا بلاد
 المغرب الاوسط وقاعدتها لسان وفي سواحلها على البحر الرومي بلدهين وهران والحزاز
 لان هذا البحر الرومي يخرج من البحر المحيط من خليج طنجة في الناحية الغربية من الاقليم
 الرابع ويذهب مشرقا فينتهي الى بلاد الشام فاذا خرج من الخليج المتضيق غير بعيد
 الفتح جنوبا وشمالا فدخل في الاقليم الثالث والخامس فلما كان على ساحله من هذا
 الاقليم الثالث الكثير من بلاد ثم ينصل ببلاد الجزائر من شرقها بلاد بجاية في ساحل
 البحر ثم قسطنطينة في الشرق ثم باقي اخر الجزء الاول وعلى مرحلة من هذا البحر في جنوب
 هذه البلاد ويرتفعها الى جنوب المغرب الاوسط بلداثير ثم بلاد المسيلة ثم الزاب وقاعدته
 بسكرة تحت جبل اوراس المتصل بدرن كما مر وذلك عند اسف هذا الجزء من جهة
 شرق الجزء الثاني من هذا الاقليم على هيئة الجزء الاول ثم جبل درن على نحو ذلك
 فهو به ذاهبا فيو من غرب الى شرق فيسبب بقطعتين ويفرا البحر الرومي مسافة

بعلبك ثم مدينة حمص في الجهة الشمالية آخر الجزء عند منقطع جبل اللكام وفي الشرق
 عن بعلبك وحمص بلد تدمر وجمالات البادية الى اخر الجزء وفي الجزء السادس من
 اعلاه جمالات الاعراب تمت بلاد نجد واليمامة ما بين جبل الحرج والهمان الى البحرين
 وبحر علي بحر فارس وفي اسفل هذا الجزء تمت الجبال بلاد الحيرة والفاضية وبغداد
 القرات وفيها بعدها شرقاً مدينة الحيرة وفي هذا الجزء ينتهي بحر فارس عند عبادان
 والابلة من اسفل الجزء من شماله ويصير فيو عند عبادان نهر دجلة بعد ان يتقسم
 بجداول كثيرة وشمالاً بجداول اخرى من القرات ثم يتبع كلباء عند عبادان ويتصب
 في بحر فارس وهذه القطعة من البحر متصلة في اعلاه متضائلة في اخره في شرقه وضيقه
 عند منتهاه متساوية للبلد الشمالي منه وعلى حدودها الغربية منه اسفل البحرين وهرمز
 والاحساء وفي غربها الخطيب والهمان بقية ارض اليمامة وعلى حدودها الشرقية من اجل
 فارس من اعلاها وهو من عند اخر الجزء من الشرق على طرف قد امتد من هذا البحر
 مشرقاً ووراءه الى الجنوب في هذا الجزء جبال الفص من كرمان وتحت هرمز على الساحل
 باد سوارف وبغير بلد ساحل هذا البحر وفي شرقه الى اخر الجزء وتحت هرمز بلاد
 فارس مثل سانور ودارا ببرد ونما واصغرهما الشبان وشيراز وهي قاعدتها كلها وقسمت
 بلاد فارس الى الشمال عند طرف البحر بلاد خوزستان ومنها الاموار وستر وهدى
 وسابور والسوس ورام هرمز وغيرها وأرجان وهي حد ما بين فارس وخوزستان وفي
 شرقي بلاد خوزستان جبال الاكراد متصلة الى نواحي اصهبان وبها مساكنهم وبيلايتهم
 وراءها في ارض فارس رعي الرسوم وفي الجزء السابع في الاعلى منه من المازن بقية
 جبال الفص وبها من الجنوب والشمال بلاد كرمان ومكران ومن مدنها الرودراف
 والشيرجان وحيرفت وبردسير والهرج وتمت ارض كرمان الى الشمال بقية بلاد فارس
 الى حدود اصهبان ومدينة اصهبان في طرف هذا الجزء ما بين غربه وشماله في المشرق
 عن بلاد كرمان وبلاد فارس ارض سجستان وكوشستان في الجنوب وارض كوهستان
 في الشمال عنها ويتوسط بين كرمان وفارس وبين سجستان وكوهستان في وسط هذا
 الجزء المفاوز التي في اليمامة المسماة لكه جو وبها من مدن سجستان بست والاقاق واما
 كوهستان فهي من بلاد خراسان ومن مفاهير بلادها سرخس وقوهستان اخر الجزء
 وفي الجزء الثامن من غربه وجنوبه جمالات النبلج من اعم الترك متصلة بارض سجستان
 من غربها وبارض كابل الهند من جنوبها وفي الشمال عن هذه الجبال بلاد التور

الشام في أكثرها على ما اصف وذلك لان بحر القلزم ينتهي من الجنوب وفي الغرب منه عند
 السويس لانه في حرفة مبتدى من البحر الهندي الى الشمال يعطف اخذا الى جهة الغرب
 فتكون قلعة من انعطافه في هذا الجزء طويلا فينتهي في الطرف الغربي منه الى السويس
 وعلى هذه القلعة بعد الدويس فان ثم جبل الطور ثم الى مدينة ميم البحر في آخرها
 ومن هنا لك ينسحب به احد الى الجنوب في ارض الحجاز كما مر في الاقليم الثاني في الجزء
 الخامس منه وفي الماحية الشمالية من هذا الجزء قلعة من البحر الرومي غرت كثيرا من
 غريبو عليها الثرما والعريش وقارب طرفها بلاد القارم فبضاي ما بينهما من هالك وفي
 شبه الباب مضايا الى ارض الشام وفي غربي هذا الباب فيس الذي ارض جرداه
 لا تسمى كانت عينا لاليني اسرائيل بعد خروجه من مصر وقبل دخوله الى الشام
 اربعين سنة كما تسمى القراف وفي هذه القلعة من البحر الرومي في هذا الجزء
 طائفة من جزيرة قبرس ويقع في الاقليم الرابع كما تذكره وعلى ساحل هذه القلعة عند
 الطرف الشمالي لبحر السويس بلد المريش وهو اخر الديار المصرية وعقلان وينها
 طرف هذا البحر ثم تخط هذه القلعة في انعطافها من هنا لك الى الاقليم الرابع عند طرابلس
 وغزة وهنا لك ينتهي البحر الرومي في جهة الشرق وعلى هذه القلعة أكثر ساحل الشام في
 شرقه عقلان وبشراف يسير عنها الى الشمال بلد قيسارية ثم كذلك بلاد عكا ثم صرون
 صيدا ثم غزة ثم يعطف البحر الى الشمال في الاقليم الرابع ويقابل هذه البلاد الساحية من
 هذه القلعة في هذا الجزء جل عظام يخرج من ساحل ابله من بحر القارم وينتهي في ناحية
 الشمال مغرقا الى الشرق الى ان يجاوز هذا الجزء ويسير جبل اللكام وكأنه هجر من ارض
 مصر الى الشام في طرفه دالية المعقة التي يمر عليها الحجاج من مصر الى مكة ثم بعد ذلك في ناحية
 الشمال مدفن النبال على الصلاة والسلام عند جبل السراة بدل من عند جبل اللكام
 المذكور من نال المعقة ذاهبا على سمت الشرق ثم يعطف فياخذ وفي شرقه بلاد بلاد
 البحر وديار قرد وبناه ودومة الجندل ووجه اسافل الحجاز وقربا جبل رضوى ومحوون
 خيبر في جهة الجنوب عنها وفيما بين جبل السراة ودير التارم عراة تبوك وفي شمال جبل
 السراة مدينة القدس عند جبل اللكام ثم الاردن ثم طبرية وفي شرقها بلاد القرد الى
 الذرعت وفي سمتها شرقا دومة الجندل آخر هذا الجزء وفي اخر الحجاز وعند معطف
 اللكام الى الشمال من اخر هذا الجزء مدينة دمشق مقابلة صيدا وبيروت من
 البحرية وجبل اللكام يعترض بينها وبينها وعلى سمت دمشق في الشرق مدينة

الاد الترك وفي شرقها ارض فرغانة ايضا الى آخر الجزر شرقا وكل بلاد الترك تحورها
 جبال الهم الى شمالها وفي الجزر التاسع من غربيها ارض التبت الى وسط الجزر وفي جنوبها
 بلاد الهند وفي شرقها بلاد الصين الى آخر الجزر وفي آسفل هذا الجزر شمالا عن بلاد
 التبت بلاد الخزمية من بلاد الترك الى آخر الجزر شرقا وشمالا ويصل بها من غربيها
 ارض فرغانة ايضا الى آخر الجزر شرقا ومن شرقها ارض التغرغر من الترك الى الجزر
 شرقا وشمالا. وفي الجزر العاشر في الجنوب منه جميعا بقية الصين واسافل وفي الشمال
 بقية بلاد التغرغر ثم شرقا عنهم بلاد خرخير من الترك ايضا الى آخر الجزر شرقا وفي
 الشمال من ارض خرخير بلاد كنهان من الترك وقبالتها في البحر المحيط بجزيرة
 الباقوت في وسط جبل مستدبرلا منذ منه اليها ولا مسلك والصعود الى اعلاه من خارجه
 صعب في الغاية وفي الجزيرة حيات قتالة وحصى من الباقوت كثيرة فيقال اهل تلك
 الناحية في استغراجهما : اللهم الله اليه اهل هذه البلاد في هذا الجزر التاسع والعاشر فما
 وراء خراسان والهمبال كلها مجالات للترك ام لا تسمى وم طرا عن رحالة اهل ابل وشاه
 ونقر وخيل للتاج والركوب والاكل وطوائفهم كثيرة لا يحصهم الا خالفهم وفيهم مساكين
 ما يلي بلاد الهند يجمعون ويفزون الكفار منهم الدائنين بالحبسية فيبيعون رقبتهم لمن
 يابهم ويخرجون الى بلاد خراسان والهند والعراق

الاقليم الرابع * يتصل بالثالث من جهة الشمال . والجزر الاول منه في غربيها قطعة
 من البحر المحيط مستطيلة من اولها جنوبا الى آخره شمالا وعليها في الجنوب مدينة طنجة
 ومن هذه القطعة تحت طنجة من البحر المحيط الى البحر الرومي في خليج متضائق بمقدار
 اثني عشر ميلا ما بين طرف الجزيرة الخضراء شمالا وقصر الحجاز وسبعة جنوبا ويذهب
 شرقا الى ان ينتهي الى وسط الجزر الخامس من هذا الاقليم وينفتح في ذهابه بتدرج الى
 اثني عشر الاربعة الاجزاء واكثر الخامس ويعبر عن جانبيه طرقا من الاقليم الثالث
 والخامس كما سنذكره ونسب هذا البحر البحر الشامي ايضا وفيه جزائر كثيرة اعظمها في
 جفة القرب يابسة ثم ما برقة ثم منقزة ثم سردانية ثم صقلية وهي اعظمها ثم بلونس ثم
 افريطس ثم قبرص كما نذكرها كلها في اجزائها التي وقعت فيها ويخرج من هذا البحر
 الرومي عند آخر الجزر الثالث منه وفي الجزر الثالث من الاقليم الخامس خليج البنادقة
 يذهب الى ناحية الشمال ثم ينعطف عند وسط الجزر من جوفيه ويمر مغربا الى ان ينتهي
 في الجزر الثاني من الخامس ويخرج منه ايضا في آخر الجزر الرابع شرقا من الاقليم الخامس

وبلادها وقاعدتها غزنة فخرية الهند وفي اخر الغور من الشمال بلاد استراباذم في الشمال
عنها الى اخر الجزر بلاد هراة اوسط خراسان وبها استرابين وقاشان وبوشنج ومرو والروند
والطالقان والمجوزجان وتنتهي خراسان هنا لك الى نهر جيحون . وعلى هذا النهر من بلاد
خراسان من غربيو مدينة بلخ وفي شرقيو مدينة ترمذ ومدينة بلخ كانت كرسي مملكة الترك
وهذا النهر نهر جيحون مخرجه من بلاد وچار في حدود بدخشان ما يلي الهند ويخرج من
جنوب هذا الجزء وعند اخره من الشرق فيعطف عن قرب مغربا الى وسط الجزء
ويسمى هنا لك نهر غراب ثم يعطف الى الشمال حتى يمر بخراسان ويذهب على سبيل
الى ان يصب في بحيرة شوارزم في الاقليم الخامس كما ذكره ويده عند انعطافه في وسط
الجزء من الجنوب الى الشمال خمسة انهار عظيمة من بلاد الختل والوخش من شرقيو
وانهار اخرى من جبال الهم من شرقيو ايضا وجوفي الجبل حتى يتسع ويعظم بما لا يحصى
له ومن هذه الانهار الخمسة المدة له نهر وخشاب يخرج من بلاد التبت وفي يان الجنوب
والشرق من هذا الجزء فيمر مغربا بالخراف الى الشمال الى ان يخرج الى الجزء التاسع قريبا
من شمال هذا الجزء يعترضه في طريقه جبل عظيم ثم وسط الجنوب في هذا الجزء
ويذهب مشرقا بالخراف الى الشمال الى ان يخرج الى الجزء التاسع قريبا من شمال هذا
الجزء فيمر بلاد التبت الى القطعة الشرقية الجنوبية من هذا الجزء ويمر بلاد الترك
وبين بلاد الختل وليس فيه الا مسلك واحد في وسط الشرق من هذا الجزء جعل فيه
الفضل بن يحيى سدا وبني فيه بابا كدر يا جوج وما جوج فاذا خرج نهر وخشاب من
بلاد التبت واعترضه هذا الجبل فيمر ثمثة في مدي بعيد الى ان يمر في بلاد الوخش ويصب
في نهر جيحون عند حدود بلخ ثم يهايطها الى الترمذ في الشمال الى بلاد المجوزجان وفي
الشرق عن بلاد الغور فيما بينها وبين نهر جيحون بلاد الناسان من خراسان وفي العدة
الشرقية هنا لك من النهر بلاد الختل واكثرها جبال وبلاد الوخش ويمر بها من جهة
الشمال جبال الهم ثم يخرج من طرف خراسان غربي نهر جيحون وتذهب مشرقا الى
ان يتصل طرفها بالجبل العظيم الذي خلف بلاد التبت ويمر ثمثة نهر وخشاب كما قلناه
فيتصل به عند باب الفضل بن يحيى ويمر نهر جيحون بين هذه الجبال وانهار اخرى تصب
فيه منها نهر بلاد الوخش يصب فيه من الشرق ثمت الترمذ الى جهة الشمال ونهر بلخ
من جبال الهم من مبدئها عند المجوزجان ويصب فيه من غربيو وعلى هذا النهر من
الاولا مدن خراسان وفي شرق النهر من هنا لك ارض الصفد واسر وشنة من

هذا الجزء الثاني فيقع فيه قطعة منه تنضي ثاباها الى البر المتصل وتسمى ارض غشكونية
 وفيه مدينة خريدة وقرقشونة وعلى ساحل البحر الرومي من هذه القطعة مدينة رسولنة ثم
 ربوننة وفي هذا البحر الذي غرا الجزء جزائر كثيرة والكثير منها غير مسكون لصدورها في
 غريب جزيرة سرديانية وفي شرقية جزيرة صقلية متصلة الاقطار يقال ان دورها سبعائة
 ميل وبها مدن كثيرة من مهابرها سرثوسة وليم وطرابنة ومازور وسيني وهذه الجزيرة
 تقابل ارض افريقية وفيها بينهما جزيرة اعدوش وماطلة والبحر الثالث من هذا الاقليم
 مغرور ايضا بالبحر الاثلاث قلع من ناحية الشمال الغربية منها ارض قارونية والوسعي من
 ارض اكبردة والشرقية من بلاد البنادقة والبحر الرابع من هذا الاقليم مغرور ايضا
 بالبحر كما مر وجزائره كثيرة واكثرها غير مسكون كما في الثالث والمغور منها جزيرة
 باونس في الناحية الغربية الشمالية وجزيرة اقريطيس متصلة من وسط الجزء الى ما
 بين المغرب والشرق منه والجزء الخامس من هذا الاقليم غرا البحر منة مائة كبيرة بين
 المغرب والشرق ينتهي الصالح الغربي منها الى اخر الجزء في الشمال وينتهي الصالح الجنوبي
 منها الى البحر المتوسط من البحر ويقي في الجبال الشرقية من الجزيرة قطعة نحو الثالث من الشمالي
 منها الى الشرق متعلما مع البحر كما قلنا وفي النصف الجنوبي منها اسافل الشام وقبر
 في وها جبل الكام الى ان ينتهي الى آخر الشام في الشمال فمتعلق من هنالك ذاهبا
 الى القطر الشرقي الثاني ويسمى هذا انعطاف جبل السلسلة ومن هنا الذي يخرج الى الاقليم
 الخامس ويمر من عند متعلق قطعة من بلاد الجزيرة الى جهة الشرق ويقوم من عند
 متعلق من جهة المغرب جبال متصلة بعضها ببعض الى ان ينهي الى طرف خارج
 من البحر الرومي متأخر الى اخر الجزء من الشمال وبين هذه الجبال ثابا تسمى الدروب
 وهي التي تنضي الى بلاد الارمن وفي هذا الجزء قطعة منها من هذه الجبال وبين جبل
 السلسلة فاما الجهة الجنوبية التي قدما ان فيها اسافل الشام وان جبل الكام معتد
 فيها من البحر الرومي واخر الجزء من الجنوب الى الشمال في ساحل البحر بلاد انطراطوس
 في اول الجزء من المغرب متاخمة لنز وداراس على ساحله من الاقليم الثالث وفي شمال
 انطراطوس جملة ثم اللاذقية ثم اسكدرونة ثم سلوقية وبعدها شمالا بلاد الروم واما جبل
 الكام المعتد بين البحر واخر الجزء بينا فيه فيصاقيه من بلاد الشام من أعلى الجزء
 جنوبا من غريبه جند الحواني وهو المدينة الاساعيلية ويعرفون هذا البلد بالتدلية
 ويسمى الحصن ضباط وهو قبلة انطراطوس وقبالة هذا الجبل في شرق الجبل بلد

خليج القسطنطينية يمر في الشمال متصافياً في عرض رمية النعم إلى آخر الأقليم ثم ينضي إلى
 الجزر الرابع من الأقليم السادس وبتعطف إلى بحر نبطش ذاهباً إلى الشرق في الجزء
 الخامس كله ونصف السادس من الأقليم السادس كما نذكر ذلك فيما ذكره وعند ما يخرج
 هذا البحر الرومي من البحر المحيط في خليج طنبية وينتهي إلى الأقليم الثالث يبقى في الجنوب
 عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء فيها مدينة طنبية على جميع الجزرين وبعدها مدينة
 ستة على البحر الرومي ثم قطاون ثم باديس ثم ينصرف هذا البحر بقية هذا الجزء شرقاً ويخرج
 إلى الثالث وأكثر العارة في هذا الجزء في شماله شمال الخليج ستة وفي كلها بلاد الاندلس
 الغربية منها ما بين البحر المحيط والبحر الرومي أولها طريق عند جميع الجزرين وفي الشرق
 منها على ساحل البحر الرومي الجزيرة الخضراء ثم مالقة ثم المنكب ثم المربة وتحت هذه من
 الدن البحر المحيط غرباً وعلى مغرب ستة شراس ثم لبلبة وقبائلها في جزيرة قادس وفي الشرق
 عن شراس وابلية أشبيلية ثم استجة وقرطبة ومدينة ثم غرناطة وجوان بنة ثم بادياش وبسطة
 وتحت هذه شتمريه وشاب على البحر المحيط غرباً وفي الشرق عنهما بطلوس وماردة وباردة
 ثم غافق وبزجاله ثم قلعة رياح وتحت هذه أشونة على البحر المحيط غرباً وعلى مغرب باجة
 وفي الشرق عنها شتمرين وموزية على النهر المذكور ثم قنطرة السيف ويسامت أشبونة من
 جهة الشرق جبل الشارات يبدأ من المغرب هنالك ويذهب مشرقاً مع آخر الجزء من
 شماله فينتهي إلى مدينة سالم فيها بعد النصف منه وتحت هذا الجبل طلميرة في الشرق من
 فوربه ثم طلميلة ثم وادي الحجارة ثم مدينة سالم وعند أول هذا الجبل فيما بين أشبونة
 بالقلية هذه غربي الاندلس وأما شرقي الاندلس فعلى ساحل البحر الرومي منها بعد
 المزية قرطاجنة ثم لفنة ثم دانية ثم بنسبة إلى طرطوسة آخر الجزء في الشرق وتحتها شمالاً
 لبورقة وشقورة تناحان بسطة وقلعة رياح من غرب الاندلس ثم مرسية شرقاً ثم تابلية
 تحت بنسبة شمالاً ثم شرق طرطوسة ثم طركونة آخر الجزء ثم تحت هذه تبالاً أرض بغاللة
 وريدة متاخمان لشقورة وطلميلة من الغرب ثم إفراغة شرقاً تحت طرطوسة وتبالاً عنها
 ثم في الشرق عن مدينة سالم قلعة ابوب ثم سرقسطة ثم لاردة آخر الجزء شرقاً وشمالاً
 والبحر الثاني من هذا الأقليم غرالماء جماعة الأقطعة من غربي في الشمال فيها بقية جبل
 البربات ومعناه جبل الشايب والسالك يخرج إليه من آخر الجزء الأول من الأقليم الخامس
 المستعصم الطرف المنتهي من البحر المحيط عند آخر ذلك الجزء جنوباً وشرقاً وعرضه
 بالمتراف إلى الشرق فيخرج في هذا الأقليم الرابع مغرقاً عن الجزء الأول منه إلى

ثم ينطلف شرقاً وينقسم بشعوب فيمر بعضها بالكوفة وبعضها بقصر ابن هيرة وبالجماعين
ويخرج جميعاً في جنوب الجزيرة الى الاقليم الثالث فيغوص هنا لك في شرق الجزيرة والقادسية
ويخرج الفرات من الرحبة مشرقاً على سمت الى هيت من شمالها ثم الى الزاب والانبار من
جنوبها ثم يصب في دجلة عند بغداد. وأما نهر دجلة فاذا دخل من الجزء الخامس الى
هذا الجزء يمر شرقاً على سمت ومهادياً لجبل السلسلة المتصل بجبل العراق على سمت فيمر
بجزيرة ابن عمر على شمالها ثم بالموصل كذلك وتكرت وينتهي الى الحدود فينطلف جنوباً
وتبقى الحدود في شرق الزاب الكبير والصغير كذلك ويمر على سمت جنوباً وفي غرب
القادسية الى ان ينتهي الى بغداد ويختلط بالفرات ثم يمر جنوباً على غرب جرجاريا الى ان
يخرج من الجزء الى الاقليم الثالث فتشرق هنا لك شعرة وجدولة ثم يصب في نهر الفرات
في بحر فارس عند عبادان وفيما بين نهر الدجلة والفرات قبل مجيها بغداد في بلاد الجزيرة
ويختلط بنهر دجلة بعد مفارقتو بغداد نهر اخر يأتي من الجهة الشرقية الشمالية منه وينتهي
الى بلاد النهر وان قبالة بغداد شرقاً ثم ينطلف جنوباً ويختلط بدجلة قبل خروجه الى
الاقليم الثالث وينتهي ما بين هذا النهر وبين جبل العراق والاعاجم بالجدولاس في شرقها
عند الجبل باد حلوان وصيرة. وأما القطعة الغربية من الجزيرة فيعرضها جبل يبدأ من
جبل الاعاجم مشرقاً الى اخر الجزء ويسمى جبل شهرزور ويقسمها بقطعتين وفي الجنوب من
هذه القطعة الصغرى بلاد خوجان في الغرب والشمال عن اصهبان وتسمى هذه القطعة بلاد
الملوس وفي وسطها بلاد نهاوند وفي شمالها بلاد شهرزور غرباً عند ملتقى الجبلين والدينور
شرقاً عند اخر الجزء وفي القطعة الصغرى الثانية طرف من بلاد ارمينية قاعدتها المراغة
والذي يقابلها من جبل العراق يسمى باريا وهو مسكن للاكراد والزاب الكبير والصغير
الذي على دجلة من ورائه وفي اخر هذه القطعة من جهة الشرق بلاد اذربيجان ومنها تبرز
والبيدقان وفي الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء قطعة من بحر نطاش وهو بحر الخزر.
وفي الجزء السابع من هذا الاقليم من غربه وجنوبه معظم بلاد الملوس وفيها هذان
وقزوين وينتهي في الاقليم الثالث وفيها هنا لك اصهبان ويحيط بها من الجنوب جبل
يخرج من غربها ويمر بالاقليم الثالث ثم ينطلف من الجزء السادس الى الاقليم الرابع
ويتصل بجبل العراق في شرقه الذي مذكّر هنا لك وأنه يحيط ببلاد الملوس في القطعة
الشرقية ويحيط هذا الجبل المحيط باصهبان من الاقليم الثالث الى جهة الشمال ويخرج
الى هذا الجزء السابع يحيط ببلاد الملوس من شرقها ويحدها هنا لك قاضان ثم تم وينطلف

سالية في الشمال عن حمص وفي الشمال عن مصبات بين الجبل والبحر بلد انطاكية ويقال لها
 في شرق الجبل المعرة وفي شرقها المراغة وفي شمال انطاكية المصيصة ثم آذنة ثم طرسوس
 آخر الشام ويجعلها من غرب الجبل قسرين ثم عين زربة وقبالة قنسرين في شرق
 الجبل حلب ويقابل عين زربة منع آخر الشام. وأما الدروب فعن بينها ما بينها وبين
 البحر الرومي بلاد الروم التي هي هذا العهد للتركان وسلطانها ابن عثمان وفي ساحل البحر
 منها بلد انطاكية والعلايا. وأما بلاد الارمن التي بين جبل الدروب وجبل السلسلة
 ففيها بلد مرعش والمطية والمعرة الى اخر الجزر الشمالي ويخرج من الجزء الخامس في بلاد
 الارمن نهر جيجان ونهر سيجان في شرقه فيمر بها جيجان جنوبا حتى يتجاوز الدروب ثم يمر
 بطرسوس ثم بالمصيصة ثم ينعطف هائكا الى الشمال ومغربا حتى يصب في البحر الرومي
 جنوب سلوقية ويمر نهر سيجان موازيا لبحر جيجان فيأذي المعرة ومرعش ويتجاوز جبال
 الدروب الى ارض الشام ثم يمر عين زربة ويجوز عن نهر جيجان ثم ينعطف الى الشمال
 مغربا فينحط ببحر جيجان عند المصيصة ومن غربها. وأما بلاد الجزيرة التي يحيط بها
 منعطف جبل اللكام الى جبل السلسلة ففي جنوبها بلد الرافضة والرقعة ثم حران ثم سروج
 والرها ثم نصيبين ثم سميساط وأمد تحت جبل السلسلة واخر الجزء من نباله وهو ايضا
 اخر الجزء من شرقه ويمر في وسط هذه القطعة نهر الفرات ونهر دجلة يخرجان من الاقليم
 الخامس ويمران في بلاد الارمن جنوبا الى ان يتجاوزا جبل السلسلة فيمر نهر الفرات من
 غرب سميساط وسروج ويعرف الى الشرق فيمر بقرب الرافضة والرقعة ويخرج الى الجزء
 السادس ويمر دجلة في شرق آمد وتنعطف قريبا الى الشرق فيخرج قريبا الى الجزء السادس
 وفي الجزء السادس من هذا الاقليم من غربي بلاد الجزيرة وفي الشرق منها بلاد العراق
 متصلة بها تنتمي في الشرق الى قرب اخر الجزء ويعترض من اخر العراق هناك جبل
 اصهبان هابطا من جنوب الجزء مخرقا الى الغرب فاذا انتهى الى وسط الجزء من آخره في
 الشمال يذهب مغربا الى ان يخرج من الجزء السادس ويتصل على سبيل بهبل السلسلة
 في الجزء الخامس فينقطع هذا الجزء السادس بقطعتين غربية وشرقية ففي الغربية من
 جنوبها مخرج الفرات من الخامس وفي شمالها مخرج دجلة منه اما الفرات فاول ما
 يخرج الى السادس يمر بقرقيسيا ويخرج من هناك جدول الى الشمال ينساب في ارض
 يغوص في نواحيها ويمر من قرقيسيا غير بعيد ثم ينعطف الى الجنوب فيمر بقرب
 قرب الرصمة ويخرج منه جدول من هناك يمر جنوبا ويبقى صفيان في غربي

من تقوم بلاد التبت ويخاطمعة قبل مخرجها من الجزء التاسع نهر فرغانة وعلى مصب نهر
الشاش جبل جبراغون يبدأ من الاقليم الخامس وينعطف شرقاً ومغرباً الى الجنوب حتى
يخرج الى الجزء التاسع محيطاً بارض الشاش ثم ينعطف في الجزء التاسع فيحيط بالشاش
وفرغانة هناك الى جنوبه فيدخل في الاقليم الثالث وبين نهر الشاش وطرف هذا
الجبل في وسط الجزء بلاد فاراب وبينه ارض بخارى وخوارزم مغاور معطلة وفي زاوية
هذا الجزء من الشمال والشرق ارض خجند وفيها بلاد السغاب وطراز وفي الجزء التاسع من
هذا الاقليم في غربيه بلاد ارض فرغانة والشاش ارض الخريجية في الجنوب وارض الخليفة
في الشمال وفي شرق الجزء كله ارض الكيماكية ويتصل في الجزء العاشر كله الى جبل
قزوين اخر الجزء شرقاً وعلى قفاحة من البحر المحيط هناك وهو جبل يا جوج واما جوج
وهذه الامم كلها من شعوب الترك . انتهى

الاقليم الخامس . الجزء الاول منه اكثره مغرور بالماء الا قليلاً من جنوبه وشرقه
لان البحر المحيط بهذه الجهة الغربية دخل في الاقليم الخامس والسادس والسابع عن
الدائرة المحيطة بالاقليم فانما المنكشف من جنوبه ففضلة على شكل مثلث متصلة من هنا لك
بالاندلس واما بقيةها ومحيط بها البحر من جهتين كما انها ضلعان محيطان بزوايا مثلث
ففيها من بقية غرب الاندلس سميور على البحر عند اول الجزء من الجنوب والغرب
ومثلثه شرقاً عنها وفي سبورها سمورة وفي الشرق عن مثلثه ابله آخر الجنوب وارض
عسنا لية شرقاً عنها وفيها مدينة شقوبه وفي شمالها ارض ديون وبرغشت ثم وراءها في
الشمال ارض جليقية الى زاوية القطعة وفيها على البحر المحيط في اخر الضلع الشرقي
بلد شيناقر وسماه بعبوب وفيها من شرق بلاد الاندلس مدينة شطالية عند اخر الجزء
في الجنوب وشرقاً عن شطالية وفي شمالها وشرقها وثقة وبلونه على سبورها شرقاً وشمالاً
وفي غرب يداونه قسطلية ثم ناجرة فيما بينهما وبين برغشت ويعترض وسط هذه القطعة
بل عظيم يحاذي للبحر والبلد الشالي الشرقي منه وعلى قرب ويتصل به وبطرف البحر
عند بناءه في جهة الشرق الذي ذكرنا من قبل ان يتصل في الجنوب بالبحر الرومي في
الاقليم الرابع ويصير على بلاد الاندلس من جهة الشرق وثناياه انوار لما تنضي الى
بلاد بمسكونية من اطم الترميز فيها من الاقليم الرابع برشازنة واربونة على ساحل البحر
الرومي وسمريه وقرشونه وراها في الشمال ومنها من الاقليم الخامس طلوشة شمالاً
نريه . واما المنكشف في هذا الجزء من جهة الشرق ففداحة على شكل مثلث . انتهى

في قرب الدصيف من طريقه مغرباً بعض الشيء ثم يرجع مستديراً فيذهب مشرقاً ومغرباً
الى الشمال حتى يخرج الى الاقليم الخامس ويشتمل على منطوقه واستد على بلاد الري
في شرفيه ويبدأ من منطوقه جبل آخر ثم غرباً الى اخر الجزء ومن جنوبه من هنا لك
قروين ومن جانيه الشمال وجانب جبل الري المتصل معه ذاهباً الى الشرق والشمال الى
وسط الجزء ثم الى الاقليم الخامس بلاد طبرستان فيما بين هذه الجبال وبين قطعة من
طبرستان ويدخل من الاقليم الخامس في هذا الجزء في نحو الدصيف من غربه الى
شرفه وبه أرض عند جبل الري وعنداه طائفه الى الغرب جبل منحد يمشى على سبيله مشرقاً
وبالتعرف قول الى الجنوب حتى يدخل في الجزء الثامن من غربه ويبقى بين جبل
الري وهذا الجبل من عند منتهى بلاد جرجان فيما بين الجبلين ومنها إسحاطم ووراء
هذا الجبل قطعة من هذا الجزء فيها بقية المنازة التي بين فارس وخراسان وفي في شرقي
فارسان وفي اخرها عند هذا الجبل بلد استراباذ وحضاني هذا الجبل من ترقيه الى اخر
الجزء بلاد نيسابور من خراسان في جنوب الجبل وشرق المنارة بلد نيسابور من
الافغانجان آخر الجزء وفي شماله وفي جرجان بلد مهران وخارون وطوس اخر
الجزء شرقاً وكل هذه تحت اسم الجبل وفي الشمال عنها بلاد قنسا ويحيط بها عند زاوية
الجزئين الشمال والشرق ماورم مغللة وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم وفي ترقيه
نهر جيمون ذاهباً من الجنوب الى الشمال ففي عذوة الغربية ثم وامل من بلاد خراسان
والظاهر في البحر طابفة من بلاد نيزارد ويحيط بها زاوية الغربية البحرية منه جبل
استراباذ المعتز في الجزء السابع فله ويخرج في هذا الجزء من غربيه ويسمى له هذه
الزاوية وفيها بقية بلاد نيزارد الجبل في الاقليم الثالث بين هرات والموخلاف حتى
يقبل بجبل النمر كما ذكرناه هناك وفي شرقي نهر جيمون من هذا الجزء وفي الجنوب
منه بلاد بخاري ثم بلاد القمند وقاعدتها مسرة ثم بلاد اسروثية ومنها مدينة اسمعيل
شرقاً وفي الشمال عن نيزارد وأسر وشنه أرض ابلات في في الشمال من ابلات أرض
الشاخ الى اخر الجزء شرقاً وياحدا قلعة من الجزء التاسع في جنوب تلك القلعة بقية
أرض فرغانة ويخرج من الماء الفلحة التي في الجزء التاسع نهر الداس ثم هنترسان في
الثمان الى ان ينصب في نهر جيمون عند مغربيه من هذا الجزء الا ان في شماله الى
الجناس ويخاطب معه في أرض ابلات نهر باقي من الجزء التاسع من الاقليم الثالث

بناك ادم الاق متصل بالاق الثاني اعمل بها وخر كبر المارة ويكون الباب بها

خرجت اليه من الاقليم الرابع مضربة كما يتطلع من البحر ويخرج منها الى الشمال وبين
 كل ضربتين منها طرف من البحر في الجنوب بينهما وفي آخر الجزء شرقاً قطع من البحر
 ويخرج منها الى الشمال خليج القسطنطينية يخرج من هذا الطرف الجنوبي ويذهب على
 سمت الشمال الى ان يدخل في الاقليم السادس وينطفئ من ههناك عن قرب
 مشرقاً الى بحر بطش في الجزء الخامس وبعض الرابع قبله والسادس بعده من
 الاقليم السادس كما يذكر وبالد القسطنطينية في شرقي هذا الخليج عند اخر الجزء من
 الشمال وهي المدينة العظيمة التي كانت كرسى القيصرية وبها من اثار البناء والضيافة
 ما كثرت عنه الاحاديث والقطعة التي ما بين البحر الرومي وخليج القسطنطينية
 من هذا الجزء وفيها بلاد مقدونية التي كانت لليونانيين ومنها ابدانهم وفي شرقي
 هذا الخليج الى اخر الجزء قطعة من ارض باطوس وانها لهذا العهد تمالأت للتركمان
 وبها ملك ابن عمان وقاعدته بها برصة وكانت من قديم اللوم وغلهم عليها الامم الخان
 صارت للتركمان. وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم من غربيه وجنوبه ارض باطوس
 وفي الشمال عنها الى اخر الجزء بلاد عمورية وفي شرقي عمورية نهر قاب الذي يند الفرات
 يخرج من جبل ههناك ويذهب في الجنوب حتى يخالط الفرات قبل وصوله من هذا
 الجزء الى مروه في الاقليم الرابع وههناك في غربيه اخر الجزء في مبداء نهر سيجان ثم نهر حبيمان
 ثم نهر الداهين على سمويه وقد مر ذكرها في شرقي ههناك مبداء نهر دجلة الانساب
 على سمويه وفي موازاته حتى يخالطه عند بغداد وفي الراوية التي بين الجنوب والشرق من
 هذا الجزء وراء الجبل الذي يبدأ منه نهر دجلة بدمية فاروقين ونهر قاب الذي ذكرناه
 يسم هذا الجزء بقطعتين احدها غربية جنوبية وفيها ارض باطوس كما قلناه واسفلها
 الى اخر الجزء شمالاً ووراء الجبل الذي يبدأ منه نهر قاب ارض عمورية كما قلناه
 والقطعة الثانية شرقية شمالية على الثالث في الجنوب منها مبداء دجلة والفرات وفي الشمال
 بلاد البيلقان متصلة بارض عمورية من وراء جبل قاب وفي عريضة وفي اخرها عناء
 مبداء الفرات بلد خرسية وفي الراوية الشرقية الشمالية قطعة من بحر نيحاش الذي يند
 خليج القسطنطينية. وفي الجزء السادس من هذا الاقليم في جنوبيه وغربه بلاد ارمينية
 متصلة الى ان يجاوز وسط الجزء الى جانب الشرق وفيها بلد اردن في الجنوب والشرق
 وفي شمالها قنابس ودبل وفي شرق اردن مدينة خلاط ثم بردعة وفي جنوبها بانترافيا
 الى الشرق مدينة ارمينية ومن ههنا لك مخرج بلاد ارمينية الى الاقليم الرابع وفيها ههناك

زاوية الحماكة وراء البرنات شرقاً وفيها على البحر المحيط على رأس القطعة التي يتصل بها
 جبل البرنات بلد نبوتة وفي آخر هذه القطعة في الناحية الشرقية الشمالية من الجزيرة
 أرض بطلون من الفرنج الى اخر الجزيرة وفي الجزء الثاني في الناحية الغربية من أرض
 عسكونية وفي شمالها أرض بطلون وبرغشت وقد ذكرناها وفي شرق بلاد عسكونية في شمالها
 قطعة أرض من البحر الرومي دخلت في هذا الجزء كالنهر مائلة الى الشرق قليلاً وصارت
 بلاد عسكونية في غربها داخله في جوف من البحر وعلى رأس هذه القطعة شمالاً بلاد
 جنوة وعلى سمتها في الشمال جبل نيت جون وفي شماله وعلى سمتها أرض برغونة وفي الشرق
 عن طرف جنوة الخارج من البحر الرومي طرف اخر خارج منه يبنى بينهما جوف داخل من
 الأرض في البحر في غربيه يش وفي شرقيه مدينة رومة العظمى كرسى ملك الافرنجة ومسكن
 البابا بطركهم الأعظم وفيها من المباني الضخمة والمباني المبهلة والكنائس العادية ما هو
 معروف الاخبار ومن عاتبا النهر المجاري في وسطها من المشرق الى المغرب مفروش قاعه
 ببلاط الحاس وفيها كيسة بطرس وبواس من البحارين وها مدفونان بها وفي الشمال
 عن بلاد رومة بلاد افريقية الى اخر الجزيرة وعلى هذا الطرف من البحر الذي في جنوبيه رومة
 بلاد نابل في الجانب الشرقي منه متصلة ببلاد قلورية من بلاد الفرنج وفي شمالها طرف من
 خليج البنادقة دخل في هذا الجزء من الجزء الثالث مغرباً ومحاذاً للبحال من هذا الجزء
 وانتهى الى نحو الثالث منه وعليه كثير من بلاد البنادقة دخل في هذا الجزء من جنوبيه
 فيما بينه وبين البحر المحيط ومن شماله بلاد أنكلية في الاقليم السادس وفي الجزء الثالث
 من هذا الاقليم في غربيه بلاد قلورية بين خليج البنادقة والبحر الرومي يحيط بها من شرقيه
 يصل من برها في الاقليم الرابع في البحر الرومي في جوف بين طرفين شرجا من البحر على
 سمت الشمال الى هذا الجزء في شرقيه بلاد قلورية بلاد أنكرده في جوف بين خليج البنادقة
 والبحر الرومي ويدخل طرف من هذا الجزء في الجوف في الاقليم الرابع وفي البحر الرومي
 ويحيط به من شرقيه خليج البنادقة من البحر الرومي ذاهباً الى سمت الشمال ثم يتصل الى
 الغرب محاذياً لآخر الجزء الشمالي ويخرج على سمت من الاقليم الرابع جبل عظيم يوازي
 ويذهب معه في الشمال ثم يغرب معه في الاقليم السادس الى ان ينتهي قبالة خليج في شماله
 في بلاد أنكلية من امم الهانين كما نذكره على هذا الخليج وبينه وبين هذا الجبل ماداما
 ذاهبين الى الشمال بلاد البنادقة فانذا ذهاباً الى المغرب فبينها بلاد حروايا ثم بلاد
 الامانين عند طرف الخليج وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم قطعة من البحر الرومي

الخامس وهذا الطرف منه هو الذي اعترض في هذا الجزء بين ارض السدير وارض
 الخزر واتصلت ارض الخزر في الجزء السادس والسابع خلت في هذا الجبل المسى جبل
 سياب كما سيأتي . والجزء الثامن من هذا الاقليم الخامس كله جبال لا للفر من ارض الترك وفي
 الجهة الجنوبية الغربية منه بحيرة خوارزم التي يصب فيها نهر جيحون دورها ثلاثمائة ميل
 ويصب فيها انهار كثيرة من ارض هذه الجبال وفي الجهة الشمالية الشرقية منه بحيرة
 عرعون دورها اربعمائة ميل وماؤها حلو وفي الناحية الشمالية من هذا الجزء جبل مرغار
 ومعدن جبل الثلج لانه لا يذوب فيه وهو متصل باخر الجزء وفي الجنوب عن بحيرة
 عرعون جبل من البحر الصلد لا يبيت شيئا يسمى عرعون ويوسميت البحيرة وينجلب منه
 ومن جبل مرغار ثلج البحيرة انهار لا تنحصر عدتها فنصب فيها من الجبالين . وفي الجزء
 التاسع من هذا الاقليم بلاد اركس من ارض الترك في غرب بلاد الخزر وشرق بلاد الكيماكية
 ويحفر من جهة الشرق اخر الجزء جبل قوقيا المحيط بيا جوج وما جوج يعترض هنا لك
 من الجنوب الى الشمال حتى ينعطف اول دخوله من الجزء العاشر وقد كان دخل اليه
 من اخر الجزء العاشر من الاقليم الرابع قبله اصغت هنا لك بالبحر المحيط الى اخر الجزء في
 الشمال ثم انعطف مقربا في الجزء العاشر من الاقليم الرابع الى ما دون نضو واحاط من
 اوله الى هنا ببلاد الكيماكية ثم خرج الى الجزء العاشر من الاقليم الخامس فذهب فيه
 مقربا الى اخره وبقيت في جنوبيه من هذا الجزء قطعة مستطيلة الى الغرب قبل اخر
 بلاد الكيماكية ثم خرج الى الجزء التاسع في شرقيه وفي الاعلى منه وانعطف قريبا الى
 الشمال وذهب على منتهى الى الجزء التاسع من الاقليم السادس وفيه السد هنا لك كما
 ذكره وبقيت منه القطعة التي احاط بها جبل قوقيا عند الزاوية الشرقية الشمالية من
 هذا الجزء مستطيلة الى الجنوب وهي من بلاد ما جوج وما جوج وفي الجزء العاشر من
 هذا الاقليم ارض ما جوج متصله في كل الاقطعة من البحر المحيط غمرت طرقا في شرقيه
 من جنوبيه الى سائر الاقطعة التي ينصلها الى جهة الجنوب والغرب جبل قوقيا حين
 مر فيه وما سوى ذلك فافرض ما جوج وما جوج والله سبحانه وتعالى اعلم
 الاقليم السادس . فالجزء الاول منه غمر البحر اكثر من نصفه واستدار شرقا في الناحية
 الشمالية ثم ذهب مع الناحية الشرقية الى الجنوب وانتهى قريبا من الناحية الجنوبية
 فانكشفت قطعة من هذه الارض في هذا الجزء داخله بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية
 الشرقية من البحر المحيط كالبحرين فيه وينفتح طولاً وعرضاً وهي كلها ارض برطانية وفي

بلد المراغة في شرقي جبل الأكراد المسمى بارسى وقد مر ذكره في الجزء السادس منه ويتألف
 بلاد أرمينية في هذا الجزء وفي الأقليم الرابع قبلة من جهة الشرق فيها بلاد أذربيجان
 وأخرها في هذا الجزء شرقاً بلاد أردبيل على قطعة من بحر طبرستان دخلت في الناحية
 الشرقية من الجزء السابع ويسمى بحر طبرستان وعليه من شماله في هذا الجزء قطعة من
 بلاد الخزر ورم الأتراك ويبدأ من عند آخر هذه القطعة البحرية في الشمال بجبل يصل
 بعضها ببعض على سمت الغرب إلى الجزء الخامس فترقب منقطعة ومحيطه بلد ميفارقين
 ويخرج إلى الأقليم الرابع عند آمد ويتصل بجبل السلسلة في أسفل الشام ومن هنا لك
 يتصل بجبل الكام كما مر بين هذه الجبال الشمالية في هذا الجزء ثانياً كالآيات ففضي
 من الجانبين فني يتوجه بها بلاد الأبواب متصلة في الشرق إلى بحر طبرستان وعليه من
 هذه البلاد مدينة باب الأبواب ويتصل بلاد الأبواب في الغرب من ناحية جنوبها ببلد
 أرمينية وبينها في الشرق وبين بلاد أذربيجان الجنوبية بلاد الزاب متصلة إلى بحر طبرستان
 وفي شمال هذه الجبال قطعة من هذا الجزء في غربها مملكة السري في الزاوية الغربية
 الشمالية منها وفي زاوية الجزء كوة قطعة أيضاً من بحر نبطش الذي يده خلع النفاهاة
 وقد مر ذكره ويحيط بهذه القطعة من نبطش بلاد السري وعليها منها بلد اطرايردة
 ويتصل بلاد السريين بجبل الأبواب والجهة الشمالية من الجزء إلى ان ينتهي شرقاً إلى
 جبل حاجزيتها وبين أرض الخزر وعند آخرها مدينة صول ووراء هذا الجبل الحجاز
 قطعة من أرض الخزر تنتهي إلى الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء من بحر طبرستان
 وأخر الجزء شمالاً والجزء السابع من هذا الأقليم غربية كله مغرور بحر طبرستان وخرج
 من جنوبه في الأقليم الرابع القطعة التي ذكرنا هنا لك أن عليها بلاد طبرستان وجبال
 الدلم إلى قزوین وفي غربي تلك القطعة متصلة بها القطعة التي في الجزء السادس من
 الأقليم الرابع ويتصل بها من شمالها القطعة التي في الجزء السادس من شرقيها يشكو يتكشف
 من هذا الجزء قطعة عند زاوية الشمالية الغربية يصب فيها نهر ايل في هذا البحر ويبقى
 من هذا الجزء في ناحية الشرق قطعة متكشنة من البحر في جبال الفز من ام الترك
 يحيط بها جبل من جهة الجنوب داخل في الجزء الثامن ويذهب في الغرب إلى ما دون
 وسطه فيمتطد إلى الشمال إلى ان يلاقي بحر طبرستان فيصنف بوجاهة منة إلى بقية في
 الأقليم السادس ثم يمتطد مع طرفه وينارفة ويسمى هنا لك جبل سياه ويذهب مغرباً
 إلى الجزء السادس من الأقليم السادس ثم يرجع جنوباً إلى الجزء السادس من الأقليم

سادس في غربيه بقية بحر نبطش ويصرف قليلاً الى الشمال ويبقى بينه هناك وبين
آخر الجزء شمالاً بلاد قانية وفي جنوبيه ومنفتحاً الى الشمال بما تعرف هو كذلك بقية
بلاد اللادية التي كانت اخر جنوبيه في الجزء الخامس وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء
تصل ارض الخزر وفي شرقها ارض برطاس وفي الزاوية الشرقية الشمالية ارض بلغار
وفي الزاوية الشرقية الجنوبية ارض البحر يميزها هناك قطعة من جبل سياه كوه المنعطف
مع بحر الخزر في الجزء السابع بعده ويذهب بعد مفارقتهم مغرباً فيخرج في هذه القطعة
ويدخل الى الجزء السادس من الاقليم الخامس فيتصل هناك بجبل الابواب وعليه
من هناك ناحية بلاد الخزر وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في الناحية الجنوبية ما
يخبره جبل سياه بعده مفارقتهم بحر طبرستان وهو قطعة من ارض الخزر الى اخر الجزء
غرباً وفي شرقها القطعة من بحر طبرستان التي يميزها هذا الجبل من شرقاً وشمالاً ووراء
جبل سياه في الناحية الغربية الشمالية ارض برطاس وفي الناحية الشرقية من الجزء ارض
شعرب ويذاك وهم ام الترك وفي الجزء الثامن والناحية الجنوبية منه كلها ارض المجوز
من الترك في الناحية الشمالية غرباً والارض المنيه وشرق الارض التي يقال ان يا جوج
وما جوج خرباها قبل بناء السد وفي هذه الارض المنيه بدا نهر الاثل من اعظم انهار العالم
ومره في بلاد الترك ومصبه في بحر طبرستان في الاقليم الخامس في البحر السابع منه ومن
كثير الانعطاف يخرج من جبل في الارض المنيه من ثلاثة ينابيع ينبع في نهر واحد
ويخرج على سمت الغرب الى اخر السابع من هذا الاقليم فينعطف شمالاً الى الجزء السابع من
الاقليم السابع فيخرج في طرفه بين الجنوب والمغرب فيخرج في الجزء السادس من السابع
ويذهب مغرباً غير بعيد ثم ينعطف ثانياً الى الجنوب ويرجع الى الجزء السادس من
الاقليم السادس ويخرج منه جدول يذهب مغرباً ويصب في بحر نبطش في ذلك الجزء
ويخرج في قطعة بين الشمال والشرق في بلاد بلغار فيخرج في الجزء السابع من الاقليم
السادس ثم ينعطف ثانياً الى الجنوب وينفذ في جبل سياه ويمر في بلاد الخزر ويخرج
الى الاقليم الخامس في الجزء السابع منه فيصعب هناك في بحر طبرستان في القطعة التي
اكتسبت من الجزء عند الزاوية الغربية الجنوبية وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في
الناحيتين الغربي منه بلاد خنناخ من الترك وهم قنباق وبلاد التركس منهم ايضا وفي
الشرق منه بلاد يا جوج يتصل بينهما جبل فوقها المحيط وقد مر ذكره يبدأ من
البحر المحيط في شرق الاقليم الرابع ويذهب معه الى اخر الاقليم في الشمال وينتهي مغرباً

بابها بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء بلاد ضافين متصلة ببلاد
 بطول التي مر ذكرها في الجزء الاول والثاني من الاقليم الخامس. وفي الجزء الثاني من هذا
 الاقليم دخل البحر المحيط من غربه وتواليه من غربه قطعة مستطيلة اكبر من نصف
 الشمالي من شرق ارض بريطانيا في الجزء الاول واتصلت بها القطعة الاخرى في الشمال
 من غربه الى شرقه وانقسمت في النصف الغربي منه بعض النهر وفيه هناك قطعة من
 جزيرة انكاطرة وهي جزيرة عظيمة مشتهرة على مدن وبها ملك ضخم ويقع بها في الاقليم
 السابع وفي جنوب هذه القطعة وجزيرتها في النصف الغربي من هذا الجزء بلاد ارمينية
 وبلاد افلاطس متصلين بها ثم بلاد افراسية جنوبا وغربا من هذا الجزء وبلاد برغونية
 شرقا عنها وكلها الامم الافريقية وبلاد المانيين في النصف الشرقي من الجزء الجنوبية بلاد
 انكلاية ثم بلاد برغونية ثم لا ثم ارض لوبيكة وشطونية وعلى قطعة البحر المحيط في الزاوية
 الشمالية الشرقية ارض افريزة وكلها الامم المانيين. وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم
 في الناحية الغربية بلاد مرانية في الجنوب وبلاد شطونية في الشمال وفي الناحية الشرقية
 بلاد انكوية في الجنوب وبلاد بلونية في الشمال يعترض بينهما جبل بلواط داخل من
 الجزء الرابع ويؤثر مغربا باتجاه الشمال الى ان يقف في بلاد شطونية اخر النصف
 الغربي. وفي الجزء الرابع في ناحية الجنوب ارض جنوبية وتحتها في الشمال بلاد الروسية
 ويفصل بينهما جبل بلواط من اول الجزء غربا الى ان يقف في النصف الشرقي وفي شرق
 ارض جنوبية بلاد جرمانية وفي الزاوية الجنوبية الشرقية ارض التسططونية ومدنها
 عند اخر الخليج الخارج من البحر الرومي وعند مدفوع في بحر نبطش فبقع قطعة من بحر
 نبطش في اعالي الناحية الشرقية من هذا الجزء ومدنها الخليج وبينها في الزاوية بلد مسماه
 وفي الجزء الخامس من الاقليم السادس ثم في الناحية الجنوبية عند بحر نبطش يتصل من
 الخليج في اخر الجزء الرابع ويخرج من سمته مشرقا فيمر في هذا الجزء كالوفي بعض السادس
 على طول الف وثلاثمائة ميل من مدته في عرض ثمانمائة ميل ويبقى وراء هذا الجزء في
 الناحية الجنوبية من هذا الجزء سيف غربا الى شرقا ثم مستطيل في غربه هرقلية على
 ساحل بحر نبطش متصلة بارض الباقان من الاقليم الخامس وفي شرقه بلاد الانانية وقاعدتها
 سوتلي على بحر نبطش وفي شمال بحر نبطش في هذا الجزء غربا ارض ترخان وشرق بلاد الروسية
 وكلها على ساحل هذا البحر وبلاد الروسية محيطة ببلاد ترخان من شرقها في هذا الجزء من
 شمالها في الجزء الخامس من الاقليم السابع ومن غربها في الجزء الرابع من هذا الاقليم. وفي الجزء

الشرقية منه متصل ارض القانية التي على قطعة بحر نيطنش من الجزء السادس من الاقليم
 السادس وينتهي الى بحيرة طرم من هذا الجزء وهي عذبة تغلب اليها انهار كثيرة من الجبال
 عن الجنوب والشمال وفي شمال الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض التتارية من الترك
 (وفي نسخة التركان) الى اخره . وفي الجزء السادس من الناحية الغربية الجنوبية متصل بلاد القانية
 وفي وسط الناحية بحيرة عمور عذبة تغلب اليها الانهار من الجبال في الناحية الشرقية وهي
 جامدة دائما لشدة البرد الا قليلاً في زمن الصيف وفي شرق بلاد القانية بلاد الروسية
 التي كان مبدؤها في الاقليم السادس في الناحية الشرقية الثانية من الجزء الخامس منه
 وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء بقية ارض بلغار التي كان مبدؤها في الاقليم
 السادس وفي الناحية الشرقية الثانية من الجزء السادس منه وفي وسط هذه القطعة
 من ارض بلغار منعطف نهر ائلل القطعة الاولى الى الجنوب كما مر وفي آخر هذا الجزء
 السادس من شماله جبل فوقيا متصل من غربه الى شرقه . وفي الجزء السابع من هذا
 الاقليم في غربه بقية ارض بخناك من امم الترك وكان مبدؤها من الناحية الشمالية الشرقية
 من الجزء السادس قبله وفي الناحية الجنوبية الغربية من هذا الجزء ويخرج الى الاقليم
 السادس من فوقه وفي الناحية الشرقية بقية ارض سمرب ثم بقية الارض الممتدة الى آخر
 الجزء شرقاً وفي آخر الجزء من جهة الشمال جبل فوقيا المعط متصلاً من غربه الى شرقه .
 وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم في الجنوبية الغربية منه متصل الارض الممتدة وفي شرقها
 الارض المنقورة وهي من الجباب خرق عظيم في الارض بعيد المهوى تسع الاقطار متبع
 الوصول الى قسره يستدل على عمره بالنسخان في النهار والليمان في الليل تضيئ وتبقى
 ورماروي فيها نهر يغتها من الجنوب الى الشمال وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء
 البلاد الخراب المتاخمة للسر وفي آخر الشمال منه جبل فوقيا متصلاً من الشرق
 الى الغرب . وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في الجباب الغربي منه بلاد خفشاجورم فقبي
 يجوزها جبل فوقيا حين يتعطف من شماله عند البحر المحيط وينتهي في وسطه الى الجنوب
 بالخراف الى الشرق فيخرج في الجزء التاسع من الاقليم السادس ويعبر عرضاً فيه وفي وسطه
 هنا لك سد با جوج وما جوج وقد ذكرناه وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض باجوج
 وراءه جبل فوقيا على البحر قليلة العرض مستطيلة احاطت به من شرقه وشماله . والبحر
 العائد غرا البحر جميعه . هذا اخر الكلام على الجغرافيا واقا ليا السبعة وفي خاتمة القولات
 والارض واخلاف الليل والنهار لايات للعالمين

وبالبحر الى الشمال حتى يدخل في الجزء التاسع من الاقليم الخامس فيرجع الى سمت الاول حتى يدخل في هذا الجزء التاسع من الاقليم من جنوبه الى شماله بالبحر الى المغرب وفي وسطه ههنا السد الذي بناه الاسكندر ثم يخرج على سمت الى الاقليم السابع وفي الجزء التاسع منه فيخرج الى الجنوب الى ان ياتي البحر المحيط في شماله ثم ينحطف معقن هنا لك مغربا الى الاقليم السابع الى الجزء الخامس منه فيتصل هناك بقطعة من البحر المحيط في غربه وفي وسط هذا الجزء التاسع هو السد الذي بناه الاسكندر كما قلناه ولا يصح من خبره في القرآن وقد ذكر عبد الله بن خرداذبة في كتابه في الجغرافيا ان الوثائق راي في منامو كان السد انفق فانيه فزعان بعث سلا ما الترجمان فوقه عليه وجاء بخبره ووصوه في حكاية طويلة ليست من مقاصد كتابنا . وفي الجزء العاشر من هذا الاقليم بلاد ما جوج متصلة فيه الى اخره على قطعة من هنا لك من البحر المحيط احاطت به من شرقه وشماله مستطيلة في الشمال وعريضة بعض الشيء في الشرق

الاقليم السابع . والبحر المحيط قد غمر عانة من جهة الشمال الى وسط الجزء الخامس حيث يتصل بجبل قوقيا المحيط بيا جوج وما جوج . فالجزء الاول والثاني مغوران بالماء الا ما انكشف من جزيرة انكلطرا التي معظمها في الثاني وفي الاول منها طرف انعطفت بالبحر الى الشمال وبقية مع قطعة من البحر مستديرة عليه في الجزء الثاني من الاقليم السادس وهي مذكورة هناك والهاز منها الى البر في هذه القطعة سعة اثني عشر ميلا ووراء هذه الجزيرة في شمال الجزء الثاني جزيرة رسلانده مستطيلة من الغرب الى الشرق . والجزء الثالث من هذا الاقليم مغور اكثره بالبحر الا قطعة مستطيلة في جنوبه وتوسع في شرقها وقبها هنا لك متصل ارض فلونية التي مذكورها في الثالث من الاقليم السادس وانما في شماله وفي القطعة من البحر التي تغمر هذا الجزء ثم في الجانب الغربي منها مستديرة فسيحة وتتصل بالبر من باب في جنوبها يفضي الى بلاد فلونية وفي شمالها جزيرة برعاقية (وفي نسخة رفاة) مستطيلة مع الشمال من المغرب الى المشرق . والجزء الرابع من هذا الاقليم شمالا كله مغور بالبحر المحيط من المشرق وجنوبا مستكشف وفي غربه ارض قبا زك من الارك وفي شرقها بلاد طست ثم ارض رسلان الى اخر الجزء شرقا وهي دائمة الثلوج وعمرانها قليل ويتصل ببلاد الروسية في الاقليم السادس وفي الجزء الرابع والخامس منه وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم في الناحية الغربية منه بلاد الروسية وينتهي في الشمال الى قطعة من البحر المحيط التي يتصل بها جبل قوقيا كما ذكرنا من قبل وفي الناحية

انهم يسكنون الكرف والعباض ويأكلون العشب وانهم متوحشون غير مستأقنين يأكل
 بعضهم بعضاً وكذا الصقاية والسبب في ذلك انهم لم يعد من الاعتدال الى اقرب عرض
 امزجتهم واخلاصهم من عرض الجيوانات العجم ويعدون عن الانسانية بمقدار ذلك
 وكذلك احوالهم في الديانة ايضاً فلا يعرفون نبوة ولا يدعون بشريعة الا من قرب منهم
 من جناس الاعتدال وهو في الاقل النادر مثل الحبشة المجاورين للبحر الدائنين بالصراية
 فيها قبل الاسلام وما بعد هذا العهد ومثل اهل مالي وكوكو والتكر والمجاورين لارض
 المغرب الدائنين بالاسلام لهذا العهد يقال انهم دانوا به في المائة السابعة ومثل من دان
 بالمصرانية من اهل الصقاية والافريقية والترك من الشمال ومن سوى هؤلاء من اهل
 تلك الاقاليم المعرفة جنوباً وشمالاً فالدين مجهول عندهم والعلم مفقود بينهم وجميع احوالهم
 بعيدة من احوال الانبياء قريفة من احوال البهايم ويحلق ما لا تعلمون ولا يعترض على
 هذا القول بوجرد اليمن وحضرموت والاحتاف وبلاد الحجاز واليهامة وما اليها من
 جزيرة العرب في الاقليم الاول والثاني فارت جزيرة العرب كلها احاطت بها البحار من
 الجهات الثلاث كما ذكرنا فكان لرطوبة اثير في رطوبة هوائها فنقص ذلك من الجبس
 والاختلاف الذي يقتضيه الحر وصار فيها بعض الاعتدال بسبب رطوبة البحر وقد
 توه بعض النساء من لاعلم ادي به لطائف الكائنات ان السودان هم ولد حام بنت نوح
 اخضروا بلون السواد لدعوة كانت عليه من ابيو ظهر اثرها في لونهم وفيما جعل الله من الرق
 في عقبيه ويقولون في ذلك حكاية من خرافات القصاص ودعا نوح على ابيو حام
 قد وقع في التوراة وليس فيه ذكر السواد وانما دعا عليه بان يكون ولده عبيداً لولد
 اخوته لا غير وفي القول بنسبة السواد الى حام غفلة عن طبيعة الحر والبرد واثرها في الهباء
 وفيما يتكون فيه من الجيوانات وذلك ان هذا اللون مثل اهل الاقليم الاول والثاني من
 مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة بالمحسوس فان الشمس تسامت روعهم وميت في كل سنة
 قريفة احداهما من الاخرى فتطول المسامة عامة الفصول فيكثر الضربة لاجلها ويلي الفيل
 الشديد عليهم وتسود جلودهم لافراط الحر وتظلم هذه الاقاصيص ما يقابلها من الشمال
 الاقليم السابع والسداس مثل سكانها ايضاً البياض من مزاج هوائهم البرد المطرب بالشمال
 اذ الشمس لا تزال باقهم في دائرة مرآى العين او ما قرب منها ولا ترتفع الى المسامة
 ولا ما قرب منها فيضعف الحر فيها ويشد البرد عامة الفصول فيتغير الثوب اهلها
 وتنتهي الى الزعورة وينبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المطرب من زرق العيون وبرش

المقدمة الثالثة

في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في الوان البشر والكثير في احوالهم
قد بينا ان المجهور من هذا المنكشف من الارض انما هو وسطه لا فراط المحر في
المجرب منه والبرد في الشمال . ولما كان الجانبان من الشمال والمجرب متضادين في المحر
والبرد وجب ان تدرج الكنية من كلهما الى الوسط فيكون معتدلاً فالاقليم الرابع اعدل
العبران والذي حثافيو من الثالث والخامس اقرب الى الاعتدال والذي يلها والثاني
والسادس بعيدان من الاعتدال والاول والسابع ابعد بكثير فلهذا كانت العلوم والصنائع
واللبناني والملابس والافوات والفراكة بل والمحوبات وجميع ما يتكون في هذه الاقاليم
الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر اعدل اجساماً وأولاداً وخالقاً
وأدياناً حتى النبوت فانما توجد في الاكثر فيها ولم تقف على خبر بعثة في الاقاليم الجنوبية
ولا الشمالية وذلك ان الانبياء والرسل اما يختص بهم اكمل النوع في خلقهم وخالقهم قال
تعالى كنتم خيراً منه اخرجت للناس وذلك ليم القبول لما ياتهم به الانبياء من عند الله
وأهل هذه الاقاليم اكمل للوجود الاعتدال لم يقدم على غابة من التوسط في مساكنهم
وملابسهم وأقواتهم وصنائعهم يتخذون البيوت المجددة بالحجارة الخشنة بالصناعة ويتناغون
في استيادة الآلات والمواعين ويذهبون في ذلك الى الغاية وتوجد لديهم المعادن
الطبيعية من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير وتصرفون في
معاملاتهم بالتقدين العزيزين ويعدون عن الانحراف في عامة احوالهم وهؤلاء اهل
المغرب والشام والحجاز واليمن والعراقين والهند والسند والصين وكذلك الاندلس
ومن قرب منها من الفرنجة والمجالات والروم واليونانيين ومن كان مع هؤلاء
او قريباً منهم في هذه الاقاليم المعتدلة ولهذا كان العراق والنام اعدل كلها لانها
وسط من جميع الجهات . وأما الاقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الاول والثاني والسادس
والسابع فاهلها ابعد من الاعتدال في جميع احوالهم فبنائهم بالطين والقصب وأقواتهم
من اللذة والعشب وملابسهم من اوراق الشجر يصفون بها عليهم احوالهم واكثرهم عرايا
من اللباس وفراكة بلادهم وأديانهم غريبة التكوين مائلة الى الانحراف ومعاملاتهم بغير
الحجرات الشريفة من نحاس او حديد او جلود يقدرونها للمعاملات وخالقهم مع ذلك
قريبة من خلق المحبوبات الهيم حتى ينقل عن الكثير من السودان اهل الاقاليم الاول

والشرائع والسياسة والمملك من ولد سام وهذا الزعم وإن صادف الحق في انتساب هؤلاء
فليس ذلك بقباس مطرد إنما هو اخبار عن الواقع لأن تسمية أهل الجيوب بالسودان
والجيشان من أجل انتسابهم إلى حام الأسود وما أدام إلى هذا الغلط إلا اعتقادهم أن
التمييز بين الأمم إنما يقع بالانساب فقط وليس كذلك فإن التمييز للجبل أو الأمة يكون
بالنسب في بعضهم كما العرب وبني إسرائيل والفرس ويكون بالجمية والجمية كما للرج
والجمية والصفاة والسودان ويكون بالعمائد والشعار والنسب كما للعرب ويكون
بغير ذلك من الأحوال والأمم وخصائصهم وخصائصهم فتعبر القول في أهل جهة معينة من
جنوب أو شمال بأنهم من ولد فلان المعروف لما تبين من نخلة أولون أو سوسة وجدت
لذلك الأب إنما هو من الأغاليط التي آوَقع فيها الغفلة عن طبائع الأكنون والجبهات وإن
هذه كلها تبدل في الاعتقاد ولا يجب استمرارها سنة الله في عبادِهِ ولو لم تجد لسنة الله
تبدلاً والله ورسوله أعلم بغيره وأحكم وهو المولى المنعم الرؤوف الرحيم

المقدمة الرابعة

في انوار الهواء في اخلاق البشر

قد رأينا من خاف السودان على اليوم المحنة والعلش وكثرة الطرب فتجد همومهم
بالرقص على كل توقيع موصوفين بالحمق في كل قطر والسبب الصحيح في ذلك أنه يقرر
في موضوع من المحنة أن طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح المحيية في ونفسه وطبيعة
الحزن بالعكس وهو انقباضه وتكاثفه ويقرر أن الحرارة مفسدة للهواء والبخار مختلفة له
زائدة في كميته ولهذا يجد المشتري من الفرح والسرور ما لا يعبر عنه وذلك بما يدخل
بخار الروح في القلب من الحرارة الغريزية التي تبعثها سورة الخمر في الروح من مراحو
فيتنفش الروح وتحيي طبيعة الفرح وكذلك نجد المنعدين بالجمادات إذا تنفسوا في هوائها
وانصابت حرارة الهواء في أرواحهم فتتخفف لذلك حدث لهم فرح وربما انبعث الكثير منهم
بالفناء النافسي عن السرور ولما كان السودان ساكنين في الأقاليم الحارة واستولى الحر
على أمتهم وفي أصل تكوينهم كان في أرواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم وأقاليمهم
فتكون أرواحهم بالقباس المارطاح أهل الأقليم الرابع أشد حرارة فتكون أكثر تشبهاً فتكون
أسرع فرحاً وسروراً وأكثر انبساطاً وبجيء الطيش على أثر هذه وكذلك يلحق بهم قلة
أهل البلاد الجارية لما كان هوائها متضاعف الحرارة بما يعكس عليه من أضواء بسيط

الجلود وصهوبة الشعور وتوسطت بينهما الاقاليم الثلاثة الخامس والرابع والثالث فكان
 لها في الاعتدال الذي هو مزاج المتوسط حظ وافر والرابع آبلغها في الاعتدال غاية
 النهاية في التوسط كما قدمناه فكان لاهلها من الاعتدال في خلفهم وخلفهم ما اقتضاه مزاج
 اهلهم وتبعه من جانيبه الثالث والخامس وان لم يبلغا غاية التوسط لميل هذا قليلاً الى
 الجنوب الحار وهذا قليلاً الى الشمال البارد الا انهما لم ينحيا الى الانحراف وكانت الاقاليم
 الاربعة معرفة واهلها كذلك في خلفهم وخلفهم فالاول والثاني للحر والسود والسابع
 للبرد والبياض وبني سكان الجنوب من الاقليمين الاول والثاني باسم المحبشة والرخ
 والسودان اسماء مترادفة على الامم المتغيرة بالسود وان كان اسم المحبشة مختصاً منهم بن
 تجاه مكة ولبن والبنج بن تجاه بحر الهند وليست هذه الاسماء لهم من اجل انتمساجهم الى
 ادبي اسود لا حام ولا غيره وقد نجد من السودان اهل الجنوب من يسكن الرابع المعتدل
 او السابع المنحرف الى البياض فتبيض الولوات اعتقادهم على التدرج مع الايام وبالعكس
 فحين يسكن من اهل الشمال او الرابع بالجنوب فتسود الولوات اعتقادهم وفي ذلك دليل
 على ان اللون تابع لمزاج الهواء قال ابن سينا في ارجوزته في الطب
 بالاربع حر غير الاجسادا حتى كما جلودها سودا
 والقلب اكتسبت البياضا حتى غدت جلودها بضاضا
 واما اهل الشمال فلم يسمى باعتبار الارتفاع لان البياض كان لونا لاهل تلك اللغة الواضحة
 للاسماء فلم يكن فيه غرابة تحول على اعتباره في التسمية لما فتنه واعتياده ووجدنا سكانه
 من الترك والصقالبة والطفرغر والمخررو والمان والكثير من الافرنجية وياجوج وماجوج
 اسماء متفرقة واجبالاً متعددة مسمين اسماء متنوعة واما اهل الاقاليم الثلاثة المتوسطة اهل
 الاعتدال في خلفهم وخلفهم وسيرهم وكافة الاحوال الطبيعية للاعمار لديهم من المعاش
 والمساكن والصنائع والعلوم والرياسات والملك فكانت فيهم السويات والملك والدول
 والشرايع والعلوم والبدان والامصار والمباني والفراسة والصنائع النافذة وسائر الاحوال
 المعتدلة واهل هذه الاقاليم التي وقفنا على اخارهم مثل العرب والروم وفارس وبني
 اسرائيل واليونان واهل الهند والصين ولما رأى السابون اختلاف هذه الامم
 بساتمها وشعارها حسب ذلك لاجل الانساب فجعلوا اهل الجنوب كلهم السودان من ولد
 حام وارتابوا في الوانهم فتكلموا بغير تلك الحكاية الواهية وجعلوا اهل الشمال كلهم ان
 اكثرهم من ولد يافث واكثر الامم المعتدلة واهل الوسط المتخولون بالعلوم والصنائع والملا

على الألبان وتعرضهم من الخطئة أحسن معاض وتبد مع ذلك هؤلاء الناقضين للجنوب
والآدم من أهل النار أحسن حالاً في جسيمهم وأخلاقهم من أهل النول المتخشين في
العيش فالويل لهم أصنى وأبدانهم اتقى وأيكلمهم أتم وأحسن وأخلاقهم أبعد من الانحراف
وأذهانهم أنوب في المعارف والأذراكات هذا أمر تشهد له التجربة في كل جيل منهم
فكثير ما بين العرب والبربر في صفاء وبين المثبتين وأهل النول يعرف ذلك من
خبره والسبب في ذلك والله أعلم أن كثرة الأغذية ورطوبتها تترك في الجسم فضلات
ردئة ينشأ عنها بعد إقطارها في غير نسبة وكثرة الاغلاط الفاسدة العفنة ويتبع ذلك
انكساف الألوان وقبح الاشكال من كثرة اللحم كالفناء وتغلى الرطوبات على الأذهان
والأفكار بما يصعد إلى الدماغ من ابتزجها الردئة فينبئ البليدة والعفنة والانحراف عن
الاعتدال بالجسملة واعتبر ذلك في حيوان الفئر ومواطن الجرب من الغزال والنعام
والها والزرزافة والسمير الوحشية والفرع أمثالها من حيوان النول والارياف والمراعي
الخصبة كرسجد بيتها بونا بهيمة في صفاء أدبها وحسن رونقها وأشكالها وناسب اعضائها
وحدة مداركها فالغزال أخو المعز والزرزافة أخو البعير والفرع أخو الجمار والبئر
والون بيتها ما رايت وما ذاك إلا لاجل أن الخصب في النول فعل في أبدان هذه من
النصلات الردئة والاعلاط الفاسدة ما ظهر عليها اثره والنجوس لحيوان الفئر حسن في
خلفها وأشكالها ما شاء واعتبر ذلك في الآدميين أيضاً فاننا نجد أهل الافا ليم الخصب والعيش
الكثيرة الزرع والضرع والآدم والنفاكه يتصف أهلها غالباً بالبليدة في أذهانهم والخبثونة
في اجسامهم وهذا شأن البربر المتخشين في الآدم والخبثونة مع المتخشين في عيشهم المقتصرين
على الشهير والذرة مثل المصادة منهم وأهل بخارة والسوس فيجد هؤلاء أحسن حالاً
في عقولهم وجسيمهم وكذا أهل بلاد المغرب على الجسملة المتخشين في الآدم والبربر مع أهل
الاندلس المفقود بأرضهم السحرة وغالب عيشهم الذرة فيجد لأهل الاندلس من ذكاء
العقول وخفة الاجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لديهم وكذا أهل الضواحي من المغرب
بالجسملة مع أهل الحضرة والامصار فان أهل الامصار وإن كانوا مكثرين مثلهم من الآدم
ومحصنين في العيش إلا أن أشغالهم أياها بعد العلاج بالطبخ والتطليط بما يحتاجون منها
قد ذهب لذلك غلظها وبرق قيامها وعامة ما كالم يوم الفان والدجاج ولا يعطون
السن من بين الآدم لثناهم فتقل الرطوبات لذلك في اغذيتهم وينف ما تؤدبوا إلى
اجسامهم من الفة الذرة فذلك نجو جسيم أهل الامصار البلب من جسيم الآدميين

البحر واشتهروا كانت حصصهم من توائج الحرارة في الفرح والخفة موجودة أكثر من بلاد
الثلول والجبال الباردة وقد نجد يسيراً من ذلك في أهل البلاد الجزيرية من الأقاليم
الثالثة لتوفر الحرارة فيها وفي هوائها لأنها عريضة في الجنوب عن الأرياف والثلول
واعتبر ذلك أيضاً بأهل مصر فإنها في مثل عرض البلاد الجزيرية أو قريباً منها كيف
غلب الفرح عليهم والخفة والغلة عن العواقب حتى أنهم لا يدخرون أوقات سنتهم ولا
شهرهم وعامة ما كلهم من أسواقهم . ولما كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في
التوغل في الثلول الباردة كيف ترى أهلها مطرقين أطراق الحزن وكيف افرطوا في نظار
العواقب حتى أن الرجل منهم لا يدخرون سنتين من محبوب الحنطة وسائر الأسواق
لشراء قوت وليليوه متضافان يبرزاً شيئاً من مدخره وتنفع ذلك في الأقاليم والدلن تجد
في الأخلاق آثاراً من كفيات الهواء والله المخلوق العليم . وقد تعرض المسعودي للبحث
عن السبب في خفة السودان وطيشهم وكثرة الطرب فيهم وحاول تعاليله فلم يأت بشيء
أكثر من أنه نقل عن جالينوس ويعقوب بن إسحاق الكندي أن ذلك لضعف آدميتهم
وما نشأ عنه من ضعف عقولهم وهذا كلام لا يحصل له ولا رهان فيه والله يهدي من يشاء
إلى صراط مستقيم

المقدمة الخامسة

في اختلاف أحوال البهمن في الخصب والجوع وما ينتج عن ذلك
من الآثار في إبدان البشر وأخلاقهم

اعلم . أن هذه الأقاليم المعتدلة ليس كلها يوجد بها الخصب ولا كل سكانها في رغد
من العيش بل فيها ما يوجد لاهل خصب العيش من المحبوب والادم والخفة والفواكه
لزكاه المابت واعتدال الطبيعة ووفرة العبدان وفيها الأرض الحرة التي لا تبنت زرعاً
ولا عشباً بالجملة فسكانها في شطف من العيش مثل أهل الحجاز وجنوب اليمن ومثل
المليين من صناجة الساكنين بصحراء المغرب وأطراف الرمال فيما بين البربر والسودان
فإن هؤلاء يفقدون المحبوب والادم جملة وإنما اغذيتهم وأقواتهم الألبان واللحم ومثل
العرب أيضاً الجبالين في القفار فإنهم وإن كانوا يأخذون المحبوب والادم من الثلول إلا
أن ذلك في الأحايين ونجست ربة من حاميتها وعلى الأقاليم لثلة وخدم فلا يتوصلون
منه إلى سد الحلة أو دونها فضال عن الرغد والخصب وتجدد يقتضون في غالب الأحوال

التغذي والملاءمة فيصير غذاء ما لو كان بالعادة فاذا اخذ الانسان نفسه باستعمال اللين
 واللين عوضاً عن المحنطة حتى صار له ديدناً فقد حصل له ذلك غذاء واستغنى به عن
 المحنطة والمجرب من غير شك وكذا من عود نفسه الصبر على الجوع والاستغناء عن
 الطعام كما ينبت عن اهل الرياضات فانا نسمع عنهم في ذلك اخباراً غريبة يكاد ينكرها
 من لا يعرفها والسبب في ذلك العادة فان النفس اذا آلتت شيئاً صار من جبايتها وطبيعتها
 لانها كثيرة التلون فاذا حصل لها اعتياد الجوع بالتدرج والرياضة فقد حصل ذلك
 عادة طبيعية لها وما يتوجه الاطباء من ان الجوع هلك فليس على ما يتوهونه الا اذا
 حملت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء بالكلية فانه حينئذ ينضم المعاء وينال للمرض
 الذي يجنى معه الهلاك وما اذا كان ذلك القدر تدريجياً ورياضة باقلال الغذاء شيئاً
 فثباتاً كما يفعله المتصوفة فهو بمنزلة عن الهلاك وهذا التدرج ضروري حتى في الرجوع
 عن هذه الرياضة فانه اذا رجع به الى الغذاء الاول دفعة خيف عليه الهلاك وانما يرجع
 به كما بدأ في الرياضة بالتدرج ولقد شاهدنا من يصبر على الجوع اربعين يوماً وصلاً
 وأكثر. وحضر اتياناً بحسب السلطان الي الحسن وقد رفع اليه امرأتان من اهل الجزيرة
 المخضراء ورندة حبستاً أنفسهما عن الأكل جملة منذ سنين وشاع امرها ووقع اخبارها
 ففتح شأنها واصل على ذلك حالها الى ان ماتتا وراينا كثيراً من اصحابنا ايضاً من يقتصر
 على حليب شاة من المعز يلتزم ثديها في بعض النهار او عند الافطار ويكون ذلك غذاءه
 واستدام على ذلك خمس عشرة سنة وغيرهم كثير ولا يستنكر ذلك. واعلم ان الجوع اصل
 اللين من اكثر الاغذية بكل وجه لمن قدر عليه او على الاقلال منها وان له اثر في
 الاجسام والعقول في صنائعها وصلاحها كما قلناه واعذر ذلك باثار الاغذية التي تفصل
 عنها في الجسم فقد راينا المتغذين بالجوع الميوهات النافعة العظيمة الجفان تنشأ اجسامهم
 كذلك وهذا مشاهد في اهل البادية مع اهل الحضارة وكذا المتغذون بالابل
 ولجودها ايضاً مع ما يؤثر في اخلاقهم من الصبر والاحتمال والقدرة على حمل الاثقال
 الموجود ذلك للابل ونشأ امعاظهم ايضاً على سبة امماء الابل في الصحة والغلظ فلا
 يطرقها الوهن ولا الضعف ولا ينالها من مضار الاغذية ما ينال غيرهم فيسربون اليه
 لا إطلاقاً بطولهم غير مجموعته كما يحفظ قبل طهيها والدراس والفريوت ولا ينال
 امعاظ منها ضروري لو تناولها اهل الحضارة الرقيقة امعاظهم بما نشأت عليه من لطيف
 الاغذية لكان الهلاك اسرع اليهم من طرفه العين لما فيها من الهمة ومن تاثير الاغذية في

الخشدين في العيش وكذلك تجد المعودين بالمجوع من اهل البادية لا فضلا
 غليظة ولا لطيفة . واعلم ان اثر هذا الخصب في البدن واحواله يظهر حتى في
 العبادة فتجد المتقشفين من اهل البادية او الحاضرة ممن ياخذ نفسه بالمحجور
 الملاذ احسن دينيا واقبالا على العبادة من اهل الترف والخصب بل تجد
 قليلين في المدن والامصار لما يعمها من القسوة والنفقة المتصلة بالاكثار من
 وابواب البر ويخص وجود العباد والزهاد لذلك بالمتقشفين في غذائهم من
 وكذلك تجد حال اهل المدينة المزاجية في ذلك يختلف باختلاف حالها في الزمان
 وكذلك تجد هؤلاء المخصين في العرش المتقشفين في عيشهم من اهل البادية
 المحاضر والامصار اذا نزلت بهم السنون واخذتهم المجاعات يسرع اليهم الهام
 غيرهم مثل برابرة المغرب واهل مدينة فاس ومصر فيما يبلغنا لا مثل العرب
 والاصغرياء ولا مثل اهل بلاد النحل الذين عالب عيشهم التمر ولا مثل اهل
 العهد الذين عالب عيشهم الشعير والزيت واهل الاندلس الذين عالب
 والزيت فان هؤلاء وان اخذتهم السنون والمجاعات فلا تنال منهم ما تنال
 ولا يكثر فيهم الهلاك بالمجوع بل ولا يندر والسبب في ذلك والله اعلم ان
 الخصب المتعود للادم والسم خصوصا كتكتسب من ذلك امعا وم
 رطوبتها الاصلية المزاجية حتى تجاوز حدها فاذا خولف بها العادة بقلة الية
 ادم واستعمال الخشن غير المألوف من الغذاء اسرع الى المكاليس و
 عضو ضعيف في العناية فيسرع اليه المرض ويهلك صاحبه دفعة لانه
 فالهاككون في المجاعات انما قد لهم الشبع المعتاد السابق لا المجوع الحادث الا
 المتعودون للثة ادم والسم فلا تزال رطوبتهم الاصلية وافقة عند
 غير زيادة وهي قابلة لجميع الاغذية الطبيعية فلا يقع في معام يتبدل
 ولا انحراف فيسلمون في الغالب من الهلاك الذي يعرض لغيرهم بالخصب
 في الماكل وأصل هذا كقولنا ان تعلم ان الاغذية والنباتات او تركها انما هو بال
 نفسه غذاء ولا حمة تناولها كان له مألوقا وصار الخروج عنه والتبدل به داء
 عرض الغذاء بالمحبة كالسوم والذوق^(١) وما افراط في الانحراف قائما

ا ما ل في النار . الذريع كصور او تنور سات الى دار جميل حريق مطيع والشمير سنة حنة
 والعرطوما والامردا . والمالزون والخللست والشر وكل البوخت اذا السعالت في غير وجهها ١١

يرمون الانبياء بالمجنون ويقولون له رغبنا اوتاع من الجن وانما ليس علمهم بما شاهدوه
 من ظاهرك الا حول ومن يضل الله فانه من هادم ومن علاماتهم ايضا انه يوجد
 لهم قبل الوحي خلق الخبير والركاء وشجاة المذمومات والرجس اجمع وهذا هو معنى
 العصمة وكأنه دفعه على التنزه عن المذمومات والمناقرة لها وكانها مناقرة للمجنون في
 الصنيع انه عمل المجاهرة وهو غلام مع عمو العباس الكهنة فبهلها في اواره فانكشف
 فسقط مغشياً عليه حتى استتر بازاره ودعي الى عينية وامة فيها عرس ولعب فاصابة غشي
 اليوم الى ان طلعت الشمس ولم يضر شيئاً من شأنهم بل نزهة الله عن ذلك كله حتى انه
 يجلبك ينزهه عن المذمومات المستكره فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يقرب الصل والذين
 يقول له في ذلك فقال الى اتاجي من لا تاجون وانما لا استر النبي صلى الله عليه وسلم
 خديعة روي عنها بحال الوحي اول ما فجأة تارادت اختباره فتالت اجعلني بينك
 وبين نوبك فلما قيل ذلك ذهب عفة فقال له ملك وليس بشيطان ومعناه انه لا
 يقرب الناس وكذلك ما لقى من أحسن الثياب اليوان ياتيه فيها فقال العباس والخضرة
 فقال له ان الملك يعني ان الناس والخضرة من الوان الخبير والملائكة والبراد من الوان
 الشر والبايعين وانما لك ذلك ومن علاماتهم ايادهم الى الدين والعباد من الله ملا
 والصدقة والنفاء وقد استدل على صدقه صلى الله عليه وسلم بذلك وكذلك
 ابو بكر ولم يمتنع في امره الى دليل خارج عن حواه وما روي في الصحيح ان هرقل اعترف
 بجاهه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام احضر من وجد به من قرين
 وفيهم اوسيان ليس لهم عن حاله وكان فيما سأل ان قال يتم بامرهم فقال ابو سفيان
 بالاحياء والزكاة والاله والنفاء الى اخر ما سأل فاجابه فقال ان يكن ما تقول
 فهو نبي ورسول الله ما لله في قديم هاتين والنفاء الذي ازاله هرقل هو العصمة فادار
 كيف اخذ من العصمة والدعاء الى الدين والعبادة ليلاً على سبعة نوزع ولم ينج الى دعوة
 رذل بل ان ذلك من علامات الدعوة ومن علاماتهم ايادهم ان يكونوا ذوي مصيب في
 قلوبهم وفي الصحيح ما رواه الله سبحانه الا في ربيعة من قوله وفي رواية اخرى في ربيعة من قوله
 استدركوا انماكم على التبيين وفي مسألة هرقل لابي سفيان كما هو في التبيين قال كيف
 هو فكم فقال ابو سفيان هو فبنا خير مصيب فقال هرقل والرسول صلى الله عليه وسلم
 قوماً وانه ان تكمن الدعوة وسهولة من اذى الكفار حتى ان رساله روي

اقول ان هذا هو الذي روي في التاريخ

الابدان ما ذكره اهل الفلاحة وشاهدة اهل التجربة ان الدجاج اذا غلبت بالحبوب المطبوخة في بعر الابل واتخذ يعضها ثم حضنت عليه جاء الدجاج منها اعظم ما يكون وقد يستغنون عن تغذيتها وتلج الحبوب بطرح ذلك البعر مع البيض المحض فيعني دجاجها في غاية العظم وامثال ذلك كثيرة فاذا راينا هذه الآثار من الاغذية في الابدان فلا شك ان المجموع ايضا آثارا في الابدان لان الفدين على نسبة واحدة في التأثير وعده فيكون تأثير المجموع في نقاء الابدان من المبادات الفاسدة والرطوبات المختلطة المحملة بالجسم والعقل كما كان الغذاء مؤثرا في وجود ذلك الجسم والله محيط بهلمو

المقدمة السادسة

في احواف المدرسين الغريب من البشر بالنبذة اوبالرياضة

وبقدمة الكلام في الوحي والرويا

اعلم ان الله سبحانه اصدقائي من البشر اخصافا فاضلهم بمطابو وفطرم على معرفته وحيلهم وسائل بينة وبين عبادي يعرفونهم بمصالحهم ويحضرهم على هداهم وباخذون بحجراتهم عن النار ويدلوهم على طريق النجاة وكان فيما يلقى اليهم من المعارف ويقطعهم على السنتهم من الخوارق والاحبار الكائنات المغيبة عن البشر التي لا سبيل الى معرفتها الا من الله بواسطتهم ولا يعلمونها الا بتعليم الله اياهم قال صلى الله عليه وسلم الا واني لا اعلم الا ما علمني الله واعلم ان خبرهم في ذلك من خاصيته وضرورية الصدق لما يتبين لك عند بيان حقيقة النبوة وعلامة هذا الصنف من البشر ان توجد لهم في حال الوحي غيبة عن المحاضرين معهم مع غطيط كانهما غشي او اغشاء في رأي العين وليست منهما في شيء وانما هي في الحقيقة استغراق في لقاء الملك الروحاني باذراكهم المناسب لم الخارج عن مدارك البشر الكلية ثم يتنزل الى المدارك البشرية اما بسماع دوي من الكلام فينتبه او يتنزل له صورة شخص يخاطبه بما جاء به من عند الله ثم تقلي عنه تلك الحال وقد وعي ما القى اليه قال صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الوحي احبانا يا نبي مثل صلصلة الجرس وهو اشد علي فينصم عني وقد وصيت ما قال واحبانا ثم لي يا الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول ويدركه أثناء ذلك من الشدة والنقل ما لا يعبر عنه في الحديث كان ما يعالج من التنزيل شدة وقالت عائشة كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فينصم عنه وان جبينه ليبتعد عرقا وقال تعالى انا سئلتك عليك قولاً ثقيلاً ولاجل هذه الحالة في تنزل الوحي كان المشركون

خواص النفس النبوية لا بانه يتنزل منزلة القول الصريح بالتصديق فلذلك لا تكون
دلائلها عندهم قطعية كما هي عند المتكلمين ولا يكون التحدي جزءاً من المجيزة ولم يصح
فارقاً لها عن السير والكرامة وفارقها عندهم عن السير ان النبي يهبول على افعال الخير
مصرف عن افعال الشر فلا يلزم الترتيب رفقاً والساحر على الصد فافعاله كلها شر وفي
مقاصد الشر وفارقها عن الكرامة ان خوارق النبي مخصوصة كالصعود الى السماء والنفوذ في
الاجسام الكثيفة واحياء الموتى وتكليم الملائكة والدليلان في الهواء وخوارق الولي دون
ذلك ككثير القليل والمحدث عن بعض المستعملين ما قاله ما هو قاصر عن تصريف
الانبياء وباتي النبي بجميع خوارق ولا يقدر هو على مثل خوارق الانبياء وقد قرر ذلك
المصوف في كنهه في طريقتهم ولغيره عن اخرهم واذا نقرر ذلك فاعلم ان اعظم
المجيزات واشرفها واشرفها دلالة القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فان الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي وباتي بالمجيزة شاهدة
بصدق القرآن هو بنفسه الوحي المدعي وهو الخارق المميز فشاهدة في عينه ولا يفتقر الى
دليل مغايرة كسائر المجيزات مع الوحي فواضح دلالة الاتحاد الدليل والمبدول فيه وهذا
معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا واتي من الآيات ما مثله آمن
عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحياً اوحى الي فانا ارجو ان يكون اكبرهم تابعاً يوم
القيامة يشهد الى ان المجيزة متى كانت بهذه الخفاة في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونه
نفس الوحي كان الصدق لها اكثر لوضوحها فكثير المصدق المؤمن وهو التابع والامة
ولذلك كرر الان تفسير حقيقة النبوة على ما شرحت كثيراً من المختصين

ثم نذكر حقيقة الكهانة ثم الروما ثم شأن الصرافين

وشير ذلك من مدارك النبي فتقول

اعلم . ارشدنا الله واياله انا شاهد هذا العالم بما فيه من المحلقات كلها على هيئة
من الترتيب والاحكام وراعى الاسباب والمسببات واتصال الاكوان بالاكوان واستمالة
بعض الموجودات الى بعض لانقضي عيائنه في ذلك ولا تنتهي عيائنه وأبدأ من ذلك
بالعالم المسموس المحتاي واراد عالم العاصر المشاهدة كيف تدرج صاعداً من الارض الى
الماء ثم الى الهواء ثم الى النار متصلاً بعضها ببعض وكل واحد منها مستعد الى ان يستعمل
الى ما يليه صاعداً وهابطاً ويستعمل بعض الاوقات والصاعد منها الطيف ما قبله الى ان

مراد الله من آكال دينه وملته. ومن علاماتهم ايضاً وقوع المخارق لم شهادة بصدقهم وهي
 افعال يعجز البشر عن مثلها فهيت بذلك مميزة وليست من جنس مقدور العباد واما
 تقع في غير محل قدرهم والناس في كنية وقوعها ودلائها على تصديق الانبياء خلاف
 فالتكلمون بناء على القول بالباعل المختار قائلون بانها واقعة بقدره الله لا يفعل النبي وان
 كانت افعال العباد عند المعتزلة صادرة عنهم الا ان الميزة لا تكون من جنس افعالهم
 وليس الذي فيها عند سائر المتكلمين الا القهدي بها باذن الله وهو ان يستدل بها
 النبي صلى الله عليه وسلم قبل وقوعها على صدقوه في دعاء فاذا وقعت تنزل منزلة القول
 الصريح من الله مائة صادق وتكون دلائها محيطة على الصدق قطعية فالميزة الدالة
 بمجموع المخارق والقهدي واذ لك كان القهدي جزءاً منها وعبارة المتكلمين صفة نفسها
 وهو واحد لانه معنى الثاني عندهم والقهدي هو الفارق بينها وبين الكرامة والبراد لا
 حاجتها الى التصديق فلا وجود القهدي الا ان وجد اتفاقاً لوقوع القهدي في الكرامة عند
 من يميزها وكانت لها دلالة فاعلم على الولاية وهي غير البرقة من هنا استنادا بواقي وغيره
 وقوع المخارق كرامة فراراً من الالباس بالنسبة عبد القهدي بالولاية وقد اربنا لما الميزة
 بينها وانه يقضي بغير ما يقضي به النبي فلا يس على ان الفل عن الاستاذ في ذلك
 ليس صريحاً وربما حمل على انكار لان تقع مخارق الانبياء لم بناء على اختصاص كل من
 المرتبة بمخارقه. واما المعتزلة فالمانع من وقوع الكرامة عندهم ان المخارق ليست من
 افعال الله اذ وافعالهم معادة فلا مرق واما وقوعها على يد الكاذب، نلبساً فهو محال اما
 عند الاشعرية فلان صفة نفس الميزة التصديق والمداية فلو وقعت بخلاف ذلك انقلب
 الدليل شبهة والمداية ضلالة والتصديق كذباً واستقامت الحقائق وانفادت صفات النفس
 وما يلزم من فرض وقوعه المحال لا يكون ممكناً واما عند المعتزلة فلان وقوع الدليل
 شبهة والمداية ضلالة فبقي فلا يقع من الله. واما الحكمة فالمخارق عندهم من فعل النبي
 ولو كان في غير محل القدرة بناء على مذهبه في الايجاب الثاني ووقوع المخارقات بعضها
 عن بعض متوقف على الاسباب والترويض المحادثة مستندة اثيراً الى الواجب الباعل
 بالذات لا بالاختيار وان النفس النورية عندهم لها خاص فانية منها دور هذه المخارق
 بقدرته وطاعة العناصر في الكون والنبي عندهم محمول على التصريف في الاكوان منها
 توجه اليها واستميع لها بما جعل الله له من ذلك والمخارق عندهم تقع للنبي كان القهدي ام
 لم يكن وهو شاهد بصدقهم من حيث دلالة على تصرف النبي في الاكوان الذي هو من

الباطن واوله الحسن المشترك وهو قوة تدرك المحسوسات مبصرة ومسموعة ولموسة وغيرها في حالة واحدة وبذلك فارقت قوة المحس الظاهر لان المحسوسات لا تزدحم عليها في الوقت الواحد ثم يتعدى المحس المشترك الى الخيال وفي قوة قبل الشيء المحسوس في النفس كما هو مجرد عن المواد الخارجية فحفظ رتبة هاتين القوتين في تدبرها المبدأ الاول من الدماغ مقدمة للاولى وهو مغرفة الثانية ثم يرتقي الخيال الى الراهة والمحافظة فالراهة لا ادراك المعاني المتخلفة بالتخصيات كمدارة زيد وصداقة عمرو ورحمة الاب وبافتراض الذنب والمحافظة لا يداع المدركات كلها متغيرة وهي لما كانت رتبة تحتفظها لوقت الحاجة اليها وانه هاتين القوتين في تصرفها المبدأ من الدماغ اولى للاولى ومن ثمرة الاخرى ثم يرتقي جميعها الى قوة الفكر واوله الدخان الاوسط من الدماغ وهي القوة التي تقع بها مركز الرؤية والوجه نحو النمل فمركز النفس بها دائما لما ركب فيها من التزويج للنفس من درك القوة والاستعداد الذي للبشرية وتفرج الى الفعل - في نقلها متدبئة بالملاءم الا على الروحاني وتصور في اول مراتب الروحانيات في ادراكها بغير الآلات الجسمانية فهي متمركزة دائما ومتوجهة نحو ذلك وقد تبلغ بالكمال من البصرية وروحانياتها الى الملائكة من الاعلى الاعلى من غير اكتساب بل بما جعل الله فيها من البجالة والطيرة الاولى في ذات النفوس البشرية على ثلاثة اصناف صنف طاهر بالذات عن الرذول الى الادراك الروحاني فتنوع بالتحركة الى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية وترتيب المعاني من المماناة والراهة على قوانين موصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية والصدقية التي الفكر في البدن وكلها خيالي فينبصر نفاقه اذ هو من جهة مبدئية ينتمي الى الاوليات ولا يتجاوزها رأت فسدت فدمها بعدد ما بعدد في الاعقاب نطاق الادراك البشري الجمالي والو تنهي مدارك العلماء وفي ترسخ اندامهم وصف متوجه بتلك المحرك الفكرية نحو العقل الروحاني والادراك الذي لا يتفرق الى الالات الدنية بما يجعل فيكون من الاستعداد لذلك فيفسح نطاق ادراكه عن الاوليات التي هي الدقائق الادراك الاول الذي رتب في ذوات الملائكة الطاهرة من رتبته انما هي الدقائق الاولى ولا ينسبها وعنده مدارك العلماء الاولاد اهل الايام الثلاثة لما اشارت الربا في الاصله بعد الموت لافل السمادة ثم التبرخ وصفه في الايام من الاربعة سجلة جسمانياتها وروحانياتها الى الملائكة من الاعلى ليعود في جهة من السمات والافعال بالفعل ويحصل له شهود الملا الاعلى في افقهم وسماع الكلام النسيك والمخاطبات الالهية في

يبتني الى عالم الافلاك وهو الغلف من الكل على طبقات اتصل بعضها ببعض على هيئة
لا يدرك الحس منها الا الحركات فقط وبها يهتدي بعضهم الى معرفة مقاديرها وادوارها
وما بعد ذلك من وجود الدورات التي لها هذه الآثار فيها ثم انظر الى عالم التكوين كيف
ابتدأ من الامادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بدية من التدرج اخر افعى المعادن متصل
باول افعى النبات مثل الحشائش وما لا يدرك واخر افعى النبات مثل الفل والكرم متصل
باول افعى الحيوان مثل الحظرون والصدف ولم يوجد لها افعى اللس فقط ومعنى الاتصال
في هذه المكونات ان آخر افعى منها مستعد للاستعداد القريب لان يصير اول افعى الذي
بعده واتسع عالم الحيوان وتحدث اساعة وانتهى في تدرج التكوين الى الانسان صاحب
الفكر والروية ترتفع اليه من عالم القدرة الذي اجتمع فيه الحس والادراك ولم يبق الا الروية
والفكر بالفعل وكان ذلك اول افعى من الاسنان بعده وهذا غاية تهبودنا ثم ان نجد في العالم
على اختلافها آثارا متبرعة ففي عالم الحس آثار من حركات الافلاك والناصر وفي عالم
التكوين آثار من حركة النور والادراك تنبئ كلها بان لها مؤثرا بما لا الاجسام فهو
روحاني ويصل بالمكونات لوجود اتصال هذا العالم في وجودها وذلك هو النفس
المدركة والحركة ولا بد فونها من وجود اخر يعلمها قوى الادراك والحركة ويقدر
بها ايضا ويكون ذاته اسرا كاصرفا وتمتاز بنفسها وهو عالم الملائكة فوحب من ذلك ان
يكون للنفس استعداد للانسلاخ من البرية الى الملائكية ليدبر بالفل من جس
الملائكة وقتا من الاوقات في لغة من اللامات وذلك بعد ان تكمل ذاتها الروحية
بالفعل كما تذكر به ويكون لها اتصال بالاق الذي بعده ما شان الموجودات القريبة
كافد ناهيها في الاتصال جهتها الما والسئل هي متصلة بالبدن من انزل منها
وتكتسب به الادراك المسموعة التي تستعمل بها الوصول على العقل والتميز وبنية من
جهة الاعلى منها فان الملائكة وكسبة به الادراك الحسية والبرية فان عالم الحوادث
ووجود سبغ تعقلهم من غير زمان وهذا على ما قدمناه من الترتب الحكم في الوجود
بالاتصال ذاته وقراءة احسبها بهيصة ثم ان هذه النفس الاساسية عاتية عن الاسرار والارها
ظاهرة في البدن فكأنه جميع اجزائه مسموعة ومفترقة الامت للنفس ولولاها اما الناعية
بالدعش بالبدن الذي بالزجل والكلام بالاسان والحركة الكلية بالبدن متدافعا ومسا
المدركة وان كانت قوى الادراك مرتبة ومرتبة الى القوة العليا منها ومن الملائكة التي
يعبر عنها بالناطقة فتوى الحس الظاهرة بالانتهى من السمع والبصر وسائرها يرتقي الى

قولاً ثانياً وقالت عائشة كان ما يعاني من التنزيل شدة وقالت كان ينزل عليه الوحي
 في اليوم الشديد البرد فينضم عنه وإن جبينه ليمتد عرقاً ولذلك كان يحدث عنه في
 تلك الحالة من الغيبة والغطيط ما هو معروف وسبب ذلك أن الوحي كما قررنا منارفة
 البشرية إلى المدارك الملكية وتلقي كلام النفس فيحدث عنه شدة من منارفة الذات ذاتها
 وانسلاخها عنها من أفقها إلى ذلك الأفق الآخر وهذا هو معنى الغطر الذي عبر به
 في مبدأ الوحي في قوله فغطيت حتى بلغ مني المجهل ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ
 وكذا ثانية وثالثة كما في الحديث وقد ينفي الاعتياد بالاندرج فيه شيئاً فشيئاً إلى بعض
 السهولة بالقياس إلى ما قبله ولذلك كان تنزل شيم القرآن وسورة وآية حين كان بمكة
 أقصر منها وهو بالمدينة وانظر إلى ما نقل في نزول سورة براءة في غزوة تبوك وأنها نزلت
 كلها أو أكثرها عليه وهو يصير على ناقته بعد أن كان بمكة ينزل عليه بعض السورة من
 قصار المتصل في وقت وينزل الباقي في حين آخر وكذلك كان آخر ما نزل بالمدينة
 آية الدين وهي ما هي في الطول بعد أن كانت الآية تنزل بمكة مثل آيات الرحمن
 والذاريات والمدثر والنحي والنبي والمتالم واعين من ذلك علامة فيزجها بين المكي
 والمدني من السور والآيات والله المرشد إلى الصواب هذا يحصل أمر الدعوة . وأما
 الكهانة . فهي أيضاً من خصاص النفس الإنسانية وذلك أنه قد تقدم لنا في جميع ما مر
 أن النفس الإنسانية استعدت للانسلاخ من البشرية إلى الروحانية التي فوقها وأنه يحصل
 من ذلك لحة للبشر في صنف الأنبياء بما فطروا عليه من ذلك وتقرانه يحصل لهم من
 غير اكتساب ولا استعانة بشيء من المدارك ولا من التصورات ولا من الأفعال البدنية
 كلياً أو حركتها ولا بأمر من الأمور إنما هو انسلاخ من البشرية إلى الملكية بالطاعة في
 لحظة أقرب من لمح البصر وإذا كان كذلك وكان ذلك الاستعداد موجوداً في الجماعة
 البشرية فيعطى التقسيم العقلي أن هنا صنفاً آخر من البشر ناقصاً عن رتبة الصنف الأول
 نقصان الشدة عن ضده الكامل لأن عدم الاستعانة في ذلك الإدراك ضد الاستعانة فيه
 وشئان ما بينهما فإذا أعطي تقسيم الوجود أن هنا صنفاً آخر من البشر منطوياً على أن
 تتحرك قوته العقلية بحركتها الفكرية بالإرادة عندما يجتمعها النوع لذلك وهي ناقصة عنه
 بالجملة فيكون لها بالجملة عندما يهوقها البهر عن ذلك تشبه بأمر جزئية محسوسة أو
 متبيلة كالاجسام المتناقضة وعظام الحيوانات وجميع الكلام وما ينشأ من طائر أو حيوان
 فيستندم ذلك الاحساس أو الخيال مستعيناً به في ذلك الانسلاخ الذي يقصده ويكون

تلك اللعنة ومؤلاه الانبياء صارت اشوسلامه عليهم جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية
 في تلك اللعنة وفي حالة الوحي فطوره الله عليها وجعله صورهم فيها ونزهم عن
 موانع البدن وعوائقها داما ملاسهم لها بالبشرية بما ركب في غرائزهم من القصد
 والاستقامة التي يجاذون بها تلك الوجهة وركر في طلباتهم رغبة في العباداة فكشف تلك
 الوجهة وتبغى شوهاهم بتوجهون الى ذلك الاقنى بذلك النوع من الانسلاخ متى شاءوا
 بذلك النظرة التي فطروا عليها لا باكتساب ولا صناعة فلدا توجهوا واستلجوا عن بشرتهم
 وتلقوا في ذلك الملا الأعلى ما يتلقونه عاجزا به على المدارك البشرية منزلا في قواها للحكمة
 التبليغ العباد فتارة يسمع دويًا كأنه رمز من الكلام ياخذ منه المعنى الذي اليه فلا
 ينفذي الدوي الا وقد وعاه وفهمه وتارة يتمثل له الملك الذي يلقى اليه رجالا فيكلمه ويبي
 ما يقوله والباقي من الملك والرجوع الى المدارك البشرية وفهمه ما اتى عليه كله كأنه في
 لحظة واحدة بل اقرب من بل البصر لانه ليس في زمان بل كلها تقع جميعا فظهر كأنها
 سريرة واحدة سميت وحيًا لان الوحي في اللغة الاسراع واعلم ان الاولى وهي حالة الدوي
 هي رتبة الانبياء غير المرسلين على ما حققته والثانية وهي حالة تمثيل الملك رجالا مخاطب
 هي رتبة الانبياء المرسلين ولذلك كانت اكمل من الاولى وهذا معنى الحديث الذي
 فسره النبي صلى الله عليه وسلم الوحي لما سألته الحارث بن هشام وقال كيف ياتيك
 الوحي فقال اني انا في مثل صلصلة الجرس وهو انة علي فيفصم عني وقد وعيت
 ما قال واحيا كما يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعني ما يقول وانما كانت الاولى اشد لانها
 مبدأ الخروج في ذلك الاتصال من الفترة الى التمثيل فيه سر بعض السر ولذلك لما
 عاج فيها على المدارك البشرية اخضعت بالسمع وصعب ما سواه وعند ما يتكرر الوحي
 ويكثر الثاني يسهل ذلك الاتصال فعند ما يعرج الى المدارك البشرية ياتي على جميعها
 وخصوصا الاوضح منها وهو ادراك البصر وفي العبارة عن الوحي في الاولى بصيغة الماضي
 وفي الثانية بصيغة المضارع لطيفة من البلاغة وهي ان الكلام جاء بيبي التمثيل الثاني
 الوحي فتمثل الحالة الاولى بالدوي الذي هو في المعارف غير كلام واخبر ان الهم
 والوعي يتبعه غيب انتضائي فناسب عند تصوير انتضائي وانتضالي العبارة عن الوحي
 بالماضي المطابق للانتضاء والانقطاع ومثل الملك في الحالة الثانية رجل مخاطب ويتم
 والكلام يساوقه الوعي فناسب العبارة بالمضارع المتقضي للتجدد واعلم ان في حالة
 الوحي كلها صعوبة على الجملة وشدة قد اشار اليها القرآن قال تعالى انا سئلتك عليك

زمن النبوة كما تخيد الكواكب، والمرجح عند وجود الشمس لان النبوة هي النور الاعظم
 الذي يضيئ معه كل نور ويذهب . وقد زعم بعض الحكماء انها اما توجد بين يدي النبوة
 ثم تقطع وهكذا مع كل نبوة وقعت لان وجود النبوة لا بد له من وضع فلنكن يتصور وفي
 تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التي دل عليها ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضي وجود
 طبيعة من ذلك النوع الذي يقتضيه نازمة وهو معنى الكاهن على ما قررناه قبل ان
 يتم ذلك الوضع الكامل يقع الوضع الناقص وبقي وجود الكاهن اما واحدا او متعددا
 فاذن تمام ذلك الوضع ثم ورد النبي بكامله وافضت الارض الملائكة على مثل تلك الطبيعة
 فلا يورث منها شيئا بعد . وهذا بناء على ان بعض الوضع الذي يقتضي بعض اثره وهو
 غير مسلم فاحل الوضع اما يقتضي ذلك الاثر بهما الخاصة ولو نقص بعض اجزائها فلا
 يقتضي شيئا لانه يقتضي ذلك الاثر ناقصا كما قالوا ثم ان هؤلاء الكهات اذا
 عاصروا زمن النبوة فانهم حارثون بمسئد النبوة ودلالة مبعوثه لان لم بعض
 المؤمنين من امر النبوة كالكل انسان من امر البور ومعرفة تلك المسئلة موجودة
 الكاهن ما يد ما لانهم ولا يصح عنهم ذلك ورواهم في التكذيب الآخرة المتابع في
 انفسا النبوة لم يفتروا في المصادقيا وضع لامة يوف الي الهات فانه كانت
 تليق ان بنا وكذا وقع لابن صادق واسامة وشريم فاذا غلب اذمان وانفد بعد تلك
 الاماني اعتبرا احسن ايمان كما وقع الحليمة الاسدي وسواد بن فاروق وكان ثمانية الفروحات
 الاسلامية من الآثار الشاهدة بحسن الايمان . ولما الروايات في حقها مطالعة النفس السامعة
 في ذاتها الروحانية لهة من صور الرافعات فاما عند ما تكون روحانية تكون صور
 الرافعات فيها موجودة باسفل كما هو شأن النوات الروحانية كلها وتصور روحانية ان
 تبرز عن الجراد السماوية والمدارك الدينية وقد يقع ذلك لعدة سبب اتمن كما نذكر
 فتنبس بها علم ما تدور اليه من الامور الممتدة ونود به الى مداركها فان كان ذلك
 الاقتباس شديدا وشبه حلي بالمشاكاة والمثال في الخيال انتقص فيحتاج من اجل هذه المشاكاة
 الى التعبير وقد يكون الاقتباس قويا يستغني فيه عن المشاكاة فلا يحتاج الى تعبير ملخص
 من الخيال والمثال والبر في وقوع هذه الشبهة بالنس اليها ذات روحانية باقية
 من المشاكاة بالبدن وداركها حتى تصير ذاتها تعاليمها ويكمل وجودها بالفضل وتكون
 حرة ذاتا روحانية مدركة بغير شيء من الآلات البدنية لان زعمها في الروحانيات
 دون موع الملائكة اهل الاخرة الاعلى على الذين لم يستكافوا في انفسهم من مدارك

كالمتبع له وهذه القوة التي فيها مبدأ لذلك الإدراك هي الكهانة ولكون هذه النفوس
 مغشورة على النقص والتصور عن الكمال كان إدراكها في الجزئيات أكثر بكثير من الكليات
 ولذلك تكون الخيلة فيهم في غاية القوة لأنها آلة الجزئيات فتعتمد فيها بقوة تاماً في نوم أو
 يقظة ويكون معها حاضرة عبيدة تحضرها الخيلة وتكون لها كالمراة تدبر فيها دائماً ولا
 يقوى الكائن على الكمال في إدراكه المعقولات لأن وحيه من وحي الشيطان وأرفع
 أحول هذا الصنف أن يستعين بالكلام الذي فيه السبع والمجازة ليستغل به عن المحاسن
 ويقوى بعض الشيء على ذلك الانفصال الناقص فيجس في قلبه عن تلك المبركة في الذي
 يشيعها من ذلك الاجتماعي ما ينفذه على لسانه فربما صدق ووافق الشيء وربما كذب لأنه
 يقيم نفسه بأمر اجتماعي عن ذاته المدركة ويدين ما غير ملائم فحرضه إلى الصدق والكذب
 جميعاً ولا يكون وثوقاً به وربما يفرغ إلى الشائون والتفتينات حرصاً على الظاهر بالإدراك
 يتركه وغوياً على المآثبات وأصحاب هذا السبع هم المتصورون باسم الكهان لأنهم أرفع
 أصنافهم وقد قال صلى الله عليه وسلم في ذلك هذا من سبع الكهانة فيجعل السبع شدة بهم
 بمقتضى الإصامة وقد قال ابن صياد حين سألته كاذباً عن مدارك بالانكار كذب بالانكار
 هذا الأمر قال يأتي صدق وكاذب فقال مضطرب عليك الأمر يعني أن التسعة خاصة بها
 الصدق فلا يتركها الكذب بحال لأنها اتصال من ذات النبي مالملا الأعلى من غيره
 مشع ولا استعانة بالشيء والكهانة الاستعانة صاحبها بسبب عزوه إلى الاستعانة بالصورات
 الاجتماعية كانت داخلة في إدراكه وإدراكه بالادراك الذي توجه إليه فصار من تلكها
 وطرفة الكذب من هذه الجهة فامتنع أن تكون نيرة وإنما فانا أن أرفع مراتب الكهانة
 حالة السبع لأن معنى السبع اخف من سائر المراتب من المراتب والمسموعات وتدل
 خفة المعنى على قرب ذلك الاتصال والادراك والحمد لله عن التميز بعض الشيء وقد
 زعم بعض الناس أن هذه الكهانة قد انقضت منذ زمن النبوة بما وقع من شأنهم من التباطؤ
 بالاشتغال بغير الدين ذلك كان لهم من خبر السوء كما وقع في القرآن والكهان
 أما يعرفون أخبار السوء من أباطيل فذلك الكهانة من يودع ولا يقوم من ذلك
 دليل لأن سامع الإيمان كما يكون من السوء يكون من السوء فيقسم إليه كما قرأنا في
 فاتحة إنما ندلت على مع الله بأشياء من نوع واحد من أخبار السماء وهو ما يتعلم به
 البعثة ولم يعمل ما سوى ذلك وإنما فانا كان ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط ولعلها
 حالات بعد ذلك إلى ما كانت عليه وهذا هو الظاهر لأن هذه المدارك كلها تشبه في

صار محالاً تارة الذات المبينة في جسمانيته وهي النفس الناطقة وصارت آثارها حاصلة في البدن بواسطته وقد كما قدمنا ان ادراكها على نوعين ادراك بالظاهر وهو المحسوس الخمس وادراك بالباطن وهو بالقوى الدماغية وان هذا الادراك كله صارف لها عن ادراكها ما فوقها من ذواها الروحانية التي هي مستعدة له بالنظرة ولما كانت المحسوسات الظاهرة جسمانية كانت معرضة للوسوس والنشيل بما يدركها من الذهب والاكال وتغشى الروح بكثرة التصرف فيخلق الله لها طالب الاستيعاب لتبذل الادراك على الصورة الكاملة وانما يكون ذلك بالتمسك بالروح الحيواني من المحسوسات الظاهرة كلها ورجوعه الى المحسوس الباطن ويعين على ذلك ما يغشى الذهن من البرد بالليل فتطلب الحرارة الغريزية اعماق البدن وتذهب من ظاهره الى باطنه فتكون مشبعة مركبةا وهو الروح الحيواني الى الباطن ولذلك كان النوم المذشر في الغالب انما هو بالليل فاذا انقضى الروح عن المحسوسات الظاهرة ورجع الى القوى الباطنة وغبت عن النفس شواغل المحسوسات وموانعها ورجعت الى الصورة التي في المحافظة تنزل منها بالتركيب والتفصيل صوراً خيالية وأكثر ما تكون معتادة لانها منتزعة من المدركات المتعاهدة قريباً ثم ينزلها المحسوس المشترك الذي هو جامع المحسوسات الطاهرة فيدركها على انتهاء المحسوسات الخمس الظاهرة وربما التفتت النفس لفئة الى ذواتها الروحانية مع منازعتها القوى الباطنية فتدرك بادراكها الروحاني لانها مظهورة عليه وتنبس من صور الاشياء التي صارت متعلقة في ذواتها حينئذ ثم ياخذ الخيال تلك الصور المدركة فيقبلها بالتحقيق او المحاكاة في القوالب المبرودة والمحاكاة من هذه هي المناجاة للتعبير وتصرفها بالتركيب والخيال في صور المحافظة قبل ان تدرك من تلك اللبنة ما تدركه في اضافات الاحلام وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الرويا ثلاث رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان وهذا التفصيل مطابق لما ذكرناه فالله من الله والمحاكاة الداعية الى التعبير من الملك واضافات الاحلام من الشيطان لانها كلها باطل والشيطان ينوع الادل هذه حقيقة الرويا وما يسببها ويشعرها من النوم وهي خواص للنفس الانسانية موجودة في البشر على العموم لا يتخلو عنها احد منهم بل كل واحد من الانساني راى في نومه ما صدر له في يقظته مراراً غير واحدة وحصل له على القطع ان النفس مدركة القلب في النوم ولا بد واذا جاز ذلك في عالم النوم فلا يمنع في غيره من الاحوال لان الذات المدركة واحدة وخواصها عامة في كل حال والله الهادي الى الحق بمحفوظه فصل «وروقع ما يقع للبشر من ذلك غالباً انما هو من غير قصد

البدن ولا غيره فهذا الاستعداد حاصل لما دامت في البدن ومدة خاص كالذي
 للأولياء ومدة عام للبشر على العموم وهو أمر الرويا . وأما الذي للأنبياء فهو استعداد
 بالانسياخ من البشرية الى الملكية المحضة التي هي أعلى الروحانيات ويخرج هذا الاستعداد
 فهم متكررا في حالات الوحي وهو عند ما يهرج على المدارك البدنية ويغمر فيها ما يقع
 من الإدراك شبهها بحال النوم شيئا بينما وإن كان حال النوم ادوية منه بكثير فلاجل
 هذا الشبه عبر الشارع عن الرويا بأنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وفي رواية
 ثلاثة وأربعين وفي رواية سبعين وليس العدد في جميعها مقصودا بالذات وإنما المراد
 الكثرة في تناوب هذه المراتب بدليل ذكر السبعين في بعض طرقه وهو للتكثير عند
 العرب وما ذهب اليه بعضهم في رواية ستة وأربعين من أن الوحي كان في مبدئها بالرويا
 ستة أشهر وهي نصف سنة ومدة النبوة كلها بمكة والمدينة ثلاثة وعشرون سنة فنصف
 السنة منها جزء من ستة وأربعين فكلام بعيد من التحقيق لأنه إنما وقع ذلك للحي صلى
 الله عليه وسلم ومن ابن لنا أن هذه المدة وقعت لغيره من الأنبياء مع أن ذلك إنما يعطى
 نسبة زمن الرويا من زمن النبوة ولا يعطى نسبة حقيقتها من حقيقة النبوة وإذا تبين لك
 هذا ما ذكرناه أولا علمت أن معنى هذا الجزء نسبة الاستعداد الأول الشامل للبشر إلى
 الاستعداد القريب الخاص بصنف الأنبياء النظري لم صلوات الله عليهم إذ هو الاستعداد
 البعيد وإن كان عامًا في البشر ومدة عوائق وموانع كثيرة من حصوله بالفعل ومن اعظم
 تلك الموانع المحواس الظاهرة فنظر الله البشر على ارتفاع حجاب المحواس باليوم الذي هو
 جبلي لم يتعرض النفس عند ارتفاعه الى معرفة ما تنسوق اليه في عالم الحق فندرك في
 بعض الأحيان منه لحظة يكون فيها الظاهر بالمطلوب ولذلك جعلها الشارع من المبشرات
 فقال لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات بأرسول الله قال الرويا
 الصالحة رآها الرجل الصالح أو تراه أو سبب ارتفاع حجاب المحواس باليوم فعلى ما
 اصطف لك وذلك ان النفس الناطقة إنما ادراكها واقعا لما بالروح المحيواني المجسماني وهو
 بخلاف لطيف مركرة بالخيول لا يسر من القلب على ما في كتب التشريح لجالينوس وغيره
 وينبعث مع الدم في الشريانات والعروق فيعطى الحس والحركة وسائر الافعال البدنية
 ويرتفع لطيفة الى الدماغ فيعدل من رده ويتم افعال القوى التي سيء بطونى فالنفس
 الناطقة إنما تدرك وتعقل بهذا الروح البخاري وهي متعلقة بولما اقتضت حكمة التكوين
 في ان اللطيف لا يوشى في الكيف ولما لطف هذا الروح المحيواني من بين المواد البدنية

والجزئية ثم يتم نشوؤها ووجودها بالعمل بمصاحبة البدن وما يعودها بورود مدركاتها
 المحسوسة عليها وما تنزع من تلك الإدراكات من المعاني الكلية فتعقل الصور مرة بعد
 أخرى حتى يحصل لها الإدراك والتعقل بالعمل فيتم ذاتها وتبقى النفس كالمهيولى في الصور
 متعاقبة عليها بالإدراك واحدة بعد واحدة ولذلك شهد الصبي في أول نشأته لا يقدر على
 الإدراك الذي لها من ذاتها لأنهم ولا يكشف ولا يفهمها وذلك لأن صورها التي هي
 غيب ذاتها وهي الإدراك والتعقل لم يتم بعد بل لم يتم لها انتزاع الكليات ثم إذا تمت
 ذاتها بالتفعل حصل لها ما دامت مع البدن نوعان من الإدراك ادراك تأت الجسم
 بتدبير الجها المادرك البدنية وإدراك ذاتها من غير واسطة وهي مخوبة عنه بالانفاس في
 البدن والمحاس وبغيرها لأن المحاس أبتا جذبة لها إلى المظاهر بما فطرت عليه أولا
 من الإدراك الجسماني وربما تنس من المظاهر إلى الباطن فيرتفع حجاب البدن لحظة أما
 بالحادثة التي هي للانسان على الإطلاق مثل النوم أو بالمصاحبة الموحدة لبعض البشر
 مثل الأنبياء والاروق أو بالزيادة مثل امل الكعب من الصوفية فتأنت حقيقته إلى
 الدرات التي فوقها من الملائكة الأعلى كما يثبت أنها ما منهم من الاتصال في الوجود كما
 قررناه قبل وذلك الدورات روحانية وهي إدراك محض رتقول بالعلم وفيها صور
 الموجدات ومنه أنها كالأزمنة في ذاتها من تلك الدورات وتبقى منها علوما وربما دعت
 تلك الصور المادركة إلى الخيال فيصرفه في تلك السلب المتأتم برابع المحس بما ادركت
 أما مجردا أو في قولنا في تصور به. هذا هو شرح استه داند النفس لهذا الإدراك الغيبي. ولترجع
 إلى ما وردنا به من بيان استنباطها فاما الناضرون في الأجسام المتعاقبة من المراتب وطاس
 المياه وقلوب المهيولى وأكبادها وعظامها وأهل الدارين بالمحس والتميز فكلهم من قبيل
 الأنهم الأناهم اصعب رقة فيه في اعمل خلقهم لأن الكائن لا يتابع في رفع حجاب المحس
 إلى كتمه ما مائة وهؤلاء يعانونه بالتصاير المادركة المحسية كلها في نوع واحد منها وإشرافها
 إليه تسبب على المرقى إليه حتى يدركه مدركة الذنبي بغيره عنه وربما يقن ان
 شاهده هؤلاء ما يرونه في سائر المراتب وليس كذلك بل لا يرونه ينظرون في سائر
 المراتب إلى ان يفسب عن الجبر ويأوفيا بينهم وبين سائر المراتب حجاب كانه غام متصل
 فيه من تلك مدركاتهم فيشربون الدائم مائة ولما ينوحون إلى معرفته من بغيره أو ذات
 فيشربون لذلك على شئ ما ادركهم وأما المراتب وما يدرك فيها من الصور فلا تركزه في
 تلك الخيال وإنما ساءل بها هذا النوع الاثر من الإدراك وهو نفساني ليس من إدراك

ولا قدرة عليه وإنما تكون النفس منشوفة لذلك الشيء فيقع لها بقلك البهجة في النوم لها
 تصد الى ذلك فترأى وقد وقع في كتاب الغاية وغيره من كتب اهل الرياضات ذكر
 اسما تذكر عند النوم فتكون عنها الرويا فيما يتشرف اليه ويسمونها الحما لومية وذكرها
 مسلمة في كتاب الغاية حالومة سادها حالومة الطبايع التام وهو ان يقال عند النوم بعد
 فراغ السرو صفة الزوجية هذه الكلمات الالهية وهي غامض لدان يسود وغداس نونان
 غادس ويدكر حاجته فانه يرى الكنتف عما يسأل عنه في النوم * وحكي * ان رجلا فعل
 ذلك بعد رياضة ليل في ماكله وذكره فتمثل له شخص يقول له انا طابعك التام فساد
 واخبره عما كان يتشرف اليه وقد وقع لي انا بهذه الاسماء وراء عجيبة واطلعت بها على
 امور كنت انتشرف اليها من احوالي وليس ذلك بدليل على ان التصد للرويا يجهد
 وإنما هذه الحما لومات تحدث استعدادا في النفس لوقوع الرويا فانما قروي الاستعداد
 كان اقرب الى حصول ما يستعد له وللتيقن ان يتعلم من الاستعداد . الحسب ولا
 يكون دليلا على ابتاع الاستعداد له فالة قدرة على الاستعداد غير القدرة على الشيء فاعلم
 ذلك وتدبره فيما يجده من اماله والله الحكيم الخبير فقول بدم انما يجهد في السمع الانساني ابتغاء
 يجرون بالكتائفات قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن سائر الناس ولا يسمون
 في ذلك الى صناعة ولا يستدلون عليه بأثر من النجوم ولا من غيرها اما شيد مداركهم في
 ذلك بمقتضى فطرتهم التي طاروا عليها وذلك مثل القرافين والناظرين في الاسباب
 الشفافة كالاريا وطساس الماء والناظرين في قلوب الحيوانات واكبادها وعظامها واهل
 الزجر في الطير والسباع واهل الطرق بالخصى والمجوس من المصنعة والري . وهذه كلها
 موجودة في عالم الانسان لا يسع احدا جدها ولا انكارها وكذلك المجانين يلقى على السنتهم
 كلمات من الغيب فيجربون بها وكذلك النائم والميت لاول موته او نومو يتكلم بالغيب
 وكذلك اهل الرياضات من المتصوفة لهم مدارك في الغيب على سبيل الكرامة وروفة
 ونحن الان نتكلم على هذه الادراكات كلها وبما هي منها ما لكم ان تدركوا ما في عالمها وابتعد
 واحدة الى اخرها وادوة لهم على ذلك معدة في ان الله لا يسهل كبره في ادراكه
 الغيب في جميع اصناف الوجود كما ذكرنا ذلك في كتابنا في ذات ربه وادوة بالروية
 سائر الروايات كما ذكرناه في كتابنا في ذات ربه من الذين الذين بالادب والبرهان
 امر مدرك لكل احد وكل ما بالة في مادة وروية وصورة هذه النفس التي بها يتصور جودها
 هو عين الادراك والتفعل فهي توجد اولاً بالقوة مستعدة للادراك وقبول الصور الكلية

ولا عظم فيه الا المصيبة ومن مشهور الحكايات عنها ناول روبا ربيعة بن مضرب وما
اخبرنا به من ملك الحبشة للين وملك مضرب يدهم وظهور النبوة المحمدية في قرين
وروبا الموبدان اتي اولها سنجع لما بعث اليه بها كسرى عند المسيح فاخبره بشأن النبوة
وخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة وكذلك العرفان كان في العرب منهم كثير
وذكروهم في اشعارهم قال

فقلت لعرفاء الهامة داوئي فالك ان داوئي لطبيب

وقال الآخر

جعلت لعرف الهامة حكمة وعرف نبذ ان هاشماني

فقال ثناك الله والله ما لنا بما حملت منك الضلوع يدان

وعرف الهامة هو رباح بن عتبة وعرف نبذ الاماني الاسدي ومن هذه المداير الغريبة
ما يصدر لبعض الناس عند مفارقة البقرة والنباس بالثوم من الكلام على الشيء الذي
يتشوف اليه بما يعطيه غيب ذلك الامر كما يريد ولا يقع ذلك الا في ماضي النوم عند
مفارقة البقرة وذهاب الاختيار في الكلام فتبكم كانه يميل على النطق وغاية ان يسمعه
ويفهمه وكذلك يصدر عن المتبولين عند مفارقة رؤوسهم واوساط ابدانهم كلام غفل
ذلك ولقد باننا عن بعض الجبابرة الظالمين انهم قتلوا من يهونهم انتصابا ليعرفوا من
كلامهم عند القتل عواقب امورهم في انفسهم فاعلموا بها يستبشع وذكر مسجلة في كتاب
الغاية له في مثل ذلك ان آدميا اذا جعل في دينه مملوء بدهن السمسم ومكث فيه ياربعين
يوما ينفذ بالطين والجوز حتى يذهب لونه ولا يبقى منه الا العروق وشؤون راسه فيخرج
من ذلك الدهن فحين يجف طيره الهوام يهرب عن كل شيء يسأل عنه من عواقب الامور
الخاصة والعامة وهذا عمل من متاكر افعال البهيرة لكن يفهم منه تباين العالم الانساني
ومن الناس من يحاول حصول هذا المادرك الفخري بالارياضة فيجاءون بالهناجدة ومنا
صاعيا بامانة جميع القوى البدنية ثم هم اناردا التي تلوذت بها النفس ثم تفنيها ما للذكر
انزداد قوة في نشتها ويحصل ذلك بجميع المكر وكثرة الجوع ومن المعلوم على القطع انه اذا
نزل الموت بالبدن ذهب المحس وشجاعة وطاقت النفس على ذاتها وطاقتها فيما وارث ذلك
بالاكتساب ليقع لم قبل الموت ما يقع لم بعده وتعالج النفس على المنيحات ومن هؤلاء اول
الارياضة ليعبر به يرتاضون بذلك ليحصل لهم الاطلاع على المنقبات والنصريات في العالم
واكثر هؤلاء في الافة الممتدة فجرتا وثيا الا خصوصا بالاد الهند ويسمون هنا لك الممركية ولم

البصر بل يتشكل به المدرك النفساني للحس كما هو معروف ومثل ذلك ما يعرض للناظرين
 في قلوب الحيوانات وأكبادها وللناظرين في الماء والطاسان وأمثال ذلك . وقد شاهدنا
 من هولاء من يتقبل الحس بالبحر فقط ثم بالعرائض للاستعداد ثم يتحرك اذرك ويتزعمون
 انهم يرون الصور منتشرة في الهواء تحكي لهم احوال ما يتوجهون الي اذراكو بالمثل
 والاشارة وغية هولاء عن الحس اخف من الاوليت والعالم امو الغرائب . واما الزجر
 وهو ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالنسب عند سماع طائر او حيوان والفكر فيه
 بعد مغيبه وفي قوة في النفس تبعث على المحرص والتكر فيما رجز فيه من مرقى او مسموم
 وتكون قوته الخيلة كما قدمناه قوة فيبعثها في البحث مستقبلا بما رآه او سمعه فيوديو ذلك
 الى ادراكه ما كما تتعقل القوة الخيلة في اليوم وعند ركرد الحواس ثوسهطيس المحسوس المرئي
 في يقظته ونجمه مع ما عذلة فيكون عنها الرويا . واما الخبايا فنفسهم الناطقة ضعيفة
 التعالي بالبدن كساد مزاجهم غابا وضعف الروح الحيواني فيها فتكون نفقة غير مستقرة
 في الحواس ولا متفهمة فيما يشغلها في نفسها من الم النفس ومرضيه وربما زاحمها على التعالي
 به روحانية اخرى شيطانية تشبث به وتضعف هذه عن ما بعثها فيكون عنه التضرع فاذا
 اصابت ذلك التضرع اما انفساد مزاجه من فساد في ذاتها او لمزاحمة من النفوس
 الشيطانية في تعلقه غلب عن حواسه فادرك لثقتن عالم نفسه وانقطع فيها بعض الصور
 وصرفها الخيال وربما تظن عن لسانه في تلك الحال من غير ارادة الطاق وادراك
 هولاء كلهم مشروب فيه الحق بالباطل لانه لا يحصل لهم الاتصال وان فقدوا الحس
 بعد الاستعانة بالتهورات الاجنبية كما قررناه ومن ذلك بجمي الكذب في هذه المدارك
 واما العرافون فهم المتعلقون بهذا الادراك وليس لهم ذلك الاتصال فيسلطون الفكر
 على الامر الذي يتوجهون اليه وياخذون فيه بالظن والتخمين بناء على ما يتوهونه من
 مبادئ ذلك الاتصال والادراك ويدعون بذلك معرفة الغيب وليس مثله على الحقيقة
 هذا تحصل هذه الامور وقد تكلم عليها المسعودي في مروج الذهب فا صادف تخميناً
 ولا اصابة ويظهر من كلام الرجل انه كان يميل عن الرسوخ في المعارف فينقل ما سمع
 من اهلوه ومن غير اهلوه وهذه الادراكات التي ذكرناها موجودة كلها في نوع البشر فقد
 كان العرب يفترون الى الكهان في تعرف الحوادث ويتنافرون اليهم في الخصومات
 ليعرفهم بالحق فيها من ادراك غيبهم وفي كتب اهل الادب كثير من ذلك وانه من منهم في
 المجاهلة شق من انما بين نزار وسطاح من مازن بن غسان وكان يدرج كادرج الثوب

ومن هؤلاء المرئيين من المتصوفة قوم بها ليل معتوهون اشبه بالجانين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية واحوال الصديقين وزعم ذلك من احاطهم من بينهم من اهل الذوق مع انهم غير مكملين ويقع لهم من الاخبار عن المنيبات عجائب لانهم لا يتقيدون بشيء فيطلقون كلامهم في ذلك ويأتون منه بالعجائب وربما ينكر النفاها انهم على شيء من المقامات لا يروون من سقوط التكليف عنهم والولاية لا تحصل الا بالعبادة وهو غلط فان فضل الله يؤتوه من يشاء ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها وإذا كانت النفس الانسانية ثابتة الوجود فالله تعالى يختصها بما شاء من موهبه وهؤلاء التوم لم تعدم نفوسهم الناطقة ولا فسدت كحال الجانين وإنما فقد لهم العقل الذي يتأبط به التكليف وهي صفة خاصة للنفس وهي علوم ضرورية للانسان يشهد بها فطرته ويعرفها حوال معاشه واستقامته منزله وكانت اذا مزاحم لحوال معاشه واستقامته منزله لم يبق له عذر في قبول التكليف لاصلاح معاديه وليس من فقد هذه الصفة يفاقد لنفسه ولا ذاهل عن حقيقته فيكون موجوداً لحنيفة معدوم العقل التكاليفي الذي هو معرفة المعاش ولا استماله في ذلك ولا يتوقف اصطناعه الله عباده للمعرفة على شيء من التكاليف، وإذا صح ذلك فاعلم انه ربما يلبس حال هؤلاء بالجانين الذين تسد نفوسهم الناطقة والنشون بالجهنم ولك في تميزهم علامات منها ان هؤلاء البها ليل تجد لهم وجهة ما لا يظنون عنها اصلاً من ذكر وعبادته لكن على غير الشروع الشرعية لما قلناه من عدم التكليف والجانين لا يتجد لهم وجهة اصلاً ومنها انهم ينفذون على البله من اول نشأهم والجانين يعرض لهم الجنون بعد مدة من العمر لم يرض بالبله طبعية فاذا عرض لهم ذلك وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبل بالجنون ومنها كثرة تصرفهم في الناس بالخير والشر لانهم لا يتوقفون على اذن لاهم التكليف في حقهم والجانين لا تصرف لهم وهذا فصل انتهى بنا الكلام اليه والله المرشد للصواب

وقد يزعم بعض الناس ان هنا مدارك الغيب من دون غيبة عن الحس فنهيم المخبرون القائلون بالدلالات التجردية ومنه قضى اوصاعها في الملك وآثارها في العناصر وما يحصل من المزاج يارب طباعها بالتأخر ويتأدى من ذلك المزاج الى الهواء وهؤلاء المتجهون ليسوا من الغيب في شيء اما في طائفة حلسية ونفسيات مبنية على التأثير التجردية وحصول المزاج منه الهواء مع مزيد حلس يفتى في التأخر على تعديل في الشخصيات في العالم كما قاله بطليموس ومن

كتبت في كيفية هذه الرياضة كبرية والخبار عنهم في ذلك غريبة. ولما المتصوفة فرماضهم
دينية وعبرية عن هذه المقاصد المذمومة وإنما يقصدون جميع الالهة والاقبال على الله
بالكلية ليحصل لهم اخلاق اهل العرفان والتوحيد ويبتدون في رياضتهم الى اجمع ما يرجع
التفنية بالذكر فيها ثم وجهتهم في هذه الرياضة لانه اذا امتأت النفس على الذكر كاست
افرب الى العرفان بالله واذا عريت عن الذكر كانت شيطانية وحصول ما يوصل من
معرفة النيب والتصرف لولا المتصوفة اما هو بالعرض ولا يكون معه وذاك من اول
الامر لانه اذا قصد ذلك كانت الوجهية فيلتهر الله وانما في قصد التصرف والاطلاع
على النيب واستيرها صفة فانها في الحقيقة شرك قال بعضهم من اتر العرفان العرفان
فقد قال بالذاتي فهم يقصدون سوجهتهم المحمود لا لشيء سواه واذا حصل اناء ذلك
ما يحصل لنا العرض ونهره قصد لم وكثير منهم يتردد اذا عرض له ولا يمتثل به ولما
يريد الله الذاتي لا للغير وحده بل ذلك لم حروف ويسمون ما يقع لهم من الدير والتدريس
على المنابر دراسة وكذا وما يقع لهم من التصرف كرامة وليس شيء من ذلك يتكبر في
حقهم وقد ذهب الى انكاره الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني واسره بهد بن ابي زيد المالكي
في آخره فراراً من النباس المهنة بشيرها والمول عليه عبد المتكلمين حصول التفرقة
بالتعدي فهو كافر. وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فيكم
مخلفون وان منهم عمر وقد وقع للسجانة من ذلك وقائع معروفة تشهد بذلك في منزله
قول عمر رضي الله عنه يا سارية الجبل وهو سارية بن زعيم كان قائداً على بعض جيوش
المسلمين بالدرق ايام الاسعاف وتورط مع المشركين في معتزك وهم بالانجرام وكان
قريباً من الجبل يتنزل اليه فرفع له ذلك وهو صاحب الجبل باليدية فتاداة يا سارية الجبل
وهو سارية وهو كانه وراى شخصه هناك والقصه معروفة ووقع مثله ايضاً لابي بكر
في وصية عائشة ارجو رضي الله عنهما في شأن ما فعلها من اوقى الامر من حد يتيقن لم ينفها
على جنازة لتزوم عن الزينة فقال في سياق كلامه واما ما اشراك واجنالك فقلت اما
هي اساءة لى الاخرى فقال ان ذا بطن بنت مغاربة اراها جارية دكاست بجارية وقع في
المرأى في ناسه ما لا يجوز من النبل ومثل هذه الوقائع كثيرة فلم يلمن بهدم من المسلمين
واهل الافداء الا ان اهل الحروف يباون انما يقل في زمن الزينة اذ لا يلق للبريدس له
بضرة الدير حتى انهم يقولون ان المراد انما جبال المدينة النبوية يسلب حالة ما دام فيها
حتى يبارئها بالله يرتقا الهداية ورسدنا الى الله

يولدون من الاربعة شكاين كذلك شكاين شكاين كذلك شكاين ثم من هذا
 الشكل الخماس عشر مع الشكل الاول شكلاً يكون آخر السمة عشر ثم يحكون على الخط
 كله بما انقضت اشكاله من السعودة والخوسة بالذات والظر والمحول والامتزاج والدلالة
 على اصناف الموجودات وسائر ذلك تحكما غريباً وكثرت هذه الصناعة في العبران
 ووضعت فيها الدالكيف واشهر فيها الاعلام من المتقدمين والمتأخرين وهي كما رايت تحكم
 وهوى والتفريق الذي ينبغي ان يكون نصب فكرك أن الغيوب لا تدرك بصناعة البنية
 ولا سبيل الى تعرفها الا للخاص من البشر المتطورين على الرجوع من عالم المحس الى عالم
 الروح ولذلك يسمى المتجهون هذا الصنف كهم بالزهرين نسبة الى ما تقتضيه دلالة
 الزهرة بزعمهم في اصل واليدم على ادراك الغيب فالخط وغيره من هذه ان كان الناظر
 فيه من اهل هذه الخصوصية وقصد هذه الامور التي يتناول فيها من الغطاء والمظالم او غيرها
 اشغال المحس لترجع النفس الى عالم الروحانيات لحظة ما فهو من باب الطرق المحصى
 والنظر في قلوب المحيوات والمرايا الشفافة كما ذكرناه وان لم يكن كذلك وانما قصده معرفة
 الغيب بهذه الصناعة وانما تنبئه ذلك فيقدر من القول والعمل والله يهدي من يشاء .
 والعلامة هذه النجارة التي فطر عليها اهل هذا الادراك النبي انهم عند توجههم الى
 تعرف الكائنات يعترضهم خروج عن حالتهم الطبيعية كالنار وب والنداء وباديء
 الغيبة عن المحس ويختلف ذلك بالقوة والضعف على اختلاف وجودها فيهم فمن لم
 توجد له هذه العلامة فليس من ادراك الغيب في شيء وانما هو ساع في تنقيح كذب
 ومنهم من لو انهم يضعون قوانين لاستفراج الغيب ليست من الطور الاول الذي هو
 من مدارك النفس الروحانية ولا من المحاسن التي على تاثيرات النجوم كما زعمه الجاهلوس
 ولا من الخلق والتفهم الذي يحاول عليه المرافون وانما هي مغايط يجهلون بها كاصايد
 لاهل العقول المستضعفة واست اذكر من ذلك الا ما ذكره المصنفون ووقع به الخواص
 فمن تلك القوانين الحساب الذي يسمى بحساب اليم وهو المذكور في آخر كتاب السياسة
 المنسوب لارسطو يعرف به الغالب من المتأخرين في المتأخرين من الملوك وهو ان يحسب
 الحروف التي في اسم احداهما بحساب الجمل المذموم في حروف ابيد من الواحد
 الى الالف اثناداً وعشرات ومئين والوقفاً فاذا حسب اسم وتوصلت منه عدد
 فاحسب اسم الآخر كذلك ثم اطرح كل واحد منهما تسعة تسعة واحتفظ بقية هذا وبقية
 هذا ثم انظر بين العددين الباقيين من حساب اليمين فان كان العددين مختلفين في

نبين بطلان ذلك في محله ان شاء الله وهو لو ثبت فغايبه حدس وتجهين وليس ما ذكرناه
 في شيء . ومن مولا قوم من العامة استنبطوا لاستفراج الغيب وتعرف الكائنات صناعة
 سموها خط الرمل نسبة الى المادة التي يضعون فيها عملهم ومحصل هذه الصناعة آتهم
 صبروا من النقط اشكالاً ذات اربع مراتب تختلف باختلاف مراتبها في الزوجية والفردية
 واستدلوا فيها فكانت ستة عشر شكلاً لانها ان كانت ازواجاً كلها او افراداً كلها فشكلان
 وان كان الفرد فيها في مرتبة واحدة فقط فاربعة اشكال وان كان الفرد في مرتبتين
 فستة اشكال وان كان في ثلاثة مراتب فاربعة اشكال جاءت ستة عشر شكلاً ميزوها كلها
 باسمائهم وانواعها الى سبعة وخموس شأث الكواكب وجعلوا لها ستة عشر بيتاً طبيعية
 يزعمون كما يتبع الدروج الاثنا عشر التي للثلك والاوناد الاربعة وجعلوا لكل شكل منها
 بيتاً وحفظوا دلالته على صنف من وجوهرات عالم العناصر يخص به واستنبطوا من
 ذلك فنا حاذوا به فن النجامة ونوع قضائهم ان احكام النجامة مسندة الى اوضاع
 طبيعية كما يزعم بطليموس وهذه انا مستندها اوضاع شعبة واهلها اتفاقية ولا دليل
 يقوم على تبيينها يزعمون ان اصل ذلك من النبوت القديمة في العالم وربما نسوها الى
 دانيال اولى ادريس صاومات الله عليها شأن الصنائع كلها وربما يلغون مشروعاتها
 ويحتمون بقوله صلى الله عليه وسلم كان نبي يخط فن وافق خطه فذاك وليس في الحديث
 دليل على مشروعية خط الرمل كما يزعم بعض من لا تحصل لديه لان معنى الحديث كان
 نبي يخط فبايتو الوحي عند ذلك الخط ولا استحالة في ان يكون ذلك عادة لبعض الانبياء
 فن واقرت خطه ذلك النبي فهو ذلك اي فهو صحيح من بين الخط بها عضده من الوحي
 لذلك النبي الذي كاست عادية ان آياته الوحي عند الخط وما اذا اخذ ذلك من الخط
 مجرداً من غير موافقة وحي فلا وهذا معنى الحديث والله اعلم . فاذا ارادوا استفراج غيب
 يزعمهم عهدوا الى قرطاس او رمل او دقيق فوضعوا النقط سطورياً على عدد المراتب
 الاربعة ثم كرروا ذلك اربع مرات فيقيم ستة عشر سطراً ثم يطرحو النقط ازواجاً
 ويضعون ما بقى من كل سطر زوجاً كان او فرداً في مرتبته على الترتيب فيقيم اربعة
 الاشكال يضعونها في سطر متتالية ثم يولدون منها اربعة اشكال اخرى من جانب العرض
 باعتبار كل مرتبة وما قابها من الشكل الذي يازاها وما يجمع منها من زوج او فرد فتكون
 ثمانية اشكال موضوعة في سطر ثم يولدون من كل شكلين شكلاً تحتها باعتبار ما يجمع في
 كل مرتبة من مراتب الشكلين ايضاً من زوج او فرد فتكون اربعة اخرى تحتها ثم

والثلاثة آلاف كلها ثلاثة ثلاثة فوضعت الاعداد على التوالي دالة على اعداد العقود لاغير
 وجعلت الحروف الدالة على اصناف العقود في كل كلمة من الاحاد والعشرات والمئين
 والالوف^(١) وصار عدد الكلمة الموضوع عليها ثابتاً عن كل حرف فيها سواء دل على
 الاحاد او العشرات او المئين فيؤخذ عدد كل كلمة عوضاً من الحروف التي فيها ويجمع
 كلها الى اشهرها كما قلناه هذا هو العمل المتداول بين الناس منذ الامر القديم وكان بعض
 من لغتنا من شيوخنا يرى ان الصحيح فيها كلمات اخرى تسعة مكان هذه ومثالية
 كتبها ويعاون بها في الطرح بنسعة مثل ما يفعلونه بالآخرى سواء وفي هذه ارب
 يسبق جزلط مدوص هف نخدن عن نخغ نغظ تسع كلمات على التوالي العدد ولكل
 كلمة منها عددها الذي في مرتبة فيها الثلاثي والرابعي والخماني وليست جارية على اصل
 مطردة كما نراه لكن كان شيوخنا يتناولونها عن شيخ المغرب في هذه المعارف من السيمياء واسرار
 البحر وف النجامة وهو ابو العباس بن البناء ويقولون عنه ان العمل بهذه الكلمات في
 طرحة حساب النجوم اصح من العمل بكلمات ابقش والله اعلم كيف ذلك وهذه كلها مدارك
 الغريب غير مستندة الى برهان ولا تحقيق والكتاب الذي وجد فيه حساب النجوم غير معزى
 الى ارسطو عند المختفين لما فيه من الاراء البعيدة عن التحقيق والبرهان يشهد ذلك بذلك
 تصفحة ان كنت من اهل الرسوخ اه ومن هذه القوانين الصناعية لاستخراج النجوم فيها
 يزعمون الزايرة المسماة بزايرة العالم المعروفة الى ابى العباس سيدي احمد السبتي من
 اعلام المتصوفة بالمغرب كان في اخر المائة السادسة بمراكش وله يد في يعقوب المنصور
 من ملوك الموحدين وفي غريبة العمل صناعة وكثير من الخواص يولعون بافادة الغيب منها
 بجهلها المعروف المغرور فيعرضون بذلك على حل رمزه وكشف غمضه وصورها التي يقع
 العمل عندهم فيها دائرة عظيمة في داخلها دوائر متوازية الافلاك والعناصر والكمونات
 والروحانيات وغير ذلك من اصناف الكائنات والعلوم وكل دائرة مقسومة باقسام
 فلها اما البروج واما العناصر وغيرها وخطوط كل قسم مارة الى المركز وبسورها
 الاوتار وعلى كل وتر حروف متتابعة موضوعة فيها برشوم^(٢) الزيام التي هي اشكال
 الاعداد عند اهل الدواوين والمحاسب بالمغرب فذا العهد ومنها برشوم النياز المتعارفة
 في داخل الزايرة وبين الدوائر اسماء العلوم ومواقع الاكواب وعلى ظاهر الدوائر
 ا فوا والالوف هو نظر لان الحروف ليس فيها ما يزيد عن الالف كما سبق في كتابنا اه
 اي موضوعة اسم الراجح رثم بالدين الشبهة اه

الكلمة وكان معاً زوجين أو فردين معاً فصاحب الأقل منهما هو الغالب وإن كان أحدهما زوجاً والآخر فرداً فصاحب الأكثر هو الغالب وإن كانا متساويين في الكلمة وهما معاً زوجان فالمطلوب هو الغالب وإن كان معاً فردين فالطالب هو الغالب ويقال هنا لك بيتان في هذا العمل اشتهرا بين الناس وهما

أرسه الروح والأفراد يسمو أقلها وأكثرها عند التحالف طالب
ويغلب مطلوب إذا الروح يستوي وعند امتواء الفرد يغلب طالب

ثم وضعوا لمعرفة ما بقي من الحروف بعد طرحها بقسمة قايماً معروفاً عندهم في طرح تسعة وذلك أنهم جعلوا الحروف الدالة على الواحد في المراتب الأربع هي (أ) الدالة على الواحد و(ي) الدالة على العشرة وفي واحد في مرتبة العشرات و(ق) الدالة على المائة لأنها في واحد في مرتبة المئين وش الدالة على الألف لأنها في مرتبة الآلاف وليس بعد الألف عدد يدل عليه بالحروف لانت الشين في آخر حروف أبجد ثم رتبوا هذه الأحرف الأربعة على نسق المراتب فكانت منها كلمة رابعة وهي أبش ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على اثنين في المراتب الثلاث واستطاعوا مرتبة الآلاف منها لأنها كانت آخر حروف أبجد فكان مجموع حروف الاثنين في المراتب الثلاث ثلاثة حروف وهي (ب) الدالة على اثنين في الأحاد و(ل) الدالة على اثنين في العشرات وفي عشرون و(ر) الدالة على اثنين في المئين وهي مائتان وصبروها كلمة واحدة ثلاثية على نسق المراتب وهي بكر ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على ثلاثة فنبأت عنها كلمة جاس وكذلك إلى آخر حروف أبجد وصارت تسع كلمات نهاية عدد الأحاد وهي أبش بكر جاس دمت همت وسمج زعد حظ طضع مرتبة على قول في الأعداد وكل كلمة منها عددها الذي في مرتبتها فإذا اجتمعوا لكلمة أبش والاثنان لكلمة بكر والثلاثة لكلمة جاس وكذلك إلى التاسعة التي هي طضع فتكون لها التسعة فإذا أرادوا طرح الاسم بقسمة نظر ما لكل حرف منه في أي كلمة هو من هذه الكلمات وأخذوا عددها مكانه ثم جعلوا الأعداد التي يأخذونها بدلاً من حروف الاسم فإن كانت زائدة على التسعة أخذوا ما فضل عنها وإلا أخذوا كما هو يفعلون كذلك بالاسم الآخر وينظرون بين الخارجين بما قدمناه في السرفي هذا القانون بين وذلك أن الباقي من كل عدد من عقود الأعداد ي طرح تسعة إنما هو واحد فكان مجموع عدد العقود خاصة من كل مرتبة فصارت أعداد العقود كأنها أحاد فلا فرق بين الاثنين والعشرين والمائتين والاثنين وكلها اثنان وكذلك الثلاثة والأربعون والثلاثمائة

المعينة عنهم ذلك فيخرج آخرها حروف متقطعة وترولف على التوالي فتصير كلمات
 منظومة في بيت واحد على وزن البيت الذي يقابل به العمل وروية وهو بيت مالک
 ابن وهيب المتقدم حسبنا نذكر ذلك كله في فصل العلوم عند كيفية العمل بهذه الزاخرة
 وقد رأينا كثيراً من المخراض يتهاقون على استخراج الغيب منها بتلك الاعمال ويحسمون
 ان ما وقع من مطابقة الجواب للسؤال في توافق الخطاب دليل على مطابقة الواقع وليس
 ذلك بصحيح لانه قد مر لك ان الغيب لا يدرك بامر صناعي البتة وإنما المطابقة التي فيها
 بين الجواب والسؤال من حيث الافهام والتوافق في الخطاب حتى يكون الجواب مستغنياً
 او موافقاً للسؤال ووقوع ذلك بهذه الصناعة في تكرار الحروف المتجمعة من السؤال والاورار
 والدخول في المجدول بالاعداد المتجمعة من ضرب الاعداد المفروضة واستخراج الحروف
 من المجدول بذلك وطرح أخرى ومعاودة ذلك في الادوار الممدودة ومقابلة ذلك
 كل بحروف البيت على التوالي غير مستنكر وقد يقع الاطلاع من بعض الاذكياء على
 تناسب بين هذه الاشياء فيقع له معرفة المجهول فالتناسب بين الاشياء هو سبب الحصول
 على المجهول من المعلوم المتماثل للنفس وطريق لحصوله سيما من اهل الرياضة فانها تفيد
 العقل قوة على القياس وزيادة في الفكر وقد مر تماثل ذلك غير مرة ومن اجل هذا
 المعنى ينسبون هذه الزاخرة في الفلاس لاهل الرياضة فهي منسوبة للسبتي وافند وقتت
 على اخرى منسوبة لسهل بن عبد الله العمري انها من الاعمال الغربية والمعانة العجيبة
 والمجواب الذي يخرج منها فالسر في خروجه منظوماً يظهر في انما هو المقابلة بحروف ذلك
 البيت ولهذا يكون النظم على وزنه ورويه ويدل عليه انا وجدنا اعمالاً اخرى لم في مثل
 ذلك استعملوا فيها المقابلة بالبيت فلم يخرج الجواب منظوماً كما تراء عند الكلام على
 ذلك في موضع وكثير من الناس تضيق مداركهم عن التصديق بهذا العمل ونفوذوا الى
 المطلوب فينكر صحتها ويحسم انها من الخيالات والايهامات وإن صاحب العمل بها
 يثبت حروف البيت الذي ينظمه كما يريد بين اثناء حروف السؤال والاورار ويعمل
 تلك الصاعات على غير نسبة ولا قانون ثم يحمي بالبيت ويوهم ان العمل جاء على طريقة
 مضبوطة وهذا المسببان توهم فاسد حمل عليه القصور عن فهم التناسب بين الموحودات
 والمعدومات والتفاوت بين المدارك والعقول ولكن من شأن كل مدرك انكار ما ليس
 في طريق ادراكه ويكتفينا في رد ذلك مشاهدة العمل بهذه الصناعة والمحدث القطبي
 فانها جاءت بقل معطر وقانون صحيح لا روية فيه عند من يباشر ذلك من له ذكاء

جدول متكرر البيوت المتقاطعة طولاً وعرضاً يشتمل على خمسة وخمسين بيتاً في العرض ومائة وواحد وثلاثين في الطول جوارب مئة معورة البيوت تارة بالعدد وأخرى بالحروف وجوانب خالية البيوت ولا تعلم نسبة تلك الأعداد في أوضاعها ولا القسمة التي عينت البيوت العامة من الخالية وحتم في الرابضة أيات من عروض الطويل على روي اللام المنصوبة تضمن صورة العمل في استقراج المطالب من تلك الرابضة إلا أنها من قبيل الألفاظ في عدم الوضوح والجلال وفي بعض جوانب الرابضة بيت من الشعر منسوب لبعض أكابر أهل الحداث بالخراب وهو مالك بن وهيب من علماء أشيلية كان في الدولة التتونية ونص البيت

سوال عظيم الخلق حزت فصن اذن غرائب شكك ضبطه المجد مثلاً
وهو البيت المتداول عندهم في العمل لاستقراج الجواب من السؤال في هذه الرابضة وغيرها فإذا ارادوا استقراج الجواب عما يشتمل عنه من المسائل كتبوا ذلك السؤال وقطعوا حروفاً ثم أخذوا الطالع لذلك الوقت من روج الفلك ودرجها وعملوا الى الرابضة ثم الى الوتر المكتشف فيها بالبرج الطالع من أوله ماراً الى المركز ثم الى محيط الدائرة قبالة الطالع فيأخذون جميع الحروف المكتوبة عليه من أوله الى اخره والأعداد المرسومة بينهما ويصيرونها حروفاً بحسب الجبل وقد يتناولون احادها الى العشرات وعشرات الى المئين وبالعكس فيها كما يقتضيه قانون العمل عندهم يضعونها مع حروف السؤال ويضيفون الى ذلك جميع ما على الوتر المكتشف بالبرج الفلك من الطالع من الحروف والأعداد من أوله الى المركز فقط لا يتجاوزونه الى المحيط يفعلون بالأعداد ما فعلوا بالاول ويضيفونها الى الحروف الأخرى ثم يقطعون حروف البيت الذي هو اصل العمل وقانونه عندهم وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم يضعونها ناحية ثم يضربون عدد درج الطالع في أس البرج وأُسُه عندهم بعد البرج عن اخر المراتب عكس ما عليه الأس عند أهل صناعة الحساب فانه عندهم البعد عن اول المراتب ثم يضربونه في عدد آخر يسمى الأس الأكبر والدور الاصلي ويدخلون بما تجمع لهم من ذلك في بيوت الجدول على قوانين معرفة وأعمال مذكورة ودور معدودة ويستخرجون منها حروفاً ويسقطون أخرى ويقالون بما معهم في حروف البيت ويكتبونه منه ما يعلقون الى حروف السؤال وما معها ثم يترجون تلك الحروف بأعداد معلومة يسمىها الادوار ويخرجون في كل دور الحرف الذي ينتهي عنده الدور فيأخذون ذلك بعدد الادوار

اجتماعهم انما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه ونشط قبل الحماح
والكالي ففهم من يستعمل الفخ من الفراسة والزراعة ومنهم من ينقل الغنم على الجيوان
من الغنم والقر والمعز والحمل والدود لتاجها واستخراج فضلاتها وهؤلاء القائمون على
الفخ والجيوان تدعوهم الضرورة ولا بد الى البدولانية متسع لما لا يتسع له المحواضر من
المزارع والقدن والمسارح للجيوان وغير ذلك فكان اختصاص هؤلاء بالبدو امراض ورياً
لم وكان حيث اجتمعوا وتعاونوا في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن
والدفع انما هو بالمقدار الذي يمتنع الحياء ويحصل بهلة الفرس من غير مزيد عليه للحي
عما وراء ذلك ثم اذا اتسعت احوال هؤلاء المتخولين للعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة
من الفنى والرقة دعاهم ذلك الى السكرت والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة
واستكروا من الاقوات والملابس والتأنيق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن
والامصار للتضخم تزيد احوال الرفة والدعة فيحي عوائد الترف البالغة مبالغها في
التأنيق في علاج الفوت واستجداء المطالغ وانتقاء الملابس الفاخرة في انواعها من الحرير
والدباج وغير ذلك ومعالجة البيوت والاصروح واحكام وضعها في تنجدها والانهاء في
الصنائع في المخرج من الفرة الى النعل الى غاباتها فيخذون الصور والمازل ويمجرون
فيها الداه وبعادون في صرحها وبياللون في تنجدها وينتفون في استجداء ما يتخذونه
لمعاتهم من ملابس او فراش او آنية او ماعون وهؤلاء هم المحضر ومعناه المحاضرون اهل
الامصار والبلدان ومن هؤلاء من ينقل في معاشه الصنائع ومنهم من ينقل التجارة وتكون
مكاسمهم ابي وارفة من اهل البدولان احوالهم زائدة على الضروري ومعاشهم على نسبة
وجدهم فقد زين ان اجيال البدو والمحضر طبعية لا بد منها كما قلناه

الفصل الثاني

في ان جيل العرب في الخلقة طبيعي

تدقمتنا في الفصل قبله ان اهل البدو المتخولون للعاش الطبيعي من الفخ والقيام
على الانعام وانهم منتصرون على الضروري من الاقوات والملابس والماكن وسائر
الاحوال والعوائد منتصرون عما فوق ذلك من حاجي او كالي يتخذون البيوت من
الشعر والوبر او البثور او من الفلين والنجارة غير متجدة انما هو قصد الاستئصال والكن
لا ما وراءه وقد يأتون الى الغيران والكنوف واما اقوامهم فيتناولون بها ويسبوا بعلاج

وحدس وإذا كان كثير من المعايير في العدد الذي هو وضع الواضحات بعسر على الفهم
ادراكه بعد النسبة فيه وخفاها فما ظنك بهل هذا مع خفاء النسبة فيه وغرابتها فلندكر
مسئلة من المعايير يوضع لك بها شيء ما ذكرنا مثاله أو قيل لك خذ عدداً من الدراهم
واجعل بازاء كل درهم ثلاثة من الفلوس ثم اجمع الفلوس التي اخذت واشتر بها طائراً ثم
اشتر الدرهم كلها طيوراً بسعر ذلك الطائر فكم الطيور المشتراة بالدراهم فثوابه ان تقول هي
تسعة لانك تعلم ان فلوس الدراهم اربعة وعشرون وان الثلاثة ثمنها وان عدة اثمان الواحد
ثمانية فاذا جمعت الثمن من الدراهم الى الثمن الآخر فكان كله ثمن طائر فهي ثمانية طيور
عادة اثمان الواحد وتزيد على الثمانية طائراً اخر وهو المشتري بالفلوس الماخوذة اولاً
وعلى سعره اشترت بالدرهم فتكون تسعة فانت ترى كيف خرج لك الجواب المضمحل
بسر التناسب الذي بين اعداد المسئلة واليوم اول ما يلقي اليك هذه وادناها لما يجعله من
قبل الغيب الذي لا يمكن معرفته وظهران التناسب بين الامور هو الذي يخرج مجرولها
من معلومها وهذا انما هو في الواقعات المتصلة في الوجود او العلم واما الكائنات المستقلة
اذ لم تعلم اسباب وقوعها ولا يثبت لها خبر صادق عنها فهو غيب لا يمكن معرفته وإذا
تبين لك ذلك فالاعمال الواقعة في الزاوية كلها انما هي في استخراج الجواب من الفاظ
السؤال لانها كما رايت استنباط حروف على ترتيب من تلك الحروف بعينها على ترتيب
اخر وسر ذلك انما هو من تناسب بينها يطلع عليه بعض دورث بعض فن عرف ذلك
التناسب يسر عليه استخراج ذلك الجواب بتلك القوابين والجواب يدل في مقام اخر
من حيث موضوع الفاظه وتراكيبه على وقوع احد طرفي السؤال من نفي او اثبات وايس
هذا من المقام الاول بل انما يرجع لمطابقة الكلام لما في الخارج ولا سبيل الى معرفة ذلك
من هذه الاعمال بل البشر محجوبون عنه وقد استأثر الله بعلومه والله يعلم وانتم لا تعلمون

الفصل الثاني

في اعران البدوي والامم الوحشية والنبائل وما يعرض في
ذلك من الاحوال وفيه اصول ونهديات

الفصل الاول

في ان اجيال البدو والمخفر طبيعية

اعلم * ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف محلهم من المعاش فان

وهكذا شأن القبائل المتبدية كلهم والحضري لا يتشرف الى احوال البادية الا بالضرورة
تدعوه اليها اولئك من اهل مصر من الامصار وجدنا اولية اكثرهم من اهل البدو اصل الحضري
ومستقيم عليه انا اذا فتشنا اهل مصر من الامصار وجدنا اولية اكثرهم من اهل البدو
الذين يتاحون ذلك المصر وفي قراء وانهم ايسر وافسحوا المصر وعادوا الى الدعة والتعرف
الذي في الحضري وذلك يدل على ان احوال الحضرة ناشئة عن احوال البادية وانها
اصل لما فتنتهم. ثم ان كل واحد من البدو والحضر متناوت الاحوال من جنبين قرب
حيث اعظم من حيث وقبيلة اعظم من قبيلة ومصر اوسع من مصر ومدينة اكثر عمراناً من
مدينة فقد تبين ان وجود البدو مستند على وجود المدن والامصار واصل لما بناه ان
وجود المدن والامصار من عوائد الترف والدعة التي هي متأخرة عن عوائد الضرورة
المعاشية والله اعلم

الفصل الرابع

في ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضري

وسببه ان النفس اذا كانت على الفطرة الاولى كانت متبينة لقبول ما يرد عليها ويتطبع
فيها من خير او شر قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه
او ينصرانه او يمجسانه ويقتدر ما سبق اليها من احد الخلقين تبعه عن الآخر ويصعب
عليها اكتسابه فصاحب الخير اذا سبقته عوائد الخير وحصلت لها ملكة بعد
عن الشر وصعب عليه طريقه وكذا صاحب الشر اذا سبقته اليه ايضا عوائد اهل
الحضري اكثر ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والاقبال على الدنيا والعكوف
على شغلهم منها قد تلوئت انفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر وبعدت عليهم طرق
الخير ومساكنة بقدر ما حصل لهم من ذلك حتى لقد ذهبت عنهم مذاهب المحسنة في
احوالهم فبعد الكثير منهم بقدر ما حصل لهم من ذلك حتى لقد ذهبت عنهم مذاهب المحسنة في
معارفهم لا يصادهم عنه ولا يزرع المحسنة لما اخذتهم به عوائد السوء في الظاهر لا في الخفى
قولا وعلا اهل البدو وان كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم الا انه في المقدار الضروري
لا في الترف ولا في شيء من اسباب التبهات والذلات ودواعيها فهناك في معاملتهم
على نسبتها وما يحصل فيهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة الى اهل الحضري
اقل بكثير فهم اقرب الى الفطرة الاولى وابعد عما يتطبع في النفس من سوء الملكات بكثير

او بغير علاج البنية الا ما سئله النارقين كان معاشة منهم في الزراعة والقيام بالفلح كان
المقام به اولى من الظعن وهؤلاء سكان المداشر والقرى والجبال وهم عامة البربر والاعاجم
ومن كان معاشة في السائمة مثل الغنم والبقر فهم ظعن في الاغلب لا يرتاد المسارح والمياه
لحوائجهم فالتقلب في الارض اصح لهم ويعنون شأوية ومعناء القانمون على الشاء والبقر
ولا يبعدون في القفر لنقص المسارح الطيبة وهؤلاء مثل البربر والترك واختارهم من
التركمان والصقالبة واما من كانت معاشهم في الابل فهم اكثر ظعننا وابتعد في القفر بما لا
لان مسارح التلول ونباتها وشجرها لا يستغني بها الابل في قوام حياتها عن مراعي الشجر
بالقفر ورود مياهه والخض والتمقلب فصل الشتاء في نواحيه فرأى من اذى البرد الى دفع
هوائه وطلب ما خض النواج في رمالواذ الابل اصعب المحيون فصلا ونفاصا وحوجها
في ذلك الى الدف فاضطروا الى ابعاد النجعة وربما زادتهم الحامية عن الدلول ايضا
فاوغوا في الفارثرة عن الضعة منهم فكانوا لذلك اشد الناس توحشا وينزلون من
اهل الحواضر منزلة الوحش غير المقدور عليه والمترس من المحيون العجم وهؤلاء هم
العرب وفي معاشهم ظعن البربر وزنانة بالمغرب والاكراد والتركمان والترك بالمشرق
الا ان العرب ابتعدت نجعة واشد بداء لانهم مختصون بالقيام على الابل فقط وهؤلاء
يقومون عليها وعلى الشياه والبقر معها فقد تبين لك ان جيل العرب طبعي لا بد منه
في العمران والله سبحانه وتعالى اعلم

الفصل الثالث

في ان البدو اقدم من الحضرة وسابق عليه وان البادية اصل العمران
والامصار مدد لها

قد ذكرنا ان البدو هم المتحضرون على الضروري في احوالهم المعاجزون عما فوقه
وان الحضرة المعتنون بمجالات الترف والكمال في احوالهم وعملهم ولا شك ان الضروري
اقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه ولا بد الضروري اصل والكمالي فرع ناتئ عنه
فالبدو اصل المدن والحضر وسابق عليها لان اول مطالب الانسان الضروري ولا ينبغي
الى الكمال والترف الا اذا كان الضروري حاصل لا فحشونة البداءة قبل رقة الحضارة ولهذا
نجد المدن غاية للبدوي يجرى اليها وينتهي بسعيه الى مقترحه منها ومتى حصل على الرياش
الذي يحصل له في احوال الترف وعملهم عاج الى الدعة ويمكن نفسه الى قياد المدينة

والواجب بالتعرب دليل على مذمة التعرب والله سبحانه اعلم وبوالدعوى

الفصل الخامس

في ان اهل البدو اقرب الى النجاسة من اهل الحضرة

والسبب في ذلك ان اهل الحضرة القوا جنوبهم على مواد الراحة والدعة وانهم سوا في النعم والترف ووكلا امرهم في المدافعة عن اموالهم وانفسهم الى والهم والمحاكم الدسيسة يسوسهم والحامية التي تولت حراستهم واستدأمو الى الاسوار التي تحوطهم والمحرز الذي يحول دونهم فلا تعيبهم ميعة ولا ينفر لهم صيد فهم غارون آمنون قد آلفوا السلاح وتوالى على ذلك منهم الاجيال وتنزلا منزلة النساء والولدان الذين هم عيال على آبيهم حتى صار ذلك خلفا يتنزل منزلة الطليعة وأهل البدو لتفردهم عن المجتمع ونوحشهم في الشواحي وعدمهم عن الحماية وانتباههم عن الاسوار والابواب قائمون بالمدافعة عن انفسهم لا يكتولونها الى سوامهم ولا يتقون فيها تغررهم فهم دائما يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جاسب في الطرق ويتأفون عن اللجوج الا غرارا في المجالس وعلى الرجال وفوق الاقناب ويتوجسون للنبات والهيئات ويتفردون في الفقر والبيداء مدلين بأسهم والثمين بافسهم قد صار لهم الناس خلة في النجاسة سمجة يرجعون اليها متى دعاهم داع او استنفرهم صارخ وأهل الحضرة مهابة الضرم في الاداية او صاحبوهم في السفر عيال عليهم لا يأتون معهم شيئا من امر انفسهم وذلك مشاهد بالعيان حتى في معرفة النواحي والنجفات وموارد المياه ومشارع السبل وسبب ذلك ما شرحناه وأصله ان الانسان ابن عواقره وما لوفد لا ابن طبيعته ومزاجه فالذي ألفه في الاحوال حتى صار خلفا ومملكة وعادة تنزل منزلة الطليعة والحيلة واعتبر ذلك في الادبهن فتجده كبيرا صحيحا والله يحياى ما يشاء

الفصل السادس

في ان معاناة اهل الحضرة للاحكام مفسدة للباس فيهم ذاهبة بالجمعة منهم وذلك انه ليس كل احد ما لك امر نفسه اذ الروساء والامراء المالكون لامر الناس قابل بالمسبة الى غيرهم فمن الغالب ان يكون الانداس في مملكة غيره ولا بد فان كانت الملكة رفيقة وعادلة لا يعانى منها حكم ولا منع وصد كان من تحت يدها

العوائد المذمومة وفيها فيسهل علاجهم عن علاج الحضر وهو ظاهر وقد نوضح فيما بعد
أن الحضارة هي نهاية العمران وخروجها إلى الفساد ونهاية الشر والبعد عن الخير فقد تبين
أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر والله يحب المتقين ولا يمتزج على ذلك
بما ورد في صحيح البخاري من قول الحجاج لسلمة بن الأكوع وقد بلغه أنه خرج إلى سكك
البادية فقال له ارتدت على عنيك تعزيت فقال لا ولكن رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذن لي في البدو فاعلم أن الهجرة افترضت أول الإسلام على أهل مكة ليكونوا مع
النبي صلى الله عليه وسلم حيث حل من المواطن ينصرونه ويظاهرونه على أمره ويجرسونه
ولم تكن واجبة على الأعراب أهل البادية لأن أهل مكة يسمهم من عصبية النبي صلى الله
عليه وسلم في المظاهرة والحراسة ما لا يس غرهم من بادية الأعراب وقد كان المهاجرون
يستعينون بالله من التعرب وهو سكك البادية حيث لا تحب الهجرة وقال صلى الله عليه
وسلم في حديث سعد بن أبي وقاص عند مرضه بمكة اللهم امض لأصحابي هجرتهم ولا
تردهم على أعقابهم ومعناه أن يوفهم بالآزمة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعوا عن
هجرتهم التي ابتدأ بها وهو من باب الرجوع على العقب في السعي إلى وجه من الوجوه
وقبل أن ذلك كان خاصاً بما قبل الفتح حين كانت الحاجة داعية إلى الهجرة لآفة المسلمين
وأما بعد الفتح وحين كثرت المسلمون واعتزوا وتكفل الله لنبيه بالعصمة من الناس فإن
الهجرة ساقطة حيثئذ لقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وقبل سقط إشاؤها عن
يسلم بعد الفتح وقبل سقط وجوبها عن أسلم وهاجر قبل الفتح والكل مجتمعون على أنها
بعد الوفاة ساقطة لأن الصحابة اختلفوا من يؤمن في الأفاق وانتشروا ولم يبق الأفضل
السكك بالمدينة وهو هجرة فقول الحجاج لسلمة حجت سكن البادية ارتدت على عنيك
تعزيت نهي علي في ترك السكك بالمدينة بالإشارة إلى الدعاء المأثور الذي قدمناه وهو
قوله لا تردهم على أعقابهم وقوله تعزيت إشارة إلى أنه صار من الأعراب الذين لا يهاجرون
وأجاب سلمة بأكارم الزمة من الأمرين وإن النبي صلى الله عليه وسلم اذن له في البدو
و يكون ذلك خاصاً بك شهادة خزيمة وعناق أبي بردة أو يكون الحجاج إنما نهي علي ترك
السكك بالمدينة فقط لعدم سقوط الهجرة بعد الوفاة وإجابة سلمة بأن اغتنامه لأن النبي
صلى الله عليه وسلم أولى وأفضل فإثره يؤاخذ بالاعتناء بالمعنى عليه وفيه وعلى كل نقد بر فليس
دليلاً على مذمة البدو الذي عبر عنه بالتعرب لأن مشروعية الهجرة إنما كانت كما علمت
المظاهرة النبي صلى الله عليه وسلم وحراستهم لا مذمة البدو فليس في السعي على ترك هذا

السلطانية والتعاليمة مما تؤثر في اهل المحاضر في ضعف نفوسهم وخضد الشوكه منهم
بمعانهم في وليدهم وكهولهم واليدو بعزل من هذه المنزلة لبعدهم عن احكام السلطان
والتعليم والآداب وهذا قال محمد بن أبي زيد في كتابه في احكام المعلمين والمعلمين
انه لا ينبغي للمؤدب ان يضرب احدا من الصبيان في التعليم فوق ثلاثة اسواط ثقله عن
شرح الفاضي واجتله بعضهم بما وقع في حديث بدء الرحي من شأن الغلط وانه كان
ثلاث مرات وهو ضعيف ولا يصلح شأن الغلط ان يكون دليلا على ذلك لبعده عن
التعليم المعارف والله المحكم الخبير

الفصل السابع

في ان سكنى البدو لا يكون الا للأنامل اهل العصبية
اعلم * ان الله سبحانه ركب في طبائع البشر الخير والشر كما قال تعالى وهديناه
النجدين وقال فاللهما فجورها وتواها والشر اقرب الخلال اليه اذا اهل في مرفعي عوائق
ولم يهتد الا اقتباده بالدين وعلى ذلك المم الغرير الا من وفقه الله ومن اخلاق الشرفيم
الظلم والعدوان بعض على بعض فمن امتدت عينه الى متاع اغيى امتدت يده الى اخذه
الا ان يصدّه رابع كما قال

والظالم من شيم النفوس فان تجدد ذا عفتة فلعلك لا يظلم
فاما المدن والامصار فعدوان بعضهم على بعض تدفعه الاحكام والدولة بما قبضوا على
ايدي من تحتمهم من الكافة ان يمد بعضهم على بعض او يمدو عليهم مكروهون بحكمة
القهر والسلطان عن الظالم الا اذا كان من المحاكم ينسب واما العدوان الذي من خارج
المدنية فيدفعه سياج الاسوار عند الغلبة او الفرة لباك او العجز عن المقاومة بهاراً او
يدفعه زياد الحامية من اعران الدولة عند الاستعداد والمقاومة واما احياء البدو فيزعم
بعضهم عن بعض مشايخهم وكبرادهم بما قرئ في نفوس الكافة لم من الوقار والنجلة واما
حالمهم فلما يذود عنها من خارج حامية الهي من الشجاعة وفتياهم المعروفين بالفتيحة فيهم
ولا يصدق دفاعهم وزيادهم الا اذا كانوا عصبية واهل نسب واحد لهم بذلك تشد
شوكهم ويثنى جانبهم اذ نعة كل احد على نسبه وعصبيتهم وما جعل الله في قلوب
عباده من الشفقة والرحمة^(١) على ذوي اربابهم وقرابهم موجودة في الطبايع البشرية وبها

١ الفرة والمار بالهم دما والشر الصراح والصباح في حرب ارض كاسية النابوس

مدلين بما في انفسهم من شجاعة أوجبن وانفبن بعدم النزاع حتى صار لهم الادلال جملة
لا يعرفون سواها وإنما اذا كانت الملكة واحكامها بالهبر والسطوة والاخافة فتكسر حيثئذ
من سورة باسمهم ونذهب المنعة عنهم لما يكون من التكاثر في النفوس المضطربة كما نبهت
وقد نبه عمر سعداً رضي الله عنها عن مثلها لما اخذ زهرة بن حوبة سائب الجملانيوس
وكانت قيمته خمسة وسبعين ألفاً من الذهب وكان اتبع الجملانيوس يوم القادسية فتغلب
واخذ سلبه فانتزع منه سعد وقال له دلاً انتظرت في اتباعي اذني وكتب الي عمر يسألك
فكتب الي عمر تعبد الي مثل زهرة وقد صلى بها صلى يو وبقي عليك ما بقي من حرك
وتكسر فوقه وتفسد قلبه وأضى له عمر سلبه وأما اذا كانت الاحكام بالعقاب فذهبية
للناس بالكلية لان وقوع العقاب يو ولم يدافع عن نفسه يكسبه المذلة التي تكسر من
سورة بأسو بلا شك وأما اذا كانت الاحكام تاديبية وتعليمية واخذت من عهد الصبا
أثرت في ذلك بعض الشيء لرباه على الخافة والابتعاد فلا يكون مدلاً بعباسه ولهذا
يخجل المتوحدين من العرب اهل البدو اشد بأساً ممن تآخذ الاحكام ويخجل ايضاً
الذين يعانون الاحكام ولكنهم من لدن مراهق في التاديب والتعليم في الصنائع والعلوم
والدبائات ينقص ذلك من باسمهم كثيراً ولا يكادون يدفعون عن انفسهم عادة بوجه
من الوجوه وهذا شأن طلبة العلم المتعلمين للقراءة والاخذ عن المشايخ والائمة المارسيين
للتعليم والتاديب في مجالس الوقار والمحبة فيهم هذه الاحوال وذهابها بالمنعة والبأس ولا
تستذكر ذلك بما وقع في الصفاية من أخذهم باحكام الدين والشرعية ولم ينقص ذلك من
باسمهم بل كانوا اشد الناس بأساً لان الشارع صلوات الله عليه لما اخذ المسلمين عنه
دينهم كان يزعم فيه من انفسهم لما تلى عليهم من الترغيب والترهيب ولم يكن يعلم
صناعته ولا تاديب تعليمية إنما في احكام الدين وآدابه المتلقاة تغلب ياخذون انفسهم بها
مع فيهم من عائد الايمان والتصديق فلم تنزل سورة باسمهم مستفحكة كما كانت ولم تغدشها
اظهار التاديب والحكم قال عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله حرصاً على
ان يكون الوازع لكل احد من نفسه ويقيناً بان الشارع أعلم بمصالح العباد ولما ناقص
الدين في الناس واخذوا بالاحكام الوازعة ثم صار الشرع علماً وصناعة يؤخذ بالتعليم
والتاديب ورجع الناس الى الحضارة وخلف الاقياد الى الاحكام نقصت بذلك سورة
البأس فيهم فقد بين ان الاحكام السطوانية والتعليمية مفسدة للبأس لان الوازع فيها
أجنبي* وأما الشرعية فغير مفسدة لان الوازع فيها ذاتي ولهذا كانت هذه الاحكام

يستفاد من الخبر البعيد ضعف فيه الوهم وذهبت فائدته وصار الشغل وشيئاً ومن أعمال
الله المنيعة عنه ومن هذا الاعتبار معنى قولم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تنفع بمعنى ان
النسب اذا خرج عن الوضوح وصار من قبيل العلوم ذهبت فائدة الوهم فيه عن النفس
وانتفت النعمة التي تحمل عليها العصبية فلا منفعة فيه حيثئذ والله سبحانه وتعالى أعلم

الفصل التاسع

في ان الصريح من النسب اما يوجد للتوحشين في القفر من العرب ومن في معان
وذلك لما اخصوا به من تكد العرش وشطف الاحوال وسوء المواطن حملهم عليها
والضرورة التي عينت لهم تلك القسوة وفي لما كان معاشهم من القيام على الابل وتاجعها
ورعايتها والابل تدعوهم الى التوحش في القفر اربعها من شجره وتاجعها في رماله كما تقدم
والقفر مكان الشظف والسغب فصار لهم القاء وعادة وريبت فيه اجيالهم حتى تمكنت خلقا
وجيلة فلا يتزع الهم احد من الاعم ان يساهمهم في حالهم ولا يانس بهم احد من الاجيال
بل لو وجد واحد منهم السبيل الى الثرار من حاله وامكنه ذلك لما تركه فيهم من عليهم
لاجل ذلك من اختلاط انسابهم وفسادها ولا تزال بينهم محفوظة صريحة واعتبر ذلك
في مضر من قريش وكانة وثقيف ونفي اسد وهذيل ومن جاورهم من خراة لما كانوا
اهل شظف وباطن غير ذات زرع ولا ضرع وبعدوا من ارباب الشام والعراق
ومعادن آدم والحبوب كيف كانت انسابهم صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط ولا
عرف فيهم شوب . ولما العرب الذين كانوا باللول وفي معادن الخصب للراعي والعيش
من حمير وكميلان مثل لحيم وحذام وغسان وطي وقضاعة واباد فاختلطت انسابهم
وتداخلت شعوبهم فني كل واحد من بيوتهم من الخلاف عد الناس ما تعرف ولما جاءهم
ذلك من قبل التميم ومناظلمهم وهم لا يهتدون المحافظة على النسب في بيوتهم وشعوبهم
ولما هذا العرب فقط . قال عمر رضي الله تعالى عنه تعلموا النسب ولا تكونوا كسبط السواد
اذا سئل احد من اصليو قال من قريه كذا هذا اي ما لم يحن هؤلاء العرب اهل الارياض
من الازدحام مع الناس على الدلد الغائب والمرأى العصبية فكثير الاختلاط وتداخلت
الانساب وقد كان وقع في صدر الاسلام الانتباه الى المواطن فيقال جد قسرين جد
دمشق جند العاصم وانتقل ذلك الى الاندلس ولم يكن لاطراح العرب امر النسب ولما
كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب

يكون التعاضد والتناصر وتعمد رغبة العدو ولم واعتبر ذلك فيما حكاه القرآن عن اخوة يوسف عليه السلام حين قالوا لا يوه لنا آكلة الذئب ونحن عصبة اما اذ المحاسرون والمعنى انه لا يتوهم العدوان على احد مع وجود العصبية له واما المتفردون في انسابهم فقل ان نصيب احدا منهم نعمة على صاحبه فاذا اظلم المهر بالشر يوم الحرب تسال كل واحد منهم ببغي النجاة لنفسه وخيفة واستحياءا من التنازل فلا يقدرون من اجل ذلك على سكنى القفر لما انهم حينئذ طاعة لمن يلتمهم من الامم سواء واذا ثبت ذلك في السكنى التي تحتاج للدافعة والحماية فبذلك يتبين لك في كل امر يسهل الناس عليه من سيرة او اقامة ملك او دعوى اذ بلوغ الغرض من ذلك كله انما يتم بالتنازل عليه لما في طماع البشر من الاستعلاء ولا بد في التنازل من العصبية كما ذكرناه انما فاتخذ اماما فانه يهوى به فيما نوره عليك بعد والله الموفق للصواب

الفصل الثامن

في ان العصبية انما تكون من الانتماء بالنسب او ما في معناه وذلك ان صلة الرحم طبعية في البشر الا في الاقل ومن صلها النعمة على ذوي القرى وأهل الارحام أن ينالهم ضم أو نصيبهم هلكة فان القريب يجد في نفسه غصاصة من ظلم قريبه او العداء عليه ويؤذ او يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمالك نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا فاذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريبا جدا بحيث حصل به الاتحاد والانتظام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك فبجهدا ووضوحها واذا بعد النسب بعض الشيء فرما تنحى بعضها ويبقى منها شهرة فتعمل على النصرة لذوي نسبها بالامر المشهور منه فرارا من القضاة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب اليه بوجه ومن هذا الباب الولاء والمخلف اذ نعمة كل احد على أهل ولائه وحسنه للالفة التي تلقى النفس من اهتمام جارها او قريبها او نسبها بوجه من وجهه النسب وذلك لاجل المشمة المتحصلة من الولاء مثل لحمية النسب او قريبا منها ومن هذا تهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم يعني أن النسب اما فائدة هذا الانتماء الذي يوجب صلة الارحام حتى تقع المناصرة والمعة وما فوق ذلك مستغنى عنه اذ النسب امر وحي لا حقيقة له ونفعه انما هو في هذه الوصلة والانتماء فاذا كان ظاهرا واضحا حمل النفوس على طبيعتها من النعمة كما قلناه واذا كان انما

من اهل نسبهم المخصوص ومن اهل النسب العام الا انها في النسب الخاص اشد لقرب
 اللمعة والرياسة فيهم انما تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل ولما كانت الرياسة
 انما تكون بالغلب وجب ان تكون عصبية ذلك النصاب اقوى من سائر العصابات ليضع
 الغلب بها ويتم الرياسة لاهلها فاذا وجب ذلك تعين ان الرياسة عليهم لانرا ل في ذلك
 النصاب المخصوص اهل الغلب عليهم اذ لو خرجت عنهم وصارت في العصابات الاخرى
 النازلة عن عصابهم في الغلب لما تمت لم الرياسة فلا تزال في ذلك العصاب متناقلة
 من فرع منهم الى فرع ولا تنتقل الا الى الاقوى من فروعه لما قلناه من سر الغلب لان
 الاجتماع والعصبية بمثابة المزاج المتكون والمزاج في المتكون لا يصلح اذا تكافأت العناصر
 فلا بد من غلبة احدها والام يتم التكوين فهذا هو سر اشتراط الغلب في العصبية ومنه
 تعين استمرار الرياسة في النصاب المخصوص بها كما قررناه

الفصل الثاني عشر

في ان الرياسة على اهل العصبية لا تكون في غير نسبهم
 وذلك ان الرياسة لا تكون الا بالغلب والغلب انما يكون بالعصبية كما قدمناه فلا بد
 في الرياسة على القوم ان تكون من عصبية عالية لعصبيتهم واحدة واحدة لان كل عصبية
 منهم اذا احسنت بغلب عصبية الرئيس لم اقروا بالاذعان والاتباع والساقط في نسبهم
 بالجملة لا تكون له عصبية فيهم بالنسب انما هو ملحق اربق وغاية التعصب له بالولاء
 والحلف وذلك لا يوجب له غلبا عليهم البته واذا فرضنا انه قد اتهم بهم واختلط وتوسى
 هذه الاول من الالتصاق وليس جلدتهم ودعي نسبهم فكيف له الرياسة قبل هذا الالتصاق
 او لاحد من سائرهم والرياسة على القوم انما تكون متناقلة في منبت واحد تعين له الغلب
 بالعصبية فالاولية التي كانت لهذا الملحق قد عرف فيها التفاضل من غير شك ومنعه
 ذلك الالتصاق من الرياسة حينئذ فكيف تنزله عنه وهو على حال الالتصاق والرياسة
 لا بد وان تكون موروثه عن مستحقها لما قلناه من التغلب بالعصبية وقد يتشوف كثير
 من الرؤساء على التباطل والعصائب الى انساب يلجئون بها اما لخصوصية فضيلة كانت
 في اهل ذلك النسب من شجاعة او كرم او ذكر كيف اتفق فينزعون الى ذلك النسب
 ويتورطون بالدعوى في شعوبه ولا يعلمون ما يوقعون فيه انفسهم من القبح في رياستهم
 والظلم في شرفهم وهذا كثير في الناس لهذا العهد فمن ذلك ما يدعيه زناة جملة اهلهم

يتميزون بها عند امرائهم ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم فتمتد الانساب
بالجملة وفقدت غرمتها من العصبية فاطرحت ثم تلاشت القبائل ودرشت فدرشت العصبية
بذنورها وبقي ذلك في البدو كما كان والله وارث الارض ومن عليها

الفصل العاشر

في اختلاط الانساب كيف يقع

اعلم . انه من الدين أن بعضنا من اهل الانساب يسقط الى اهل نسب اخر بقرابة
الهم أو حلف أو ولاء أو لفار من قوم يمينية اصحابها فيدعي بنسب هؤلاء ويعد منهم
سنة ثماتو من النعمة والثود وحمل الديات وسافر الاحوال واذا وجدت ثمرات النسب
فكأنه وجد لانه لا معنى لكونه من هؤلاء ومن هؤلاء الاجريان احكامهم واحكام عليو
وكأنه اتهم بهم ثم انه قد يتناسى النسب الاول بطول الزمان ويذهب اهل العلم به فيفتنى
على الاكثر وما زالت الانساب تسقط من شعب الى شعب وبلغت قوم باخرين في الجمالية
والاسلام والعرب والعجم . وانظر خلاف الناس في نسب آكل المنذر وغيرهم بين الك
شيء من ذلك ومنه شان بجملة في عرقية بن هرثة لما ولاء عمر عليهم فسالوه الاعناء من
وقالوا هو فينا الزين ابي دخيل والصيق وطلبوا اب يولي عليهم سحريرا فسالوه عمر عن
ذلك فقال عرقية صدقوا يا امير المؤمنين انا رجل من الازد اصبحت دما في قومي ولحقت
بهم وانظر منه كيف اختلط عرقية بجميلة ولس جلدتهم ودعي بنسبهم حتى ترشح للرياسة
عليهم لولا علم بعضهم بوثاقه ولو غفلوا عن ذلك وامتنع الزمن لتنوسي بالجملة وعد منهم
بكل وجه ومذهب فافهمه واعتبر سر الله في خلقه ومثل هذا كثير لهذا العهد ولما قبله
من العهود والله الموفق للصواب بنو وفضلو وكرموا

الفصل الحادي عشر^(١)

في ان الرياسة لا تنزل في نصابها المخصوص من اهل العصبية

اعلم . ان كل حي او بطن من القبائل وان كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام ففهم
ايضا عصبية اخرى لانساب خاصة هي اشد اتجاها من النسب العام لم مثل عشير واحد
او اهل بيت واحد او اخوة بني اب واحد لا مثل بني العم الاقربين او الاعداء بنو هؤلاء
افعد بنسبهم المخصوص ويشاركون في سواهم من العصبية في النسب العام والنعرة تقع

١ هذا الفصل منسقط من النسخ النادرة وموجود في نسخة الموصلة واما اولى ايشاق كرامة اول الفصل ١٠١٢
قوله نصر المورخ

الفصل الثالث عشر

في ان البيت والشرف بالاصالة والمحبة لاهل العصبية ويكون لغرهم بالجوار والشبه
 وذلك ان الشرف والحسب انما هو بالخلال ومعنى البيت ان يعد الرجل في آبائو
 اشرافا مذكورين يكون له بولادتهم اياه والانتساب اليهم تجلته في اهل جلدته لما وفر في
 نفوسهم من تجلته سلوة وشرفهم بخلالهم والناس في نشأته وتناسلهم معادن قال صلى الله
 عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا اقبلوا بمعنى الحسب
 راجع الى الانساب وقد بينا ان مرة الانساب وفائدتها انما هي العصبية للتعرة والتناصر
 فحيث تكون العصبية مرهوبة ومخفية والمثبت فيها زكي مسمى تكون فائدة السب أوضح
 وغرتها أقوى وتعدد الاشراف من الآباء زائد فائدتها فيكون الحسب والشرف
 اصليين في اهل العصبية لوجود ثمة السب وتفاوت البيوت في هذا الشرف وتفاوت
 العصبية لانه سرها ولا يكون للنفرد من اهل الامصار بيت الا بالجوار وان توهمة
 فزخرف من الدعاوى واذا اعزبت الحسب في اهل الامصار وجدت معناه ان الرجل
 منهم يعد سلفا في خلال الخير وشما لعله اهل مع الركون الى العافية ما استطاع وهذا معاير
 لسر العصبية التي هي مرة السب وتعدد الآباء لكنه يطلق عليه حسب وبيت بالجوار
 لعلاقة ما فيه من تعدد الآباء المتعاقبين على طريقة واحدة من الخير ومساكنه وليس
 حسبا بالمحبة وعلى الاطلاق وان ثبت انه حقيقة فيها ما اوضح اللغوي فيكون من المتكلم
 الذي هو في بعض مواضعه أولى وقد يكون للبيت شرف اول بالعصبية والخلال ثم
 يستلزمون منه لذهابها بالحضارة كما تقدم ويختلطون بالجار ويبقى في نفوسهم وسواس ذلك
 الحسب يعدون به انفسهم من اشراف البيوتات اهل العصائب وليسوا منها في شيء
 لذهاب العصبية جملة وكثير من اهل الامصار النشئين في بيوت العرب او النجم لاؤل
 عهدهم موسوسون بذلك واكثر ما ربح الوسواس في ذلك لبني اسرائيل فانه كل من بيت
 من اعظم بيوت العالم ولا يثبت أوكلا ما تعدد في سلته من الانبياء والرسل من لدن
 ابراهيم عليه السلام الى موسى صاحب ملتهم وشريعته ثم بالعصبية ثانيا وما اتاهم الله بها
 من الملك الذي وعدم به ثم استلغوا من ذلك اجمع وضربت عليهم الذلة والمسكنة وكتب
 عليهم الجلالة في الارض وانفردوا بالاستعباد للكفر الآقامن السيوف وما زال هذا
 الوسواس مصاحبا لهم فيقدمهم يقولون هذا هاروني هذا من نسل يوشع هذا من عقب كالب

من العرب ومئة ادعاء اولاد زباب المعروفين بالحجازيين من بني عامر احد شعوب
رغبة انهم من بني سليم ثم من الشريف منهم حتى جدتهم ببني عامر تجاراً يصنع الحرجان^(١)
واختلط بهم وانتم بنسبهم حتى رأس عليهم ويسمونه الحجازي . ومن ذلك ادعاء بني عبد
القوي بن العباس بن توجين أنهم من ولد العباس بن عبد المطلب رغبة في هذا النسب
الشريف وغلبوا باسم العباس بن عقالبة آبي عبد القوي ولم يعلم دخول احد من
العباسيين الى المغرب لانه كان منذ اول دولتهم على دعوة العلويين اعدائهم من الادارسة
والعبيدين فكيف يسقط العباس الى احد من شيعة العلويين . وكذلك ما يدعيه ابناء
زيان ملوك تلمسان من بني عبد الواحد أنهم من ولد القاسم بن ادريس ذهاباً الى ما
اشهر في نسبهم أنهم من ولد القاسم فيقولون بلسانهم الزياتي انت القاسم اسي
بنو القاسم ثم يدعون أن القاسم هذا هو القاسم بن ادريس او القاسم بن محمد
بن ادريس ولو كان ذلك صحيحاً فغاية القاسم هذا انه قر من مكان سلطانه مستغيثاً بهم
فكيف ثم له الرئاسة عليهم في باديتهم وانما هو غلط من قبل اسم القاسم فانه كثير الوجود
في الادارسة فهو على أن قاسمهم من ذلك النسب وهم غير متباينين لذلك فان مناهم
لذلك والعزة انما كان بعصبيتهم ولم يكن بادعاء علوية ولا عباسية ولا شيء من الانساب
وانما يجمل على هذا المنفردين الى الملوك بمنازعتهم ومذاهبتهم ويشتهر حتى يبعد عن الرد .
ولقد اغني عن يفسر اس بن زيان مؤنل سلطانهم انه لما قيل له ذلك انكره وقال ياخذني
الزناينة ما معناه اما الدنيا في الملك فلناها سيوفنا لا بهذا النسب . واما فنه في الآخرة
فردود الى الله وأعرض عن التقرب اليها بذلك . ومن هذا الباب ما يدعيه بنو سعد
شيوخ بني يزيد من رغبة أنهم من ولد ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذر سلالة شيوخ
بني يديلين من توجين أنهم من سليم والزواودة شيوخ رباح انهم من اعقاب البرامكة
وكذا هو مذهب امرأه طييء بالمشرق يدعون فيما بلغنا أنهم من اعقابهم وانما ذلك
كثير ورياستهم في قومهم مانعة من ادعاء هذه الانساب كما ذكرناه بل نعين ان يكونوا
من صرح ذلك النسب واقوى عصبياتو فاعندة واجنب المفاط فيه ولا تحجل من هذا
الباب الخاق مهدي الموحدين بنسب العلوية فان المهدي لم يكن من منبت الرئاسة في
هرقة قومهم وانما رأس عليهم بعد اشتهارهم بالعلم والدين ودخول قبائل المصالح في دعوتهم
وكان مع ذلك من اهل المنابت المتوسطة فيهم والله عالم الغيب والشهادة

كل دولة وخدمها إنما يكون لم البيت والحسب بالرسوخ في ولائها والاصالة في اصطلاحها
ويفصيل نسبة الاقدم من غير نسبها وبقي ملقى لا عبرة به في اصله ومجده وإنما اعتبر
نسبة ولائها واصطلاحها اذ فيه سر العصبية التي بها ائمت والشرف قبكان شرفه مشتقان
شرف والاباء وبنائهم من بنائهم فلم ينته نسب ولائهم إلى بني عبد نسب الولاء في الدولة
ونجمة الاصطلاح فيها والترتبة وقد يكون نسبة الاول في لحبة عصبية ودولته فاذا ذهبت
وصار ولاؤه واصطلاحه في اخرى لم تنته الاول اذهاب عصبيتها وانفع بالمنايسة
او جودها وهذا حال بني برمك اذ المنقول انهم كانوا اهل بيت في الفرس من سدة نبوت
النار عدهم ولما صاروا الى ولاء بني العباس لم يكن بالاول اعتبار وإنما كان شرفهم من
حيث ولائهم في الدولة واصطلاحهم وما سوى هذا فوهم توسوس به النفوس الجاحشة ولا
حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه وان اكرمكم عند الله اتقاكم والله ورسوله اعلم

الفصل الخامس عشر

في ان نهاية الحسب في العقب الواحد اربعة ابناء

اعلم * ان العالم العصري بما فيه كائن فاسد لا من ذواته ولا من احوالها المكونات
من المعدن والنبات وجميع الحيوانات الانسان وغيره كائنة فاسدة بالمعانية وكذلك
ما يعرض لها من الاحوال وخصوصاً الانسانية فالعلوم تنشأ ثم تدرس وكذا الصنائع
وامثالها والحسب من العوارض التي تعرض للادبيين فهو كائن فاسد لا بحاله وليس
يوجد لاحد من اهل الخلافة شرف متصل في ابائهم من لدن آدم اليو الا ما كان من ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم كرامة به وحياطة على السرفيه واول كل شرف خارجة كما
قيل وهي الخروج عن الرئاسة والشرف الى الضعة والابتدال وعدم الحسب ومعه ان
كل شرف وحسب فعدمة سابق عليه شأن كل محدث ثم ان نهاية في اربعة ابناء وذلك
ان باي المجد عالم بما عاناه في بنائه ويحافظ على الخلال التي هي اسباب كونه وبقائه وابنة
من بعده مباشر لا يوقد سمع منه ذلك واخذ عنه الا انه متصرف في ذلك تقصير السامع
ما لشيء عن المعاني له ثم اذا جاء الثالث كان حظة الاقتناء والتقليد خاصة فقصر عن
الثاني تقصير المتخذ عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع قصر عن طريقهم حجة واضع الخلال
الحافظة لآباء مجدهم واحترها وتوهم ان ذلك البنيان لم يكن بما عاناه ولا تكلف وإنما هو
امر وجب لم منذ اول النشأة بجزء انسابهم وليس بعصاية ولا بجلال لما يرى من النجاة

هذا من سبط يهوذا مع ذهاب العصبية ورسوخ الذل فيهم منذ احتجاب متطاوله وكثير
من اهل الامصار وغيرهم المنقطعين في انسابهم عن العصبية يذهب الى هذا الهديان .
وقد غلط ابو الوليد بن رشد في هذا لما ذكر المحسب في كتاب الخطابة من تلخيص كتاب
المعلم الاول والمحسب هو ان يكون من قوم قدم نزلهم بالمدينة ولم يتعرض لما ذكرناه وليت
شهري ما الذي ينفعه قدم نزلهم بالمدينة ان لم تكن له عصاية يرهب بها جانبها وتحمل
غيرهم على القبول منه فكأنه أطلق المحسب على تعبد الآباء فقط مع ان الخطابة انما هي
استئالة من توثر استئالة وهم اهل الحل والعقد وأما من لاقدرة له البتة فلا يلتفت اليه
ولا يقدر على استئالة أحد ولا يستمال هو ولا اهل الامصار من المحضر بهذه الملامة الآن
ابن رشد وبا في جبل وبلد لم يارسو العصبية ولا آتسوا احوالها فبقي في امر البيت
والمحسب على الامر المشهور من تعبد الآباء على الاطلاق ولم يراجع فيه حقيقة العصبية
وسرها في الحليقة والله بكل شيء عليم

الفصل الرابع عشر

في ان البيت والشرف للموالي واهل الاصطناع انما هو بمولاهم لا بانسابهم
وذلك اننا قدمنا ان الشرف بالاصالة والحقيقة انما هو لاهل العصبية فاذا اصطنع
اهل العصبية قوما من غير نسبهم واسترقوا العبدان والموالي والتسوا بذكاء قلنا ضرب
معهم اولئك الموالي والمصطنعون بنسبهم في تلك العصبية وابسوا جادتها كانتها عصبية
وحصل لهم من الانتظام في العصبية مساهمة في نسبها كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم مولى القوم منهم
وسوا فكان مولى رق او مولى اصطناع وحلف وليس نسب ولادته ينافع له في تلك العصبية
اذ هي مباينة لذلك النسب وعصبية ذلك النسب مفقودة لذهاب سرها عند التحاوي بهذا
النسب الاخر وقد انزاهل عصبيتها فيصير من هؤلاء ويندرج فيهم فاذا تعددت الالاباء في
هذه العصبية كان لهم بيتهم شرف وبيت على نسبته في ولايتهم واصطناعهم لا يهاوؤه الشرف بل
يكون ادون منهم على كل حال وهذا شأن الموالي في الدول والمخدمة كلهم فانهم انما يشرفون
بارسوخ في ولاء الدولة وخدمتها وتعدد الآباء في ولايتها الا ترى المولى الانراك
في دولة بني العباس والى بني برمك من قبلهم وبني نوحيت كيف ادركوا البيت والشرف
وبني الجند والاصالة بالارسوخ في ولاء الدولة فكان جعفر بن يحيى بن خالد من اعظم
الناس بيتا وشرقا بالانتساب الى والي الرشيد وقوم لا بالانتساب في الندرس وكذلك مولى

الفصل السادس عشر

في ان الامم الوحشية اقدر على التغلب من سواها

اعلم بـدانه لما كانت البداوة سبباً في الشهادة كما قلناه في المقدمة الثالثة لاجرم كان هذا الجيل الوحشي اشد شجاعة من الجيل الاخر فهم اقدر على التغلب وابتزاز ما في ايدي سواهم من الامم بل الجيل الواحد يختلف احواله في ذلك باختلاف الاعصار فكلمنا نزلنا الارياك وتفكروا النعم والفوا عنائد الخصب في المعاش والنعم نقص من شجاعتهم فمقدار ما نقص من توحشهم وبدونهم واعتبر ذلك في الحروب والنعم بدواجن الطمأنينة والفر الوحشية والحمر اذا زال توحشها بغير طاعة الادميين والخصب عيشها كيف يختلف حالها في الانحاض والشد حتى في مشيتها وحسن ادبها وكذلك الادمي المتوحش اذا انس والف وسببه ان تكون العبايا والطبايع انما هو عن الما ارفايت والعوائد واذا كان الغلب للامم انما يكون بالافدام والبسالة فمن كان من هذه الاجيال اعرق في البداوة واكثر توحشاً كان اقرب الى التغلب على سواها اذا تقارنا في العدد وتكافأ في القوة العصبية وانظر في ذلك شان مصر مع من قبلهم من حمير وكهلان الساقيين الى الملك والنعم ومع ربيعة الدوطيين ارياف العراق ونعمته لما بقي مضر في بداوتهم وندمهم الآخرون الى خصب العيش وغضارة النعم كيف ارهفت البداوة جدهم في التغلب فتناوبهم على ما في ايديهم وابتزعوهم منهم وهذا حال بني طيء وبني عامر بن صعصعة وبني سليم بن منصور من بعدهم لما تخرروا في باديتهم عن سائر قبائل مضر ولبن ولم يلبسوا شي من دنياهم كيف امسكت حال البداوة عليهم قوة عصبيتهم ولم تفلتها مذاهب الترف حتى صاروا اغلب على الامر منهم وكذا كل حية من العرب يلي لعباً وعيشاً خصباً دون الحي الآخر فان الحي المتبدئ يكون اغلب له واقدرا على اذا تكافأ في القوة والعدد سنة الله في خلقه

الفصل السابع عشر

في ان الغاية التي تجري اليها العصبية هي الملك

وذلك لانا قد علمنا ان العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل امر يحتاج عليه وقد علمنا ان الادميين بالطبيعة الانسانية يحتاجون في كل اجتماع الى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض فلا بد ان يكون متغلباً عليهم بتلك العصبية والام لهم قدرته على ذلك وهذا التغلب هو الملك وهو امر رائد على الرياسة لان الرياسة انما هي سؤدد

بين الناس ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها وتوهم انه النسب فقط فيربا بنفسه عن
 اهل عصبته ويرى الفضل له عليهم وثوقا بما ربي فيه من استباحتهم وجهلا بما اوجب
 ذلك الاستباحت من الخلال التي منها التواضع لم والاخذ بجماع قلوبهم فيعتزهم بذلك
 فينصرون عليه ويخفون منه ويدلون منه سواء من اهل ذلك المنبت ومن فروعه في
 غير ذلك الغلب للاذعان لعصبيتهم كقوله بعد الوثوق بما برضونه من خلاوة فنفو فروع
 هذا وتدوى فروع الاول وينهدم بناء بيتي هذا في الملوك وهكذا في بيوت القبائل
 والأمراء واهل العصبية اجمع ثم في بيوت اهل الامصار اذا انحطت بيوت نشأت بيوت
 اخرى من ذلك النسب ان يثأر بذهبكم ويمات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز
 وعاظم الامر في الاربعة في الاحساب انما هو في الغالب والاقتد يدثر البيت من دون الاربعة
 ويتلاشي وينهدم وقد يتصل امرها الى الخامس والسادس الا انه في الخطاط وذهاب
 واعتبار الاربعة من قبل الاجيال الاربعة بان وسائر له ومقلد وهادم وهو اقل ما
 يمكن وقد اعتبرت الاربعة في نهاية الحسب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه وسلم
 اما الكرم ابن الكرم ابن الكرم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم إشارة
 الى انه بلغ الغاية من المجد وفي التوراة ما معناه ان الله ربك طابق غيوره مطالب بنحسب
 الابهاء للبيت على الثالث وعلى الرابع وهذا يدل على ان الاربعة الاعتقاب غاية في
 الانساب والحسب ومن كتاب الاغانى في اخبار عترة بني النعمان قال كسرى قال للنعمان
 هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة قال نعم قال باي شيء قال من كان له ثلاثة ابناء
 متواليه رؤساء ثم اتصل ذلك بكامل الرابع فالبيت من قبيلتي وطالب ذلك فلم يجده الا
 في آل حذيفة بن بدر الفزاري وهم بيت قيس وآل ذي الجمد بن بيت شيبان وآل
 الاشعث بن قيس من كنة وآل حاجب بن زرارة وآل قيس بن عاصم المنقري من بني
 تميم فصح هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائهم واقعد لم الحكماء والعدول فقام حذيفة بن
 بدر ثم الاشعث بن قيس لثرائيه من النعمان ثم اسطام بن قيس بن شيبان ثم حاجب بن
 زرارة ثم قيس بن عاصم وخطبوا ونزلوا فقال كسرى كلهم سيد يصلي لموضع وكانت
 هذه البيوتات هي المذكورة في العرب بعد بني هاشم ومعهم بيت بني النضير من بني
 الحرث بن كعب بيت النبي وهذا كله يدل على ان الاربعة الابهاء نهاية في الحسب والله اعلم

فيوم من جبايتها ولم تسم امامها الى شيء من منازع الملك ولا اسبابها منهم العيب والكسب
 وخسب العيش والسكون في ظل الدولة الى الدعة والراحة والاخذ بذهاب الملك في
 المباني والملابس والاستكنار من ذلك والناتق فيوم بقدر ما حصل من الرباش والترف
 وما يدعو اليه من تواضع ذلك فتذهب خشونة البدانة وتضعف العصبية والبسالة
 وتنعمن فيها اناهم الله من البسطة وتنشأ بنوم واعتنائهم في مثل ذلك من الترفع عن خدمة
 انفسهم وولاية حاجاتهم ويستكنون عن سائر الامور الضرورية في العصبية حتى يصبر ذلك
 خلقا لهم بحجة فتقص عصبيتهم وبسالته في الاجمال بعدهم بتعاقبها الى ان تنقرض العصبية
 فياذنون بالانقراض وعلى قدر ترفهم ونعيمهم يكون اشراقهم على النفا فضلا عن الملك فان
 عوارض الترف والفرق في العيب كاسر من سورة العصبية التي بها التغلب واذا انقرضت
 العصبية قصر القليل عن المدافعة والحماية فضلا عن المطالبة والتهتم الامم سواهم فقد نبين
 ان الترف من عوائق الملك والله يوتي ما يكره من يشاء

الفصل التاسع عشر

في ان من عوائق الملك حصول المذلة للقليل والافتقار الى سواهم
 وسبب ذلك ان المذلة والافتقار كاسر ان سورة العصبية وشدها فان انقيادهم ومذلتهم
 دليل على فقدانها فارتدوا للمذلة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة فارادى ان
 يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة واعبر ذلك في بني اسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام
 الى ملك الشام واخبرهم بان الله قد كتب لهم ملكا كيف عجزوا عن ذلك وقالوا ان فيها
 قوما عجايبا واننا ان بدخلها حتى يخرجوا منها اي يخرجهم الله تعالى منها بضرب من قدرته
 غير عصبيتنا وتكون من معجزاتك يا موسى ولما عزم عليهم لجوا وارتكبوا العصيان وقالوا له
 اذهب استوربك فقاتلنا وما ذلك الا لما آتسوا من انفسهم من العجز عن المقاومة والمطالبة
 كما تنصير الآية وما يوثق في تفسيرها وذلك بما حصل فيه من خلق الافتقار ومارة وامر الفل
 للقط احتفاء حتى ذهبت العصبية منهم جملة مع انهم لم يؤمنوا بحق الايمان بما اخبرهم به موسى من
 ان الشام لم وان العالفة الذين كانوا باريا فخر يستهم يتكلم من الله قدرته لم واقصروا عن ذلك
 وعجزوا تعويلا على ما علموا من انفسهم من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من خلق المذلة
 وطعنوا فيها اخبرهم به نعيم من ذلك وما امرهم به فعاقبهم الله بالتيه وهو انهم تاهوا في قدر
 من الارض ما بين الشام ومصر اربعين سنة لم يزلوا فيها السمرات ولا نزلوا مصر ولا

وصاحبها متنوع وليس له عليهم قهر في احكامهم واما الملك فهو التغلب والحكم بالظهر وصاحب
العصية اذا بلغ الى رتبة طلب ما فوقها فاذ بلغ رتبة السؤدد والاتباع ووجد السبيل الى
التغلب والظهر لا يتركه لانه مطلوب للنفس ولا يتم اقتدارها عليه الا بالعصية التي يكون
بها متبوعا فالغلب الملكي غاية للعصية كما رايت ثم ان القبيل الواحد وان كانت فيه
بيوتات متفرقة وعصيات متباعدة فلا بد من عصية تكون اقرب من جميعها تغلبها وتستقيمها
وتلهم جميع العصيات فيها وتصدر كائنها عصية واحدة كبرى ولا وقع الافتراق المنفصلي
الى الاختلاف والتنازع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ثم اذا حصل
التغلب بتلك العصية على قومها طلبت بطبعها التغلب على اهل عصية اخرى بعيدة عنها
فان كافأها او مانعها كائنا افتتلا وانظارا واكلل واحدة منها التغلب على حوزتها وقومها
شأن القبائل والامم المتفرقة في العالم وان غلبتها واستسلمتها التخت بها ايضا وزادتها قوة
في التغلب الى قومها وطلبت غاية من التغلب والحكم اعلى من الغاية الاولى وابعد
وهكذا دائما حتى تكافئ بقوتها قوة الدولة فان ادركت الدولة في هرمها ولم يكن لها مابع
من اولياء الدولة اهل العصيات استولت عليها وانتزعت الامر من يدها وصار الملك
اجمع لها وان انتهت الى قومها ولم يقارن ذلك هرم الدولة وانما قارن حاجتها الى الاستظهار
باهل العصيات انتظمتها الدولة في اوليائها تستظهر بها على ما يعين من مقاصدها وذلك
ملك اخر دون الملك المستبد وهو كما وقع للترك في دولة بني العباس ولصناجة وزنانة
مع كنانة ولبنو سجدان مع ملوك الشيعة من العلوية والعباسية فقد طهر ان الملك هو
غاية العصية وانها اذا بلغت الى غايتها حصل للقبيلة الملك اما بالاستعداد او بالمظاهرة
على حسب ما يسعه الوقت المتعارن لذلك وان عاقبا عن بلوغ الغاية عوائق كما نبتة
وقفت في مقامها الى ان يقضي الله بامر

الفصل الثامن عشر

في ان من عوائق الملك حصول الترف وانفاس القبيل في النعم
وسبب ذلك ان القبيل اذا غلبت بعض الغلب استولت على النعمة بمقدار
وشارك اهل النعم والمخصب في نعمهم وخصبهم وضربت سهم في ذلك بسهم وحصصته بقدر
غلبها واستظهار الدولة بها فان كانت الدولة من القوة بحيث لا يقطع احد في ابتزاز امرها
ولا مشاركتها فيه اذعن ذلك القبيل لولايتها والتنوع بما يسوغون من نعمتها ويشركون

جاءه من قبل القوى الحيوانية التي فيه وإما من حيث هو إنسان فهو إلى الخير وخلو
 أقرب إلى الملك والسياسة إنما كانا له من حيث هو إنسان لأنها خاصة للإنسان لا للحيوان
 فاذن خلال الخير فيه هي التي تناسب السياسة والملك إذ الخير هو المناسب للسياسة وقد
 ذكرنا أن الجدة أصل ينسب إليه ويتحقق بحقيقة وهو العصبية والعشيرة وفرع يتم وجوده
 وبكمله وهو الخلال وإذا كان الملك غاية للعصبية فهو غاية لفرعها ومقتضاها وهي الخلال
 لأن وجوده دون مقتضى كوجود شخص مفترق الأعضاء أو ظهوره غير باتنا بين الناس وإذا
 كان وجود العصبية فقط من غير انتحال الخلال الحبيدة نقصا في أهل البيوت ولا حساب
 فاطلح بأهل الملك الذي هو غاية لكل مجد ونهاية لكل محسوب وأيضا فالسياسة والملك
 هي كماله للثاني وخلافه لله في العبادات تنفيذ أحكامهم فيهم وأحكام الله في خلقه وعبادته إنما
 هي بالخير وراعاة المصالح كما تشهد به الشرائع وأحكام الشرع إنما هي من الجهل والشيطان
 بخلاف قدرة الله سبحانه وقدره فإنه قاتل للخير والشر معا ومقدرها إذ لا فاعل سواء فمن
 حصلت له العصبية الكفيلة بالقدرة وأوست منه خلال الخير المناسبة لتنفيذ أحكام الله
 في خلقه فقد تمها للخلافة في العبادات وكفالة الثاني ووجدت فيه الصلاحية لذلك وهذا
 البرهان أوثق من الأول واضح متى فقد تبين أن خلال الخير شاهدة بوجود الملك لمن
 وجدت له العصبية فإذا نظرنا في أهل العصبية ومن حصل لهم من التلب على كثير من
 النراجي واللام فوجدناهم يتنافسون في الخير وخلالهم الكرم والعز عن الرلات والاحتمال
 من غير القادر والقوى للضيوف وحمل الكل وكسب المعدم والصبر على المبارة والرفاه
 بالمعد وبذل الأموال في صون الأعراض وتعظيم الشريعة وإحلال العلماء المحامين لها
 والوقوف عند ما يبدونه لهم من فعل أو ترك وحسن الذان بهم وإعفاء أهل الدين
 والتركيب بهم ورغبة الدعاء منهم والحياء من الأكابر والمناجاة وتوقيرهم وإجلالهم والافتقار
 إلى الحق مع الداعي اليه وأنصاف المستضعفين من انفسهم والتبذل في أجلهم والاعتقاد
 للحق والنزاع للسكون واستماع شكوى المستغيثين والذين بالشرائع والعبادات والتأبير
 عليها وعلى أسبابها والتجافي عن الغدر والمكر والمخدعة ونقض العهد وأمثال ذلك علما
 أن هذه خلق السياسة قد حصلت لديهم واستقرت فيها أن يكونوا ساسة إن تحمت أيديهم
 أو على العموم فإنه خير سافة الله تعالى إليهم مناسب لعصبيتهم وتعليمهم وليس ذلك سدى
 فيهم ولا وجد عبثا منهم والملك اسبب المراتب والخبرات لعصبيتهم فعلنا بذلك أن الله
 تأذن لهم بالملك وسافة إليهم وبالعكس من ذلك إذا تأذن الله بأغراض الملك من أمة

خالطوا بشر آكا قصة القرآن لعلظة العالقة بالشام والقط بمصر عليهم لعجزهم عن مقاومتهم
 كارتعوى ويظهر من مساق الآية ومنه وما ان حكمة ذلك التيه مقصودة وفي فناء الجبل
 الذين خرجوا من قبضة الذل والتهر والقرى وتخلقوا به وافسدوا من عصبيتهم حتى نشأ في
 ذلك التيه جبل اخر عزز لا يعرف الاحكام والتهر ولا يسام بالمذلة فنشأت بذلك لهم
 عصبية اخرى اقتدروا بها على المطالبة والتغلب ويظهر لك من ذلك ان الاربعين
 سنة اقل ما باقي فناء جبل ونشأة جبل اخر سبحانه الحكيم العليم وفي هذا اوضح دليل
 على شان العصبية وانما هي التي تكبر بها المدافعة والمقاومة والحماية والمطالبة وان من
 فقدتها تجزع عن جميع ذلك كله ولبقى بهذا الفصل فيما يوجب المذلة للقبيل تان المغارم
 والضرائب فان القبيل الغارمين ما اعطوا اليدين ذلك حتي رضوا بالمذلة فيولان في المغارم
 والضرائب ضيما والمذلة لا تحتملها النفوس الآية الا اذا استهوتت عن القتل والتلف وان
 عصبيتهم حينئذ ضعيفة عن المدافعة والحماية ومن كانت عصبية لا تدفع عنه الضيم فكيف
 له بالمقاومة والمطالبة وقد حصل له الاتقياد للذل والمذلة عاقبة كما قدمناه ومئة قوله
 صلى الله عليه وسلم في شان الحرث لما راي سكة الحرث في بعض دور الانصار ما دخلت
 هذه دار قوم الا دخلهم الذل فهو دليل صريح على ان المفرم موجب للمذلة هذا الى ما
 يصحبه ذل المغارم من خلق المكر والمخديعة بسبب ملكة التهر فاذا رايت القبيل بالمغارم
 في رتبة من الذل فلا تظعن لها بملك آخر الدهر ومن هنا يتبين لك غلط من يزعم ان
 زنانة بالمغرب كانوا شاربة يؤدون المغارم لمن كان على عهدهم من الملوك وهو غلط فاحش
 كما رايت اذ لو وقع ذلك لما استتب لهم ملك ولا تمت لهم دولة وانظر فيما قاله شهر براز
 ملك الباب لعبد الرحمن ابن ربيعة لما اطل عليه وسأل شهر براز امانه على ان يكون
 له فقال انا اليوم منكم يدي في ايديكم وصهري معكم فرحبا بكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا
 اليكم النصر لكم والقيام بما تحبون ولا تذلو لنا بالجزية فتوهونا لعدوك فاعبر هذا فيما قلناه
 فانه كاف

الفصل العشرون

في ان من علامات الملك التنافس في التحلل المجيدة وبالعكس
 لما كان الملك طبيعيا للانسان لما فيه من طبيعة الاجتماع كما قلناه وكان الانسان
 اقرب الى خلال الحر من خلال الشر باصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة لان الشر انما

وأيضا فهو لا اله الا المنوحشون ليس لهم وطن يرتافون منه ولا بلد يجتمعون اليه فتنسب الاقطار
والخايطون اليهم على السواء فلماذا لا يقتصرون على ملكة قطرهم وما جاؤهم من البلاد ولا
يقفون عند حدود أفقهم بل يطغفون الى الاقاليم البعيدة ويتغلبون على الامم النائية
وانظر ما يجيئك في ذلك عن عمر رضي الله عنه لما بوع وقام يمرض الناس على العراق فقال
ان الحجاز ليس لكم بدار الاعلى النجعة ولا يقوى عليه اهله الا بذلك ابن الفراء المهاجرون
عن موعده الله سيروا في الارض التي وعدهم الله في الكتاب ان يورثوها فقال ليظاهرة
على الدين كله ولو كره المشركون واعتبر ذلك ايضا بما ل العرب المسالفة من قبل مثل
الابايعه وحجير كيف كانوا يحيطون من اليمن الى المغرب مرة وإلى العراق والهند اخرى
ولم يكن ذلك لغير العرب من الامم وكذا حال المتنبيين من المغرب لما نزعوا الى الملك
طغروا من الاقليم الأول ومجا لانهم منه في جوار السودان الى الاقليم الرابع والخامس في
عالمك الادلانس من غير واسطة وهذا شأن هذه الامم الوحشية فلذلك تكون دولهم
اوسع نطاقا فبعد من مراكزها نهاية والله يدرك الليل والنهار وهو الواحد القهار لا شريك له

الفصل الثاني والعشرون

في ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من امة فلا بد من

عوده الى شعب اخر منها ما دامت لهم المصيبة

والسبب في ذلك ان الملك اذا حصل لهم بعد سورة الغلب والاذعان لم من سائر
الامم سواهم فيتعين منهم المبادرون للامر الخادمون سربرا الملك ولا يكون ذلك لجبهتهم
لما هم عليه من الكثرة التي يضيئ عنها نطاق المراحة والغيرة التي تجددع انوف كثير من
المتطاولين للربة فاذا تعين اولئك القائمون بالدولة انفسوا في العجم وغرقوا في بحر
الترف والتخصب واستعدوا اخوانهم من ذلك الجيل وانفقوا في رجوع الدولة ومذاهبها
وبقي الذين بعدوا عن الامر وكبحوا عن المشاركة في ظلم من عر الدولة التي شاركوها
بنسبهم وبسبابة من الهرم لبعدهم عن الترف واسبابه فاذا استولت على الاولين الايام
واباد غصراءهم الهرم فطغيتهم الدولة واكل الدهر عاجهم وشرب بما ارفق العجم من حذرهم
واشتفت غريزة الترف من مائهم وبلغوا غايهم من طيبة التدنيس الانساني والتعصب
السياسي (شعر)

كدود الفز ينسج ثم ينفي بمركر نسجي في الانعكاس

حلمهم على ارتكاب المذمومات والتحال الرذائل وسلوك طرقها فتنفذ الفضائل السياسية
 منهم جملة ولا تنزل في انتفاص الى ان يخرج الملك من ايديهم ويتبدل بسواهم ليكون
 نفعاً عليهم في سلب ما كان الله تد آتام من الملك وجعل في ايديهم من الخير واذا اردنا
 ان يهلك قرية امرنا متر فيها ففسد على فيها حتى عليها القول فدمرناها تدميراً واستقر ذلك
 وشيعة في الامم السابقة تجد كثيراً ما قلناه ورسمناه والله يخلق ما يشاء ويختار واعلم ان من
 خلال الكمال التي يتنافس فيها القبائل اولو العصية وتكون شهادة لهم بالملك اكرام
 العلماء والصالحين والاشراف واعل الاحساب واصناف التجار والغرباء وانزال الناس
 منازلهم وذلك ان اكرام القبائل واهل العصيات والعشائر من ينهضهم في الشرف
 ويمجدهم جل العشير والعصية ويشاركهم في اتساع الجاه امر طبيعي يجمل عليه في الأكثر
 الرغبة في الجاه او المهادنة من قوم المكرم او الناس مقبلاً منه وما امثال هؤلاء ممن ليس لهم
 عصية نفق ولا جاه يرتجى فيندفع اليك في شان كرامتهم وبتخصيص القصد فيهم انه للبعد
 والتحال الكمال في التحلل والافعال على السياسة بالكلية لان اكرام اقناؤه وامثاله
 ضروري في السياسة الخاصة بين قبيله ونظرائه واکرام الثوارين من اهل الفضائل
 والتخصيصات كمال في السياسة العامة فالصالحون للدين والعلماء للجاهي اليهم في اقامة مراسم
 الشريعة ولتيجار الترغيب حتى نعم المنفعة بما في ايديهم والغرباء من مكالم الاخلاق
 وانزال الناس منازلهم من الاوصاف وهو من العدل فيعلم بوجود ذلك من اهل عصيته
 اعناؤهم للسياسة العامة وهي الملك وان الله قد تأن بوجودها فيهم لوجود علاماتها ولهذا
 كان اول ما يذهب من القبول اهل الملك اذا تأن الله تعالى بسلب ملكهم وسلطانهم
 اكرام هذا الصنف من الخائف فاذا رايته قد ذهب من امة من الامم فاعلم ان الفضائل
 قد اخذت في الزهاب عنهم وارثب زوال الملك منهم واذا اراد الله بقوم سق اقلامردلة
 والله تعالى اعلم

الفصل الحادي والعشرون

في انه اذا كانت الامة وحشية كان ماكمها اوسع

وذلك لانهم اقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه واسعة عباد الطوائف لتدبرهم على
 محاربة الامم سواهم ولائهم يتنازول من الاهلين منزلة المتدبر من الحيوات العجم وهؤلاء
 مثل العرب وزناتة ومن في معانهم من الاكراد والتركمان واهل اللقام من صهاجة

بعصية ولا قوة بأس وإنما هو ما انقلبه من العوائد والمذاهب تغايرت أيضاً بذلك عن
 الغلب وهذا راجع للاول ولذلك ترى المغلوب يتشبه ابداً بالغالب في ملبسهم ومركبهم
 وسلاحهم في اتخاذها وأشكالها بل وفي سائر أحوالهم وانظر ذلك في الانباء مع انهم كيف
 تجدهم متشبهين بهم دائماً وما ذلك الا لاعتقادهم الكمال فيهم وانظر الى كل قطر من الاقطار
 كيف يغلب على اهلها زعي الحماية وجند السلطان في الأكثر لانهم الغالبون لم حتى انه اذا
 كانت امة تجاور اخرى ولها الغلب عليها فيسري اليهم من هذا التشبه والاعتقاد حظ كبير
 كما هو في الاندلس لهذا العهد مع امة الجلالفة فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملبسهم
 وشاراتهم والكثير من عرائسهم واحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت
 حتى لقد يستعمر من ذلك الطائر عين الحكمة انه من علامات الاستيلاء والامر لله .
 وتأمل في هذا سر قولهم العامة على دين الملك فانه من ما يروى ان الملك غلب ان تحت
 يد الرعية مقتدون بولاء اعتقاد الكمال فيو اعتقاد الانباء بالانتم والمعلمين بمعلمهم والله
 العالم الحكيم ذو سبحانه وتعالى التوفيق

الفصل الرابع والعشرون

في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها اسرع اليها الفناء
 والسبب في ذلك والله اعلم ما يحصل في النفوس من التكاثر اذا ملك امرها عليها
 وصارت بالاستعداد آلة لسواها وطاعة عليهم فيقصر الامل ويضعف التماسك والاعتزاز
 هو عن جذه الامل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية فاذا ذهب الامل
 بالتكاثر وذهب ما يدعو اليه من الاحوال وكانت العصبية ذاهبة بالغلب المحاصل
 عليهم تناقص عرائسهم وتلاشت مكاسمهم ومغزوا عن المدافعة عن انفسهم بما
 يخدم الغلب من شوكتهم فاصبحوا مغلوبين لكل متعصب طمعة لكل آكل وسوا لا كامل
 حصولاً على غايتهم من الملك ام لم يحصلوا . وفيه والله اعلم سر آخر وهو ان الانسان رئيس
 بطبعه يفتنى الاستغلاف الذي خلق له الرئيس اذا غلب على رياسته ويكبح عن غلبة عزه
 تكاسل حتى عن سبع يلقو وري كبدته وهذا موجود في احوال الاناسي ولقد يقال مثله
 في الحيوانات المفترسة فانها لا تسافد اذا كانت في ملكة الآدميين فلا يزال هذا القليل
 المملوك عليه اذرة في تناقص واضمحلال الى ان ياخذهم الدناءة والبقاة لله وحده واعتبار ذلك
 في امة الفرس كيف كانت قد ملأت العالم كثرة ولما فبست حكامهم في ايام العرب في

كانت حينئذ عصبية الآخرين موفورة وسورة غلهم من الكاسر محتوظة وشارتهم في الغلب معلومة فتصير آسامهم الى الملك الذي كانوا ممنوعين منه بالقوة العالقة من جنس عصبيتهم وترتفع المنازعة لما عرف من غلهم فيستولون على الامر ويصير لهم وكذا يتفق فهم مع من بقي ايضا متنبها عنه من عشاير امتهم فلا يزال الملك ملجئا في الامة الى ان تكسر سورة العصبية منها او يفتي سائر عشايرها سنة الله في المحبة الدنيا والآخرة عند ربك المتقين واعتبر هذا بما وقع في العرب لما انقض ملك عاد قام يوم بعدهم اخوانهم من ثمود ومن بعدهم اخوانهم العالقة ومن بعدهم اخوانهم من حمير ومن بعدهم اخوانهم التبايعه من حمير ايضا ومن بعدهم الاذواء كذلك ثم جاءت الدولة لمصر وكذا الفرس لما انقض امر الكينية ملك من بعدهم الساسانية حتى نادى الله بانقضهم اجمع بالاسلام وكذا اليونانيون انقض امرهم وانتقل الى اخوانهم من الروم وكذا البربر بالمغرب لما انقض امر مغراوة وكثامة الولد الاول منهم رجع الى صنهاجة ثم المثلثين من بعدهم ثم المصامدة ثم من بقي من شعوب زبانية وكذا سنة الله في عباده وخلفه واصل هذا كله انما يكون بالعصبية وهي متفاوتة في الاجيال والملك بطلقة الترف ويذهب كاستدركه بعد فاذا انقضت دولة فانما يتناول الامر منهم من له عصبية مشاركة لعصبيتهم التي عرف لها التسليم والانقياد واوتس منها الغلب لجميع العصبيات وذلك انما يوجد في النسب القريب منهم لان تفاوت العصبية بحسب ما قرب من ذلك النسب التي هي قرو او بعد حتى اذا وقع في العالم تبدل كثير من تحويل ملة او ذهاب عمران او ما شاء الله من قدرته فيجئ منه فيخرج عن ذلك الجبل الى الجبل الذي ياذن الله بقيامه بذلك التبدل كما وقع لمصر حين غلبوا على الامم والدول واخذوا الامر من ايدي اهل العالم بعد ان كانوا مكبوحين عنه احقانا

الفصل الثالث والعشرون

في ان المغلوب مولع ابدا بالافتداه بالغالب في

شعاره وزيه ونحوه وسائر احواله وعيانه

والسبب في ذلك ان النفس ابدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت اليه اما نظره بالكمال بما وفر بعدها من تعظيمه او لما تعاطى به من ان انقيادها ليس لغالب طبيعي انما هو كمال الغالب فاذا غلبت بذلك واتصل لها حصل اعتقادا فانتقلت جميع مذاهب الغالب وتسميت به وذلك هو الافتداه او لما تراه والله اعلم من ان غلب الغالب لما ليس

حاجتهم اليوليصو انافي القدر فيقتلون من المياقي ويحرقونها عليو وبعدونة لذلك والحجب
 أيضا انما حاجتهم اليوليصو به خياهم ويتخذوا الاوتاد سنة ليوهم فيضربون السقف عليو
 لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافاة للبنا الذي هو اصل العمران هذا في حالهم على العوم
 وايضا فطبيعتهم اتيهاب ما في ايدي الناس وان رزقهم في ظلال رماحهم وليس عدهم في
 اخذ اموال الناس حد يمتنون اليويل كما امتدت اعينهم الى مال او متاع او ماعون انهمو
 فاذا لم اقدارهم على ذلك بالغلب والمملك بطلت السياسة في حفظ اموال الناس وخرب
 العمران وايضا فلانهم يكتنون على اهل الاعمال من الصناع والحرف اعالم لايرون لها قيمة
 ولا فائدة من الاجر والتمن والاعمال كما سذكروا في اصل المكااسب وحقيقتها واذا فسدت
 الاعمال وصارت بما افسدت الآمال في المكاسب وانقضت الايدي عن العمل واليدع
 الساكن وقصد العمران وايضا فانهم ليسد فلم عناية بالاحكام وزجر الناس عن المماسد
 ودفاع بعضهم عن بعض انما هم ما يباخذونه من اموال الناس نهباً او غرامة فاذا توصلوا
 الى ذلك وحصلوا عليو اعرضوا عما بهدو من تسديد احكام والنظر في مصالحهم وقهر بعضهم
 عن اغراض المماسد وربما فرضوا الفتومات في الاموال حرصاً على توصيل المائدة الى الجاية
 والاستكثار منها كما هو شأنهم وذلك ليس منس في دفع الماسد وزجر المتعرض لها بل يكون
 ذلك زائداً فيها لاسسهال النعم في جباب جهول الترض فتبني الرعايا في ملكهم كأنها
 قروض "دون حكم والنوفى هلكة لا بشر مندة العمران بما ذكرناه من ان وجود المالك خاصة
 طبيعة للانسان لا يستقيم وجودهم واجتماعهم الا بها وقدم ذلك اول الفصل وايضا فهم
 متنافسون في الرياسة وقل ان يعلم احد منهم الامر لغيره ولو كان اياه او اخاه او كبير
 حديقته ولا في الاقل وعلى كره من احد المبراء في بعدد الاحكام منهم والامراء وتختلف الايدي
 على الرعية في الجاية والاحكام فيفسد العمران وينقض قال الاعرابي الواقد على عد الملك
 بالمسالة عن التماح واراد الله عليو عنده مجلس السياسة والعمران فقال تركته يظلم وحده
 وانظروا الى ما ملكوه وقطعوا عليو من الاوطان من لدن الخليفة كيف نقوض عراية واقر
 ساكنة وبذلك الارض فيه غير الارض فالنم قرارهم خراب الا قليلا من الامصار وعراق
 العرب كذلك قد خرب عراية الذي كان للفرس اجمع والشام فهذا الهم كذلك واقر بقة
 والمغرب لما جاز اليها بنو هلال وبنو سليم منذ اول المائنة الخامسة وقرسوا بها ثلاثمائة وخمسون
 من السنين قد لحق بها وعادت بساكنة خراباً كما كان بعد ان كان ما بين السودان والخراساني

لا يصلح الناس موصي لاسراء لم ولا سراة اذا جهل سادها

انما الى سدنا علي

منهم كثير واكثر من الكثير يقال ان سعة احدى من وراء المدائن فكانوا مائة الف
وسبعة وثلاثون الفا منهم سبعة وثلاثون الف قرب بيت ولما تحصلوا في ملكة العرب وقصة
الفر لم يكن بقاوم الا قليلا ودثروا كان لم يكونوا ولا تحسن ان ذلك لظلم نزل بهم
او عدوان منهم فملكه الاسلام في العدل ما علمت وانما هي طبيعة في الانسان اذا غلب
على امره وصار آلة لغيره ولهذا انما ندع الرق في العالم اجمع السواد لنقص الانسانية
فيهم وقهرهم من عرض المحبوبات العجم كالفداء او من يرجو بانتظام في رقة الرق
حصول رتبة او افادة مال او عز كما يقع للمالك التارك بالشرق والمروج من الجلالة
والافرنجة بالاندلس فان العادة جارية باستملاص الدولة لم فلا ياتون من الرق مسا
بأملونه من الجاه والرتبة باضطهاد الدولة والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

الفصل الخامس والعشرون

في ان العرب لا يتعاملون الا على البساط

وذلك انهم بطبيعة التوحش الذي فيهم اهل انهاب وعيث يجهون ما قدروا عليه
من غير معاملة ولا ركوب خطر ويغرون الى منتجعهم ما تقفرو ولا يذهبون الى المراجعة
في الحارة الا اذا دفعوا بذلك عن انفسهم بكل معقل او مستصعب عليهم فهم تاركوا الى
ما يسمل عنه ولا يعرضون له والقبايل المنتعجة عليهم بأوعار الجبال تنبيه من عثمهم
وقساد لانهم لا يتسرون اليهم المضارب ولا يركبون الصعاب ولا يخشون المخطر واما
المسائط فتى اقتدروا عليها بنقدان الامامية وضعف الدولة فهي تهب لهم وطبعة لا كهم
يرددون عليها الفارة والنهب والرحف لسهولتها عليهم الى ان يصعب اهلها مغليين لم تم
يعاودهم باختلاف الايدي وانحراف السياسة الى ان يتقرض عمرانهم والله قادر على
خلقوه وهو الواحد القهار لارب غوره

الفصل السادس والعشرون

في ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب

والسبب في ذلك انهم امة وحشية باستحكام عوائد التوحش وأسباب فيهم فصار لهم
خلفا وجبله وكان عدمه مانعوا لما فيه من المخروج عن رقة الحكم وعدم الانقياد
السياسة وهذه الطبيعة منافية للبرهان ومنافضة له فغاية الاحوال العادية كلها عندهم
الرحلة والتغلب وذلك منافض للسكون الذي هو الممران ومنافض له فالحجر مثلا انما

واسماته ما يعطى من مال في جانب غرضه فتفو المفاصد بذلك ويتع تحريب العبران
فتبقى تلك الامة كأنها فرضى مستظيلة ايدي بعضها على بعض فلا يستقيم لها عمران وتخرب
سريعاً شأن الفوضى كما قدمناه فبعثت طباع العرب لذلك كلوه عن سياسة الملك وإنما
يصورون اليها بعد انقلاب طباعهم وتبدلها بصبغة دينية نحو ذلك فتجعل الزارع لهم
من انفسهم وتحملهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض كاذكراه واعتبر ذلك بدولتهم
في الملة لما شيد لهم الدين امر السياسة بالشرعية واحكامها المرامية لمصالح العمران
ظاهراً وباطناً وتنازع فيها الخلفاء عظم حينئذ ملكهم وقوت سلطنتهم كان رسمه اذا رأى
المسلمين يمتنعون للصلاة يقول اكل عمر كبدي يعلم الكلاب الآداب ثم انهم بعد ذلك
انقطعوا عنهم عن الدولة اجمالاً نبتوا الدين ففسدوا السياسة ورجعوا الى قهرهم ورجعوا
شأن عصيتهم مع اهل الدولة بعدهم عن الانقياد واعطاء الصفة فتوحشوا كما كانوا ولم
يبق لهم من اسم الملك الا انهم من جنس الخلفاء ومن جباهم ولما ذهب امر الخلافة واجى
رسمها انقطع الامر حجة من ايديهم وغلب عليهم العيون وذهب وقاموا في بادية قفارهم لا يعرفون
الملك ولا سياسة بل قد يجهل الكثير منهم انهم قد كان لهم ملك في القدم وما كان في القدم
لاحد من الامة في الخليفة كما كان لاجيالهم من الملك ودول عاد وحمير والعلاف وحمير والنبابعة
شاهدة بذلك ثم دولة مصر في الاسلام بنى أمية وبنى العباس لكن بعد عهدهم بالسياسة
لما سئل الدين فرجوا الى اصلهم من البدوة وقد يجهل لهم في بعض الاحيان غلب على
الدول المستضعفة كما في المغرب هذا العهد فلا يكون ما له وغاية الشريب ما يستولون
عليه من العبران كما قدمناه والله يوتى ملكة من يشاء

الفصل التاسع والعشرون

في ان الرادي من القبائل والعصائب مقلون لاهل الامصار
قد تقدم لنا ان عمران البادية ناقص عن عمران الحضرة والامصار لان الامور
الضرورية في العبران ليس كلها موجودة لاهل البدو وإنما توجد لديهم في مواضعهم امور الفلح
وموادهم معدومة ومغلبها الصنائع فلا توجد لديهم في الكنية من نجار وخياط وحداد وانتال
ذلك ما يقيم لهم ضروريات معاشهم في الفلح وغيره وكذا الدنانير والدرهم مفقودة لديهم
ولما بدأ يدبرهم أغراضها من مغل الزراعة وأعمال الخيل والاراضيات والادوية والادوية
والشعرا وإهاباً ما يحتاج اليه اهل الامصار فيعوضونهم عنه بالدنانير والدرهم والآت

كلوعرانا تشهد بذلك انار العرمان فيوم من المعالم وتاثير البناء وشواهد القرى والمدائن
والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الفصل السابع والعشرون

في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصفة دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم من الدين على الجملة
والسبب في ذلك انهم خلقوا التوحش الذي فيههم اصعب الامم اثباتا بعضهم لبعض
الغلظة والافتة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة فقلما تجتمع اهلها فاذ كان الدين
بالنبوة او الولاية كانت المزارع لهم من انفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل
انقيادهم واجماعهم وذلك بما يشاء من الدين المذهب للغلظة والافتة المزارع عن التماسد
والتنافس فاذ كان فيهم النبي او الولي الذي بيعتهم على القيام بامر الله ويذهب عنهم
مذمومات الاخلاق وياخذهم بحمدها ويولف كلمتهم لظهار الحق ثم اجتماعهم وحصل
لهم التغلب والملك وهم مع ذلك اسرع الناس قبولاً للحق والهدى لسلامة طباعهم من
عوج الملكات وبراءتهم من ذميم الاخلاق الا ما كان من خلق التوحش القريب العانة
الاهية لتبول الخبير ببقائه على المطرة الاولى وبعده عما ينطع في التماس من قبيح العوائد
وسوء الملكات فان كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم

الفصل الثامن والعشرون

في ان العرب ابدت الامم عن سياسة الملك

والسبب في ذلك انهم اكثر بدوة من سائر الامم واهل مجالاً في الفقر واغنى عن
حاجات الناول وجوبها لاعنيادهم السطلف وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب
انقياد بعضهم لبعض لايلافهم ذلك والتوحش ورقتهم محتاج اليهم غالباً للعصية التي بها
المدافعة فكان مضطراً الى احسان ملكهم وترك مراغمتهم لئلا يخل عليه شأن عصبيته فيكون
فيها هلاكة وهلاكهم وسياسة الملك والسلطان تقتضي ان يكون السائس وارثاً بالغير
والألم تستقيم سياسته وايضاً فان من طبيعتهم كما قدمناه اخذ ما في ايدي الناس خاصة
والانقياد في عا سوى ذلك من الاحكام بينهم ودفاع بعضهم عن بعض فاذا ملكوا امة من
الامم جعلوا غاية ملكهم الانشاع باخذ ما في ايديهم وتركوا ما سوى ذلك من الاحكام
بينهم وربما جعلوا العقوبات على المناسد في الاموال حرصاً على تكثير الجبايات وتحصيل
الدنانيد فلا يكون ذلك وارثاً وربما يكون باعتنا بحسب الاغراض الباطنة كالمال المناسد

وخصوصاً أهل الاندلس في تسميات هذه العصية وأثرها لطول الامد واستقامتهم في الغالب عن قوة العصية بما تلاشي وطهم وخلا من المصائب والله قادر على ما يشاء وهو بكل شيء عليم وهو حسبي ونعم الوكيل

الفصل الثاني

في امة اذا استقرت الدولة ونهدت فقد تستقني عن العصية والسبب في ذلك ان الدول العامة في اولها يصعب على النفوس الانقياد لها الا بقوة من الغالب للفرقة وان الناس لم يأنفوا ما كمل ولا اعتاروه فادما استقرت الرئاسة في أهل المصائب والله ومن يملك في الدولة وتوارثوه واجتبا بعد آخر في أغصان كثيرين ودول متعامدة نسبت النفوس شأن الاولية واستحكمت لاهل ذلك المصائب صيغة الرئاسة ورجح في العقائد دين الانقياد لم والتسليم وقائل الناس معهم على أمرهم فتألم على العقائد الايمانية فلم يستجابوا حينئذ في أمرهم الى كبر عصابه بل كان طاعتها كتاب من الله لا يبدل ولا يعلم خلافة ولا مر ما يوضع الكلام في الامامة آخر الكلام على العقائد الايمانية كأية من جملة عقودها ويكون استظهارهم حينئذ على سادتهم ودولهم المختصة اما بالمعالي والمصطفيين الذين هم في ظل الهداية وغيرها راما بالمصائب المتمازجين عن اسمها الداحلون في دولة يدها مثل هذا وقع لابي الساس فان عصية العرب كانت فسدت لعهد دولة المعصوم وابو الوائض واستظهارهم بعد ذلك انما كان بالمعالي من العجم والترك والديلم والسليمانية وغيرهم ثم تغلب النجم الاولاد على التواشي وتخلص ظل الدولة فلم تكن تعدو أعمال بغداد حتى رخصت اليها الديلم ولكوها وصار الخلفاء في حكمهم ثم اغرض امرهم وذلك السلوية من عدم فصاروا في حكمهم ثم اقرض امرهم وزينب آخر التماز فقتلوا الخليفة ونحو رسم الدولة وكذا صمجة بالمغرب فسدت عصيتهم منذ المائة الخامسة او ما قبلها واستقرت لهم الدولة متقلصة الضال بالمادية وبمجاهة والقلعة وسائر ذورا فريضة وربما اشترى تلك النفوس من نازعهم الملك واعصم فيهم والساحلان والملك مع ذلك مسلم لم حتى تأذن الله باغراض الدولة وجاء الموحدون بقوة قوية من العصية في المصائب فتميل آثارهم وكذا دولة بني امية بالاندلس لما فسدت عصيتها من العرب استولى ماولو الطوائف على امرها واتسعت خطاياها وتنافوا بينهم وتوزعوا ممالك الدولة وانزوى كل واحد منهم على ما كان في ولايته وشيخنا ذو النون ان

حاجتهم الى الامصار في الضروري وحاجة اهل الامصار اليهم في الحاجي والكل فيهم
محتاجون الى الامصار بطبيعة وجودهم فاداموا في البادية ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء
على الامصار فهم يحتاجون الى اهلها ويتصرفون في مصالحهم وطاعتهم متى دعوم الى ذلك
وطالبوهم به وان كان في المصر ملك كان خضوعهم وطاعتهم لغلب الملك وان لم يكن في
المصر ملك فلا بد فيه من رئاسة ونوع استبداد من بعض اهلها على الباقيين والا انتفض
عمره وذلك الرئيس يهملهم على طاعته والسعي في مصالحه اما طوعا بيذل المال لهم ثم
يهدى لهم ما يحتاجون اليه من الضروريات في مصر فيستقيم عيادهم واما كرها ان تمت
قدرته على ذلك ولو بالغرب بينهم حتى يحصل له جانب منهم يغالب به الباقيين فيضطر
الباقيون الى طاعته بما يقع من ذلك من فساد عيادهم وربما لا يسعهم مفارقة تلك النواحي
الى جهات اخرى لان كل الجهات ممرور بالبدو الذين غلبوا عليها ومنعوا من غيرهم
فلا يجد هؤلاء ملجأ الا طاعة المصر فهم بالضرورة مغلوبون لاهل الامصار والله قاهر
فوق عبادوه وهو الواحد الاحد القهار

الفصل الثالث من الكتاب الاول

في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك
كله من الاحوال وفيه قواعد ومهمات

الفصل الاول

في ان الملك والدولة العامة انما يميلان بالعدل والعصية
وذلك انما قررنا في الفصل الاول ان المعالية والملائمة انما تكون بالعصية لما فيها
من الثمرة والندام وبإياديه كل واحد منهم دون صاحبه ثم ان الملك منصب شريف
والدور يشتمل على جميع المحربات الدينية والشهوات البدنية والالذ النفسية فيقع فيه
التماسك ظاهرا وقلبا وبذلك لا يملك له الا اذا غلب عليه دفع المنازعة ونهضي الى
الحرب والقتال والفتنة وفيه منها لا يقع الا بالعصية كما ذكرنا اننا وهذا الامر بعيد
عن افهام الجمهور بالجملة ومتناسون له لانهم نسوا عهد تهديد الدولة منذ اولها وطال امد
مرامهم في الحضارة وتناقصت زيا حداك بهدجيل فلا يعرفون ما فعل الله اول الدولة انما
يدركون اصحاب الدولة وقد استحكمت صفتهم ووقع التسليم لهم والاستعانة عن العصية
في تهديد امرهم ولا يعرفون كيف كان الامر من اوله وما لقيه اوله من المتاعب ودونه

بأمره من أهل القاصية اذعان لم واتقياد فاذن بزح اليهم هذا المخارج وانفذ عن مقر ملكو
ومنيبت عزرو اشتعلوا عليه وقاموا بأمره وظاهروا على شائيه وعينوا بتهديد دولته بربحون
استقراره في نصايه وتناولة الامر من يد اعياصه وجزائه لم على مظاهرتيه باصطنامهم
لرتب الملك وخططوه من وزارة او قيادة او ولاية لغر ولا يتعلمون في مشاركتيه في شيء
من سلطانوه تسليماً لعصبيته وانه ياداً لما استعكم لك ولتوموه من صبغة الغلب في العالم وعقيدة
الجمالية استقرت في الاذعان لم فلوراموها معه او دولة لزلزال ارض زلزالها وهذا كما وقع
للادارسة بالمغرب الأقصى والعبيدين بافر بقة ومصر لما انتبهت العالميون من المشرق
الى القاصية واتعدوا عن مقر الخلافة وسبوا الى طلبها من ايدي بني العباس بعد ان
استتبكت الصبغة لبني عبد مناف لبني أمية اولاً ثم لبني هاشم من بعدهم فخرجوا بالعاصمة
من المغرب ودعوا لانفسهم وقام بأمرهم البرابرة مرة بعد اخرى فأوربة ومغيلة للادارسة
وكنامة وصنهاجة وهؤلاء للعبيدين فتبديوا دولتهم ومبديوا بعصائهم امرهم واقطعوا من
مالك العباسيين المغرب كله ثم افر بقة ولم يزل ظل الدولة يتقلص وظل العبيدين
يمتد الى ان ملكوا مصر والشام والنجاز وقاصوهم في المالك الاسلامية شق الابلية وهؤلاء
البرابرة القائمون بالدولة مع ذلك كلهم مسلمون العبيدين امرهم مذعنون لملكهم وانما
كانوا يتنافسون في الرتبة وعدم حصة تسليماً لما حصل من صبغة المالك لبني هاشم ولما
استعكم من الغلب لتربش ومض على سائر الامم فلم يزل الملك في اعقابهم الى ان انقرضت
دولة العرب بأسرها والله يبيكم لا معقب لحكمو

الفصل الرابع

في ان الدول العامة الاستيلاء العظيمة المالك اصحاب الدين امان من قوة او دعوة حق
وذلك لان الملك انما يحصل بالغلب والغلب انما يكون بالعصبة واتفاق الاهواء
على المسالبة وجميع القلوب وتوافيقها انما يكون بمعونة من الله في اقامة دينه قال تعالى لو
انقمت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم وسره ان القلوب اذا تداعت الى الاهواء
الباطل والجل الى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف واذا انصرف الى الحق ورفضت
الدنيا والباطل واقبلت على الله اتحدت وجهتها فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن
التعاون والتعاوض واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة كما نبين لك بعد ان شاء
الله سبحانه وتعالى وبه التوفيق لأمره سواه .

الجميع مع الدولة العباسية فتلقوا باللقاب الملك وليسوا شائنة في أمنا من ينقض ذلك عليهم أو
 يغيره لأن الأندلس ليس بدار عصابة ولا قذائل كما سئد كره واستمر لم ذلك كما قال ابن شرف
 ما يزهدي في أرض أندلس أساءه معتم فيها ومعتضد
 القاب مملكتهم في غير موضعها كالحريكي انتفا صورة الاسد
 فاستظهروا على أمرهم بالموالي والمصلعين والطراء على الأندلس من أهل العدو من
 قبائل البربر وزبانية وغيرهم اقتداه بالدولة في آخر أمرها في الاستظهار بهم حين ضعفت
 عصية العرب واستبد ابن أبي عامر على الدولة فكان لم دول عظيمة استبدت كل واحدة
 منها بجانب من الأندلس وحظ كبير من الملك على نسبة الدولة التي اقتسموها ولم يزالوا
 في سلطانهم ذلك حتى جاز اليهم النصر المرابون أهل العصية القوية من ثبوت فاستبدلوا
 بهم وأزالوهم عن مراكزهم ومحل آثارهم ولم يقتدروا على مدافعهم لثقلان العصية انهم
 فبهذه العصية يكون تهديد الدولة وحماتها من أولها وقد ظل الطرطوشي ابن حامية
 الدول باعلاقهم الجيد أهل العطاء المنروض مع الالهة ذكر ذلك في كتابه الذي ساه
 سراج الملوك وكلامه لا يتناول تأسيس الدول العامة في أولها وإنما هو مخصوص بالدول
 الأخيرة بعد التهديد واستقرار الملك في النصاب واستحكام الصيغة لاهله فالرجل انما ادرك
 الدولة عند هرمها وخلف جدتها ورجوعها الى الاستظهار بالموالي والصنائع ثم الى
 المستغدي من ورائهم بالآخر على المدافعة فانه انما ادرك دول الطوائف وذلك عند
 اختلال دولة بني امية وانراض عصبيتها من العرب واستبداد كل امير بقطره وكان
 في ابالة المستعين بن هود وابو المظفر أهل سرقسطة ولم يكن بقي لم من أمر العصية شي
 لاستيلاء الترف على العرب منذ ثلاثمائة من السنين وهلاكهم ولم ير إلا سلطانا مستبدا
 بالملك عن عشائره قد استحكمت له صيغة الاستبداد منذ عهد الدولة وبقيّة العصية فمن
 لذلك لا يتابع فيه ويستعين على أمره بالاجراء من المرتزقة فاطلق الطرطوشي القول في
 ذلك ولم يتفطن لكيفية الأمر منذ أول الدولة وانه لا يتم إلا لاهل العصية فنقض است له
 وإفهم سر الله فيه والله يوتي ملكة من يشاء

الفصل الثالث

في انه قد بحث لبعض أهل النصاب الملكي دولة تستغني عن العصية
 وذلك انه اذا كان لعصية غالب كثيرة على الامم والاجبال وفي نفوس القائمين

لابن قتيبة شيخ الصوفية وصاحب كتاب خلع الثعلبين في التصوف ثار بالاندلس داعياً
 الى الحق وسمى اصحابه بالمرايطين قبيل دعوة المهدي فاستتب له الامر قليلاً لشغل المشقة
 بما دهمهم من امر الموحدين ولم تكن هناك عصائب ولا قبائل يدفعونه عن شأنه فلم يلبث
 حين استولى الموحدون على المغرب ان اذعن لهم ودخل في دعوتهم وتابعهم من مقلو
 بخص اركش وامكنهم من قنبره وكان اول داعية لهم بالاندلس وكانت ثورته تسمى ثورة
 المرايطين ومن هذا الباب احوال الثوار القائلين بتغيير المنكر من العامة والفتاه فان
 كثيراً من المتحايين للعادة وسلك طرق الدين يذهبون الى القيام على اهل المحرم من
 الامراء داعين الى تغيير المنكر والنبه على الامر بالمعروف وجهه في الثواب عليه من الله
 فيكثر اتباعهم والمناشرون بهم من المغوءاء والدعاهاء ويعرضون انفسهم في ذلك للمهالك
 واكثرهم يهاكون في تلك الهيل ما زورين غير ما جوبين لان الله سبحانه لم يكتب
 ذلك عليهم ولما امر به حيث تكبر القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم من راي منك
 منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسه فان لم يستطع فبقوله واحول الملك والدول
 راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناءها الا المطالبة القوية التي من ورائها عصية القبائل
 والعشائر كما قدما وعكذا كان حال الاسياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم الى الله
 بالعبادة والعصائب وهم المؤيدون من الله بالكون كلواوشاء لكنه لما ابرى الامور على
 من غير العادة والله سبحانه علم فاذا ذهب احد من الناس هذا المذهب وكان فيه حقاً
 قصر به الافراد عن العصية فطاع في همة الملاك واما ان كان من المتلبيين بذلك سيرة
 طلب الرئاسة فاجدر ان توفق العوائق وتقطع به المهالك لانه امر الله لا يتم الا برضا
 واعانة والاخلاص له والصبر للمسلمين ولا يملك في ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو بصيرة
 واول ابداء هذه النزعة في الملة ببغداد حين وقعت فتنة طاهر وقتل الامير واطا
 المأمون بمراسان بن مدم العراق ثم عهد له علي بن مرسى الرضا من آل المهدي فكشف
 بنو العباس عن وجه التكرار عليه وتداعوا للقيام وخلع طاعة المأمون والاستبدال مثله
 وبوع ابراهيم بن المهدي فوقع المهرج ببغداد واطلقت ايدي الزعرة بها من الظهار
 والمحربة على اهل العافية والصون وقطعوا السبل وامتلأت ابدانهم من بهاب الناس
 وباعوا عائلاتهم في الاسواق واستعدى اهلها التحكام فلم يعد لهم فتراقر اهل الدين والصالح
 على مع النفاق وكذب عادتهم وقام ببغداد رجل يعرف بخالد الدريوس ودعا الناس
 الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاجابه خلق وقاتل اهل الزعرة فقتلهم واطلق يده

الفصل الخامس

في ان الدعوة الدينية تريد الدولة في اصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها والسبب في ذلك كما قدمناه ان الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في اهل العصبية وتقرء الوجهة الى الحق فاذا حصل لهم الاستصار في امرهم لم يقف لهم شيء لان الوجهة واحدة والمغالوب متساو وعدهم وهم مستعيتون عليهم واهل الدولة التي هم طالوا وان كانوا اضعافهم فاغراضهم متباينة بالباطل وتحاذلهم لتفة الموت حاصل فازبقاؤهم وان كانوا اكثر منهم لم يغلبون عليهم ويعاجلهم النناء بما فيهم من الترف والذل كما قدمناه وهذا كما وقع للمسلمين صدر الاسلام في الفتوحات فكانت جيوش المسلمين بالفاطمية والبربرية بضما وثلاثين الفا في كل معسكر وجميع فارس مائة وعشرين الفا بالفاطمية وجميع عرقل على ما قاله الواقدي اربعة الاف فلم يقف للمسلمين احد من المجانيين ورومهم وغلوهم على ما يديهم باعتبار ذلك ايضا في دولة اموية ودولة الموحدين فقد كان المغرب من النبال كبير من بقاؤهم في الممدد والعصبية او يشق عليهم الا ان الاجماع الديني ضاعف قوة عصبيتهم بالاستصار والاستئانة كما قلناه فلم يقف لهم شيء واعتبر ذلك اذا حالت صبغة الدين وقدست كيف يتفرض الامر ويصير الغلب على نسبة العصبية وحدها دون زيادة الدس فتغلب الدولة من كان تحت يدها من العصاب المكافئ لها او الرائدة القوة عليها الذين غلبتهم فصاعة الدين لفرعها ولو كان اكثر عصبية منها واشد بداء واعتبر هذا في الموحدين مع زنانية لما كانت زنانية ابدى من المصادة واشد توحشا وكانت المصادة الدعوة الدينية بانواع المدي فلسوا صحتها وتضاعفت قوة عصبيتهم بها فغلبوا على زنانية اولاً واستنعمهم وان كانوا من حيث العصبية والبداءة اشد منهم فلما خالوا عن تلك الصبغة الدينية انتصبت عليهم زنانية من كل جانب وغلبهم على الامر وانتزعه منهم والله غالب على امره

الفصل السادس

في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لانهم وهذا لما قدمناه من ان كل امر تميل اليه الكافة فلا بد له من العصبية وفي الحديث الصحيح كما مر ما بعث الله نبياً الا في منعة من قومه واذا كان هذا في الانبياء وهم اول الناس بمجرى الموائد فما ظنك بغيرهم ان لا تغرق له المادة في الغالب بغير عصبية وقد وقع هذا

الفصل السابع

في ان كل دولة لها حصّة من المالك والاطوان لا تريد عليها
والسبب في ذلك ان عصاة الدولة وقومها القائلين بها المهددين لها لاية من نوزيعهم
حصصاً على المالك والثغور التي تصير اليهم ويستولون عليها لحمايتها من العدو وانصاء
احكام الدولة فيها من جباية وردع وغير ذلك فانما توزعت العصائب كلها على الثغور
والمالك فلا بد من فناء عددها وقد بلغت المالك حيثئذ الى حيث يكون ثغراً للدولة
وتحس اوطانها ونطاقاً لمركز ملكها فان تكلفت الدولة بعد ذلك زيادة على ما بيدها في
دون حامية وكان موضعاً لانتهاز الفرصة من العدو والجوار ويعود وبال ذلك على
الدولة بما يكون فيه من التباس وخرق سياج الحبيبة وما كانت العصابة موقورة ولم يند
عددها في توزيع الحصص على الثغور والنواحي بقي في الدولة قوة على تناول ما وراء الغاية
حتى يتسح نطاقها الى غايته والعلة الطبيعية في ذلك هي قوة العصبية من سائر القوى
الطبيعية وكل قوة يصدر عنها فعل من الافعال فتأخذ ذلك في فعلها والدولة في مركزها
أشد ما يكون في الطرف والنطاق وإذا انتهت الى النطاق الذي هو الغاية تجزأت واقصرت
عوارضه شأن الاشعة والانوار إذا انبعثت من المراكز والدوائر المنتهية على سطح المانع
الفرع عليه ثم إذا ادركها الهرم والضعف فالتأخذ في النقص من جهة الاطراف ولا
يزال المركز محفوظاً الى ان يتأذن الله بانقراض الامر جملة فحينئذ يكون انقراض المركز
وإذا غلب على الدولة من مركزها فلا ينفذ بقاء الاطراف والنطاق بل تفصل لوقتها فان
المركز كالقلب الذي تبعته الروح فإذا غلب القلب وذلك انهزم جميع الاطراف وانظر
هنا في الدولة العارسية كان مركزها المدائن فلما غلب المسلمون على المدائن انقراض امر فارس
اجمع ولم يبق بزرجرد ما بقي بعده من اطراف ما لكونه ما لم يكن من ذلك الدولة الرومية
بالشام لما كان مركزها القسطنطينية وغلهم المسلمون بالشام فتميزوا الى مركزهم بالقسطنطينية
ولم يصرهم بانقراض الشام من ايديهم فلم يزل ملكهم متصلاً بها الى ان تأذن الله بانقراضه وانظر
ايضاً شأن العرب اول الاسلام لما كانت عصائبهم موقورة كيف غلبوا على ما جاورهم من
الشام والعراق ومصر لاسرع وقت ثم تجاوزوا ذلك الى ما وراءه من الهند والحشة وانريفة
والغرب ثم الى الاندلس فلما تفرقوا حصصاً على المالك والثغور ونزلوها حامية ونفذ
عديم في تلك التوزيعات انصرفوا عن التوجهات بعد وانتهى امر الاسلام ولم يتجاوزوا

فهم بالضرب والتكبد ثم قام من بعده رجل اخر من سواد اهل بغداد يعرف بسهل
ابن سلامة الانصاري ويكنى ابا حاتم وعاش مصيغاً في عتق ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر ولعل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فانبهة الناس كافة من بين
شريف ووضيع من بني هاشم فمن دونهم ونزل قصر طاهر واتخذ الدبوان وطاف ببغداد
ومنع كل من اتى اخاف المارة ومنع الخنارة لا وملك التطار وقال له خالد الدربوس اما
لا اعجب على السلطان فقال له سهل لكني اقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كاتما كن
كان ذلك سنة احدى ومائتين وجره له ابراهيم بن المهدي العساكر فغلبه واسره واتبع
امره سر بعا وذهب ونجا بنفسه ثم اقتدى بهذا العمل بعد كثير من الموسوسين ياخذون
انفسهم بافالة الحق ولا يعرفون ما يحتاجون اليه في اقامته من العصبية ولا يتعرفون بمدة
امره وماك احوالهم والذي يحتاج اليه في امر هؤلاء المداواة ان كانوا من اهل الجون
واما التكبد بالقتل او الضرب ان احذر ارجا واما اذاعة السر يا منهم وعدم من جملة
الصفاعين وقد ينسب بعضهم الى الفاطمي المنتظر اما بانه هو او بانه داع له وليس مع
ذلك على علم من امر الفاطمي ولا ما هو واكثر المتغلبين لمثل هذا تجدهم موسوسين ومجانين
او ملبسين يظنون بمثل هذه الدعوة رياسة امتلأت بها جوانهم وعجزوا عن التوصل
اليها بشيء من اسبابها العادية فيحسبون ان هذا من الاسباب البالغة بهم الى ما يوعده
من ذلك ولا يحسبون ما يابلهم فيه من الهلكة فيسرع اليهم القتل بما يجدونه من الفتنة وتسووه
عاقبة مكرهم وقد كان لاول هذه الما تخرج بالسوس رجل من المصروفه يدعى ابا وذري
عبد الى مسجد مائة ساحل البحر الك وزعم انه الفاطمي المنتظر ليس على العامة هنالك
بما مألوفهم من المحدثان بانتظاره هنالك وان من ذلك المسجد يكون اصل دعوتهم
فنهافت عليه طوائف من عامة البربر نهافت الثرائين ثم خشي ورساودهم اتساع نطاق
الفتنة فسد اليه كبير المصادة يومئذ عمر السكبيوي من قتله في فراشه وكذلك خرج
في غار ايضا لاول هذه المائة رجل يعرف بالعباس وادى مثل هذه الدعوة وابع نفيته
الاراذلون من سفهاء تلك القبائل وغارهم وزحف الى بادي من امصارهم ودخلها عتوة ثم
قتل لاربعين يوما من ظهور دعوتهم ومضى في الما لكن الاولين وامثال ذلك كثير والغلط
فيه من الغفلة عن اعتبار العصبية في مثلها واما ان كان التلبس فاسترى ان لا يتم له امر
وان يوه بانه وذلك جزاء الظالمين والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لارب غيره ولا
معصود سواد

ذلك ان النقص اما يبدو في الدولة من الاطراف فاذا كانت ممالكها كثيرة كانت اطرافها ابعد عن مركزها وكثيرة وكل نقص يقع فلا بد له من زمن فتفكر الزمان النقص لكثرة الممالك واختصاص كل واحد منها بنقص وزمان فيكون امدها طويلا وانظر ذلك في دولة العرب الاسلامية كيف كان امدها اطول الدول لابنو العباس اهل الماركر ولا بوامية المستنيرين بالاندلس ولم ينقص امر جميعهم الا بعد الاربعائة من الهجرة ودولة العبيديين كان امدها قريبا من مائتين وثمانين سنة ودولة صنهاجة دويم من لندن تقليد من الدولة امرافريقية لباكون بن زيري في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة الى حين استيلاء الموحدين على القلعة وبهاجة سنة سبع وخمسين وخمسمائة ودولة الموحدين لهذا العهد تناهز مائتين وسبعين سنة وهكذا نسب الدول في اعاربها على نسبة الفاتحين بها سنة الله التي قد خلت في عبادي

الفصل التاسع

في ان الاوطان الكثيرة الاله والصبان قل ان تستعظم فيها دولة والسبب في ذلك اختلاف الآراء والاهواء وان وراء كل رأي منها وهوى عصبية تمنع دونها فيكثر الانقسام على الدولة والخروج عليها في كل وقت وان كانت ذات عصبية لان كل عصبية من تحت يدها نظن في نفسها منعة وقوة وانظر ما وقع من ذلك بامريقية والمغرب منذ اول الاسلام ولهذا العهد فان ساكن هذه الاوطان من البربر اهل قبائل وعصبيات فلم يكن فيهم القلب الاول الذي كان لابن ابي سرح عليهم وعلى الافرنجة شيئا وعادوا بعد ذلك الورة والردة مرة بعد اخرى وعظم الاثم من المسلمين فيهم ولمسا اسفر الدين عدم عادوا الى الثورة والخروج والاخذ بدين الخروج مرات عديدة قال ابن ابي زيد ارتدت البرابرة بالمغرب اثني عشرة مرة ولم تستقر كلمة الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فاعتد وهذا معنى ما ينقل عن عمران افريقية من رقة القلوب اهلها اشارة الى ما فيها من كثرة المعاصب والفتائل المتحاملة لم على عدم الادعاء والابتعاد ولم يكن العراق لذلك العهد تلك الصفة ولا الشام انما كانت حاضيتها من فارس والروم والكافة دجاء اهل مدن وامصار فلما غلبهم المسلمون على الامر وانتزعوه من ايديهم لم يبق فيها ريب ولا مشاقق البربر قبائلهم بالمغرب اكثر من ان تحصى وكهم بادبة واهل عصبائهم وعشائهم وكلها هأكت قبيلة عادت الاخرى مكانها والى دينها من الخلاف والردة فقال

تلك الممدود ومنها تراجعت الدولة حتى تأخذ الله بافراضها وكذا كان حال الدول
من بعد ذلك كل دولة على نسبة القائمين بها في القوة والأكثرة وعقد نفاذ عددهم بالتوزيع
ينقطع لهم الفتح والاستيلاء سنة الله في خلقه

الفصل الثامن

في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على نسبة القائمين بها في القوة والأكثرة
والسبب في ذلك ان الملك انما يكون بالعصبية واهل العصبية هم الحامية الذرية
ينزلون بها الك الدولة واقطارها ويقسمون عليها فما كان من الدولة العامة قبيلها واهل
عصابتها أكثر كانت اقوى وأكثر ممالك واطنانا وكان ملكها اوسع انذلك واعتبر
ذلك بالدولة الاسلامية لما آتت الله كلمة العرب على الاسلام وكان عدد المسلمين في
غزوة تبوك آخر غزوات الذي صلى الله عليه وسلم مائة الف وعشرة آلاف من مصر
وقطان ما بين فارس وراجل الى من أسلم منهم بعد ذلك الى الوفاة فلما توجهوا لطلب
ما في أيدي الامم من الملك لم يكن دولة حتى وازر فاستبجى فارس والروم اهل
الدولتين العظيمين في العالم لهدم والترك بالشرق والافريقية والبربر بالمغرب والقوط
بالاندلس وخطوا من انجاز الى السوس الأقصى ومن اليمن الى الترك باقصى الشمال
واستولوا على الاقاليم السبعة ثم انقلبت ذلك دولة صنهاجة والموحدين مع العبيدين
قبلهم لما كان كرامة القائمين بدولة العبيد بيت أكثر من صنهاجة ومن المصاهنة كانت
دولتهم اعظم قبلهم افرقية والمغرب والشام ومصر وانجاز ثم انقلبت بعد ذلك دولة زناتة
لما كان عددهم اقل من المصاهنة قصر ملكهم عن ملك الموحدين لتصور عددهم عن عدد
المصاهنة منذ اول امرهم ثم اعتبر بعد ذلك حال الدولتين لهذا العهد الزناتة بني مريث
ولقب عبد الواد لما كان عدد بني مريث لاول ملكهم أكثر من بني عبد الواد كانت
دولتهم اقوى منها ووسع نطاقا وكان لهم عليهم الغلب مرة أخرى . يقال ان عدد
بني مريث لاول ملكهم كان ثلاثة آلاف وان بني عبد الواد كانوا ألفا الا ان الدولة بارفة
وكثرة النافع كثرت من اعدادهم وعلى هذه النسبة في اعداد المتعقلين لاول المالك يكون
اتساع الدولة وقوتها واما طول امدها ايضا فملى تلك النسبة لان عمر الحوادث من قوة
مزاجه ومزاج الدول انما هو بالعصبية فاذا كانت العصبية قوية كان المزاج تابعا لها
وكان امد العمر طويلا والعصبية انما هي بكمارة العدد وفوروه كقائمه والسبب الصحيح في

أمره وبلغ والدة النفوس وعجز الناس عن معالينته وورثه اعتقابه لهذا العهد فلا تظن أنه
يغير عصابة فليس كذلك وقد كان مبدؤه بعصاة إلا أنها قليلة وعلى قدر الحاجة فإن
تقلير الأندلس لقله المصائب والقبائل فيه يعني عن كثرة العصبية في التفات عليهم والله
غني عن العالمين

الفصل المباشر

في أن من طاعة الملك لا يتراد بالجد

وذلك أن الملك كما قدمناه إنما هو بالعصية والعصية ما تلت من عصات كثيرة
تكون واحدة منها أقوى من الأخرى كلها فتقبلها وتستولي عليها حتى تصيرها جميعاً في ضمنها
وبذلك يكون الاجتماع والالتصاف على الناس والدول وسرّه أن العصبية الدائمة للقبائل هي
مثل المزاج المتكون والمزاج إنما يكون عن العناصر وقد تبين في موضعه أن العناصر
إذا اجتمعت متكافئة فلا يقع منها مزاج أصلاً لا بد من أن تكون واحدة منها في الغلبة على
الكل حتى تبهرها وتؤاخذها وتصيرها عصبية واحدة شائلة لجميع العصابات وفي موجودة في
ضمنها وتلك العصبية الكبرى إنما تكون لتقوم أهل بيت وراثتها فيهم ولا بد من أن يكون واحد
منهم رئيساً لهم غالباً عليهم فيتعين رئيساً للعصبيات كلها لهاب مبدؤه بهم وإذا تبين لك
ذلك من السبعة المحيوية خاف الكبر والاسية فياً نف حيزاً من المساهمة والمشاركة في
استئناسهم والتكلم فيهم ويحيى خاف التآله الذي في طابع الشرع ما تقتضيه السياسة من
انفراد الأنكام بالكل باختلاف الحكام لو كان فيها آفة إلا أنه لم يندم في تجميعهم بل
أنوف العصبيات ويبلغ شكائهم عن أن أسروا إلى مشاركتهم في التكم وتفرع عصبيتهم عن
ذلك وينسرد به ما استطاع حتى لا يترك واحد منهم في الأمر لا فاقة ولا جهلاً فنورد ذلك
المبد بكينته ويدفعهم عن مساومتهم وقد يتم ذلك للأول من مارك الدولة وقد لا يتم إلا
للثاني والثالث على قدر مائة العصبيات وقوتها إلا أنه امر لا بد منه في الدول سنة الله
التي قد حلت في عبادته والله تعالى أعلم

سورة التي

الفصل السادس عشر

الفر فلا يفرق

في أن من طاعة الملك الترف

يهم ويذهب بأهم

وذلك أن الأمة إذا تلبست به كمت ما يابديها أهل الملك قد لها كشياب الحرم ثم لا يزالون
على دمهم ويأوزون ضرورات العيش وخشونة إلى نوافله ورفق جميع أحوالهم ينقسمون

امر العرب في تهديد الدولة بوطان افرقية والمغرب وكذلك كان الامر بالشام لعهد بني
 اسرائيل كان فيه من قبائل فلسطين وكعان وبني عمرو وبني مدبن وبني لوط والروم
 ويونان والعائلة واكرينش والنبط من جانب الجزيرة والموصل ما لا يحصى كثيرة وتوفاً
 في العصبية فصعب على بني اسرائيل تهديد دولتهم ورسوخ امرهم واضطرب عليهم الملك
 مرة بعد اخرى وسرى ذلك الحلاف اليهم فاختلوا على سلطانهم وخرجوا عليه ولم يكن لهم
 ملك موطن سائر ايامهم الى ان غلبهم الفرس ثم يونان ثم الروم اخر امرهم عند المجلاء والله
 غالب على امره. وبالعكس هذا الاوطان الخالية من العصبية يسهل تهديد الدولة
 فيها ويكون سلطانها اضعافاً لثلاثة المخرج والافتقار ولا يحتاج الدولة فيها الى كثير من العصبية
 كما هو الشأن في مصر والشام لهذا العهد اذ هي خالية من القبائل والعصبية كأن لم يكن
 الشام معدة تالم كما قلناه فلذلك مصر في غاية الدعوة الى الرسوخ لقلعة الخوارج اهل العصاب
 انما هو سلطان ورعية ودولتها قائمة بملوك الترك وعصائهم ببغداد على الامر واحداً بعد
 واحد وينتقل الامر فيهم من منبت الى منبت وبالاخلاق مساة العباسي من اعتاق المجلاء
 ببغداد وكذا شان الاندلس لهذا العهد فان عصبية ابن الاحمر سلطانها لم تكن لاول دولتهم
 بقوة ولا كانت كرات انما يكون اهل بيت من بيوت العرب اهل الدولة الاموية بقوا
 من ذلك القلة وذلك ان اهل الاندلس لما انقضت الدولة العربية منه وملكهم البربر من
 لمونة والموحدين سلبوا ملكهم ونقلت وطأهم عليهم فانتشرت القلوب بغضهم وامكن
 الموحدون والسادة في اخر الدولة كثيراً من الحصون الطاغية في سبيل الاستظهار على
 شانهم من تلك المحضرة مراكزهم فاجتمع من كان في بيها من اهل العصبية القديمة معادن
 من بيوت العرب فيجاني بهم المنبت عن المحاضرة والامصار بعض الشيء ويستقوا في العصبية
 مثل ابن هود وابن الاحمر وابن مردنيش وما مثلهم فقام ابن هود بالامرو دعا بدعوة الخلافة
 العباسية بالمشرق وحمل الناس على الخروج على الموحدين فبذلوا اليهم العهد واخرجوهم
 واستقل ابن هود بالامري الاندلس ثم ساء ابن الاحمر للامرو وخالف ابن هود في دعوى
 قدها هولاء لابن أبي حفص صاحب افرقية من الموحدين وقام بالامرو وتناول بعضاها
 قريبة من قرطبة كانوا يسمون الروساء ولم ينتج لآكثر منهم لقلعة العصاب بالاندلس وانما
 سلطان ورعية ثم استظهر بعد ذلك على الطاغية بن يميز اليو البحر من اعيان زبانة
 فصاروا معه عصبية على المناغرة والرباط ثم ساء لصاحب من ملوك زبانة اهل في الاستيلاء
 على الاندلس فصاروا تلك الاعيان عصابة ابن الاحمر على الامتناع الى ان قاتل

وجها في الدولة وخضدا من الشوكة وقيل به على مناحي الضعف والهمم للساد العصرية
 بل هاب البأس من اهلها. والوجه الثاني ان طبيعة الملك تقتضي الترف كما قدمنا فتكثر
 عوائدهم وتريد تنفائهم على اعطياتهم ولا يفي دخلهم بفرجهم فالقير منهم بهالك والمترف
 يستغرق عطاهم بترفهم يزداد ذلك في احوالهم المتأخرة الى ان يقصر العطاه كله عن
 الترف وعوائده وتقصم الحاجة وتطال لهم ملوكهم يحصر تنفائهم في القز والمحروب فلا
 يجدون ولية عنها فيوقعون بهم الاتوبات ويتزعرون ما في ايدي الكثير منهم يستأثرون
 به عليهم او يثرون به ابناءهم وصنائع دولتهم فيضعونهم لذلك عن اقامة احوالهم ويقع
 صاحب الدولة بضغمتهم وايضا اذا كثر الترف في الدولة وصار عطاهم مقصرا عن حاجاتهم
 وتنفائهم احتاج صاحب الدولة الذي هو السلطان الى الزيادة في اعطياتهم حتى يسد ظلمهم
 ويخرج عليهم والجباية مقدارها معلوم ولا تريد ولا تنقص وان زادت بما يستحدث من
 المكوس فيصير مقدارها بعد الزيادة محدودا فاذا وزعت الجباية على الاعطيات وقد
 حدثت فيها الزيادة لكل واحد بما حدث من ترفهم وكثرة تنفائهم نقص عدد الحماية
 حيثما كان قبل زيادة الاعطيات ثم يعلم الترف وتكثر مقادير الاعطيات لذلك
 فينقص عدد الحماية وثالثا ورابعا الى ان يعود العسكر الى اقل الاعناد فتضعف الحماية
 لذلك وتسقط قوة الدولة وينتاسر عليها من يجاورها من الدول او من هومتحت يدبها من
 القبائل والعصائب وبإذن الله فيها بالبناء الذي كثرت على خليفته وايضا فالترف مفسد
 للثاني بما يحصل في النفس من الزلل والشر والسفينة وعوائدها كما يأتي في فصل الحضارة
 فتذهب منهم خلال الميز التي كانت علامة على الممالك ودليلا علىو ويتصفون بما يافضها من
 خلال الشر فيكون علامة على الادبار والافتراض بما جعل الله من ذلك في خلقه وتأخذ
 الدولة مبادئ العطب وتضعف احوالها وتنزل بها امراض مزمنة من الهمم الى ان يقضى
 عليها. الوجه الثالث ان طبيعة الملك تقتضي الدعة كذا ذكرنا وإذا اتخذوا الدعة والراحة
 ما لثا وخلفا صار لهم ذلك طبيعة وجلة شان العوائد كلها وبلافاها فترى احوالهم المتأخرة في
 غشاة العيش ومهاد الترف والدعة وينقلب خلق النوحش ويسون عوائد الدعة التي
 كان بها الملك من شدة البأس وتعود الافتراض وركوب البيداء وهذابة القفر فلا يفرق
 بينهم وبين السوق من الحضرة الا في الثقافة والشارة فتضعف حمايتهم ويذهب بأسهم
 وتقصد شوكتهم ويعود وبال ذلك على الدولة بما تلبس به من ثياب الهمم ثم لا يزالون
 يتلونون بعوائد الترف والحضارة والسكون والدعة ورقة الحماية في جميع احوالهم ويتفهمون

الى اتباع من قبلهم في عوائدهم واحوالهم وتصير لتلك الدوافل عوائد ضرورية في تحصيلها
ويتزعمون مع ذلك الى رقة الاحوال في الطعام والملابس والفرش والآنية ويتناخرون
في ذلك ويتناخرون فيه غيرهم من الامم في اكل الطيب ولبس الانيق وزكوب الفاره
ويتناغي خلفهم في ذلك سلهم الى اخر الدولة وعلى قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك وترفعهم
فيه الى ان يبلغوا من ذلك الغاية التي للدولة ان تبلغها بحسب قوتها وعوائده من قبلها سنة
الله في خلقه والله تعالى اعلم

الفصل الثاني عشر

في ان من طبيعة الملك الدعة والسكون

وذلك ان الامة لا يحصل لها الملك الا بالمالا لية والمطالبة غايتها القلب والملك
واذا حصلت الغاية انقضى السعي اليها (قال الشاعر)

تجيت لسعي الدهريسي وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

فاذا حصل الملك اقصروا عن المتاعب التي كانوا يتكاثرونها في طلو وآثروا الراحة
والسكون والدعة ورجعوا الى تحصيل ثمرات الملك من المباني والمساكن والملابس فيبنون
الفصور ويحرون المياه ويفرسون الرياض ويستمتعون باحوال الدنيا ويورثون الراحة
على المتاعب ويتأثون في احوال الملابس والطعام والآنية والفرش ما استطاعوا
ويأثون ذلك ويورثونه بعدهم من ايجالهم ولا يزال ذلك يتزايد فيهم الى ان يتأكدن
الله بامرهم وهو خير الحاكمين والله تعالى اعلم

الفصل الثالث عشر

في انماذا تحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالجد وحصول الترف والدعة اقبلت الدولة على الهرم
وبئانه من وجوه * الاول انها تنقضي الانفراد بالجد كما قلناه ومهما كان الجد مشتركاً
بين العصابة وكان سعيهم له واحداً كانت همهم في التغلب على الغير والذبح عن الحوزة
قدما هو لبوحها وقوة شكايتها ومرامهم الى الغز جميعاً وهم يستطيون الموت في بناء مجد
قريبة من قرابته على فسادهم واذا انفرد الواحد منهم بالجد فرغ عصبيته وكبح من اعينهم
سلطان ورعية ثم ايئتم فتكاسلوا عن الغزو وفشل رجيمهم ورغبت المذلة والاستعباد ثم
فصاروا معه عصابة على ذلك يحسبون ما ياكلهم من الغطاء اجراً من السلطان لم عن
عقولهم سواء وقتل ان يستاجر احد نفسه على الموت فيصير ذلك
على الاندلس فصاروا

عمر الشخص الواحد وإنما قلنا ان عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة اجيال لان الجيل
 الاول لم يزلوا على خلق البداء وخشونتها وتوحشها من شغل العيش والمسالمة والافراس
 والاستراك في الجبل فلا تزال بذلك سورة العصرية محتوظة فيهم فقدم مرهف وجانبهم
 مرهوب والناس لم يفلحوا موت الجيل الثاني فيقول جالم بالملك والترفة من البداء الى
 الحضارة ومن الغشاق الى الترف والنصب ومن الاشتراك في الجبل الى اشراد الواحد
 وكل الباقيين عن السنين فزوم عمر الاستطالة الى ذلك الاستكالة فزكسرو سورة العصرية
 بعض النبي وتوز من الهامة والمخضوع ويبقى لم الكبر في ذلك بما ادركي الجيل
 الاول وباشروا احل لم وشاهدوا من اعتزازهم ووسعهم الى الجبل ومرامهم في المداخلة والامانة
 فلا يسهم ترك ذلك بالكتابة وان ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من مراجعة
 الاحوال التي كانت للجيل الاول او على ذلك من وجودها فيهم ولما الجيل الثالث لم يفسد
 عهد البداء والمثبوتة كان لم تكن وينقدون حلاوة الدر والعصرية بما هم فيه من ملكة
 القهر ويبلغ فيهم الترف عانة بما تنبؤ من العجم وغشارة العيش فيصيرون عيالا على
 الدولة ومن جهة النساء والولدان المتناهيين للمدافعة عنهم وتسقط العبوة بالحملة
 وينسون الحماية والمدافعة والامانة ويسبون على الناس في الارض والزري وركوب الجيل
 وحسن التدافعة يروهون بها وهم في الاكثر ايسر من الاسوار على ظهورها فاذا جاء المالك
 لم لم يقاوموا مدافعة فينتاج صاحب الدولة حينئذ الى الاستظهار بسواهم من اهل النجدة
 ويستكثروا بالمال ويهتاج من يفي عن الدولة في نفس السماء حتى يأتى الله بانقراضها
 فتذهب الدولة بما حملت فلهذا كما تراه ثلاثة اجيال فيها يكون هرم الدولة ونشأتها ولما
 كان افراض الحسب في الجيل الرابع كما مر في الجبل والاسس انما هو اربعة ايام وقد
 اتيناك في بهران طبعي كاف ظاهر مبني على ما مدونة تدل من التمددات تدالة فلن
 تعدو وجه الحق ان كنت من اهل الاصلاف وهذه الاجيال الثلاثة عمرها مائة وعشرون
 سنة على ما مر ولا تعدو الدول في الغالب وهذا العمر مقرب فقلنا وبعده الا ان عرض
 لها عرض اخر من فندان المالك فيكون المرم حاصلا مستويا والمالك لم يضره وان
 ند جاء المالك لما وجد مدافعا فاذا جاء اجيلهم لا يستأخرون ساعة ولا يمدون
 هذا العمر لا دولة فمات عمر الشخص من الزيد الى سن المدة ثم الى سن الرجوع وهذا
 يجري على السنة الناس في المتهور ان عمر الدولة مائة سنة وهذا مائة مائة سنة
 قانونا ومع ذلك عدد الالاء في عمود الحسب الذي تر يده من قبل معرفة السنين الماضية

ففيها ولم في ذلك يبعدون عن البداهة والمختومة ويسلفون عنها شيئاً فشيئاً ويسون خلق
البسالة التي كانت بها الحماية والمدافعة حتى يعودوا عيالاً على حامدة أخرى ان كانت
لم تعتبر ذلك في الدول التي اخبارها في الصحف لديك تجد ما قلته لك من ذلك
صحيحاً من غير ريبه وربما يحدث في الدولة اذا طرأ هذا الهرم بالترف والراحة ان يتغير
صاحب الدولة انصاراً وشبهة من يخرجونهم من تعود المحنة فينودم جداً يكون
اصبر على الحرب واندر على معاناة الشدائد من التجمع والتخلف ويكون ذلك دوماً
للدولة من الهرم الذي عساه ان يدركها حتى ياذن الله فيها بامرو وهذا كما وقع في دولة
الترك بالشرق فان غالب جنده المارلي من الترك تعتبر ملوكهم من اولك المالك
المجولين الهرم فرساناً ورجالاً يكونون اجراً على الحرب واصبر على التخلف من ابا المالك
الذين كانوا فيهم زور في ماء الصبر والساكن وظالم وكذلك في دولة المومدين بافرقيقة فان
صاحبها كثيراً ما يتجدد اجاده من زبانه والعرب ويستكثر منهم وينتد اهل الدولة المتوسدين
للترف تستفيد الدولة بذلك عمراً اخر سالماً من الهرم والله وارث الارض ومن عليها

الفصل الرابع عشر

في ان الدولة لما اعمار طليعية كما للاشخاص

اعلم ان الهرم الطليعي للاشخاص على ما زعم الاطباء والنجباء مائة وعشرون سنة
وفي سنو القرون الكبرى عدد النجبين ويتنافى الهرم في كل جيل بحسب القرائن فيزيد
عن هذا وينقص منه فتكون اعمار بعض اهل القرائن مائة ثمانية وبعضهم خمسين او ثمانين
او سبعين على ما تقتضيه ادلة القرائن عند المداين فيها واعمار هذه المائة ما بين الستين
الى السبعين كما في الحديث ولا يزيد على الهرم الطليعي الذي هو مائة وعشرون الا في
الصور النادرة وعلى الاوضاع القريبة من ذلك كما وقع في شان نوح عليه السلام وقيل
من قوم عاد وثمود واما اعمار الدول ايضاً فان كانت تخلف بحسب القرائن الا ان
الدواء في العال لا تعدو اعمار ثلاثة اجيال والجيل هو عمر اثنين واحد من الهرم الوسط
فكون اربعين الذي هو انتهاء النور والحوالي طابعه قال تعالى حتى اذا اشدته وبلغ
اربعون سنة ولهذا قلنا ان عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل ويؤيد ما ذكرناه في حكمة
التيه الذي وقع في بني اسرائيل وان المقصود بالاربعين فيه فله الجيل الاحياء وتمامه
جيل اخر لم يهدوا للذل ولا عرفوه فدل على اعتبار الاربعين في عمر الجيل الذي هو

وركب اليها في السنين وما انفق في املاكها وما تحملها المامون وانفق في عرسها ثلث من ذلك
على العجب فبما ان الحسن بن سهل نثر يوم الاملاك في الصنيع الذي حضره حاشية المامون
فنثر على الطبقة الاولى منهم بنادق المسك ملثونة على الرقاع بالصفائح والنفار مسوغة لمن
حصلت في يده يقع لكل واحد منهم ما اداة اليه الاتفاق والنجت وفرق على الطبقة الثانية
بدر الدناير في كل بدرة عشرة الاف وفرق على الطبقة الثالثة بدر الدرهم كذلك بعد
ان انفق في مقامة المامون بداره اضعاف ذلك وسما ان المامون اعطاهما في مهرها ليلة
زفافها الف حصاة من الباقوت واوقد شموع العنبر في كل واحدة مائة منق وهو رطل
وثلاث^(١) وبسط لها فرشاً كان المحصور منها منسوجاً بالذهب مكملاً بالدر والياقوت
وقال المامون حين رآه قائل الله ايا نواس كانه ابصر هذا حيث يقول في صفة الخمر
كان صفري وكبري من فوقها حصاة در على ارض من الذهب
واعاد بدار الطنج من المحطب الليلة الولية نقل مائة واربعين بذلك مدة عام كامل ثلاث
مرات في كل يوم وفي المحطب للباقيت واوقدوا البحر يدصبون عليه الزيت واوعز الى
الطانية باحضار السفن لاجازة الخواص من الناس بدجلة من بغداد الى قصور الملك
بمدينة المامون لحضور الولية فكانت المهرافات^(٢) المعدة لذلك ثلاثين الفا اجازوا الناس
فيها اخريات نهارهم وكثير من هذا واما لوك وكذلك عرس المامون بن ذي النون بطيطة
نقله ابن بسم في كتاب الذخيرة وابن حبان بعد ان كانوا كلهم في الطور الاول من البداوة
عاجزين عن ذلك جملة لفقدان امهاتهم والفاكين على صناعتهم في غضاختهم وسداجتهم
يذكر ان الحاج اولم في اخذ من بعض والده فاستخضر بعض الدهاقين يساله عن ولائم
الفرس وقال اخبرني باعظم صنع شهده فقال له نعم ايها الامر شهدت بعض مرازمة
كسرى وقد صنع لاهل فارس صنيعاً احضر فيه صياف الذهب على اخونة النضة ارضاً
على كل واحد وحمالة اربع وصانق ونبيل عليه اربعة من الناس فاذا طموا اتبعوا
اربعمهم المائنة بصيافاً ووصافها فقال الحاج يا علام البحر البحر واضع الناس وعلم انه
لا يستقل بهذه الائمة وكذلك كانت ومن هذا الباب اعطية بني امية وجوائزهم فاما
كان اكثرها الابل اخذوا بدهاب العرب ودارهم ثم كانت المجرات في دولة بني الهامس
والعبد بن من بعدهم ما علمت من اجمال المال ونجوت الثياب واعداد الخيل بمراكبها
الا فانه وثائق الذي في كتب اللغة ان المراكب لول ولان ولم يوجد في الاسماء المروسة ثلاث امارات بالفتح
جمع حرافة سبعة منها مراكب ماركوس ما العدو له عمار

إذا كنت قد استربت في عددهم وكانت الستون الماضية منذ أولم يحصل لك ذلك فعد لكل مائة من الستين ثلاثة من الأباء فان نددت على هذا القياس مع نفوذ عددهم فهو صحيح وإن نقصت عنه بجهل فقد غلط عددهم بزيادة واحد في عود النسب وإن زادت بمثل فقد سخط واحد وكذلك تأخذ عدد الستين من عددهم إذا كان محصلاً لديك فتأمله تجد في الغالب صحيحاً والله يقدر الليل والنهار

الفصل الخامس عشر

في انتقال الدولة من البدوة الى الحضارة

اعلم ان هذه الاطوار طبيعية للدول فان الغلب الذي يكون والمملك انما هو بالعصية وما يتبعها من شدة اليأس وتعود الافتراس ولا يكون ذلك غالباً الا مع البدوة فطور الدولة من اولها بدوة ثم اذا حصل الملك تبعه الرفعة واتساع الاحوال والحضارة انما هي تنبت في الثرى واحكام الصنائع المستعملة في وجوههم ومذاهيهم من المطابخ والملابس والمباني والفرش والابنية وسائر عوائد المنزل واحواله فكل واحد منها صنائع في استيفادها والتأني فيه يختص به ويقلو بعضها بعضاً وتكثر باختلاف ما تنزع اليه النفوس من الشهوات والمالذ والتعم باحوال الثرى وما تتلون به من العوائد فصار طور الحضارة في الملك يتبع طور البدوة ضرورة لضرورة تبعه الرفعة للملك واهل الدول ابداءً يقدون في طور الحضارة واحوالها للدولة السابقة قبلهم فاحولهم يشاهدون وسهم في الغالب ياخذون ومثل هذا وقع للعرب لما كان النيجم وكبرا فارس والروم واستقدمت بناتهم وبناتهم ولم يكونوا لذلك العهد في شيء من الحضارة فقد حكي انه قدم لهم المرقن فكانوا بمسورة رقاعاً وعثروا على الكافور في خزان كسرى فاستعملوه في عيبتهم فلهذا افعال ذلك فلما استعدوا اهل الدول قبلهم واستعملوه في مهنهم وحاجات منازلهم واختاروا منهم الماهرة سبغ افعال ذلك والقومة عليه افادهم علاج ذلك والقيام على عمله والتفنن فيه مع ما حصل لهم من اتساع العيش والتفنن في احوالهم فلهذا الغاية في ذلك وتطوروا بطور الحضارة والترف في الاحوال واستفادوا الطعام والمشارب والملابس والمباني والاسلحة والفرش والآية وسائر الماعون والكرشي وكذلك احوالهم في ايام المباشرة والولائم واليا في الاعراس فانوا من ذلك وراء الغاية وانظر ما نقله المسعودي والطبري وغيرهما في اعراس المأمون بهوارث بنت الحسن بن سهل وما بذل اهلها لحاشية المأمون حين وافاه في خطبتها الى داره بنم الصليح

ولا قريبا منه والله الخالق العليم

الفصل السابع عشر

في اطوار الدولة واختلاف احوالها وحق اهلها باختلاف الاطوار

اعلم ان الدولة تنقل في اطوار مختلفة وحالات متبددة ويكتسب القائمون بها في كل طور خلائع احوال ذلك النور لا يكون مثاله في النور الاخر لان الحق تاج الطبع لمراج الحال الذي هو فيه وحالات الدولة واطوارها لا تعدو في الثالب خمسة اطوار. الطور الاول طور الفربا لغية وغلب المادافع والمانع والاستيلاء على الملك وازواجه من ايدي الدولة السالطة فيها فيكون صاحب الدولة في هذا الطور اسير قومه في اكتساب الجود وجاية المال والمدافعة عن المحوزة والاية لا ينفردونهم شي لان ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها الذاب وفي لم تزل بعد بجالها. الطور الثاني طور الاستبداد على قومه والاستفراد دونهم بالملك ونجهم عن التشاؤل المساهمة والمشاركة ويكون صاحب الدولة في هذا الطور معنبا باصفناع الرجال واثاء الملبى والصانيع والاستكثار من ذلك ليلجع اشراف اهل عصبته ويمتدحوا المقامين له في دسة الضارين في الملك ينزل سهو فهو يداهم عن الامر ويصدعهم عن وارده ويردعهم على اعتابهم ان ينالوا اليه حتى يفر الامر في نصا وينفرد اهل بيته بما يشي من بدو فعا في من مدافعتهم ومنا لتهم مثل ما عااة الاولين في طلب الامر او ان يد لأن الاولين دافعا في الابواب فكان ظهرا وهم على مدافعتهم اهل العصبية باجمعهم وهذا دافع الانارب لا يظاهرة على مدافعتهم الا الاقل من الاعد ويركب صبيكم الامر. الطور الثالث طور الفراع والدعة لتحصيل غرات الملك ما تنزع دواع البشر اليه من تحصيل المال وتوليد الآثار ونعد الشيت فيسخرغ وسعة في الجبراة وصطل الدغل والمخرج واحصاء النفقات والتدبير فيها وتبديد الماني الخافعة والمصانع الخفية والمصارف المستغنى بها كل المرتفعة في غارة الرقود من اشراق الانم ووجوه التبايل وبكث المعروف في اهلها هذا هو المستغل صناعته وحاشيته في احوالهم بالمال والجاه واعتراض جرده في ادرار اراضيهم واصنافهم في اعاليانهم لكل هلال حتى يظهر اثر ذلك عليهم في ملاسهم وشكهم وتارائهم يوم الرينة فيساق بهم الدول المسالمة ويهرب الدول الحاربة وهذا الطور آخر اطوار الاستبداد من استعاب الدولة لانهم في هذه الاطوار كما استغلون بارائهم بانهم لم يرضون الطريق لمن بعدهم. الطور الرابع طور الفروع والمسالمة ويكون

وهكذا كان شأن كنانة مع الإغلبة بأفريقية وكذا بني طنج بمصر وشان لمنونة مع ملوك
الطوائف بالاندلس والموحدين كذلك وشان زناتة مع الموحدين وهم جزءاً منتفلاً الحضارة
من الدول السالفة إلى الدول الحالفة فانتقلت حضارة الفرس العرب بني أمية وبني
العباس وانتقلت حضارة بني العباس إلى الديلم ثم إلى الترك ثم إلى السلاجقة ثم إلى الترك
الماليك بمصر والفرنج بالرافدين وعلى قدر عظم الدول يكون شأنها في الحضارة إذا مور
الحضارة من توارث الترف والترف من توارث البروة والنعمة والثروة والنعمة من توارث الملك
ومقدار ما يستولي عليه أهل الدولة فعلى نسبة الملك يكون ذلك كنه فاعنبره ونهله وتأملة
نجد صيحياً في العبران والله وأرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

الفصل السادس عشر

في أن الترف يزيد الدولة في أولها قوة إلى قوتها
والسبب في ذلك أن القليل إذا حصل لهم الملك والترف كثرت النسل والولد
والهوية فكثرت العصابة واستكثر أيضاً من الموالى والصنائع ووريت أجيالهم في جن
ذلك النعم والرفه فازدادوا بهم عددًا إلى عددهم وقوة إلى قوتهم بسبب كثرة العصابات
حينئذ بكثرة العدد فإذا ذهب الجيل الأول والثاني واغذت الدولة في الهرم لم تستغل
أولئك الصنائع والموالي بأنفسهم في تأسيس الدولة وغيب ملكهم لأنهم ليس لهم الأمر شيء
إنما كانوا عيالاً على إلهابهم ومعونته لما فاز ذهب الأصل لم يستغل الترف بالارسخ فذهب
وبلاشي ولا تبقى الدولة على حالها من القوة واعتبر هذا بما وقع في الدولة العربية في
الاسلام كان عدد العرب كأفلا الحديد السبعة والخمسة مائة وخمسين ألفاً وما يقاربها من
مصر وقطان ولما بلغ الترف مبلغه في الدولة وتوفر مؤهلاتهم بنوع النعمة واستكثر الحملان من
الموالي والله نافع بلغ ذلك العدد إلى اصعاده يقال إن المعتصم نازل عمورية لما احتقها في
تسعائة ألف ولا يعد مثل هذا العدد إن يكون صينياً إذا اعتبرت حالهم في الثغور
الدائمة والفاصلة شرقاً وغرباً إلى الجند أسماء ليس سرير الملك والموالي والمصطنعين وقال
المسعودي أحصى بنو العباس ابن عبد المطلب خاصة أيام المأمون للاتفاق عليهم فكانوا
ثلاثين ألفاً ذكران وإناث فانتظر مبالغ هذا العدد لاقبل من مائتي سنة وأعلم أن سببة
الرفه والنعم الذي حصل للدولة وربي فيه أجيالهم والأفئدة العرب لا أول النعم بل يبلغ هذا

الميكال والمصانع ولا تقوم ما تنوّه العامة أن ذلك لعظم اجسام الاقدمين عن اجسامنا في
 اطرافها وانظارها فليس بين البشر في ذلك كبير بين كائجه بين الميكال والآثار ولقد ولى
 القصص بذلك ونفاها فيه وسطروا عن عاد وثمود والعائلة في ذلك اختياراً عربقة في
 الكذب من اغربها ما يمكن عن عروج عناني^(١) رجل من العائلة الذين قاتلهم بنو اسرائيل في
 الشام زعموا انه كان اوله يتناول السمك من البحر ويشويه الى الشمس ويزيدون الى جهلهم
 باحوال البشر الجهل باحوال الكواكب لما اعتقدوا ان للشمس حرارة وانها شديدة فيما
 قرب منها ولا يعلمون ان الحر هو الضوء وان الضوء فيما قرب من الارض أكثر لا تنكاس
 الاشعة من سطح الارض بمقابلته الاضواء فتتضاعف الحرارة هنا لاجل ذلك واذا تجاوزت
 مطارج الاشعة المنعكسة فلا حر هناك بل يكون فيه البرد حيث يجاري السحاب وان
 الشمس في نفسها لا حارة ولا باردة وانما هو جسم بسيط مضي لا مزاج له وكذلك عروج
 بن عنان هو فيما ذكره من العائلة او من الكهنة الذين كانوا فريسة بني اسرائيل
 عند فتحهم الشام واطول بني اسرائيل وجسماتهم لذلك العهد قريبة من هيكلنا يشهد
 لذلك ابواب بيت المقدس فانها وان شربت وجذدت لم تزل المحافظة على انكسارها
 ومقادير ابوابها وكيف يكون التفاوت بين عروج وبين اهل عصره بهذا المقدار وانما غفل
 غلظهم في هذا انهم استعظمو آثار الامم ولم ينهوا حال الدول في الاجتماع والتعاون وما
 يحصل بذلك وبالهندام من الآثار العظيمة فصرفوه الى قوة الاجسام وشدها بعظم هيكلها
 وليس الامر كذلك وقد زعم المسعودي ونقله عن الفلاسفة مزعماً لا مستنداً له الا انه حكم
 وهو ان الطبيعة التي هي جدلة للاجسام لما برأ الله الخلق كانت في تمام الكثرة ونهاية القوة
 والكمال وكانت الاعمار اطول والاجسام اقوى لكمال تلك الطبيعة فان طريق الموت امانه
 بالانحلال القوي الطبيعية فاذا كانت قوية كانت الاعمار ازيد فكان العالم في اولية نشأته
 تامم الاعمار كمال الاجسام ثم لم يزل يتناقص لتقصان المائة الى ان بلغ الى هذه الحال التي
 هو عليها ثم لا يزال يتناقص الى وقت الانحلال وانفراض العالم وهذا رأي لا وجه له الا
 انكم كما تراه وليس له علة طبيعية ولا سبب برهاني ونحن نشاهد مساكن الاولين والاهل
 وطرقهم فيما احسنه من البنين والميكال والندبار والمساكن كدبار ثمود المشقوة في الفلأ
 من الصخر بيوتاً صفراء واطرافها ضيقة وقد اشار صلى الله عليه وسلم الى انها دارهم وبني

^١ رواه ابن عثان الذي في الفهرست في باب الهمع ع س عرق في الاول والآخر على اللغة الناصي عني ا. ا. ا. و
 فانه من الغريب

صاحب الدولة في هذا قائما بما يني أولوه سلكا لا نظاره من الملوك واقفا لو مقلدا للماضين من سلفه فيشيع آثارهم جذو النعل بالنعل وبقتني طرقهم باحسن منافع الاقتداء ويرى ان في الخروج عن تقليدهم فسادا مراء وانهم ابصر بها بنوا من بعدهم. الطور الخامس طور الاسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلقا لما سمع اولوه في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطانته وفي هبما لسو واصطناع اخدان السوء وخضراء الدمن وتقليدهم عفايات الامور التي لا يستعملون بها ولا يعرفون ما ياتون ويذرون منها مستغفلا الكدار والايام من قومه وصنائع سائيه حتى يضطغروا عليه ويتخاذلوا عن نصرته مضطجعا من جنده بما انفق من اعطائهم في شهبائه وحجب عنهم وجهه مباشرة وتنفذه فيكون هفرا لما كان سائيه بوسهون وحادما لما كانا يهون وفي هذا الطور يحصل في الدولة طبيعة الهرم ويستولي عليها المرض المرمي الذي لا تكاد تخلص منه ولا يكون لها معه برح الى ان تنقرض كانهية في الاحوال التي نسردها والله خير الوارئين

الفصل الثامن عشر

في ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في اصلها والسبب في ذلك ان الآثار انما تحدث عن القوة التي بها كانت اولو على قدرها يكون الاشر في ذلك مباني الدوا وهي كلها العظيمة فانما تكون على نسبة قوة الدولة في اصلها لانها لا تتم الا بكثرة النقلة واجتماع الايدي على العمل والتعاون فيوه فاذا كانت الدولة عظيمة فسيبته الجوانب كثيرة المالك والرعايا كان النقلة كثيرين جدا وحجروا من آفاق الدولة واقطارها فتم العمل على اعظام هياكله الا ترى الى مصاع قوم عاد وثمود وما قصة القرآن عنها وانظار بالمشاهدة ايوان كسرى وما اقتدر فيه الفرس حتى انه جرم الرشيد على هدمه وعزبه فتكاهد عه وشرع فيه ثم ادركه الخبر وقصة استشارته لعبي بن خالد في شامه معروفه فانظر كيف تقتدر دولة على بناء لا تستطاع اخرى على هدمه مع مون ما بين الهدم والبناء في السهولة تعرف من ذلك مون ما بين الدولتين وانظر الى بلاط الوليد بدمشق وجامع بني أمية بقرطبة والفة طرة التي على واديها وكذلك بناء الحبايا لجلب الماء الى قرطاجنة في القناة الراكبة عليها وآثار شرشال بالمغرب والاهرام بمصر وكثير من هذه الآثار الماثلة للعيان يعلم منه اختلاف الدول في الثقة والضعف واعلم ان تلك الافعال للاقدمين اما كانت بالهدام واجتماع النقلة وكثرة الايدي عليها فبذلك سببت تلك

مائة وخمسون رطلًا (سبستان) أربعة آلاف ألف درهم مرتين ومن الثياب المعينة ثلثمائة
 ثوب ومن القانيد عشرون رطلًا خرسان ثمانية وعشرون ألف درهم مرتين ومن نقر
 النضة المانقة ومن البراذن أربعة آلاف ومن الرقيق ألف رأس ومن الماع عشرون ألف
 ثوب ومن الأهلج ثلاثون ألف رطل (سرجان) اثنا عشر ألف درهم مرتين ومن الأبريسم
 ألف شقة (قوس) ألف الب مرتين وخمسة آلاف من نقر النضة (طبرستان) والرمان
 وبابند (سنة) ألف ألف مرتين وثلثمائة ألف ومن الزرق الناري ستمائة قطعة ومن
 الأكسية مائتان ومن الثياب ستمائة ثوب ومن المناديل ثلثمائة ومن الجمامات ثلثمائة
 (الري) اثنا عشر ألف درهم مرتين ومن العسل عشرون ألف رطل (دند) (دند)
 أحد عشر ألف درهم مرتين وثلثمائة ألف ومن رطب الرمان ألف رطل ومن
 العسل اثنا عشر ألف رطل (ما بين الصرة والكوفة) عشرة آلاف ألف درهم مرتين
 وسبعمائة ألف درهم (ماسندان والدينار^(١)) أربعة آلاف ألف درهم مرتين (تهرور)
 ستة آلاف ألف درهم مرتين وسبعمائة ألف درهم (الموصل وما إليها) أربعة وعشرون
 ألف ألف درهم مرتين ومن العسل الأبيض عشرون ألف ألف رطل (أذربايجان) أربعة
 آلاف ألف درهم مرتين (الجزيرة وما إليها من أعمال الترات) أربعة وثلثون ألف ألف
 درهم مرتين ومن الرقيق ألف رأس ومن العسل اثنا عشر ألف رطل ومن البزاة^(٢) عشرة
 ومن الأكسية عشرون (ارمنية) ثلثمائة ألف ألف درهم مرتين ومن السط^(٣) المنخور
 عشرون ومن الرثم سبعمائة وثلثون رطلًا ومن المساجح السور ما في عشرة آلاف رطل
 ومن الصنوج عشرة آلاف رطل ومن البغال مائتان ومن المارة ثلاثون (قنسرين) أربعة
 ألف دينار ومن الزيت ألف حمل (دمشق) أربعة مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار
 (الأردن) ستمائة وتسعون ألف دينار (فلسطين) ثلثمائة ألف دينار وعشرة آلاف دينار
 ومن الزيت ثلثمائة ألف رطل (حصر) ألف ألف دينار وتسبعمائة ألف دينار وعشرون
 ألف دينار (برقة) ألف ألف درهم مرتين (افريقية) ثلاث عشرة ألف ألف درهم مرتين
 ومن السط مائة وعشرون (البحر) ثلثمائة ألف دينار وسبعمائة ألف دينار سوى المتابع
 (البحار) ثلثمائة ألف دينار انتهى وما إلى الأندلس فالنهي ذكره الثقات من مورخيه إن
 عبد الرحمن الناصر خلف في سوت ادوا إلى خمسة آلاف ألف ألف دينار مكررة ثلاث مائة

^(١) ترك مال. ^(٢) ترك مال. ^(٣) ترك مال. ^(٤) ترك مال. ^(٥) ترك مال. ^(٦) ترك مال. ^(٧) ترك مال. ^(٨) ترك مال. ^(٩) ترك مال. ^(١٠) ترك مال. ^(١١) ترك مال. ^(١٢) ترك مال. ^(١٣) ترك مال. ^(١٤) ترك مال. ^(١٥) ترك مال. ^(١٦) ترك مال. ^(١٧) ترك مال. ^(١٨) ترك مال. ^(١٩) ترك مال. ^(٢٠) ترك مال. ^(٢١) ترك مال. ^(٢٢) ترك مال. ^(٢٣) ترك مال. ^(٢٤) ترك مال. ^(٢٥) ترك مال. ^(٢٦) ترك مال. ^(٢٧) ترك مال. ^(٢٨) ترك مال. ^(٢٩) ترك مال. ^(٣٠) ترك مال. ^(٣١) ترك مال. ^(٣٢) ترك مال. ^(٣٣) ترك مال. ^(٣٤) ترك مال. ^(٣٥) ترك مال. ^(٣٦) ترك مال. ^(٣٧) ترك مال. ^(٣٨) ترك مال. ^(٣٩) ترك مال. ^(٤٠) ترك مال. ^(٤١) ترك مال. ^(٤٢) ترك مال. ^(٤٣) ترك مال. ^(٤٤) ترك مال. ^(٤٥) ترك مال. ^(٤٦) ترك مال. ^(٤٧) ترك مال. ^(٤٨) ترك مال. ^(٤٩) ترك مال. ^(٥٠) ترك مال. ^(٥١) ترك مال. ^(٥٢) ترك مال. ^(٥٣) ترك مال. ^(٥٤) ترك مال. ^(٥٥) ترك مال. ^(٥٦) ترك مال. ^(٥٧) ترك مال. ^(٥٨) ترك مال. ^(٥٩) ترك مال. ^(٦٠) ترك مال. ^(٦١) ترك مال. ^(٦٢) ترك مال. ^(٦٣) ترك مال. ^(٦٤) ترك مال. ^(٦٥) ترك مال. ^(٦٦) ترك مال. ^(٦٧) ترك مال. ^(٦٨) ترك مال. ^(٦٩) ترك مال. ^(٧٠) ترك مال. ^(٧١) ترك مال. ^(٧٢) ترك مال. ^(٧٣) ترك مال. ^(٧٤) ترك مال. ^(٧٥) ترك مال. ^(٧٦) ترك مال. ^(٧٧) ترك مال. ^(٧٨) ترك مال. ^(٧٩) ترك مال. ^(٨٠) ترك مال. ^(٨١) ترك مال. ^(٨٢) ترك مال. ^(٨٣) ترك مال. ^(٨٤) ترك مال. ^(٨٥) ترك مال. ^(٨٦) ترك مال. ^(٨٧) ترك مال. ^(٨٨) ترك مال. ^(٨٩) ترك مال. ^(٩٠) ترك مال. ^(٩١) ترك مال. ^(٩٢) ترك مال. ^(٩٣) ترك مال. ^(٩٤) ترك مال. ^(٩٥) ترك مال. ^(٩٦) ترك مال. ^(٩٧) ترك مال. ^(٩٨) ترك مال. ^(٩٩) ترك مال. ^(١٠٠) ترك مال.

عن استعمال مياههم وطرح ما عجن به في هرق وقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم
الآن تكونوا باكين ان يصيبكم ما اصابهم وكذلك ارض عاد ومصر والشام وسائر بقاع
الارض شرقاً وغرباً واليمن ماقرناه ومن اتار الدول ايضاً الحلفاني الاعراس والولائم كما
ذكرناه في ولاية موران وصنيع النجاش ومن ذلك كله ومن اتارها ايضاً
عطايا الدول ما بها تكونت على نعمتها ويظهر ذلك فيها ولو انشرفت على الحرم فان الهم
التي لاهل الدولة تكون على نسبة قوة ملكهم وغلبهم الناس والهم لا ينزل مصاحبة لهم الى
انقراض الدولة واعبر ذلك بمواثر ابن ذي يزن لوفد قريش كيف اعتلوا من اربطال
الذهب والنفضة والاعبد والوصائف عشراً وعشراً من كرش الصنوبر واحدة واضاف ذلك
بعضه اذنا له بعد المطلب وانما ملكه يومئذ قرارة اليمن خاصة تحت استبداد فارس وانما
حمله على ذلك هبة ناسه اكان لقوى التابعة من المالك في الارض والغلب على الامم
في العراقين والهند واليهرب وتان القساريون بافريقية ايضاً اذا اجازوا الوفد من امراء
زينة الزوافدين عابهم فانما يعطوهم المال اجمالاً والكساء ثياباً مائة والمجملات جنائب
عددية وفي تاريخ ابن الرقي من ذلك اخبار كثيرة وكذلك كان عطاء البرامكة ورواسم
ونفقاتهم وكانوا اذا كسبوا معدماً فانما هو الولاية والتعبية آخر الدهر لا العطاء الدائم
استفده يوم او بعض يوم واخبرهم في ذلك كثيرة مسطورة وهي كلها على نسبة الدول
جارية هذا جوهر الصفا لابي الكاتب قائد جيوش العبيد بن المارشل الى فتح مصر استمد من
التيروان بالث حمل من المال ولا تنتهي اليوم دولة الى مثل هذا وكذلك وجد بعد
احمد بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحول الى بيت المال ببغداد ايام المأمون من جميع
النواحي ثلثة من جراب الدولة (غلات السواد) سبع وعشرون الف الف درهم مرتين
وثمانية الف درهم ومن اتمل البخرانية مائتا مائة ومن طين الخيم مائتان واربعون رطلاً
(كبر) احدى عشر الف الف درهم مرتين وسبعة الف درهم (كور دجلة) . عشرون
الف الف درهم وثمانية دراهم (حلبان) اربعة الاف الف درهم مرتين وثمانية الف درهم
(الاهواز) خمسة وعشرون الف درهم مرة ومن السكر ثلثون الف رطل (فارس)
سبعة وعشرون الف الف درهم ومن ماء الورد ثلثون الف الف درهم ومن الزيت الاسود
عشرون الف رطل (كرمان) اربعة الاف الف درهم مرتين ومائتا الف درهم ومن الماع
اليمني خمسمائة ثوب ومن الف عشرين الف رطل (مكران) اربعة الف درهم مرة
(السند وما يليه) احدى عشر الف الف درهم مرتين وخمسمائة الف درهم ومن المود الهندية

بما انك لم تره فتكون كابن الوزير النائي في السنين وذلك ان وزيراً اعتقله سلطانه
ومكث في السجن سنين دلي فيها ابنه في ذلك الحبس فلما ادرك وعقل سأل عن الجنان
التي كان يتغذى بها فقال له امروء هذا لم الغم فقال. وما الغم فيصنعها له امروء بشيائها
وعونها فتقول يا أبت تراها مثل النار فينكر عليه ويقول ابن الغم من النار وكذا في لم
الابل والبقرا لم يعان في محبس من الحروب مات الا النار فيمسحها كلها أبناء جنس النار
وهذا اكبر ما يعتري الناس في الاخبار كما يعترهم الوسواس في الريادة عند قصد
الاغراب كما قدمناه اول الكتاب فليرجع الانسان الى اصوله وليكن ميسر على نفسه ومجرباً
بين طبيعة الممكن والمتعصر صريح عناءه ومستقيم فطرته فما دخل في نطاق الامكان قبله وما
خرج عنه رفضه وليس مرادنا الامكان العقلي المطابق فان لطائفه اوسع شيء فلا يفرض
حداً بين الواقعات وانما مرادنا الامكان بحسب المادة التي للشيء فاننا اذا نظرنا اصل
الشيء وجسمه وصفته ومقدار عقله وقوته اجرنا الحكم من نسبة ذلك على احواله
وحكما بالاتباع على ما خرج من شأنه وقل رب زدني علماً وانت ارحم الراحمين والله
سبحانه وتعالى اعلم

الفصل التاسع عشر

في استظهار صاحب الدولة على قوته وادب عصبته بالماري واصطفيه
اعلم ان صاحب الدولة انما يتم امره كما قلناه بقومه فهم عصبته وظهراني على شأنه
وبهم يتابع الخواارج على دولته وبهم يقد اعمال مملكته ووزارة دولته وجباية امواله لانهم
اعوانه على الغلب وشركاؤه في الامر ومساووه في سائر جهاته هذا ما دام الدور الاول
للدولة كما قلناه فاذا جاء الدور الثاني وظهر الاستعداد عنهم ولا يتراد بالجد ودافعهم عنه
بالمرح صاروا في حقيقة الامر من بعض اعدائهم واجتاج في مدافعتهم عن الامر وصدهم عن
المشاركة الى اولياء آخرين من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم دونهم فيكونون
اقرب اليه من سائرهم واخص به قرباً واصطناً واولى اشارة واجاهاً لما انهم يستعينون
في مدافعة قومهم عن الامر الذي كان لهم الرتبة التي التوها في مشاركتهم فيستخلصهم صاحب
الدولة حيث يشاء ويضعهم به زيد النعمة والاظهار بنفسه لم يدل ما للكثير من قومهم وبقادهم
جليل الاعمال والولايات من الوزارة والقيادة والحماية وما ينقص به نفسه وتكون خاتمة
له دون قومهم من القاب الملكية لانهم حيث يشر اولياءه الاقربون ونصباؤه المخلصون وذلك

يكون جعلها بالثناطين خمسمائة ألف قطار . ورايت في بعض تواريخ الرشيد ان الجمهور
 الى بيت المال في ايامي سبعة الاف قطار وخمسمائة قطار في كل سنة فاعبر ذلك في
 نسب الدول بعضها من بعض ولا تنكر ما ليس بمعهود عندك ولا في عصرك شي من
 امثاله فتضييق حوصلتك عند ملتقط المكائت فكثير من الخواص اذا سمعوا امثال هذه
 الاخبار عن الدول السالفة بادر بالانكار وليس ذلك من الصواب فان احوال الوجود
 والعمران متفاوتة ومن ادرك منها رتبة سفلى او سفلى فلا يتصور المدارك كلها فيها ونحن
 اذا اعتبرنا ما ينقل لنا عن دولة بني العباس وبني امية والعباسيين وناسبنا الصحيح من
 ذلك والذي لا شك فيه بالادي فتأهده من هذه الدول التي هي اقل بالنسبة للموجودنا
 بينها وما يعمولها بينها من التناوت في اصل قوتها وعمران ما لكمها فالانار كلها جارية على
 نسبة الاصل في الفترة كما قدمناه ولا يصح انكار ذلك عنها اذ كثير من هذه الاحوال
 في غاية الشهرة والوضوح بل فيها ما يلحق بالمتنفيذ والمناظر وفيها المعاني والمناشد من
 آثار البناء وغيره فيند من الاحوال المتقولة مراتب الدول في قوتها اوضاعها وخصائصها
 او صغرها واعتبر ذلك بما قصه عليك من هذه الحكاية المستطرفة وذلك انه ورد بالمغرب
 لعهد السلطان ابي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوالة^(١)
 كان رجل منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل
 مدينة دهلي حاضرة ملك الهند وهو السلطان محمد شاه واتصل بآكله ان ذلك العهد وهو
 فيروزجور وكان له مسكن واستعمل في خدمة القضاء بذهب المالكية في عمله ثم انقلب
 الى المغرب واتصل بالسلطان ابي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجايب
 بما لك الارض واكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند وباقي من احوالها بما يستقر به
 السامعون مثل أن ملك الهند اذا خرج الى السفر احصى اهل مدينته من الرجال والنساء
 والولدان وقرض لهم رزق ستة اشهر تدفع لهم من عطايا وابنة عند رجوعه من سفره يدخل
 في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة الى صحراء البلد ويلتفون به وينصب امامه في ذلك
 المحفل منجنيقات على الظهر ترمى بها شكاثر الدراهم والمدانير على الناس الى ان يدخل ايامه
 وامثال هذه الحكايات فتباحى الناس بهتكديمه وتليت أيا من وزير السلطان فارس بن
 وردار العبد الصبغت فناوضته في هذا الشأن وارتبه انكار اخبار ذلك الرجل لما استفاض
 في الناس من تكدي و فقال لي الوزير فارس اياك ان تستنكر مثل هذا من احوال الدول

١ كان ابتدا رحلته الى بلوغة سنة ٧٢٥ هـ بآية سنة ٧٥٤ هـ في غرة ربيع الثاني سنة ٧٢٥ هـ كرام الله

منهم منزلة ذوي قرابتهم وأهل أرحامهم وإذا اصطنعهم بعد الملك كانت مرتبة الملك مميزة السيد عن المولى ولاهل القرابة عن اهل الولاية والاصطناع لما تقتضيه احوال الرئاسة والملك من تميز الرتب وتفاوتها بتميز حراتهم ويتناولون منزلة الاجانب ويكون التفاضل بينهم اضعف والتناصر لذلك ابعد وذلك انقص من الاصطناع قبل الملك . الوجه الثاني ان الاصطناع قبل الملك بعد عهده عن اهل الدولة بطول الزمان ويجني شان تلك اللجنة ويقان بها في الاكثر النسب فيقوى حال العصبية وأما بعد الملك فيقرب العهد ويستوي في معرفته الاكثر فتبين اللجنة وتميز عن النسب فتضعف العصبية بالنسبة الى الولاية التي كانت قبل الدولة واعتبر ذلك في الدول والرياسات فبعد فكل من كان اصطناعه قبل حصول الرياسة والملك لمصطنعه فبعداً اشدّ التماساً به واقرب قرابة اليه ويتناول منه منزلة ابناءه واخوانه وذوي رحمهم ومن كان اصطناعه بعد حصول الملك والرياسة لمصطنعه لا يكون له من القرابة واللجنة ما للاولين وهذا مشاهد بالعيان حتى ان الدولة في اخر عمرها ترجع الى الاجانب واصطناعهم ولا يبنى لم يجد كما بناء المصطنعين قبل الدولة لقرب العهد حيث ان باوليتهم ومشاركة الدولة على الاغراض فيكونون منتظمين في مهاوي الضعة وانما يحمل صاحب الدولة على اصطناعهم والدول بهم عن اوليائها الاقدمين وصنائعها الاولين ما يعرضهم في انفسهم من العرة على صاحب الدولة وقلة الخضوع له وفطره بما ينظره به قبيلة واهل نسبه لتأكد اللجنة منذ العصور المتطاولة بالمرى والاتصال بابائهم وسلف قومه والانتظام مع كبراء اهل بيتهم فيحصل لهم بذلك دالة على اعزاز قبياتهم بسببها صاحب الدولة ويعمل عنهم الى استعمالهم . وانهم ويكون عهد استقلالهم واصطناعهم قريباً فلا يلبثون رتب المجد ويتنون على عالم من الخارجية وهكذا شأن الدول في اخرها واكثر ما يطلق اسم السانغ والاولياء على الاولين وأما هؤلاء المحدثون فمقدم واعوان والله ولي المؤمنين وهو على كل شيء وكيل

الفصل الحادي والعشرون

فما يعرض في الدول من حجب السلطان والاستبداد عايد اذا استقر الملك في نصاب معين ومبوت وامد من القبول القائمين بالدولة واندرجوا به ودفعوا سائر القبول عنة وتداوله بينهم واحداً بعد واحد بحسب الترتيب في ما حدث من التغلب على المصعب من وزراءهم وحاشيتهم وسببة في الاكثر ولاية صبي صغير او ضعيف

حيث يثبث مؤذن باهتضام الدولة وعلامة على المرض المزمن فيها لتساد العصية التي كانت
بناء الغلب عليها ومرض قلوب اهل الدولة حيث يثبث من الامنيان وعداية الساطان فيضطهون
عليه ويتر بصون به الدوائر ويعود وبالم ذلك على الدولة ولا يقطع في برئها من هذا
الداء لانه ما مضى يتأكد في الاعتقاد الى ان يذهب ريمها واعتبر ذلك في دولة بني أمية
كيف كانوا انما يظهرون في حروبهم وولاية اعلم رجال العرب مثل عمرو بن سعد بن
ابي وقاص وعبد الله بن زياد بن ابي سديان والحجاج بن يوسف والمهلب بن ابي صرة
وخالد بن عبد الله التميمي وابن هيرة وموسى بن هدير وبلال بن ابي بردة بن ابي موسى
الاشجيني ونصر بن سيار واعلم من رجالات العرب وكذا صدر من دولة بني العباس
كان الاستدبار فيها ايضاً رجالات العرب فلما صارت الدولة للانفراد بالجد وكبح العرب
عن الفتاوى والولايات صارت الوزارة العظمى والصنائع من الدرامة فوسى سهل بن موسى
وبني طاهر ثم بني بويه ومن ابي البركة مثل فنا ووصيف واباش وياكوك وابن طولون
واسنانم وغير هؤلاء من موالي النجيم فكانت الدولة كدبر من مدها والعزلة من احباله
سنة الله في عبادته والله تعالى اعلم

الفصل العشرون

في احوال الموالي بالمصلحة في الدول

اعلم ان المصلحة في الدول يتناوتون في الانتماء بصاحب الدولة يتناوتون فدهم
وحدتهم في الانتماء بصاحبها والسبب في ذلك ان المصلحة في العصبية من المدافعة والمناظرة
انما يتم بالنسب لاجل التناصر في ذوي الارحام والقربى والتنازل في الاجانب والمعداء
كما قدمنا في الولاية والمناظرة ما ارق او ما لم يات ثمره متزلة ذلك لان امر النسب وان
كان طبعياً فانما هو رعي والمعنى الذي كان به الانتماء انا هو العترة والمدافعة وطول
الممارسة في العترة ما رعى والرضاع وسائر احوال الموت والبناء واذا حصل الانتماء بذلك
جاءت العترة والتناصر وهذا ما شهد بين الناس واعلم مثله في الاصطلاح فانه يثبت بين
المصطفي ومن احبته نسبة خاصة من الرضاة ثمره هذه المنازلة وتؤكد النجاسة وان لم
يكن نسب فتمرات النسب موجودة فاذا كانت هذه الولاية بين القريب وبين اولادهم
فقبل حصول الملك لم كانت حروقه اشرع وعقائدها اصح ونسبها اصرح لوجوب ائمتها
انهم قبل الملك اسوة في عالم فلا يميز النسب عن الولاية الا بعد الاقل منهم فيتنازلون

والأبرام والنقص يوم فيها أهل الدولة أنه متصرف عن سلطانهم منذ في ذلك من وراء
 الحجاب لاحكامهم ويحتاج عن سيات الملك وشارايه والفايو جهده ويعد نفسه عن التهمة
 بذلك وإن حصل له الاستبداد لانه مستتر في استبداده ذلك بالحجاب الذي ضربه السلطان
 وأولوا على انفسهم عن القبول منذ أول الدولة ومغالطة عنة بالتيابة وأو تعرض لشيء
 من ذلك لنفسه^(١) على أهل العصية وقيل الملك وحاولوا الاستبداد به دونه لانه لم تستقم
 له في ذلك صبغة تحبهم على التسليم له والانتداب فيه لك لأول وهلة وقد وقع مثل هذا
 لعبد الرحمن بن الناصر بن منصور بن إلى عامر حين سما إلى مشاركة هشام وأهل بيتهم
 في لقب الخلافة ولم يقع بماء مع يوه وأخوه من الاستبداد بالملك والعقد والمراسم المتابعة
 فطلب من هشام خليفة هشام فففس ذلك على بنو مروان وسائر قريش
 ويايولا بن عم الخليفة هشام محمد بن عبد الحميد بن الناصر وخرجوا عليهم وكان في
 ذلك خراب دولة العامرين وهلاك الموهيد خليفةهم واستبدل منه سواه من اعيان
 الدولة إلى اخرها واستبالت مراسم ملكهم والله خير الراثرين

الفصل الثالث والعشرون

في حبة الملك واعيان

الملك منصب طبعي للإنسان لأننا قد برنا ان البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم إلا
 باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضرواتهم وإذا اجتمعوا دعت الضرورة إلى المعاملة
 واقتضاء الحاجات وقد كل واحد منهم يده إلى صاحبه باخذها من صاحبه لما في الدولة
 الطبيعية من الظالم والعدوان انفسهم على نفس ومصلحة الاخر عنها يقتضي التمسك والالتصاف
 ومقتضى القوة التدريجية في ذلك فيقع النزاع المضي إلى القاتلة وهي تزدى إلى المخرج
 وسنك الدماء واذهاب النفوس المضي ذلك إلى انقطاع النوع وهو ما خصه الاربي
 سبحانه بالحفاطة فاستحال بقاؤهم فوضى دون حاكم يزع بعضهم عن بعض واستأجل من أجل
 ذلك إلى الزارع وهو الحاكم عليهم وهو يقتضي الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم ولا بد في
 ذلك من العصية لما قد سناه من ان المطالبات كلها والمداخعات لا تتم إلا بالعصية
 وهذا الملك كاتراء منصب شريف توجه نحو المطالبات ويحتاج إلى المدافعات ولا
 يتم شيء من ذلك إلا بالعصيات كما مر في العدييات متفاوتة وكل عصية فلها ثمنك وتعليق
 على من يلها من قومها وعشيرها وليس الملك لكل عصية وإنما الملك على الحقيقة لمن

١ قوله لانه صنع اللام والذين وكسر الداء نال من عليه التي كسر لم يره املا لا كاسم الناموس

من اهل الميت يترشح للولاية بعد ابيه او يترشح ذويه وخولو ويؤنس منه التجار عن القيام بالملك فيقوم به كافة من وزراء ابيه وحاشيته ومواليه او قبيله وبوري منط امره عليه حتى يؤنس منه الاستعداد ويحمل ذلك ذريعة للملك فيجيب الصبي عن الناس ويعوده اليها ترف احواله ويسميه في مراعيها متى امكنه وينسبه الظرف في الامور السلطانية حتى يستبد عليه وهو بما عوده يعتقد ان حفظ السلطان من الملك اما هو جلوس السرير واعطاء الصفة وخطاب التهنيل والعود مع النساء خلف الحجاب وان الحبل والربط والامر والهي ومباشرة الاحوال المملوكية وتنقدها من الظرفية الجيش والمال والتغور انما هو للوزير ويسلم له في ذلك الى ان تستقيم له صفة الرياسة والاستعداد ويقول الملك اليه ويؤنر به عتيدته وابناءه من بعده كما وقع لابي بويه والترك وكافور الاخشيدي وغيرهم بالشرق والصور من ابي عالم بالاندلس وقد يتفطن ذلك المتجور المغلب لئلا يفتعل على المخرج من رتبة الشجر والاستعداد ويرجع الملك اتي نصايه ويضرب على ايدي المتغلبين عليه اما يقتل او يرفع عن الرتبة فقط الا ان ذلك في البادر الاقل لان الدولة اذا اخذت في تغلب الوزراء والاولياء استمر لها ذلك وقل ان تخرج عنه لان ذلك انما يوجد في الاكثر عن احوال الترف ونشأة ابناء الملك منفسون في تميمه قد اسمعهم الرجولة والفن الاخلاق الدايات والاطار ورورهم عليها فلا يتزعون الى رياسة ولا يعرفون استعداد امان تغلب امانهم في القنوع بالايمة والنفس في الذات وابواع الترف وهذا التغلب يكون للوالي والمصطنعين عند استعداد صغير الملك على قومهم وانفرادهم به دونهم وهو عارض لدولة ضروري كما قد ساء وهذا ان مرضا لا يبر الدولة منها الا في الاقل البادر والله يؤتي ملكه من يشاء وهو على كل شيء قدير

الفصل الثاني والعشرون

في ان المتغلبين على السلطان لا يتاركونه في الغلب الخاص بالملك

وذلك ان الملك والسلطان حصل لاوليه منذ اول الدولة بعصبة قوم وعصبيته التي استمعهم حتى استحكمت له ولفوه صفة الملك والغلب وهي لم ترل باقية وبها انخط رسم الدولة ويقاؤها وهذا التغلب وان كان صاحب عصبة من قبل الملك او الموالي والصنائع فبعصبة مندرجة في عصبة اهل الملك وتابعة لها وليس له صفة في الملك وهو لا يحاول في استبداده انتزاع الملك ظاهرا وانما يحاول انتزاع ثمراته من الامر والهي والحبل والعقد

ولا ذنوبه واشربوا بحبته واستأمنوا دونه في محاربة أعدائهم فاستقام الامر من كل جانب وأما
 تبايع حسن الملكة فهي ألتمة عليهم والمدافعة عنهم فالمداغة بهائم حقيقة الملك وأما التهمة
 عليهم والاحسان لهم فمن جملة الرفق بهم والنظر لهم في معاشهم وفي اصل كبير في التصيب
 الى الرعية وأعلم انه فلما تكون ملكة الرفق فيمن يكون بقطا شديد الذكاء من الناس
 وأكثر ما يوجد الرفق في الغنل والمغفل واقل ما يكون في الرقظ انه يكلف الرعية فوق
 طاقتهم لتفرد نظره فيما وراء مداركهم وأطلاعهم على عواقب الامور في مباديها بالمعنى
 فيمكنهم لذلك قال صلى الله عليه وسلم سير على سير ولا على سوارضتكم ومن هذا الباب اشتراط
 الشارع في الحاكم تلة الافراط في الذكاء وما خضع من قصة زياد بن ابى سفيان لما عزله
 عمر بن العراق وقال له لما عزلتني يا امير المؤمنين البجيز ام لحيانة فقال عمر لم اعزلك لواحدة
 منها ولكني كرهت ان احمل فضل عتلك عن الناس فاخذ من هذا ان الحاكم لا يكون
 مفرط الذكاء والكس مثل زياد بن ابى سفيان وعمر بن العاص لما يتبع ذلك من
 العسف وسوء الملكة وحمل الوجود على ما ليس في طبعه كما باقي في اخر هذا الكتاب
 والله خير المالكين ونقرر من هذا ان الكيس والذكاء عيب في صاحب السياسة لانه
 افراط في الفكر كما ان البلاة افراط في الجود والفرقان مذمومان من كل صفة انسانية
 والجود هو التوسط كما في الكرم مع التذبر والليل وكما في الشجاعة مع الهوج والجن وغير
 ذلك من الصفات الانسانية ولهذا بوصف الشديد الكيس بصفات الشيطان فيقال
 شيطان ومشيطن وامثال ذلك والله يخفى ما يشاء وهو العليم القدير

الفصل الخامس والعشرون

في معنى الخلافة والامامة

لما كانت حقيقة الملك انه الاحتياج الضروري للبشر ومقتضاه التغلب والفر الزدان
 ها من آثار الغضب والمجربانية كانت احكام صاحبه في الغالب جائرة عن الحق محمجة
 عن تمت يده من الخلف في احوال دنياه لجهلوا اياهم في الغالب على ما ليس في طوقهم
 من اغراض وشهوات ويتنفل ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف منهم فتعسر
 طاعته لذلك وتجيء العصبية المنضية الى الهرج والقتل فوجب ان يرجع في ذلك الى
 قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون الى احكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم
 من الامم واذا خالت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب امرها ولا يتم استيلاؤها سنة

يستعبد الرعية ويحجب الاموال ويبعث البعوث ويحبس الثغور ولا تكون فوق يده يد
 قاهرة وهذا معنى الملك وحقيقته في المشهور فمن قصرت بو عصبية عن بعضها مثل حماية
 الثغور او حماية الاموال او بعث البعوث فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته كما وقع لكثير من
 ملوك البربر في دولة الاعالية بالقيروان والملك العجم صدر الدولة العباسية ومن قصرت
 بو عصبية ايضا عن الاستعلاء على جميع العصبيات والضرب على سائر الايدي وكان فوقه
 حكم فهو فوا ايضا ملك ناقص لم تتم حقيقته وهؤلاء مثل امراء النواحي وروساء الجهات
 الذين تجمعهم دولة واحدة وكثيرا ما يوجد هذا في الدولة المسماة النطاق اعني توجد ملوك
 على قومهم في النواحي الفاصية يدينون بطاعة الدولة التي جمعهم مثل صنهاجة مع العبيد بن
 وزانة مع الامويين تارة والعبيد بن تارة اخرى ومثل ملوك العجم في دولة بني العباس ومثل
 امراء البربر وملوكهم مع الفرنجة قبل الاسلام ومثل ملوك الطوائف من الفرس مع الاسكندر
 وقوى اليونانيين وكثير من هؤلاء فاعذرهم تجده والله الفاهر فوق عباد

الفصل الرابع والعشرون

في ان ارهاق المجد مضر بالملك ومنسدة في الاكثر

اعلم ان مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجميعه من حسن شكله او ملاحه
 وجهه او عظم جنانه او اتساع عمله او جودة خطبه او ثوب ذهبي واما مصلحة من فيه من حيث
 اضافته اليهم فان الملك والسلطان من الامور الاضافية وهي نسبة يرت من متيسر فحقيقه
 السلطان انما المالك للرعية القاع في امور عاينهم فالسلطان من له رعية والرعية من لها سلطان
 والصفة التي لمن حيث اضافته اليهم هي التي تسمى الملكة وهي كونه يملكهم فاذا كانت هذه
 الملكة وتاثيرها من الحيوة بمكان حصل المقصود من السلطان على اتم الوجه فانها ان
 كانت جميلة صالحة كان ذلك مصلحة لم وان كانت سيئة متعسنة كان ذلك ضررا عليهم
 والآن كالم وبعد حسن الملكة الى الرفق فان الملك اذا كان قاهرا مطلقا بالعقوبات
 متفقا عن عورات الناس وتهدد ذنوبهم تلهم الخوف والدل ولاذلة منه بالكذب والكر
 والحديعة فتتخلل بها وفسدت بصائرهم واخلاقتهم وربما خذلوه في مواطن المحروب
 والمدافعات ففسدت الحماية بفساد النيات وربما اجمعوا على قتله لذلك فتمسد الدولة
 ويتررب السياج وان دام امره عليهم وقهره فسدت العصبية لما قلناه اولاً وفسد السياج
 من اصله بالعجز عن الحماية واذا كان رفيقا بهم متجاوزا عن سبائهم استأمنوا اليه

أمّو فيقال خليفة باطلاق وخليفة رسول الله واختلاف في تسميته خليفة الله فاجاز به بعضهم
 اقتباساً من الخلافة العامة التي للأدبيين في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وقوله
 جعالم خليفة الارض ومنع الجمهور منه لأن معنى الآية ليس عليه وقد نهى ابو بكر عنه
 لما دعي به وقال لست خليفة الله ولكني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن
 الاستقلال إنما هو في حق الفائب وأما المخاض فلا ثم إن نصب الامام واجب قد عرف
 وجوبه في الشرع باجماع الصحابة والمابعين لأن احتساب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند
 وفاته بادراً الى بيعة ابي بكر رضي الله عنه وتسليم النظر اليه في امورهم وكذا في كل عصر
 من بعد ذلك ولم تترك الناس فوضى في عصر من الاعصار واستقر ذلك اجماعاً دالاً على
 وجوب نصب الامام وقد ذهب بعض الناس الى ان مدرك وجوبه العقل وإن اجماع
 الذي وقع إنما هو قضاء بحكم العقل فيه قالوا وإنما وجب بالعقل لضرورة الاجتماع للشر
 واستحالة اجتماعهم ووجودهم منفردين ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الاغراض فما
 لم يكن الحكم الوازع افضى ذلك الى المخرج المؤذن بهلاك البشر وانقطاعهم مع ان حفظ
 النوع من مقاصد الشرع الضرورية وهذا المعنى هين هو الذي لحظته الحكمة في وجوب
 الشرائع في البشر وقد نهى على فساده وإن احدى مقدماته ان الوازع إنما يكون بمنع من
 الله تسلّم له الكافة تسليم ايمان واعتماد وهو غير مسلم لان الوازع قد يكون بسطوة الملك
 وقهر اهل الشوكة ولو لم يكن شرع كما في أمم الجيوس وغيرهم من ليس له كتاب ولم تبلغه
 الدعوة او يقول يكفي في رفع التنازع معرفة كل واحد بتقهر الظالم عليه بحكم العقل فادعوا
 ان ارتفاع التنازع إنما يكون بوجود الشرع هناك ونصب الامام هنا غير صحيح بل كما يكون
 بنصب الامام يكون بوجود الرساء اهل الشوكة او امتناع الناس عن التنازع والظالم
 فلا يهتض دألهم العقل إنما هي على هذه التهمة فدل على ان مدرك وجوبه إنما هو بالشرع
 وهو الاجماع الذي قد نهى وقد شد بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا النصب رأساً
 لا بالعقل ولا بالشرع منهم الاصم من المعتزلة وبعض المتأخرين وغيرهم والواجب عند
 هؤلاء اتمام اوضاع الحكم الشرع فاذا نال ما لا يملكه على العدل وتبديده احكام الله تعالى
 لم يمتح الى امام ولا يجب نصبة هؤلاء فيخرجون بالاجماع والذي حمله على هذا المذهب
 إنما هو الفرار عن الملك ومذهبه من الاستقلال والغلب والاستمتاع بالدنيا لا بالآخرة
 الشريعة مثقلة بنسب ذلك والنبي على اهله ومرغبه في رفضه واعلم ان الشرع لم يذم الملك
 لذاته ولا يخطئ التمام به وإنما ذم المتأخر الناشئة عنه من الظلم والظلم والتمتع بالذات ولا

الله في الدين خلوا من قبل . فاذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة
وبصرائها كانت سياسة عقلية وإذا كانت مفروضة من الله بشارع بقرها وبشرعها كانت
سياسة دينية نافذة في الحياة الدنيا وفي الآخرة وذلك ان الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط
فانها كلها عبث وباطل اذ غايتها الموت والنشأة والله يقول آمهستم انما خلتناكم عتقا فاما المقصود
بهم انما هو دينهم المنفني بهم الى السعادة في آخرتهم صراط الله الذي له ما في السموات
وما في الارض فبما انت الشرائع بجهلهم على ذلك في جميع احوالهم من عبادة ومعاملة وحتى في
الملك الذي هو طبعي للاجتماع الانساني فاجرتهم على منهاج الدين ليكون الكل محوطا
ببظر الشارع فاكان منه مقتضى الثبر والنفاس واهمال الثقة المصيبة في مرعاها فجور وعدوان
ومذموم عنده ككاهن مقتضى الحكمة السياسية وما كان منه بمقتضى السياسة واحكامها فمذموم
ايضا لانه نظر بغير نور الله ومن لم يجعل الله له نورا فانه من نور لان الشارع اعلم بمصالح
الكافة فيها هو مغرب عنهم من امور اخرتهم واعمال الشر كنها عائدة عليهم في معادهم من
ملك او غيره قال صلى الله عليه وسلم انما هي اعمالكم ترد عليكم واحكام السياسة انما تنال
على مصالح الدنيا فقط يعلون ظاهرا من الحياة الدنيا ومقصود الشارع بالناس صلاح
آخرتهم فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكفاية على الاحكام الشرعية في احوال دنياهم واخرتهم
وكان هذا الحكم لاهل الشريعة وهم الانبياء ومن قام في مقامهم وهم الخلفاء فقد تبين لك
من ذلك معنى الخلقة من الملك الطامعي هو حمل الكفاية على مقتضى الغرض والشهوة
والسياسي هو حمل الكفاية على مقتضى النظر العقلي في جانب المصالح الدنيوية ودفع المضار
والخلقة هي حمل الكفاية على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخرية والدنيوية والراجعة
اليها اذ احوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة
خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به فافهم ذلك واعتد به
نورده عليك من بعد والله اعلم بكم العليم

الفصل السادس والعشرون

في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه

واذ قد بينا حقيقة هذا المنصب واهمية نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة
الدنيا به تسي خلافة وامامة والفاقم به خليفة واماما فاما تسمية اماما فتشبيها امام الصلاة
في اتباعه والافتداه به ولهذا يقال الامامة الكبرى واما تسمية خليفة فليكونه يخلف النبي في

فينتقل النظر في حال هذا المستولي فان جرى على حكم الدين والعدل وحسب السياسة
 جاز قراره ولا استنصر المسلمون من يقض بدّه عن ذلك ويدفع عنه حتى ينفذ فعل
 الخليفة واما النسب القرشي فلا جماع الصحابة يوم السقيفة على ذلك واحتجت قریش على
 الانصار لما هموا يومئذ ببيعة سعد بن عباد و قالوا منا امير ومنكم امير بقوله صلى الله عليه
 وسلم الاثمة من قریش و بان النبي صلى الله عليه وسلم اوصانا بان نحسن الى محسنكم ونجاولز
 عن مسيئكم ولو كانت الامارة فيكم لم تكن الوصية بكم فيجعل الانصار ورجعوا عن قولهم
 منا امير ومنكم امير وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد لذلك وثبت ايضا في الصحيح لا
 يزال هذا الامر في هذا الحكي من قریش وامثال هذه الادلة كثيرة الا انه لما ضعف امر
 قریش وتلاشت عصبيتهم بما نالهم من الترف والعيم وبما اغتتهم الدولة في سائر اقطار
 الارض عجزوا بذلك عن حمل الخلافة وتغلبت عليهم الاعاجم وصاروا يملوا لغند لم يشأه
 ذلك على كثير من المحققين حتى ذهبوا الى اني اشتراط القرشية وعولوا على ظواهر في ذلك
 مثل قوله صلى الله عليه وسلم اسمعوا واطيعوا وان ولي عليكم عبد محبتي ذو رزية وهذا لا
 تقوم به حجة في ذلك فانه يخرج مخرج التثنية والعرض لها لغة في ابواب السمع والطاعة
 ومثل قول عمر لو كان سالم مولى حذيفة حيا لوليتة او لما دخلني فيه الظلة وهو ايضا لا
 يفيد ذلك لما علمت ان مذهب الصحابي ليس بجمعة وايضا فولى القوم منهم وعصبية الولاة
 حاصلة لاسلام في قریش وهي النائدة في اشتراط النسب ولما استعظم عمر امر الخلافة ورأى
 شرطها كأنها مفقودة في ظنه عدل الى سالم لوفد شروط الخلافة عنده فيوحي من النسب
 المديد للعصبية كما يذكر ولم يبق الا صراحة النسب فراء غير محتاج اليه اذ النائدة في النسب
 انما هي العصبية وهي حاصلة من الولاة فكان ذلك حرصا من عمر رضي الله عنه على النظر
 المسلمين وتقيد امرهم بان لا تلحقه قبولا لائمة ولا عليه فيه عهدة ومن الثائين بني اشتراط
 القرشية الناقضي امر بكر الباقلاني لما ادرك عليه عصبية قریش من الثلاثي والاضحلال
 واستبداد ملوك العلم من الخلفاء فاسقط شرط القرشية وان كان موافقا لراي الجمهور لما رأى
 عليه حال الامامة لعهده وبقي الجمهور على القول باشتراط وصية الامامة القرشي ولو
 كان عاجزا عن القيام بامور المسلمين ورد عليهم سنوط شرط الكفاية التي بقوى بها على
 امره لانه اذا ذهبت النوبة بذهاب العصبية فقد ذهبت الكفاية واذا وقع الاخلال
 بشرط الكفاية نظرق ذلك ايضا الى العلم والدين وسقط اعتبار شروط هذا المصب
 وهو خلاف الاجماع ولنتكلم الان في حكمه اشتراط النسب للمحققين في الصواب في هذه

شك ان في هذه مفاسد محظورة وهي من توابع كونها اثنى على العدل والصفة واقامة مراسم
 الدين والذب عنه واجوب بازائها الثواب وهي كلها من توابع الملك فاذا اتينا وقع الذم
 للملك على صفة وحال دون حال اخرى ولم يذم لذاته ولا طلب تركه كما ذم الفهوه
 والغضب من المكلفين وليس مراده تركها بالكلية لدعاية الضرورة اليها واما المراد تصرفها
 على مقتضى الحق وقد كان لداود وداود صاوات الله وسلامه عليها الملك الذي لم يكن
 لغرمها وهما من انبياء الله تعالى واكرم الخلق عنده ثم نقول لم ان هذا الفرار عن الملك
 بعدم وجوب هذا النصب لا يقيدكم شيئاً لانكم موافقون على وجوب اقامة احكام الشريعة
 وذلك لا يحصل الا بالعصية والشوكة والعصية مقتضية بطعنها للملك فيحصل الملك وان
 لم ينصب امام وهو عين ما قررتم عنه واذا قرر ان هذا النصب واجب باجماع فهو من
 فروض الكفاية وراجع الى اختيار اهل العقد والمحل فيتعين عليهم نصبه ويجب على الخلق
 جميعاً طاعته لقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم واما شروط هذا
 المنصب فهي اربعة العلم والعدالة والكفاية وسلامة الخواص والاعضاء بؤثر في الرأي
 والعمل واختلاف في شرط خامس وهو النسب القرشي فاما اشتراط العلم فظاهراً لانه
 يكون منفذاً لاحكام الله تعالى اذا كان عالماً بها وما لم يعلمها لا يصح تقديمها ولا يكفي من
 العلم الا ان يكون مجتهداً لان التقليد نص في الامامة تستدعي الكمال في الاوصاف والاحوال
 واما العدالة فلا بد من نصب ديني ينظر في سائر المناصب التي هي شرط فيها فكان اولي
 باشتراطها فيه ولا خلاف في انتفاء العدالة فيه بنسب الجوارح من ارتكاب المحظورات
 واماها وفي انتفاءها بالبدع الاعتقادية خلاف واما الكفاية فهو ان يكون جريماً على اقامة
 الحدود وانظام الجروب بصراً بها كغيا لا يحصل الناس عليها عارفاً بالعصية واحوال
 الدهاء قوياً على معاناة السياسة ليصح له بذلك ما جعل اليه من حماية الدين وجهاد
 العدو واقامة الاحكام وتدبير المصالح واما سلامة الخواص والاعضاء من النقص والعلة
 كالحجور والعمى والصمم والخرس وما بؤثر فقد من الاعضاء في العمل كفقده الدين
 والرجلين والاثنيين فتشترط السلامة منها كلها لتاثير ذلك في تمام عمله وقيامه بما جعل
 اليه وان كان انما يشين في المنظر فقط كفقده احدى هذه الاعضاء فشرط السلامة منه
 شرط كمال ويطبق بنقدان الاعضاء المنع من التصرف وهو صريان ضرب بلحق بهذه
 في اشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو الفهر والعمى عن التصرف جملة بالاسر وشبهه
 وضرب لا يلحق بهذه وهو الشجر باستيلاء بعض اعوانه عليه من غير عصيان ولا مشاققة

نظرت سرّاً لله في الخلافة لم تعد هذه الامة سبجاً انما جعل الخطيئة نائباً عنه في القيام بامور عبادته
ليعلمهم على مصالحتهم ويردّهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يتخاطب بالامر الا من له
قدرة عليه الا ترى ما ذكره الامام بن الخطيب (١) في شأن النساء وانهن في كثير من
الاحكام الشرعية جعلان تبعاً للرجال ولم يدخلن في الخطاب بالوضع وانما دخلن عنده
بالقياس وذلك لما لم يكن هنّ من الامر شيئاً وكان الرجال قراءات عابدين اللهم الا في
العبادات التي كل احد فيها قائم على نفسه فخطابهنّ فيها بالوضع لا بالقياس ثم ان
الوجود شاهد بذلك فانه لا يقوم بامرانه او جيل الا من غلب عليهم وقل ان يكون الامر
الشرعي مخالفاً للامر الوجودي والله تعالى اعلم

الفصل السابع والعشرون

في مذاهب الشيعة في حكم الامامة

اعلم ان الشيعة لغة هم الصب والاتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من
الخلف والسلف على اتباع عليّ عليه السلام وبنوه رضي الله عنهم ومذاهبهم جميعاً متفقين عليه ان الامامة
ليست من المصالح العامة التي تنوض الى نظر الامة ويتعين القائم بها شعبيتهم بل هي ركن
الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز لشيء اغتاله ولا تنويضة الى الامة بل يوجب عليه تعيين
الامام لم ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر وان علياً رضي الله عنه هو الذي عينه
صلى الله عليه وسلم لانه عليه بصوص بقولها وقولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جابذة
السنة ولا نقلة الشريعة بل اكرها موضوع او مطعون في طريقه او بعيد عن تأويلاتهم
الناطقة وتنقسم هذه النصوص عندهم الى جليّة وخفيّة فالجليّة مثل قوله من كنت مولاه
فعلني مولاه قالوا ولم تطارد هذه الولاية الا في عليّ ولهذا قال له عمر اصعبت مولاي كل
يومين وروية ومنها قوله اقتضاكم عليّ ولا معنى للامامة الا اقتضاه باحكام الله وهو المراد
باولي الامر الواجبة طاعتهم بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم والمراد
الحكم والاضاه ولهذا كان حكاماً في قصبة الامامة يوم السقيفة دون غيره ومنها قوله من
يبياعني على روجه وهو وصي وولي هذا الامر من بعدي فلم يبياعني الا عليّ ومن الخبيّة
عندهم بعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً لقراءة سورة براءة في الموسم حين انزلت فانه بعث
بها اولاً لما بكرمها وحسن اليه ليلقنه رجل ملك او من قومك فبعثت علياً ليكون الفارقي
المبلغ قالوا وهذا يدل على تقديم عليّ وايضاً فلم يعرف انه قدم احد عليّ واما ابو بكر

١ قوله الامام بن الخطيب هو الخبر الرازي قاله نصر

المذاهب فتقول ان الاحكام الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحكم تشمل عليها وتشرع
 لاجلها ونحن اذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد الشارع لم يقتصر
 فيه على التبرك بوصالة النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في المتنور وان كانت تلك الوصالة
 موحودة والتبرك بها حاصلاً لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علمت فلا بد اذن
 من المصلحة في اشتراط النسب وهي المقصودة من مشروعيها واذا سبرنا وقسمنا لم نجد لها الا
 اعتبار العصبية التي تكون بها الحماية والحسالة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب
 المنصب فمسكن اليه الملة واهلها يستفاد من اجلته فيها وذلك ان قريناً كانوا عصبة مضر
 واصلم واهل الغلب منهم وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف فكان
 سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكفون لظلمهم فلو جعل الامر في سواهم لتوقع افتراق
 الكلمة بينا انهم وعدم اقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر ان يردمهم عن الخلاف ولا
 يحجبهم على الكثرة فتتفرق الجماعة وتتخلف الكلمة والشارع منذر من ذلك حريص على
 اتقانهم ورفع النزاع والشتات بينهم لتصل الشبهة والعصبية وتحسن الحماية بخلاف ما اذا
 كان الامر في قرين لا يمتهم قادرون على سوق الناس بعض الغلب الى ما يراى منهم فلا
 يحصى من احد خلاف عليهم ولا فرقة لانهم كقبائل حريصين يدفعها ومع الناس منها
 فاشتراط نسبه القرشي في هذا المصوب وهم اهل العصبية القوية ليكون الرفع في انتظام الملة
 والمآل الكلمة واذا انتظمت كلمتهم انتظمت كلمتها مضر اجمع فاذعن لهم سائر العرب
 وابتعدت الاسم سواهم الى احكام الملة ووطئت جنودهم قاصية البلاد كما وقع في ايام
 الفتوح واستمر بعدها في الدولتين الى ان اضيق امر الاخلاق وتلاشت عصبية العرب
 وبعلم ما كان لغريش من الكثرة والتعصب على بطون مضر من مارس اخبار العرب وسيرهم
 وتوطن لذلك في احوالهم وقد ذكر ذلك اسحاق في كتاب السير وغيره فاذا ثبت ان
 اشتراط القرشية اما هو ارفع النزاع بما كان لهم من العصبية والغلب وعلما ان الشارع لا
 يخصص الاحكام بميل ولا تعصرو ولا امة علما ان ذلك اما هو من الكفاية فرددناه اليها
 وطردنا العلة المشتبهة على المقصود من القرشية وهي وجود العصبية فاشتراطنا في التام
 بامور المسلمين ان يكون من قوم اولي عصبية قوية غالبية على من معها لعصرها لا يستعاض
 من سواهم وتجنبهم الكلمة على حسن الحماية ولا يعلم ذلك في الافتقار والاماق كما كان في
 القرشية اذ الدعوة الاسلامية التي كانت لهم كانت عامة وعصبية العرب كانت وافية بها
 ففعلوا سائر الامم وانما يخص لهذا العهد كل قطر من تكون اذ فيه العصبية الغالبة واذا

الى غيره بحسب من يعين لذلك عندهم وهؤلاء هم الواقفية فبعضهم يقول هو حتى لم يمت
الا انه غائب عن اعين الناس ويستشهدون لذلك بقصة الخضر قيل مثل ذلك في علي
رضي الله عنه وانه في السحاب والرعد صوته والبرق في سوطه وقالا مثله في محمد بن
الحنفية وانه في جبل رضوى من ارض الحجاز وقال شاعرهم

الا ان الائمة من قريش ولادة الحق اربعة سواه
علي والثلاثة من بني هم الاساطيل ليس بهم خفاء
فسبط سبط ابيات وبر وسبط غيبته كبرلاه
وسبط لا يدوق الموت حتى يتود الجيش بدمه اللواه
تغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده غسل وماء

وقال مثله غلاة الامامية وخصوصا الاتا عشرية منهم يزعمون ان الثاني عشر من ائمتهم
وهو محمد بن الحسن العسكري ولقبونه المهدي دخل في سرداب بدارهم في الحلة وتغيب
حين اعتقل مع ابيه وغاب هناك وهو يترجى آخر الزمان فيملأ الارض عدلا يشيرون
بذلك الى الحديث الواقفي في كتاب الترمذي في المهدي وم الى الان ينتظرونه ويحسونه
المنتظر لذلك ويغنون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قدموا
مركباً فيه نفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشبهك اليوم ثم ينتهون ويرجعون الامر
الى الليلة الاية وهم على ذلك لهذا العهد وبيض هؤلاء الواقفية يقولون ان الامام الذي مات
يرجع الى حوائط الدنيا ويستشهدون لذلك بما وقع في القرآن الكريم من قصة اهل الكهف
والذي مر على قرية وقبيل بني اسرائيل حين ضرب بعظام البقرة التي امروا بدمجها وابل
ذلك من الشجر الرق التي وقعت على طريق المهجرة ولا يصح الاستشهاد بها في غير مواضعها
وكان من هؤلاء السيد المحمدي ومن شعره في ذلك

اذا ما المرء شاب له قذال وعلمه المواصل بالمخاض
فقد ذهبته لثاثة واودى فتم باصاح نك على الشباب
الى يوم ثوب الناس فيسو الى دنياهم قبل الحساب
فليس بعائد ما فات منه الى احد الى يوم الاياب
آدين بان ذلك دبت حق وما انا في الشور يدي ارتباب
كذلك الله اخبر عن اناس حبلوا من بعد درس في التراب

وقد كنا نأمله هؤلاء الغلاة ائمة الشيعة فانه لا يقاومون بها ويطلون اجتماعهم عليها

وعرف قدم عليهما في غزوات أسامة بن زيد مرة وعمر بن العاص أخرى وهذه كلها أدلة شاهدة بتعيين علي للولاية دون غيره فمنها ما هو غير معروف ومنها ما هو بعيد عن تأويلهم ثم منهم من يرى أن هذه النصوص تدل على تعيين علي وتخصيصه وكذلك تتناول منه إلى من بعده وهؤلاء هم الإمامية ويتبرأون من الشيعين حيث لم يقدموا علياً وما يعزى بمقتضى هذه النصوص ويخصون في إمامتها ولا يلتفت إلى نقل القدر فيها من غلاتهم فمردود عندنا وعدمهم ومنهم من يقول أن هذه الأدلة إنما اقتضت تعيين علي بالوصف لا بالخص والناس متصرفون حيث لم يصفوا الوصف موضعه وهؤلاء هم الزيدية ولا يتبرأون من الشيعين ولا يخصصون في إمامتها مع قولهم بأن علياً أفضل منهما لكنهم يجوزون إمامة المنتفول مع وجود الأنفل ثم اختلفت نقول هؤلاء الشيعة في مساق الاختلاف بعد علي فمنهم من ساقها في واد فاطمة بالنص عليهم واحداً بعد واحد على ما يذكره هؤلاء يسمون الإمامية نسبة إلى مناقبهم اشتراط معرفة الإمام وتعيينه في الإيمان وهي أصل عندهم ومنهم من ساقها في واد فاطمة لكن بالاختيار من الشيوخ ويشترط أن يكون الإمام منهم عالماً زاهداً جليلاً شجاعاً ومخرج داعياً إلى إمامته وهؤلاء هم الزيدية نسبة إلى صاحب المذهب وهو زيد بن علي بن الحسين السبط وقد كانت بناظر أخاه محمداً الباقر على اشتراط الخروج في الإمام فيلزمه الباقر أن لا يكون أبوه زين العابدين إماماً لأنه يخرج ولا تعرض للخروج وكان مع ذلك ينعي عليه مذاهب المعتزلة وأخذوا بها عن أصل بن عطاء ولما ناظر الإمامية زيداً في إمامة الشيعين ورأوه يقول بإمامتها ولا يتبرأ منها رفضوه ولم يجعلوه من الأئمة وبذلك سئلوا رافضة ومنهم من ساقها بعد علي وأبي السهلين على اختلافهم في ذلك إلى أخيهما محمد بن الحنفية ثم إلى ولده وهم الكيسانية نسبة إلى كيسان مولاه وبين هذه الطوائف اختلافات كثيرة تركناها اختصاراً ومنهم طوائف يسمون الغلاة يتجاوزوا حد العقل والإيمان في القول بالوهمية هؤلاء الأئمة أما على أهم بشرنا أنصفوا بصفات الألوهية أو أن الألوهية حل في ذات البشرية وهو قول بالتحلول يوافق مذهب النصاري في عيسى صلوات الله عليه ولقد حرق علي رضي الله عنه بالنار من ذهب فيه إلى ذلك منهم ويخط محمد بن الحنفية الخنار بن أبي عبيد الله بلغة مثل ذلك عنه فصريح بلمتوه والبراءة منه وكذلك فعل جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه بن بلغة مثل هذا عنه ومنهم من يقول أن كمال الإمام لا يكون لغيره فإذا مات انتقلت روحه إلى إمام آخر ليكون فيه ذلك الكمال وهو قول بالناسخ ومن هؤلاء الغلاة من يقف عند واحد من الأئمة لا يتجاوز

ابن علي بن عمر وعمر اخو زيد بن علي فكانت لبنيو بطبرستان دولة وتوصل المديلم من نصهم
 الى الملك والامداد على الخلفاء بهنداد كما ذكر في اخبارهم. واما الامامية فساقوا الامامة
 من علي الرضا الى ابني الحسن بالصورة ثم الى اخيه الحسين ثم الى ابني علي زين العابدين
 ثم الى ابني محمد الباقر ثم الى ابني جعفر الصادق ومن هنا افترقوا فرقتين فرقة ساقوا الى
 ولده اسماعيل ويعرفونه بينهم بالامام وهم الاسماعيلية وفرقة ساقوا الى ابني موسى الكاظم
 وهم الاثنا عشرية لوقوفهم عند الثاني عشر من الائمة وقولهم يتبعونه الى اخر الزمان كما مر
 فأما الاسماعيلية ففأ الى امامة اسماعيل الامام بالنص من ابني جعفر وثابتة النص عليه
 عندهم وان كان قد مات قبل ابني انما هو بقوله الاسامة في عتيق قصة هارون مع موسى
 حملت الله عليها قالوا نعم انتقلت الامامة من اسماعيل الى ابني محمد المكنوم وهو اول
 الائمة المستورين لان الامام عندهم قد لا يكون له شوكة فيسترون ويكون دعائه ظاهرياً
 اقامة للجمعة على المحتق وإذا كانت له شوكة ظهر واظهر دعونه قالوا وبعد محمد المكنوم ابنة
 جعفر الصادق وبعده ابنة محمد الحبيب وهو اخر المستورين وبعده ابنة عبد الله
 المهدي الذي اظهر دعونه اوعده الله النجاة في كتمان وتنازع الناس على دعوته ثم اخرجه
 من معتقله لسياسة وملك البصرة وملك المغرب وملك بنوه من بعدهم مصر كما هو معروف
 في اخبارهم ويسمى هؤلاء الاسماعيلية نسبة الى الدول امامة اسماعيل ويسمون ايضا بالمطانية
 نسبة الى قولهم بالامام الباطن اي المستور ويسمون ايضا الممدة لما في ضمن مقاديرهم من
 الالناد ولم يقلات قدوة وقالوا لا جديدة دعا اليها الحسن بن محمد الصالح في اخر المائة
 الخامسة وملك حصوناً بالشام والعراق ولم يرل دعونه فيها الى ان توزعها الملاك بين
 ملوك الترك بمصر وملوك النصارى بالعراق فانقضت ومقالة هذا الصالح في دعونه مدكرة
 في كتاب الملل والنحل الشهرستاني ع. واما اثنا عشرية فربما حصلوا باسم الامامية عند
 المخاضين منهم فقالوا امامة موسى الكاظم ابن جعفر الصادق لوفاته اخيراً الاكبر اسماعيل
 الامام في حياة ابني جعفر فص على امامة موسى هذا ثم ابنة علي الرضا الذي عهد اليه
 المأمون ومات قدوة فلم يتم له امر ثم ابنة محمد الثاني ثم ابنة علي الهادي ثم ابنة محمد الحسن
 العسكري ثم ابنة محمد المهدي المنتظر الذي قد مضت قبل وفي كل واحدة من هذه المقالات
 للشبهة اختلاف كبير الا ان هذه اشهر مذاهبهم ومن اراد استيعابها ومطالعتها فعليه
 بكتاب الملل والنحل لابن حزم والشهرستاني وغيرها فيها بيان ذلك والله يشهد
 يشاء ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو الحق الكبر

وأما الكيسانية فساقوا الإمامة من بعد محمد بن الحنفية إلى ابني أبي هاشم وهؤلاء هم الهاشمية
 ثم افترقوا فمنهم من ساقها بعده إلى أخيه علي ثم إلى ابنه الحسن بن علي وآخرين يزعمون
 أن أبا هاشم لما مات بأرض السراة منصرفاً من الزمام أوصى إلى محمد بن علي بن عبد
 الله بن عباس وأوصى محمد إلى ابنه إبراهيم المعروف بالامام وأوصى إبراهيم إلى أخيه عبد
 الله ابن الحارثية الملقب بالسفاح وأوصى هو إلى أخيه عبد الله أبي جعفر الملقب بالماصور
 وانتقلت في ولده بالنص والعهد واحد بعد واحد إلى آخرهم وهذا مذهب الهاشمية القائلين
 بدولة بني العباس وكان منهم أبو مسلم وسليمان بن كثير وأوسيلة السلال وغيرهم من شيعة
 العباسية وربما يعضدون ذلك بأن حقهم في هذا الأمر يصل إليهم من العباس لأنه كان
 حيّاً وقت الوفاة وهو أول بالوراثة بعد وفاة العمومة وأما الزيدية فساقوا الإمامة على مذهبهم
 فيها وأما باختيار أهل المحل والمعدة لا بالحدس فقالوا بإمامة علي ثم ابنه الحسن ثم أخوه
 الحسين ثم ابنه علي زين العابدين ثم أبو زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب وخرج
 بالكوفة داعياً إلى الإمامة فقتل وصلب بالكاسية وقال الزيدية بإمامة ابنه يحيى من
 بعده فغضب إلى خراسان وقتل بالجزين بعد أن أوصى إلى محمد بن عبد الله بن حسن
 بن الحسن السبط ويقال له النفس الزكية فخرج بالجزين وتلقب بالمهدي وجاءه عساكر
 المنصور فقتل وعهد إلى أخيه إبراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن علي فوجه
 إليهم المنصور عساكره فزعم وقتل إبراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق أخيراً بذلك كله
 وهي معدودة في كراماته وذهب آخرون منهم إلى أن الامام بعد محمد بن عبد الله بن علي
 الزكية هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر وعمر هو أخو زيد بن علي فخرج محمد بن القاسم
 بالطالقان فقبض عليه وسبق إلى المعتصم فحبسه ومات في حبسه وقال آخرون من
 الزيدية أن الامام بعد يحيى بن زيد هو أخوه عيسى الذي حضر مع إبراهيم بن عبد الله
 في قتال لويع منصور وقال الإمامة في عقبه وإليه انتسب دعي الرشح كما تذكره في أخبارهم
 وقال آخرون من الزيدية أن الامام بعد محمد بن عبد الله أخوه أدريس الذي فرّ
 إلى المغرب ومات هناك وقام امره ابنه أدريس وأخطأ مدينة فاس وكان من بعده
 عتبة ماوكا بالمغرب إلى أن انقرضوا كما تذكره في أخبارهم وبقي أمر الزيدية بعد ذلك
 غير منتظم وكان منهم الداعي الذي ملك طارستان وهو الحسن بن زيد بن محمد بن
 إسماعيل بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين السبط وأخوه محمد بن زيد ثم قام بهذه
 الدعوة في الديلم الناصر الأتروش منهم وإسماعيل بن علي بن الحسين بن علي بن الحسن

بالحنى وقهر الكافة على الدين ومراعاة المصالح وإنما دمه لما فيه من العظم والجلل
 وتصريف الآدميين طوع الاغراض والتمهيلات كما قلناه فلو كان الملك عظيما على
 الناس اثم الله واحكامهم على عبادة الله وجوده عند لم يكن ذلك مذموما وقد قال سبحانه
 ايات الله عابو رب هـ ب لي سكا لا ينبغي لا عد من يهدي لما علم من نفسه انه يعزل عن
 الباطل في البيرة والمالك * ولما اتى معاوية عن ابن ابي ربيعة رضي الله عنهما عند قدومه الى
 الشام في امة الملك وزيه من العبد والعد استنكر ذلك وقالت اكسروية يا معاوية
 فقال يا امير المؤمنين اما في نهر نضاه العذوق وسأ الى مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجت
 فسكت ولم يفتله لما استخفى عليه بقصد من مقاصد الحق والدين فلو كان القصد رفض الملك
 من اصابه لم يفتله هذا الجواب في تلك الكسروية وانما طاهل كان يمرض على خروج
 عنها ماسئلة لما اراد عمر بالكسروية ما كان عليه اسل فارس في ملكهم من ابريكاب الباطل
 والظلم والخي وسلوك سبلون العتلة عن الله واجابة معاوية بان القصد بذلك ليس كسروية
 فارس واطالهم واذا قصده بها وجه الله فسكت * وهكذا كان شأن الصحابة في رفض
 الملك واحكامهم وسبيلهم عند حذر من التماسها بالباطل فلما استخفى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم استخفى ابا بكر على الصلاة اذ في اثم اور الدين وارثه اثم الناس للطلاقة
 وهي حمل الكافة على احكام الشريعة ولم يجر لذلك ذكر لما اثم معاوية اثم الله وثلة يره قد
 لادل الكسر واعلاء الدين فقام بذلك ابو بكر ما شاء الله متبها سن صاحبه وقال اهل
 الردة حتى اجتمع العرب على الاسلام ثم عهد الى عمر فاذن في اثره وقال الامم فقام
 العرب في انتراع ما يابدهم من الدنيا والمالك فقاموا عليه وانتزع منهم ثم صارت الى
 عثمان بن عفان ثم الى علي رضي الله عنهما والكل يترئون من الملك بكونه عن طريقه
 وأكد ذلك لديهم ما كانوا عليه من غضاضة الاسلام وبداء العرب ذلك كما اثم الامم
 عن احوال الدنيا وترقبها لا من حيث دينهم الذي يدعوهم الى الزهد في الدنيا ولا من حيث
 بدائهم ومطاميرهم وما كانوا عليه من خشونة العيش وشدة الذي الذي لم تكن امة من
 الامم اذ غلبت عينا من مصر لما كانوا في ارض غير ذات زرع ولا مراع وكانوا
 صومعين من الارياض وما بها لهدا ما واخا عابها من ولها من ربيعة واليمن فلم يكونوا
 بها ولا من الى خصصها ولقد كانوا كثر ما ياكرون القنارب والحنافس ويتروث ما كل
 الهام وهو ورا لابل يهونه ما شجرة في الدم ولا يهونه قريبا من ذلك كانت حال قريش
 في مطاعهم وما يابدهم حتى اذا اجتمعت عصبة العرب على الدين بما اكرمهم الله من نعمة

الفصل الثامن والعشرون

في انقلاب الخلافة الى الملك

اعلم ان الملك غاية طبيعية للعصبة ليس وقوعه عنها باخبار انما هو ضرورة الوجود وترتيبها كما قلناه من قبل وان الشرائع والديانات وكل امر يجعل عليه المجهور فلا بد فيه من العصبة اذ المطالبة لانتم الآ بها كما قدمناه. فما العصبة ضرورة للملة وموجودها يتم امر الله منها وفي التبع ما بعث الله نبياً آ في منعة من قومهم وجدنا الشارع قد ذم العصبة وندب الى اطراحها وتركها فقال ان الله اذهب عنكم عية^(١) الجاهلية وفخرها بالاباء انتم بنو آدم وآدم من تراب وقال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ووجدناه ايضا قد ذم الملك وامهله ونهى على اهله احرامهم من الاستتباع بالخلاف والامراف في غير القصد والتسكيب عن صراط الله وانا حض على الالفة في الدين وحذر من الخلاف والفرقة * واعلم ان الدنيا كلها واحواها عند الشارع ملبية للاخرة ومن فقد المطية فقد الوصول وليس مرادة فيها بنهي عمة او يذم من افعال البائر او يندب الى تركها لاله بالكلية ان اقتناعه من اصوله وتعديل القرى التي بنشأ عليها بالكلية انما قصده تصريفها في اغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقاً وتهد الوجهة كما قال صلى الله عليه وسلم من كانت هجرته الى الله ورسوله فخيرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يزوجها فخيرته الى ما حاجر اليه فلم يذم العصب وهو يقصد نزعة من الانسان فانه لو زالت منه قوة العصب لندم منه الانتصار للتي وبطل الجهاد واعلاء كلمة الله واما يذم العصب لان للاعراض الذميمة فاذا كان النصب لذلك كان مذموماً واذا كان النصب في الله والله كان مدوحاً ومحمواً ثابته صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشتمات ايضا ليس المراد ابطالها بالكلية فان من بهلت شتمونه كان نقصاً في حقها واما المراد تصريفها فيما ايج له ناشئوا على المصالح ليكون الانسان عدلاً متصرفاً بطوع الاوامر الاولية وكذا العصبة حيث ذمها الشارع وقال لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم فانما مرادة حيث تكون العصبة على الباطل واحواها كما كانت في الجاهلية وان يكون لاحد فخر بها او حق على احد لان ذلك ممان من افعال العتلاء وغير نافع في الاخرة التي هي دار القرار فاما اذا كانت لله دية في امنى واقامة امر الله فامر مطلوب ولو بطل لبطلت الشرائع اذ لا ترقيمها الا بالعصبة كما قلناه من قبل وكذا الملك الماذمة الشارع لم يذم منه الغلب

ا عيه نعم الله وكبرها وكبر المرحمة بشدة وتندب المانة العنية الكبر والهمر بالخدمة له فاموس

وفي مقتضى العصبية كان طريقهم فيها الحق والاجتهاد ولم يكونوا في معاربتهم لغرض دينوي
اولا بل باطل ولا استشعار حقد كقصد يتوهم ويتزع اليه لمجد ولما اختلف اجتهادهم
في الحق وسببه كل واحد نظر صاحبه باجتهاده في الحق فاقتتلوا عليه وان كان المصيب
عليه فلم يكن معاوية قائما فيها بقصد الباطل انما قصد الحق واخطأ ولكن كان في مقاصدهم
على حق ثم اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالمجد واستنفار الواحد به ولم يكن لمعاوية ان
يدفع ذلك عن نفسه وقوموه هو امر طائفي لا ساقطة العصبية بعصبيتها واستدعته بنو امية ومن
لم يكن على طريقة معاوية في اقباء الحق من اتباعهم فاعصوهوا عليه واستأنوا دونه
ولو حاربهم معاوية على غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالامر الواقع في افتراق الكلمة
التي كان جميعها وتاليها اهم عليه من امر ليس وراءه كبير مخالفة وقد كان عمر بن عبد
العزير رضي الله عنه يقول اذا راى القاسم بن محمد بن ابي بكر لو كان لي من الامر شيء
لوالدة الخلفاء ولو اراد ان يعهد اليه لنحل واكته كان ينشئ من بني امية اهل البيت والعقد
لا ذكره فلا يقدرا ان يحول الامر عنهم لئلا تنزع الفرقة وهذا كله اما حصل عليه منار
الملك التي هي مقتضى العصبية فالملك اذا حصل وفرضنا ان الواحد اشرف به وصرفه في
مذاهب الحق ووجوه لم يكن في ذلك تكرار ولقد انفرد سليمان وابوه داود صوابا
الله عليهما ملك بني اسرائيل لما اقتضت طبيعة الملك فيهم من الانفراد به وكان ما عاين
من النبوة والحق وكذلك عهد معارفة الى يزيد شوقا من افتراق الكلمة بما كانت بنو امية
لم يرصوا تسليم الامر الى من سواهم فلو قد عهد الى غيره اختلفوا عليه مع ان ذلهم كانت
به صانعا ولا يرتاب احد في ذلك ولا ينال معاوية ثبوت فلم يكن لعهد اليه وهو يعتقد
ما كان عليه من النسق حاشا الله لمعاوية من ذلك وكذلك كان مروان من الحكم وابنه
وان كانوا ملوكا لم يكن مذهبهم في الملك مذهب اهل الدولة والغي اما كانوا متبشرين
لمقاصد الحق جهدهم الا في ضرورة تجهلهم على بعضها مثل خشية افتراق الكلمة الذي هو
اهم ائمتهم من كل مقصد يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والافتداء وما علم السالف
من احزابهم فقد اخرج ما لك في الموطأ بسجل عبد الملك ولما مروان فكانت من الفتنة
الاولى من التابعين وعملهم معروفه ثم تدرج الامر في ولد عبد الملك وكانوا من الدين
بالمكان الذي كانوا عليه وتوسلهم عمر بن عبد العزيز فترجع الى طريقة الخلفاء الاربعة
والعصاة بعده ولم يعمل ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في انحرافهم الدنيوي وسنة
وهو قادهم ونفسه ما كان عليه لانهم من شري المصالح فيها ما عاين الحق في ذهاب افكار

محمد صلى الله عليه وسلم زحفوا الى ام فارس والروم وطلبوا ما كتب الله لهم من الارض
 برعد الصديق فابتدوا ملكهم واستباحوا دنياهم فزحرت بحار الرقة لديهم حتى كان الفارس
 الواحد يقسم له في بعض الغزوات ثلاثون الفا من الذهب او نحوها فاستولوا من ذلك
 على ما لا يحصى المحصروهم مع ذلك على خشونة عيشهم فكان عمر يرفع ثوبه بالجلد وكان
 علي يقول يا صنراء ويا بيضاء غري غيري وكان ابو موسى يجيئني عن اكل الدجاج لانه
 لم يعهدها للعرب لقلتها يومئذ وكانت المناخل مفعودة عندهم بالمحملة واما كانوا ياكلون
 الحنطة بنخالها ومكاسهم مع هذا انهم ما كانت لاحد من اهل العالم قال المسعودي في ايام
 عثمان اقتصى الصفاة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة الف
 دينار والى الف درهم وقيمة ضياعه سوادى الفري وحتين وغيرها مائتا الف دينار وخالف
 ابلا وخيلا كثير ويبلغ الف الف الف الف الف الف الف الف الف الف الف الف الف الف
 الف فرس والى الف امة وكانت غلة طليعة من العراق الف دينار كل يوم ومن ناحية السراة
 اكثر من ذلك وكان على دريد عبد الرحمن بن عوف الف فرس ولة الف بدير وعشرة
 الاف من الف الف وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته اربعة وثمانين الفا وخلف زيد بن ثابت
 من الفضة والذهب ما كان يكسر بالثورس غير ما خلف من الاموال والضياع بمائة الف
 دينار وبني الزبير داره بالهيرة وكذلك بني هصر والكوفة والاسكندرية وكذلك بني
 طليعة داره بالكوفة وشيد داره بالمدينة وساهى بالبحر والاجر والساح وبني سعد ابن
 ابى وقاص داره بالعقرب ورفع بيوتها واربع نساءها وجعل على اعلاها شرفات وبني
 المقداد داره بالمدينة وجعلها بمصصة الظاهر والباطن وخلف علي بن منبه خمسين الف
 دينار وخمارة وغير ذلك ما يقبض ثلثمائة الف درهم كلام المسعودي فكانت مكاسب
 القوم كما تراه ولم يكن ذلك منبها عليهم في دينهم اذ هم اموال حلال لانها غايمة وفيرة ولم
 يكن تضرعهم فيها باسراف انما كانوا على قصد في احراقها كما قاتناه فلم يكن ذلك فادح فيهم
 وان كان الاستكثار من الدنيا مذموما فانما يرجع الى ما اشربا اليه من الاسراف والتجورج
 به عن القصد واذا كان حالم قسدا ونفاقهم في سبل الحق ومذاهيو كان ذلك الاستكثار
 عونا لهم على طرق الهوى واكتساب الدار الآخرة فلما ندرجت البدون والفصاحة اليها بنينا
 وجاءت طليعة الملك التي هي مقتضى العصبية كقاتناه وحصل التغلب والتمهر كان حكم ذلك
 الملك عندهم حكم ذلك الرقة والاستكثار من الاموال فلم يهرفوا ذلك التغلب في باطل
 ولا يخرجوا به عن مقاصد الديانة وذهب الحق * ولما وقعت الفتنة بين علي ومعاوية

نفسه وهو الدين وكانوا يوثرونه على أمور دنيائهم وإن انقضت إلى هلاكهم وحدهم دون
الكفاية فهذا عثمان لما حصر في الدار جاءه الحسن وإمام بن وعبد الله بن عمر وابن
جعفر وأما هم يريدون المداخلة عنقاني ومعه من سأل السبوف بن المداخلة عن جماعة الفرقة
وحفظنا للزينة التي بها حنن الآئمة ولو أدى إلى هلاكهم وهذا حال أئمة عاريا المديرة لأول
ولا يتو باستقاء الزبير ومعاوية وطاعة على أعمالهم حتى يبيع الناس على دينهم وتنفق الكلمة
وله بعد ذلك ما شاء من أمره وكان ذلك من سياسة المالك في فرار من الفرس الذي
يأفوه الإسلام وغدا عاريا المديرة من الفتنة فقال لقد اشترت عليك بالأمس بما اشترت
ثم عدت إلى نظري ففعلت أنه ليس من الحق والصبيحة بأن الحق فيأراينة است فقال طابع
لا والله بل اعلم أنك تفضني بالأمس وغشيتني اليوم ولكن منعي مما اسررت به ذاك الحق
وهكذا كانت أحوالهم في إصلاح دينهم بفساد دنيائهم ونفس

يرقع دنيائنا بتزني ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع

فقد رايت كيف صار الأمر إلى المالك وبقيت معاني الخلافة من تمرري الدين ومذاهو
والبحري على متناج الحق ولم يظهر التغير إلا في الوازع الذي كان ديننا أنقلب عصبية
وسيفاً وهكذا كان الأمر لمعاد معاوية ومروان وإبنة عبد الملك والصدور الأول من
خائنا بني العباس إلى الرشيد وبهش وإبنة ثم ذهبت معاني الخلافة ولم يبق إلا اسمها ومار
الأمر ملكاً بيننا وجرت طليحة التقلب إلى غايتها واستعانت في اغراضها من الظهور والتقلب
في الشهوات والملاذ وهكذا كانت الأمور لعبد المالك وإن جاء بعد الرشيد من بني
العباس واسم الخلافة باقية فيهم لبقاء عصبية العرب والخلافة والمالك في التطورين والعباس
بعضها ببعض ثم ذهب رسم الخلافة وانزها بذهاب عصبية العرب وفناء جيلهم وتلاشي
أحوالهم وبقي الأمر ملكاً بيننا كما كان الشأن في ملوك العمم بالمشرك يدون الجماعة الكريمة
تشرك والمالك جميع القاء وما جرح لم وليس للزينة منه شيء وكذلك فعل ملوك زمانه
بالمغرب مثل صنهاجة مع العبيديين ومغراوة وبني يزنون أيضاً مع خلفاء بني أمية بالاندلس
والعبيديين بالقيروان فقد تبين أن الخلافة قد وجدت بدون المالك أولاً ثم التفتت
معانيتها واختلطت ثم انهدم الملك بحيث افتقرت عصبية من عصبية الخلافة وأنه قد تفرق
الليل والنهار وهو الواحد النهار

ذلك ما دعا الناس الى ان تعزل عنهم افعالهم وادابها بالدعوة العباسية منهم وولي رجالها
 الامر فكانوا من العدالة بكان وصرفوا الملك في وجوه الحق ومذاهبه ما استطاعوا حتى
 جاءه بنو الرشيد من بعده فكان منهم الصالح والمفلس ثم افصى الامر الى بينهم فاعطوا الملك
 والتزف حقه وانفسوا في الدنيا واطاعوا وتبذلوا الدين وراءهم ظهر يا فتى ذن الله بغيرهم
 وانزاع الامر من ايدي العرب جملة وانكن سواهم منه والله لا يظلم مثقال ذرة ومن
 نامل سير هؤلاء الخلفاء والملوك واختلافهم في تحري الحق من الباطل علم صفة ما قلناه
 وقد حكى المسعودي خلة في احوال بني امية عن ابي جعفر المصنوع قد حضر عموته
 وذكر ما بني امية فقال اما عد الملك فكل حار الا بالي بما صنع واما سابان فكان
 حمة يمانية وفرجة وابا عمر فكان عمو بن عيمان وكان رجل القوم هشام قال ولم يزل
 بنو امية ذابطين لما عهد لهم من السلطان في وطولهم وبصورتهم ما وهب الله لهم منه مع
 تسنهم معالي الا وورور فضهم دنياها حتى افصى الامر الى ابناءهم المترفين فكانت هنهم
 قصدا للتهنات وركوب الذات من معاصي الله جهلا باسناد راجع وامنا لكره مع اطراحهم
 صيانة للخلافة واستغنائهم عن الرياسة ونسبهم عن السياسة فسلبهم الله العز والبهرم
 الذل وبقي عنهم البعة ثم استعصر عبد الله ⁽¹⁾ بن مروان فقص على شيرة مع ملك النوبة
 لما دخل ارضهم فارقا ايام السباح قال اقبلت عليكم اتاني ملككم فتهجد على الارض وقد
 بسجنت لي فرش ذات قيمة فقلت له ما محلك عن التهود على بابنا فقال لي ملك وحق
 لكل ملك ان يراض له لمة الله اذ رفوه الله ثم قال لي لم تشرعوا في عبادة الله
 في كتابكم فقلت اجترأ على ذلك عبيدا وانا اعنا قال فلم تبايعون الزرع بدواكم والتساد
 بغيركم عليكم قلت فعل ذلك عبيدا واتباعا بجهلهم قال ولم تلبسوا الديباج والذهب
 والجوزير هو حرم عليكم في كتابكم قلت ذهب منا الملك وانتصربا يقوم من اتبعهم دخلوا في
 ديننا فلبسوا ذلك على الكره ما فاطرق بكنك يده في الارض ويقول عبيدا واتباعا
 واعاجم دخلوا في ديننا ثم رفع راسه الي وقال ليس كما ذكرت بل انتم قوم استلتم ما حرم
 الله عليكم واتبعتم ما عده بجهنم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز والبهرم الذل بذنوبكم والله
 بقية لم تبلغ عاينكم فيكم وانا انقلب ان يمل لكم العذاب وانتم بادي فينا اني معكم وانا الضرافة
 ثلاث فتروا ما استعجب اليو وارسل عن ارضي فتمسب المصور واطرق فقد تبرت لك
 كيف انقلب الخلافة الى الملك وان الامر كان في اوله خلافة وازرع كل احد فيها من

ا دولة عبد الله كذا في الشمة الروسية وبعس الباب في رعيه عبد الملك والله سبحانه تاله امر

اذ وقع بعهد ابي بكر رضي الله عنه لعمر بن الخطاب واجازوه وارجعوا على انفسهم
 به طاعة عمر رضي الله عنه وعندهم وكذلك عهد عمر في الشورى الى السنة بقية العشرة وجعل
 لم ان يشاروا المسلمين فنقض بعضهم الى بعض حتى افضى ذلك الى عبد الرحمن بن
 عوف فاجتهدوا نظر المسلمين فوجدتهم متفقين على عثمان وعلى علي فائتر عثمان بالبيعة على
 ذلك لما فتنوا اياه على لزوم الاقتداء بالتعيين في كل ما يعين دون اجتهاده فانه قد
 امر عثمان لذلك وارجعوا طاعة والمؤمن الصحابة حاصرون للاولى والثانية ولم يكره
 احد منهم فدل على انهم متفقون على صحة هذا العهد عارفون به ووعيدوا والاجماع حجة كما
 عرف ولا يهجم الامام في هذا الامر وان عهد الى ابي ابيوانه مامون على النظر لم يهجم
 حراية فاولى ان لا يجهل فيها تبعه بعد مائة خلافا لمن قال بانها في الولد والوالد ان
 لمن خصص التهمة بالولد دون الوالد فانه بعيد عن الظنة في ذلك ككلاسيما اذا كانت
 هناك دعاية تدعو اليوم من اتيار معلنة او توقيع مفسدة فتتفي الظنة عند ذلك راسا
 كواقع في عهد معاوية لابن يزيد وان كان فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة في الباب
 والذي دعا معاوية لا يثار ابن يزيد بالعهد دون من سواه اما هو مراعاة المصلحة في اجتماع
 الناس واتفاق اهوائهم بانفاق اهل الملل والعقائد عليه حيث من في امية اذ هو امية بيوته
 لا يرضون سواه وم عصابة قريش واهل الملة اجمع واهل الغلب منهم فائتر ذلك دون
 غيره من يثان اهل اولى بها وعدل عن الناضل الى المنضول حرصا على الاتفاق واجتماع
 الاهواء الذي شأنه اثم عند الشارع وان كان لا يظن معاوية غير هذا فعدا لئلا وصحبة
 مائة من سوى ذلك وحضور اكابر الصحابة لذلك وسكونهم عنه دليل على انتفاء الريب
 فيه فليسوا ممن باخذهم في الحق هداة وليس معاوية ممن تاخذة الهرة في قبول الحق
 فانهم كلهم اهل من ذلك وعدا عنهم مائة من قرار عبد الله بن عمر من ذلك اما من
 يحصل على ثور عود من الدخول في شيء من الامور ما كان او ممتورا كما هو معروف
 عنه ولم يبق في مخالفة هذا العهد الذي اتفق عليه المجبور الا ابن الزبير وتندو الخلفاء
 معروف ثم انه وقع مثل ذلك من بعد معاوية من الخطباء الذين كانوا يهرون الحق
 ويعلمون به مثل عبد الملك وسليمان بن امية والسفاح والمنصور والمهدي والمرشد من
 بني العباس وامثالهم من عرفت عدالتهم وحسن رايهم للمسلمين والنظر لم ولا يعاب عليهم
 اتيار ابناءهم واخوانهم وشيوخهم عن سنن الخلفاء الاربعة في ذلك فشايرهم غير شاة
 اولئك الخلفاء فانهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينا فعدا كل

الفصل التاسع والعشرون

في معنى البيعة^(١)

اعلم ان البيعة هي العهد على الطاعة كان المبايع يعاهد اميراً على انه يسلم له الظل
في امر نفسه وامور المسلمين لا يتنازع في شيء من ذلك ويطاعة فيما يكلفه يوم من الامر على
المنطق والمكره وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده جعلوا ايديهم في يده تأكيداً للعهد
فما شبه ذلك فعل البائع والمشتري فسمي بيعة مصدر باع وصارت البيعة مصلحة بالايدي
هذا ما دللوا في عرف اللغة ومعهود الشرع وهو المراد في الحديث في بيعة النبي صلى
الله عليه وسلم ليلة العقبة وعد النبرة وحيثما ورد هذا اللفظ ومنه بيعة الحلفاء ومنه ايمان
البيعة كان التثنية يستعملون على العهد ويستوعبون ايمان كل واحد لذلك فسمي هذا الاستعلاء
ايمان البيعة وكان الاكراه فيها اكثر واغلب ولهذا لما اتفق ما لك رضي الله عنه بسقوط
بين الاكراه انكرها الولاة عليه وراواها فادحة في ايمان البيعة ووقع ما وقع من محبة الامام
رضي الله عنه ولما البيعة المشهورة هذا العهد فهي تحية المملوك الكسروية من قبيل الارض
او اليد او الرجل او الذيل اطلق عليها اسم البيعة التي هي العهد على الطاعة مجازاً لما
كان هذا الخاضع في التسمية والتزام الآداب من لوازم الطاعة وتوابعها وغلب فيه حتى
صارت حقيقة عرفية واستغنى بها من مصالحة ايدي الناس التي هي الحقيقة في الاصل لما في
المصالحة لكل احد من النازل والارتداد المنافيين للرياسة وصون المنصب المملوك الا في
الاقل من بقصد التواضع من المملوك فياخذ به نفسه مع خواصه ومشاهير اهل الدين من
رعيته فافهم معنى البيعة في المعروف فانه اكيد على الانسان معرفة لما يلزمه من حق سلطانها
وامامه ولا تكون افعل له عملاً ونجماً واعتبر ذلك من افعل لك مع المملوك والله القوي العزيز

الفصل الثلاثون

في ولاية العهد

اعلم اننا قدمنا الكلام في الامامة ومشروعيتها لما فيها من المصلحة وان حقيقتها للنظر
في مصالح الامة لدينهم ودنياهم فهو واجبهم والامانة عليهم ينظر لم ذلك في حمايتهم ويتبع ذلك
ان ينظر لم بعد حمايتهم ويقوم لهم من يولي امورهم كما كان هو يتولاها ويتصرف بنظره لم في
ذلك كما وقعوا به فيما قبل وقد عرف ذلك من التبرع باجماع الامة على جوارحه وانعقاد

١ البيعة هي المراجعة انا نكرها علم ورون شعبة سكنوا لما فيها من معد التصاريح ١٠

الدواة والفرطاس لكتب الوصية وإن عمر متع من ذلك فدلل واضح على أنه لم يقع وكذا قول عمر رضي الله عنه حين طعن وسئل في العهد فقال إن العهد فقد عهد من هو خير مني يعني أبا بكر وإن أترك فقد ترك من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم لم يهد وكذا قول علي رضي الله عنه حين دعاة المدخل إلى النبي صلى الله عليه عليه وسلم يسألون عن شأنهما في العهد فإني علي من ذلك وقال إنه أتت معاً منها فلا نصلح فيها آخر الدهر وهذا دليل على أن علياً علم أنه لم يوص ولا عهد إلى أحد وشبهة الإمامية في ذلك إنما هي كون الإمامة من أركان الدين كما يزعمون وليس كذلك وإنما هي من المصالح العامة المتروكة إلى نظر المجاني ولو كانت من أركان الدين لكان شأنها شأن الصلاة ولكن يستغنى فيها كما استغنى أبا بكر في الصلاة وأما في الشهرة أمر الصلاة واجتياح الصلابة على خلافه إني سكر بفأسها على الصلاة في قولهم إرضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا فلا نرضاه لديننا ما دليل على أن الوصية لم تقع وبطل ذلك أيضاً على أن أمر الإمامة والعهد بهما لم يكن معاً كما هو اليوم وشأن المراجعة في الاختراع والافتراق في مجاري العادة لم يكن يومئذ بذلك إلا أن الأمر بالاسلام كان كله بمنزلة العادة من تالف القلوب عليه وإسمائة الأس دونه وذلك من أجل الأحوال التي كانوا يشاهدونها في حضور الملائكة لهم ورد شبر السماء بينهم وتبدد خيال الله في كل حادثة تقلى عليهم فلم ينج إلى مراعاة العمومية للمثل الناس من صبغة الاقبياد والاذعان وما يستفهم من تابع الخيرات الحارة والأحوال الإلهية المراجعة والملائكة المترددة التي يجهلونها منها ودهشوا من تباينها فكان امر الملائكة والمالك والعهد والعمومية وسائر هذه الأنواع مندرجاً في ذلك القليل كما وقع فلما انقصر ذلك الممدد ذهبت تلك المميزات ثم بناء الترون الذين شاهدوها فاستقامت تلك الصفة قليلاً وذهبت المميزات وصار الحكم المادة كما كان فاعبر أمر العمومية ومجاري العادة فيها شأنها من المصالح والماسد وأصبح المالك والملائكة والعهد بها من الجهات الأربعة كما زعموا ولم يكن ذلك من قبل فالسلك كبر كانت الملائكة العهد النبي صلى الله عليه وسلم غير مهتمة فلم يهد فيها ثم تدرجت الأهمية زمان الملائكة بهن الشيء مما دعب الضرورة التي هي الحماية والجهاد وشأن الردة والفتوحات فكانوا بالخير في الفعل والترك كما ذكرنا عن عمر رضي الله عنه ثم صارت اليوم من أهم الأمور للالة على الحماية والقيام بالمصالح فاهتدت فيها الصلابة التي هي سر الزارع بين العرق والفتائل ومنشأ الاجتماع والوقوف الكفول بمقاصد

احد وازع من نفسه فعهدوا الى من يرتضيه الدين فقط وأثروا على غيره ووكلا اكل من
 يسمو الى ذلك الى ازرعوا واما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد اشرقت على
 غايتها من الملك والوارع الديني قد ضعف واحتج الى الوارع السلطاني والعصبي فلى
 عهد الى غير من ترتضيه العصبية لردت ذلك العهد وانتفض امرة سر يعاصرت الجماعة
 الى الفرقة ولا اختلاف . سأل رجل عائدا رضي الله عنه ما بال المسلمين اجتمعا عليك ولم
 يجتمعوا على ابي بكر وعمر فقال لان ابا بكر وعمر كانا والدين على منلي وأما اليوم والى على
 مثلك يشير الى وازع الدين فلا ترى الى المامون لما عهد الى علي بن موسى بن جعفر
 الصادق وسماه الرضا كيف انكرت العاصية ذلك ونقصوا بهتة وبأيعوا لهو ابراهيم بن
 المهدي وظهر من الهرج والسلاف واشتباع السبل وتهدد الثوار والنجارح ما كان ان يصطلم
 الامر حتى يادر المامون من خراسان الى بغداد وردا من المعاهدة فلا بد من اعتبار ذلك
 في العهد فالعصية تضاف باختلاف ما يحدث فيها من الاديور والنبائل والعصبيات وتختلف
 باختلاف المصالح وكل واحد منها حكم بحسبه لعلنا من الله سبحانه واما ان يكون القضاء
 بالعهد يحفظ التراث على الاناء فليس من المقاصد الدينية اذ هو امر من الله ينص به من
 يشاء من عبادي ينبغي ان تحسن فيه الذية ما امكن خوفا من العيب بالمناصب الدينية
 والملك لله يؤتمن من يماه به وعرض هنا امور تدعو الضرورة الى بيان الحق فيها . قال اول
 منها ما حدث في يزيد من النسي ايام خلافته فاياك ان تغفل بمعاوية رضي الله عنه انه
 علم ذلك من يزيد فانه اعدل من ذلك وافضل بل كان يدله ايام حياته في سماع القضاء
 وبماه عنه ودواقل من ذلك وكانت ناهيه فيهم مغلظة ولما حدث في يزيد ما حدث
 من النسي اختلاف العصاة عتشته في شايه فبهم من راي المخروج عليه ونقص بهتة من
 اجل ذلك كما فعل الحسين وعبد الله بن الربيع رضي الله عنهما ومن اتبعهما في ذلك
 منهم من اناه لما فيه من اثاره النية وكثرة النفل مع البهر عن الوفاء ولان شوكة يزيد
 يومئذ في داهية بهية وسمو اهل الل والعقد من قرش وتستنح عصبية مصر
 اجمع وهي اعظم من كل شوكة ولا تنافي فقامتهم ذاقه راعن يزيد بهتة ذلك واتهموا
 على انداء بهتة والراصة مئة وهذا كان شان جمهور المسلمين والكل يجهلون ولا يذكر
 على احد من الفريقين ففادهم في البر وتعمري الحق معروفة وقفا الله لا تشبه بهم به
 والامر الثاني هو شان العهد من النبي صلى الله عليه وسلم وما تدعيه الشيعة من وصيته لعلي
 رضي الله عنه وهو امر لم يصح ولا نقله احد من ائمة النفل والذي وقع في الصريح من طالب

والزبير لا تنقاصها على عليٍّ بعد البيعة له فيما نقل مع دفع الثاني عن كل من الفريقين
كالشأن في المجندين وصار ذلك إجماعاً من أهل العصر الثاني على أحد قولي أهل العصر
الأول كما هو معروف ولقد سئل عليٌّ رضي الله عنه عن قتلى الجمل وصفين فقال
والذي نفسي بيده لا يؤمن أحد من هؤلاء وقابلة نقي إلا دخل الجنة يشير إلى الفريقين
نقلاً للطبري وغيره فلا يقنع عند كثير من في عدالة أحد منهم ولا قدح في شيء من ذلك
فهم من علمت واقوالهم وافعالهم إنما هي عن المستندات وعدا لهم مغرغ منها عند أهل السنة
الأقوال المعتزلة فيمن قائل علياً لم يأنتم إليه أحد من أهل الحق ولا عرج عليه وإذا فارت
بعض الأوصاف عذرت الناس إجماعهم في شأن الاختلاف في عثمان واختلاف الصحابة
من بعد وعلمت أنها كانت فتنة ابتلى الله بها الأمة بيها المسلمون قد اذهب الله عدوم
وملكهم أرضهم وديارهم ونزلوا الأمصار على حدودهم بالبصرة والكوفة والشام ومصر وكان
أكثر العرب الذين نزحوا هذه الأمصار جنّة لم يستكثروا من صفة النبي صلى الله عليه
وسلم ولا هذبهم سيرته وأدابه ولا ارتاضوا بحلقه مع ما كان فيهم من الجاهلية من الجنّة
والعصية والتفاخر والبعد عن سكينة الإيمان وإذا بهم عند استئصال الدولة تدبوا بصير
ملكاً المهاجرين والأنصار من قريش وكثبانة ونقيض وهذا أهل الجواز وبشر الداهين
الأولين إلى الإيمان فاستكثروا من ذلك وغصوا بما لا يرون لأنهم من التندم بأسامهم
وكثرتهم ومصادمة فارس والروم مثل قبائل بكر بن وائل وعبد القيس بن ربيعة
وقبائل كندة والأزد من اليمن وعين وقيس من مضر فصاروا إلى الغرض من قريش والافتة
عليهم والتمريض في طاعتهم والذل في ذلك بالنظلم منهم والاستعداد عليهم والطعن
فيهم بالتمريض عن السرية والعدل في التمس عن السوية وفشت الفتالة بذلك وانتهت إلى
المدينة وهم من علمت فاعطاهم والثقة عثمان فبعث إلى الأمصار من يكسب له الخبر بها
ابن عمرو ومحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد وأمثالهم فلم يتكروا على الأمراء شيئاً ولا رأوا
سليهم طعناً وأدوا ذلك كما علموا فلم يقطع الطعن من أهل الأمصار وما زالت الشناعات
نحو ورعي الوليد بن عتبة وهو على الكوفة يشرب الخمر وشهد عليه جماعة منهم وسدده
عثمان وعزله ثم جاء إلى المدينة من أهل الأمصار يسألون عزل العال وشكوا إلى عائشة
وعليٍّ والزبير وطلبة وعزل لم عثمان بعض العال فلم تنقطع بذلك السنهم بل ولسدوا
ابن العاصي وهو على الكوفة فلما رجع اعترضوه بالطريق وردوه معرولاً ثم استغلوا الجلائد
بأن عثمان ومن معه من الصحابة بالمدينة ونحووا عليه امتناعه من العزل فأتى إلا أن يكون

الأمر ببيعة وأحكامها من الأمر الثالث شأن الحروب الواقعة في الإسلام بين الصحابة والتابعين
 فأعلم أن اختلافهم إنما يقع في الأمور الدينية وينشأ عن الاجتهاد في الأدلة الصحيحة والمبادئ
 المعتدلة والمجتهدون إذا اختلفوا فإن قلنا إن الحق في المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين
 ومن لم يصادف فهو مغفل فإن جهة لا تمنع باجماع فيبقى الكل على احتمال الإصابة ولا
 يتعين الخطأ منها والتائب مدفوع عن الكل إجماعاً وإن قلنا إن الكل حق وإن كل مجتهد
 مصيب فأحرى بنبي الخطاء والتائب وغاية الخلاف الذي بين الصحابة والتابعين أنه خلاف
 اجتهادي في مسائل دينية طنية وهذا حكمية والذي وقع من ذلك في الإسلام إنما هو واقعة
 علي مع معاوية ومع الزبير وعائشة وطلحة واقعة الحسين مع يزيد وواقعة ابن الزبير مع
 عبد الملك فأما واقعة علي فإن الناس كانوا عند مقتل عيان مقتربين في الأمصار فلم
 يشهدوا بيعة علي والذين شهدوا فمنهم من بايع ومنهم من توقف حتى يجمع الناس ويتفقوا
 على إمام بعده وسعيد وابن عمرو وأسامة بن زيد والخيرة بن شعبة وعبد الله بن سلام
 وقدامة بن مظعون وأبي سعيد الخدري وكعب بن عجرة وكعب بن مالك والعميان بن
 بشير وحسان ابن ثابت ومسلمة بن مخلد وفضالة بن عبيد وإمثالهم من أكابر الصحابة والذين
 كانوا في الأمصار عدلوا عن بيعته أيضاً إلى الطلب بدم عثمان وتركوا الأمر فوضى حتى
 يكون شوري بين المسلمين لمن يواؤنه وظلوا به إلى وفاة في السكوت عن نصر عثمان
 من قاذبوا لا في المبالاة عليه فحاش الله من ذلك ولقد كانت معاوية إذا صرح ببلادها إنما
 يوجهها عليه في سكوت فقط ثم اختلفوا بعد ذلك فرأى علي أن بيعته قد انقضت ولزمته
 من تأخر عنها باجتماع من اجتمع عليها بالمدينة دار النبي صلى الله عليه وسلم وموطن
 الصحابة وأرجأ الأمر في المطالبة بدم عثمان إلى اجتماع الناس وإتفاق الكلمة فيتمسك حيثل
 من ذلك ورأى الآخرون أن بيعته لم تنقض لا فتراق الصحابة أهل الحبل والعقد بالافاق
 ولم يضره الأقل ولا تكون البيعة بالاتفاق أهل الحبل والعقد ولا تلزم بعقد من تولاهما
 من غيرهم أو من القليل منهم وإن المسلمين حيثل فوضى فيطالبن أولاً بدم عثمان ثم
 يجمعون على إمام وذهب إلى هذا معاوية وعمر بن العاصي وأم المؤمنين عائشة والزبير
 وأبو عبد الله وطلحة وأبو محمد وسعيد وسعد والعميان بن بشير ومعاوية بن خديج ومن
 كان على رأيهم من الصحابة الذين تماثلوا عن بيعته على بالمدينة كما ذكرنا أن أهل
 العصر الثاني من بعدهم اتفقوا على انعقاد بيعة علي وازومها للسليبين اجمعين وتصوب
 رأي فيها ذهب إليه وتعين الخطأ من جهة معاوية ومن كانت على رأيه وخصوصاً طلحة

وهو اسمة المجتهد بن ولا يذهب بك الغلط ان تقول بتأنيده هؤلاء بخلافه الحسين وقعودهم
عن نصره فانهم اكثر الصلابة وكانوا مع يزيد ولم يروا المخرج عليه وكان الحسين
يستشهد بهم وهو يقاتل بكر بلاء على فضله وحقه ويقول سالما جاسرا بن عبد الله واباسعيد
المختدري وانس بن مالك وسهل بن سعيد وزيد بن ارقم وامثالهم ولم يسكن عليهم قعودهم
عن نصره ولا ترضى لذلك لعلمه انه عن اجتهاد منهم كما كان فعله عن اجتهاد من وكذا ذلك
لا يذهب بك الغلط ان تقول بتصويبه قبله لما كان عن اجتهاد وان كان هو على اجتهاد
ويكون ذلك كما يبيد الشافعي والماكي والحنفي على شرب الدين والعلم ان الامر ليس كذلك
وقال لم يسكن عن اجتهاد هؤلاء وان كان خلافة عن اجتهادهم انا انفر دقتا لوزيد واصحابه
ولا نقول ان يزيد وان كان فاسقا ولم يميز هؤلاء المخرج عليه فانعالة عدم عصية واعلم
انه انما ينفذ من اعمال الناس ما كان مشروعا وقيل البقاء عنهم من شرطه ان يكون
مع الامام العادل وهو مفقود في مسئلتنا فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا يزيد بل
في من فعلاته المؤكدة المتفق والمخبر فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد والصلابة
الذين كانوا مع يزيد على حق ايضا واجتهاد وقد غلط القاضي ابو بكر بن العربي لما لكي
في هذا فقال في كتابه الذي سماه بالاعراض والاصم والواضع ما معناه ان الحسين تزل بشور
جده وهو غلط حائلة عليه الغناء عن اشتراط الامام العادل ومن اعدل من الحسين
في زمانه في امامه وعدالتيه في قتال اهل الاراء واما ابن الزبير فانه راي في ما هو ما رايه
الحسين وظن كما ظن وغلط في امر التوكيد اعلم لان بني اسد لا يقاومون بني امية في
جاهلية ولا اسلام والاقول بتعين الخطاء في جهة غناية كما كان في جهة معاوية مع علي
لا سبيل اليolan الاجتماع هنا لك قضى لنا ولم نجد هاهنا . واما يزيد فعين خطاة
فسقة وعبد الملك صاحب ابن الزبير اعظم الناس عدالة وباهلك بعد النبي احتياج مالك
بعده وعاصول ابن عباس وابن عمر الى بيعة عن ابن الزبير ومعه بالبحار مع ان الكثير
من الصحابة كانوا يرون ان بيعة ابن الزبير لم تعقد لانه لم يحضرها اهل العقد والمحل
كيفية مروان واس الزبير على خلاف ذلك والكل مجتهدون محمولون على الحق في
الظاهر وان لم يمتحن في جهة منهما والقيل الذي نزل بعد بيعه تقرير ما قرأه يحيى على فواحد
الفقه وقولانيه مع انه تنبه مثاب باعتبار قصده وتحريره الحق هذا هو الذي ينبغي ان
تتمثل عليه افعال السلف من الصلابة والتابعين فهم خيار الامة واذا جعلناهم عرضة لفتح
فمن الذي يندس بالعدالة والسياسة على الله عليه وسلم يقول خير الناس قرني ثم الذين

على جرحه ثم نقلوا النكير الى غير ذلك من افعاله وهو متمسك بالاجتهاد وهم ايضا
كذلك ثم تجميع قوم من الغوغاء وجأوا الى المدينة يظهر من طلب النصفة من عنات وهم
يضمرون خلاف ذلك من قتلهم وفيهم من النصرة والكوفة ومصر وقام معهم في ذلك علي
وطائفة والريبر وطائفة وغيرهم يحاولون تسكين الامور ورجوع عنان الى رايهم وعزل لم
عامل مصر فالصرفوا قليلا ثم رجعوا وقد لسوا بكتاب مدلس يزعمون انه لقوه في يد
حاملو الى عامل مصر بان يقتلهم وحلف عيان على ذلك فقلوا انكأمن مروان فانه كانك
فخلف مروان فقال عفان ليس في الحكم أكثر من هذا المحاصرو بهادوه ثم يتوجه على حين
غفلة من الناس وقتلوه وانفتح باب الفتنة فاكل من هؤلاء عذر فها وقع وكلهم كانوا من بني
بامر الدين ولا يصيرون شيئا من نفاقه ثم نظروا بعد هذا الواقع واجتهدوا والله بالحق على
احمالهم وعالم بهم ونحن لا نفلان منهم الا خيرا لما شهدت به احوالهم ومقالات الصادق فيهم .
واما الحسين فانه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من اهل عصره بعثت شعبة اهل البيت
بالكوفة للحسين ان ياتهم فيقوموا بامرهم فرأى الحسين ان الخروج على يزيد متعبد
من اجل فسقه لاسيما من له القدرة على ذلك وظنها من نفسو باهليته وشوكته فاما الاعاقة
فكانت كاطن وزبادة واما الشوكه فغلط برحمه الله فيها لان عصبية مضر كانت في قريش
وعصبية قريش في عبد مناف وعصبية عبد مناف انما كانت في بني امية تعرف ذلك لم
قريش وسائر الناس ولا ينكرونه وانما نسي ذلك اول الاسلام لما شغل الناس من
الذهول بالخنزارق وامر الوحي وتتردد الملائكة لخدمة المسلمين فاجتالوا امور عبادهم
وذهب عصبية الجاهلية ومنازعها ونسيت ولم يبق الا العصبية الطبيعية في الحماية والدفاع
يتفجع بها في اقامة الدين وجهاد المنكرين والدين فيها نعيم والعادة معزولة حتى اذا انقطع
امر الامور والخنزارق المبوله تراجع الحكم بعض الشيء للعادة فصادت العصبية كما كانت
ولم كانت واصبحت مصر اطوع لبني امية من سواهم اكان لهم من ذلك قبل فقد تولى لك
غلط الحسين اانه في امر دينوي لا يضروه الغلط فهو واما الحكم الشرعي فلم يغفل فيولائه
منوط بهطو وكان ظنة القدرة على ذلك ولقد عدله ابن المباس ماسن الريبر وابن عمر
وابن الحنفية اخوه وغيره في مسيره الى الكوفة وعلموا غلظه في ذلك ولم يرجع عما هو سبيلو
لما اراده الله واما غير الحسين من اصحابه الذين كانوا باليمجاز ومع يزيد بالتمام والعراق
ومن التابعين لم يفرأوا ان الخروج على يزيد وان كان فاسقا لا يجوز لما ينشأ عنه من
الهرج والماء فاقصروا عن ذلك ولم ينابها الحسين ولا انكروا عايلو ولا انهمرو لانه جهند

بكرضه الله عنه باستغلافه في الصلاة على استغلافه في السياسة في قولهم ارتضاء رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الديننا أ فلا نرضاه لديننا فقولوا ان الصلاة ارفع من السياسة لما صح
 القياس وإذا ثبت ذلك فاعلم ان المساجد في المدينة صفان مساجد عظيمة كثيرة الغاشية
 معدة للصلاوات المشهورة واخرى دونها مخففة بقوم او محلة وليست للصلاوات العامة فاما
 المساجد العظيمة فامرها راجع الى الخليفة او من يفوض اليه من سلطان او وزير او
 قاضي فينصب لها الامام في الصلاوات الخمس والجمعة والعيد من المحسوفين والاستسقام
 ويعين ذلك انما هو من طريق الأول والاستسقام وثلاثا بفتات الرعايا عليه في شيء من
 الظفر في المصالح العامة وقد يقول بالوجوب في ذلك من يقول بوجوب اقامة الجمعة
 فيكون نصب الامام لمعددة واجبا واما المساجد المختصة بقوم او محلة فامرها راجع الى
 البكران ولا تحتاج الى نظر خليفة ولا سلطان واحكام هذه الولاية وشروطها والمولى فيها
 معروفة في كتب الفقه ومسروطة في كتب الاحكام السلطانية الماوردي وغيره فلا نقول
 يدكرها ولقد كان الخلفاء الاولون لا يقدرونها لغريم من الناس وانظر من طعن من
 الخلفاء في المسجد بعد الاذان بالادارة وترصد له لذلك في اوقاتها يشهد لك ذلك
 بما شربهم لها وانهم لم يكونوا يستغلون فيها وكذا كان رجال الدولة الاموية من بعدهم
 استشارتها واستعظمتا ارتبتها بمحكي عن عبد الملك انه قال للحاجب قد جعلت لك حجابة
 باي الا عن ثلاثة صاحب الطعام فانه يد بالناخير والآخر بالصلاة فانه داع الى الله
 والريد فان في تأخيرهم فساد القاصية فلما جاءت طبيعة الملك وعوارسة من الذلة
 والرفع عن مساواة الناس في دينهم وديارهم استشاري في الصلاة فكانوا يستشارون بها في
 الاحيان وفي الصلاوات العامة كالعدين والجمعة اشادة وتوحيها فعمل ذلك كثير من
 خلفاء بني العباس والعديد من صدر دولهم واما الدنيا فللولاية تنص اهل العلم والتدريس
 ورد التبا الى من هو اهل لها وعائنه على ذلك ومنع من ليس اهلها وزجره لانها من
 مصالح المسلمين في اديانهم فوجب عليه مراعاتها فلا يعرض لذلك من ليس له باهل فيصل
 الناس والمدرس الانتصاب لتعليم العلم وبه والجولوس لذلك في المساجد فان كانت
 من المساجد العظام التي للسلطان الولاية عليها والنظر في ائمتها كما مر فلا بد من استئذائه
 في ذلك وان كانت من مساجد العامة فلا يتوقف ذلك على اذن على انه ينبغي ان يكون
 لكل احد من المنتهين والمدرسين زاجر من نفسه بمنعة عن التصدي لما ليس له باهل
 فيضل به المستهدي ويصل به المسترشد وفي الاثر اجماعهم على التبا اجماعكم على جرائم

بلونهم مرتين أو ثلاثاً ثم يفشوا الكذب فجعل الخيرة وهي العدا للخصومة بالقرن الأول والذي
 يليه فإياك ان تعود نفسك اولساك التعرض لاحد منهم ولا يشوش قلبك بالربيب في
 شيء مما وقع بينهم والنفس لم يذهب الحق وطرفة ما استطعت فهم اولي الناس بذلك وما
 اختلفوا الا عن بيعة وما قاتلوا او قتلوا الا في سبيل جهاد او اظهار حق واعتقد مع ذلك
 ان اختلافهم رحمة ان بعدم من الامة ليقعد كل واحد من بمشائره منهم ويجعله امامه
 وهاديه ودلالة فافهم ذلك وتبين حكمة الله في خلقه واكبره واعلم انه على كل شيء قدير
 والحيو المنيب والمصير والله تعالى اعلم

الفصل الحادي والثلاثون

في المخطاط الدينية الخلافة

لما تبين ان حقيقة الخلافة نياحة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وساسة الدنيا
 فصاحب الشرع متمصرف في الامرين اما في الدنيا فيمقتضى التكليف الشرعية الذي هو
 ما مورس عليه وحمل الناس عليها واما سياسة الدنيا فيمقتضى رعايته لمصالحهم في الامران
 البشري وقد قدمنا ان هذا العمران ضروري للبشر وان رعايته مصالحهم كذلك لتلا فيفسد
 ان اهلته وقدما ان الملك وسعائه كافي في حصول هذه المصالح نعم انما تكون
 اكل اذا كانت بالاحكام الشرعية لانه اعلم بهذه المصالح فقد صار الملك يدرج تحت
 الخلافة اذا كان اسلاميا ويكون من تولى بها وقد يندرج اذا كان في غير الملة وله على كل
 حال مراتب خادمة ووطائب تابعة تهيئ خططا وتنوزع على رجال الدولة وظائف
 فيقوم كل واحد برعايته حسبما يعينه الملك الذي تكون يده عالية عليهم فيتم بذلك امره
 ويحسن قيامه بسلاطه واما المصعب المملاني وان كان المالك يدرج تحت هذا الاعتبار
 الذي ذكرناه فمصرفه الديني يخصص مخطوط ومراتب لا تعرف الا للحفاه الاسلاميين ولندكر
 ان المخطوط الدينية المختصة بالخلافة ونرجع الى المخطوط الملوكية السلطانية فاعلم ان المخطوط
 الدينية الشرعية من الصلاة والتباعد والنضاء والجهاد والحسبة كلها مندرجة تحت الامة
 الكبرى التي هي الخلافة فكأنها الامام الكبير والاصل الجامع وهذه كلها متفرعة عنها وداخله
 فيها امور فاعلم الخلافة وتصرفها في سائر احوال الملة الدينية والدنيوية وتنفيذ احكام
 الشرع فيها على العجم فاما امة الصلاة فهي ارفع هذه المخطوط كلها وارفع من المالك
 منصرفه المملاني مرجعها تحت الخلافة وانما فيها ان لا ياستدل بالاصحاح في امر

المسلمين بالنظر في امثال المجبور عليهم من الجائنين والفتلى والمفسدين واهل السفه وسيف
 وصايا المسلمين واوراقهم وترويج الايامى عند فقد الاولياء على رأي من رآه والنظر في
 مصالح الطرقات والابنية وتصنع الشهود والامناء والذواب واستيفاء العلم والخبرة فهم
 بالعدالة والجرح يحصل له الوثوق بهم وصارت هذه كلها من تعلقات وظيفته وتوايع
 ولايته وقد كان الخلفاء من قبل يجعلون للقاضي النظر في المظالم وهي وظيفة ممتزجة من
 سطوة السلطنة ونسبة القضاء وتحتاج الى علو يد وعظيم رهبة تقبح الظالم من المحضين
 وتزجر المتعدي وكأنة يمضي ما عجز القضاء او غيرهم عن امضائه ويكون نظره في البيئات
 والتفكير واعتماد الامارات والشرائخ وتأخير الحكم الى استجلاء الحق وحمل المحضين
 على الصلح واستحلاف الشهود وذلك اوسع من نظر القاضي * وكان الخلفاء الاولون
 يباشرونها بانفسهم الى ايام المهدي من بني العباس وربما كانوا يجعلونها لقضايتهم كما فعل
 عمر رضي الله عنه مع قاضيه ابي ادريس الخولاني وكافعله المأمون ليعي ابن آكثم والمعتمد
 لاحمد بن ابي داود وربما كانوا يجعلون للقاضي قيادة الجهاد في عساكر الطوائف وكان
 يحيى بن آكثم يخرج ايام المأمون بالطائفة الى ارض الروم وكذا مندر بن سعيد قاضي
 عبد الرحمن الناصر من بني امية بالاندلس فكانت تولية هذه الوظائف اما تكون للخلفاء
 او من يجعلون ذلك له من وزير منوَّض او سلطان متغلب وكان ايضا النظر في الجرائم
 واقامة الحدود في الدولة العباسية والاموية بالاندلس والعبيدين بصر والمغرب راجعا
 الى صاحب الشرطة وهي وظيفة اخرى دينية كانت من الوظائف الشرعية في تلك الدول
 توسع النظر فيها عن احكام القضاء قليلا فيجعل للتهمة في الحكم مجالاً ويفرض العقوبات
 الزاجرة قبل ثبوت الجرائم ويقم الحدود الثابتة في سبيلها ويحكم في القود والقصاص ويقم
 التعزير والتأديب في حق من لم يتو عن الجريمة ثم تنوسي شأن هاتين الوظيفتين في الدول
 التي تنوسي فيها امر الخلافة فصار امر المظالم راجعا الى السلطان كان له تنويع من
 الخليفة اولم يكن وانقسمت وظيفة الشرطة قسمين منها وظيفة التهمة على الجرائم واقامة
 حدودها ومباشرة القضاة والقصاص بحيث يتعين وتصب لذلك في هذه الدول حاكم
 يحكم فيها بموجب السياسة دون مراجعة الاحكام الشرعية ويسمى تارة باسم الحامي وتارة
 باسم الشرطة وبقي قسم التعازير واقامة الحدود في الجرائم الناجمة تترعا فجمع ذلك للقاضي
 مع ما تقدم وصار ذلك من انواع وظيفته ولا يتو الامر لهذا العهد على ذلك وبخرجت
 هذه الوظيفة عن اهل عصبة الدولة لان الامر لما كان خلافة دينية وهذه الخطوة من

جهنم فلا سلطان ففهم لذلك من النظر ما توجبه المصلحة من اجازة او رضى واما النضاء
 فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لانه منصب النضال بين الناس في الخصومات
 حسنا للداعي وقصدا للتنازع الا انه بالاحكام المترعة المتألفة من الكتاب والسنة فكان
 لذلك من وظائف الخلافة ومندرجا في عمومها وكان المنشاء في صدر الامام يباشروا
 انفسهم ولا يميلون النضاء الى من سواهم واول من دفتة الى غيره وفوضه فيه عمر رضي
 الله عنه فولى الامام الدرداء معه بالمدينة وولى شريفا بالاحرة وولى الاموي الاشعرية
 بالكوفة وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي تدور عليه احكام النضاء وهي مستوفاة
 فيه يقول اما بعد فان النضاء فريضة محكمة وسنة مائة فانهم اذا ادى اليك فائز لا ينع
 تكلم بحق لا تناذله واس بين الناس في وجبتك ومجالتك وعدلك حتى لا يطلع شريك في
 حينك ولا يأسر ضعف من عدلك ابنة تلج من ادنى ما بين على من اسكر والصلح
 جائز بين المسلمين الا صلحا احل حراما او حراما حلالا ولا يملك نضاء قضيه امس
 فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم
 ومراجعة الحق خير من الردى في الاصل انهم انهم فيما يلي في صدرك ما ليس في كتاب
 ولا سنة ثم اعرف الامثال والنساء ونس الامور بغيرها واجعل لمن ادعى سقيا غافلا
 او يئنه املأته في الوفا ان احقر بيضة اخذت له يفتقر لا استغاثت النضية عاجز فان ذلك
 انني لذلك واجلي للعالم المسلمين عدون بعضهم على بعض الا يتلودا في حذر او مبربا
 عليه شهادة زور او ظان في نسب او ولاية فان الله سبحانه عاين الايمان ودرء الدينات
 واباك والفتن والخبير والشافف بانك يوم فان استنار الحق في مواطن الحق يعظم الله به
 الاجر ويحسن به الذكر والسلام انتهى كتاب عمر واما ما قبله من النضاء لغيرهم وان
 كان ما يتعلق بهم لقيامهم بالسياسة العامة وكثرة اذغالها من الجهاد والفتوح وسد
 الثغور وحماية البيضة ولم يكن ذلك ما يقوم به غيرهم لظلم الهابة فاستحقاق النضاء في
 الوظائف بين الناس واستقلوا فيه من يقوم به شريفا على انفسهم وكانوا مع ذلك انما
 يتلدون اهل عصبيتهم بالنسب والولاء ولا يتلدون لمن يمد عنهم في ذلك واما احكام
 هذا المنصب وشروطه فمروفة في كتب الله ونصوصنا كتب الاستكام الدائمية الا
 ان القاضي انما كان في حصر الشفاء الذي يفت النضاء ومفعلا ثم دفع فلم يعد ذلك
 او اخرى على التدرج: سبب اشغال العلماء والبارك بالسياسة الكبرى واستغناء منصب
 القضاء آخر الامر على انه يجمع مع النضال بين الخصومات استثناء بعض الشقوق الامانة

في السياسة فهو بعيد عنها لفتاداة العصبية والقيام على معرفة احوالها واحكامها وإنما اكرامهم من تزيينات الملوك والامراء الشاهدة لم يجعل الاعتقاد في الدين وتعظيم من ينسب اليه بأي جهة انتسب وإنما قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم ان التقواه في الاغلب لهذا العهد وما احتف بوانا حملوا الشريعة اقبولاً في كينية الاعمال في العبادات وكينية القضاء في المعاملات يتصورها على من يحتاج الى العمل بها هذه غاية اكرامهم ولا يتصورون الا بالاقول منها وفي بعض الاحوال والسلف رضوان الله عليهم واهل الدين والورع من المسلمين حملوا الشريعة انصافاً بها وتحققاً بمذاهبها فمن حملها انصافاً وتحققاً دون نقل فهو من الوارثين مثل اهل رسالة التشيعي ومن اجتمع له الامران فهو العالم وهو الوارث على الحقيقة مثل فقهاء التابعين والسلف والائمة الاربعة ومن اتقنى طريقهم وجاء على انهم وإذا افرد واحد من الامة باحد الامرين فالعابد احق بالوراثة من الفقيه الذي ليس بعابد لان العابد ورث صفة والتقوى الذي ليس بعابد لم يرث شيئاً إنما هو صاحب اقبول ينصها علينا في كينيات العمل وهو لاء أكثر فقهاء عصرنا الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقيل ما هم

(العدالة) * وهي وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن مواد تصريفه وحقيقة هذه الوظيفة القيام عن اذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لم وعلمهم تحملاً عند الاشهاد وإداء عند التنازع وكتابة في السجلات تحفظ بحقوق الناس واملاكهم وديونهم وسائر معاملاتهم وشروط هذه الوظيفة الانصاف بالعدالة الشرعية والبراءة من المجرم ثم القيام بكتب السجلات والعقود من جهة عباراتها وانظام فصولها ومن جهة احكام شروطها وطبها الشرعية وعقودها فيحتاج حينئذ الى ما يتعلق بذلك من الثقة ولاجل هذه الشروط وما يحتاج اليه من المران^(١) على ذلك والممارسة له اخص ذلك ببعض العدول وصار الصنف الثامن بدكانهم مخصصون بالعدالة وليس كذلك وإنما العدالة من شروط اختصاصهم بالوظيفة ويجب على القاضي تصفح احوالهم والكشف عن سيرهم رعاية لشرط العدالة فيهم وإن لا يعمل ذلك لما يتعين عليه من حفظ حقوق الناس فالعبد عليه في ذلك كله وهو ضامن دركة وإذا تعين هؤلاء لهذه الوظيفة عمت الفائدة في تعيين من تحق هذا لئلا على القضاء بسبب اتساع الامصار واشتباه الاحوال واضطرار القضاء الى الفصل بين المتنازعين بالبيانات الموثوقة فيقولون غالباً في الوثوق بها على هذا الصنف ولم في سائر الامصار

المران اكرام الدين والاعتماد على النبي اه

مراسم الدين فكانوا لا يولون فيها الا من اهل عصبيتهم من العرب ومواليهم بالحلف او
 بارق او بالاصطناع من يوثق بكفائته او غنائو فيها يدفع اليه * ولما انقضى شأن
 الخلافة وطورها وصار الامر كله ملكا وسلطانا صارت هذه الخطط الدينية بعيدة عنه
 بعض الشيء لانها ليست من القاب الملك ولا مراسيمه ثم خرج الامر حجة من العرب
 وصار الملك لسواهم من ام الترك والبربر فازدادت هذه الخطط الخلافية بعدا عنهم
 وبخاها وعصبيتها وذلك ان العرب كانوا يرون ان الشريعة دينهم وان النبي صلى الله عليه
 وسلم منهم واحكامه وشراعه تعلمهم بين الامم وطريقهم وغرهم لا يرون ذلك انما يولونها
 جانباً من التعظيم لما داروا بالملة فقط فصاروا يقادونها من غير عصابتهم من كان ناهل
 لها في دول الخلاف السالفة وكان اولئك المتأهلون بما اخذهم ترف الدول منذ مئتين من
 السنين قد نسوا عهد البداوة وخشونتها والتبسوا بالمحصارة في عزائد ترفهم ودعيتهم وقلة
 المصاعب عن انفسهم وصارت هذه الخطط في الدول الملوكة من بعد الخلاف مخصصة بهذه
 الصنف من المستضعفين في اهل الامصار وتزل اهلها عن مراتب العز لفقد الاهلية
 بانسابهم وما هم عليه من المحاصرة فليتهم من الاحقار ما لحق المحضر المنفوس في الترف
 والدعة البعداء عن عصبية الملك الذين هم عيال على الحماية وصار اعتبارهم في الدولة
 من اجل قيامها بالملة واخذها باحكام الشريعة لما آمنهم المحاملون للاحكام المتعدون بها
 ولم يكن انبارهم في الدولة حيث يفتقد اكراماً لذواتهم ولما هو لا يتلج من التجميل بمكانهم في
 مجاس الملك لتعظيم الرتب الشرعية ولم يكن لهم فيها من الحبل والعقد شيء وان حضروا
 فحضورهم لا حقيقة وراءه اذ حقيقة الحبل والعقد انما هي لاهل القدرة عليه فمن لا قدرة
 له عليه فلا حل له ولا عقد لديه اللهم الا اخذ الاحكام الشرعية عنهم وتلقى التناوى منهم
 فنعى والله الموفق وربما يقطن بعض الناس ان الحق فيها وراء ذلك وان فعل الملوك فيها
 فعلموه من اخراج الانتهاء والنضاه من الشورى مرجوح وقد قال صلى الله عليه وسلم
 العلماء ورة الانبياء فاعلم ان ذلك ليس كما ظنوه وحكم الملك والسلطان انما يجري على ما
 تقتضيه طبيعة العمران والا كان بعيداً عن السياسة فطبيعة العمران في هؤلاء لا تقضي لهم
 شيئاً من ذلك لان الشورى والحبل والعقد لا تكون الا لصاحب عصبية يقتدر بها على
 حل او عقد او فعل او ترك واماً من لا عصبية له ولا يملك من امر نفسه شيئاً ولا من
 حجابها ولما هو عيال على غيره فائق مدخل له في الشورى او اي معنى يدعو الى اعتباره
 فيها اللهم الا شورا فيها يعلمه من الاحكام الشرعية فوجوده في الاستفتاء خاصة واماشوراه

الاجتهاد فاذا وقف اهل أفق او قطر على غاية من التخليص وقنوا عندهما وسهوا اماماً
وعباراً يعتبرون به تقومهم وينتقدونها بما تلتو فان نقص عن ذلك كان زيقاً والنظر في
ذلك كله لصاحب هذه الوظيفة وهي دينية بهذا الاعتبار فندرج تحت الخلافة وقد
كانت ندرج في عموم ولاية القاضي ثم افردت لهذا العهد كما وقع في المحسة هذا آخر
الكلام في الوظائف الخلافية وبقيت منها وظائف ذهبت بذهاب ما ينظر فيه واخرى
صارت سلطانية فوظيفة الامارة والوزارة والحرب والخراج صارت سلطانية تتكلم عليها في
اماكنها بعد وظيفة المجاهد ووظيفة المجاهد بطلت ببطلان الا في قليل من الدول بارسونه
ويدرجون احكامها غالباً في السلطانيات وكذا نقابة الانساب التي يتوصل بها الى الخلافة
او الحقي في بيت المال قد بطلت لدثور الخلافة ورسومها وبالجملة قد اندرجت رسوم
الخلافة ووظائفها في رسوم الملك والسياسة في سائر الدول لهذا العهد والله مصير بق الامور
كيف يشاء

الفصل الثاني والثلاثون

في اللقب بامير المؤمنين وأنه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء
وذلك انه لما بويع ابو بكر رضي الله عنه وكان الصحابة رضي الله عنهم وسائر
المسلمين يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل الامر على ذلك الى ان هلك
فلما بويع عمر بعده اليه كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانهم
استقلوا هذا اللقب بكثرة وطول اضافته وأنه يتزايد فيما بعد دائماً الى ان ينتهي الى الهجنة
ويذهب منه التمييز بتعدد الاضافات وكثرة ما فلا يعرف فكانوا يعدلون عن هذا اللقب
الى ما سواه مما يناسبه ويدعى بمثله وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الامير وهو فعيل
من الامارة وقد كان الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم امير مكة وامير الحجاز وكان
الصحابة ايضا يدعون سعد بن ابي وقاص امير المؤمنين لآمارته على جيش القادسية وهم
معظم المسلمين يومئذ واتفق ان دعا بعض الصحابة عمر رضي الله عنه يا امير المؤمنين
فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه بـ قال ان اول من دعا بذلك عبد الله بن جهمش
وقبل عمر بن العاصي والمغيرة بن شعبة وقيل يريد جاء بالفتح من بعض البعوث ودخل
المدينة وهو يسأل عن عمر ويقول ابن امير المؤمنين وسمها اصحابه فاستحسنوه وقالوا
اصبت والله ائمة انه والله امير المؤمنين حقاً فدعوه بذلك وذهب انما لفي الناس وتوارثه

دكاكين ومضاطب مختصون بالجلوس عليها فيتعاهد أصحاب المعاملات للشهادتين فيقيد
بالكتاب وصار مدلول هذه النظة مشتركا بين هذه الوظيفة التي تبين مدلولها وبين
العدالة الشرعية التي هي اختم الجرح وقد يتواردان ويفترقان والله تعالى اعلم

الحسبة والسكة

اما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو
فرض على القائم بامور المسلمين يعين لذلك من براء أهلاله فيتعين فرضه عليه ويتخذ
الاخوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ويجعل الناس على
المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الخمايين وأهل السفن
من الاكثار في الحمل والحكم على اهل المباني المتداخلة لاستقوط هدمها وإزالة ما يتوقع من
ضررها على السابلة والصرب على ايدي الملعدين في المكاتب وغيرها في الابلاغ في ضررهم
للصبيان المتلعدين ولا يتوقف حكمه على تنازع أو استعداد بل له النظر والحكم فيما يصلح
الى علمه من ذلك ويرفع اليه وليس له امضاء الحكم في الدعوي مطلقا بل فيما يتعلق بالغش
والندلس في المعاش وغيرها وفي المكابيل والموازين وله ايضا حيل الماطلين على الانصاف
وامثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة ولا انفاذ حكم وكانها احكام ينزه القاضي عنها لعمومها
وسهولة اغراضها فتدفع الى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعها على ذلك ان تكون
خادمة لمصعب القضاء وقد كانت في كثير من الدول الاسلامية مثل السيد بيت بمصر
والغرب والامويين بالاندلس داخلية في عموم ولاية القاضي يولي فيها باختياره ثم لما
انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار نظره عاما في امور السياسة اندرجت سيف
وظائف الملك وافردت بالولاية

وإما السكة فهي النظر في النقود المتعامل بها بين الناس وحفظها مما يداخلها من
الغش والنقص ان كان يتعامل بها عددا او ما يتعلق بذلك ويوصل اليه من جميع
الاعتبارات ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالاستجداء والخلوص برسم تلك
العلامة بها من خاتم حديد اتخذ لذلك ونقش فيه نقوش خاصة يو فوضع على الدينار
بعد ان يقدروا بضرب عليه بالمطرقه حتى ترسم فيه تلك النقوش وتكون علامة على جودته
بحسب الغاية التي وقف عندها السبك والتخليص في متعاقف اهل القطر ومذهب
الدولة الحاكمة فان السبك والتخليص في النقود لا يقف عند غاية وإنما ترجع غاية الى

بالفاهرة وصنهاجة على امرأه افرقية وزناثة على المغرب وملك الطوائف بالاندلس على
 امرتجب امية واقتسموا وافتقر امر الاسلام فاختللت مذاهب الملوك بالمغرب والمشرق
 في الاختصاص بالالقباب بعد ان تسمى جميعاً باسم السلطان. فاما ملوك المشرق من
 النجم فكان الخلفاء يخصصونهم بالقباب تشريفية حتى يستشعروا منها انقيادهم وطاعتهم وحسن
 ولايتهم مثل شرف الدولة وعبد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة ونصير الدولة ونظام
 الملك وبهاء الدولة وذخيرة الملك وامثال هذه وكان العبيد يرون ايضاً يخصون بها امراء
 صنهاجة فلما استبدوا على الخلافة فعملوا بهذه الالقاب وتجاوزوا عن القاب الخلافة ادباً
 معها وعدولاً عن سائرهم المخصصة بها شأن المتغلبين المستبدين كما قلناه ونزع المتأخرون
 اعاجم المشرق حين قوي استبدادهم على الملك وعلا كبرهم في الدولة والسلطان وتلاشت
 عصبية الخلافة واضمحلت بالجملة الى انتقال الالقاب الخاصة بالملك مثل الناصر والمصور
 وزيادة على القاب يخصصون بها قبل هذا الانتقال مشعرة بالخروج عن رتبة الولاة
 والاصطناع بها اضافوها الى الدين فقط فيقولون صلاح الدين اسد الدين نور الدين .
 واما ملوك الطوائف بالاندلس فاقسموا القاب الخلافة وتوزعوها لقوة استبدادهم عليها
 بما كانوا من قبلها وعصبيتها فتلقوا بالناصر والمصور والعنيد والمظفر وامثالها كما قال

ابن ابي شرف ينيح عليهم

ما يزهدني في ارض اندلس امامه معتد فيها ومعتصد

القاب ملكة في غير موضعها كالكلمة يحكي انتفاعاً بصورة الاسد

واما صنهاجة فاقصروا عن الالقاب التي كان الخلفاء العبيد يرون للقوة بها القوية مثل
 نصير الدولة ومعز الدولة واتصل لهم ذلك لما ادالوا من دعوة العبيد بدعوة العباسيين
 ثم بعدت الثقة بينهم وبين الخلافة ونسوا عهدها فنسوا هذه الالقاب واقتصروا على اسم
 السلطان وكذا شأن ملوك مغرارة بالمغرب لم يتجاوز شيئاً من هذه الالقاب الا اسم السلطان
 جراً على مذاهب البداهة والعصاضة ولما سمي رسم الخلافة وتعتل دستها وقام بالمغرب
 من قبائل البربر يوسف بن تاشفين ملك اثوية فلما العدوتين وكان من اهل الحجاز
 والافتداه نزعته به همة الى الدخول في طاعة الخليفة تكبيلاً لمراسم دينه فخطب المستنصر
 العباسي ووفد عليه ببيعة عبدالله بن العربي وابنة القاضي ابا بكر من مشيخة اشبيلية يطلبان
 توليته اياه على المغرب ونقله ذلك فأتوا اليه بعهد الخلافة له على المغرب واستدعاه
 زعيمهم في اوسو ورتبه وخطبه فيه يا امير المؤمنين تشر بئالة واختصاصاً فأتهاها لقباً

الخلفاء من بعده ممة لا يشاركون فيها احد سواهم سائر دولة بني أمية ثم ان الشيعة خضوا
عليها باسم الامام فاعتزلة بالامامة التي هي اخت الخلافة ونعريضا بذهبيهم في انه اخي بامامة
الصلوة من ابي بكر لما هو مذهبهم وبعدهم فخصوه بهذا اللقب ولبن يسوقون اليه منصب
الخلافة من بعده فكانوا كلهم يستون بالامام ما داموا يدعون لم في الخلفاء حتى اذا
يستولون على الدولة يحولون اللقب فيها بعده الى امير المؤمنين كما فعلت شيعة بني العباس
فانهم ما زالوا يدعون انهم بالامام الى ابراهيم الذي جهروا بالدعالة وعقدوا الرايات
للحرب على امره فلما هلك دعي اخوه السفاح بامير المؤمنين وكذا الرافضة بافرقية فانهم
ما زالوا يدعون انهم من ولد اسماعيل بالامام حتى انتهى الامر الى عبيد الله المهدي وكانوا
ايضا يدعون بالامام ولايتو الي القاسم من بعده فلما استوسق لم الامر دعوا من بعدهم
بامير المؤمنين وكذا الادارسة بالمغرب كانوا يلتفتون ادريس بالامام وابنه ادريس
الاخضر كذلك وهكذا شأنهم وتوارث الخلفاء هذا اللقب بامير المؤمنين وجعلوه ممة ابن
ملك الحجاز والشام والعراق الموطن التي هي ديار العرب ومراكز الدولة واول الملة
طالغ وزاد ذلك في عنوان الدولة بدخها لقب اخر للثناء بغيره بعضهم عن بعض
لما في امير المؤمنين من الاشتراك بينهم فاستحدث ذلك بنو العباس حجابا لاسانهم الاعلام
عن امتها في السنة السوقة وصوتا لها عن الابتذال فتلقبوا بالسفاح والمصور والمهدي
والهادي والمرشيد الى اخر الدولة واقتفى اثرهم في ذلك العبيد بن افرقية ومصر وتنجاني
بنو امية عن ذلك بالمشرق قبلهم مع الغضاضة والسداجة لان العزوية ومناعها لم
تأخرهم حينئذ ولم يقول عنهم شعار البداوة الى شعار الحضارة واما بالاندلس فتلقبوا
كسلفهم مع ما علموا من انفسهم من القصور عن ذلك بالصور عن ملك الحجاز اصل العرب
والملة والبعد عن دار الخلافة التي هي مركز العصية وانهم انما منعوا بامارة القاصية انفسهم
من مهالك بنف العباس حتى اذا جاء عبد الرحمن الداخل الاخر منهم وهو الناصر بن
محمد بن الامير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاوسط لاول المائة الرابعة واشتهر ما
نال الخلافة بالمشرق من الحبحر واستبداد الموالي وعيتم في الخلفاء بالعلل والاستبدال
والقتل والتميل ذهب عبد الرحمن هذا الى مثل مذاهب الخلفاء بالمشرق وافرقية وتسمى
بامير المؤمنين وتلقب بالناصر لدين الله واخذت من بعده عادة ومذهب لئن عنه ولم
يكن لا بائس وسلف قوم واسم الحال على ذلك الى ان انقرضت عصبية العرب اجمع
وذهب رتم الخلافة وتقلب الموالي من العجم على بني العباس والصنائع على العبيدين

وإنما وقع الملك لمن وقع منهم بالعرض ولا مر غير ديني وهو ما اقتضته لم العصبية لما فيها
 من الطلب للملك بالطبع لما قدمناه لانهم غير مكثوبين بالنفاس على الامم كما في الملة
 الاسلامية وإنما هم مطلوبون باقامة دينهم في خاصتهم ولذلك بقي بنو اسرائيل من بعد
 موسى ويوشع صلوات الله عليهما نحوار بعثة سنة لا يعتنون بشيء من امر الملك انما هم
 اقامة دينهم فقط وكان القائم بوبينهم يسمى الكوهن كانه خليفة موسى صلوات الله عليه يقيم
 لهم امر الصلاة والتربات ويشترطون فيوان يكون من ذرية هارون صلوات الله عليه
 لان موسى لم يعقب ثم اخذوا لاقامة السياسة التي هي للبشر بالطبع سبعين شيخا كانوا
 يتلون احكامهم العامة والكوهن اعظم منهم رتبة في الدين وابتعد عن شغب الاحكام
 واتصل ذلك فهم الى ان استحكمت طبيعة العصبية ونحضت الشوكه للملك فقبلوا
 الكنعانيين على الارض التي اوزعهم الله بيت المقدس وما جاورها كما بين لم على لسان
 موسى صلوات الله عليه فماربهم امم الفاسطين والكنعانيين والارمن والاردن وعمان
 ومارب ورياستهم في ذلك راجعة الى شيوخهم واقاموا على ذلك نحو من اربع مئة سنة ولم
 تكن بهم صولة الملك وصخر بنوطا لوت وغلب الامم وقتل جالوت ملك الفاسطين
 ثم ملك بعده داود ثم سليمان صلوات الله عليهما واستغفل ملكه وامنت الى الحجاز ثم اطراف
 اليمن ثم الى اطراف بلاد الروم ثم افترق الاسباط من بعد سليمان صلوات الله عليه
 بمقتضى العصبية في الدول كما قدمناه الى دواين كانت احداها بالحزيرة والموصل
 الاسباط العشرة والاخرى بالقدس والشام لبني يهوذا وبنيامين ثم عليهم بخت نصر ملك
 بابل على ما كانت بايديهم من الملك اولا الاسباط العشرة ثم ثانيا لبني يهوذا وبيت
 المقدس بعد انفصال ملكهم نحو الف سنة وخرب معبدهم واحرق توراتهم وامات دينهم
 ونقلهم الى اصهبان وبلاد العراق الى ان ردهم بعض ملوك الكيانية من الفرس الى بيت
 المقدس من بعد سبعين سنة من خروجهم فقبل المسيح واقاموا امر دينهم على الراس الاول
 للكنية فقط والملك للفرس ثم غلب الاسكندر ونوبونان على الفرس وصار اليهود في ملكهم
 ثم قتل امر اليونانيين فاعتز اليهود عليهم بالعصبية الطبيعية ودفعهم عن الاستيلاء عليهم
 وقام بملكهم الكهنة الذين كانوا فيهم من بني حشيناى وقاتلوا يونان حتى انقض امرهم
 وعليهم الروم فصاروا تحت امرهم ثم رجعوا الى بيت المقدس وفيها بنو هيردوس اصهار
 بني حشيناى وقيس دولتهم فحاصروهم مدة ثم افتقوها عنوة ونشروا في القتل والهدم والتخريق
 وخربوا بيت المقدس واجلوا عنها الى رومة وماوراءها وهو الخراب الثاني للمسيح ويسمى

ويقال انه كان دعي لبايع المومنين من قبل ادبا مع رتبة الخلافة لما كان عليه وقومه
 المرابطون من اتحال الدين واتباع السنة وجاء المهدي على اثرهم داعياً الى الحق اخذوا
 بمذاهب الاشعرية داعياً على اهل المغرب عدوهم عنها الى تقليد السلف في ترك التاويل
 لظاهر الشريعة وما يؤول اليه ذلك من التجسيم كما هو معروف في مذهب الاشعرية
 وسعى اتباعه الموحدين تعريضاً بذلك للتكبر وكان يرى رأي اهل البيت في الامام
 المعصوم وانه لا بد منه في كل زمان يحفظ بوجوده نظام هذا العالم فسمي بالامام لما قلناه
 أولاً من مذهب الشيعة في القاب خلفائهم وارادف بالمعصوم اشارة الى مذهبه في عصمة
 الامام ونزعه عند اتباعه عن امير المومنين اخذوا بمذاهب المتقدمين من الشيعة ولما فيها
 من مشاركة الاغفار والولدان من اعقاب اهل الخلافة يومئذ بالمشرق ثم انتحل عبد
 المومن ولي عهده القلب بامير المومنين وجرى عليه من بعده خلفاء بني عبد المومن
 واكل ابي حفص من بعدهم استثناءً يو عن سوام لما دعا اليه شيخهم المهدي من ذلك
 والله صاحب الامر واولياؤه من بعده كذلك دون كل احد لا تنفاه عصبية قريش
 وتلاشيها فكان ذلك داعهم ولما انتفض الامر بالمغرب وانتزعت زانته ذهب اولهم مذاهب
 البداءة والسداجة واتباع لتونة في اتحال القلب بامير المومنين ادبا مع رتبة الخلافة التي
 كانت على طاعتها لبني عبد المومن أولاً ولبنى ابي حفص من بعدهم ثم نزع المتأخرون
 منهم الى القلب بامير المومنين وانتقلوه لهذا العهد استبلاغاً في منازع الملك وتبنياً لمذاهب
 وسماج والله غالب على امره

الفصل الثالث والثلاثون

في شرح اسم البابا والبطرك في الملة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود
 اعلم ان الملة لا بد لها من قائم عند غيبة النبي بحملهم على احكامها وشرائعها ويكون
 كالحملية فيهم للنبي فيما جاء به من التكليف والنوع الانساني ايضاً بما تقدم من ضرورة
 السياسة فيهم للاجتماع البشري لا بد لهم من شخص يحملهم على مصالحهم ويزعم عن مفاسد
 بالشر وهو المسي بالملك والملة الاسلامية لما كان الجهاد فيها مشروعاً وعموم الدعوة وحمل
 الكفاية على دين الاسلام طوعاً او كرهاً اتخذت فيها الخلافة والملك لتوجه الشوكة من
 القائمين بها اليها معاً واما ما سوى الملة الاسلامية فلم تكن دعوتهم عامة ولا الجهاد عندهم
 مشروعاً الا في المدافعة فقط فصار القائم بامر الدين فيها لا يعنيه شيء من سياسة الملك

البطرك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم يبعث نيابة وخلفاءه الى ما بعد عنه من
 اعم النصرانية ويسمونه الاسقف اي نائب البطرك ويسمون الامام الذي يقيم الصلوات
 ويقيمهم في الدين بالقسيس ويسمون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالارهاب
 واكثر خلواتهم في الصوامع وكان بطرس الرسول راس الخواريين وكبير التلاميذ برومية
 يقيم بها دين النصرانية الى ان قتله يروزخاس القباصرة فيمن قتل من البطارق والاساقفة
 ثم قام بخلافته في كرسي رومية اربوس وكان مرقاس الانجيلي بالاسكندرية ومصر والمغرب
 داعيا سبع سنين فقام بعده حنايا ونسي بالبطرك وهو اول البطاركة فيها وجعل معه
 اثني عشر قسا على انه اذا مات البطرك يكون واحدا من الاثني عشر مكانا ويختار من
 المؤمنين واحدا مكان ذلك الثاني عشر فكان امر البطاركة الى القسوس ثم لما وقع الاختلاف
 بينهم في قراعه دينهم وعقائده واجتمعوا منيقية ايام قسطنطين لصبر الحق في الدين واتفق
 ثلاثمائة وعشرون اساقفتهم على رأي واحد في الدين فكتبوه وسموه الامام وصبروه
 اصلا يرجعون اليه وكان فيما كتبه ان البطرك القاطن بالدين لا يرجع في تعيينه الى اجتهاد
 الاسقف كما قرره حنايا تلميذ مرقاس واطلبوا ذلك الرأي وانما يقسم عن ملاء واختياره من
 آئمة المؤمنين وروسائهم فبقي الامر كذلك ثم اختلفوا بعد ذلك في تقرير قواعد الدين
 وكاست لم يجتمعوا في تقريره ولم يختلفوا في هذه القاعدة فبقي الامر فيها على ذلك واتصل
 فيهم نيابة الاساقفة عن البطاركة وكان الاساقفة يدعون البطرك بالاب ايضا تعظيما له
 فاشبهه الاسم في اعصار متطاولة يقال اخرها بطركية هرقل باسكندرية فارادوا ان يبرزوا
 البطرك عن الاسقف في التعظيم فدعوه البابا ومعناه ابو الآباء وظهر هذا الاسم اول
 ظهوره بمصر على ما زعم جرجس بن العميد في تاريخه ثم نقلوه الى صاحب الكرسي الاعظم
 عندهم وهو كرسي رومية لانه كرسي بطرس الرسول كما قدمناه فلم يزل سمة عليه الى الان
 ثم اختلفت النصارى في دينهم بعد ذلك وفيما يعتدونه في المسيح وصاروا طوائف وفرقا
 واسطرخوا يملوك النصرانية كل على صاحبه فاختلف الحال في العصور في ظهور فرقة
 دون فرقة الى ان استقرت لم ثلاثة طوائف هي فرقة ولا يلقنون الى غيرها وهم الملكية
 واليعقوبية والنسطورية ولم نر ان لسغم اوراق الكتاب بذكر مذاهب كفرهم في على الجملة
 معروفة وكما كفر كما صرح به القرآن الكريم ولم يبق بيننا وبينهم في ذلك جدال ولا
 استدلال انما هو الاسلام او المجزية او النتل ثم اخصت كل فرقة منهم بطرك بطرك
 رومية اليوم المسمى البابا على رأي الملكية ورومية اللاذقية وملكهم فاقم تلك الناحية بطرك

اليهود بالجلود الكبرى فلم يبق لهم بعدها ملك لفقدان العصية منهم وبقي بعد ذلك في
 ملكة الروم من بعدهم بقيم لم امرديهم الرئيس عليهم المسيح بالكنوهر * ثم جاء المسيح
 صلوات الله وسلامه عليه بما جاءه من الدين وانتخب لبعض احكام التوراة وظهرت على
 يديه المحارق العجيبة من ابراء الاكمة والابرص واحياء الموتى واجتمع عليه كثير من الناس
 وامتنوا به واكثرهم المحاريبون من اصحابه وكانوا اثني عشر وبعث منهم رسلاً الى الافاق
 داعين الى ملته وذلك ايام اوغسطس اول ملوك القياصرة وفي مدة هيردوس ملك اليهود
 الذي انتزع الملك من بني حشمناي اصهاره فحسده اليهود وكذبوه وكان هيردوس
 ملكهم ملك القياصرة اوغسطس يفر به فاذا لم يبق له في قتل ووقع ما تلاه القرآن من امره
 وافترق المحاريبون شيعة ودخل اكثرهم بلاد الروم داعين الى دين النصرانية وكان بطرس
 كبيرهم فنزل برومة دار ملك القياصرة ثم كتبوا الانجيل الذي انزل على عيسى صلوات
 الله عليه في نسخ اربع على اختلاف رواياتهم فكتب متى الانجيل في بيت المقدس بالعبرانية
 ونقطة يوحنا بن زبدي منهم الى اللسان اللاتيني وكتب لوقا منهم الانجيل باللاتيني الى بعض
 اكابر الروم وكتب يوحنا بن زبدي منهم الانجيل برومة وكتب بطرس الانجيل باللاتيني
 ونسبه الى مرقس تلميذه واختلفت هذه النسخ الاربعة من الانجيل مع انها ليست كلها وحياً
 صرنا بل مشوبة بكلام عيسى عليه السلام وبكلام المحاريبين وكلها مواظ وقصص
 والاحكام فيها قليلة جداً واجتمع المحاريبون الرسل لذلك العهد برومة ووضعوا قوانين
 الملة النصرانية وصيروها بيد اقليمطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب
 قبولها والعمل بها من شريعة اليهود القديمة التوراة وفي خمسة اسفار وكتاب يشوع وكتاب
 القضاة وكتاب راعوث وكتاب يهوذا واسفار الملوك اربعة وسفر بنيامين وكتاب القضاة
 لاين كريبون ثلاثة وكتاب عزرا الامام وكتاب اوشير وقصة هامان وكتاب ايوب
 الصديق ومزامير داود عليه السلام وكتاب ابنه سليمان عليه السلام خمسة ونبوءات الانبياء
 الكبار والصغار ستة عشر وكتاب يشوع بن شارخ وزر سليمان ومن شريعة عيسى صلوات
 الله عليه المتلفة من المحاريبين نسخ الانجيل الاربعة وكتب القناليقون سبع رسائل وثامنها
 الابريكسيس في قصص الرسل وكتاب بولس اربع عشرة رسالة وكتاب اقليمطس وفيه
 الاحكام وكتاب ابو غالميس وفيه رؤيا يوحنا بن زبدي واختلف شأن القياصرة في
 الاخلاص بهذه الشريعة تارة وتعظيم اهلها ثم تركها اخرى والتسلط عليهم بالقتل والبي الى ان
 جاء قسطنطين واخذها واستمر عليها وكان صاحب هذا الدين والمقيم لمراسمه يسوونه

كما يتي في ذلك واضطلاحه فذلك قد توجد في رجل واحد وقد تترك في أشخاص وقد
 يتفرع كل واحد منها الى فروع كثيرة كالقلم يتفرع الى قلم الرسائل والمخطبات وقلم
 الصكوك والاقطاعات والى قلم الحسابات وهو صاحب الجباية والعطاء وديوان الجبش
 وكالسيف يتفرع الى صاحب الحرب وصاحب الشرطة وصاحب البريد وولاية الثغور ثم
 اعلم ان الوظائف السلطانية في هذه الملة الاسلامية مندرجة تحت الخلافة لاجتماع منصب
 الخلافة على الدين والدنيا كما قدمناه فالاحكام الشرعية متعلقة بجميعها وموجودة لكل واحدة
 منها في سائر وجوهها العموم تعاقب الحكم الشرعي بجميع افعال العباد والنفق ينظر في مرتبة
 الملك والسلطان وشروط تقليدها استنادا على الخلافة وهو معنى السلطان او نحو ايضا
 منها وهو معنى الوزارة عندهم كما ياتي وفي نظره في الاحكام والاموال وسائر السياسات
 مطلقا او مقيدا وفي موجبات العزل ان عرضت وغير ذلك من معاني الملك والسلطان
 وكذا في سائر الوظائف التي تحت الملك والسلطان من وزارة او جباية او ولاية لابد
 للنفق من النظر في جميع ذلك كما قدمناه من استحباب حكم الخلافة الشرعية في الملة الاسلامية
 على رتبة الملك والسلطان الا ان كلامنا في وظائف الملك والسلطان وربته انما هو مقتضى
 طبيعة العرمان ووجود البشر لا بما يخصها من احكام الشرع فليس من غرض كتابنا كما
 علمت فلا نحتاج الى تفصيل احكامها الشرعية مع انها مستوفاة في كتب الاحكام السلطانية
 مثل كتاب القاضي ابي الحسن الماوردي وغيره من اعلام الفقهاء فان اردت استيفاءها
 فعليك بها لعنما هنا لك وانما نكتلها في الوظائف الخلافية وافردنا لها لغير بينها وبين
 الوظائف السلطانية فقط لا لتحقيق احكامها الشرعية فليس من غرض كتابنا وانما نتكلم
 في ذلك بما تقتضيه طبيعة العرمان في الوجود الانساني والله الموفق

الوزارة * وهي أم الخطة السلطانية والرتب الملوكية لان اسمها يدل على مطابق
 الاعانة فان الوزارة المأخوذة اما من المارة وهي المعاونة او من الوزر وهو الفل كانه
 يحمل مع ماعله اوزاره وانقاله وهو راجع الى المعاونة المطلقة وقد كنا قدمنا في اول
 الفصل ان احوال السلطان وتصرفاته لا تعدوا رتبة لانها اما ان تكون في امور حماية
 الكفاية واسباغها من النظر في الجند والسلاح والحروب وسائر امور الحاية والمطالبة
 وصاحب هذا هو الوزير المتعارف في الدول القديمة بالشرق ولهذا العهد بالمغرب وانما
 ان تكون في امور مخاطباته ان بعد عنه في المكان او في الزمان وتنبئة الامم فمن هو
 مخرب عنه وصاحب هذا هو الكاتب وانما ان تكون في امور جباية المال وانفاقه وضبطها

المعاهد من مصر على رأى العنصرية وهو ساكن بين ظهرانهم والحشة يدينون بدنيهم
وليطرك مصر فهم اساقفة بنوبون عنه في اقامة دينهم هنا لك واخص اسم البابا بطرك
رومة لهذا العهد ولا نسي اليعاقبة بطركهم بهذا الاسم وضبط هذه اللفظة بباء بين موحدين
من اسفل والناطق بها مخفية والثانية مشددة ومن مذاهب البابا عند الافرنجة انه يحضهم
على الانقياد للملك واحد يرجعون اليه في اختلافهم واجتماعهم تخرجاً من افتراق الكلكية
ويقرى به العصية التي لا فوقها منهم لتكون يده عالية على جميعهم ويسمونه الانبرذور^(١)
وحرفة الوسط بين النزال والظاء المحبة بين ومباشره يضع التاج على رأسه للتبرك فيسمى
المنرج ولعله معنى لفظه الانبرذور وهذا المخلص ما اورده من شرحه من الاسمين اللذين
هما البابا والكهنه والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء

الفصل الرابع والثلاثون

في مراتب الملك والسلطان والقابها

اعلم ان السلطان في نفسه ضعيف يجعل امراً ثقيلاً فلا بد له من الاستعانة بابناء
جنسه واذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنة^(٢) فما ظنك بسياسة نوعه ومن
استعاه الله من خلقه وعباده وهو يحتاج الى حماية الكافة من عدوه بالمداخلة عنهم والى
كف عدوان بعضهم على بعض في انفسهم بامضاء الاحكام الوازنة فيهم وكف العدوان
عليهم في اموالهم باصلاح سائلهم والى حملهم على مصالحهم وما تمهم به البلى في معاشهم
ومعاملاتهم من تقفد المعاش والمكاييل والموازن حذراً من التطفيف والى النظر في
السكة بحفظ النقود التي يتعاملون بها من الغش والى سياستهم بما يريكم منهم من الانقياد
له والرضى بمناصحه منهم وانفراده بالجدد دونهم فيجعل من ذلك فوق الغاية من معاناة
القلوب قال بعض الاشراف من الحكماء لمعانة نقل الجبال من اماكنها اهون علي من
معانة قلوب الرجال ثم ان الاستعانة اذا كانت باولى القرى من اهل النسب او التربية او
الاصطناع القدام للدولة كانت اكمل لما يقع في ذلك من محاسنة خاتمهم لخلقهم فتمت المشاكلة
في الاستعانة قال تعالى واجعل لي وزيراً من اهلي هارون اخي اشد به آزري واشركه
في امري وهو اما ان يستعين في ذلك بسينه او قلبه او رايه او معارفه او محباي عن الناس
ان يردحوا عليه فيشغلوه عن النظر في مهماتهم او يدفع النظر في الملك كله ويعول على

١ الانبرذور قد ابراطور بالظا البلية والفرس نزل ابرور ومعناها عديم ملك الملك ١٠٤ ٢ المهنة المحنة
ومعناها من كبر الام

وشغلهم بهم عن المهمات فاتخذوا من يوم لم يذلك وسموه المحاجب وقد جاء ان عبد الملك لما ولي حاجبه قال له قد وليتك حجابة باي الا عن ثلاثة المودن للصلاة فانه داعي الله وصاحب البر يد فامر ما جاء به وصاحب الطعام لئلا يفسد ثم استخيل الملك بعد ذلك فظهر المشاور والمعين في امور القبائل والعصائب واستتلافهم واطلق عليه اسم الوزير وبقي امر المحاسبان في الموالي والذبيبتين واتخذ للسيارات كاتب مخصوص حوطة على اسرار السلطان ان تشهر فتنفسد سياسته مع قومه ولم يكن بمثابة الوزير لانه انما اجمع له من حيث الخط والكتاب لا من حيث اللسان الذي هو الكلام اذ اللسان لذلك العهد على حاله لم يفسد فكانت الوزارة لذلك ارفع رتبهم يومئذ هذا في سائر دولة بني أمية فكان النظر للوزير عام في احوال التدبير والمناوصات وسائر امور المحتايات والمطالعات وما يتبعها من النظر في ديوان الجند وفرض العطاء بالاهلة وغير ذلك فلما جاءت دولة بني العباس واستخيل الملك وعظمت مراتبه وارتفعت عظم شأن الوزير وصارت المواليات في انفاذ العمل والقدر وتعينت مرتبة في الدولة وعنت لها الرجوع وخضعت لها الرقاب وجعل لها النظر في ديوان المحاسبان لما تحتاج اليه خطبة من قسم الاعطيات في الجند فاحتاج الى النظر في جمعه ونظره واصيب اليه النظر فيه ثم جعل له النظر في العلم والترسل لصون اسرار السلطان وحفظ البلاغة لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور وجعل الخاتم لسيارات السلطان ليحفظها من الدباغ والشياع ودفع اليه فصار اسم الوزير جامعا لمخفي السيف والشمس ومعاني الوزارة والمعاونة حتى لقد دعي جعفر بن يحيى بالسلطان ايام الرشيد اشارة الى نعمه ونظروا وقيامه بالدولة ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها الا الخيانة التي هي القيام على الباب فلم يكن له لاستنكافه عن مثل ذلك ثم جاء في الدولة العباسية شأن الاستبداد على السلطان وتعاور فيها استبداد الوزارة مرة والسلطان اخرى وصار الوزير اذا استبد محتملا الى استنابة الخليفة اياه لذلك لنصح الاحكام الشرعية وتبقي على حاله كما تقدم فانقسمت الوزارة حينئذ الى وزارة تنفيذ وهي حال ما يكون السلطان قائما على نفسه والى وزارة تفويض وهي حال ما يكون الوزير مستبدا عليه ثم استمر الاستبداد وصار الامر للملك العجم وتعطل رسم الخلافة ولم يكن لاولئك المتغلبين ان يتغلوا القاب بالخلافة واستفكوا من مشاركة الوزراء في القاب لانهم خول لم يقتسموا بالامارة والسلطان وكان المستبد على الدولة يسمى امير الامراء او بالسلطان الى ما يجلبه به الخليفة من القاب كما نراه في القامح وتركوا اسم الوزارة الى من يتولاها للامانة في خاصه ولم يزل هذا الشأن عند من الى اخر دولتهم وفسد السان خلال

ذلك من جميع وجوهه وان يكون بضيعة وصاحب هذا هو صاحب المال والحجابة وهو
السي باوزير لهذا العهد بالمشرق وإما ان يكون في مدافعة الناس ذوي الحاجات عنه
ان يردحموا عليه فيشغلوه عن فهمه وهذا راجع لصاحب الباب الذي يجنبه فلا تعدى
احواله هذه الاربعة بوجه وكل خطلة او رتبة من رتب الملك والسلطان فالها يرجع
الا ان الرفع منها ما كانت الاعانة فيه عامة فيا تخت يد السلطان من ذلك الصنف اذ
هو يقتضي مباشرة السلطان دائماً ومشاركة في كل صنف من احوال ملكه وإما ما كان
خاصاً ببعض الناس او بعض الجهات فيكون دون المرتبة الاخرى كقيادة نفر او ولاية
جباية خاصة او النظر في امر خاص كمسبة الطامام او النظر في السكة فان هذه كلها نظر
في احوال خاصة فيكون صاحبها تبعاً لاهل النظر العام وتكون رتبة مرئوسه لاولئك وما
زال الامر في الدول قبل الاسلام هكذا حتى جاء الاسلام وصار الامر خلافة فذهبت
تلك الخطط كلها بذهاب رسم الملك الى ما هو طبيعي من المعاونة بالاراي والمفاوضة فيه
فلم يمكن زواله اذ هو امر لا بد منه فكان صلى الله عليه وسلم يشاور اصحابه ويناقضهم في
مهماته العامة والخاصة ويختص مع ذلك ابا بكر بنصوصيات اخرى حتى كان العرب الذين
عرفوا الدول واحوالها في كسرى وقيصروا لبيثاني يسمون ابا بكر وزبيرة ولم يكن انظر
الوزير يعرف بين المسلمين لذهاب رتبة الملك استجابة الاسلام وكذا عمر مع ابي بكر
وعلي وعثمان مع عمر وإما حال الحجابة والانفاق والحسبان فلم يكن عندهم رتبة لان التور
كانوا عرباً أمينين لا يحسنون الكتاب والحساب فكانوا يستعملون في الحساب اهل
الكتاب او افراداً من موالي العجم من بيده وكان قليلاً فيهم وإما اشرافهم فلم يكونوا
يبيدونه لان الامية كانت صفتهم التي امتازوا بها وكذا حال الخطاطبات وتنفيذ الامور
لم تكن عندهم رتبة خاصة للامية التي كانت فيهم والامانة العامة في كتابان القول وتأديته
ولم تخرج السياسة الى اختياره لان الخلافة انما هي دين ليست من السياسة الملكية في شيء
وايضاً فلم تكن الكتابة صناعة فيستجاء للبلغة احسنها لان الكل كانوا يعبرون عن مقاصد
بالغة العبارات ولم يبن الا الخط فكان الخليفة يستنقب في كتابته متى عن له من يحسنه
ولما مدافعة ذوي الحاجات عن اربابهم فكان محظوراً بالشرعية فلم يفعلوه فلما اقبلت
الخلافة الى الملك وجاءت رسوم السلطان والفاقة كان اول شيء يدعى به في الدولة شأن
الباب وسنة دون الجمهور وما كانوا يخشون عن انفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم كما
وقع بعد علي ومعاوية وعمر بن العاصي وغيرهم مع ما في فتنة من ازدهام الناس عليهم

الاموية والعاسية بن محجب السلطان عن العامة ويتلقى بابه دونهم او يفضله لم على قدره
 في موافقته وكانت هذه منزلة يوشع عن الخطاط مرشدة لها اذ الوزير متصرف فيها بما
 يراه وهكذا كانت سائر ايام بني العباس والى هذا العهد فني بمصر مرشدة لصاحب
 الخططة العليا المسمى بالنائب * واما في الدولة الاموية بالاندلس فكانت المحجبة لمن
 محجب السلطان عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم فكانت
 في دولتهم رفعة غاية كما نراه في اخبارهم كابن حديد وغيره من حجاجهم ثم لما جاء الاستبداد
 على الدولة اخص المسمى باسم المحجبة لشرعها فكان المنصور ابي عامر وابنائهم كذلك
 ولما بدوا في مظاهر الملك واطواره جاء من بعدهم من ملوك الطوائف فلم يتركوا لغيرها
 وكانوا يعشرون شرقا ولم وكان اعظمهم ملكا بعد انتقال القاب الملك واسما لا بد له من
 ذكر المحاجب وبني الوزاريين يعنون به السيف والقلم وبدلون بالمحجبة على حجة
 السلطان عن العامة والخاصة وبني الوزاريين على جمعه لخطي السيف والقلم ثم لم يكن
 في دول المغرب وافريقية ذكر لهذا الاسم للدلالة التي كانت فيهم وربما يوجد في دولة
 العبيدين بمصر عند استعظامهم وحضارتها الا انه قليل * ولما جاءت دولة الموحدين
 لم تستمكن فيها الحضرة الداعية الى انتقال الالقاب وتغيير الخطاط وتعيينها بالاسماء الا
 اخرها فلم يكن عندهم من الرتب الا الوزير فكانوا اولاً يتصرف بهذا الاسم الكاتب
 المتصرف المشارك السلطان في خاص امره كان عطية وعبد السلام الكوي وكان له
 مع ذلك النظر في الحساب والاشغال المالية ثم صار بعد ذلك اسم الوزير لاهل نسب
 الدولة من الموحدين كابن جامع وغيره ولم يكن اسم المحاجب معروفا في دولتهم يوشع *
 (واما بنو ابي حصن بافريقية فكانت الرياسة في دولتهم اولاً والتقدم لوزير الراي
 والمشورة وكان يخص باسم شيخ الموحدين وكانت له النظر في الولايات والعزل وقود
 العساكر والمحروب واخص الحساب والديوان برتبة اخرى ويسمى متوليا بصاحب
 الاشغال ينظر فيها النظر المطاف في الدخل والمخرج وبخاصة ويستخلص الاموال
 ويعاقب على التفریط وكان من شرطه ان يكون من الموحدين واخص عدم القلم ايضا
 من يجيد الترسيل ويؤمن على الاسرار لان الكتابة لم تكن من متعلقات القوم ولا الترسيل
 لاسانهم فلم يشترط فيه النسب واحتاج المظان لاتاع ملكه وكثرة المرتزقين بداره الى
 قهرمان خاص بداره في احرازها يجرى على قدرها وترتيبها من رزق وعطاء وكسوة
 ونفقة في المظان والاصطبلات وغيرها وحصر النخيرة وتنفيذ ما يحتاج اليه في ذلك على

ذلك كله وصارت صناعة يتقنها بعض الناس فامتنت وترفع الوزراء عنها لذلك ولا تهم عجم وليست تلك البلاغة في المنصودة من لسانهم فغير لها من سائر الطبقات واختصت به وصارت خادمة للوزير واختص اسم الامير بصاحب الحروب والجند وما يرسم العها وبده مع ذلك عالية على اهل الرتب وامره نافذ في الكل اماناية او استنادا واستمر الامر على هذا ثم جاءت دولة الترك آخرًا بمصر فראوا ان الوزارة قد انتقلت بترفع اولئك عنها ودفعها ان يقوم بها الخليفة المحجور ونظرة مع ذلك متعقب بنظر الامير فصارت مرؤسة نافذة فاستنكف اهل هذه الرتبة العالية في الدولة عن اسم الوزارة وصار صاحب الاحكام والنظر في الجند يسمى عندهم بالنائب لهذا العهد وبقي اسم الحاجب في مدلوله واختص اسم الوزير عندهم بالنظر في الجباية . ولما دولة غيب امية بالاندلس فانقل اسم الوزير في مدلوله اول الدولة ثم قسموا خطته اصنافًا وافردوا لكل صنف وزيرًا فعملوا لحسان المال وزيرًا وللترسيل وزيرًا والنظر في حوائج المظلمين وزيرًا والنظر في احوال اهل الثغور وزيرًا وجعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش مضدة لهم وينفذون امر السلطان هناك كل فيما جعل لهم لفرد للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم مباشرة السلطان في كل وقت فارتفع مجلسه عن مجالسهم وخصوه باسم الحاجب ولم يزل الشأن هذا الى آخر دولتهم فارتفعت خطه الحاجب ومرتبة على سائر الرتب حتى صار ملوك الطوائف يتولون لتهب فاكثرتهم بومئذ يسمى الحاجب كما نذكره ثم جاءت دولة الشيعة بافرقية والقروان وكان الثمانين بهار سوخ في الداق فاغفلوا امر هذه الخطوط اولًا وتنبع اسمائها حتى ادركت دولتهم الحضارة فصاروا الى تقليد الدولتين قبلهم في وضع اسمائها كما تراه في اخبار دولتهم * ولما جاءت دولة الموحدين من بعد ذلك اغفلت الامرا ولا للدواق ثم صارت الى اتصال الاسماء والالقب وكان اسم الوزير في مدلوله ثم اتبعوا دولة الامويين وقلدها في مذاهب السلطان واخاروا اسم الوزير لمن يحجب السلطان في مجلسه ويوقف الوفود والدخاين على السلطان عند الحدود في تحميمهم وخطابهم والاداب التي تزم في الكون بين يده ورفعه خطه المحجبة عنه ما شاء ولم يزل الشأن ذلك الى هذا العهد واما في دولة الترك بالشرق فيسبون هذا الذي يفت بالناس على حدود الاداب في اللقاء والفتية في مجالس السلطان والقدوم لوفود بين يده والودارو يضيئون اليه استماع كاتب السر واصحاب البريد المنصرفين في حاجات السلطان بالناصية وبالخاصة وحالم على ذلك لهذا العهد والله موالي الامور لمن يشاء * (الحجاجة) * قد قدّمنا ان هذا اللقب كان مخصوصًا في الدولة

في طبقات العامة والمجد عند الترافع اليهم وإجبار من اى الانتقاد للحكم وطورهم تحت
 بطور النيابة والوزير في دولة الترك هو صاحب جباية الاموال في الدولة على اختلاف
 اصنافها من خراج او مكس او جزية ثم في تصريفها في الانفاقات السلطانية او الخجريات
 المقدرة وله مع ذلك التولية والعزل في سائر العمال المباشرين لهذه الجباية والتفويض على
 اختلاف مراتبهم وتباين اصنافهم ومن عوائدهم ان يكون هذا الوزير من صنف القبط
 القائمين على ديوان المحسبان والجباية لاختصاصهم بذلك في مصر منذ عصور قديمة وقد
 يوليها السلطان بعض الاحيان لاهل الشوكة من رحالات الترك او ابايهم على حسب
 الادعية لذلك والله مدبر الامور ومصرفها بحكمته لا اله الا هو رب الاولين والاخرين

ديوان الاعمال والجبايات

اعلم ان هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك وهي القيام على اعمال الجبايات
 وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخروج واحصاء العساكر باسمهم وتدريب اربابهم
 وصرف اعطياتهم في ايامها والرجوع في ذلك الى القوائم التي يترتها قومة تلك
 الاعمال وقهارة الدولة وفي كل ما مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في الدخل
 والخروج مئى على جزء كبير من الحساب لا يقوم به الا المهرة من اهل تلك الاعمال
 ويسمى ذلك الكتاب بالديوان وكذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها . ويقال
 ان اصل هذه التسمية ان كسرى فخر بوما الى كتاب ديوانه وهم يمسبون على انفسهم
 كاسهم بمجادثون فقال ديوانه اي هاتين بلغة الفرس فسمى موضعهم بذلك وحديث الهاء
 لكثرة الاستعمال تخفيفاً فقول ديوان ثم قل هذا الاسم الى كتاب هذه الاعمال المضمن
 القوائم والمحسبات وقيل انه اسم للشباطين بالنارسية سمي الكتاب بذلك لسرعة
 تدوهم في فهم الامور ووقوفهم على الجلي منها والحكي وجمعهم لما شذ وتفرق ثم قل الى
 مكان جلوسهم لتلك الاعمال وعلى هذا فينبول اسم الديوان كتاب الرسائل ومكان
 جلوسهم باب الساطان على ما ياتي بعد وقد تقدم هذه الوظيفة بناظر واحد يمار في
 سائر هذه الاعمال وقد يفر كل صنف منها بناظر كما يفر في بعض الدول الناظر في
 العساكر واقطاعاتهم وحسابات اعطياتهم او غير ذلك على حسب مصالح الدولة وما
 قرره اولها . واعلم ان هذه الوظيفة اذا تحدثت في الدول عند تمكن العلب والاستيلاء
 والظفر في اعطاف الملك وتنبؤ التهرب والاول من وضع الديوان في الدولة الاسلامية

اهل الحجابة مخصوصه باسم الحاجب وربما اضاف اليه كتابة العلامة على السجلات اذا اتفق
انه يحسن صناعة الكتابة وربما جعلوه لغيره واستمر الامر على ذلك وحجب السلطان نفسه
عن الناس فصار هذا الحاجب واسطة بين الناس وبين اهل الرتب كلهم ثم جمع له آخر
الدولة السيف والحرب ثم الرأي والمشورة فصارت الخطة ارفع الرتب وأوعبها لفظط
ثم جاء الاستبداد والمجبرمة من بعد السلطان الثاني عشر منهم ثم استند بعد ذلك
حنيفة السلطان ابو العباس على نفسه واذهب اثار الحجج والاستبداد باذهاب خطة
الحجابة التي كانت سلمًا اليه وباشر اموره كلها بنفسه من غير استعانة احد بالامر على
ذلك لهذا العهد

واما دولة زناتة بالمغرب واعظمها دولة بني مرين فلا اثر لاسم الحاجب عندهم واما
رياسة الحرب والمساكر في الوزير ورتبة القلم في المحسبان والرسائل راجعة الى من
يحسبها من اهلها وان اختصت بعض الديوث المصلحين في دولتهم وقد تجميع عندهم وقد
تفرق واما باب السلطان وحجبه عن العامة فهي رتبة عندهم فيسمى صاحبها عندهم بالوزير
ومعناه المتقدم على المجتادة المتصرفين بباب السلطان في تنفيذ اوامره وتصريف
عقوباته وارسال سطاته وحفظ المعتقلين في سجنونه والعريف علمهم في ذلك فالباب له
واخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دار العامة راجع اليه فكانها وزارة صغرى واما
دولة بني عبد الواد فلا اثر عندهم لشي من هذه الالقاء ولا تمييزا لفظ لبدء دولتهم
وقصورها واما بمصر فسمي الحاجب في بعض الاحوال منذ الخلفاء بالسلطان في داره
كما كان في دولة بني ابي حنيفة وقد يسمونه له المحسبان والسميل كما كان فيها فسمي على
ذلك تقليد الدولة بما كانوا في تبعها وقائمين بدعوتها منذ اول امرهم

واما اهل الاندلس لهذا العهد فالخصوص عندهم بالمحسبان وتنفيذ حال السلطان
وسائر الامور المالية يسوون بالوكيل واما الوزير فكان الوزير الا انه قد يجمع له الترسيل
والسلطان عندهم يضع ختلة على السجلات كلها فليس هناك ختلة العلامة كما يغيرهم من
الدول واما دولة الترك بمصر فاسم الحاجب عندهم موضوع لحاكم من اهل التوكة وهم
الترك فينفذ الاحكام بين الناس في المدينة وهم متعددون وهذه الطريقة عندهم تحت
وظيفة النيابة التي لها الحكم في اهل الدولة وفي العامة على الاطلاق والنايب التولية
والعزل في بعض الوظائف على الاحسان ويقطع الدليل من الارزاق وينتخب وتنفذ
اوامره كما تنفذ المراسم السلطانية وكان له النيابة المطلقة عن السلطان وللحجاب الحكم فقط

بل هي ثالثة أركان دولان الملك لا بد له من المحبذ والمال والمخاطبة لمن غلب عنه فأتاحت
صاحب الملك الى الاعوان في امر السيف وامر الفم وامر المال فينرد صاحبها لذلك
يجزء من رياسة الملك وكذلك كان الامر في دولة بني امية بالاندلس والطوائف بعدم
واما في دولة الموحدين فكان صاحبها انما يكون من الموحدين يستقل بالنظر في استخراج
الاموال وجعلها وضبطها وتغيب نظر الولاة والعمال فيها ثم تنفيذها على قدرها وفي مواقيتها
وكان يعرف بصاحب الاشغال وكان ربما يلجأ في الجهات غير الموحدين ممن يمسئرها
ولما استبد بنو الي حفص بافريقية وكان شان الجبالية من الاندلس قد قدم عليهم اهل
اليونان وفهم من كان يستعمل ذلك في الاندلس مثل بني سعيد اصحاب القلعة
جوار غرناطة المعروفين ببني ابي الحس فاستكنوا بهم في ذلك وجعلوا لهم النظر في
الاشغال كما كان لهم بالاندلس ودالوا فيها بينهم وبين الموحدين ثم استقل بها اهل
الحسبان والكتاب وخرجت عن الموحدين ثم لما استغلف امر الحاجب ونفذ امره في كل
شأن من شؤون الدولة تعطل هذا الرسم وصار صاحبه مؤسسا للحاجب واصبح من سجلة
الحجة وذهبت تلك الرياسة التي كانت له في الدولة . واما دولة بني مرين لهذا العهد
فحسبان العطاء والخراج مجموع الواحد وصاحب هذه الرتبة هو الذي يتبع الحسنات
كلها ويرجع الى ديوانه ونظيره معقب بنظر السلطان او الوزير وخطة معقب في صحة
الحسبان في الخراج والعطاء هذه اصول الرتب والخطا السطانية وهي الرتب العالية
التي هي عامة النظر ومباشرة السلطان . واما هذه الرتبة في دولة الترك فمتنوعة وصاحب
ديوان العطاء يعرف بنظر الجيش وصاحب المال مخصوص باسم الوزير وهو الناظر في
ديوان الجباية العامة للدولة وهو اعلى رتب الناظرين في الاموال لان النظر في الاموال
عندهم يتنوع الى رتب كثيرة لاناساج دولتهم وعقمة ساداتهم واتساع الاموال والجبايات
عن ان يستقل بضبطها الواحد من الرجال ولو بلغ في الكفاية مائة الفه فتعين للنظر العام
منها هذا الخصوص باسم الوزير وهو مع ذلك رقيب لمولى من موالى السلطان واهل
عصبته وارباب السيوف في الدولة يرجع نفار الوزير الى نظره ويجتهد جهده في متابعة
ويسمى عدم استاذ الدولة وهو احد الامراء الاكابر في الدولة من المحبذ وارباب
السيوف ويتبع هذه الخطة خطا عدم اخرى كلها راجعة الى الاموال والحسبان
مقصورة النظر على امور خاصة مثل ناظر الخاص وهو المباشر لاموال السلطان الخاصة
به من اقطاعه او سباهه من اموال الخراج وبلاد الجباية مما ليس من اموال المسلمين

عمر رضي الله عنه يقال لسبب مال أبي هريرة رضي الله عنه من الجبريت
 فاستكثره وتعبرا في قصصه فسموا الى احصاء الاموال وضبط العطاء والمحقوق فاشار
 خالد بن الوليد بالديوان وقال رايت ملوك الشام يدونون فذل منه عمر وقيل بل
 اشار عليه به الهرمزان لما رآه يبعث العوث بغير ديوان فقبل له ومن يعلم بغلبة من
 يذهب منهم فان من تخلف اخلا بكانوا وانما يضبط ذلك الكتاب فائت لم ديوانا وسأل
 عمر عن اسم الديوان فعبر له ولما اجتمع ذلك امر عقيل ابن ابي طالب ومخزومة ابن نوفل
 وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب قريش فكتبوا ديوان المساكين الاسلامية على ترتيب
 الاسباب مبتدا من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بعدها الاقرب فالاقرب
 هكذا كان ابتداء ديوان الجيش وروى الزهرري بن سعيد بن المسيب ان ذلك كان في
 الحزم سنة عشرين . واما ديوان الخراج والمجبايات فبقي بعد الاسلام على ما كان عليه
 من قبل ديوان العراق بالفارسية وديوان الشام بالرومية وكتاب الدواوين من اهل
 العهد من الفريقيين ولما جاء عبد الملك بن مروان واستمال الامر ملكا وانتقل القوم من
 غضاضة البداء الى رونق الحصار ومن سداجة الامية الى حذق الكتانة وظهر في
 العرب ومواليهم مهرة في الكتاب والمحسبان فامر عبد الملك سليمان بن سعد والي الاردن
 لعمده ان يقلب ديوان الشام الى العربية فاقبله لسنة من يوم ابتدائه ووقف عليه
 سرخون كاتب عبد الملك فقال لكتاب الروم اطلبوا العيش في غير هذه الصناعة فقد
 قطعها الله عنهم . واما ديوان العراق فامر الخراج كتابه صالح بن عبد الرحمن وكان
 يكتب بالعربية والفارسية ولئن ذلك عن زاذان فروغ كاتب الخراج قبله ولما قتل
 زاذان في حرب عبد الرحمن بن الاشعث استخلف استخاف صالحا هذا مكانه وامره ان
 ينقل الديوان من الفارسية الى العربية ففعل ورغم لذلك كتاب النورس وكان عبد
 الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما اعظم مثته على الكتاب ثم جعلت هذه الوظيفة في
 دولة بني العباس مضافة الى من كان له النظر فيه كما كان شان بني برمك وبني سهل بن
 نوبخت وغيرهم من وزراء الدولة . واما ما يتعلق بهذه الوظيفة من الاحكام الشرعية ما
 يختص بالجيش او بيت المال في الدخل والخرج وغيره من النواحي بالعلم والعنة وفي تقايد
 هذه الوظيفة لمن يكون وشروط الناظر فيها والكتاب وقوانين الحسابات فامر ارجع الى
 كتب الاحكام السلطانية وهي مسطورة هنالك وليست من غرض كتابنا وانما نتكلم فيها
 من حيث طبيعة الملك الذي نحن بهدد الكلام فيه وهذه الوظيفة جرم عظيم من الملك

صاحب القصة ويحتاج الموقع الى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه وقد كان جعفر
ابن يحيى يوقع في النصص بن يحيى الرشيد ويروي بالثقة الى صاحبها فكانت توقيعاته
يتنافس البلاغة في تحصيلها للوقوف فيها على اساليب البلاغة وفنونها حتى قيل انها كانت
تناع كل قصة منها بدنيار ومكدا كان شان الدول * واعلم ان صاحب هذه المحطة
لا بد من ان يجهر من ارفع طبقات الناس واهل المروءة والمنسبة منهم وزيادة العلم
وعارضة البلاغة فانه معرض للنظر في اصول العلم لما يعرض في مالس الملوكة ومقاصد
احكامهم من امثال ذلك مع ما تدعو اليه عشرة الملوك من التيام على الآداب والافتقار
بالنضائل مع ما يضطر اليه في الترسيل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة واسرارها
وقد تكون الرتبة في بعض الدول مستندة الى ارباب السيوف لما يقتضيه طبع الدولة من
العد عن معاناة العوام لاجل سداجة العصبية فيخص السلاطين اهل عصبية يخطط
دولهم وساغرتيه فيقال المال والسيوف والكتابة منهم فاما رتبة السيف فتستغني عن
معاناة العلم واما المال والكتابة فيضطر الى ذلك البلاغة في هذه والحيدان في الاخرى
فينتارون لها من هذه العاطية ما دعت اليه الضرورة ويقلدونه الآلة لا يكون يد اخر من
اهل العصبية غالبة على يدوم ويكون نظره متصرفا عن نظره كما هو في دواة الترك لهذا
العهد بالمشرق فان الكتابة عنهم وان كانت لصاحب الانشاء الا انه تمت يد امير من
اهل عصبية السلاطين يعرف بالدو يدار وتعمل السلاطين ونوقه واستنامته في
غالب احواله اليه وتوكل على الآخر في احوال البلاغة وتطبيق المقاصد وكتابات
الاسرار وغير ذلك من تنابها * واما الشروط المعتمدة في صاحب هذه الرتبة التي
يلاحظها السلاطين في اختياره وانتقائه من اصناف الناس فهي كثيرة واحسن من
استوعبها عبد الحميد الكاتب في رسالته الى الكتاب وهي اما بعد مستظكم الله باهل
صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وارشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء
وامرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ومن بعد الملوك الكبريين اصنافا وان
كانوا في الحقيقة سواء وصرغهم في صنوف الصناعات وضروب المهن والادب والارادة
معانهم وابواب ارزاقهم فيعلمكم معشر الكتاب في اشرف المهن اهل الادب والارادة
والعلم والارادة كما يستعمل للفلاحة بحاسنها وتستقيم اهورها وتصيغكم بعل الله الان بانظمتهم
وتعمر بلدانهم لا يستغني الملك عنهم ولا يوجد كاف الا منكم فوفقكم من الملوك موقع
اسماهم التي بها يسمعون واصهارهم التي بها يصررون والسنهم التي بها يطقون واليدهم

العامه وهو تحت يد الامور اسناد الدار وان كان الوزير من المجد فلا يكون لاستناد الدار نظر عليه ونظر الخاص تحت يد الخازن لاموال السلطان من ماله كالمسيخ الخازن الدار لاختصاص وظيفتها بمال السلطان الخاص . هذا بيان هذه المخططة بدولة التتر ك بالمشرق بعد ما قد مناه من امرها بالمغرب والله مصرف الامور لا رب غيره

ديوان الرسائل والكتابة

هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لاستغناء كثير من الدول عنها راسا كما في الدول العريقة في البداية التي لم يأخذها بنهذب الحضارة ولا استحكام الصنائع وإنما أكد الحاجة إليها في الدولة الإسلامية شأن اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن المقاصد فصار الكتاب يؤدي كنه الحاجة بالبلغ من العبارة اللسانية في الأكثر وكان الكتاب للامير يكون من اهل نسيه ومن عطاء قبيح كما كان الخلفاء وامراء الصحابة بالشام والعراق لعظم امانتهم وخلوص اسرارهم فلما فسد اللسان وصار صناعة اخضع بن بحسنة وكاست عند بني العباس رقيقة وكان الكتاب يصدر السجلات مطلقة ويكتب في آخرها اسمته ويختم عليها بخاتم السلطان وهو طابع متوش فيه اسم السلطان او شارته بغس في طين احمر مذاب بالماء وبسي طين الختم ويضع به على طرفي السجل عند طيو والصافى ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان ويضع الكتاب فيها علامة اولاً ان اخرها على حسب الاختيار في محلها وفي لفظها ثم قد تنزل هذه المخططة بارتفاع المكان عند السلطان لغرض صاحبها من اهل المراتب في الدولة او استبداد وزير عليه فتصير علامة هذا الكتاب لغة الحكم بعلامة الرئيس عليه يستدل بها فيكتب صورة علامته المعروفة والحكم لعلامة ذلك الرئيس كما وقع آخر الدولة المنصية لما ارتفع شأن الحجابة وصار امرها الى التفرغ من الاستبداد صار حكم العلامة التي للكتاب ملغى وصورها ثابتة اناعاً للامير من امرها فصار الحاجب يرسم للكتاب امضاء كتابه بذلك بخط يصنعه ويغير له من صيغ الاناذهما شاء فياً ثم الكتاب له ويضع العلامة المعتادة وقد يخضع السلطان بنفسه وضع ذلك اذا كان مستبداً باسمه قائماً على نفسه في رسم الامر للكتاب ليضع علامة ومن مخططة الكتابة الدوقع وهو ان يمسس الكتاب بين يدي الخازن في مجلس حكمه وفصله ويوقع على النصص المرفوعة اليه احكامها والفصل فيها متلقاة من السلطان باوجز لفظ وبلغوا فاما ان تصدر كذلك واما ان يحذو الكتاب على مثالها في سجل يكون بيد

ذلك وفقكم الله من انفسكم في حالة الرخاء والشدة والجحمان والمواساة والاحسان والسرار
والضراء فصعبت الشبهة هذه من وسم بها من اهل هذه الصناعة الشريفة وإذا ولي الرجل
منكم اوصير اليه من امر خافي الله وعياله ائمه امر فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته
وليكن على الضعيف رفيقاً والمظلوم منصتاً فان اختلف عيال الله واحبهم اليه ارفعهم بعين اليه
ثم ليكن بالعدل حاكماً ولا يشرف مكرماً ولليء مؤثراً وللبلاد عامراً وللرعية مثلاً ولنا وعن
اذا هم متغلباً وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً وفي سبيلات شراحه واستنضاء حقيقاً رفيقاً
وإذا صحب احدهم رجلاً وليعتبر خلافة فاذا عرف حسنها وقبحها اعانه على ما يوافقه من
الحسن واحمال على صرفه عما يهواه من القبح بالطف حيلة واجمل وسيلة وقد علمت ان
سائس الهمزة اذا كان بصيراً بسياستها التمس معرفه اخلاقها فان كانت رموحاً لم يهجمها
اذا ركبها وان كانت شوباً اتقاه من بين يديها وان خاف منها شروهاً توقاها من
ناحية رأسها وان كانت حروباً تقع برفق هزاهما في طرقها فان استمرت عطشها بسيراً
فيساس له قيادها وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم
وجبرهم وادخلهم والكتاب لنضل ادبه وشريف صنعيه ولطيف حيكلي ومعامله ان
يحاوله من الناس وينظره وبهم عنه اوتىاف سقوانه اولى بالرفق اصاحبه ومداراه
وتقوم اوده من سائس الهمزة التي لا تثير حواجا ولا تعرف صواباً ولا تنهم خطاياها الا
بقدر ما يصيرها اليه صاحبا الراكب عليها الا فارقتوا رحمكم الله في الاطراف والاعالي ما
امكنكم فيه من الروية والذكر تاملوا باذن الله من محبة يوه النبوة والاستقلال والنجوة
ويصير منكم الى الموافقة وتصير رامة الى الماوخاة والشفقة ان شاء الله ولا يتجاوز
الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطبخه ومشربه ونباله وخدمه وغير ذلك
من فنون امره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله و من شرف صنعتكم خدمة لا تمه اونه في
خدمتكم على التفسير وحفظه لا تمهل منكم افعال التضييع والتذير واستعينوا على عنايتكم
بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف
فانها يعقبان الفقر وبذل الرقاب وبفضحان اهلها ولا سيما الكتاب وارباب الآداب
وللاموراشاء وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤلف اعمالكم بما سبغت اليه
تجربكم ثم اسلكوا من مسالك التذير واضعها ثبته واصدقها حجة واحمدها عاقبة واعلموا
ان للتدبير آفة مثله وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علوه ورويته فليقصد
الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطلقه ويوحز في ابتدائه وجملته وليأخذ بنجاح

التي بها يبطشون فامتكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا تنزع عنكم ما اضافه من
 النعمة عليكم وليس احد من اهل الصناعات كلها احوج الى اجماع خلال الخبير المعهودة
 وخصال النضل المذكورة المهدودة منكم ايها الكتاب اذا كنتم على ما ياتي في هذا
 الكتاب من صفتكم فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في
 مهات اموره ان يكون حليما في موضع الحكم فريسا في موضع الحكم مقداما في موضع الاقدام
 مجاما في موضع الاجسام موثرا للعنف والعدل والانصاف كنوما للاسرار وفيما عند
 الشدائد علما بما ياتي من التوازل يضع الامور مواضعها والطوارق في اماكنها قد نظري في
 كل فن من فنون العلم فاحكمه وان لم يحكمه اخذ منه بمقدار ما يكتفي به يعرف بغريزة
 عقله وحسن ادبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل
 صدوره فيعد لكل امر عذته وعناؤه وحيه لكل وجه هيئته وعادته فتناقسوا يا معشر
 الكتاب في صنف الآداب وتنفها في الدين وابدئي بعلم كتاب الله عز وجل والنرائض
 ثم العربية فانها ثقاف السننكم ثم اجدوا الخط فانة حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا
 غريبها ومعانيها وياكم العرب والعجم واحاديثها وسبرها فان ذلك معين لكم على ما تسمى
 اليه همكم ولا تضيعوا النظر في الحساب فانة قيام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن
 المطامع سلبها ودنيها وسفساف الامور ومحافرها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب
 ونزهة لصناعتكم عن الدناءة وارباوا بانفسكم عن السعاية والنجسة وما فيه اهل
 الجحالات وياكم والكروا الحق والعظمة فانها عداوة محلبة من غير احنة وتحابوا في الله
 عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو الحق لاهل الفضل والعدل والليل من
 سلفكم وان نبا الرمان برجل منكم فاعطوا عليه وادوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب اليه
 امره وان اقعد احدكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعقلوه وشاوروه
 واستظلموا بفضل تجربته وقدم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به
 ليوم حاجته اليه احوط منه على وادوه واخيه فان عرضت في الشغل بمهمة فلا يصفها الا
 الى صاحبه وان عرضت مذمة فليجملها هو من دونه وليذر السفطة والزللة والمال عند
 تغير الحال فان الريب اليكم معشر الكتاب اسرع منه الى الفراء وهو لكم افسد منه ظاهرا
 فقد علم ان الرجل منكم اذا جعبه من يبدل له من نفسه ما يحب له عليه من حقه فواجب
 عليه ان يعتدله من وفائه وشكره واحتماله وخبره ونصيحه وكميان سره وتدبير امره ما هي
 جزاء لحقه ويصدق ذلك تبعاله عند الحاجة اليه والاضطرار الى ما لديه فاستشعروا

ونصب لصاحب الكبرى كرسى بباب دار السلطان ورجال يتوكلون المفاعد بين يديه
فلا يرحون عنها الا في نصريته وكانت ولايتها للاكابر من رجالات الدولة حتى كانت
ترتبط الوزارة بالحجابة

واما في دولة الموحدين بالمغرب فكان لها حظ من الثنوبه وان لم يجعلوها عامه وكان
لا يلجأ الا رجالات الموحدين وكبرائهم ولم يكن له التحكم على اهل المراتب السلطانية
ثم فسد اليوم منصبها وخرجت عن رجال الموحدين وصارت ولايتها لمن قام بها من
المصطنعين. واما في دولة بني مرين لهذا العهد بالمشرق فولانيتها في بيوت من مواليهم
واهل اصطلاحهم وفي دولة الترك بالمشرق في رجالات الترك او اعقاب اهل الدولة
قبلهم من الترك يخبرونهم لما في الشرب بما يظهر منهم من الصلابة والمضاء في الاحكام لقطع
مواد الفساد وحسم ابواب الدعارة وتخريب مواطن الفسوق وتفريق عجماء مع اقامة
المعبدود الشرعية والسياسية كما تقتضيه رعاية المصالح العامة في المدينة والله مقلب الاليل
والنهار وهو العزيز الجبار والله تعالى اعلم

قيادة الاساطيل. وهي من مراتب الدولة وخطتها في ملك المغرب وافريقية ومرسومة
لصاحب السيف وتحت حكمه في كثير من الاحوال ويسمى صاحبها في عرفهم المندب بفتح
اللام مثقولا من لغة الافرنجة فانه اسمها في اصطلاح لغتهم وانما اختصت هذه المرتبة بملك
افريقية والمغرب لانهما جميعا على ضفة البحر الرومي من جهة الجنوب وعلى عدوتيه الجنوبية
بلاد البربر كلهم من سبتة الى الاسكندرية الى الشام وعلى عدوتيه الشمالية بلاد الاندلس
والافرنجة والصفالية والروم الى بلاد الشام ايضا ويسمى البحر الرومي والبحر الشامي نسبة
الى اهل عدوتيه والساكون بسيف هذا البحر وسواحله من عدوتيه يمانون من احواله ما
لا تقاويه امة من امم البحار فقد كانت الروم والافرنجة والقوط بالعدوة الشمالية من هذا
البحر الرومي وكانت اكثر حروبهم ومناجزهم في السفن فكانت مهرة في ركوبه والحرب
في اساطيله ولما اسبق من اسبق منهم الى ملك العدو الجنوبية مثل الروم الى افريقية
بالقوط الى المغرب اجازوا في الاساطيل وملكوها وتعلوا على البربر بها وانتزعوا من
ايديهم امرها وكان لهم بها المدن الخافتة مثل قرطاجة وسيطلة وجولاء ومراق وشمال
وطبقة وكان صاحب قرطاجة من قبيلهم يمارس صاحب رومة ويبيع الاساطيل لطريقه
منصونة بالاعساكر والعدد فكانت هذه عادة لاهل هذا البحر الساكنين حفاظيه معروفة
في القديم والجديد ولما ملك المسلمون مصر كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص

تتجوه فان ذلك مصلحة لعملي ومدفعة للشاغل عن أكثره وليضرع الى الله في صلة توفيقه
 وأمدادو بتسديد مدافعة وقوعي في الغلط المضرب يدو وعقلو وأدبو فانه ان ظن منكم ظان
 أو قال قائل ان الذي برز من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيايته وحسن
 تديره فقد تعرض بحسن ظني أو مقاتلي ان يكة الله عز وجل الى نفسي فيصير منها
 الى غير كافيه وذلك على من ناسله غير خائف ولا يقول اعد منكم انه ابصر بالامور
 واحمل لعب التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته فان اعقل الرجال
 عند ذوي الالباب من رى بالعييب وراء ظهري وراى ان اصحابه اعقل منه راجل في
 طريقته وعلى كل واحد من التريقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اختار
 برايه ولا تركية لنفسه ولا يكثر على اخيه أو هاديه وصاحبه وعشيرته وحمد الله واجب
 على الجميع وذلك بالانراض لظنهم بالتدليل لعزته والتحدث بسمه وأنا اقول في كتابي
 هذا ما سبق به المثل من ثلثة النصبة يارمة العمل وهو جهر هذا الكتاب وغرة كلامه
 بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته اخره وتبته به تولانا الله وإياكم
 بأعشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه بأسعاديه وأرشاديه فان ذلك اليه ويديه
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (الشرطة) ويسمى صاحبها لهذا العهد بأفريقية الحاكم
 وفي دولة اهل الاندلس صاحب المدينة وفي دولة الترك البوالملي وهي وظيفة مرسومة
 لصاحب السيف في الدولة وحكمة نافذ في صاحبها في بعض الاحيان وكان اصل وضعها
 في الدولة العباسية لمن يقيم احكام الجرائم في حال استبدادها اولاً ثم المحدود بعد
 استيفائها فان التهم التي تعرض في الجرائم لا نظار الشرع الا في استيفاء حدودها والسياسة
 النظرية استيفاء موجباتها باقرار بكرهه عليه الحاكم اذا اختلفت به الفرائض لما توجب
 المصلحة العامة في ذلك فكان الذي يقوم بهذا الاستبداء واستيفاء الحدود بعده اذا
 نزه عنه القاضي يسمى صاحب الشرطة وربما جعلوا اليه النظرية المحدود والدماء
 بالطلاق وأفردوها من نظار القاضي ونزها هذه المرتبة وقلدوها كبار القواد وعقلاء
 الخاصة من مواليهم ولم تكن عامة الشعب في طبقات الناس انما كان حكمهم على الهداه
 واهل الريب والصرب على ايدي الرعايا والنجرة ثم عثفت نبايتها في دولة بني امية
 بالاندلس ونوعت الى شرطة كبرى وشرطة صغرى وجعل حكم الكبرى على الخاصة
 والهداه وجعل له الحكم على اهل المراتب السلطانية والصرب على ايديهم في الظالمات
 وعلى ايدي أقاربهم ومن اليهم من اهل المحاه وجعل صاحب الصغرى مخصوصاً بالعامة

المسلمون لعهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه وعظمت صولتهم
 وسلطانهم فيه فلم يكن للامم المصرية قبل اساطيلهم بشي من جوانبه وامتناعا ظهروا
 للفتح سائر ايامهم فكانت لهم المقامات المعالومة من الفتح والغنائم وما كمل سائر الجزائر المنقطعة
 عن السواحل فيه مثل مبورقة ومنورقة وباسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة
 واقريطش وقبرص وسائر ممالك الروم والافرنج وكان ابو القاسم الشيعي وابناؤه يغزون
 اساطيلهم من المهدية جزيرة جنوة فتغلب بالظفر والعتبة واقتنح بها هدا العامري صاحب
 دانية من ملوك الطول نف جزيرة سردانية في اساطيلهم سنة خمس واربعائة واربعمائة
 لوقتها والمسلمون غلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من بلاد هذا البحر وسارت اساطيلهم
 فيهم جائئة وذاهبة والساكن الاسلامي تيجرا البحر في الاساطيل من صقلية الى البر الكبير
 المقابل لها من العدو الشمالية فتوقع بمالوك الافرنج وتقتن في مالكم كما وقع في ايام بني
 الحسين ملوك صقلية الفاتحين فيها بدعوة العبيديين واتحازت امم المصرية ما ساطيلهم الى
 الجانب الشمالي الشرقي منه من سواحل الافرنجة والصقابة وجزائر الرومانية لا يدعونها
 واساطيل المسلمين قد ضربت عليهم خسارة الاسلحة على ترابها وقد ملأت الاكثر من
 بساط هذا البحر عدة وعددا واختلفت في طرقها سائلا وحربا فلم تظهر للصراية فيه الحاج
 حتى اذا ادرك الدولة العبيدية والاموية الفشل والوهن وطرقها الاستغلال مد الصراية
 ايدهم الى جزائر البحر الشرقية مثل صقلية واقريطش ومالطة ذكرها ثم البحر على سواحل
 الشام في تلك الفترة وملكو طرابلس ودمشق وصور وعكا واستولوا على جميع القصور
 بسواحل الشام وغادوا على بيت المقدس وبنوا عليه كنيسة للظاهر دينهم وعبادتهم وغادوا
 بني خزون على طرابلس ثم على قابس وصفافس ووضعوا عليهم الجزية ثم ملكو المهدية من
 ملوك العبيديين من يد اعقاب بلكن بن زيري وكانت لهم في المائة الخامسة الكثرة بهذا
 البحر وصصف شان الاساطيل في دولة مصر والشام الى ان انقطع ولم يعتنوا بشي من
 امره لهذا العهد بعد ان كان لهم في الدولة العبيدية عناية تجاوزت الحد كما هو معروف
 في اخبارهم فبطل رسم هذه الوظيفة هناك وبقيت افريقية والمغرب فصارت مخصصة
 بها وكان الجانب الغربي من هذا البحر لهذا العهد موفر الاساطيل ثاث القوة لم يتجند
 عدو ولا كانت لهم بوكرة فكان قائد الاسطول هو لعهد لثوية بني ميمون رؤساء جزيرة
 قانس ومن اياهم اخذها عبد المؤمن بتسليمهم وطاعهم وانتهى عدد اساطيلهم الى المائة
 من بلاد الدونين جميعا ولا استغلت دولة الموحدين في المائة السادسة وما كمل

رضي الله عنها ان صف لي البحر فكتب اليه ان البحر خلق عظيم بركة خلق ضعيف دود
على عود فاعرجت عند بيع المسلمين من ركوبه ولم بركة احد من العرب الا من افتات
على عمر في ركوبه ونال من عقابه كما فعل بعرقبة بن هرثة الازدي سيد بجيلة لما اغراه
عان قبله غزوه في البحر فانكر عليه وعنه انه ركب البحر للغزو ولم يزل الشان ذلك
حتى اذا كان لهده معاوية اذن للمسلمين في ركوبه والجهاد على اعداءه والسبب في ذلك
ان العرب لبدونهم لم يكونوا اول الامر مهرة في ثقافتهم وركوبهم والروم والافريقية
لما رستم احواله ومراهم في المناب على اعداءه مروا عليه واحكموا الدرابة بثقافتهم فلما
استقر الملك للعرب وشيخ ساطعهم وصارت ام العجم خولا لم تحت ايديهم وترب كل
ذي صنعة اليهم؛ بلغ صاعقه واستخدموا من الدرابة في حاجاتهم البحرية ائما وكثرت
مارستم للبحر وثقافته استبدت ابصارا بهافسهم الى الجهاد في انشاء السفن فيمو الشواني
وشيخنا الاساطيل بالرجال والسلاح وامطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من ام
الكفر واخصوا بذلك من ما كتمهم وشؤهم ما كان اقرب لهذا البحر على حافته مثل
الشام وافريقية والمغرب والانديس واوز الخليفة عبد الملك الى حسان بن النعمان عامل
افريقية باتخاذ دار صناعة بتونس لانشاء الآلات البحرية حرصا على مراسم الجهاد ومنها
كان فتح صقلية ايام زيادة الله الاول ابن ابراهيم بن الاغلب على يد اسد بن
الفرات شيخ النخبة وفتح قوصرة ايضا في ايامه بعد ان كان معاوية بن حديج اغزي
صقلية ايام معاوية بن ابي سفيان فلم يفتح الله على يده وفتحت على يد ابن الاغلب
وقائدة اسد بن الفرات وكانت من بعد ذلك اساطيل افريقية والانديس في
دولة العبيدين والامويين تعاقب الى بلادها في سبيل التفتة فتجوس خلال السواحل
بالافساد والتغريب وانتهى اسطول الاندلس ايام عبد الرحمن الناصر الى مائي مركب
او تموها واسطول افريقية كذلك مثلثة او قريباً منه وكان قائد الاساطيل بالاندلس
ابن رماحس ومرفأها للطول والاقلاع بجاية والمرية وكانت اساطيلها مجتمعة من سائر
الملك من كل بلد تفتد فيه السفن اسطول يرجع نظره الى قائد من التواتية يدبر امر
حربه وسلاحه ومقاتلته ورئيس يدبر امر جريته بالرجح او بالجاديف وامر ارسائه في
مرفقه فاذا اجتمعت الاساطيل لغزو ومقتل او غرض سلطاني مهم عسكرت ورفاها المعلوم
وشتمها السلطان برجاله واتجاد عساكره ومواليه وجعلهم لنظر امير واحد من اعلى طبقات
اهل حاكمته يرجعون اليه ثم يسرحهم او جههم وينظر ايامهم بالفتح والغلبة وكان

مثل عدة النصرانية وعديدهم ثم راجعت عن ذلك قوة المسلمين في الاساطيل لضعف الدولة ونسيان عوائد البحر وكثرة العوائد البدوية بالمغرب وانقطاع العوائد الاندلسية ورجع البصري فيو الى دينهم المعروف من الدرنة فيو والمران عليو والبصر باحوالو غلب الامر في الجبل وعلى اعواده وصار المسلمون فيو كالاجاسب الا قليلا من اهل البلاد الساحلية لم المران عليو لو وجدوا كثرة من الانصار ولا عوان ارقوة من الدولة تستغيث لم اعوانا وتوضح لم في هذا الفرض مسلكتا وقيمت الرتبة لهذا العهد في الدولة الغربية بمخونة والرسم في معاناة الاساطيل بالانثناء والركوب مبهوتا بما عهد ان تدعو اليو الحاجة من الاغراض السلطانية في البلاد اخرج بقو المسلمون يستهون الرجح على الكثرة واهل فن المشتهر بين اهل المغرب عن كتب المحدثان انه لا بد للمسلمين من الكثرة علم النصرانية والانتاج ما وراء البحر من بلاد الافريقية وان ذلك يكون في الاساطيل والله وفي المؤمنين وهو حسبتا وتم الوكيل

الفصل الخامس والثلاثون

في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول
اعلم ان السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على امره الا ان الحاجة في اول الدولة الى السيف ما دام آهلا في عهد امره اشد من الحاجة الى القلم لان القلم في تلك الحال غلام فقط منذ الحكم السلطاني والسيف شريك في المعونة وكذلك في اخر الدولة حيث تضعف عصبيتها كما ذكرناه وبقل آهلا بما يبالم من الهرم الذي قدماء فيحتاج الدولة الى الاستعانة بآرباب السيف وقوى الحاجة اليهم في حماية الدولة والمدافعة عنها كما كان الشأن اول الامر في تهديد ها فيكون السيف رتبة على القلم في السابقين ويكون آرباب السيف حينئذ اوسع جاهها واكثر نعمة واسى اقطاعا على ايامي وسط الدولة فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف لانه قد عهد امره ولم يبق له الا في تحصيل ثمرات الملك من الحماية والفسط ومباهاة الدول وتبديد الاحتكام والقلم هو المعين له في ذلك فتعلم الحاجة الى بصريو وتكون السيوف مبهلة في مضاجع اغداها الا اذا انابت نائمة أو دعيست الى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة اليها فتكون آرباب الاقلام في هذه الحاجة اوسع جاهها واعلى رتبة واعظم نعمة وثروة واقررب من السانان ملبسا واكثر اليه ترددا وفي خالوتو نجا لانه حينئذ آلة التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات اكو والافتر في اعطافه وتنفذ اطرافه والمباهاة باحواله ويكون الوزراء حينئذ واهل السيوف مستغنيين

العدوتين اقاموا خطة هذا الاسطول على اثم ما عرف واعظم ما عهد وكان قائد اسطولهم
 احمد الصقلي اصله من صد غبار الموطنين بجزيرة جربة من سرويكنش اسيرة النصارى من
 سواحلا وربي عندهم في استقلصة صاحب صفالية واستكنانه ثم هلك وولي ابنه فاستخطه بعض
 النزعات وخشي على نفسه ولحق بتونس ونزل على السيد بها من بني عبد المؤمن واجاز
 الى مراكنش فثقله الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بالبرقة والكرامة واجزل الصلة وقنده
 امر اساطيله فحلى في جهاد ام النصرانية وكانت له اثار واخبار ومقامات مذكورة في دولة
 الموحدن * وانتمت اساطيل المسلمين على عهد في الكثرة والاستجماد ما لم تبلغه من
 قبل ولا بعد فيها عهدناه والمقام صلاح الدين يوسف بن ابوب ملك مصر والشام لعهد
 باسترجاع ثغور الشام من يد ام النصرانية وتطهير بيت المقدس من رجس الكفر وبنائهم
 تنابعت اساطيلهم الكفرية بالمدد لتلك الثغور من كل ناحية قريبة لبيت المقدس الذي
 كانوا قد استولوا عليه فامدوهم بالعدد والاقترا ولم تقاومهم اساطيل الاسكدرية
 لاستقرار الغلب لهم في ذلك الجانب الشرقي من البحر وتعد اساطيلهم فيه وضعف المسلمين
 منذ زمان طويل عن مانعهم هناك كما اثرانا اليه قبل فافقد صلاح الدين على ابي يعقوب
 المنصور سلطان المغرب لعهد من الموحدن رسوله عبد الكريم بن منقذ من بيت بني
 منقذ ملوك شذرو وكان ملكهم من ايديهم ولحق عليهم في دولته فبعث عبد الكريم منهم هذا
 الى ملك المغرب طالبا مدد الاساطيل لتتول في البحر بين اساطيل الكثرة ومن مراجعهم
 من امداد النصرانية ثغور الشام وصحة كتابة اليه في ذلك من انشاء الفاضل البيسانى
 يقول في افتتاحه فتح الله لسيدنا ابواب المناسج الى ايمان حسبا نفع العباد الاصفى في كتاب
 النسخ القسي فقم عليهم المنصور تهاذبه عن خطايه بامير المؤمنين واشرها في نفسه وحملهم
 على مناجح الدرك والكرامة وردهم الى مرسلهم ولم يحمله الى حاجته من ذلك * وفي هذا دليل
 على اختصاص ملك المغرب بالاساطيل وما حصل للنصرانية في الجانب الشرقي من هذا
 البحر من الاستطالة وعدم عناية الدول بمصر والشام لذلك العهد وما بعده لشان
 الاساطيل البحرية والاستعداد منها للدولة ولما هلك ابو يعقوب المنصور واعانت دولة
 الموحدن واستولت ام الخلافة على الاكثر من بلاد الاندلس والجزا والمسلمين الى سيف
 البحر ولكل الجزائر التي بالجانب الغربي من البحر الرومي قربت ربحهم في بسط هذا البحر
 واشتدت شوكتهم وكثرت فيه اساطيلهم وراجمت قوة المسلمين فيه الى المساواة معهم كما
 وقع لعهد السلطان ابي الحسن ملك زناتة بالمغرب فان اساطيله كانت عند مرامو المعاهد

النفوس من التهرب زبادة في الاقدام واحوال النفوس وتلوناتها غريبة والله المخلق
 العلم * ثم ان الملوك والدول يتخللون في اتخاذ هذه الشارات فتمم مكثرو منهم مقل بحسب
 اتساع الدولة وعظمتها فاما الرايات فلها شعار الحروب من عهد الخليفة ولم تنزل الا من
 تعقد في مواطن الحروب والغزوات ولعمد النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من
 الخلفاء * واما قرع الطبول والفتح في الابواق فكان المسلمون لا وُل الملة متجافين عنه تنزهًا
 عن غلظة الملك ورفضًا لاحواله واحتقارًا لاهيته التي ليست من الحق في شيء حتى اذا
 انقلبت الخلافة ملكًا وتجهل زهرة الدنيا ونعمها ولا يسهم المولى من الثرى والروم اهل
 الدول السالفة واروم ما كان اولئك يتخللون من مذاهب البدع والترف فكانت ما
 استحسنوه اتخذوا الآلة فاخذوها واذا في العالم في اتخاذها تنوبها بالملك واهله فكثيرًا ما كان
 العامل صاحب القفر او قائد الجيش يعقد له الخليفة من العباسيين او العبيديين لمياه
 ويخرج الى بعضه او عمله من دار الخليفة او داره في مركب من اصحاب الرايات والآلات
 فلا يميز بين مركب العامل والخليفة الا بكثرة الآلوية وقلتها او بما اخص به الخليفة من
 الالوان لرايتهم كالسواد في رايات بني العباس فان راياتهم كانت سودًا حزنًا على شهادتهم
 من بني هاشم ونعيا على بني امية في قتلهم ولذلك سموا المسودة * ولما افرق امر الهاشميين
 وخرج الطالبيون على العباسيين في كل جهة وعصر ذهبوا الى مخالفتهم في ذلك فاتخذوا
 الرايات بيضاء وسموا المبيضة لذلك سائر ايام العبيديين ومن خرج من الطالبيين في ذلك
 العهد بالشرق كالداغي بطبرستان وداغي صعدة او من دعا الى بدعة الرافضة من غيرهم
 كالقرامطة ولما نزع المأمون عن لبس السواد وشعاره في دولته عدل الى لون المخضرة
 فجعل رايتهم خضراء واما الاستكثار منها فلا ينتهي الى حد وقد كانت آلة العبيديين لما
 خرج العزيز الى فتح الشام خمسمائة من البنود وخمسمائة من الابواق واما ملوك البربر
 بالمغرب من صنحاجة وغيرها فلم يتوصلوا بل واحد بل وشوها بالذهب واتخذوها من
 الحديد الخالص ملونة واستمر على الاذن فيها لعالم حتى اذا جازت دولة الموحدين ومن
 بعدهم من زينة قصر في الآلة من الطبول والبنود على السلطان وحظروا على من سواه
 من عماله وجعلوا لها موكبًا خاصًا يتبع اثر السلطان في مسيره يسمى الساقية وهم في يوم كثير
 ومقل باختلاف مذاهب الدول في ذلك فتمم من يقتصر على سبع من العدد تتركها
 بالسيعة كما هو في دولة الموحدين وبني الاحمر بالاندلس ومنهم من يبلغ العشرة والعشرين
 كما هو عند زناتة وقد بلغت في ايام السلطان ابي الحسن فيما ادر كائن مائة من الطبول

عهم مبعدين عن باطن السلطان حذرين على انفسهم من بوارده * وفي معنى ذلك ما
كتبه ابو مسلم للنصور حين امره بالقدوم اما بعد فانه ما حفظناه من وصايا الفرس
أخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت الدهماء سنة الله في عبادته والله سبحانه وتعالى اعلم

الفصل السادس والثلاثون

في شارات الملك والسلطان الخاصة به

اعلم ان للسلطان شارات واجهلاً تقتضيها الالهية والبرخ فيقتضيه بها ويميز بانفعالها
عن الرعية والبطانة وسائر الرساء في دولته فلذلك ما هو مشتهر منها يبلغ المعرفة وفوق
كل ذي علم عليم

الآلة . فمن شارات الملك اتخاذ الآلة من بشر الالهية والرايات وقرع الطبول والتمتع
في الابلواق واللقرون وقد ذكر ارسطو في الكتاب المنسوب اليه في السياسة ان السري
ذلك ارباب العدة في الحرب فان الاصوات الملائكة لها تأثير في النفوس بالروعة ولعمري
انه امر وجداني في مواطن الحرب يحده كل احد من نفسه وهذا السبب الذي ذكره
ارسطو ان كان ذكره فهو صحيح بعض الاعتبارات * واما الحق في ذلك فهو ان النفس
عند سماع النغم والاصوات يدركها الفرح والفرح بلا شك فيصيب مزاج الروح بقوة
يستعمل بها الصواب ويستقيم في ذلك الوجه الذي هو فيه وهذا موجود حتى في الحيوانات
الجميمة بالاعمال الالهية بالخداء والتجمل بالصغير والصريح كما علمت ونريد ذلك تأثيراً اذا
كانت الاصوات متناسبة كما في الغناء واست تلم ما يحدث لسامعه من مثل هذا المعنى
ولاجل ذلك اتخذ الجميم في مواطن حروبهم الآلات الموسيقية^(١) لا طبلًا ولا بوقاً فيصدق
المفنون بالسلطان في موكبهم ولا تهم ويغنون فيكون نفوس المتبعين بضرهم الى الاستماعة
ولقد راينا في حروب العرب من يتغنى امام الموكب بالشعر ويعزب فقيش هم الاطال
بها فيها ويسارعون الى الجبال المحرب ويتبع كل قريب الى قريبه وكذلك زناة من ام
المغرب يتقدم الشاعر عندهم امام الصنفين ويتغنى فيعرك بفتاوى الجبال الرواسي ويعت
على الاسفانة من لا يظن بها ويسمون ذلك الغناء تاصوكايت واصلة كلمة فرح يحدث في
النفس فتحدث عنه الشياعة كما تنهت عن نشوة الغنى بما حدث عنها من الفرح والله اعلم
واما تذكر الرايات وتلو بنها وطاقتها فالتصديق والتحويل لا أكثر وربما يحدث في

١ قوله الموسيقية وفي نسخة الموسمارية وهي صحيحة لان الموسيقى بكسر الميم اسم النغم والكامان وتوبها
وقال فيها موسيقرو وقال اصاب الآلة موسمارا نظار اول نسخة الشيخ محمد شهاب

التعامل بها عدداً وان لم تقدر اختصاصها يكون التعامل بها وزناً ولفظ السكة كان اسماً
 للطابع وهي المحدبة المتخذة لذلك ثم نقل الى اثرها وهي النقوش الماثلة على الدنانير
 والدرهم ثم نقل الى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة
 فصار عليها عليها في عرف الدول وهي وظيفة ضرورية للملك اذ بها يتميز الخالص من
 المغشوش بين الناس في العقود عند المعاملات ويتقون في سلامتها الغش بنجم السلطان
 عليها بتلك النقوش المعروفة وكان ملوك العجم ينفذونها وينشون فيها تماثيل تكون
 مخصوصة بها مثل تماثيل السلطان لهدا او تمثيل حصص او حيوان او مصنوع او غير
 ذلك ولم يزل هذا الشأن عند العجم الى اخراهم . ولما جاء الاسلام اغفل ذلك
 لسداجة الدين وبدلالة العرب وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة وزناً وكانت دنانير
 النيس ودراهمهم بين ايديهم يردونها في معاملتهم الى الوزن ويتصرفون بها بينهم الى ان
 تفاخس الغش في الدنانير والدرهم لغلظة الدواة عن ذلك وامر عبد الملك بالتحجج على
 ما نقل سعيد بن المسيب واو الزناد بضرب الدرهم وتمييز المغشوش من الخالص وذلك
 سنة اربع وسبعين وقال المدايني سنة خمس وسبعين ثم امر بصرفها في سائر الدواحي سنة
 ست وسبعين وكتب عليها الله احد الله الصمد ثم ولي ابن هيرة العراق ايام يزيد بن
 عبد الملك فجود السكة ثم بالغ خالد القسري في تمويدها ثم يوسف بن عمر بعده ونقل
 اول من ضرب الدنانير والدرهم مصعب بن الزبير بالعراق سنة سبعين بامر اخيه
 عبد الله لما ولي الحجاز وكتب عليها في احد الوجهين بركة الله وفي الآخر اسم الله ثم غيرها
 بالحجاج بعد ذلك بسنة وكتب عليها اسم الحجاج وقدر وزنها على ما كانت استقرت ايام
 عمر وذلك ان الدرهم كان وزنه اول الاسلام ستة دراقق والمقال وزنه درهم وثلاثة
 اسباع درهم فتكون عشرة دراهم بنسبة متقابل وكان السبب في ذلك ان اوزان الدرهم
 ايام اليرس كانت مختلفة وكان منها على وزن المقال عشرون قدرا والى ودها اذ اعصر
 ومنها عشرة فلما احتجج الى قد بره في الزكاة انخذ الوسط وذلك انما عشر قيراطا فكان
 المقال درهما وثلاثة اسباع درهم وقيل كان منها البالي ثمانية دراقق واليبري اربعة
 دراقق واليبري ثمانية دراقق واليبري ستة دراقق فامر عمر ان ينزل الاثابة في التعامل
 فكان البالي واليبري وها اثنا عشر دراققا وكان الدرهم ستة دراقق واليبري ثمانية
 اسباعا كان مقبلا واذا انقصت ثلاثة اعشار المقال كان درهما فلما رأى ا.هـ المالك
 اتخاذ السكة لصيانة النقد بين الحجازيين في معاملته المسلمين من الذين عين مقدارنا على

ومائة من الشود ملونة بالحرير منسوجة بالذهب ما بين كبير وصغير وبأذنون للولادة
والعمال والقواد في اتخاذ راية واحدة صغيرة من الكتان بيضاء وطبل صغير أيام الحرب
لا يجاوزون ذلك. وأما دولة الترك لهذا العهد بالمشرق فيبتدون أولاً راية واحدة عظيمة
وفي رأسها خصلة كبيرة من الشعر يسهونها النالش والحرير وهي شعار السلطان عندهم ثم
تتعدد الرايات ويعونها السناجق وأحدها سبقي وهي الراية بلسانهم وأما الطبول
فبها اللون في الاستكثار منها ويسهونها الكوسات ويسهونها لكل أمير أو قائد عسكري
يأخذ من ذلك ما يشاء إلا الجير فأنه خاص بالسلطان. وأما الجلالة لهذا العهد من أم
الافرنجة بالأندلس فأكثر شأنهم اتخاذ الألوية القليلة ذاهبة في الجوصة ومعهما فرع
الأوتار من الطنابير ونخ الغيطات يذهبون فيها مذهب الفناء وطريقة في مواطن
حروبهم هكذا يلبثونهم وعن وراءهم من ملوك العجم ومن آيات خلق السموات والأرض
واختلاف السبكم والوانكم أن في ذلك لايات للعالمين

السريز. وأما السريز والكرسي في أعواد منصوبة أو أرائك منصوبة
لجلوس السلطان عليها مرتفعاً عن أهل مجلسه أن يساوهم في الصعيد ولم يزل ذلك من
سنة الملوك قبل الإسلام وفي دول العجم وقد كانوا يجلسون على أسرة الذهب وكانت
لسليمان بن داود صلوات الله عليهما وسلامه كرسي وسريز من عاج مغطى بالذهب إلا
أنه لا تأخذ به الدول إلا بعد الاستئصال والترف شأن الآية كلما كلما وأما في أول
الدولة عند البداءة فلا يتشوقون إليه. وأول من اتخذ في الإسلام منسوبة واستأذنت
الناس فيه وقال لم أني قد بدت فاذنوا له فأتته الملوك الأملايون فيه وصار
من منازع الآية ولقد كان عمرو بن العاصي بمصر يجلس في قصره على الأرض مع العرب
وبأنه الموقس إلى قصره ومعه سريز من الذهب محمول على الأيدي. لجوسو شأن
الملوك فيجلس عليه وهو أمامه ولا يغيرون عليه وفاء له بما اعتقد معهم من الذمة وأطراحاً
لآية الملك ثم كان بعد ذلك لسي العباس والمعيد بين وسائر ملوك الإسلام شرقاً وغرباً
من الأسرة والمنابر وانتجت ما عفا عن الأكاسرة والقباصرة والله مقاس الليل والنهار
السكة. وهي الختم على الدنانير والدرهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش
فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك القوش
عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الختم في خلوصه بالسبك مرة
بعد أخرى وبعد نقد يرتاح الدراهم والدنانير موزن معين يتبين بصلط عليه فيكون

عليه كما ذكرناه . ذكر ذلك الخطام في كتاب معالم السنن والماوردي في الاحكام
السلطانية واكثره المحققون من المناخرين لما يلزم عليه ان يكون الدينار والدرهم
الشرعيان مجعولين في عهد الصحابة ومن بعدهم مع تعلق الحقوق الشرعية بهما في الزكاة
والانكحة والمحدود وغيرها كما ذكرناه والحق انهما كانا معلومي المقدار في ذلك العصر
لمجرى الاحكام يومئذ بما يتعلق بهما من الحقوق وكان مقدارها غير متخفف في الخارج
وانما كان متعارفا بينهم بالحكم الشرعي على المقدار في مقدارها وزنها حتى استعمل الاسلام
وعظمت الدولة ودعت الحال الى تقيصها في المقدار والوزن كما هو عند الشرع
ليسترجعوا من كلفة التقدير وقارن ذلك ايام عبد الملك فتخفف مقدارها وعينها في
الخارج كما هو في الدهن ونفش عليها السكة باسمه وتاريخه اثر الشهادتين الايمانين
وطرح النود المجاهلية راسا حتى خلصت ونفش عليها سكة وثلاثي وجودها فهذا هو
الحق الذي لا يبعد عنه ومن بعد ذلك وقع اختيار اهل السكة في الدول على مخالفة
المقدار الشرعي في الدينار والدرهم واختلفت في كل الاقطار والافاق ورجع الناس الى
تصور مقاديرها الشرعية ذهنا كما كان في الصدر الاول وصار اهل كل اقل يستعملون
الحقوق الشرعية من سكتهم بمسرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية واما وزن
الدينار باثنين وسبعين حبة من الشعير الوسط فهو الذي نقله المحققون وعليه الاجماع الا
ابن حزم خالف ذلك وزعم ان وزنه اربعة وثمانون حبة . نقل ذلك عنه القاضي عبد
الحق وردة المحققون وعدوه وها وغلطا وهو الصحيح والله يبي الحق بكلماته وكذلك تعلم
ان الاوقية الشرعية ليست هي المتعارفة بين الناس لان المتعارفة مختلفة باختلاف
الاقطار والشرعية محكمة ذهنا لا اختلف فيها والله خالق كل شيء فتقدره تقديرا (الحام)
واما الخاتم فهو من الخطاط السلطانية والوظائف المأوكة والختم على الرسائل والصكوك
معروف للملوك قبل الاسلام وبعده وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم
اراد ان يكتب الى قيسر فقبل له ان العجم لا يقولون كتابا الا ان يكون مضمونا فانخذ
خاتما من فضة ونفش فيه . محمد رسول الله . قال البخاري جعل الثلاث كلمات في
ثلاثة اسطر وختم به وقال لا ينش احد مثله قال ويختم به ابو بكر وعمر وعثمان ثم سقط
من يد عثمان في بئر اريس وكانت قليلة الماء فلم يدركها بعد واغم عثمان وتطار
منه وصنع اخر على مثله وفي كنيته نقش الخاتم والختم به وسجوه وذلك ان الخاتم يطلق على
الآلة التي تجعل في الاصبع ومنه تختم اذا لبس و يطلق على النهاية والتمام ومنه ختمت الامر

هذا الذي استقر لعهد عمر رضي الله عنه واتخذ طابع الحديد واتخذ فيه كلمات لا صوراً
 لأن العرب كان الكلام والبلاغة اقرب مناحيهم واظهرها مع ان الشرع ينها عن الصور
 فلما فعل ذلك استمر بين الناس في ايام الملة كلها وكان الدينار والدرهم على شكلين
 مدورين والكتابة عليهما في دوائر متوازية يكتب فيها من احد الوجهين اسماء الله تبارك
 وتحميداً وصلاة على النبي وآله وفي الوجه الثاني التاريخ واسم الخليفة وهكذا ايام
 العباسيين والعباسيين والامويين واما صنهاجة فلم ينفذوا سكة الا اخر الامر اتخذها
 منصور صاحب بياضة ذكر ذلك ابن حماد في تاريخه ولما جاءت دولة الموحدين كانت
 ما من لهم المدي اتخذوا سكة الدرهم مربع الشكل وان يرسم في دائرة الدينار شكل مربع
 في وسطه ويملاً من احد الجانبين تمليلاً وتحميداً ومن الجانب الاخر كتبوا في السطور
 باسم واسم الخلفاء من بعده ففعل ذلك الموحدون وكانت سكتهم على هذا الشكل لهذا
 العهد ولقد كان المدي في ينقل ينعت قبل ظهوره بصاحب الدرهم المربع لانه بذلك
 المتكلمون بالمحدثان من قبلو الخبر ووف في ملاسهم عن دولته واما اهل المشرق لهذا
 العهد فسكتهم غير مقدرة وانما يتعاملون بالدينارين والدرهم وزناً بالصنجات المقدرة بعدة
 منها ولا يطبعون عليها بالسكة نفوش الكلمات بالتمليل والصلاة واسم السلطان كما ينطه
 اهل المغرب ذلك لتقدير العزيز العليم

ولتتم الكلام في السكة يذكر حقيقة الدرهم والدينار الشرعيين ويان حقيقة مقدارها
 وذلك ان الدينار والدرهم مختلفا السكة في المتدار والموازن بالافاق والامصار
 وسائر الاعمال والشرع قد تعرض لذكرها وعاقب كثيراً من الاحكام بها في الزكاة
 والانتجة والمحدود وغيرها فلا بد لما عده من حقيقة ومقدار معين في تقدير تجري عليها
 احكامه دون غير الشرعي منها فاعلم ان الاجماع منعقد منذ صدر الاسلام وعهد
 الصحابة والتابعين ان الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة مثاقيل من
 الذهب والواقية منه اربعون درهماً وهو على هذا سبعة اعشار الدينار ووزن المثقال
 من الذهب ثنتان وسبعون حبة من الشعير فالدرهم الذي هو سبعة اعشار خمسين
 حبة وخمسا حبة وهذه المقايير كلها ثابتة بالاجماع فان الدرهم المجاهلي كان يقيم على
 انواع اجمودها الطبري وهو ثمانية دنانير والبغلي وهو اربعة دنانير فجعلوا الشرعي بينهما
 وهو ستة دنانير فكانوا يوجبون الزكاة في مائة درهم بغلية ومائة طبرية خمسة دراهم
 وسعاً وقد اختلف الناس هل كان ذلك من وضع عبد الملك او اجماع الناس بعد

الرجيون انار الخاتم فيطابق عليه خاتم واول من اطلق الختم على الكتاب اي العلامة معاوية لانه امر لعمر بن الزبير عند زياد بالكوفة بمائة الف فتح الكتاب وصير المائة مائتين ورفع زياد حسابه فابكرها معاوية وطلب بها عمرو وحسنه حتى قضاهما عنه اخوة عبد الله واتخذ معاوية عند ذلك ديوان الخاتم ذكره الطبري وقال اخوه وحزم الكتب ولم تكن تجزم اي جعل لها السداد وديوان الختم عبارة عن الكتاب الثاقب على افاض كتب السلطان والختم عليها اما بالعلامة او بالاسم وقد يدان الديوان على مكان جلوس هؤلاء الكتاب كما ذكرناه في ديوان الاعمال والمحرر الكتب يكون اما بدس الورق كما في عرف كتاب المغرب واما بالحق راس الصحيفة على ما تطوي عليه من الكتاب كما في عرف اهل المشرق وقد يجعل على مكان الدس او اللصاق علامة يوم منها من فتيو والاصلاخ على ما فيه فاهل المغرب يجعلون على مكان الدس قطعة من الشمع ويثدنون عليها بناتم تقيت فيه علامة لذلك فيرسم الناس في الشمع وكان في المشرق في الدول القديمة يختم على مكان اللصق بناتم مئة وثم ايضا قد غس سيفه دنايب من الدين مع ذلك صفة احمر فيرسم ذلك النقش عليه وكان هذا الطول في الدولة العباسية يعرف بدين الختم وكان يكتب من يعرف فيه امره فمصوص بها فلما الخاتم الذي هو العلامة المكتوبة او النقش السداد والمحرر الكتب خاص بديوان الرسائل وكان ذلك الوزير في الدولة العباسية ثم اختلفت العرف وصار من اليه الترسل وديوان الكتاب في الدولة ثم صاروا في دول المغرب يعدون من علامات الملك وشارائو الخاتم للاصع فيستبدون صوغه من الذهب ويرصونه بالنصوص من الياقوت والبروزج والزمرد وبالله السلطان شارة في عرفهم كما كانت البردة والتفديب في الدولة العباسية والمظلة في الدولة العباسية والله مصرف الامور يشكك

الطاراز من اجهة الملك والسلطان ومذهب الدول ان ترسم اسامهم او علامات تختص بهم في طراز انواعهم المدة لباسهم من الحرير او الديباغ او الابريسم بتعبير كتابة خطها في نوع الثوب الحامو وسدى بنحط الذهب واما بخلاف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب على ما يحكيه الصناع في تقدير ذلك ووضعوه في صناعة نسجهم فصور الثياب الملوكية معلنة بذلك الطراز قصدا التنويه بلباسها من السلطان فمن دونها والتنويه بتبتمنضة السلطان بالوسى انا قصد تشرية بذلك او لانية لوطيلة من وظائف دولته وكان ملوك البصر من قبل الاسلام يجعلون ذلك الطراز

اذا بلغت اخره و ختمت القرآن كذلك ومنه خاتم النبيين وخاتم الامر ويطلق على
 السداد الذي يسد به الاثني والدنان ويقال فيه ختام ومنه قوله تعالى خضابه مسك
 وقد غلط من فسر هذا بالنهاية والهام قال لان اخر ما يبدونه في شراهم ربح المسك
 وليس المعنى عليه ولما هو من الختام الذي هو السداد لان الخمر يجعل لها في الدن سداد
 الطين او الفار يفتلها ويطلب عرفها وذرقها فيبخر في وصف خمر الجنة بان سدادها
 من المسك وهو اطيب عرفا وذوقا من الفار والطين المبهوتين في الدنيا فاذا صح
 اطلاق الختام على هذه كلها صح اطلاقه على اثرها المسمى عنها وذلك ان الختام اذا نقش
 به كلمات او اشكال ثم غرس في مداف من الطين او مداد ووضع على صفيح الارطاس
 اكثر الكلمات في ذلك الصفيح وكذلك اذا طبع به على جسم لين كالشع فانه يبقى نقشه
 ذلك المكتوب مرتباً فيه واذا كانت كلمات وارتسمت فقد بقا من الحبرة اليسرى اذا
 كان النقش على الاستقامة من البني وقد بقا من الحبرة اليسرى اذا كان النقش من
 الجهة اليسرى لان الختم يقاب جهة الخط في الصفيح عما كان في النقش من بين او يمين
 فيحصل ان يكون الختم بهذا الختام يفسد في المداد او الطين ويضعو على الصفيح فتنتقل
 الكلمات فيه ويكون هذا من معنى النهاية والتمام بمعنى صفة ذلك المكتوب ونفوذ كان
 الكتاب انما يتم العمل به بهذه العلامات وهو من دونها ملئ ليس تمام وقد يكون هذا
 الختم المخطط اخر الكتاب او اوله بكلمات منتظمة من تميم او تميم او باسم السلطان
 او الامير او صاحب الكتاب من كان او شيء من دونه يكون ذلك الختم علامة على صحة
 الكتاب ونفذه ويسمى ذلك في المعارف علامة ويسمى ختماً تدبيراً له بان الختام الاصفى
 في النقش ومن هذا خاتم القاضي الذي يبعث به النصوص اي علامة ومخطط الذي ينفذ
 بها احكامه ومنه خاتم السلطان او الخليفة اي علامة قال الرشيد يمين بن خالد لما اراد
 ان يستوزر جمعاً ويستبدل به من النفل اخبره فقال لا يهابني يا ابتر اني اردت ان
 احول الخاتم من يميني الى شمالي فكنا له بالخاتم عن الوزارة لما كانت العلامة على الرسائل
 والصكوك من وظائف الوزارة لعهدهم ويشهد لصحة هذا الاطلاق ما نقله الطبري ان
 معاوية ارسل الى الحسن عند مرادته اياه في الصلح صحيفة بيضاء ختم على اسفلها وكتب
 اليه ان اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت اسفلها ما شئت فقولك ومعنى الختم هنا علامة
 في اخر الصحيفة بخط او غيره ويحصل ان يختم به في جسم لين فتنتفش فيه حروفه ويجعل
 على موضع الختم من الكتاب اذا حزم وعلى المردودات وهو من السداد كما مر وهو في

العرب لذلك العهد بادن الا الاقل منهم فكانت اسفارهم لغزائهم وحروبهم بظلمهم
 وسافر حالهم واحياهم من الامل والولد كما هو شأن العرب لهذا العهد وكانت عساكرهم
 لذلك كثيرة الحال ببيعة ما بين المنازل متفرقة الاحياء يغيب كل واحد منها عن نظار
 صاحبه من الاخرى فكان العرب ولذلك ما كان عبد الملك يحتاج الى ساقية محمد
 الناس على اثره ان يقول اذا ظعن ونقل انه استعمل في ذلك الحجاج حين اشار به روح
 ابن زباج وقصصهما في احراق فساطيط روح وخيام لاول ولايتي حين وجدهم مقببين
 في يوم رحيل عبد الملك قصة مشهورة ومن هذه الولاية تعرف رتبة الحجاج بين العرب
 فانه لا يتولى ارادتهم على الظعن الا من يامن بوادئ السهول من احياهم بماله من العصبية
 الحائلة دون ذلك ولذلك اخضعت عبد الملك بهذه الرتبة ثقة بغنائها فيها بعصبيتها
 وصراحتها فلما تفشت الدولة العربية في مذاهب الحضارة والبدخ ونزول المدن والامصار
 وانتقل من سكني الخيام الى سكني القصور ومن ظهر الخف الى ظهر الحافر اتخذوا للسكنى
 في اسفارهم ثياب الكتان يستعملون منها بيوتا مختلفة الاشكال مقدرة الامثال من
 الفؤار والمستطيلة والمربعة ومختلفون فيها بالبلغ مذاهب الاحتفال والزينة ويدبر
 الامير والفائد العساكر على فساطيطه وفازاته من بينهم سباحا من الكتان يسمى في المغرب
 بلسان البربر الذي هو لسان اهل افراك بالكاف التي بين الكاف والقاف ويختص به
 السلطان بذلك القطر لا يكون لغيره . ولما في المشرق فيخذ كل امير وان كان دون
 السلطان ثم حثت الدعة بالنساء والولدان الى المقام بقصورهم ومنازلهم فثقت لذلك
 ظهورهم وتقاربت السياح بين منازل العسكر واجتمع الحشيش والسلطان في معسكر واحد
 يحصره البصر في بسيطة زهرا نيقا لاختلفا اللون واسم الحمال على ذلك في مذاهب
 الدول في بدخها وترها وكذا كانت دولة الموحدين وزنانه التي اظلمت كان سفرهم
 اول امرهم في بيوت سكانهم قبل الملك من الخيام والقباطن حتى اذا اخذت الدولة سعة
 مذاهب الترف وسكني القصور عادوا الى سكني الاشبية والفساطيط وبلغوا من ذلك
 فوق ما ارادوه وهو من الترف يمكن الا ان العساكر به تصير عرضة للبيات لاجتماعهم في
 مكان واحد تهيئهم فيه الصبيحة والجنهم من الامل والولد الذين تكون الاسفانة دونهم
 فيحتاج في ذلك الى تحفظ اخر والله القوي العزيز

بصور الملوك واشكال وصور معينة لذلك ثم اعراض ملوك الاسلام عن ذلك بكتب اسماهم مع كتابات اخرى تجري مجرى النال او العجالات وكان ذلك في الدولتين من ابهة الامور والنظم الاحوال وكانت الدور المعدة لتسج انماهم في قصورهم تسمى دور الطراز لذلك وكان الفائق على النظر فيها يسمى صاحب الطراز ينظر في امور الصياغ والآلة والمحكمة فيها واجراء ارزاقهم وتسهيل الاتهم ومشاركة اعمالهم وكانوا يقلدون ذلك لخاص دوائهم وثقاتهم وكذلك كان الحال في دولة بني امية بالاندلس والطوائف من بعدهم وفي دولة العبيدين بمصر ومن كان على عهدهم من ملوك العميم بالشرق ثم لما ضاق نطاق الدول عن الترف والفتن فيه لضيق نطاقها في الاستيلاء وتعددت الدول تعطلت هذه الوظيفة والولاية عليها من اكثر الدول بالجملة ولما جاءت دولة الموحدين بالمغرب بعد بني امية اول المائة السادسة ولم ياخذوا بذلك اول دولتهم لما كانوا عليه من منازع الديانة والسذاجة التي لقنوها عن امامهم محمد بن تومرت المهدي وكانوا يتورعون عن لباس الحرير والذهب فسقطت هذه الوظيفة من دولتهم واستدرك منها اعتناهم اخر الدولة طرفا لم يكن بتلك النهاية وبما لهذا العهد فادركوا بالمغرب في الدولة المرينية لاعتنائها وشموخها رسماً جليلاً لقنوه من دولة ابن الاحمر معاصروهم بالاندلس واتبع هو في ذلك ملوك الطوائف فاتي منه نسخة شاهدة بالاثار . وبما دولة الترك بمصر والشام لهذا العهد فتبعها من الطراز تجويز اخر على مقدار ماكمهم وعمران بلادهم الا ان ذلك لا يصنع في دورهم وقصورهم وليست من وظائف دولتهم وانما ينسج ما تطلبه الدولة من ذلك عند صناعه من الحرير ومن الذهب الخاص ويسمونه المراكز لفظة العجمية ويرسم اسم السلطان او الامير عليه ويعدده الصانع لم فيما يعدونه للدولة من طرف الصناعة الملائمة بها والله مقدر الليل والنهار والله خير الوارئين

النساطيط والسياج

اعلم ان من شارات الملك وترفيه اتخاذ الاخوية والنساطيط والنازات من ثياب الكنان والصوف والطن يجلد الكنان والطن فيباني بها في الاسفار وتوضع منها الاطمان ما بين كبير وصغير على نسبة الدولة في الثروة واليسار وانما يكون الامر في اول الدولة في يومهم التي جرت عاداتهم بانخاذها قبل الملك وكان العرب لعهد الخلفاء الاولين من بني امية انما يسكنون بيوتهم التي كانت لهم خياماً من الوبر والصوف ولم تزل

عقب انهم ذهب ذلك بذهاب تلك الدول وصار الامر الى اختصاص السلاطين بالدعاء
 له على المبر دون من سواه وحظرات يشاركه فيه احد او يمولو وكثيرا ما يفعل
 الماهدون من اهل الدول هذا الرسم عند ما تكون الدولة في اسلوب التضاضة ومناحي
 البداوة في التغافل والمخشونة ويقنعون بالدعاء على الابهام والاجمال لمن يولي امور
 المساهين ويسمون مثل هذه الخطبة اذا كانت على هذا المنحى عباسية يعنون بذلك انت
 الادعاء على الاجمال اما يتناول العباسي تقليدا في ذلك لما سلف من الامور ولا يجهلون
 بها وراء ذلك من تعينهم والصريح باسمه يمكن ان يفرا من بن زيات ماهد دولة بني
 عبد البراد لما غلبه الامير ابو زكريا يحيى بن ابي حفص على تلمسان ثم بداله في اعادة الامر
 اليه على شرط شرطها كان فيها ذكر اسميه على مابر عملو فقال يفرا من تلك اعمادهم
 يذكرون عليها من شاء واو كذلك يعقوب بن سفيان المسمى ماهد دولة بني مريد حضرة
 رسول المستنصر الخليفة تولى من في ابي حفص وثالث ملوكهم وتختلف بعض الامم عن
 شهود الجمعية فقبل له لم يحضر هذا الرسول كراهية لظفر الجماعة من ذكر ساداته فاذن في
 الادعاء له وكان ذلك بيانا لا مذهب يدعوهم وهكذا شأن الدول في بدايتها ونهايتها في
 التضاضة والبداوة ماذا انتهت عيون سياستهم ونظروا في استوائهم فكلمهم واستعملوا شياطين
 الخبائفة ومعالي النسخ والابهة لتقليل جرح هذه الساعات وتنفذ فيها وتباروا الى غنائمها
 وانما من المشاركة فيها وجزعوا من اقتفادها وخافوا دولتهم من آثارها والعالم يستبان
 والله على كل شيء رقيب

الفصل السابع والثلاثون

في المحروب ومذاهب الامم وترتيبها

اعلم ان المحروب وانواع المقاتلة لم يزل واقعة في الخليفة منذ سراًها الله واصلا ارادة
 انتقام بعض البشر من بعض ويتعصب لكل منها اهل عصبية فاذا تدارموا لذلك
 وتوافقت الطائفتان احدهما يطلب الانتقام والاخرى تدافع كانت الحرب وهو امر طبيعي
 في البشر لا تخلو عنه امة ولا جيل وسبب هذا الانتقام في الاكثر اما غيرة ومناصرة واما
 عدوان واما غضب لله وادبه واما غضب للملك وسعي في تهديده فالاول اكثر ما يجري
 بين القبائل المتجاورة والشاشر المتناظرة والثاني وهو العدوان اكثر ما يكون من الامم
 الوحشية الساكنين بالفر كالعرب والترك والتركمان والاكراد واشباههم لانهم جعلوا

المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة

وهما من الأمور الخلافية ومن شاركت الملك الاسلامي ولم يعرف في غير دول
الاسلام . فاما البيت المقصورة من المسجد لصلاة السلطان فيقتض سباجاً على الحراب
فيجوز وما يليه قول من اتخذها معاوية بن ابي سفيان حين طعنه الخارجي . والفتنة
معرفة وقبل اول من اتخذها مروان بن الحكم حين طعنه البهائي ثم اتخذها الخلفاء من
بعدها وصارت سنة في تميز السلطان عن الناس في الصلاة وفي اما تحدث عند حصول
الثرف في الدول والاستغفار لسان احوال الاجبة كلها وما زال الشأن ذلك في الدول
الاسلامية كلها وعند افتراق الدولة العباسية وتعدد الدول بالشرق وكذا بالاندلس
عند انقراض الدولة الاموية وتعدد ملوك الطوائف واما المغرب فكانت بنو الاعراب
يقتضونها بالاندراس ثم الخلفاء العبيديون ثم ولايتهم على المغرب من صنهاجة بنو باديس
بقاس بنو حماد بالقرعة ثم ملك الموحدون سائر المغرب والاندلس ويحكي ذلك الرسم
على طريقة الدائرة التي كانت شعارهم ولما استقطبت الدولة واخذت بمخاطبة من الثرف
وجاء ابو يعقوب المقصور ثالث ملوكهم فانخذ هذه المقصورة وقيمت من بعده سنة الملوك
المغرب والاندلس وهكذا كان الشأن في سائر الدول سنة الله في عباديه . واما الدعاء
على المنابر في الخطبة فكان الشأن اولاً عند الخلفاء ولاية الصلاة بانفسهم فكانوا يدعون
لذلك بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والرضي عن اصحابه واول من اتخذ المنبر
عمرو ابن العاص لما نفي جبهة بمصر واول من دعا للخليفة على المنبر ابن عباس دعا لعلي
رضي الله عنهما في خطبته وهو بالبصرة عامل له عليها فقال اللهم انصر علياً على الحق
واتصل الحق على ذلك فيما بعد وبعد اخذ عمرو ابن العاص المنبر بلغ شربين
الخطاب ذلك فكتب اليه عمر بن الخطاب اما بعد فقد بلغني انك اتخذت منبراً ترقى
يو على رقاب المسلمين او ما يكتنك ان تكون قائماً والمسلمون تحببت عندك فعزمت
عليك الا ما كسرته فلما حدثت الاجبة وحدث في الخلفاء المانع من الخطبة والصلاة
استنبأوا فيها فكان الخطيب يشهد بذكر الخليفة على المنبر توجيهاً باسمه ودعاه له بما جعل
الله مصلحه العالم فيه ولان تلك الساعة مغالاة للاجابة ولما ثبت عن السلف في قولهم من
كانت له دعوة صالحة فليضعها في السلطان وكان الخطيب يفر بذلك فلما جاء الحمر
والاستبداد صار المتغلبون على الدول كثيراً ما يشاركون الخليفة في ذلك ويشاد باسمهم

بين يدي الملك عسكراً منفرداً يصنفوه مقيماً بقائده وراييه وشعاره وبهيمته المقدمة ثم
عسكراً اخر ناحية اليمن عن موقف الملك وعلى سمتيه بهيمته الميمنة ثم عسكراً اخر من
ناحية الشمال كذلك بهيمته الميسرة ثم عسكراً اخر من وراء العسكر بهيمته المسافة ويقف
الملك واصحابه في الوسط بين هذه الاربعة ويسمون موقفه القلب فاذا تم لهم هذا الترتيب
الحكم اما في مدى واحد للبصر او على مسافة بعيدة أكثرها اليوم واليومان بين كل عسكرين
منها او كفيها اعطاء حال العساكر في القلعة واكثره فيجتنزب يكون الزحف من بعد دونه
النعمية وانظر ذلك في اخبار التتوحات واخبار الدولتين بالمشرق وكيف كانت العساكر
لهذه عبد الملك تختلف عن رجاله لبعده المدى في النعمية فاحتج لمن يسوقها من خلفه وعين
لذلك الحجاج بن يوسف كما اشرنا اليه كما هو معروف في الاخبار وكان في الدولة الاموية
بالاندلس ايضاً كثير منه وهو مجهول فيها لدينا لانا انما ادر كادولاً قليلة العساكر لا تتبني
في مجال الحرب الى التناكب ابل اكثر الجيوش من الطائفتين معاً يجمعهم لدنيا حلة او
مدينة ويعرف كل واحد منهم قرنه وينادي في حومة الحرب باسمه ولفيه فاستغنى عن
تلك النعمية

ومن مذاهب اهل الكفر والنير في الحروب ضرب المصاف وراء عسكرهم من
المجادات والحيوانات العجم فيقتدوهم الخيل في كرم وفيرم يطلبون به نبات المقاتلة
ليكون آدوم للعرب واقرب الى القلب وقد يفعل اهل الزحف ايضاً ليزيدم نباتاً وشدة
فقد كان الفرس وهم اهل الزحف يخذلون النبل في الحروب ويحملون عليها ابراجاً من
الخشب امثال الصروح مشحونة بالمقاتلة والسلاح والرايات ويصنعونها وراءهم في حومة
الحرب كانها حصون فتقوى بذلك نفوسهم ويزداد وثوقهم وانظر ما وقع من ذلك في
القادسية وان فارس في اليوم الثالث اشتدوا بهم على المسلمين حتى اشتدت رجالات من
العرب تحاطوم ويحجها بالسوف على خراطيمها ففترت ونكصت على اعقابها الى مرابطها
بالمداين فحجها معسكر فارس لذلك وانزعوا في اليوم الرابع * واما الروم وملوك القوط
بالاندلس واكثر العجم فكانوا يخذلون لذلك الاسرة ينصبون للملك سريره في حومة
الحرب ويحفظ به من خدمه وحاشيته وجندوه من هو زعم بالاسلحة دونه وترفع الرايات
في اركان السرى ويحذق به سياج اخر من الرماة والرجال فيعظم هيكل السرى ويصير
فئة المقاتلة وملكاً للكفر والنير وجعل ذلك الفرس ايام القادسية وكان رسم جالساً فيها على
سرى نصبة للجوسو حتى اخذت صنف فارس وخالطة العرب في سريره ذلك فتعول عنه

ازرأهم في رماحهم ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعه آذنتهم بالحرب ولا
 بغية لهم فيها وراء ذلك من رتبة ولا ملك وإنما هم ونصب اعينهم غلب الناس على ما في
 ايديهم والثالث هو المسمى في الشريعة بالجهاد والرابع هو حرب الدول مع الخارجين
 عليها والمالعين لطاعتها فهذه اربعة اصناف من المحروب الصنفان الاولان منها حروب
 بغية وفتنة والصنفان الاخيران حروب جهاد وعدل وصفة المحروب الواقعة بين اهل
 الخلافة منذ اول وجودهم على نوعين نوع بالرحف صفوفاً ونوع بالكر والفر اما الذي
 بالرحف فهو قتال العجم كلهم على تعاقب اجيالهم واما الذي بالكر والفر فهو قتال العرب
 والبربر من اهل المغرب وقتال الرحف اوثق واشد من قتال الكر والكر وذلك لان
 قتال الرحف ترنب فيه الصفوف وتسوى كما تسوى الفداح او صفوف الصلاة ويشون
 يصوفهم الى العدو وقدماً فلذلك تكون اثبت عند المصارع واصدق في القتال وارهب
 للعدو لانه كالمحاطب المند والقصر المشيد لا يتجمع في ازالته وفي التنزيل ان الله يصب
 الذين يقاتلون في سبيل صفاً كانوا من بنيان مرصوص اي يشد بعضهم بعضاً بالثبات وفي
 الحديث الكرم المومن المومن كالبنيان يشد بعضها بعضاً ومن هنا يظهر لك حكمة ايجاب
 الثبات وتحريم التولي في الرحف فان المقصود من الصف في القتال حفظ النظام كما قلناه
 فمن ولي العدو ظهره فقد اخل بالمصاف وباء باثم الهزيمة ان وقعت وصار كانه جرحها
 على المسلمين وامكن منهم عدوهم فعظم الذنب لعموم المفسدة وتعديتها الى الذين يفرق
 ساجدهم فعد من الكبار ويظهر من هذه الادلة ان قتال الرحف اشد عند الشارح واما
 قتال الكر والفر فليس فيه من الشدة والامن من الهزيمة ما في قتال الرحف الا انهم قد
 ينجذون وراءهم في القتال مصافاً ثابتاً يلجأون اليه في الكر والفر ويقيم لهم مقام قتال
 الرحف كانه ذكره بعد ثم ان الدول القديمة الكثيرة المجنود المتسعة المالك كانوا يتسبون
 الجوش والعساكر اقساماً يسمونها كراديس ويسوون في كل كردوس صفوة وسبب
 ذلك انه لما كثرت جنودهم الكثيرة البالغة وحشدوا من قاصبة النواحي استدعى ذلك
 ان يجعل بعضهم بعضاً اذا اخلطوا في مجال الحرب واعتوروا مع عدوهم الطعن والضرب
 فيخفى من تدافعهم فيما بينهم لاجل النكراء وجهل بعضهم ببعض فلذلك كانوا يتسبون
 العساكر جوشاً ويضمون المتعارفين بعضهم لبعض ويرتبونها قريباً من الترتيب الطبيعي
 في الجهات الاربع ورئيس العساكر كلها من سلطان او قائد في القلب ويسمون هذا
 الترتيب النعبة وهو مذكور في اخبار فارس والروم والدولتين صدر الاسلام فيعملون

فيؤمن الاستعانة بأهل الكفر وانهم استحقوا ذلك للضرورة التي اربنا كها من تخوف الاجتال
 على مصاف السلطان والافرنج لا يعرفون غير البيات في ذلك لان عاديهم في القتال
 الزحف فكانوا اقوم بذلك من غيرهم مع ان الملوكة في المغرب انما يفعلون ذلك عند
 الحرب مع امم العرب والابرير وقتالهم على الطاعة واما في المجهاد فلا يستعينون بهم حذراً
 من ما لا يعم على المسلمين هذا هو الواقع بالمغرب لهذا العهد وقد ابدينا سبباً والله بكل
 شيء عليم * وبلغنا ان امم الترك لهذا العهد وقتالهم مناخلة بالسهم وان تعبته الحرب
 عندهم بالمصاف وانهم يتسهلون بثلاثة صفوف يضربون صناديراه صف ويترجلون
 عن خيولهم ويفرغون سهامهم بين ايدهم ثم يتناخلون جالوساً وكل صف رداء للذي امامه ان
 يكسهم العدو الى ان ينهب النصر لاحدى الطائفتين على الاخرى وهي تعبته بمكة شريفة *
 وكان من مذاهب الاول في حر وجم حفر الخنادق على معسكرهم عندما يتقارون للزحف
 حذراً من معرفة البيات والهجوم على المعسكر بالبلل لما في ظلمته وحشيتة من مضاعفة الخوف
 فيلوذ الجيش بالفرار ويهدد النورس في الثالثة ستراً من عاره فانما تساوي في ذلك ارجف
 المعسكر ووقعت الهزيمة فكانوا لذلك يمتدرون الخنادق على معسكرهم اذا نزلوا وضربوا ابيتهم
 ويدبرون الكناير نطفاً عليهم من جميع جهاتهم حرصاً ان يبقا عليهم العدو بالبيات فيقتادوا
 وكانت للدول في امثال هذه القوة وطول انتدار احتشاد الرغال وجمع الايدي سار في كل
 منزل من منازلها كانوا عليه من وقورا لهران وضخامة الملك فلما خرب الهمران وتبعه
 ضعف الدول وقلة الجند وعدم النعملة نسي هذا الشأن جملة كانه لم يكن ولا شخير القادريين
 وانظار وصية علي رضي الله عنه وتهميضة لاجنابه يوم صفين قهد كثيراً من علم العرب ولم
 يكن احد ابصر بها منه قال في كلام له فسروا صنوفكم كالزبان المرصوص وقدما
 الدارع واغروا الحاسر وعضوا على الاضراس فانه انبي الله يرف عن الهام والنوا على
 اطراف الرماح فانه اصون للانسنة وغضوا الاضراس فانه ارجل الجاش واسكت لللوب
 واخفوا الاصوات فانه اطرد للقتل واوكل بالارواح فانه رايانكم فلا تباوها ولا تسلموها
 الا بايدي شعبائكم واستحيوا بالصدق والصبر فانه بقدر الصبر ينزل النصر وقال الاشتر
 يومئذ يمرض الازد عضوا على التواجد من الاضراس واستسلموا اليوم بهامكم وشدوا شدة
 قوم موتورين يشارون ابايهم واخوانهم حناقاً على عدوهم وقد دبوا على الموت انفسهم ثلاثا
 يصعبوا وبتر ولا يفتهم في الدنيا عار وقد اشار الى كثير من ذلك ابو بكر الصديق في شعر
 لبونة واهل الاندلس في كلمة يمدح بها تاشفين بن علي بن يوسف وبسبب ثباته في حرب

الى الفرات وقتل * ولما اهل الكرك والقر من العرب واكثر الامم البدوية الرحالة
 فيصنون لذلك اهلهم والظهر الذي يحمل ظلماتهم فيكون قلة لم ويسمونها المجودة وليس
 امة من الامم الا وفي تعمل ذلك في حروبها وبراءة اوتى في الجولة وامن من الغرة والقرية
 وهو امر مشاهد وقد اغتلت الدول لهدنا بالجيلة واعناضوا عنه بالظهر المحامل للانتقال
 والمساحيط يجعلونها ساقفة من خلائهم ولا تغني غناء النيلة والابل فصارت العساكر بذلك
 عرضة للزناج ومستشعرة للفرار في المواقف * وكان الحرب اول الاسلام كله زحاما وكان
 العرب انما يعرفون الكرك والقر لكن حملهم على ذلك اول الاسلام امران احدهما ان اعداءهم
 كانوا يقاتلون زحاما فيضطرون الى مقاتلتهم يمثل قبائلهم الثاني انهم كانوا مستبشرين في
 جهادهم لما رشوا فيهم من الصبر ولا رمتهم فيهم من الايمان والرحمة الى الاستقامة اقرب *
 واول من ابطال الصف في المحروب وصار الى التسمية كراديس مروان من الحكم في قتال
 الفتحاك الحارثي والبحيري بعده قال المطيري لما ذكر قتال البحيري فولى الحارثي عليهم
 شيبان بن عبد العزيز اليشكري وبانتب ابا الدلفاء قائلهم مروان بعد ذلك بالكراديس
 واطل الصف من يومئذ انتهى فتوسى قتال الزحف باطل الصف ثم توسى الصف
 وراء المحاربة بما داخل الدول من الترف وذلك انها حيفا كانت بدوية وسكنهاهم التهامر
 كانوا يستكنون من الابل وسكنوا النساء والولدان معهم في الاحياء فلما حصلوا على
 ترف الملك والنوا سكنوا النصور والمخاض وتركوا شأن البادية والقر نسوا ذلك عهد
 الابل والظلمات وصعب عليهم اتخاذها شئنا النساء في الاسفار وحملهم الملك والرف على
 اتخاذ المساحيط والاشوية فاقصروا على الظهر المحامل للانتقال ^(١) والابنية وكان ذلك
 صنتهم في المحروب ولا يشي كل الغناء لانه لا يدعو الى الاستقامة كما يدعو اليها الامل
 والمال فينصف الصبر من اجل ذلك ونصرفهم الى المعات ونرم صنفهم . ولما ذكرنا من
 ضرب المصاف وراء العساكر وتأكد في قتال الكرك والقر صار لوك المغرب يفتنون
 طائفة من الافرنج في جهدهم واخصوا بذلك قتال اهل وطنهم كله بالكرك والقر
 والسيلطان يتأكد في جهدهم ضرب المصاف ليكون ردا للمقاتلة امامه فلا بد من ان يكون اهل
 ذلك الصف من قوم معتزدين الثبات في الزحف والاجتهاد على طريقة اهل الكرك
 والقر فانهم السيلطان والعساكر باجتهادهم فاحتاج الملوكة بالمغرب ان يفتنوا جهدا من هذه
 الامة المعودة الثبات في الزحف وهم الافرنج ويرتجون مصافهم الملوكة بهم منها هذا على ما
 ا قوله الانتال والابنية مراده بالابنية الجاهل كقول ا قوله في فصل الحندق الا في قرية ادا اربا اصرى بان اتم ا

ولا يصلح لما لا الرجل المكث الذي يعرف الفرصة والكف وقال له في اخرى انه لرب
 يعني ان امر سايظا لا سرعته في الحرب وفي التسرع في الحرب الا عن بيان ضباغ
 والله لولا ذلك لامرته لكن الحرب لا يصلحها الا الرجل المكث هذا كلام عمر وهو شاهد
 بان التناقل في الحرب اولى من الخوف حتى يتبين حال تلك الحرب وذلك عكس ما
 قاله الصيرفي الا ان يريد ان الصدم بعد البيان فله وجه والله تعالى اعلم * ولا
 وثوق في الحرب بالظفر وان حصلت اسبابه من العدة والعديد وانما الظفر فيها والغلب
 من قبيل الجفت والاتفاق وبيان ذلك ان اسباب الغلب في الاكثر مجتمعة من امور
 طاهرة وهي الجيوش ووفورها وكال الاسلحة واستجابتها وكثرة الشجعان وترتيب المصاف
 ومنه صدق القتال وما جرى مجرى ذلك ومن امور خفية وهي اما من خدع البشر وحيلهم
 في الارجاف والشنايع التي يقع بها الخذل وفي التثقل الى الاماكن المرتفعة ليكون الحرب
 من اعلى فيقوم المنخفض لذلك وفي الكدون في العياض ويطيش الارض والتواري بالكدي
 عن العدو حتى يتداولهم العسكر دفعة وقد تورطوا فيتلصصون الى الخفاة وامثال ذلك واما
 ان تكون تلك الاسباب الخفية امورا ساوية لا قدرة للشرعى اكتسابها تاتي في القلوب
 فيستولي الرعب عليهم لاجلها فتخل مراكهم فتقع الهزيمة واكثر ما تقع الهزيمة من هذه
 الاسباب الخفية لكثرة ما يعمل لكل واحد من الفريقين فيها حرصا على الغلب فلا بد
 من وقوع التأثر في ذلك لاحد هاضرة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة
 ومن امثال العرب رب حيلة انفع من قبيلة فقد تبين ان وقوع الغلب في المحروب غالبا
 عن اسباب خفية غير ظاهرة ووقوع الاشياء عن الاسباب الخفية هو معنى الجفت كما نقرر
 في موضعه فاعتبره ونظم من وقوع الغلب عن الامور السامية كما شرحتاه معنى قوله صلى
 الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وما وقع من غلبه للمشركين في حياجه بالعدد
 القليل وغلب المسلمين من بعده كذلك في الفتوحات فان الله سبحانه وتعالى تكمل لتبليو
 بالقاء الرعب في قلوب الكافرين حتى يستولي على قلوبهم فيهنزوا معجزة لرسوله صلى الله
 عليه وسلم فكان الرعب في قلوبهم سببا للزنايم في الفتوحات الاسلامية كلها الا انه خفي لا عن
 العيون * وقد ذكر الطرطوشي ان من اسباب الغلب في المحروب ان تفضل عدة الفرسان
 المشاهير من الشجعان في احد الجانبين على عدتهم في الجانب الاخر مثل ان يكون احد
 الجانبين فيو عشرة او عشرون من الشجعان المشاهير وفي الجانب الاخر ثمانية او ستة عشر
 فالجانب الرائد ولو واحد يكون له الغلب واعاد في ذلك وابدى وهو راجع الى الاسباب

شهدتها ويذكره بامور الحرب في وصايا تحذيرات تنبهك على معرفة كثير من سياسة الحرب يقول فيها

يا ابنا المسأ الذي يتفجع
ومن الذي غدر العدو يودحي
تفني النوارس والطعان يصدها
والليل من وضح التراثك انه
اني فزعتم يا بني صنهاجة
اسان عيت لم يصبه منكم
وصددمو عن تاشفين وانه
ما انتو الا اسود خفيسة
يا تاشفين اقم لجيشك عذره
من منكم الملك الهام الاروع
فانقض كل وهو لا يتزعزع
عه ويدمرها الوفاء فترجع
صبح على هام الجيوش يلغ
واليكوفي الروع كان المنزع
حضر وقلب اسلته الاضلع
لغنايه لو شاء فيكم موضع
كل لكل كريمة مستطلع
بالليل والعذر الذي لا يدفع

ومعها في سياسة الحرب

اهدبك من آدب السياسة ما به
لا اني ادري بها لكسها
والبس من الحق المضاعفة التي
والهندايب الرفوق فانه
واركب من الخيل السرايق عده
خندق عابك اذا ضربت حيلة
والواد لا تعبره وانزل عنده
واجعل مناجرة الجيوش عشية
واذا تضايقت الجيوش بهرك
واصدمة اول وهلة لا تكثرت
واجعل من الطلاع اهل شهامة
لا تسع الكذاب جاءك مرجقا
كانت ملوك الفرس قبلك تولع
ذكرى تحض المؤمنين وتنفع
وصى بها صنع الصنائع تبع
امضى على حد الدلاص واقطع
حصنا حصينا ليس فيه مدفع
سبان تبع ظافرا او تنبع
بين العدو وبين جيشك يقطع
ووراءك الصدق الذي هو امنع
ضنك فاطراف الرماح توسع
شيتا فاطهار النكول بضعض
للصدق فهم شبة لا تخدع
لا رأي للكذاب فيما يصنع

قوله واصدمة اول وهلة لا تكثرت البيت مخالف لما عليه الناس في امر الحرب فقد قال
عمر لابي عبيد ابن مسعود الثقفي لما ولاه حرب فارس والعراق فقال له اسمع واطع من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واشركهم في الامر ولا تخبين مسرا حتى تنين فانما الحرب

كثيرة الزوائع قليلة الجملة والسبب في ذلك ان الدولة ان كانت على سنن الدين فليست
 الا المغارم الشرعية من الصدقات والمخراج والمجربة وفي قليلة الزوائع لان مقدار الزكاة
 من المال قليل كما علمت وكذا زكاة المحبوب والمأشية وكذا المجربة والمخراج وجميع المغارم
 الشرعية وهي حدود لا تتعدى وان كانت على سنن التغلب والعصية فلا بد من البداءة
 في اولها كما تقدم والبداءة تقتضي المسامحة والمكاملة وخفض الجناح والتمحي في اموال
 الناس والغلبة عن تحصيل ذلك الا في النادر فيقول لذلك مقدار الوظيفة الواحدة في الزريعة
 التي تجمع الاموال من مجموعها واذا قلت الزوائع والوظائف على الرعايا لشغل العلم
 ورغبوا فيه فيكثر الاعثار ويزداد الحصول لاغتياب بقلة المخرج واذا كثر الاعثار كثرت
 اعداد تلك الوظائف والزوائع فكثرت الجباية التي هي جعلها فاذا استمرت الدواوين انقضت
 ونعاقب ملوكها واحدا بعد واحد واصنعوا بالكنس وذهب سر البداءة والبداءة بخلافها
 من الاغضاء والتمحي وجاء المالك العفوض والمخاضرة الداعية الى الكس وتمحي اهل
 الدولة حينئذ يمتحنون الضلوع وتكثر عوائدهم وحملتهم بسبب ما انفقوا فيه من النعم
 والترف فيكثر من الوظائف والزوائع حينئذ على الرعايا والاكثرة والالاحين وسائر اهل
 المغارم يزدبون في كل وظيفة وزريعة مقدار اعطيا لكثرهم الجباية يضعون الكس
 على المدايعات وفي الاواب كان ذكرهم ثم تدرج الزبادات فيها بمقدار احد مقدار
 التدرج عوائد الدولة في الدرف وكثرة المحاجات والافاق بسبب حتى تقل المغارم على
 الرعايا وتنهم وتصبح عادة مفرضة لان تلك الزيادة تدرجت قليلا قليلا ولم يشعرا حينئذ
 زادها على التعيين ولا من هو واضعها انما شئت على الرعايا في الاعثار لذهاب الامل من
 نفوسهم بقلة النفع اذا قابل بين نفوسهم ومغارمهم وبين ثمرته وفائدة وتقتضي كثير من الابدس
 عن الاعثار حملة منقصة جملة الجباية حينئذ ينقص تلك الزوائع منها وربما يزدبون في
 مقدار الوظائف اذا راي ذلك القصر في الجباية ويحسونه جبرا لمسا نقص حتى تنهم
 كل وظيفة وزريعة الى غاية ليس وراءها نفع ولا فائدة لكثرة الانفاق حينئذ يفي
 الاعثار وكثرة المغارم وعدم وفاء المائدة المرجوة يوافي نزول الجملة في نقص ومقدار
 الزوائع والوظائف في زيادة لما يمتدونة من جبر الجملة بها الى ان ينقص الصراف
 لذهاب الامال من الاعثار ويعود وبال ذلك على الدواوين لان فائدة الاعثار عادة
 الدنيا واذا غشمت ذلك علمت ان اتروا الاسباب في الاعثار تقابل مقدار الزوائع على
 المعقرين ما امكن قبلك تنبسط النفوس اليك لتفتها باذراك المنيعة فيه والله سبحانه وتعالى

الظاهرة التي قدّمنا وليس يصحح وإنما الصحيح المختبر في القلب حال العصبية ان يكون سيغ
 احد الجانبين عصبية واحدة جامعة لكلاهما وفي الجانب الآخر عصاب متعددة لان العصاب
 اذا كانت متعددة يقع بينهما التناقل ما يقع في الوجدان المتفرقين المتأقدين لا هبة اذ
 تنزل كل عصابة منهم منزلة الواحد ويكون الجانب الذي عصابته متعددة لا يقاوم الجانب
 الذي عصبته واحد لاجل ذلك فنحنه واعلم انه اصح في الاعتبار ما ذهب اليه الطرطوشي ولم
 يجعله على ذلك الا لسيان شان العصبية في حالة ولده وانهم انما يرون ذلك الدفاع والحماية
 والمطالبة الى الوجدان والجماعة الناشئة عنهم لا يعتبرون في ذلك عصبية ولا نساق قد بينا
 ذلك اول الكتاب مع ان هذا امثاله على تقدير صحتهم انما هو من الاسباب الظاهرة مثل اتفاق
 الجيش في العدة وصدق القتال وكثرة الاسلحة وما اشبهها فكيف يجعل ذلك كفيلاً
 بالغاب ونحن قد قررنا لك الان ان شيئاً منها لا يعارض الاسباب الخفية من الحمل
 والنجاس ولا الامور السارية من الرعب والخذلان الالهي فافهمه وتفهم احوال الكون والله
 مقدر الليل والنهار * ويلقى بمعنى الغلب في المحروب وان اسبابه خفية وغير
 طبيعية حال الشهرة والصيت فقل ان تصادف موضعاً في احد من طبقات الناس من
 الملوك والعلماء والصالحين والمتحولين للنضائل على العزم وكثير من اشتهر بالشرف وهو
 بخلافه وكثير من تجاوزت عنه الشهرة وهو احق بها واهلها وقد تصادف موضعها وتكون
 طبقاً على صاحبها والسبب في ذلك ان الشهرة والصيت انما هما بالاخبار والاخبار يدخلها
 الدهول عن المقاصد عند التناقل ويدخلها التعصب والتشيع ويدخلها الاوهام ويدخلها
 الجهل بمطابقة الحكايات للاحوال فغناهما بالتدليس والنصنع اول جهل الناقل ويدخلها
 التقرب لاصحاب الشجعة والمراتب الدينية بالنساء والمدح وتمجيد الاحوال واتساع الذكر
 بذلك والنفوس مولعة بحسب البناء والناس متطاولون الى الدنيا واسبابها من جاه او ثروة
 وليسوا في الاكثر براغبين في الفضائل ولا منافسين في اهلها وان مطابقة الحق مع هذه
 كلها فنقل الشهرة عن اسباب خفية من هذه وتكون غير مطابقة وكل ما حصل بسبب
 خفية فهو الذي يعبر عنه بالبحث كما نقرر والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

الفصل الثامن والثلاثون

في الميابة وسبب قلها وكثرها

اعلم ان الميابة اول الدولة تكون قابلة الوزائع كثيرة الميابة في آخر الدولة تكون

وثارة بالزيادة في القاب المكوس ان كان قد استحدث من قبل وثارة بمقتضى الحال
 والحياة وتمتلك عظامهم لما يرون انهم قد حصلوا على شيء طائل من اموال الجباية
 لا يظهره المحسبان وثارة باستحداث التجارة والملاحة للسلطان على تنمية الجباية لما يرون
 التجار والفلاحين يحصلون على الفوائد والغلات مع يسارة اموالهم وان الارباح تكون على
 نسبة رؤوس الاموال فيأخذون في اكتساب الحيوان والنبات لاستغلاله في شراء البضائع
 والتعرض بها لحالة الاسواق ويحسبون ذلك من ادرار الجباية وتكاثر الفوائد وهو غلط
 عظيم وادخال الضرر على الرعايا من وجوه متعددة فاولا مضايقة الفلاحين والتجار في
 شراء الحيوان والبضائع وتوسد اسباب ذلك فان الرعايا متكاثرون في السار متقاربون
 ومزاحمة بعضهم بعضا تنهي الى غاية وجودهم او تقرب واذا رافقهم السلطان في ذلك
 وماله اعظم كثيرا منهم فلا يكاد احد منهم يحصل على غرضه في شيء من حاجاته ويدخل
 على التنوس من ذلك ثم ونكد ثم ان السلطان قد ينتزع الكثير من ذلك اذا تعرض له
 غضا او بايسر عن اولا يجد من يناقشه في شرائه فينقض ثمنه على بائعه ثم اذا حصل ثواند
 الملاحة ومغالها كله من زرع او حرير او عسل او سكر او غير ذلك من انواع الغلات
 وحاصل بضائع التجارة من سائر الانواع فلا ينتظرون به حواله الاسواق ولا تنافق
 الباعثات لما يدعوم اليه تكاليف الدولة فيكافون اهل تلك الاصناف من تاجر او فلاح
 بشراء تلك البضائع ولا يرضون في اثمانها الا الثمن وازيد فيستوعبون في ذلك ناض
 اموالهم وتبقى تلك البضائع بايديهم عروضا جامدة ويكتون عطلا من الادارة التي فيها
 كسبهم ومعاشهم وربما تدعوم الضرورة الى شيء من المال فيبيعون تلك السلع على كساد
 من الاسواق بالثمن ثم وربما يتكرر ذلك على التاجر والملاح منهم بما يذهب راس المال
 فيقعده عن سوقه ويتعدد ذلك ويتكرر ويدخل به على الرعايا من العنت والمضايقة
 وفساد الارباح ما يفيض امامهم عن السعي في ذلك جملة ويؤدي الى فساد الجباية فان
 معظم الجباية اثمها من الفلاحين والتجار لا سيما بعد وضع المكوس ونحو الجباية بها فاذا
 انقض الفلاحون عن الملاحة وقعد التجار عن التجارة ذهبت الجباية جملة ودخلها
 الفص المتناحش واذا قايس السلطان بين ما يحصل له من الجباية وبين هذه الارباح
 القليلة وجدها بالنسبة الى الجباية اقل من الغالب ثم انه ولو كان مفيدا فيذهب له بمحض
 عظيم من الجباية فيما يعانيه من شراء او بيع فانه من البعيد ان يوجد فيه من المكس ولو
 كان غلره في تلك الصفقات لكان تكسبها كلها حاصلا من جهة الجباية ثم فيه التعرض

مالك الامور كلها ويده ملكوت كل شيء

الفصل التاسع والثلاثون

في ضرب المكوس اواخر الدولة

اعلم ان الدولة تكون في اولها بدوية كما قلنا فتكون لذلك قليلة الحاجات لعدم الترف وعوائده فيكون خرجها وانفاقها قليلاً فيكون في الجباية حريته وفاقاً بأزبد منها بل يفضل منها كثير عن حاجتهم ثم لا تلبث ان ناخذ بدین الحضارة في الترف وعوائدها ويجزى على نفع الدول السابقة قبلها فيكون لذلك خراج اهل الدولة ويكثر خراج السلطان خصوصاً كثرة باللغة بنفسي في خاصه وكثرة عطايا ولا تفي بذلك الجباية فتحاج الدولة الى الزيادة في الجباية لما تحتاج اليه الحماية من العطاء والسلطان من الثقة فيزيده في مقدار الوظائف والوزائع اولاً كما قلناه ثم يزيد الخراج والحاجات والتدرج في عوائد الترف وفي العطاء للحامية ويدرك الدولة الهرم وتضعف عصابتها عن جباية الاموال من الاعمال والفاصية فتقل الجباية وتكثر العوائد ويكثر بكثرها ارزاق المجد وعطاياهم فيستعبد صاحب الدولة انواعاً من الجباية يضربها على البياعات ويفرض لها قدرًا معلوماً على الاغنياء في الاسواق وعلى اعيان السلع في اموال المدينة وهو مع هذا مضطر لذلك بهاداه اليه ترف الناس من كثرة العطاء مع زيادة الجبوش والحماية وربما يزيد ذلك في اواخر الدولة زيادة بالغة فتكسد الاسواق لتساد الامال ويؤذن ذلك باختلال المعربات ويعود على الدولة ولا يزال ذلك يتزايد الى ان تضجحل وقد كان وقع منه بامصار المشرق في اخريات الدولة العباسية والعبيدية كثير وفرضت المنارم حتى على الحاج في الموسم واستط صلاح المدين ابوب تلك الرسوم جملة واعاضها بأثار الجبر وكذلك وقع بالاندلس لعبد الطوائف حتى جها ربه يوسف بن تاشفين امير المرابطين وكذلك وقع بامصار الجبريد بافريقية لهذا العهد حين استبد بها رؤسائها والله تعالى اعلم

الفصل الاربعون

في ان التجارة من السلطان مضرة بالرعايا ومنسدة للجباية

اعلم ان الدولة اذا ضاقت جبايتها بما قدمناه من الترف وكثرة العوائد والنفقات وقصر المحاصل من جبايتها على الوفاء بحاجاتها ونفقاتها واحتاجت الى مزيد المال والجباية فتارة توضع المكوس على بيعات الرعايا واسواقهم كما قدمنا ذلك في الفصل قبله

متخلص لانه من جاه مخدومهم ونطاقة قد ضاق من يزاحمة فيه من اهل عصبية فاذا
استغلت طبيعة الملك وحصل لصاحب الدولة الاستبداد على قومه قبض ايدهم عن
النجابات الا ما يعاير لهم بين الناس في سبهم وتقل حظوظهم اذ ذاك لفة غنائهم في
الدولة بما اكبح من اعنتهم وصار الموالى والصناع مساهمين لهم في القيام بالدولة وتبديد
الامر فينفرد صاحب الدولة حينئذ بالجمابة او معقلها ويجتوي على الاموال ويجتنبها
للمنفقات في مهات الاحوال فتكثر ثروته وتقل خزائنه وينسج نفاق جاهد ويمتز على
سائر قومه فيعظم حال حاشيته وذويهم من وزير وكاتب وحاجب وولى وشرطي ويتسع
جاههم ويتعنن الاموال ويتأثرونها ثم اذا اخذت الدولة في الهرم ثلاثي العصبية وفناء
الفيل الماهد بن للدولة احاج صاحب الامر حينئذ الى الاعوان والافكار لكثرة
المخارج والمنازع والنفار ونهم الانتفاض فصار خراجة لغيره واعوانه وهم ارباب
الدبوف واهل العصبية وانفق خزائنه وحاصله في مهات الدولة وقامت مع ذلك
الجمابة لما قدمناه من كثرة الغطاء والانتفاق فيتل المخرائج وتشتد حاجة الدولة الى
المال فيتلص ذل الهممة والترف عن المخاص والنجباب والكتاب يتخلص ابناءهم عنهم
وشرقي نفاقه على صاحب الدولة ثم تشدد حاجة صاحب الدولة الى المال وتفق ابناءه
البرطانية والمحانية ما تأتته ابائهم من الاموال في غير سبيلها من اعانة صاحب الدولة
ويقولون على غير ما كان عليه ابائهم وسلمهم من المماصة ويرى صاحب الدولة انه احتق
بتلك الاموال التي اكتسبت في دولة سلطو وجاههم فيصقلها ويتزعمها منهم المتوسقا
ثقيفا واحدا بعد واحد على نسبة رتبهم وتنكر الدولة لهم ويعود وبال ذلك على الدولة
فناء حاشيتها ورجالها واهل الثروة والنعمة من بهائنها ويتفوض بذلك كثير من
ماني المجد بعد ان يدعمه اهله ويرفعه وانظار ما وقع من ذلك لوزراء الدولة
العسكرية في بني فحلمة وبني برك وبني سهل وبني طاهر وانما لم تم في الدولة الاموية
بالاندلس عند اغلالها ايام الفاروق في بني شهيد وبني ابي عبدة وبني حدير وبني
برد وانما لم وكذا في الدولة التي ادركناها له بعدنا سنة الله التي قد خلت في عبادة

* فصل * ولما يتوقع اهل الدولة من امثال هذه المعاطب صار الكثير منهم
يتزعجون الى الفرار عن الرتب والنظف من رتبة السلطان بما حصل في ايدهم من مال
الدولة الي قفار اخر ويرون انه اهنأ لهم واسلم في انفاقه وحصول ثمرته وفروم الاغلاط
الفاحشة والاوهم المنسدة لاجلهم ودنياهم واعلم ان الخلاص من ذلك بعد الحصول

لاهل عمرائو واختلال الدولة بفسادهم ونقصه فان الرعايا اذا قعدوا عن تهيئة اموالهم
بالعلاحة والتجارة نقصت وتلاشت بالفتنات وكان فيها تلاف احولهم فافهم ذلك وكان
الفرس لا يكون عليهم الا من اهل بيت المملكة ثم يختارونه من اهل الفضل والدين
والادب والصفاء والتجارة والكرم ثم يشترطون عليه مع ذلك العدل وان لا يتخذ صنعة
فوضر مجبرائو ولا يتاجر فيسب غلاء الاسعار في البضائع وان لا يستفد العبيد فانهم
لا يشيرون بخير ولا مصلحة. واعلم ان السلاطان لا يبنى ماله ولا يدبر موجوده الا الجباية
فادارها انما يكون بالعدل في ادل الاموال والظرف لم بذلك فبدلك تنبسط احوالهم
وتنشرح صدورهم للاخذ في تهيئة الاموال وتبنيها فتعظم منها جباية السلطان واما غير
ذلك من تهيئة او تلحقها هو مضرة عاجلة للرعايا وفساد للجباية وتبص للتجارة وقد يتهيأ
الحملين ولا المستطوعين للتجارة والتلاحة من الامراء والمغنيين في البلدان انهم يتعرضون
لشراء الغلات والسلم من اربابها الواردين على بلدهم ويتعرضون لذلك من الثمن ما
يشاءون ويبيعونه باي وقتها لمن تحت ايديهم من الرعايا بما يترضون من الثمن وهذه
الاشد من الاولى واقرب الى فساد الرعية واختلال احوالهم وربما يحمل السلاطان على ذلك
من يدخله من هذه الاصناف اعني التجار والتلاحين لما في صناعتها التي نفعا عليها
فيحمل السلطان على ذلك ويضرب معه بسهم لنفسه ليحصل على غرضه من جمع المال
بدر يعاسيا مع ما يحصل له من التجارة بلا مفرم ولا مكس فانها اجدر بنحو الاموال
واسرع في تهيئته ولا ينهم ما يدخل على السلاطات من الضرر بنقص جبايته فيؤنبني
السلاطان ان يجذر من هؤلاء ويعرض عن سعايتهم المصرة بجبايته وسلطانو والله باهمنا
ورشد انفسنا ونفصنا بصالح الاعمال والله تعالى اعلم

الفصل الواحد والاربعون

في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة
والسبب في ذلك ان الجباية في اول الدولة تنوزع على اهل القبيل والعصبة
بمقدار غنائم وعصبيتهم ولان الحاجة اليهم في تهيئة الدولة كما قلنا من قبل فترسمهم في
ذلك متخاف لم عما يسمون اليه من الجباية معتاض عن ذلك بما هو يروم من الاستبداد
عليهم فله عليهم عزة وله اليهم حاجة فلا يطالب في سهايتهم من الجباية الا الاقل من حاجتهم
فيجد حاشيته لذلك واذا له من الرزاء والكتاب والمواطي صلتون في الغالب وجاههم

اهل الدول لا يتوقعونه من ملوكهم من المعاطب وإنما يخلصون ان اتقى لم التخلص
بانفسهم وما يتوقعونه من الحاجة فغلط ووم والذي حصل لهم من الشهرة بخدمة الدول
كانت في وجدان المعاش لم بالجزايات السلطانية او بالجهاء في انتحال طرق الكسب من
التجارة والملاحة والدول انساب لكن .

النفس راغبة اذا رغبها واذا تردى قليل تنزع
والله سبحانه هو الرزاق وهو الموفق به وفضله والله اعلم

الفصل الثاني والاربعون

في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية

والسبب في ذلك ان الدولة والسلطان هي السوق الاعظم للعالم ومنه مادة
العمران فاذا احتجبت السلطان الاموال او الجبايات او فندت فلم يصرفها في مصارفها
قل حيثنما بايدي الحاشية والحامية وانقطع ايضاً ما كان يصل منهم لحاشيتهم وذويهم وقلت
نفعاتهم جملة وهم معظم السواد ونفعاتهم اكثر مادة للاسواق ممن سواهم فيقع الكساد حيثنفر
في الاسواق وتضعف الارباح في المتاجر فيقل الخراج لذلك لان الخراج والجباية انما
تكون من الاعنار والمعاملات ونفاق الاسواق وطلب الناس للنفوذ والارباح ووال
ذلك عائد على الدولة بالنقص لقله اموال السلطان حيثنفر بقلة الخراج فان الدولة كما
قلناه هي السوق الاعظم ام الاسواق كلها واصحابها ومادها في الدخل والخرج فالكدس
وقلت مصارفها فاجدر بما بعدها من الاسواق ان يلحقها مثل ذلك واشد منه وايضاً
فالمال انما هو متردد بين الرعية والسلطان منهم اليه ومنه اليهم فاذا حبسه السلطان عند
فقدته الرعية سنة الله في عبادِه

الفصل الثالث والاربعون

في ان الظالم مودن بخراب العمران

اعلم ان العدوان على الناس في اموالهم ذاهب بامالهم في تخصيصها واكتسابها لا بدونة
حيثن من ان غلبتها ومصيرها انتهابها من ايديهم واذا ذهبت اموالهم في اكتسابها
وتخصيصها انقضت ايديهم عن السعي في ذلك وعلى قدر الاعتدال ويستوي يكون انتقاض
الربا عن السعي في الاكتساب فاذا كان الاعتدال كثيراً عاماً في جميع ارباب المعاش
كان القعود عن الكسب كذلك لذهاب الاموال جملة بدخولها من جميع اربابها وان

فيو عسير متبع فان صاحب هذا الغرض اذا كان هو الملك نفسه فلا تمكثه الرعية من
 ذلك طرفه عين ولا اهل العصبية المراحون له بل في ظهور ذلك منه هدم الملك
 واتلاف لنفسه بعباري العادة بذلك لان ربة الملك بعسر الخلاص منها سيما عند
 استئصال الدولة وضيق نطاقها وما يعرض فيها من البعد عن الجهد والتحليل والتفكير
 بالشر واما اذا كان صاحب هذا الغرض من بطانة السلطان وحاشيته واهل الرتب في
 دولته فقل ان يحل بينه وبين ذلك اما اولاً فلما يراه الملك ان ذومهم وحاشيتهم بل
 وسائر رعاياه ما ليك لم يطلعون على ذات صدورهم فلا يسمحون بحل ربتهم من الخدمة
 ضناً بأسرارهم واحوالهم ان يطلع عليها احد وغيرة من خدمته لسراهم ولقد كانت بنو امية
 بالاندلس ينعون اهل دولتهم من السفر لفرصة الحج لا بتوهمونه من وقوعهم بأيدي بني
 العباس فلم ينجح سائر ايامهم احد من اهل دولتهم وما اجمع الحج لاهل الدول من الاندلس
 الا بعد فراغ شأن الاموية ورجوعها الى الطوائف واما ثانياً فلاهم وان سمحوا بحل
 ربتهم هو فلا يسمحون بالتحاقي عن ذلك المال لا يرون انه جزء من مالهم كما يرون انه
 جزء من دولتهم اذ لم يكتسب الا بها وفي ظل جاهها يقوم نفوسهم على انتزاع ذلك المال
 والنفاء كما هو جزء من الدولة يتنفعون به ثم اذا توهمنا انه خالص بذلك المال الى قطر
 اخر وهو في النادر الاقل فتمتد اليه اعين المالك بذلك القطر ويتزعونه بالارهاب
 والتخويف نعر يضاً او بالقرظاً لاهل الدول وانه مستحق للانفاق
 في المصالح واذا كانت اعينهم تمتد الى اهل الثروة واليسار المتكسبين من وجوه المعاش
 فاحرق بها ان تمتد الى اموال التجباية والدول التي تجد السبيل اليه بالشرع والعادة
 ولقد حاول السلطان ابو يحيى زكريا بن احمد الليثاني تاسع او عاشر ملوك الحفصيين
 باقرية الخروص عن عبدة الملك والعاث بمصر فزار من طلب صاحب النفور الغربية
 لما استجمع لغزو تونس فاستعمل الليثاني الرحلة الى فسطاط اسبوري بتهديد وركب
 السكينة من هناك وخلص الى الاسكندرية بعد ان حمل جميع ما وجدته بيت المال
 من الصامت والذخيرة وباع كل ما كان بخزائنها من المتاع والنفار والمجوهر حتى الكتب
 واحمل ذلك كله الى مصر ونزل على الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة سبع عشر من
 المائة الثامنة فاكرم نزله ورفع مجلسه ولم يزل يستخلص ذخيرة شتاً فشتاً بالنعرض الى
 ان حصل عليها ولم يبق معاش ابن الليثاني الا في جرايته التي فرض له ان هلك سنة
 ثمان وعشرين حسبما تذكره في الاخبار فهذا وامثاله من جملة الوسواس الذي يعتري

ولا تنظر في ذلك الى ان الاعتداء قد يوجد بالامصار العظيمة من الدول التي بها ولم
يقع فيها خراب واعلم ان ذلك انما جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء واحوال اهل
المصر فلما كان المصريون وعمرانهم كثيرا واحوالهم متسعة بما لا يتصور كان وقوع
النقص فيه بالاعتداء والظلم بسيرا لان النقص انما يقع بالندرج فاذا خفي بكثرة الاحوال
واتساع الاعمال في المصر لم يظهر اثره الا بعد حين وقد ذهب تلك الدولة المعتدية
من اصلها قبل خراب المصر وتبين الدولة الاخرى فترة بعدتها وتغير النقص الذي
كان خفيا فيه فلا يكاد يشعر به الا ان ذلك في الاقل النادر والمراد من هذا ان حصول
النقص في العمران عن الظلم والعدوان امر واقع لا بد منه لما قدمناه وبالله عائد على
الدول ولا تحسبن الظلم انما هو اخذ المال او الملك من يد مالكه من غير عوض ولا
سبب كما هو المشهور بل الظلم اعم من ذلك وكل من اخذ ملك احدا او غصبه في علمه
او طلبة بغير حق او فرض عليه حقا لم يفرضه الشرع فقد ظلمه فبما الاموال بغير حقها
ظلمة والمعتدون عليها ظلمة والمستهترون لها ظلمة والمالعون لحقوق الناس ظلمة وخصاب
الاملاك على العموم ظلمة ووال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران الذي هو
مادتها لا ذهاب الاموال من اهلها واعلم ان هذه هي الحكمة المتصورة للشارع في تحريم الظلم
وهو ما يندفع عنه من فساد العمران وخرابه وذلك موزن بانتفاع النوع البشري وهي
الحكمة العامة المراعاة للشرع في جميع مفاسده الضرورية الخمسة من حفظ الدين
والنفس والعقل والنسل والمال فلما كان الظلم كما رايت موزنا بانتفاع النوع لما اذى اليه
من تحريب العمران كانت حكمة المنع فيه موحدة فكان تحريمها وادله من القرآن
والسنة كثيرا اكثر من ان ياخذها قانون الضبط والمحصر ولو كان كل واحد قادرا عليه
لوضع بارائمه من العقوبات الرابضة ما وضع نازعا غيره من المفاسدات النوع التي يقدر
كل احد على اغترافها من الربا والقتل والسكر الا ان الظالم لا يقدر عليه الا من يقدر
عليه لانه انما يقع من اهل القدرة والمالطمان فويل في ذم وتكرير الوعيد فيه عسى ان
يكون الزارع فيه القادر عليه في نفسه ومارك بظلام السيد . ولا تقولن ان العقوبة
قد وضعت بازاء الجحابة في السرع وهي من ظالم القادر لان الماربه زمن سرابته قادر فان
في الجحباب عن ذلك طريقين . احدهما ان تقول العقوبة على ما ينهزمه من الجحبابات
في نفس اموال على ما ذهب اليه كثير وذلك انما يكون بعد القدرة عليه والى النية بجهنمه
واما نفس الجحابة فهي خلوة من العقوبة . الثاني ان تقول الماربه لا بوصف

كان الاعتداده يسيراً كان الانتهاض عن الكسب على نسبته والعمران وفورة ونفاق
 اسواقها ما هو بالاعمال وسعي الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين وجامعين فاذا قعد
 الناس عن المعاش وانقضت ايديهم عن المكاسب كدبت اسواق العمران وانقضت
 الاحوال وابذع الناس في الافاق من غير تلك الايالة في طلب الرزق فيما خرج عن
 نطاقها تخلف ساكن القطر وخلت دياره وشرجت امصاره واختل باختلاله حال الدولة
 والسلطان لما فيها صورة للعمران تنسد بفساد ما فيها ضرورة وانظر في ذلك ما حكاة
 المسعودي في اخبار النيس عن الموزان صاحب الدين عهده ايام بهرام بن بهرام وما
 عرض به الملك في ابتكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائدته على الدولة فصرح
 الخال في ذلك على لسان النعمان حين سمع الملك اصحابها وسأله عن فهم تلامها فقال له
 ان يوماً ذكرنا يروم تكمال يوم اشئ وانها شرطت عليه عشرين قرية من الخراب في ايام
 بهرام قبل شرطها وقال لما ان دامت ايام الملك اقتطعتك الف قرية وهذا اسهل مرام
 ففهمه الملك من غشائه وخلا بالموزان وسأله عن مراده فقال له ايها الملك ان الملك
 لا يتم عزه الا بالشريعة والقيام لله بطاعته والصرف تحت امره ونهيه ولا قيام للشريعة
 الا بالملك ولا عز الملك الا بالرجال ولا قيام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا
 بالعارة ولا سبيل العارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليفة نصبة الرب
 وجعل له قبا وهو الملك وانت ايها الملك عمدت الى الضياع فانتزعها من اربابها
 وعارها وهم ارباب الخراج ومن توخذ منهم الاموال واقطعت بها الحاشية والسند واهل
 البطالة فتركوا العارة والنظر في المواقب وما يصلح الضياع وسوحدوا في الخراج لئلا يربح
 من الملك ووقع الخوف على من بقي من ارباب الخراج وعار الضياع فلتجأوا عن ضياعهم
 واخلوا ديارهم واووا الى ما تعذر من الضياع فسكنوها فقلت العارة وشرحت الضياع
 وقلت الاموال وهككت الجنود والزعية وطبع في ملك فارس من جاورهم من المورك
 عليهم بانقطاع المباد التي لا تستقيم دماغ الملك الا بها فلما سمع الملك ذلك اقبل على
 النظر في ملكه وانتزعت الضياع من ايدي الخاصة وردت على اربابها وحملوا على رسومهم
 السالة واخذوا في العارة وقوي من ضعف منهم فعمرت الارض واخصبت البلاد وكثرت
 الاموال عند جباة الخراج وقويت الجود وقطعت مواد الاعداء وشمنت الثغور واقبل
 الملك على مباشرة اموره بنفسه فحسنت ايامه وانتظم ملكه ففهم من هذه الحكاية ان
 الظلم مخرب للعمران وانت عاتمة الخراب في العمران على الدولة بالهداد والانتهاض

الخلل والنساد دفعة وتنفذ الدولة شرعاً بما يشاء عنه من المخرج المنفي الى الانتفاض
ومن اجل هذه المناسد حظر الشرع ذلك كله وشرع المكايسة في البيع والشراء وحظر
أكل أموال الناس بالباطل سداً لبواب المناسد المنفية الى انتفاض البحرات بالمخرج
أو بطلان المعاش واعلم ان الداعي لذلك كله انما هو حاجة الدولة والسلطان الى الاكفار
من المال بما يعرض لهم من الترف في الاحوال فتكثر نفقاتهم ويعظم المخرج ولا يفي به
الدخل على الثوابين المعتادة يستمدون القاباً وجوهاً يوسعون بها الحجابة لئلا يفي لهم الدخل
بالمخرج ثم لا يزال الترف يزيد والمخرج يسبى بكثير والحاجة الى أموال الناس تشتد
ونطاق الدولة بذلك يزيد الى ان تنبجي ديارها ويذهب رعيها ويغلبها طامعها والله اعلم

الفصل الرابع والاربعون

في ان الحجاب كيف يقع في الدول وفي انه يعظم عند الهرم
اعلم ان الدولة في اول امرها تكون بعيدة عن منازع الملك كما قدمنا لانه لا بد
لها من العصبية التي بها يتم امرها ويحصل استيلاؤها والبداءة هي شعار العصبية والدولة
ان كان قيامها بالدين فانه بعيد عن منازع الملك وان كان قيامها بهز القلب فقط
فالبداءة التي بها يحصل القلب بعيدة ايضا عن منازع الملك ونهايه فاذا كانت
الدولة في اول امرها مدوية كان صاحبها على حال الغضاضة والبداءة والقرب من
الناس وسهولة الاذن فاذا ربح عزه وصار الى الانفراد بالجد والحجاج الى الانفراد بنفسه
عن الناس للحديث مع اوليائه في خواص شؤونه لما يكثر حيلته بحاشيته فطالب
الانفراد من العامة ما استطاع ويتخذ الاذن بياؤه على من لا يامنه من اوليائه وادب
دولته ويقتل حاجته عن الناس ببيعة بياؤه لهذه الوظيفة ثم اذا استعمل الملك وجاءت
مذاهبه ومنارعه استأملت خلق صاحب الدولة الى خلق الملك وهي خلق غريبة مخصوصة
بحاج مباشرها الى مدارعها ومعاملتها بما يجب لها وربما جهل تلك الخلق منهم بعض من
يشارفم فوقع فيما لا يرضهم فخطوه وصاروا الى حالة الانتقام منه فانفرد بمعرفة هذه
الاداب الخواص من اوليائهم وجعلوا غير اولئك الخاصة عن لغاتهم في كل وقت
حفظاً على انفسهم من معانيه ما يخطهم على الناس من التعرض لغاتهم فصار لهم حجاب
اخر ارض من الحجاب الاول ينفي الهم منه يخافهم من الاولياء ويجيب دولة من
سوام من العامة والحجاب الثاني ينفي الى مجالس الاولياء ويجيب دولة من سوام من

بالقدرة لانا انما نعني بقدرة الظالم اليد الميسولة التي لا تعارضها قدرة فهي الموزنة
 بالمخرب واما قدرة المخارب فانما هي اخافة يجعلها ذريعة لاختاد الاموال والمداغة عنها
 بيد الكل موجودة شرعاً وسياسة فليست من القدر الموزن بالمخرب والله قادر على ما
 يشاء . ومن اشد الظالمان واعظيها في افساد العمران تكليف الاعمال وتخفيف الرعايا
 بهور حتى وذلك ان الاعمال من قبيل المتبولات كما سئين في باب الرزق لان الرزق
 والكسب انما هو قيم اعمال اهل العمران فاذا مساعيم واعمالهم كلها متبولات ومكاسب
 لم يل لا مكاسب لم سواها فان الرعية المغمولين في العمارة انما معاشهم ومكاسبهم من
 اعمالهم ذلك فاذا كلنى العمل في غير شأنهم واتخذوا متفرجات في معاشهم بطل كسبهم
 واغضبوا قيمة عملهم ذلك وهو متبول فدخل عليهم الضرر وذهب لم حظ كبير من
 معاشهم بل هو معاشهم بالجملة وان تكرر ذلك عليهم افسد امالهم في العمارة وقعدوا عن
 السعي فيها حلة فادى ذلك الى انتفاض العمران وتخرب به والله سبحانه وتعالى اعلم وبالتوفيق
 واعظم من ذلك في الظلم وفساد العمران والدولة النسلط على اموال الناس بشراء
 ما بين ايديهم بائس الاثمان ثم فرض البضائع عليهم برفع الاثمان على وجه الغصب
 والاكراه في الشراء والبيع وربما نفرض عليهم تلك الاثمان على النواحي والتاجيل فيتعاملون
 في تلك الخسارة التي تلغهم بما تحبهم المطامع من جبر ذلك بمقالة الاسواق في تلك
 البضائع التي فرضت عليهم بالغلاء الى بيعها بائس الاثمان وتعود خسارة ما بين
 الصنفين على روس اموالهم وقد يعم ذلك اصناف التجار المقيمين بالمدينة والواردين
 من الافاق في البضائع وسائر السوق واهل الدكاكين في الماكول والفواكه واهل الصنائع
 فيما يتخذ من الآلات والملاعين فتشمل الخسارة سائر الاصناف والطبقات وتولى على
 الساعات ويخسف بروس الاموال ولا يمدون عنها وليمة الا التعود عن الاسواق
 لذهاب روس الاموال في جبرها بالارباح ويتناقل الواردون من الافاق لشراء البضائع
 وبيعها من اجل ذلك فتكسد الاسواق وبطل معاش الرعايا لان عامة من البيع
 والشراء واذ كانت الاسواق عطالة منها بطل معاشهم وتنقص جباية السلطان وتفسد
 لان معظمها من اوسط الدولة وما بعدها انما هو من المكوس على البضائع كما قد تضاء
 ويؤول ذلك الى تلاشي الدولة وفساد عمران المدينة ويتطرق هذا الخلل على الدرهم
 ولا يشعر به هذا ما كان بامثال هذه الذرائع والاسباب الى اخذ الاموال واما اخذها
 مما تانا والعدوان على الناس في اموالهم وجرمهم ودمائهم واسرارهم واعراضهم فهو يفضي الى

المستعنيين في شأن بدعهم لم يكن ذلك لئلا يزعج ملك ولا رياسة ولم يتم امرهم لانهم العصبية
 القوية تم المخرج الامر من بني امية واستقل بنو العباس بالامر وكانت الدولة العربية قد
 بلغت الغاية من الغلب والترف واذا نت بالانقراض عن الفاصلة بين عبد الرحمن الداخل
 الى الاندلس فاصية دولة الاسلام فاستحدث بها ملكا واقطعها عن دولتهم وصير الدولة
 دولتين ثم نزع ادريس الى المغرب وخرج به وقام بامرهم واما ابنه من بعده الدارسة من
 اوردية ومغيلة وزنانة واستولى على ناحية المغربين ثم ازدادت الدولة تقاضا فاضطرب
 الاغالبية في الامتناع عليهم ثم خرج الشيعة وقام بامرهم كتمانهم وصنعوا حاجة واستولوا على افريقية
 والمغرب ثم مصر والشام والبحار وغلبوا على الادارسة وقسموا الدولة دولتين اخريين وصارت
 الدولة العربية ثلاث دول دولة بني العباس بمركز العرب واصلم وما ذكهم الاسلام ودولة بني
 امية المحدثين بالاندلس ملكهم القديم وخلافهم بالشرق ودولة العبيد بن بافرقية ومصر
 والشام والجزائر ولم تزل هذه الدولة الى ان كان انقراضها متقاربا اوجمعا وكذلك انقسمت
 دولة بني العباس بدول اخرى وكان بالفاصية بنو ساسان فيما وراء النهر وخراسان
 والعلوية في الديلم وطبرستان والى ذلك الى استيلاء الديلم على العراقيين وعلى بغداد
 وانقضاء ثم جاء السلجوقية فلكم جميع ذلك ثم انقسمت دولتهم ايضا بعد الاستيلاء كما هي
 معروف في اخبارهم وكذلك اعتدروا في دولة صنعاء بالمغرب واخر بقاء ما بلغت الى غابها
 ايام باديس بن المنصور خرج عليه عجم حماد وانقطع ما لك العرب لنفسه ما بين جبل اوراس
 الى تلسان وملوية واخط الفلحة بميل كتمانهم سبيل المسيلة ونزها واستولى على مركزهم اشير
 بميل بطري واستحدث ملكا آخر قسما الملك آكل باديس وبني آكل باديس بالقبر وارث
 وما اليها ولم يزل ذلك الى ان انقرض امرها جميعا وكذلك دولة الموصلين لانقضاء ظلمها
 ثار بافرقية بنو ابي حنص فاستقلوا بها واستحدثوا ملكا لا اعقابهم بنو ابيهم لما استقل امرهم
 واستولى على الغاية خرج على المالك الغريبة من اعقابهم الامير او زكريا بن السلطان
 ابي اسحاق ابراهيم رابع خلفائهم واستحدث ملكا بمجاعة وقسطنطينية وما اليها اورثه بنوهم فمسل
 به الدولة قسيتين ثم استولوا على كرسي الحضرة بتونس ثم انقسم الملك ما بين اعقابهم ثم عاد
 الاستيلاء عليهم وقد انتهى الانقسام الى اكثر من دولتين وثلاث وفي غير اعقاب الملك
 بنو كاي وقب في ملوك الطوائف بالاندلس وملوك النعم بالشرق وفي ملك صنعاء
 بافرقية فقد كان لاخر دولتهم في كل حصن من حصون افريقية نازعة مستقل بامرهم كما
 تقدم ذكره وكذا حال الجريد والراب من افريقية قبيل هذا العهد كما نذكره وهكذا

العامّة والمحجّاب الاول يكون في اول الدولة كما ذكرنا كما حدث لا يام معاوية وعبد الملك وخلفاء بني أمية وكان القائم على ذلك المحجّاب يسمى عديم المحجّاب جرياً على مذهب الاشتقاق الصحيح ثم لما جاءت دولة بني العباس وجدت الدولة من الترف والعزما هو معروف وكلت خاق الملك على ما يجب فيها فعدا ذلك الى المحجّاب الثاني وصار اسم المحجّاب اخص به وصار بهاب الخلفاء داران للعباسية دار الخاصة ودار العامة كما هو مسطور في اخبارهم ثم حدث في الدول حجاب ثالث اخص من الاولين وهو عند محاولة البحر على صاحب الدولة وذلك ان اهل الدولة وخوادم الملك اذا نصبوا الابناء من الاعقاب وحاولوا الاستبداد عليهم فاول ما يبدأ به ذلك المستبد ان يحجب عنه بهالة ابنة وخوادم اوابائهم يرهبه ان في مباشرتهم اياه خرق حجاب الهيبة وفساد قانون الادب ليقطع بذلك لقاء الغير ويعوده ملازمة اخلاقه هو حتى لا يتبدل به سواء الى ان يستحكم الاستيلاء عليه فيكون هذا المحجّاب من دواعيه وهذا المحجّاب لا يقع في الغالب الا اواخر الدولة كما قدمناه في البحر ويكون دليلاً على هرم الدولة ونفاذ قوتها وهو ما يتفاه اهل الدول على انفسهم لان القائمين بالدولة يجارون على ذلك بطلبهم عند هرم الدولة وذهاب الاستبداد من اعقاب ملوكهم لما ركب في النفوس من عفة الاستبداد بالملك وخصوصاً مع الترجيح لذلك وحصول دواعيه ومباديه

الفصل الخامس والاربعون

في انقسام الدولة الواحدة بدولتين

اعلم ان اول ما يقع من اثار الهرم في الدولة انقسامها وذلك ان الملك عندما يستغل ويبلغ احوال الترف والنعم الى غايةها ويستبد صاحب الدولة بالمجد ويفرّد به بانف حيتث عن المشاركة ويصير الى قطع اسبابها ما استطاع باهالكه من استراب ومن ذوي قرابه المرتضىين منصوب فرما ارتاب المساهون له في ذلك بانفسهم ومنعوا الى النفاضة اليهم من يلحق بهم مثل حالهم من الاغترار والاستراية ويكون انطاق الدولة قد اخذ في الضيق ويرجع عن النفاضة فيمهد بذلك النابغ من الترابه فيها ولا يزال امره يعظم بتراجع انطاق الدولة حتى يقاسم الدولة او يكاد وانظر ذلك في الدولة الاسلاميه العربيه حين كان امرها حزيناً مجتهداً ونطاقها متدنياً في الانساع وعصبيه بني عبد مناف واحدة غالبية على سائر مضر فلم ينقص عرق من الخلافه سائر ايامها الا ما كان من بدعة المخوارج

بالجند والثاني المال الذي هو قوام اولئك الجند واقامة ما يحتاج اليه الملك من الاحوال
 والحال اذا طرق الدولة طرفها في هذين الاساسين فلنذكر اولاً طروق الخلل في الشوكة
 والعصية ثم نرجع الى طروقه في المال والحماية واعلم ان عهد الدولة وتأسيسها كائناً
 انما يكون بالعصية وانه لا بد من عصية كبرى جامعة للعصائب مستتمة لها وهي عصية
 صاحب الدولة الخاصة من عذيرة وقبيلة فاذا جاءت الدولة طليعة الملك من الترف
 وجده انوف اهل العصية كان اول ما يجده انوف عذيرته وذوي قرباها المفاشرين في
 اسم الملك فيستبد في جده انوفهم بما بلغ من سوادهم وباخذهم الترف ايضاً اكثر من سوادهم
 لكناهم من الملك والعز والغلب فيحيط بهم هادمان وهما الترف والتهم بصير التهم اخرها
 الى القتل لما يحصل من مرض قلوبهم عند رموه الملك لصاحب الامر فيقلب غيرة منهم
 الى الخوف على ملكه فياخذهم بالقتل والاهانة وسلب النعمة والترف الذي تعودوا الكثير
 منه فيه يكونون ويثبون وتتسد عصية صاحب الدولة منهم وهي العصية الكبرى التي كانت
 تجمع بها العصائب وتستفيد منها فتخل عرونها وتضعف شكيبتها وتستبدل عنها بالبطالة
 من مولى النعمة وصنائع الاحسان وتقتل منهم عصية الا انها ليست مثل تلك الشدة
 الشكسية لتفقدان الرحم والقرابة منها وقد كنا قدمنا ان شان العصية وقوتها انما هي بالقرابة
 والرحم لما جعل الله في ذلك فينفرد صاحب الدولة عن العشير والانصار الملية وينس
 بذلك اهل العصائب الاخرى فيتماسرون عليه وعلى بطائنه فيتماسر اطبيعاً فيملكون صاحب
 الدولة ويتبعهم بالقتل واحداً بعد واحد ويقاد الاخر من اهل الدولة في ذلك الاول
 مع ما يكون قد نزل بهم من مهلكة الترف الذي قدمنا فيه تولى عليهم الملاك بالتلف
 والقتل حتى يفرجوا عن صبغة تلك العصية ويثبوا بعزها وشورتها ويصيروا وجزعوا
 الحامية ويقولون لذلك قتل الحامية التي تنزل بالاطراف والنفور فتتماسر الرعايا على
 بعض الدعوة في الاطراف ويبادر الخوارج على الدولة من الاعاص وغيرهم على تلك
 الاطراف لما يرجون حيلة من حصول غرضهم بما يبعه اهل الفاصلة لهم وامهم من وصول
 الحامية اليهم ولا يزال ذلك يتدرج وطاق الدولة ينضيق حتى تصير الخوارج في اقرب
 الاسان الى مركز الدولة وربما انفسدت الدولة عند ذلك بدولين وثلاث على قدر قوتها
 في الاصل كائناً ويقوم بامرهم غير اهل عصبيتها لكن اذا ثاب لاهل عصبيتها ولهم المهود
 واعتبر هذا في دولة العرب في الاسلام انتهت ولا الى الاندلس والهند والصين وكان امر بني
 امية نافذاً في جميع العرب بعصية بني عبد مناف حتى اشد امر سليمان بن عبد الملك بدمشق

شان كل دولة لا بد وان يعرض فيها عوارض الهرم بالتعرف والدقة وتقلص ظل الغلب فيقتسم اعيانها ارون يعلب من رجال دولتها الامر ويتعدد فيها الدولة والله وارث الارض ومن عليها

الفصل السادس والاربعون

في ان الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع

قد قدمنا ذكر العوارض المؤدية بالهرم واسبابه واحدا بعد واحد وبيننا انها تحدث للدولة بالطبع وانما كلها امور طبيعية لما واذا كان الهرم طبيعيا في الدولة كانت حدوثه بمقابلة حدوث الامور الطبيعية كما يحدث الهرم في المزاج الحيواني والهرم من الامراض المزمنة التي لا يمكن دواؤها ولا ارتفاعها لما انه طبيعي والامور الطبيعية لا تتبدل وقد يتبدل كثير من اهل الدول من لفة يقفلة في السياسة فيرى ما نزل بدولتهم من عوارض الهرم ويظن انه ممكن الارتفاع فياخذ نفسه بتلافي الدولة واصلاح مزاجها عن ذلك الهرم ويحسبه انه لحقها بتقصير من قبله من اهل الدولة وغفلتهم وليس كذلك فانها امور طبيعية للدولة والعوائد هي المانعة له من تلافيها والعوائد منزلة طبيعية اخرى فان من ادرك ملاءماته واكثر اهل بيته بلبس ونحوه والديباج ويتخلون بالذهب في السلاح والمراكب ويتنجسون عن الناس في الجلاس والله الموت فلا يمكده مخالفة سائقه في ذلك الى الخشونة في اللباس والري والاختلاط بالناس اذ العوائد حينئذ تنمعه وتنع عليه مرتبة ولو فعله لري المجنون والوسواس في الخروج عن العوائد دفعة وخشي عليه عائدة ذلك وعاقبة في سلطانه وانظر شأن الانبياء في انكار العوائد ومخالفتها لولا التابيد الالهي والصر الساموي وربما تكون العصبية قد ذهبت فتكون الالهة تعوض عن موقعها من النفوس فاذا ازيلت تلك الالهة مع ضعف العصبية تجاسرت الرعايا على الدولة بذهاب اوهاهم الالهة فتتدبر الدولة بتلك الالهة ما امكنها حتى ينقض الامر وربما يحدث عند اخر الدولة قوة توم ان الهرم قد ارتفع عنها وبوض ذهابها ايامضة الخمود كما يقع في الدبال المشتعل فانه عند مقاربة النفتان يومض ايامضة توم انها اشتعال وهي انطفاء فاعبر بذلك ولا تغفل سر الله تعالى وحكمته في اطراد وجوده على ما قدر فيه ولكل اجل كتابه

الفصل السابع والاربعون

في كيفية طروق الخلل للدولة

اعلم ان معنى الملك على اساسين لا بد منها فالاول الشوكة والعصبية وهو المعبر عنه

المان البياعات في الاسواق لادارار الحجابة لما يراء من ترف المدينة الشاهد عليهم بالرفه
 وبما يحتاج هو اليه من نفقات سلطاني وارزاق جنده ثم تريد عوائد الترف فلا تقي بها
 المكوس وتكون الدولة قد استغلت في الاستطالة والفران تحت بدنها من الرعايا فتتد
 ايدهم الى جمع المال من اموال الرعايا من مكس او تجارة او قد سبغ بعض الاحوال
 بشبهة او بغير شبهة ويكون المجد في ذلك العاوق قد تنبأس على الدولة بما سلبها من الفضل
 والحرم في العصبية فتتوقع ذلك منهم وتداوى بسكينة العسلايا وكثرة الاتفاق فيهم ولا يتبد
 عن ذلك وليمة وتكون حياة الاموال في الدولة قد عظمت تروهم في هذا الزاوم كثيرة
 الحجابة وكونها ما يدهم وبما اتسع لذلك من جاههم فيتوجه اليهم باحتيان الاموال من
 الحجابة ونفوس السعاية فيهم بعضهم من بعض المنافسة والمجد فتعهم التكبكات والمصادرات
 واحدا واحدا الى ان تذهب تروهم وتلاشي احوالهم وينفذ ما كان للدولة من الاجبة
 والمجهل لهم واذا اضطلعت نعمتهم تجاوزتهم الدولة الى اهل الثروة من الرعايا سواء
 ويكون الوهن في هذا الطور قد لحق بالشوكة وضعت عن الاستطالة والفر فتصرف
 سياسة صاحب الدولة حينئذ الى مدارة الامور سدل المال و براه ارفع من السيف
 لفته عاتيه فتعهم حاضنة الى الاموال زيادة على النفقات وارزاق المجد ولا يخفى ما يرب
 ويعظم الحرم بالدولة وينبأس عليها اهل الثايني والدولة تنيل عراها في كل طور من
 هذه الى ان تنفي الى الهلاك وتعمد من الاستيلاء الكليل فان قسدها طاله ايتها عراها
 من ايدي الثاينين بها ولا يفت وهي تلتذت الى ان تشمل كالدبال سيف السراج اذا
 في رتبة وطغي والله ما لك الامور ومدير الاكران لا اله الا هو

الفصل الثامن والاربعون

في حدوث الدولة وتبديدها كيف يقع

اعلم ان نشأة الدول وبدايتها اذا اخذت الدولة المستقرة في الحرم والاستخاص
 يكون على نوعين اما بان يستبد ولاية الاعمال في الدولة بالنفعية عندما يتفلس طامعهم
 فيكون لكل واحد منهم دولة يستبد بها لقومه وما يستقر في نصايه برقة عنه اساق او
 مواليه ويستعمل لم الملك بالتدريج وربما يزدحمون على ذلك الملك ويقتارعون على
 وفي ازمعون في الاستئثار به ويناسب منهم من يكون له فضل فوق على اعمه وبتزع ما في
 يده كما وقع في دولة بني اله ابر حين اخذت دولهم في الحرم والتاسر ظالمها عن الثاينة

يقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بقرطبة فقتل ولم يرد أمره ثم تلاشت عصبية بني أمية بما
 أصابهم من الترف فأنقروا وجاء بنو العباس فغضوا من أعتة بني هاشم وقتلوا الطالبيين
 وشردوهم فالتحت عصبية عبد مناف وتلاشت وتحاسر العرب عليهم فاستبد عليهم أهل القاصية
 مثل بني الأغلب بأفريقية وأهل الأندلس وغيرهم وانقسمت الدولة ثم خرج بنو أدريس
 بالمغرب وقام البربر بأرمم أذعاناً للعصبية التي لم يمانوا أن تصلهم مقاتلة أو حامية للدولة
 فإذا خرج الدعاة أخيراً فينقلون على الأطراف القاصية وتحصل لهم هناك دعوة والك تنقسم
 به الدولة وربما يزيد ذلك متى زادت الدولة نقصاً إلى أن ينتهي إلى المراكز وتضعف البطالة
 بعد ذلك بما أخذ منها الترف فتمتلك وتضعف الدولة المتقسمة كلها وربما طال
 أمداً بعد ذلك فتستعني عن العصبية بما حصل لها من الصيغة في نفوس أهل أقاليمها وهي
 صيغة الانقياد والتسليم منذ السنين الطويلة التي لا يحفل أحد من الأجيال بمبدأها ولا
 أوليتها فلا يفتنون إلا التسليم لصاحب الدولة فيستغني بذلك عن قوة العصابات ويكتفي
 صاحبها بما حصل لها في عهد أمرها الإجراء على الحكامة من حدي ومرزوق ويعصد ذلك
 ما وقع في النفوس عامة من التسليم فلا يكاد أحد أن يتصور عصبياً أو يخرج إلا بالجمود
 منكروين عليه مما لا نؤمن له فلا يندرج على التصدي لذلك ولو جهده جهده وربما كانت الدولة
 في هذا الحال أسلم من الخوارج والمارة لاستحكام صفة التسليم والانقياد لهم فلا تكاد
 النفوس تبتدئ سرها بتفائلة ولا يفتلح في ضميرها انحراف عن الطاعة فكون أسلم من
 المخرج والانتفاض الذي يحدث من الصائب والمتأثر من لا يزال أمر الدولة كذلك
 وهي تبتدئ في ذاتها تان الإمارة البربرية في اليأس المأدوم الفداء إلى أنت تنتهي إلى
 وقفها المقدور ولكن أجل كتاب ولكل دولة أمد والله بقدر الليل والنهار وهو الواسع
 القهار . وأما الحال الذي يتفارق من جهة المال فاعلم أن الدولة في أولها تكون بدوية
 كما مرفكون خاف الرفق بالارعايا والنصد في النفقات والتعفف عن الأموال فتبتدئ في عن
 الامعان في الحماية والتجاني والكيس في جمع الأموال وحسبان العمال ولا داعية حينئذ
 إلى الاسراف في النفقة فلا تمتلج الدولة إلى كثرة المال ثم يحصل الاستولا ويعظم
 ويستغل الملك فيدعوا إلى الترف ويكثر الأشاق بسببه تعظم نفقات السلطان وأهل
 الدولة على العموم بل يتعدى ذلك إلى أهل المصر ويدعوا ذلك إلى الزيادة في إعطيات
 الجند وأرزاق أهل الدولة ثم يعظم الترف فيكثر الاسراف في النفقات ويتشر ذلك في
 الرعية لأن الناس على دين ماوكها وعيادها ويمتثل السلطان إلى ضرب الكوس على

للدولة المستقرة فيحصل بعض النور منهم ولا يكاد صاحب الدولة المستقرة يقوم صاحب
 الدولة المستقرة فيرجع الى الصبر والمطاوله حتى يتضح لهم الدولة المستقرة فتفسحل
 عقائد الجليل لها من قومه وتنبعث منهم الهم لصدق المظالمه معه فيقع الظن والاسيلاه
 وايضا فالدولة المستقرة كثيرة الرزق بما استحكم لهم من الملك وتوسع من النعيم واللذات
 واخصوا بوجوه غيرهم من اموال الجباية فيكثر عدم ارتباط الخنول واستبداد الاسلحة
 وتعظم فيهم الاجبة الملكية وبغض العطاء بينهم من ملوكهم اختيارا واضعارا فيرهون
 بذلك كدو عدم واهل الدولة المستقرة يهزل عن ذلك لما لم يرو من البداهة واحوال
 الفقر والخصاصة فيسقط الى قلوبهم اوهم الرعب بما يبلغهم من احوال الدولة المستقرة
 ويحرمون عن قتالهم من اجل ذلك فيصير امرهم الى المطاوله حتى تاخذ المدة ماخذها
 من الهم ويستحكم الخيال فيها في العصبية والجباية فيتمزج حيثئذ صاحب الدولة المستقرة
 فرصة في الاستيلاء عليها بعد حين منذ المطالبة سنة الله في عباده وايضا فاهل الدولة
 المستقرة كلهم مباينون للدولة المستقرة ناسا بهم وعواظهم وفي سائر مناحيهم ثم هم متأخرون
 لهم وما يذون بما وقع من هذه المطالبة ويطلبهم في الاستيلاء عليه فتتم المباداة بين
 اهل الدولتين سرا وجهرا ولا يصل الى اهل الدولة المستقرة خبر عن اهل الدولة
 المستقرة يصيبون منه غرة^(١) باطلنا وظاهرا لانقطاع المداخلة بين الدولتين فيقبضون
 على المطالبة وهم في اجماع ويتكلمون عن المواجهة حتى ياذن الله بزو ال الدولة المستقرة
 وفناء عمرها وفور الخيال في جميع جهاتها وانقض لاهل الدولة المستقرة مع الايام ما كان
 ينفى منهم من هربها وتلاشيها وقد عقلت قوتهم بما اقتطعوا من احوالهم ونقصه من اطرافها
 فتنبعث منهم ندا واحدة للمواجهة ويذهب ما كان سب في عزائمهم من النواها وتنبني
 المطاوله الى حدها ويقع الاستيلاء آخرها بالمعاجلة واعتبر ذلك في دولة بني العباس حين
 ظهورها حين قام الشيعة بخراسان بعد انعقاد الدعوى واجتماعهم على المطالبة عشر سنين
 او تزيد وحيثئذ تم لهم الظن واستولوا على الدولة الاموية وكذا العلوية بطور سنا
 عند ظهور دعوتهم في الدلم كيف كانت مطالولهم حتى استولوا على تلك الباحة ثم لما
 انقض امر العلوية وسما الدلم الى ملك فارس والعراقين فتمكنا سنين كثيرة بطاولون
 حتى اقتطعوا اصهارهم ثم استولوا على الخليفة ببغداد وكذا العبيدون اقام داعيتهم
 بالمغرب اوعده الله الشيعي بني كنانة من قبائل البربر عشر سنين ويريد تقاول

والمستبد بنو سامان بما وراء النهر وبنو حمدان بالموصل والشام وبنو طولون بمصر وكما
وقع بالدولة الاموية بالاندلس واقترب ملكها في الطوائف الذين كانوا ولائها في
الاعمال وانقسمت دولة ملوكها اورثوها من بعدهم من قرابتهم أو مواليهم وهذا النوع
لا يكون بينهم وبين الدولة المستقرة حرب لانهم مستقرون في ربابهم ولا يطعمون في
الاستيلاء على الدولة المستقرة بحرب واما الدولة ادركها الهرم وتخلص ظلها عن الفاصلة
وعجزت عن الوصول اليها والنوع الثاني بان يخرج على الدولة خارج من بجوارها من
الامم والقبائل اما بدعوة يحمل الناس عليها كما اشارنا اليه او يكون صاحب شوكة
وعصية كبيرا في قومه قد استغل امره فيسبغهم الى الملك وقد حدثوا به انفسهم بما
حصل لهم من الاعتزاز على الدولة المستقرة وما نزل بها من الهرم فيتبعون له ولقومه
الاستيلاء عليها ومارسوها بالمطالبة الى ان يظفروا بها ويبنون^(١) امرها كما يتبين والله
سبحانه وتعالى اعلم

الفصل التاسع والاربعون

في ان الدولة المستجيبة انما تستوي على الدولة المستقرة بالمطالبة لا بالمناجزة
قد ذكرنا ان الدول الحادثة المتجددة نوعان نوع من ولاية الاطراف اذا تخلص
ظل الدولة عنهم وانحسر تيارها وهؤلاء لا يقع منهم مطالبة للدولة في الاكثر كما قدمناه
لان قصارهم القنوع بما في ايديهم وهو نهاية قوتهم والنوع الثاني نوع الدعاة والمخارج على
الدولة وهؤلاء لا بد لهم من المطالبة لان قوتهم وافية بها فان ذلك انما يكون في نصاب
يكون له من العصية والاعتزاز ما هو كفاؤه ذلك وواف به فيقع بينهم وبين الدولة
المستقرة حروب تتكرر وتصل الى ان يقع لهم الاستيلاء والظفر بالمطالب ولا يحصل
لهم في الغالب ظفر بالمناجزة والسبب في ذلك ان الظفر في المروء انما يقع كما قدمناه
بامور نفسانية وهمية وان كان العدد والسلاح وصدق القتال كنيلا به لكنه قاصر مع تلك
الامور الوهمية كما مر ولذلك كان الحداد من ارفع ما يستعمل في الحرب واكثر ما يقع
الظفر به وفي الحديث الحرب خدعة والدولة المستقرة قد صبرت العوائد المألوفة
طاعتها ضرورة واجبة كما تقدم في غير موضع فتكثر بذلك العرائق لصاحب الدولة
المستجيبة ويكثر من هم اتباعه واهل شوكتهم وان كان الاقربون من بطنه على بصيرة
في طاعته وما زرتهم الا الاخرين اكثر وقد داخلهم النشل بتلك العقائد في التسليم
اقوله ويزنون وفي تحميه ويرمون من الزم بالاراء والمناه

ملكها والاعتدال في ايلتها اما من الدين ان كانت الدعة دينية او من الملكية
والحسنة التي تقتضيها البداية الطبيعية للدول واذا كانت الملكية رفيعة محسنة انتسخت
امال الرعايا وانتشعوا للعران واسبابه فتوفر ويكثر التماس واذا كان ذلك كله
بالترجي فانما يثار اثره بعد جيل او جيلين في الاقل وفي انقضاء الجيلين تشرف الدولة
على نهاية عمرها الطبيعي فيكون حينئذ العران في غاية الوفور والتمام ولا نقول ان قد
مر لك ان اواخر الدولة يكون فيها الاجفاف بالرعايا وسوء الملكية فذلك صحيح ولا يعارض
ما قلناه لان الاجفاف وان حدث حينئذ قلت البهايات فانما يثار اثره في تناقص
العران بعد حين من اجل التدرج في الامور الطبيعية ثم ان البهايات والارباب تكثر
عد ذلك في اواخر الدول والسبب فيه اما الخبايا فلهذا الناس اليهم عن الخلق في
الاكثر سبب ما يقع في اخر الدولة من العدران في الاموال والبهايات او التفت الراقصة
في انتفاص الرعايا وكثرة المنارج لهم الدولة فيل احتكار الزرع عاليا وليس صلاح
الزرع وقلة مستمر الوجود ولا على وقرة واحدة فدائمة العالم في كثرة الامطار وقلة
مثلة في المطر قوى وضعف ويقل ويكثر والزرع والثمار والصبر على نهمه الا ان
الناس ما يقون في اقبالهم بالاحتكار فادنا نقد الاحتكار يحل توقع الناس البهايات فغلا
الزرع ويغيره اولو البهايات فكمها وكان بعض البهايات والاحتكار منقود فشكل
الناس المتوجع واما كثرة الموتان فلها اسباب من كثرة الامات كما ذكرنا او كثرة
القتل لاختلال الدولة فيكثر المرح والقتل او وقوع الوباء وسبب في العالم فساد
الطعام بكثرة العران لكثرة ما يثا اذله من اللحم والردايات الناس واذا فسد الطعام
وهو غذاء الروح الجواني وملايسة دائما فيسرى الفساد الى مزاجه فان كانت السداد
قويا وقع المرض في الرقة وهذه في الظواهرين وارضها شروعة بالرقة وان كان السداد
دورث القوي والكثير فيكثر اللبن ويتضاعف فتكثر البهايات في الامزجة وتقرض
الانسان وبذلك وسبب كثرة اللبن والوطايات السادة في هذا كله كثرة العران
وفوره اخر الدولة لما كانت في اوائها من حسن الملكية ورفقها وقلة المعرم وهو الامر
ولذا تدين في موضعه من الملكية ان تقال السداد والقتل من العران ضروري ان يكون
تخرج الطلاء يذهب بما يحصل في الجوان من السداد واللبن بمغالة الجوانات وكلها
بالطعام الصالح ولهذا ايضا فان الموتان يكون في المادن الموقورة العران اكثر من الرشد
بكثير كعصر المسرف وفاس بالمرء والله يتقدم ما يشاء بالانقضاء

بني الاغلب بافرقية حتى ظفر بهم واستولوا على المغرب كله وبعثوا الى ملك مصر فمكثوا
ثلاثين سنة او نحوها في طلبها يجهزون اليها العساكر والاساطيل في كل وقت ومجي
المدد لمدافعهم رآ وبعثوا من بغداد والشام وملكوا الاسكندرية والجزيرة والصعيد
ونخلت دعوتهم من هنا لك الى الحجاز واقامت بالبحرين ثم نازل قائدهم جومر الكاتب
بمسكرة مدينة مصر واستولى عليها واقتلع دولة بني طنج من اصولها واخط القاهرة فجاء
الخليفة بعد المعز لدين الله ففرطوا لستين سنة او نحوها منذ استيلائهم على الاسكندرية
وكذا السلوقية ملوك الترك لما استولوا على بني سامان واجازوا من وراء النهر مكثوا
ثمرا من ثلاثين سنة بطاولون بني سيكتكين بن ساسان حتى استولوا على دولته ثم زحفوا الى
بغداد فاستولوا عليها وعلى الخليفة بها بعد ايام من الدهر وكذا التتر من بعدهم خرجوا
من المازة اعمام سبعة عشر وسفانة فلم يتم لهم الاستيلاء الا بعد اربعين سنة وكذا اهل
المغرب خرج المرابطون من لمتونة على ملوكهم من مغراة فطاولوم سبعين سنة استولوا عليه
ثم خرج الموحدون بدعوتهم على لمتونة فمكثوا ثمرا من ثلاثين سنة بجبارونهم حتى استولوا
على كرسجهم بمراكش وكذا بنو مرين من زناتة خرجوا على الموحدون فمكثوا بطاولومهم
ثمرا من ثلاثين سنة واستولوا على فاس واقطعوا واعمالها من ملكهم ثم اقاموا في مشاربهم
ثلاثين سنه حتى استولوا على كرسجهم بمراكش حسبما يذكر ذلك كله في تواريخ هذه
الدول فكذا حال الدول المستعبدة مع المستقرة في المطالبة والمطالبة سنة الله في عباده
ولن يبدل سنة الله تديلا ولا يمارض ذلك بما وقع في التفرجات الاسلامية وكيف كان
استيلائهم على فارس والروم ثلاث اواربع من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واعلم ان
ذلك انما كان معجزة من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم سرها اسفانة المسلمين في جهاد
عدوم استبعا بالايان وما اوقع الله في قلوب عدوم من الرعب والتخاذل فكان ذلك
كاه خارقا للمادة المتغيرة في مطاواة الدول المستعبدة للمستقرة واذا كان ذلك خارقا فهو
من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم المتعارف ظهورها في الملة الاسلامية والمعجزات
لا يقاس عليها الامور العادية ولا يعترض بها والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

الفصل الخامس

في وقورا عمران اخر الدولة وما يقع فيها من كثرة المراتب والجماعات
اعلم انه قد تقرر لك فيما سلف ان الدولة في اول امرها لا بد لها من الرفق سيفه

الشرعية والملوكية وحسنه على مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم بما لا يستغنى عنه مالك ولا
سوقة . ونص الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم) اما بعد فعليك بتقوى الله وحده
لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل ومزايله سخطه واحتفظ بعينك في الليل والنهار
والرم ما البسك الله من العافية بالذكر لمادك وما انت صائر اليه وموقوف عليه
ومستول عنه والاعمال في ذلك كله بما يهيكلك الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من
عقابه والى عذابه فان الله سبحانه قد احسن اليك واوجب الرفقة عليك من استعراك
امرهم من عبادك والملك العدل فيهم والقيام بحقوق وحدودهم عليهم والذب عنهم والدفع
عن حريمهم ومنصبهم والمحن لدمائهم والامن لسرهم وادخال الراحة عليهم وميخذك بما
فرض عليك وموقفك عليه وسألك عنه ومثبك عليه بما قدمت واخرت ففرغ لذلك
فهمك وعقلك وبصرك ولا يشغلك عنه شاغل وانه راس امرك وملاك شانك واول ما
يقولك الله عليه وليكن اول ما تارم به نفسك وتسب اليه فعلك المواظبة على ما فرض
الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك وتبليها على
سنتها من اسبغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله عز وجل فيها ورتل في قراءتك وتغن في
ركوعك وسجودك وتشهدك وتصرف فيه رايك وركبك واحضض عليه جماعة من
مهلك وشمت يدك واداب عليها فانها كما قال الله عز وجل نهى عن الفحشاء والمنكر
ثم اتبع ذلك بالاخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمناجزة على خلافته واقفاه اثر
السلف الصالح من بعده واذا ورد عليك امر فاستعن عليه باستشارة الله عز وجل وتواؤم
والاروم ما انزل الله عز وجل في كتابه من امر ونهي وحوال وحرمان وانعام ما جاء
به الانار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بالتحقق لله عز وجل ولا تبخل عن
العدل فيها احببت او كرهت لقريب من الناس او لبعيد وآثر الله واهله والدين وحملته
وكتاب الله عز وجل والعاملين به فان افضل ما يتزين به المرء النقة في الدين والطلب
له والبحث عليه والمعرفة بما يقرب به الى الله عز وجل فانه الدليل على التحرك والفتاد
اليه والامر به والنهي عن المعاصي والمواقفات كلها ومع توفيق الله عز وجل يزداد المرء
معرفة واحلالا له ودركا للدرجات العلى في المعاد مع ما في ظهوره للناس من التوقير
لامرك والهمة لساكناتك والانتباه بك والفتنة بعدلك وعليك بالاعتقاد في الامور كلها
فليس شيء الا بين نفع ولا اخص امتا ولا اجمع فضلا منه والقصد داعية الى الرشد والرشد
دليل على التوفيق والتوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين والسنة الهادية بالاعتقاد

الفصل الحادي والخمسون

في ان العمران البشري لا بد له من سياسة يتنظم بها امره

اعلم انه قد تقدم لنا في غير موضع ان الاجتماع للبشر ضروري وهو معنى العمران الذي تتكلم فيه وانه لا بد لهم في الاجتماع من راع حاكم يرجعون اليه وحكمة فيهم تارة يكون مستنداً الى شرع منزل من عند الله بوجوب انقيادهم اليه ايمانهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مبلغه وتارة الى سياسة عقلية بوجوب انقيادهم اليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم فالاولى يحصل نفعها في الدنيا والاخرة لعلم الشارع بالمصالح في العاقبة ولراعاؤه نية العباد في الاخرة والثانية اما يحصل نفعها في الدنيا فقط وما تنفعه من السياسة المدنية فليس من هذا الباب وانما معناها عند الحكماء ما يجب ان يكون عليه كل واحد من اهل ذلك المجتمع في نفسه وخلقه حتى يستغنى عن الحكماء راساً ويؤمن المجتمع الذي يحصل فيه ما يسمى من ذلك بالمدينة الفاضلة والقوانين المرافعة في ذلك بالسياسة المدنية وليس مرادهم السياسة التي يحمل عليها اهل الاجتماع بالمصالح العامة فان هذه غير تلك وهذه المدينة الفاضلة عندهم نادرة او بعيدة الوقوع لانما يتكلمون عليها على جهة الفرض والتقدير ثم ان السياسة العقلية التي قدمناها تكون على وجهين احدهما يراى فيها المصالح على العموم ومصالح السلطان في استقامة ملكه على الخصوص وهذه كانت سياسة النرس وهي على جهة التحكمة وقد اغتاها الله تعالى عنها في الملة ولعهد الخلافة لان الاحكام الشرعية مبنية عنها في المصالح العامة والمخاصة والافات واحكام المالك مندرجة فيها . الوجه الثاني ان يراى فيها مصلحة السلطان وكيف يستقيم له الملك مع الثمر والاستقامة وتكون المصالح العامة في هذه تبعاً وهذه السياسة التي يحمل عليها اهل الاجتماع التي لساائر الملوك في العالم من مسلم وكافر الا ان ملوك المسلمين يخرجون منها على ما تقتضيه الشريعة الاسلامية بحسب جهدهم فقوانينها اذا اتجمعة من احكام شرعية واداب خليفية وقوانين في الاجتماع طبعية واشياء من مراعاة الشوك العصبية ضرورة والاقتداء فيها بالشرع ولا يتم التحكاه في ادايتهم والترك في سيرهم ومن سن ما كتب في ذلك وادع كتاب طاهر بن الحسين لابنه عبد الله بن طاهر المأمون الرقة ومصر وما بينهما فكتب اليه امرة طاهر كتاب المشهور عهد اليه فيو اعلم انه ما يحتاج اليه في دولته وسلطانها من الاداب الدينية والخلقية والسياسة

والمحجور واصرف عنها رايك واظهر براعتك من ذلك اربعتك واسم يا عبد الله
 وم بالحق فيهم وبالمعرفة التي تنبئ بك الى سبيل الهدى واملك نفسك عند القصد
 واترا الحكم والوقار وياك والحدة والفيض والغرور فيما انت بسيدك وياك ان تقول
 مسلم افضل ما اشاء فان ذلك سريع الى نقص الراي وقلة اليقين لله عز وجل واخلص
 وحده الذية فيه واليقين واعلم ان الله سبحانه وتعالى يوتيه من يشاء وينزعه ممن
 يشاء وان تجد تغيرا للعبة وحاول الثبته الى احد اسرح سه الى جهلة اللعبة من اصحاب
 السلطان والمسويط لهم في الدولة اذا كفر وانعم الله واحسانه واستغنائهم بما اعطاهم الله
 عز وجل من فضله ودع عنك شر نفسك ولكن ذكرك وكنوزك التي تنخر وتكبر
 الدر والنفى واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والنفذ لأمورهم والحفظ لدمائهم والاعانة
 لهم فهم واعلم ان الاموال اذا اكثرت وادخرت في الخزائن لا تنو اذا كانت في صلاح
 الرعية واعطاء حقوقهم وكف الاذية عنهم تمت وزكمت وصححت به العامة وترتبت
 الولاية وطلب به الرمان واعتقد فيه الدر والمنحة فليكن كز خزانك فخر في الاموال في
 عمارة الاسلام وادله وفر به حل اولياء امير المؤمنين قبله حقوقهم واروف من ذلك
 حرمهم وتهم ما يصلح امورهم ومعانهم فانك اذا فعلت ترتت النعمة لك واستوجبت
 المريد من الله تعالى وكسب بالملك على جارية اموال رعيته وشراجهك اقدر وكان
 الجمع لما لهم من عدلك واحسانك اساسا للملك وطلب نفسك بل ما اردت واجود
 نفسك فيما جادتك لك في هذا الباب واعظم حظك فيه فانما يرضى من المال ما اتقى في
 سبيل الله وفيه حقه واعرف للشاكرين حقهم وانهم على ويا ان تسبك الدنيا
 وغرورها حول الاخرة فتنهاون بما يمت عليك فان النهابون يورث التفرط والتفريط
 يورث التور واليكن علك لله عز وجل وفيه وارج الثواب فان الله سبحانه قد اسع عليك
 فضله واعظم باليكر وعليه فاعقد بركة الله خيرا واحسانا فان الله عز وجل يكتب
 قدر شكر الشاكرين واحسان المحسنين ولا تحقر ذنبا ولا تاملن حاسدا ولا ترحمن
 فاجرا ولا تملن كنورا ولا تدهانن عدوا ولا تصدقن عاتقا ولا تاملن عدوا ولا
 تاملن فاسقا ولا تملن غاليا ولا تحمدن مرانا ولا تهقرن انسانا ولا ترحن سائلا فقيرا
 ولا تحسنن باطلا ولا تلامسنن معيكا ولا تملنن وعدا ولا تذهبن شرا ولا تفهبن
 غدا ولا تاملن رجاء ولا تملنن مرعا ولا تركن سفاها ولا تفردن سيفه طلب الاخرة
 ولا ترفع النمام عدا ولا تنفض عن ظالم رهبة منه او محاباة ولا تاملن نواب الاخرة في

وكذا في دنياك كلها ولا تقصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنن
المعروفة ومعالم الرشد والإعانة والاستكثار من البر والسعي له إذا كان يطلب به وجه
الله تعالى ومراضاة ومرافقة أولياء الله في دار كرامته أما تعلم أن القصد في شأن الدنيا
يورث العزو ويخص من الذنوب وإنك لن تحوط نفسك من قاتل ولا تنصلح أمورك
بأفضل منه فأنت واهتدي به ثم أمورك وتزد مقدرتك ويصلح عامتك وخاصتك واحسن
طاعتك بالله عز وجل تستقم لك رعيتك والنسب الوسيلة إليه في الأمور كلها تسندم به
النعمة عليك ولا تنهت أحد من الناس فيما تواليه من عملك قبل أن تكشف أمره فإن
انقاع النعم بالبراء والظنون السيئة بهم أتم فاجعل من شأنك حسن الظن باصحابك
وطرد عك سوء الظن بهم ورافضة فيهم بعينك ذلك على استطاعتهم ورياضتهم ولا
تقتن عدو الله الشيطان في أمرك معهما فإنه إنما يكفني بالقليل من وهلك ويدخل
عليك من الغم يسوء الظن بهم ما ينقص لذادة عيشك وإعلم أنك تجد بحسن الظن قوة
وراحة وتكفني به ما أحبت كفاية من أمورك وتدعو به الناس إلى محبتك والاستقامة في
الأمور كلها ولا بعينك حسن الظن باصحابك والرافة برعيتك أن تستعمل المسئلة والمحت
عن أمورك والمباشرة لأمور الأولياء وحاجلة الرعية والتلطف في حقهم وحمل مؤامهم
يسر عندك ما سوى ذلك فإنه اقوم للدين وأحيا للسنن وأخلص نيتك في جميع هذا وتفرد
بتقوم نفسك تفرد من يعلم أنه مسئول عما صعب ويجزي بما أحسن وما شاذ بما أساء فإن
الله عز وجل جعل الدنيا حرجا وعزاف رفح من أتبعه وعززه وإله لك بن قدوسة وترطاه
نفع الدين وطريقة الأهدى وأتم حدود الله تعالى في أصحاب الجرائم على قدر ما زلهم وما
استغفرو ولا تعطل ذلك ولا تنهاون به ولا توخر عقوبة أهل العقوبة فإن في تفرطك
في ذلك ما يفسد عليك حسن طاعتك واعتم على أمرك في ذلك بأحسن المعروفة وجانب
البديع والله يهت يسلم لك دينك ويتم لك مروتك وإذا عاهدت عهدا فارف به وإذا
وعدت الخبير فلتجزه وأقبل المحسنة وادفع بها وأغض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك
واشدد لسانك عن قول الكذب والروور وانقض أهل النية فإن أول فساد أمورك
في عاجلها وآجلها تقرب الكذب والمجراة على الكذب لأن الكذب رأس المآثم والزور
والنية خاتمها لأن النية لا يسلم صاحبها وقائلا لا يسلم له صاحب ولا يستقيم له أمر
وأحبب أهل الصلاح والصدق وأعن الأشراف والمخين وأعن الضعفاء وصل الرعم وأبع
بذلك وجهه الله تعالى وعزاز أمره وأحسن قيوته والدار الآخرة وأجنب سوء الأهواء

كاتب لك ولا لاحد من خاصتك ولا حاشيتك ولا تأخذن شي فوق الاحمال لك ولا
 تكلف امرا فيه شطاط واحمل الناس كلهم على امر الحق فان ذلك اجمع لانهم وان لم
 ارضاء العامة واعلم انك جعلت بولايك خازنا وحافظا وراعيا واما سعي اهل عملك
 رعيته لك راعيتهم وفيهم شئ منهم ما اعطوك من عنوهم وننذه في قيام امرهم وصلاحهم
 وثقوهم اودهم واستعمل عليهم اولي الراي والتدبير والتجربة والعلم والعدل بالسياسة
 والعفاف ووسع عليهم في الرزق فان ذلك من المستوفى اللازمة لك فيما نقلت واستند
 اليك فلا يشغلك عنه شغل ولا يصرفك عنه صارف فانك متى اتيت به وقمت فيه بالواجب
 استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن الاحدوث في عملك واستبررت به المحبة من
 رعيته واعنت على الصلاح فدرت الخيرات بهلك وفشت العارة بهاجتتك وظهر
 الخصب في كورك وكثر خراجك وتوفرت اموالك وقويت بذلك على ارتباط جدك
 وارضاء العامة بافاضة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمودا بسياسة مرضي العدل في
 ذلك عند عدوك وكنت في امورك كذا عدل وآلة وفرة وعدة فتنافس فيها ولا تقدم
 عليها شيئا تحبب عاقبة امرك ان شاء الله تعالى واجعل في كل كورة من عملك امينا يتحرك
 خبر عما لك ويكتب اليك بسيرهم واعلم حتى كانك مع كل عامل في عمله معاينا لا موره
 كما واذا اردت ان تامرهم بامر فانظر في عواقب ما اردت من ذلك فان رايت السلامة فيه
 والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع فافاضه والا فتوقف عنه وراجع اهل البصر والعلم
 به ثم خذ فيه عدته فانظر ما نظر الرجل في امره وقد انا على ما بهوى فافاض ذلك واعجبه
 فان لم ينظر في عواقبه اهلكه ونقض عاقبة امره فاستعمل الخبز في كل ما اردت وباشرة
 بعد عون الله عز وجل بالقوة واكثر من استشارة ربك في جميع امورك وافرج من عمل يومك
 ولا تؤخره واكثر مباشرة بنفسك فان لغد امورا وحادث تاهبك عن عمل يومك
 الذي اخرت واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب مما فيه فاذا اخرت عمله اجتمع عليك
 على يومين فيشغلك ذلك حتى ترضى منه واذا امضيت لكل يوم عمله ارحمت بذلك
 ونفسك وجمعت امرا لعلك وانظر احرار الناس وذوي الفضل منهم من بلوت صفاء
 طوبتهم وشهدت مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على امرك فاستخلصهم واحسن
 اليهم وتعاهد اهل الثورات ممن قد دخلت عليهم الحاجة واحتمل مودتهم واصليح طامع حتى
 لا يبدوا لجانهم منافرا وافرد نفسك بالنظر في امور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على
 دفع معاملة اليك والمجتهد الذي لا علم له بطلب حقوقه فصل عنه اخفى منه كله وكل ما يمانوا

الدنيا وأكثر مشاورة النعماء واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن أهل التجارب وذوي
 العقل والرأي والحكمة ولا تدخلن في مشورتك أهل الرفه والنجف ولا تسمن لم قولاً
 فان ضررهم أكثر من نفعهم وليس شيء أسرع فساداً لما استقبلت فيه امر رعيك من
 الخلع وأعلم انك اذا كنت حريصاً كنت كثير الاخذ قليل العطية واذا كنت كذلك لم
 يستقم امرك الا قليلاً فان رعيك انما تعتمد على محبتك بالكف عن امورهم وترك الجور
 عليهم والى من صفاتك من اولياتك بالاتصال اليهم وحسن العطية لهم واجتنب الخلع
 وأعلم انه اول ما عصى به الانسان ربه وان العاصي بمنزلة المجري وهو قول الله عز وجل
 ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فسهل طريق الجود بالحس واجعل للمسلمين كلهم
 في بيتك حشداً ونصيلاً وان ابن ان الجود افضل اعمال العباد فاعده لنفسك خلقاً وارض
 به عكلاً ومذهباً وتتخذ الجند في ديارهم ومكانهم وادار عليهم ارزاقهم ووسع عليهم في
 معاشهم يذهب الله عز وجل بذلك فاقتم فيقوى لك امرهم وتزيد قلوبهم في طاعتك
 وامرك خلوصاً وانفراحاً وحسب ذي السلطان من السعادة ان يكون على جدر ورعيه
 رحمة في عدله وعطيته وانصافه وعنايته وشفتيه وبره وتوسعه في ذلك مكروه احد البايين
 باسبغ ارضاء الباب الاخر وزوم العمل به تلقى ان شاء الله تعالى به نجاحاً وصلاحاً
 وفلاحاً وأعلم ان القضاء من الله تعالى ما لمكان الذي ليس له به شيء من الامور لانه
 ميزان الله الذي يعدل عليه احوال الناس في الارض وباقامة العدل في القضاء والعدل يصلح
 احوال الرعية وتأم من السبل ويتصرف المظلوم وتأخذ الناس حقهم وتحسن المعيشة
 ويؤدي حق الطاعة ويرزق من الله العافية والسلامة ويقيم الدين ويمري السنن
 والشرائع في مجارها واشتد في امر الله عز وجل وتورع عن الطلاق وامض لاقامة المحدث
 وافلل العجلة وابعد عن الضجر والفاني واقنع بالقسم وانتع بغيرتكم واشبه في صحتك
 واسدد في منطقتك وانصف الخصم وقف عند الشبهة وابلغ في الحجية ولا باخذك في احد
 من رعيك محاباة ولا بمجاملة ولا لومة لائم وثبتت وتأمن وراقب وانظر وتفكر وتدبر
 واعتبر ونواضع لربك وارفق بجميع الرعية وسلط الحق على نفسك ولا تزعج الى نفسك
 الدماء فان الدماء من الله عز وجل يمكن عظيم انهما كما لما يغير حثها وانظر هذا الخراج
 الذي استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزاً ورفعة ولا له توسعة ومنعة ولعدو
 كتباً وغيظاً ولا لاهل الكفر من معادهم ذلاً وصغاراً فوزع بين اصحابه بالحس والعدل
 والتسوية والعموم ولا تدفعن شيئاً منه عن شريف لشرفه ولا عن غني لثباته ولا عن

امورك واستغفره فان الله عز وجل مع الصالح واهلك اعظم سبوتك وافضل رغبته
ما كان الله عز وجل رضى ولد ينز نضامنا ولاهلو عزنا ونمكيننا والملة والذمة عدلا وصلاحا
وانا اسال الله عز وجل ان يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلا ذلك والسلام .
وحدث الاخباريون ان هذا الكتاب لما طهر وشاع امره اعجب به الناس وانصل
للمؤمن فلما قرئ عليه قال ما ابق ابو الطرب يعني طاهرا شيئا من امور الدنيا
والدين والديور والراي والسياسة وصالح الملك والرعوة وحفظ السلطان وبلاعة الخلفاء
وتقوم الخلافه الا وقد اسكنه وارصى روعه امر المؤمنين فكاتب به الى جميع العمال شيخ
البراهي ليقبلوا به ويعملوا بما فيه هذا الحسن ما وفقت عليه في هذه السياسة والله اعلم

الفصل الثاني والخمسون

في امر الفاطمي وما يذهب اليه الناس في شأنه وكشف الغم له عن ذلك
اعلم ان المشهورين الكفاة من اهل الاسلام على من الاعتبار له لا بد في اخر
الزمان من ظهور رجل من اهل البيت بويد الدين وياهر الدول ويجمع المسلمون
ويستولون على الملك الاسلامية ويسمى بالهادي ويكون خروج الدجال وما امدته من
اشراط الساعة الثابتة في التمسح على انزله وان يحسن ينزل من صدره وغفل الدجال
او ينزل معه فمساعدة على قتله وياتم بالهادي في صلاته ويختص في الباب باحاديث
خرجها الائمة وتكلم فيها المبكرين لذلك وربما طعنوا بعض الاخبار والفتوى المتأخرين
في امر هذا الفاطمي طريقة اخرى ونوع من الاستدلال وربما يعتمدون في ذلك على
الكشف الذي هو اصل طرائقهم . ونحن الان نذكر هنا الاسناد الذي الرار في هذا الشأن
وما للمبكرين فيها من الدلائل وما لم في انكارهم من المستند ثم نذكر كلام المصوفة
وراهم ليقين لك التصحيح من ذلك ان شاء الله تعالى فنقول ان جماعة من الائمة خرجوا
احاديث الهادي منهم الترمذي واو داود والزارقاني ما فيه من النكاح والضراني وابو يعلى
الموصلي وابن بدوها الى جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس وابن عمر وطرفة وابن
مسعود وابي هريرة وانس وابي سعيد الخدري وام سبعة وام سبعة وشبان وقرة بن اباس
وعلي الهذلي وعبد الله بن الحارث بن جبره باسناد ربما يمرض لها المبكرون كما ذكره
الا ان المعروف عند اهل الحديث ان الجرح مقدم على التعديل فاننا وجدنا دلائل في
بعض رجال الاسناد يختلفون في مواعيد حياتهم واسماءهم وانسابهم والامامة

اهل الصلاح في رعيته مرمع يرفع حوائجهم وخالطهم لينظر فيما يصلح الله به امهم وتعاهد
 ذوي البأساء ويتأمامهم واراملهم واجعل لهم ارضا قما من بيت المال اقتداه بامير المؤمنين
 اعزه الله تعالى في العطف عليهم والصلاة لم يصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة
 وزيادة واجر الامراء من بيت المال وقدم حملة القرآن منهم والمحافظين لاكثره سيف
 المجرائد على غيرهم وانصب لمرضى المسلمين دورا ثاويهم وقولما يرفقون بهم واطباء
 يعالجون اسقامهم واسعهم بشهواتهم ما لم يوث ذلك الى سرف في بيت المال واعلم ان الناس
 اذا اعطوا حقوقهم وفضل امانتهم لم نرهم ورعا تبهم المتصفح لامور الناس لكثرة ما يرد
 عليهم ويشغل ذكره وفكره منها ما ينال به مونة ومنفعة وليس من يرغب في العدل
 ويعرف محاسن اموره في العاجل وفضل ثواب الاجل كالذي يستغفر ما يقربه الى
 الله تعالى وثلاث رحمة واكثر ائذن الناس عليك وارحم وجعلك وسكن حراسك
 وانخفض لم جناحك واطهر لم بشرك وان لم في المسئلة والخطى واعطى عليهم بمجودك
 وفضلك واذا اعطيت فاعطى بساحة وطيب نفس والانس للمضيعة والاجرم من غير
 تكدير ولا امتنان فان العطية على ذلك قجارة مرجحة ان شاء الله تعالى واعتبر بما ترى من
 امور الدنيا ومن مضى من ذلك من اهل السلطان والرياسة في القرون الخالية
 والام البائدة ثم اعتمد في احوالك كلها بالله سبحانه وتعالى والوقوف عند شيمته والعامل
 بشريعته وسنته وباقامة دينه وكتابه واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا الى سنن الله
 عز وجل واعرف ما تجب عليك من الاموال وما ينفعون منها ولا تتبع حراما ولا تنفق
 اسرافا واكثر محاسبة العلماء ومتاورهم وشا نصيحتهم وليكن هلك اساع السن وانامها
 واثار مكابر الاخلاق ومقالها وليكن اكرم دخلائك وخصاصك عليك من اذاراي عبا
 لم تقنع هيبتك من انهاء ذلك اليك في ستر واعانك بما فيه من النقص فان اوائك انصح
 ولبائك ومضايرك لك وانظر عمالك الذين يحضرك وكتابك فوقت لكل رجل منهم
 في كل يوم وقفا يدخل فيه بكنه وموامرته وما عنده من حوائج عمالك وامور الدولة
 ورعيته ثم فرغ لما يورد عليك من ذلك سمعك وبصرك وعقلك وكرر النظر
 فيه والتدبير له فما كان موافقا للحق والحرم فامض واستقر الله عز وجل فيه وما كان مخالفا
 لذلك فاصرفه الى المسئلة عنه والنيب ولا تمنع على رعيته ولا غلهم بمعروف توبه
 اليهم ولا تزل من احد الا الرفاء والاستقامة والعون في امور المسلمين ولا تضع المعروف
 الا على ذلك وتبهم كتابي اليك وامعن النظر فيه والتمهل به واستمع بالله على جميع

سمعت شعبة يقول حدثنا عاصم بن ابي الجلود وفي الناس ما فيها وقال الذهبي ثبت في
 القراءة وهو في الحديث دون الثبت صدوق فهم وهو حسن الحديث واب اسحق
 بن الشيبان اخرجاه فقال اخرجاه مقررًا بغيره لا اصلاً والله اعلم وخرج ابو داود
 في الباب عن علي رضي الله عنه من رواية قطان بن خليفة عن القاسم بن ابي مرة عن ابي
 الطائيل عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اولم يبق من الدهر الا يوم بعث الله
 رجلاً من اهل بيتي بإلها عدلاً كما ملئت جوراً وقمان بن خليفة وان وثقة احمد ويحيى
 ابن القطان وابن معين والنسائي وغيرهم الا ان العجلي قال حسن الحديث وفيه تشيع
 قليل وقال ابن معين مرة ثقة شيعي وقال احمد بن عبد الله بن يونس كان ثراً على قطان
 وهو مطروح لا يكتب عنه وقال مرة كنت امرؤ وادعته مثل الكلاب وقال الدارقطني
 لا يفتح به وقال ابو بكر بن عياش ما تركت الرواية عنه الا لسوء مذهبه وقال المجراني
 زائغ غير ثقة اشبه وخرج ابو داود ايضاً بسنده الى علي رضي الله عنه عن مروان ابن
 المغيرة عن عمر بن ابي قيس عن شعيب بن ابي خالد عن ابي اسحاق النخعي قال قال
 علي وفطر الى ابني الحسن ان ابني هذا سيد كما ساء رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج
 من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الجاني ولا يشبهه في الخلق بإل الأرض عدلاً
 وقال هارون حدثنا عمر بن ابي قيس عن مطرف بن طريف عن ابي الحسن عت
 هلال بن عمر سمعت علياً يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج رجل من وراء النهر
 يقال له الحارث على مقدمته رجل يقال له منصور يوحى و او يمكن لآل محمد كما مكنت
 فريش ارسول الله صلى الله عليه وسلم وجب على كل مومن نصره او قال اجابته سكنت
 ابو داود عليه وقال في موضع اخر في هارون هو من ولد الشيعة وقال السلمي في فيه
 نظر وقال ابو داود في عمر بن ابي قيس لا بأس به في حديثه خطأ وقال الذهبي صدق
 له اوام واما ابو اسحاق الشيباني وان خرج عنه في الصحيحين فقد ثبت انه اختلط اخر
 عمره و روايته عن علي منقطعة وكذلك رواية ابي داود عن هارون بن المغيرة . واما
 السند الثاني فاول الحسن فيه وهلال ابن عمر مجهولان ولم يعرف ابو الحسن الا من رواية
 مطرف بن طريف عنه انتهى وخرج ابو داود ايضاً عن ام سلمة وكذا ابن ماجه والحاكم
 في المستدرک من طريق علي بن نذير عن سعيد بن المسيب عن ام سلمة قالت سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المدي من ولد فاطمة ولنفذ الحكم سمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يذكر المدي فقال نعم هو حق وهو من بني فاطمة ولم يتكلم عليه

الحديث واهن منها ولا تقولن مثل ذلك ربما يتطرق الى رجال الصيحين فان الاجماع
 قد انفصل في الامة على تلقينها بالقبول والعمل بها فبها وفي الاجماع اعظم حماية واحسن
 دفع وليس غير الصيحين بمثابة في ذلك فقد نجد مجالا للكلام في اسانيد ما نقل عن
 ائمة الحديث في ذلك . ولقد توعد ابو بكر بن ابي خزيمة على ما نقل السهيلي عنه في جمعه
 للاحداث الواردة في المدي فقال ومن اغربها اسنادا ما ذكره ابو بكر الاسكاف في
 فتاوى الاخبار مستندا الى مالك بن انس عن محمد بن المنكر عن جابر قال قال رسول
 الله صلى عليه وسلم من كذب بالمدي فقد كفر ومن كذب بالدجال فقد كذب وقال
 في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيها احسب وحسبك هذا غلط والله اعلم بصحة طريقه
 الى مالك بن انس على ان ابا بكر الاسكاف عديم منهم وضاع . واما الترمذي فخرج هو
 وابو داود بسندهما الى ابن عباس من طريق عاصم بن ابي النجود احد القراء السبعة الى زب
 حيش عن عبد الله ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لولم يبق من الدنيا الا يوم
 لظن الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا مني او من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي
 واسم ابيه اسم ابي . هذا لفظ ابي داود وسكت عليه وقال في رسالته المشهورة ان ما
 سكت عليه في كتابه فهو صحيح وانظروا الترمذي لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل
 من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي وفي لفظ اخر حتى ياتي رجل من اهل بيتي وكلاهما حديث
 حسن صحيح ورواه ايضا من طريق موقفا على ابي هريرة وقال الحاكم رواه الثوري وشعبة
 وزائدة وغيرهم من ائمة المسلمين عن عاصم قال وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كذا
 صحيح على ما اصله من الاحتجاج بالخيار عاصم ان هو امام من ائمة المسلمين انتهى الا ان
 عاصم قال فيه احمد بن حنبل كان رجلا صالحا قارئا للقرآن خيرا ثقة والاعمش احتفظ
 منه وكان شعبة يفتخر الاعمش عليه في تثبيت الحديث وقال البيهقي كان يختلف عليه في
 زرواني وائل يشار بذلك الى ضعف روايته عنها وقال محمد بن سعد كان ثقة الا انه
 كثير الخطأ في حديثه وقال يعقوب بن سليمان في حديثه اضطراب وقال عبد الرحمن
 بن ابي حاتم قلت لابي ان ابا زرعة يقول عاصم ثقة فقال ليس بمثله هذا وقد تكلم فيه ابا
 عاصم فقال كل من اسمه عاصم سيء الخلف وقال ابو حاتم مثله عندي مثل الصدق صالح
 الحديث ولم يكن بذلك المحفوظ واختلف فيه قول النسائي وقال ابن خراش في حديثه
 فكرة وقال ابو جعفر القمي لم يكن فيه الا سوء الخلف وقال الدارقطني في حفظه شيء
 وقال مجي القطايف ما وجدت رجلا اسمه عاصم الا وجدته رديء الخلف وقال ايضا

شيء حدث فسالنا نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال ان في امي المهدي يخرج ويعيش خمسة
او سبعة او تسعة زيد الشاذلي قال قلنا وما ذاك قال سين قال فيبي اليه الرجل فيقول
يا مهدي اعطني قال فيقول في ثوبه ما استطاع ان يجمعه . لفظ الترمذي وقال هذا
حديث حسن وقد روى من غير وجه عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظ
ابن ماجه والمحاكم يكون في امي المهدي ان قصير فوسع والا فتسع فتعني امي فيه نعمة لم
يسمعوا بها قط توفي الارض اكلا ولا يدخر منه شيء والمال يوشك كدوس فيقوم
الرجل فيقول يا مهدي اعطني فيقول خذ انتي وزيد العبي وان قال فيه الدار قطني
واحمد بن حنبل ويحيى بن معين انه صالح وزاد احمد انه فوق يزيد الرقائشي وفضل
ابن عيسى الا انه قال فيه ابو حاتم ضعيف يكتب حديثه ولا يخرج به وقال يحيى بن معين
في رواية اخرى لا شيء وقال مرة يكتب حديثه وهو ضعيف وقال المخرجاني متماثل
وقال ابو زرعة ليس بقوي واي الحديث ضعيف وقال ابو حاتم ليس بذلك وقد حدث
عنه شعبة وقال النسائي ضعيف وقال ابن عدي عامة ما يرويه ومن يروي عنهم ضعفا
على ان شعبة قد روى عنه ولعل شعبة لم يرو عن اضعف منه وقد يقال ان حديث
الترمذي وقع تنسيها لما رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يكون في اخراستي خليفة يجمع المال خذوا لا بعده عدا ومن حديث ابي
سعيد قال من خلفاكم خليفة يجمع المال خذوا من طريق اخرى عنها قال يكون في
اخراستي خليفة يقسم المال ولا بعده انتهي واحديث مسلم لم يقع فيها ذكر المهدي ولا
دليل يقوم على انه المراد منها ورواه الحاكم ايضا من طريق عوف الاعرابي عن ابي
الصديق الناجي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقوم
الساعة حتى غارت الارض جورا وظلما وعدوا تا تم يخرج من اهل بيتي رجلا يلاها
قسلا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوا وقال فيه الحاكم هذا صحيح على شرط الشيخين ولم
يخرجاه ورواه الحاكم ايضا من طريق سليمان بن عبيد عن ابي الصديق الناجي عن ابي
سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج في اخراستي المهدي يسفد
الله الغيث ويخرج الارض نباتها ويعطي المال صناعا وتكثر الماتية وتعلم الامة يعرض
سبعاء او ثمانيا يعني جميعا وقال فيه حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه مع ان سليمان بن عبيد
لم يخرجه له احد من الستة لكن ذكره ابن حبان في الثقات ولم يرد ان احدا نكل فيه ثم
رواه الحاكم ايضا من طريق اسد بن موسى عن سجاد بن سلمة عن مطر الوراق واي

صحيح ولا غيره وقد ضعفه ابو جعفر العتيقي وقال لا يتابع علي بن نفيل عليه ولا يعرف
 الا ابو وخرجه ابو داود ايضا عن ام سلمة من رواية صالح بن الخليل عن صاحب له عن
 ام سلمة قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من اهل المدينة هاربا الى
 مكة فيأتيه ناس من اهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام فيبعث
 اليه بعث من الشام فيضف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك اناء
 ابدال اهل الشام وعصائب اهل العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش اخواله
 كلب فيبعث اليهم بعثا فيظفرون عليهم وذلك بعث كلب والمحنية لمن لم يشهد غنصه
 كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويلقي الاسلام يجرأ
 على الارض فيلبس سبع سنين وقال بعضهم تسع سنين ثم روى ابو داود من رواية ابي
 الخليل عن عبد الله بن الحارث عن ام سلمة فتدبر بذلك الميهم في الاسناد الاول
 ورجاله رجال الصحيح لا مطعن فيهم ولا مغيزر وقد يقال انه من رواية قتادة عن ابي
 الخليل وقتادة مدلس وقد عتقه والمدلس لا يقبل من حديثه الا ما صرح فيه بالسماع
 مع ان الحديث ليس فيه تصريح بذكر المهدي نعم ذكره ابو داود في ابوابه وخرجه ابو
 داود ايضا وتابعه الحاكم عن ابي سعيد الخدري من طريق عمران القطان عن قتادة عن
 ابي بصرة عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي مني
 اجلي المحبة اثنى الاثني مائة الارض قسما وعدلا كما مائت ظلما وجورا يملك سبع
 سنين هذا اللفظ ابي داود وسكت عليه ونفذ الحاكم المهدي منا اهل البيت اتم الاثني
 اثنى اجلي مائة الارض قسما وعدلا كما مائت جورا وظلما يعيش هكذا وبسط يساره
 واصبعين من يمينه السبابة والابهام وعدة ثلاثة قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط
 مسلم ولم يخرجه او عمران القطان مختلف في الاحتجاج به اما اخرج له البخاري استشهاده
 لا اسنادا وكان يسمي القطان لا يتحدث عنه وقال يحيى بن معين ليس بالقوي وقال مرة
 ليس بشيء وقال احمد بن حنبل ارجوان يكون صالح الحديث وقال يزيد بن زريع
 كان حروريا وكان يرى السيف على اهل القنلة وقال النسائي ضعيف وقال ابو عبيد
 الآجري سالت ابا داود عنه فقال من اصحاب الحسن وما سمعت الا خيرا وسمعت مرة
 اخرى ذكره فقال ضعيف اثنى في ابراهيم بن عبد الله بن حسن بنقوى شديدة فيها
 سفك الدماء وخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم عن ابي سعيد الخدري من طريق
 زيد العلي عن ابي صديق الناجي عن ابي سعيد الخدري قال خشيتنا ان يكون بعض

عند المحدثين بحديث الرايات وبزييد بن ابي زياد راويه قال فيه شعبة كان رفعا يعني
 برفع الاحاديث التي لا تعرف مرفوعة وقال محمد ابن الفضل كان من كبار ائمة المذاهب
 وقال احمد بن حنبل لم يكن بالحافظ وقال مرة حديثه ليس بذلك وقال يحيى بن
 معين ضعيف وقال العجلي جاز الحديث وكان بآخره يلقن وقال ابو زرعة ابن يكتسب
 حديثه ولا يخرج به وقال ابو حاتم ليس بالقوي وقال الجرجاني سمعهم يضعفون حديثه
 وقال ابو داود لا اعلم احدا ترك حديثه وغيره احب الي منه وقال ابن عدي هو من
 شعبة اهل الكوفة ومع ضعفه يكتب حديثه وروي له مسلم لكن مقرونا بغيره وبالمجالة
 فلا اكثر من على ضعفه وقد صرح الائمة بتضعيف هذا الحديث الذي رواه عن ابراهيم
 عن علقمة عن عبد الله وهو حديث الرايات وقال وكيع بن الجراح في حديثه ليس بشيء
 وكذلك قال احمد بن حنبل وقال ابو قدامة سمعت ابا اسامة يقول في حديث يزيد
 عن ابراهيم في الرايات لو حلف عندي خمسون ميتا قساما ما صدقته اهنا مذهب
 ابراهيم اهنا مذهب علقمة اهنا مذهب عبد الله واورد العجلي هذا الحديث في الضعفاء
 وقال الذهبي ليس يصح وخرج ابن ماجة عن علي رضي الله عنه من رواية باسيت
 العجلي عن ابراهيم بن محمد بن النخعي عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم المهدي منا اهل البيت يصلح الله به في ليلة وباسيت العجلي وان قال فيه ابن
 معين ليس به باس فقد قال البخاري فيه نظار وهذه النسخة من اصطلاحه قوية في
 التضعيف جدا واورد له ابن عدي في الكامل والذهبي في الميزان هذا الحديث على
 وجه الاستسكار له وقال هو معروف به وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن علي
 رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا المهدي ام من غيرنا يا رسول الله
 فقال بل منا بنائهم الله كما بنا فتح وبننا يستنفذون من الشرك وبننا يولف الله بين قلوبهم
 بعد عداوة بينة كما بنا الف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك قال علي امونون ام كافرون
 قال قال موزون وكافرا انتهى . وفيه عبد الله ابن طيبة وهو ضعيف معروف الحال وفيه
 عمر بن جابر الحضرمي وهو اضعف منه قال احمد بن حنبل روي عن جابر من اكبر وبلغني
 انه كان يكتب وقال النسائي ليس بثقة وقال كان ابن طيبة شيئا احق ضعيف العقل
 وكان يقول علي في السحاب وكان يمس معنا فيبصر صحابة فيقول هذا علي قد مر في
 السحاب وخرج الطبراني عن علي رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال يكون في اخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما يحصل الذهب في المعدن فلما

مارون العبدي عن ابي الصديق الناجي عن ابي سعيد ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلث الأرض جوراً وظلماً فيخرج رجل من عترتي فيملك سبعاً أو تسعاً فيبذلها الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً وقال الحاكم فيه هذا حديث صحيح على شرط مسلم لأنه أخرجه عن حماد بن سلمة وعن شيخه مطار الموراق وأما شيخه الآخر وهو أبو هارون العبدي فلم يخرج له وهو ضعيف جداً منهم بالكذب ولا حاجة إلى بسط أقوال الأئمة في تضعيفه . وأما الراوي له عن حماد بن سلمة فهو أسد بن موسى يلقب أسد السنة وإن قال البخاري مشهور الحديث واستشهد به في صحيحه وأصح به أبو داود والنسائي إلا أنه قال مرة أخرى ثقة لولم يصنف كان خيراً له وقال فيه محمد بن حزم منكر الحديث ورواه الطبراني في معجمه الأوسط من رواية أبي الراصل عبد الحميد بن واصل عن أبي الصديق الناجي عن الحسن بن يزيد السعدي أحد بني بهدلة عن أبي سعيد المخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج رجل من امتي يقول لعنتي ينزل الله عز وجل له القطر من السماء وتخرج الأرض بركة لها وثلاً الأرض منه قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يمل على هذه الأمة سبع سنين وينزل على بيت المقدس وقال الطبراني في رواه جماعة عن أبي الصديق ولم يدخل أحد منهم بينه وبين أبي سعيد أحداً إلا أبا الراصل فإنه رواه عن الحسن بن يزيد عن أبي سعيد انتهى وهذا الحسن ابن يزيد ذكره ابن أبي حاتم ولم يعرفه بأكثر مما في هذا الإسناد من روايته عن أبي سعيد ورواية أبي الصديق عنه وقال الذهبي في الميزان أنه مجهول لكن ذكره ابن حبان في الثقات وأما أبو الراصل الذي رواه عن أبي الصديق فلم يخرج له أحد من الستة وذكره ابن حبان في الثقات في الطبقة الثانية وقال فيه بروي عن أنس وروى عنه شعبة وعتاب ابن بشر وخرج ابن ماجه في كتاب السنن عن عبد الله بن مسعود من طريق يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل فتية من بني هاشم فلما رأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه وتغير لونه قال فقامت ما نزال نرى في وجهك شيئاً تكرهه فقال أنا أهل البيت اخبر الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيأتون بعدي بلاء وتشرية وتطرية حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخمر فلا يعطونه فيقتلون وينصبون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي فيبذلها قسطاً كما ملأها جوراً فن أدرك ذلك منك فلما تم وأوحى لي على اللجج انتهى . وهذا الحديث يعرف

نعيم اهل الشام ولكن سبوا اشرارهم فان قعيم الابدال بوشك ان يرسل على اهل الشام
 صيب من النساء فينرق جماعتهم حتى لو قاتلهم النعاب غلبهم فعند ذلك يخرج خارج
 من اهل بيتي في ثلاث رايات اكثر يقول بهم خمسة عشر الفا والمقاتل يقول بهم اثنا
 عشر الفا وامارتهم امت امت يلقون سبع رايات تحت كل راية منها رجل يطلب الملك
 عليهم الله جميعا ويرد الله الى المسلمين الفهم ونعيمهم وقاصيتهم وراهم اه وفيه عبد الله
 بن طيبة وهو ضعيف معروف الحال ورواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح الاسناد
 ولم يخرجاه في روايته ثم يظهر الهاشمي فيرد الله الناس الى الفهم الخ وليس في طريقه ابن
 طيبة وهو اسناد صحيح كما ذكر وخرج الحاكم في المستدرک عن علي رضي الله عنه من رواية
 ابي الطفيل عن محمد بن الحنفية قال كنا عند علي رضي الله عنه فساله رجل عن المهدي
 فقال علي هبأت ثم عقد يده سبعا فقال ذلك يخرج في اخر الزمان اذا قال الرجل
 الله الله قتل ويبيع الله له قوماً قرع^(١) كقرع السحاب بولف الله بيت قلوبهم فلا
 يستوحشون الى احد ولا يفرحون باحد دخل فيهم عدتهم على عدة اهل بدر لم يسبقهم
 الاولون ولا يدرهم الآخرون وعلى عدد اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر
 قال ابو الطفيل قال ابن الحنفية اتريده قلت نعم قال فانه يخرج من بين هذين
 الاخشين قلت لا جرم والله ولا ادعها حتى اموت ومات بها يعني مكة قال الحاكم هذا
 حديث صحيح على شرط الشيخين انتهى وانما هو على شرط مسلم فقط فان فيه عاراً الذهبي
 ويونس بن ابي اسحاق ولم يخرج لما البخاري وفيه عمرو بن محمد العبقرى ولم يخرج له
 البخاري احتجاجاً بل استشهداً ما ينضم الى ذلك من تشيع عار الذهبي وهو ابن وثقة
 احمد وابن معين وابو حاتم النسائي وغيرهم فقد قال علي بن المديني عن سنان أن بشر
 ابن مروان قطع عرقه به قلت في اي شيء قال في التشيع وخرج ابن ماجة عن انس
 ابن مالك رضي الله عنه في رواية سعد ابن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن زياد
 الباهي عن عكرمة بن عمار عن اسحاق بن عبد الله عن انس قال سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول نحن ولد عبد المطلب سادات اهل الجنة انا وحمة وعلي وجعفر
 والحسن والحسين والمهدي انتهى وعكرمة بن عمار ان اخرج له مسلم فانما اخرج له متابعة
 وقد ضعفت بعض وثقة الآخرون وقال ابو حاتم الرازي هو مدلس فلا يقل الى ان
 يصرح بالاسماع على بن زياد قال الذهبي في الميزان لا ندرى من هو ثم قال الصواب فيه

١ قرع سم اوله وفتح الراي مخرج من الصرف تكلمه

عبد الله بن عمر السبيعي وعبد الله بن طيبة وهاضميان ١٠٥٠. وخرج الطبراني في معجمه
 الاوسط عن طلحة بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ستكون فتنة لا يسكن منها
 جانب الا فتاجر جانب حتى ينادي مناد من السماء ان اميركم فلان ١٠٥١. وفيما لقني بن الصباح
 وهو ضعيف جدا وليس في الحديث نصريح بذكر المهدي وانما ذكره في ابوابه وترجمته
 استنباطا فلهذه جملة الاحاديث التي خرجها الاثمة في شان المهدي ومثروجه آخر الزمان
 وهي كما رايت لم يتخلص منها من النقد الا القليل والاقول منه وربما تمسك المتكبرون لسانه
 بما رواه محمد بن خالد الجبدي عن ابان بن صالح بن ابي عياش عن الحسن البصري
 عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا مهدي الا عيسى بن مريم
 وقال يحيى بن معين في محمد بن خالد انه ثقة وقال الديلمي ترويه محمد بن خالد وقال
 الحاكم فيه انه رجل مجهول واختلف عليه في استاده فرة بروية كما تقدم وينسب ذلك
 لمحمد بن ادريس الشافعي ومرة يرويه عن محمد بن خالد عن ابان عن الحسن بن
 النبي صلى الله عليه وسلم رسالا قال النبي في رجح الى رواية محمد بن خالد وهو مجهول
 عن ابان ابن ابي عياش وهو متروك عن الحسن بن النبي صلى الله عليه وسلم وهو منقطع
 وبالحكمة فالحديث ضعيف مضطرب وقد قيل ان لا مهدي الا عيسى اي لا يتكلم في المدة
 الا عيسى بما وُلد بهذا التاويل رد الاحتجاج او الجمع بينه وبين الاحاديث ومن
 مدفوع به بخرج ومثله من البخاري. واما المنصوفة فلم يكن المقتد من منهم بخوضون
 في شيء من هذا وانما كان كلامهم في المجاهدة بالاعمال وما يحصل عنها من نتائج المجدد
 والاحوال وكان كلام الامامية والرافضة من الشيعة في تفضيل علي رضي الله تعالى عنه
 والقول بامامته ودعاه الوصية له بذلك من النبي صلى الله عليه وسلم والتبري من الذين
 كما ذكرناه في مذاهبيهم ثم حدث فيهم بعد ذلك القول بالامام المعصوم وكثرت التاكيدات
 في مذاهبيهم وجاء الاسماعيلية منهم يدعون الوهية بالامام بنوع من التحول واخرون لا
 يدعون رجعة من مات من الاثمة بنوع التنازع واخرون منتظرون مجيء من يقطع بهونه
 منهم واخرون منتظرون عود الامر في اهل البيت مستدلين على ذلك بما قدمناه من
 الاحاديث في المهدي وغيرها ثم حدث ايضا عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف
 وفيما وراء المحس وظهر من كثير منهم القول على الاطلاق بالتحول والوحدة قشارا كذا
 الامامية والرافضة لقولهم بالوهية الاثمة وحاول الاله فيهم وظهر منهم ايضا القول بالقطب
 والابدال وكأنه يحكي مذهب الرافضة في الامام والقباء وشرعوا القول بالشيعة وتوغلوا

حديث علي الذي خرجه الطبراني في معجمه الاوسط ان ابن طبيعة ضعيف وان شيعة عمر
ابن جابر اضعف منه وخرجه البزار في مسنده والطبراني في معجمه الاوسط واللفظ للطبراني
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون في امي المهدي ابن قصر فسيح
والا فتان والا فتسح تنم فيها امي نعمة لم ينعموا بمثها ترسل السماء عليهم مدرارا ولا
تدخر الارض شيئا من الثبات والمال كدوس يقوم الرجل يقول يا مهدي اعطني فيقول
خذ قال الطبراني والبزار تفرد به محمد بن مروان العجلي زاد البزار ولا نعلم انه تابعه
عليه احد وهو ابن وثقة ابو داود وابن حبان ايضا كما ذكره في الثقات وقال فيه يحيى
ابن معتب صالح وقال مرة ليس به بأس فقد اختلفوا فيه وقال ابو زرعة ليس به بأس
بذلك وقال عبد الله بن احمد بن حنبل رأيت محمد بن مروان العجلي حدث باحدث
وانا شاهد لم نكتبها تركها على عهده وكتب بعض اصحابنا عنه كلمة ضعفة وخرجه ابو
يعلى الموصلي في مسنده عن ابي هريرة وقال حدثني خليلي ابو القاسم صلى الله عليه وسلم
قال لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من اهل بوني فيضربهم حتى يرجعوا الى الحق
قال قلت وكم يملك قال حسبا واثنين قال قلت وما حسبا واثنين قال لا ادري اه .
وهذا السند وان كان فيه بشر بن بهيك وقال فيه ابو حاتم لا يمتح به فقد احتج به الشيخان
ورقة الناس ولم يلتفتوا الى قول ابي حاتم لا يمتح به الا ان فيه رجاء ابن ابي رجاء الشكري
وهو مختلف فيه قال ابو زرعة ثقة وقال يحيى بن معين ضعيف وقال ابو داود ضعيف
وقال مرة صالح وعان له البخاري في صحيحه حديثا واحدا وخرج ابو بكر البزار في مسنده
الطبراني في معجمه الكبير والاوسط عن قرة بن اباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم لا تكن الارض جورا وظلما فاذما كنت جورا وظلما ابعث الله رجلا من امي اسمه اسمي واسم
ابيه اسمي يلاها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما فلتأخر السماء من قطرها شيئا ولا تدخر
الارض شيئا من نباتها يهلك فيكم سبيبا او غائبا او تسعا يعني سنين اه . وفيه داود بن الحبي
ان المجرم عن ابيه وهما ضعيفان جدا وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن ابن عمر قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من المهاجرين والانصار وعلى ابن ابي طالب عن
ابيه اكره والعباس عن عبيد الله بن ابي نوح الا انصار فاعطاه الانصار في العباس
فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد العباس وبهد علي وقال سيقرج من صلب هذا حتى يملأ
الارض جورا وظلما وسيقرج من صلب هذا حتى يملأ الارض قسطا وعدلا فاذا رايت ذلك
فعليك بالفتى التميمي فانه يقبل من قبل المشرق وهو صاحب راية المهدي انتهى . وفيه

الولاية كما كان خاتم الانبياء حائزاً المرتبة التي هي خاتمة النبوة فكسب الشارح عن تلك
 المرتبة الخاتمة بلبنة البيت في الحديث المذكور وهما على نسبة واحدة فهما في لبنة واحدة في
 التمثيل ففي النبوة لبنة ذهب وفي الولاية لبنة فضة للنفاس بين المرتبتين كما بين الذهب
 والفضة فيعملون لبنة الذهب كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم ولبنة الفضة كناية عن
 هذا الولي الفاطمي المنتظر وذلك خاتم الاسماء وهذا خاتم الاولياء وقال ابن العربي فيما
 نقل ابن ابي واطيل عنه وهذا الامام المنتظر هو من اهل البيت من ولد فاطمة وظهوره
 يكون من بعد مضي خمسين سنة من الهجرة ورسم حروقاً ثلاثة يريد عددها بحسب الحمل
 وهو الخاء المعجمة بوحدة من فوق سبعة والعاء تحت الفاف بثمانين والحيم المعجمة بوحدة
 من اسفل ثلاثة وذلك سبعة وثلاثون سنة وفي اخر القرن السابع ولما انصرم
 هذا العصر ولم يظهر حمل ذلك بعض المقلدين لم على ان المراد بتلك المدة مولده وعبر
 بظهوره عن مولده وان خروجه يكون بعد العشر والسبعائة فانه الامام التاسع من ناحية
 المغرب قال واذا كان مولده كما زعم ابن العربي سنة ثلاث وثمانين وستة فيكون عمره
 عند خروجه ستاً وعشرين سنة قال وزعموا ان خروج الدجال يكون سنة ثلاث واربعين
 وسبعائة من اليوم المهيدي واشداه اليوم المهيدي عديم من يوم وفاة النبي صلى الله عليه
 وسلم الى تمام الف سنة قال ابن ابي واطيل في شرحه كتاب خلع النعالي الولي المنتظر
 القائم بامر الله الامير المهيدي وخاتم الاولياء وليس هو بنبي ولما هو ولي اتعنه
 روحه وحبيبه قال صلى الله عليه وسلم العالم في قومه كالنبي في امته وقال عليه امي
 كانياء في اسرائيل ولم تزل البشرية تتابع به من اول اليوم المهيدي الى قبل السبعائة
 نصف اليوم وتأكدت وتضاعفت بتأشير المشايخ تقريبا وقته واوردوا فزادوا منها انقضت
 الى هاهنا جزاً قال وذكر الكندي ان هذا الولي هو الذي يصلي بالناس صلاة الظهر ويحج
 الاسلام ويظهر العدل وينفع جزيرة الاندلس ويصل الى رومية فينفضها ويسير الى المشرق
 فينفضه وينفع القسطنطينية ويصير له ملك الارض فينتوي المسلمين ويعمل الاسلام
 ويظهر دين المحيية فان من صلاة الفجر الى صلاة العصر وقت صلاة قال عليه الصلاة
 والسلام ما بين هذين وقت وقال الكندي ايضا الحروف العربية غير المعجمة يعني المنتفع
 بها سور القرآن سبعة عددها سبعائة وثلاثة واربعون وسبعة دجالية ثم ينزل عيسى عليه
 وقت صلاة العصر فيصلح الدنيا وغشي الشاة مع الناس ثم يبلغ ملك الفهم بعد اسلامهم
 مع عيسى مائة وستون عاماً عدد حروف المعجم وهي في دولة العدل منها اربعون

في الديانة هذا هم حتى جعلوا مستند طريقهم في ليس المخرفان عليا رضي الله عنه الصبا الحسن
 المصري واخذ عليه العهد بالتزام الطريقة واصل ذلك عنهم بالتجديد من شيوهم ولا يعلم هذا
 عن علي من وجه صحيح ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه بل الصحابة كلهم أسوة
 في طرق الهدى وفي تخصيص هذا بعلي دونهم رائحة من التشيع قوية بينهم وبين غيرها من
 القوم دخولهم في التشيع وانفراطهم في سلكه وظهر منهم ايضا القول بالانقلاب وانتقلت كتب
 الاسماعيليين من الرافضة وكتب المتأخرين من المتصوفة بنقل ذلك في الناطبي المنتظر وكان
 بعضهم يملو على بعض وبلغة بعضهم عن بعض وكأني مضي على اصول واهية من الذين
 وربما يستدل بعضهم بكلام المخبيين في القرانات وروى نوع الكلام في الملاحم وبقي الكلام
 عليها في الباب الذي يلي هذا وأكثر من تكلم من مؤلفاء المتصوفة المتأخرين في شأن الناطبي
 ابن العربي الحنفي في كتاب عقائد مغرب وان قسي في كتاب خلع العلويين وعبد الحق بن
 سبعين وابن ابي واطيل نالينه في شرحه لكتاب خلع العلويين وأكثر كلماتهم في شواذ الغاز
 والمثال وربما يصرحون في الأقل او يصرح منسروكلامهم وحاصل مذهبهم في علي ما
 ذكر ابن ابي واطيل ان النبوة بها ظهر الحق والهدى بعد الضلال والهي وانها تعينها
 الخلافة ثم يعقب الخلافة الملك ثم يعود شيئا وتكبرا وباطلا فالما كان في المعهود
 من سنة الله رجوع الامور الى ما كانت وجب ان يجيء امر النبوة والحق بالولاية ثم بخلافها
 ثم يعقب الدجل مكان الملك والتسلسل ثم يعود الكفر بها لويشرون بهذا الموضع من شأن
 النبوة والخلافة بعدها والملك بعد الخلافة هذه ثلاث مراتب وكذلك الولاية التي هي
 لهذا الناطبي والدجل بعدها كتابة عن خروج الدجال على اتره والكفر من بعد ذلك
 فهي ثلاث مراتب على نسبة الثلاث المراتب الاولى فالما كان امر الخلافة قريش
 حكما شرعيا بالاجماع الذي لا يوهنه انكار من لم يزاول علمه وجب ان تكون الامامة فمن
 هو اخص من قريش بالذي صلى الله عليه وسلم اما ظاهرا كعبي عبد المطلب واما باطنا
 فمن كان من حقيقة الاكل والاكل من اذا حضر لم يغيب من هو آله وابن العربي الحنفي ساء
 سيف كتابه عقائد مغرب من تأليفه خاتم الاولياء وكفى عمة بلغة النقة اشارة الى حديث
 البخاري في باب خاتم النبيين قال صلى الله عليه وسلم مثلي فبين قبلي من الانبياء كمثل رجل اثنى
 بيتا واملا حتى اذا لم يبق منه الا موضع لية فأتانك اللنة فيفسرون خاتم النبيين باللنة حتى
 اكملت البليان ومعناه النبي الذي حصلت له النبوة الكاملة ويمثلون الولاية في تفاوت
 مراتبها بالنبوة ويمثلون صاحب الكمال فيها خاتم الاولياء اي حائز الرتبة التي هي خاتمة

والحمرة وفي اخره ان يتزوج في الغرب والغرب دلو البادية يريد انسه يتزوج منها وتلد
زوجته وذكر وفاته بعد اربعين عاما وجاء ان عيسى يوت بالمدينة ويدفن الى جانب
عمر ابن الخطاب وجاء ان ابا بكر وعمر يجثران بين نبيين قال ابن ابي واطول والديعة
تقول انه هو المسيح مسيح المسايح من آل محمد قلت وعليه حمل بعض المتصوفة حديث
١٠ مهدي الا عيسى اي لا يكون مهدي الا المهدي الذي تنسب الى الشريعة المهدية نسبة
عيسى الى الشريعة الموسوية في الاتباع وعدم السخ الى كلام من اتمال هذا يعينون فيه
الوقت والرجل والمكان بادلة واهية وتلكات مختلفة فيقتضي الزمان ولا اثر لك في ذلك
فيرجعون الى تجديد رأي اخر منتقل كما نراه من منبهات لغوية واشياء تخيلية واحكام
تجوية في هذا انقضت اعمار الاول منهم والاخر. واما المتصوفة الذين عاصروا ما ذكرهم
يتصورون ان ظهور رجل مجدد لاحكام الله ومراسم الحق ويحيون ظهوره لما قرب من
عصرنا فبعضهم يقول من ولد فاطمة وبعضهم يطلق القول فيه سمعناه من جماعة اكبرهم
ابو يعقوب البادي كبير الاولياء بالمغرب كان في اول هذه المائة الثامنة واخبرني عنه
حافظه صاحبها ابو يحيى ذكر يا عن ابيه ابي محمد عبد الله عن ابيه الولي ابي يعقوب
المذكور هذا اخر ما اطلعتنا عليه او بلغنا من كلام هؤلاء المتصوفة وما اوردته اهل الهند
من اخبار المهدي قد استوفينا جميعه ببالغ طاقتنا والحق الذي ينبغي ان يفكر ولدك
انه لا ثم دعوة من الدين والملك الا بوجود شوكة عصبية تظهر وتدفع عنه من يدفعه
حتى يتم امر الله فيه وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين القطعية التي اربناك هناك
وعصبية الفاطميين بل وقريش اجمع قد تلاشت من جميع الافاق ووجد امم اخرون
قد استعملت عصبيتهم على عصبية قريش الا ما بقي بالبحار في مكة وينبع بالمدينة من
الطالبيين من بني - ن وبني حسين وبني جعفر منتفرون في تلك البلاد وغالبون عليها
ومع عاصب بدوية نرقون في مواطنهم وامارتهم وارائهم بلغون الافان من الكثرة فان
صح ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوتهم الا ان يكون منهم وبولف الله بين قلوبهم
في انماع حتى تم له شوكة وعصبية وافية باظهار كنه وحمل الناس عليها واما على غير
هذا الوجه مثل ان يدعو فاطمي منهم الى مثل هذا الامر في افق من الآفاق من غير
عصبية ولا شوكة لا مجرد نسبة في اهل البيت فلا يتم ذلك ولا يمكن الا سلطنا من
البراهين الصحيحة واما ما تدعيه العامة والافغان من الدماء من لا يرجع في ذلك الى عقل
يهدى ولا علم يبدى فيبينون ذلك على غير نسبة وفي غير مكان تقليدا لما اشهر من ظهور

طاماً قال ابن ابي واطيل وما ورد من قوله لا مهدي الا عيسى فنعناه لا مهدي تساوي
 هدايته هدايته وقيل لا يتكلم في المهدي الا عيسى وهذا مدفوع بحديث جريح وغيره وقد
 جاء في الصحيح انه قال لا يزال هذا الامر قائماً حتى تقوم الساعة او يكون عليهم اثنا عشر خليفة
 يعقب قريناً وقد اعطى الوجود ان منهم من كان في اول الاسلام ومنهم من سيكون في
 آخره وقال الخلافة بعدي ثلاثون او احدى وثلاثون او ست وثلاثون واثنا عشر خليفة
 خلافة الحسن واول امر معاوية فيكون اول امر معاوية خلافة اخيراً بائيل الاسماء فهو
 سادس الخلفاء واما سابع الخلفاء فمهر بن عبد العزيز والباقيون خمسة من اهل البيت من
 ذرية علي يؤيده قوله انك لذو قرينها يريد الائمة اي اليك لخليفة في اولها وذو قرينك في
 اخرها وربما استدلل بهذا الحديث الثلاثون بالرجعة فالاول هو المشرق اليه عند مبطوع
 الشمس من مغربها وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا
 هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي ننسب يده لثنتين كنوزها في سبيل الله وقد انقضى
 عمر بن الخطاب كقول كسرى في سبيل الله والذي بهلك قيصر وينتق كنوزها في سبيل
 الله هو هذا المنتظر حين ينتفع التسلطانية فتم الاميرامرها ونعم الجيش ذلك الجيش
 كذا قال صلى الله عليه وسلم ومدة حكمه بضع والبضع من ثلاث الى تسع وقيل الى عشر
 وجاء ذكر اربعين وفي بعض الروايات سبعين واما الاربعون فانها مدته ومدة الخلفاء
 الاربعة الباقيين من اهله الثمانين بامره من بعده على جميعهم السلام قال وذكر اصحاب
 النبوة والقرانات ان مدة بقاء امره واهل بيته من بعده مائة وتسعة وخمسون عاماً فيكون
 الامر على هذا جاريّاً على الخلافة والعدل اربعين او سبعين ثم تختلف الاحوال فتكون
 ملكاً انتهى كلام ابن ابي واطيل وقال في موضع اخر نزول عيسى يكون في وقت صلاة
 العصر من اليوم الحمدي حين تمضي ثلاثة ارباعه قال وذكر الكندي يعقوب بن اسحاق
 في كتاب المجرى الذي ذكر فيه القرانات انه اذا وصل القران الى النور على راس فضح
 بجردين الفداد^(١) المجدبة والحامه الملهة يريد ثمانية وتسعين وستة مائة من الهجرة ينزل المسيح
 فيكم في الارض ما شاء الله تعالى قال وقد ورد في الحديث ان عيسى ينزل عند المنارة
 البيضاء شرق دمشق ينزل بين مهرودتين يعني حليتين مزعورتين صفراوين بمصرتين
 واضعاً كفيه على اجنحة الملكين له لمة كأنها خرج من ديباس اذا طأ طأ رأسه قطر واذا رفعة
 تحذر منه جحان كاللؤلؤ كثير خيلان الوجه وفي حديث اخر مر بوع الخلق والى البياض

بالسنة لا يتناولونها دعوى قاطعي ولا غيرو وإنما يتزع منهم في بعض الاحيان الواحد
 فالواحد الى اقامة السنة وتغيير المنكر ويعتني بذلك ويكثر تايعة وأكثر ما يعنون
 باصلاح السابلة لما ان اكثر فساد الاعراب فيها لما قدمناه من طبيعة معاشهم فراخزون
 في تغيير المنكر بما استطاعوا الا الصفة الدينية فيهم لم تستحكم لما ان توبة العرب
 ورجوعهم الى الدين اما بقصدون بها الاضرار عن القارة والهب لا يعقلون في توبتهم
 واما الى مناجي الديانة غير ذلك لانها المعصية التي سكانها عليها قبل المزية ومنها
 توبتهم فتبد ذلك المتعل للدعوة والقائم بزعمهم بالسنة غير متعقبات في فروع الاقتداء
 والاتباع اما دينهم الاعراض عن الهيب والبي في افساد السابلة ثم الاقبال على طالب الدنيا
 والمعاش باقصى جهدهم وشتان بين هذا الاجر من اصلاح الخلق ومن طالب الدنيا
 فانما فيها مع لا تستحكم له صبغة في الدين ولا يكمل له نزوع عن الباطل على الجملة ولا
 يكترون ويختلف حال صاحب الدعوة معهم في استحكام دينهم ولا يتو في نفسهم دون تابعيه
 فاذا هلك ائمة امرهم وتلاشت عصبيتهم وتوقع ذلك بالفرقة لرجل من كتب من
 سليم يسمى قاسم بن مرة بن احمد في المائة السابعة ثم من بعده لرجل اشهر من ياديه رياح
 من بطن منهم يعرفون بمسلم وكان يسمى سادة وكان اشد ديناه الاول واقوم طريقة
 في نفسه ومع ذلك فلم يستغيب امر تابعيه كما ذكرناه حدها باقي ذكر ذلك في موضعه عند
 ذكر قبائل سليم ورياح وبعد ذلك ظهر ناس من هذه الدعوة يشبهون بمثل ذلك وياستون
 فيها ويتناولون اسم السنة ويسوا عليها الاقل فلا يتم ولم يلبسوا بعد من امرهم انتهى

الفتل الرابع والخمسون

في ابتداء الدول والامم وفي الكلام على الملاحم والكسب عن مسمى المجر
 اعلم ان من خواص النفوس البشرية التنوق الى عواقب امورهم وعلم ما سيحدث لهم
 من حياة وموت وخير وشر سبب التبادلات العامة كحرفة ما بقي من الدنيا ومعرفة مدد
 الدول او تنافسها والتطلع الى هذا طليعة مجاولون عليها ولذلك تجد الكثير من الناس
 يشوقون الى الوقوف على ذلك في المنام والاخبار من الكهان من قصدهم بمثل ذلك من
 المالك والسوقه معروفة ولقد تجد في المدن صفا من الناس يتعاملون المعاش من ذلك
 لهم يحرص الناس عليه فينتصرون لهم في الطرقات والدكاكين يتعشرون لمن يسلم عليه
 فتغدو عليهم وتروح نسوان المدينة وصبايتها وكثير من ضعفاء العقول يستكثرون

فاطمي ولا يعلمون حقيقة الامر كما بيناهُ واكثر ما يجيبون في ذلك القاصية من المالك
 واطراف النيران مثل الزاب بافرقية والسوس من المغرب ويحد الكثير من ضغمة
 البصائر يقصدون زباطاً بماسة لما كان ذلك الرباط بالمغرب من المسلمين من كدالة
 واعتقادهم انه منهم او قائمون بدعوتهم زعماً لا مستند لهم الا غرابه تلك الامم وعدم على
 يقين المعرفة باحوالها من كثرة اوقلة او ضعف او قوة ولبعد القاصية عن مال الدولة
 وخروجها عن نظامها فتتفرق عندهم الاوهام في ظهوره هناك بخروج عن رتبة الدولة
 ومثال الاحكام والتهرب ولا يحصل لديهم في ذلك الا هذا وقد يقصد ذلك الموضع كثير
 من ضعفاء العقول للتلبس بدعوة يبيعون تمامها وسواساً وحققا وقتل كثير منهم اخبرني شيخنا
 محمد بن ابراهيم الابلي قال خرج برابط ماسة لاول المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف
 ابن يعقوب رجل من متبلي النصوص يعرف بالثوب يري نسبة الى توزر مصغراً وادعى انه
 الفاطمي المنتظر واتبعة الكثير من اهل السوس من ضالة وكرولة وعظم امره وخلفه
 روساه المضامدة على امرهم فهدس عليه السكوي من قتله بناتاً وانحل امره وكذلك ظهر
 في غمارة في اخر المائة السابعة وعشر التسعين منها رجل يعرف بالعباس وادعى انه
 الفاطمي واتبعة الدهماء من غمارة ودخل مدينة فاس عنوة وحرق اسواقها وارتمى الى
 بلد المرمة فقتل بها غيلة ولم يتم امره وكثير من هذا النمط واخبرني شيخنا المذكور بغريبة
 في مثل هذا وهو انه صاحب في حيو في رباط العباد وهو مدفن التيجاني في مدينة من
 تلمسان المائل عليها رجلاً من اهل البيت من سكان كربلاء كان متويعاً معظماً كثير
 التلمذ والمخادع قال وكان الرجال من موطنه يتأقنونه بالنفقات في أكثر البلدان قال
 وتاكدت الصحة بيننا في ذلك الطريق فانكشف لي امرهم وانهم انما جاءوا من موطنهم
 بكربلاء لطلب هذا الامر واتحال دعوة الفاطمي بالمغرب فلما عين دولة بني مرين
 ويوسف بن يعقوب يومئذ منازل تلمسان قال لاصحابه ارجعوا فقد ازرى بنا الفاطم
 وليس هذا الوقت وقتنا وبل هذا القول من هذا الرجل على انه مستبصر في ان الامر
 لا يتم الا بالصصية المكافئة لاهل الوقت فلما علم انه غريب في ذلك الوطن ولا شوكه
 له وان عصية بني مرين لاذك العهد لا يقاومها احد من اهل المغرب استكان ورجع الى
 الحق واقصر عن مقامه وبقي عليه ان يستيقن ان عصية الفاطم لم تقرش اجمع قد
 ذهبت لاسيما في المغرب الا ان التعصب لثناؤهم لم يتركه هذا القول والله يعلم وانتم لا
 لا تعلمون وقد كانت بالمغرب لهذه العصور القربية نزعة من الدعاة الى الحق والقيام

كلام المنجيين في الملك والدول وسائر الامور العامة من الترانات وفي المواليد
والمسائل وسائر الامور الخاصة من الطوائع لها وفي شكل الفلك عند حدوثها فلذلك
الان ما وقع لاهل الاثر في ذلك ثم نرجع لكلام المنجيين . اما اهل الاثر فاهم في مدة
المثل وبقاء الدنيا على ما وقع في كتاب السهيلى فانه نقل عن العطارى ما يقتضي ان مدة
بقاء الدنيا منذ الملة خمسمائة سنة وتقص ذلك بظهور كذبه ومستند الطائري في ذلك انه
نقل عن ابن عباس ان الدنيا جمعة من جميع الاخرة ولم يذكر لذلك دليلاً وسره والله
اعلم قدبر الدنيا بايام خلق السماوات والارض وهي سبعة ثم اليوم بالالف سنة لقوله وان
يوماً عند ربك كاللف سنة ما تعدون قال وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اجلكم في اجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى غروب الشمس
وقال بعثت انا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وقدر ما بين صلاة العصر
وغروب الشمس حين صيرورة ظلال كل شيء مثلي يكون على القريب نصف سبع
وكذلك وصل الوسطى على السبابة فتكون هذه المدة نصف سبع الجمعية كلها وهو خمسمائة
سنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم ان يهجر الله ان يوشع هذه الامة نصف يوم فدل
ذلك على ان مدة الدنيا قبل الملة خمسة الاف وخمسمائة سنة وعن وهب بن منبه انها
خمسة الاف وستمائة سنة اعني الماضي وعن كعب ان مدة الدنيا كلها ستة الاف سنة قال
السهيلى وليس في الحديثين ما يشهد لشيء ما ذكره مع وقوع الوجود بخلافه فاما قوله ان
يهجر الله ان يوشع هذه الامة نصف يوم فلا يقتضي في الزيادة على النصف فاما قوله
بعثت انا والساعة كهاتين فانما فيه الإشارة الى القرب فانه ليس بينه وبين الساعة شيء
غيره ولا شرع غير شرعه ثم رجع السهيلى الى تعيين أمد الملة من مدرك اخر او ساعده
التحقيق وهو انه جمع الحروف المتقطعة في ائيل السور بعد حذف المكرر قال وهي اربعة
عشر حرفاً يجمعها قولك (ا لم تسلع نص حق كره) فاختاردها بحساب الجمل فكان
سبعمائة وثلاثة ^(١) اضافة الى المنقضي من الالف الاخرة قبل بعثته فانه في مدة الملة قال
ولا بعد ذلك ان يكون من مقتضيات هذه الحروف وفوائدها قلت وكونه لا بعد
لا يقتضي ظهوره ولا التعويل عليه والذي حمل السهيلى على ذلك انما هو ما وقع في كتاب
السور لابن اسحاق في حديث اني اخطبت من احبار اليهود وما ابو ياسر واخوه حتى حين

١ هذا العدد مائة اثنان كما ان المرحوم قال كل هلال في قرأه ١٣ واما الحاشي للروف المذكورة ١٢٦ وعن
الموافق لما سكره عن عروب الأندلس في اول نسخة ١١٤ مائة اثنان فانه

عواقب امرهم في الكسب والجاه والمعيش والمعايشة والعداوة وامثال ذلك ما بين خط
 في الرمل وبسوءة النجس وطرق النجس والمحجوب وبسوءة المحاسب ونظر في المراتب
 والجاه وبسوءة ضارب المنديل وهو من المتكررات الناشئة في الامصار لما تقرر في الشريعة
 من ذم ذلك وان البشر نجس بون عن الغيب الا من اطعمه الله عليه من عنده في نور
 او ولاية واكثر ما يعني بذلك ويتطلع اليه الامراء والملوك في آحاد دولتهم ولذلك
 انصرفت العناية من اهل العلم اليه وكل امة من الامم يوجد لهم كلام من كاهن او متهم
 او ولي في مثل ذلك من ملك يرتقونه او دولة يبدنون انفسهم بها وما يحدث لهم من
 الحرب والملاحم ومدة بقاء الدولة وعدد المالك فيها والتعرض لاسائهم وبسبب مثل
 ذلك المحدثان وكان في العرب الكهان والعرفاء يرجعون اليهم في ذلك وقد اخبروا
 بما سيكون للعرب من الملك والدولة كما وقع لاشق و سطيج في تاريل روبا ربيعة بن
 نصر من ملوك اليم اخبرهم بملوك الحبيشة بلادهم ثم رجوعها اليهم ثم ظهور الملك والدولة
 للعرب من بعد ذلك وكذا تاريل سطيج لرؤيا الموبدان حين بعث اليه كسرى بها مع
 عبد المسيح واخبرهم بظهور دولة العرب وكذا كان في جبل البربر كهان من اشهرهم
 موسى بن صالح من بني يفرت ويقال وله غيرة وله كلات حدثانية على طريقة الشعر
 برطانتهم وفيها حدثان كثير ومغفلة فيها يكون لزنا من الملك والدولة بالمغرب وفي
 متدولة بين اهل الجبل وهم يزعمون نارة ابي ولي نارة انا كان وقد يزعم بعض مزاعمهم
 انه كان نبيا لان تاريخه عدم قبل الشهيرة تكثير والله اعلم وقد يستند الجبل الى خبر
 الانبياء ان كان لهم دم كما وقع لابي اسرائيل فان انبياءهم المتعاقبين فيهم كانوا ينجسهم
 بمثل عند ما يهتومهم في السؤل عنه . واما في الدولة الاسلامية فوقع منه كثير فيما يرجع
 الى بقاء الدنيا ومدتها على العموم وفيما يرجع الى الدولة وانماها على الخصوص وكان
 المعتمد في ذلك في صدر الاسلام اثار منقولة عن العتبات وخصوصا مسلمة بني اسرائيل
 مثل كعب الاحبار وعصب بن منه وامثالها وربما اقتبسوا بعض ذلك من ظهور
 ماثورة وتاريلات منقولة ووقع ليعجز وامثالها من اهل البيت كثير من ذلك مستندهم
 فيه والله اعلم الكسب بما كانوا عليه من الولاية واذا كانت مثله لا يتكرر من غيرهم من
 الاولياء في ذوبهم واختلافهم وقد قال صلى الله عليه وسلم ان فيكم محدثين فهم اول الناس
 بهذه الرتب الشريفة والكرامات الموهوبة واما بعد صدر الملة وحين عاقب الناس على
 العلوم والاصطلاحات وترجمت كتب الحكماء الى اللسان العربي فاكثرت معتد بهم في ذلك

الله وسلامه عليه في أمثال هذه العجوات وهذه الزيادة التي تفرّد بها أبو داود في هذا الطريق شاذة منكّرة مع أن الأئمة اختلفوا في رجاله فقال ابن أبي مريم في ابن فروخ احادته مناكير وقال البخاري يعرف منه ويذكر وقال ابن عدي احادته غير مبنونة واسامة بن زيد وإن خرج له في النعميين وثقة ابن معين فأنما خرج له البخاري استنبها كما وضعه يحيى بن سعيد واحمد بن حنبل وقال ابن حاتم يكتب حديثه ولا يخرج به وابن قيس ابن ذؤيب مجهول فتضعف هذه الزيادة التي وقعت لابن داود في هذا الحديث من هذه الجهات مع شدوذاها كما مر . وقد يستدلون في حديثان الدول على الخصوص الى كتاب الجفر ويترجمون أن فيه علم ذلك كله من طريق الآثار والنجوم لا يزيدون على ذلك ولا يعرفون اصل ذلك ولا مستنده وأعلم أن كتاب الجفر كان أصلاً ابن هارون بن سعيد البجلي وهو رأس الزيدية كان له كتاب يروي عن جعفر الصادق وفيه علم ما يقع لأهل البيت على الحرم وبعض الأشخاص منهم على الخصوص وقع ذلك لجعفر ونظاره من رجالهم على طريق الكرامة والكشف الذي يقع لهم من الأولياء وكان مكتوباً عند جعفر في جدار نوره فرأه عه هارون البجلي وكشفه وباه الجفر باسم الجمل الذي كتب منه لأن الجفر في اللغة هو الصعير وصار هذا الاسم علماً على هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القرآن وما في داخله من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق وهذا الكتاب لم تنصل روايته ولا عرف عبه وإنما ينال منه شواذ من الكلمات لا يصح دليل وأوجه السند الى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه أو من رجال قوم وفهم أهل الكرامات وقد صح عنه أنه كان يقرأ بعض قرآنه بوثاق تكون لهم فصيح كما يقول وقد حذر يحيى بن عمار بن زيد من روى عنه وعصاه فخرج وقيل بالبروزجان كما هو معروف وإذا كانت الكرامة تقع لفهم فما شئت بهم عملك ودنياً فإنك آمن الذرة وعناية من الله بالأصل الكرم تشهد انروعه الطيبة وقد يقال بن أهل البيت كبير من هذا الكلام غير منسوب الى احمد وفيه اشار دولة العبيد بن كثير منه وأدلى ما احتكاك ابن الرقني في لقاء ابى عبد الله النعماني له يد الله المدي مع ابوه وهذا السبب وما حدثاه به وكشف بعثه الى ابن حوشب داعينهم ما بين نامة بالخروج الى المغرب وسد الدرع فيه على علم لقنه ان دعوتهم ثم هناك ذات عبيد الله لما بنى المدينة سد اب فتعال دوائهم بأفريقية نال نعيمها ليعصم بها الذواطم ساعة من نهار وأرام وقتها صاعداً الخمار الى يزيد بالمدينة وكان يسأل عن منتهى موقفه حتى جاءه الخبر بأروعه الى المكان الذي

سها من الاحرف المقطعة الم وثاولها على بيان المدة بهذا الحساب فبلغت احدى
 وسبوت فاستفلا المدة وجاء حتى الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله هل مع هذا غيره
 فقال الماص ثم استزاد الر ثم استزاد الم فكانت احدى وسبعين ومائتين فاستطال المدة
 وقال قد ليس علينا امرك يا محمد حتى لا ندري آ قليلا اعطيت ام كثيرا ثم ذهبوا عنه
 وقال لم ابو ياسر ما يدريكم لهالة اعطى عددها كلها تسعمائة واربع سنين قال ابن
 الصبان فبزل قوله تعالى منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهاه ولا يقور
 من القصة دليل على تقدير الملة بهذا العدد لان دلالة هذه الحروف على تلك الاعداد
 ليست طبيعية ولا عقلية وإنما هي بالنزاع والاصطلاح الذي يسونه حساب الجمل فم
 انه قدم مشهور وقدم الاصطلاح لا يصير حجة و ليس ابو ياسر واخوه حتى ممن يوضح راية
 في ذلك دليلا ولا من علماء اليهود لانهم كانوا ياديه بالحجاز غفلا عن الصنائع والعلوم حتى
 عن علم شريعتهم وفقه كتابهم ولمنهم وإنما يلقون مثل هذا الحساب كما تلقه العوام في
 كل ملة فلا ينهض للمصير على ما ادعاه من ذلك و وقع في الملة في حدثان دولتها
 على الخصوص مسند من الاثر اجمالي في حديث خرج ابو داود عن حذيفة بن اليان من
 طريق بشير بن محمد بن يحيى الذهبي عن سعيد بن ابي مريم عن عبد الله ابن فروخ عن
 اسامة بن زيد الذي عن ابي قبيصة بن ذؤيب عن ابيه قال قال حذيفة بن اليان والله
 ما ادري اسمي اصحابي ام ناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد وثمة
 الى ان تقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد ساء لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته
 وسكت عليه ابو داود وقد تقدم انه قال في رسالته ما سكت عليه في كتابه فهو صالح
 وهذا الحديث اذا كان صحيحا فهو جمل وينتفيح في بيان اجماله وتعيين مبهامه الى اثار
 اخرى يهود اسابدها وقد وقع اسناد هذا الحديث في غير كتاب السنن على غير هذا
 الوجه فروقع في الصحيحين من حديث حذيفة ايضا قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فينا خطيبا فان ترك شيئا يكون في مقامه ذاك الى قيام الساعة الا حدث عنه حفظة من
 حفظة ونسبة من نسبة قد علمه اصحابه هؤلاء ولغوا البخاري ما ترك شيئا الى قيام الساعة
 الا ذكره وفي كتاب الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري قال صلى بنا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يوما صلاة العصر بنهار ثم قام خطيبا فلم يدع شيئا يكون الى قيام الساعة
 الا اخبرنا به حفظة من حفظة ونسبة من نسبة وهذه الاحاديث كلها موهولة على ما
 ثبت في الصحيحين من احاديث السنن والاشراط لا غير لانه الموهود من الشارع صلوات

النوبي كان عند قران العلويين ببرج العقرب فلما رجع هنا لك حدث التشويش على
 الخلفاء وكثر المرض في اهل العلم والدين ونقصت احوالهم وربما انهدم بعض بيوت
 العبادة وقد يقال انه كان عند قتل علي رضي الله عنه وسروان من بني امية والمتوكل
 من بني العباس فاذا رويحت هذه الاحكام مع احكام القرائات كانت في غاية الاحكام .
 وذكر شاذان البلخي ان الملة تنهي الى ثلاثمائة وعشرين وقد ظهر كذب هذا القول وقال
 ابو معشر يظهر بعد المائة والمجسمين منها اختلاف كبير ولم يصح ذلك وقال جراس رايت
 في كتب القدماء ان المجسمين اخبروا كسرى عن ملك العرب وظهر النبوة فيهم وارت
 دليلهم الزهرة وكانت في شرفها فيبقى الملك فيهم اربعين سنة وقال ابو معشر في كتاب
 القرائات القصة اذا انتهت الى السابعة والعشرين من الحوت فيها شرف الزهرة ووقع
 القران مع ذلك برج العقرب وهو دليل العرب ظهرت حينئذ دولة العرب وكان سهم
 نبي ويكون قرة ملكه ومدته على ما بقي من درجات شرف الزهرة وهي احدى عشرة
 درجة بتقريب من برج الحوت ومدته ذلك ستمائة وعشرين وكان ظهور ابي مسلم عند
 انتقال الزهرة ووقع القصة اول الحمل وصاحب الجند المشتري وقال يعقوب ابن
 اسحاق الكندي ان مدة الملة تنهي الى ستمائة وثلاث وتسعين سنة قال لان الزهرة كانت
 عند قران الملة في ثمان وعشرين درجة وثلاثين دقيقة من الحوت فالباقي احدى عشرة
 درجة وثمان عشرة دقيقة ودقائقها ستون فيكون ستمائة وثلاثا وتسعين سنة قال وهذه مدة
 الملة بانقاس الحكام وبعضه الحروف الواقعة في اول السور يحدف المكرر واعتباره
 بحساب الجمل قلت وهذا هو الذي ذكره السهيلي والفالسبان الاول هو مستند السهيلي
 فيما نقلناه عنه قال جراس سأل هرمز افريد الحكم عن مدة اردشير وولده ملوك
 الساسانية فقال دليل ملكه المشتري وكان في شرفه فيجعل اطول السنين واجودها
 اربعمائة وسبعاً وعشرين سنة ثم تزيد الزهرة وتكون في شرفها وهي دليل العرب فيكون
 لان طالع القران الميزان وصاحبه الزهرة وكانت عند القران في شرفها فدل انهم يملكون
 الف سنة وستين سنة وسأل كسرى اورشوان وزيره بزرجمهر الحكيم عن خروج
 الملك من فارس الى العرب فاخبره ان الفانم منهم بولد لخمس واربعين من دواؤه وملك
 المشرق والمغرب والمشتري بغوص الى الزهرة وينتقل القران من الطراية الى العقرب
 وهو مائي وهو دليل العرب فذه الادلة تنقضي الملة بمدة دور الزهرة وهي الف وستون
 سنة وسأل كسرى ابروئز ابيوس الحكم عن ذلك فقال مثل قول بزرجمهر وقال

الذي عينه جده عبيد الله فابن بالظفر وبرز من البلاد فزعموا باتباعه الى ناحية الزراب
 فظفروا وقتله وبطل هذه الاخبار عندهم كثيرة . واما المنجبون فيستندون في حدثات
 الدول الى الاحكام النجومية اما في الامور العامة مثل الملك والدول فمن القرائن
 وخصوصا بين العلويين وذلك ان العلويين زحل والمشتري يقتربان في كل عشرين
 سنة مرة ثم يعود القرائن الى برج اخر في تلك المثلثة من الثلاثين الايمن ثم بعده الى اخر
 كذلك الى ان يتكرر في المثلثة الواحدة ثلثي عشرة مرة تستوي بروجها الثلاثة في ستين
 سنة ثم يعود فيستوي بها في ستين سنة ثم يعود ثالثة ثم رابعة فيستوي في المثلثة بثلاثي
 عشرة مرة واربع عودات في مائتين واربعين سنة ويكون انتقالا في كل برج على الثلاثين
 الايمن وينتقل من المثلثة الى المثلثة التي تليها اعني البرج الذي يلي البرج الاخير من
 القرائن الذي قبله في المثلثة وهذا القرائن الذي هو قران العلويين ينقسم الى كبير وصغير
 ووسط فالكبير هو اجتماع العلويين في درجة واحدة من تلك التي ان يعود اليها بعد
 تسعائة وستين سنة مرة واحدة والوسط هو اقتران العلويين في كل مثلثة اثني عشرة مرة وبعد
 مائتين واربعين سنة ينتقل الى مثلثة اخرى والصغير هو اقتران العلويين في درجة مرجوع وبعد
 عشرين سنة يقتربان في برج اخر على ثلثي الايمن في مثل درجة او دقائق مثال ذلك وقع
 القرائن اول دقيقة من الحمل وبعد عشرين يكون في اول دقيقة من الثور وبعد عشرين
 يكون في اول دقيقة من الاسد وهذه كلها نارية وهذا كله قران صغير ثم يعود الى اول
 الحمل بعد ستين سنة ويسمى دور القرائن وعود القرائن واحد مائتين واربعين ينتقل
 من النارية الى الترابية لانها بعدها وهذا قران وسط ثم ينتقل الى الهوائية ثم المائية ثم
 يرجع الى اول الحمل في تسعائة وستين سنة وهو الكبير والقرائن الكبير يدل على عظام
 الامور مثل تغدير الملك والدولة وانتقال الملك من قوم الى قوم والوسط على ظهور
 المتعاقبين والصلابين للملك والصغير على ظهور الخوارج والدعاة وخراب المدن او عمارتها
 ويقع اثناء هذه القرائنات قران النجدين في برج السرطان في كل ثلاثين سنة مرة ويسمى
 الرابع وبرز السرطان هو طالع العالم وفيه زحل وهبوط المریخ فتعظم دلالة هذا
 القرائن في النتن والمجرب وسفك الدماء وظهور الخوارج وحركة العساكر وعصيان
 المجدد والوباء والقطوع ويدوم ذلك او ينهي على قدر السعادة والنجاسة في وقت قرائنها
 على قدر تيسير الدليل فيقال جراس بن احمد الحاسب في الكتاب الذي الفه لنظام
 الملك ورجوع المریخ الى المغرب له اثر عظيم في الملة الاسلامية لانه كان دالها على الملوكة

هلاكم ملك النهر في دجلة عند استيلائهم على بغداد وقتل المستعصم اخرا الخلفاء و
 وقع بالمغرب جزء منسوب الى هذا الكتاب بسيرة الجبار الصغير والظاهر انه وضع ليحيى
 عبد المؤمن لذكر الاولين من ملوك الموحدين في دولتي التتصيل ومطابقة من تقدم عن
 ذلك من حديثه وكتب ما بعده وكان في دولة بني العباس من بعد الكندي
 وكتب في الحديث وانظر ما نقله الطبري في اخبار المهدي حرر ابي بديل من اصحاب
 صنائع الدولة قال بعث اليّ الربيع والحسن في شراتهما مع الرشيد ايام ابو محمد بها جوف
 الليل فاذا عندها كتاب من كتب الدولة يعني الحديث واذا مدة المهدي فيو عشر
 سنين فقلت هذا الكتاب لا يعني على المهدي وقد مضى من دولته ما مضى فاذا وقف
 عليه كنتم قد نعمتم اليه ناسه قالوا في الحيلة فاستدعيت عسبة الوراق مولى آل بديل
 وقلت له اتخ هذه الورقة واكتب مكان عشرين فاعمل لولا اني رايت العشرة
 في تلك الورقة والاربعين في هذه ما كنت اثلث اني اهي ثم كتب الناس من بعد ذلك
 في حديث الدول مناولها وشورا وجزا ما شاء الله ان يكتبه ويايدي الناس متفرقة
 كثير منها ونسي الملاحم وبعضها في حديث الملة على العموم وبعضها في دولة على
 الخصوص وكتبها منسوبة الى مشاهير من اهل التتالية وليس منها اصل يعتمد على روايته
 عن واضعها المنسوب اليه فن هذه الملاحم بالمغرب قصيدة ابن مرانة من بحر الطويل على
 روى الراء وهي تتداول بين الناس وتحتسب العامة انها من الحديثان العام فيطلقون
 الكثير منها على الحاضر والمستقبل والذي سمعناه من شيوخنا انها مخصوصة بدولة لمونة
 لان الرجل كان قبل دولتهم وذكر فيها استيلائهم على سبعة من يد مولاي بني حمود
 وملكهم لعمدة الانالس ومن الملاحم بيد اهل المغرب ايضا قصيدة تسمى التبرية اولها

طربش وما ذاك مني طربش وقد يضرط الظاهر المتعصب

وما ذاك مني الهو آراء ولكن المنكار بعض السبب

فربما من سخانة بيت او الف فيما نال ذكر فيها كثيرا من دولة الموحدين وأشار
 فيها الى الناطي وغيره والظاهر انها مصنوعة ومن الملاحم بالمغرب ايضا مائة من النهر
 الزجل مسموعة لبعض اليهود ذكر فيها احكام التراناث لعصره الماويين والنسرين وغيرها
 وذكر مائة قبائل بناس وكان كذلك فيها زعمه واوله

في صبيغ ذا الارق لدر في سخارا فافهم يا قوم هذي الانشارا

نجم زحل استبر بدسيه العلامة وبذلك الشكل وفي سلاما

تقول الرومي الخيم في أيام بني أمية ان ملة الاسلام تبقى مدة القرون الكبير تسعائة
 وستين سنة فاما عاد القرون الى برج العقرب كما كان في ابتداء الملة وتغير وضع الكواكب
 عن حيثها في قرون الملة فحينئذ امان يفترا لعل يو او يعبد من الاحتكام ما يوجب
 خلاف الظن فال جراس وانتقلوا على ان خراب العالم يكون باستيلاء الماء والنار حتى
 يهلك سائر المكنونات وذلك عند ما يقطع قلب الاسد اربعاً وعشرين درجة التي في
 حد المربع وذلك بعد مضي تسعائة وستين سنة وذكر جراس ان ملك زابستان بعث
 الى المامون بمكيد و بان اتخته يو في هدية وانه تصرف للمامون في الاختيارات بحرب
 اخيه وبعثه الى طاهران المامون اعظم حكمة فسأله عن مدة ملكهم فاخبره بانقطاع
 الملك من عقبه واتصاله في ولد اخيه وان النجم يتعلمون على المخالفة من الدلم في دولة
 سنة خمسين ويكون ما يريد الله ثم يسوء حالهم ثم تظهر الترك من شمال المشرق فيكونون
 الى الشام والفرات وسيمكون بلاد الروم ويكون ما يريد الله فقال له المامون
 من اين لك هذا فقال من كتب الحكاء ومن احكام صصه بن داهر الهندي الذي وضع
 الشطرنج قلت والترك الذين اشار الى ظهورهم بعد الدلم هم السلجوقية وقد انتصت دولتهم
 اول القرن السابع قال جراس وانتقل الى القرون الى الثالثة المائية من برج الحوت يكون
 سنة ثلاث وثلاثين وثمانائة ليزد جرد وبعدها الى برج العقرب حيث كان قرون الملة
 سنة ثلاث وخمسين قال والذي في الحوت هو اول الانتقال والذي في العقرب يستفج
 منه دلائل الملة قال وتحويل السنة الاولى من القرن الاول في المثلثة المائية في ثاني
 رجب سنة ثمان وستين وثمانائة ولم يتوفى الكلام على ذلك . واما مستند المنجيين
 في دولة على الخصوص فن القرن الاوسط وهيئة الفلك عند وقوعه لان له دلالة عندهم
 على حدوث الدولة وجهانها من العبران والفاثيين بها من الامم وعدد ملوكهم واسمائهم
 واعمارهم وحكام وادبايهم وعلمائهم كما ذكر ابو معشر في كتابه في القرونات وقد
 توجد هذه الدلالة من القرن الاصح اذا كان الاوسط دالاً عليه فمن هذا يوجد الكلام
 في الدول . وقد كان يعقوب ابن اسحاق الكندي فيهم الرشيد والمامون وضع في
 الثرائات الكثافة في الملة كتاباً سماه الشيعة بالجنفر باسم كتابهم المنسوب الى جعفر الصادق
 وذكر فيه فيما يقال حدثت دولة بني العباس وانها خبايته وأشار الى انقراضها والحادثة
 على بغداد انها تقع في انتصاف المائة السابعة وان بانقراضها يكون انقراض الملة ولم تقع
 على شيء من خبر هذا الكتاب ولا رأينا من وقف عليه ولعله غرق في كتبهم التي طرحتها

دعني بدمعي الخائف
واستقت كلها الوبدان
الميلاد كلها تروى
ما بين الصيف والشتوى
قال حين صحت الدعوى
انا ادي من ذي الازمان
فترت الامطار ولم تنقر
وانى تملى وتفسد
فاولى ما ميل ما تدرى
والعام والربيع تجري
دعى نيكى ومن عذري
ذا القرن اشند وعزري

وهي طويلة ومختولة بين عامة المغرب الأقصى والغالب عليها الوضع لانها لم يصح منها
قول الاعلى ناول ثمرة العامة او الحارث فيه من يتعلمها من الخاصة ووقفت بالمشرق
على ملحمة منسوبة لابن العربي الجاني في كلام طويل شبه الالغاز لا يعلم ناوله الا الله
لتعلمه اوفاق عديدة ورموز مغنونة واشكال حيوانات نامة وروس مقطعة وغنايل من
حيوانات غريبة وفي اخرها قصيدة على روى اللام والغالب انها كلها غير صحيحة لانها
لم تنشأ عن اصل علي من نخامة ولا غيرها وسمعت ايضا ان هناك ملاحم اخرى منسوبة
لابن سيباء وابن عتب وليس في شيء منها دليل على الصحة لان ذلك انما يؤخذ من
القرائنات ووقفت بالمشرق ايضا على ملحمة من حدثان دولة الترك منسوبة الى رجل من
الصوفية يسمى الباجريفي وكلها الالغاز بالحروف اولها

ان شئت تكشف سر الجهر يا سؤلي
من علم حذر وصي والده الحسن
فافهم وكن واعيا حرقا وجملة
والوصف فافهم كنتم عمل البخاذق النطن
اما الذي قبل عصري لست اذكره
لكنني اذكر الانني من الزين
بشهر ربيع يبقى بها بعد خمسها
وحاء مع بطيش نام سيرة الكذب
شيت له اثر من تحت سرتو
له القضاء قضى ابي ذلك المني
فصر والشام مع ارض العراق له
واذر بان في ملك الى اليمن

ومنها

واكل بوران لما نال طاهره
الفانك الدانك المعني بالسن
لخلع سين ضعيف السر سبت اتي
لا لوفاق وبون ذي قرب
فتم شجاع له عقل ومشورة
يقي بقاء رايه بعد ذو يمن

ومنها

من بعد باء من الاعلام فتلته
يلي المشورة مع الملك ذو الامن

شاشية زرقا بدل العاما وشاش أزرق بدل الثرارا
يقول في آخره

قد تم ذا الجيبس لانسان يهودي
حتى يبيو الناس من البوادي
ويصلب ببادة فاس في يوم عيد
وقتلهم يا قوم على الفرد
واجانه فهو الخبيثة وهي في الثرائات التي دلت على دولة الموحدين ومن ملاحم
المغرب ايضا فصدت من عروض المتغارب على روي الباء في حد ثان دولة بني ابي حفص
بتونس من الموحدين منسوبة لابن الابار وقال لي قاضي قسطنطينة الخطيب الكبير ابي
علي بن باديس وكان بصيرا بما بقوله وله قدم في التتبع فقال لي ان هذا ابن الابار ليس
هو المحافظ الاندلسي الكاتب مقتول المستنصر وإنما هو رجل خياط من اهل تونس
تواطأت شهرته مع شهرة المحافظ وكانت والذي رحمه الله تعالى ينشد هذه الايات من
هذه النجدة وبقي بعضها في حفطي مطالعا
عذيري من زمن قليب يفر بهارق الاشنب

ومنها

وبعث من جيشه قائدا
فناقي الى الشيخ اخباره
ويقبل كالجبل الاجرب
ويظلم من عادو سيرة
وتلك سياسة مستقبلي

ومنها في ذكر احوال تونس على العموم

فأما رأيت^(١) الرسوم انصمت
فلم يرج حق الذي منصب
فخذ في الترحل عن تونس
وودع معاملها واذهب
فسوف تكون بها فتنة
تضيف البري الى المندوب

ووقفت بالمغرب على محنة اخرى في دولة بني ابي حفص هولاء بتونس فيها بعد
السلطان ابي يحيى الشهر عاشر ملوكهم ذكر محمد اخيه من بعده يقول فيها
وبعد ابي عبد الاله شقيقة ويعرف بالوثاب في نسخة الاصل
الا ان هذا الرجل لم يملكها بعد اخيه وكان يعني بذلك نفسه الى ان هلك ومن
الملاحم في المغرب ايضا الملحقة المنسوبة الى الهوتني على لغة العامة في عروض البلد التي اولها

اقوله اما رأيت اصلا فان رأيت وحدث ما وادعيت في ان الشرطة الجردوف برعها خط وفي نسخة واما رأيت
والاولى هي الموجودة في النسخة الفرنسية اه قاله نصر

وكان يحدث عما يكون بطريق الكشف ويومي الى رجال معينين عدة ويلتزم عليهم
بمصرف يميمها في ضيقها ان برأة منهم وربما يظهر نذل ذلك في ابيات قليلة كان يتبعها هذا
فتنقلت عنه وبلغ الناس بهارجه لولها لمحبة مريضة وزاد فيها الخراصون من ذلك الجنس
في كل عصر وشغل العامة بنك رموزها وجوامعهم اذ الرزاقا يهدي الى كشفه قانون
يعرف قبله وبوضع له واما مثل هذه الحروف فدلالتها على المراد منها مخصوصة بهذا
النظم لا يتجاوزة فرايت من كلام هذا الرجل الناضل شغفه لما كان في النفس من امر هذه
المحبة وما كنا لنهدي لولا ان هدانا الله والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

الفصل الرابع من الكتاب الاول

في البلدان والامصار وسائر الممران وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه سوانق وابواب

الفصل الاول

في ان الدول اقدم من المدن والامصار وانما توحيد ناسبة عن الملك، وبيانه ان
البناء واخذلاد المنازل اما هو من منازع الحضارة التي يدعو اليها الترف والدعة كما
قدمناه وذلك متأخر عن البداوة ومازعتها واية آفا المدن والامصار ذات هياكل واجرام
عظيمة وبناء كبير وهي موضوعة للعموم لا للتخصص فتحتاج الى اجتماع الالهي وكثرة
التعاون وليست من الامور الضرورية للناس التي نعم بها الملوك حتى يكون نزوعهم
اليها اضطرارا بل لا بد من اكرامهم على ذلك وسوقهم اليه متطوعين بهما الملك ان
مرغين في الثواب والاجر الذي لا يبي بكثرة الا الملك والدولة فلا بد من تصوير
الامصار واخذلاد المدن من الدولة والملك ثم اذا بنيت المدينة وكل تدبيرها بحسب
اخر من شيدتها وبما اقتضته الاحوال التجارية والارضية فيها فبصر الدولة حينئذ بعمرها
فان كان عمر الدولة قصيرا وقفت الحال فيها على انتهاء الدولة وتراجع عمرها وعمرت
وان كان عمر الدولة دايما ولم يزل يزداد فيها تشاد والمنازل المستوية
كثيرة وشهدت ونفاذ الاسواق بايد وفتح الله ان تشيع الحطة وتعد الماافة ويتبع
ذرع الماافة كما وقع ببغداد واماها ذكر الماافة في تاريخ بنان الماافة بل بغداد بغداد
العراق الماافة خمسة وستين الف شهام وكانت مشتتة على مدن واصار متلافة ومتفرقة

ومنها

هذا هو الاعرج الكلي فاعن به
 ياني من الشرق في جيشي يقدمهم
 بقبل دال ومثل الشام اجدها
 اذا التي زلزلت يا ورج مصر من الا
 طلاء وظلاء وعين كلهم حبسوا
 يسير القاف فاقا عد جمعهم
 وينصرون اخاء وهو صائمهم
 تمت ولايتهم بالخاء لا احد
 ويقال انه اشار الى الملك الظاهر وقدم ابو عليه مصر

ياني اليه ابوه بعد هجرتي وطول غيبتك والشفاف والزرن
 واجامها كثيرة القالب انما موضوعة وبخل صنعتها كان في القدم كثيرا ومصر وف الانفعال
 حكي المورخون لاخبار بغداد انه كان بها ايام مقتدر وراق ذاك يعرف بالدنيا في
 بيل الاوراق ويكتب فيها بخط عتيق برمر فيه يعرف من اسما اهل الدولة ويشير بها
 الى ما يعرف عليهم اليه من احوال الرفقة والجاه كأنها ملاحم ويحصل على ما يريد منهم
 من الدنيا لانه وضع في بعض دقائمه مكررة ثلاث مرات وجاء به الى منلج مولى المقتدر
 فقال له هذا كتابك عليك وهو منلج مولى المقتدر وذكره ما برصاه وبناله من الدولة
 ونصب لذلك علامات يترج بها عليه فذل له ما اغناه يوم وضعه للوزير ابن القاسم بن
 وهب على منلج هذا وكان مزم ولا فجاءه باوراق مثلها وذكر اسم الوزير بمثل هذه الحروف
 وعلامات ذكرها لانه يلى الوزارة للفاني عشر من الخلفاء وتستقيم الامور على يده وبغير
 الاعداء وتعمر الدنيا في ايامه واوقف مقلدا هذا على الاوراق وذكر فيها كثيرا من اخره
 وملاحم من هذا النوع ما وقع وما لم يقع ونسب جميعه الى دانيال فاعجب بمثلج ووقف
 عليه المقتدر واهتدى من تلك الامور والعلامات الى ابن وهب وكان ذلك سببا لوزارته
 بها هذه المحملة العربية في الكذب والجهل بمثل هذه الالفاظ والظواهر ان هذه المحملة
 التي ينسبونها الى الباجر بقي من هذا النوع ولقد سألت اكل الدين ابن شيخ الحنفية
 من العجم بالديار المصرية عن هذه المحملة وعن هذا الرجل الذي تنسب اليه من الصوفية
 وهو الباجر بقي وكان عارفا بطرائفهم فقال كان من القلدرية المنتدعة في حلق الحنفية

نروم الاستيلاء ويخضع شوكه استيلائها فإذا كانت بين اجتنابهم أمصار انتظروها سيف
استيلائهم للامن من مثل هذا الانحرام وإن لم يكن هناك مصر استمدتوه ضرورة لتكبل
عرائهم أولاً وحط انقالهم وليكون شجاع في حاق من بروم العزة والامتناع عليهم من طوائفهم
وعصائهم فتعين أن الملك يدعو الى نزول الامصار والاستيلاء عليها والله سبحانه وتعالى
اعلم وبه الدقيق لا ريب سواه

الفصل الثالث

في أن المدن العظيمة والهيكل المرتفعة اما يشيدها الملك الكبير
قد قدسنا ذلك في انار الدولة من المباني وغيرها وإنما تكون على نسبها وذلك أن
تشيد المدن انما يحصل باجماع النعمة وكثرتهم وتعاونهم فإذا كانت الدولة عظيمة منسعة
الملك حشر النعمة من اقطارها وجمع ايديهم على عملها وربما استعين في ذلك في أكثر
الامر بالهدام الذي يضاعف الثوي والتدري في شمل انقال البناء لعجز القوة البشرية
وضعتها عن ذلك كالتحال وغيره وربما يتوهم كبير من الناس اذا نظروا الى آثار الاقدمين
ومصانعهم العظيمة مثل ابوان كسرى وأهرام مصر وحنايا المعلقة وشروشال بالمغرب انما
كانت بقدرهم متفرقين او مجتمعين فيتحيل لهم اجساداً تناسب ذلك اعظم من هذه بكثير
في طولها وقدرها لتناسب بينهما وبين التدرا التي صدرت تلك المباني عنها ويغفل عن
شان الهدام والتحال وما اقتضته في ذلك الصناعة الهندسية وكثير من المتفكرين في البلاد
يعانين في شان البناء واستعمال التحيل في نقل الاجرام عند اهل الدولة المعتبرين بذلك
من العجم ما يشهد له بما قلناه عياناً وأكثر انار الاقدمين لهذا العهد نسبها العامة عادية
نسبة الى قوم هاد لتوهم ان مباني عاد ومصانعهم انما عظمت لعظم اجسامهم وتضاعف
قدرهم وليس كذلك فقد نجد اناراً كثيرة من آثار الذين تعرف مقادير اجسامهم من
الاسم وفي في مثل ذلك العظم او اعظم كابوان كسرى ومباني العبيدين من النسيعة
بافريقية والصنهاجين واثروهم ياد الى اليوم في صومعة قلعة بني حماد وكذلك بناء الاغالة
في جامع القيروان وبناء الموحدين في رباط الفتح ورباط السلطان ابي سعيد لهند اربعين
سنة في المنصورة بازاء تلسان وكذلك الحنايا التي يجلس فيها اهل قرطاجنة الماء في
البناء الراكبة عليها مائة لهذا العهد وغير ذلك من المباني والهيكل التي نقلت البناء اختار
اهلها قريباً وبعيداً وتيقنا انهم لم يكونوا بافراط في مقادير اجسامهم وانما هذا راي ولا بد

تجاوز الاربعين ولم تكن مدينة وحدها مجيعها سور واحد لا فراط العبران وكذا حال
 الفير وان وقرطبة والمدينة في الملة الاسلامية وحال مصر القاهرة بعدها فيما يبلغنا لهذا العهد
 ولما بعد انقراض الدولة المشيقة للمدينة فاما ان يكون لصواحي تلك المدينة وما قاربها
 من الجبال والبساتين بادية يدها العبران دائما فيكون ذلك حافظا لوجودها ويستمر عمرها
 بعد الدولة كما نراه بناس وبجاية من المغرب وبعراق العجم من المشرق الموجود لها العبران
 من الجبال لان اهل البادية اذا انتهت احوالهم الى غلبتهم من الرفه والكسب تدعو الى
 الدعة والسكون الذي في طبيعة البشر فينزولون المدن والامصار ويتأهلون ولما اذا لم
 يكن لتلك المدينة المؤسسة مادة تنيدها العبران يترادف الساكن من بدوها فيكون
 انقراض الدولة خرقا لسياجها فيزول حفظها ويتناقص عمرها شيئا فشيئا الى ان يذعر
 ساكنها وتغرب كما وقع بمصر وبغداد والكوفة بالمشرق والقيروان والمدينة وقلة بقي
 حماد بالمغرب واماها تنهية وربما ينزل المدينة بعد انقراض مخططيها الاولين ملك اخر
 ودولة ثانية يتخذها قرارا وكريسا يستفي بها عن اختطاط مدينة ينزلها فتعظم تلك الدولة
 سياجها وتزايد مبانيها ومصانعها بتزايد احوال الدولة الثانية وترتها وتستفيد بعمرها
 عمرا اخر كما وقع بناس والقاهرة لهذا العهد والله سبحانه وتعالى اعلم وبه الشوق

الفصل الثاني

في انب الملك يدعو الى نزول الامصار

وذلك ان التهايل والعصائب اذا حصل لم الملك اضطرر للاستيلاء على الامصار
 لانهن احدها ما يدعو اليه الملك من الدعة والراحة وسط الانتقال واستكمال ما كان
 ناقصا من امورا لعبران في البدو والثاني دفع ما يتوقع على الملك من امر المنازعات
 والمشاغين لان المصر الذي يكون في نواحيهم ربما يكون مليا من بروج منازلهم والخروج
 عليهم وانتزاع ذلك الملك الذي يميل اليه من ايدهم فيعتصم بذلك المصر ويغلبهم
 ومغالبة المصر على نهاية من الصعوبة والمشقة والمصر يقوم مقام العساكر المتعددة لما فيه
 من الامتناع ونكاية الحرب من وراء الجدران من غير حاجة الى كثير عدد ولا عظيم
 شوكة لان الشوكة والعصاية اما احتج اليها في الحرب للثبات لما يقع من بعد كره القوم
 بعضهم على بعض عند الجمولة وثبات هؤلاء بالجدران فلا يضطرون الى كثير عصاة ولا
 عدد فيكون حال هذا الحصن ومن يعتصم به من المنازعين ما ينت في عضد الامة التي

يستدل بولي عظم الملك بأفك الذين سلموا الملك لأهل ذلك الميكل فاتهم في الصحة وقال
أخذته العرة للهمم والله لأصرعه وشرع في هدمه وجمع الأيدي عليه وأخذ له القوس
وحماة بالدار وصب عليه الخيل حتى إذا أدركه العجز بعد ذلك كثر وخلف المشيمة بعد
التي يحيى يستدبره ثانيا في القيا في عن الهدم فقال يا أمير المؤمنين لا تفعل واستمر على
ذلك لما لا يقال بغير أمير المؤمنين وملك العرب عن هدم مصع من مصانع العلم فصرها
الرشد وأقصر عن هدمه وكذلك أنقذ للمؤمنين في هدم الأهرام التي هدمت ومعها الملة
لهدمها فلم يمل طائل وترعول في نوبة فاشبهوا إلى جوين الممان والظاهر وما بعده من
الحيطان وهنا لك كان منتهى هدمهم وهو إلى اليوم فيها يقال منذئذ لا هرو يزعم الرافضون
أنه وجد ركازا بين تلك الحيطان والله أعلم وكذلك حارب الملة إلى هذا العهد فحتاج
أهل مدينة تونس إلى انتخاب الحجارة لبنائهم وتستفيد المنافع من تلك الحجارة بطولون
على هدمها الأيام العديدة ولا يسقط الصغر من جدرانها إلا بعد عصب الرقيق وتجميع
أهل الحافل المشهورة شهدت منها في أيام صباهي كثيرا والله خلقكم وما تعملون

الصلوات الختام

فيا نيس، مراعاة في أوضاع المدن وما يحدث إذا غفل عن المراعاة
أعلم أن المدن قرار يتخذ الاسم عدد جدول العناية المدلوبة من الترف ودواعيه
فتوتر الدعة والسكون وتوجه إلى انتفاذ المنازل للقرار ولما كان ذلك القرار والقرار
أن يراعى فيه دفع المضار بالجماعة من طوارقها وبجلب المانع وتسهيل المرافق لما نانا
الحاجة من المضار فيراعى لها أن يدار على منازلها جميعا كسباح الأسوار وأن يكون منجم ذلك
في منع من الأمكنة أما على هضبة متوعدة من الجبل ولما لم يدار بحرا ونهرها حتى لا
يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة فحصب ما على الهدى ويهمل ما يهمل
امتاعها وحصبها وما يراعى في ذلك الجمالية من الأعمدة السماوية طوبى الطول واللامسة
من الأمراس فإن الهواء إذا كان رافدا شديدا أو متجاوزا الزيادة الفاسدة أو نافع متدنة
أو مروج شديدا أسرع إليها الدفن من مباورتها فادرس الأمراض للبولان الكاثر، ثم لا يراعى
وهذا مشاهد والمدن التي لم يراعى فيها طوبى الهواء كثيرة الأمراس في الغالب، فذلك
بذلك في قنار المغرب بلد قابس من بلاد الجزائر بأفريقية فلا تكاد تراكها أو الرما
مناس من حتى العفن ووجهه وإذا يقال أن ذلك يحدث فيها ولم يكن ذلك من جهة

القصاص عن قوم عاد وثمود والعائلة ونجد بيوت ثمود في الحجر مخوفة الى هذا العهد وقد ثبت في الحديث الصحيح انها يومئذ يورثها الركب الحجاري أكثر السنين ويشاهدونها لا تريد في جوارها ومساحتها وبها على المتعاهد رايهم لئلا لغون فيما يعتقدون من ذلك حتى انهم ليزعمون ان عروج بن عناق من نجيل العائلة كان يتناول السمك من البحر طر يافس فيه في الشمس يزعمون بذلك ان الشمس حارة فيا قارب منها ولا يعلمون ان البحر في الدنيا هو الضو لا انعكاس الشعاع بقابله يستغى الارض والهواء واما الشمس في نفسها فغير حارة ولا باردة وانما هي كوكب مضئ لا مزاج له وقد تقدم شيء من هذا في الفصل الثاني حيث ذكرنا ان اثار الدولة على نسبة قوتها في اصلها والله يخلف ما يشاء ويحكم ما يريد

الفصل الرابع

في ان المبادئ المطلوبة جداً لاستغلال بنائها الدولة الواحدة والنسب في ذلك ما ذكرناه من حاجة البناء الى التعاون ومضاعفة القدر البشرية وقد تكون المباني في عظمها أكثر من القدر مفردة او مضاعفة بالهدام كما قلناه فيحتاج الى معاودة قدر أخرى منها في ازمة متعاقبة الى ان يتم فيبتدئ الاول منهم بالبناء ويعتبه الثاني والثالث وكل واحد منهم قد استكمل شأنه في حشر النعلة وجمع الأيدي حتى يتم القصد من ذلك ويكمل ويكون مائلاً الى ان يظن من براءة من الآخرين انهم ببناء دولة واحدة وانظر في ذلك ما نقله المؤرخون في بناء سد مارب وان الذي ساءبنا ابن تشجب وساق اليوسعين وادباً وعامة الموت عن اقامه فائمة مارك سحير من بعده ومثل هذا ما نقل في بناء قرطاجنة وقبائها الراكدة على انصبايا العادية وأكثر المباني العظيمة في العالم هذا شأنها ويشهد لذلك ان المباني العظيمة لم يبنها الملك الواحد بشرع في اضططاطها وناسيسها فاذا لم يتبع اثره من بعده من الملوك في اقامها بقيت بجبالها ولم يكمل القصد فيها ويشهد لذلك ايضاً انما نجد اثاراً كثيرة من المباني العظيمة تجز الدول عن هدمها وتقر بها مع ان الهدم اسر من البناء بكثير لانه الهدم رجوع الى الاصل الذي هو العدم والبناء على خلاف الاصل فاذا وجد بناء تضعف قوتنا البشرية عن هدمه مع سهولة الهدم علما ان القدرة التي استمته مفردة القوة وانها ليست اثر دولة واحدة وهذا مثل ما وقع العرب في ابواب كسرى لما اعتمر الرشيد على هدمه وبنت المبحي بن خالد وهو في يمينه يستشير في ذلك فقال يا امير المؤمنين لا تفعل واتركه مائلاً

تدعو إلى ضرورة الساكن وقد يكون الواضع غافلاً عن حسن الاختيار الطبيعي أو أنها
براعي ما هو أهم على نفسه وقومه ولا يذكر حاجة غيرهم كما فعله العرب لأول الإسلام سفي
المدن التي اضطلوعا بالعراق وأفرقية فأنهم لم يراعوا فيها إلا الام عندهم من مراعي
الابل وما يصلح لها من الخبز والماء الملح ولم يراعوا الماء ولا المزارع ولا المحطب ولا مراعي
السائمة من ذوات النضال ولا غير ذلك كالزير وان الكوفة والحيرة وما بينهما ولذا كانت
اقرب الى الخراب لما لم تراعى فيها الامور الطبيعية.

وما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر ان تكون في جبل أو تكوّن بين امة
من الامم موقورة العدد تكون صريحاً المدينة متى طرقها طارق من العدو والسبب في
ذلك ان المدينة اذا كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للشاغل اهل المعصيات
ولا موضعها متوعر من الجبل كانت في غرة لايات وسهل طروقها في الاساطيل البحرية
على عدوّها وتحببها لما يامن من وحيد الصريح لها وان الحضرة والمدن للعدو قد
صاروا عيالاً وخروجاً عن حكم المقاومة وهذه كالاسكندرية من المشرق وطرابلس من
المغرب وبونة وسلا ومنى كانت الشاغل والصائب موطنين بقرها بحيث يلبثهم الصريح
والهجر وكانت متوعره المسالك على من يرونها باضطلالها في جناب الجبال وعلى
استنمها كان لها بذلك منعة من العدو ويهدوا من داروقها لا يكادونه من وعدا وما
يتمهنة من اجابة صريحها كما في مدينة وبها يبقو باد التل على صرحها فأنهم ذلك واعتبره
في اختصاص الاسكندرية باسم القصر من المدن الدولة العباسية مع ان الدعوة من ورائها
برقة وأفرقية وإنما اعتبر في ذلك الحانة المتوقفة فيها من البحر لسهولة وضعها ولذلك
والله اعلم كان داروق العدو للاسكندرية ودارا اس في الملة وراة، فمعدن والله تعالى اعلم

الفصل السادس

في المساجد والبيوت العاجية في العالم

اعلم ان الله سبحانه وتعالى فضل من الارض بقائلاً اختصها بتشريعه وسماها مواطن
لعبادته يضعف فيها القلوب ويخربها الاجور واخبرنا بذلك على السن رساله وانما هو
اذننا بعباده وتسبيلاً لفرق المعادة لم . وكانت المساجد الثلاثة في ارض قاع
الارض متجاورات في التيجين وهي مكة والمدينة وبيت المقدس اما البيت الحرام الذي
بمكة فهو بيت ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه ارض الله سبحانه وان يؤذن في الناس بان

ونقل البكري في سبب حدوثه أنه وقع فيها حفر ظهر فيه أنالا من نحاس مخنوم بالرصاص
 فلما قضى خنامة صده منه دخان إلى الجوف وانقطع وكان ذلك مبدأ امراض الحميات فيه
 وأراد ذلك أن الأنايا كان مشددا على بعض اعمال الطليعات لوبائيه وأنه ذهب سره
 بذهاب فرجع اليها العن والوباء وهذه الحكاية من مذاهب العامة وباحثهم الركيزة
 والبكري لم يكن من نباهة العلم واستنارة البصيرة بحيث يدفع مثل هذا او يتبين خفة فنيته
 كما سمع والذي يكشف لك الحق في ذلك ان هذه الاهوية العنة أكثر ما يجتنبها لعنن
 الاجسام وامراض الحميات ركودها فانما تنقلها الريح وتنشئ وذهب بها فينا وتبالا
 خف شأن العن والمرض الداعي منها الحيوانات والبلد اذا كان كثير الساكن وكثرت
 حركات اهله فيخرج الهواء ضرورة وتحدث الريح المتخلل الهواء الراكد ويكون ذلك معينا
 له على الحركة والتفوج واذا خفف الساكن لم يجد الهواء معينا على حركته وتوجوهه بقي ساكنا
 راكنا وعظم عنقه وكثر ضرره وباق فاقس هذه كانت عندما كانت افرقية مستعدة
 العمران كثيرة الساكن تخرج باهله موجا فكان ذلك معينا على تخرج الهواء واضطرابه
 وتخفيف الاذى منه فلم يكن فيها كثير عن ولا مرض وبعد ما خفف ساكنها ركد هواؤها
 المتعفن بفساد مياهها فكثير العن والمرض فهذا وجهه لا غير وقد رأينا عكس ذلك في
 بلاد وضعت ولم يراع فيها طيب الهواء وكانت اولاً قليلة الساكن فكانت امراضها كثيرة
 فلما كثر ساكنها انتقل حالها عن ذلك وهذا مثل دار الملك بناس لهذا العهد المعنى بالبلد
 الجديد وكثير من ذلك في الاله فتمت به تبه ما قلناه لك واما جلب المنافع والمرافق للبلد
 فيبراعى فيه امور منها الماء بان يكون البلد على نهراو باراتها عيون عذبة نيرة فان وجود
 الماء قريبا من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورة فيكون لهم في وجود
 مرفقة عظيمة عامة وما يبراعى من المرافق في المدن طيب المراعى لسائقهم اذ صاحب كل
 قرار لا بد له من دواجن الحيوان للتناج والضرع والركوب ولا بد لها من المرعى فاذا
 كان قريبا طيبا كان ذلك ارفق بمجالس اليعاون من المنفعة في بده وما يبراعى ايضا المراعى
 فان الروح في الاوقات فاذا كانت مزارع البلد با لقرب منها كان ذلك اسهل في اتخاذ
 واقرب في توصيله ومن ذلك الثخير للطحب والبناء فان الحطب ما نعم البلوى في اتخاذ
 لوقود اليران للاصطلاخ والطبخ والخشب ايضا ضروري لسقنهم وكثير ما يستعمل فيه
 الخشب من ضرورياتهم وقد يبراعى ايضا قربها من البحر لتسهيل الحاجات الفاضية من
 البلاد الثانية الا ان ذلك ليس بنهاية الاول وهذه كلها متفاوتة بتفاوت الحاجات وما

خلعت بثوبي راهب الدور والحي بناها قاضي والمضايف بن جرم
 ثم اصاب البيت سيل ويقال حريق ونهدم واعادوا بناءه وجمعوا التفتة لذلك
 من اموالهم وانكسرت سفينة بساحل جدة فاشترىوا خشبها السفن وكانت جدرانها فوق
 القامة فيجعلوها ثمانية عشر ذراعاً وكانت الباب لاصقاً بالارض فيجعلوه فوق القامة لئلا
 تدخله السبول وقصرت بهم التفتة عن انعامه فقصروا عن قواعده وتركوا منه سنة اذرع
 وشبرا اذاروها بيجدار قصير لعطاف من ورائه وهو الحجر وبقي البيت على هذا البناء الى
 ان فُحصت اذن الزبير بكهنة حين دعا لنفسه وزحف اليه جهوش يزيد بن معاوية مع
 محبسون بن نمر السكوني وروى البيت سنة اربع وستين فاصابه حريق يقال من التفتة
 الذي رمل به على ابن الزبير فاعاد بناءه احسن مما كان بعد ان اختلفت عليه الصحابة في
 بناؤه واتبع عليهم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها اولا قمرتك
 حديد وعهد بكفر لرددت البيت على قواعد ابراهيم وبلغت له باين شرقياً وغربياً
 فهدمه وكشف عن اساس ابراهيم عليه السلام وجمع الوجع والاكار حتى عابنه وأشار
 عليه ابن عباس بالتحري في حفظ القبلة على الناس فادار على اساس الخشب ونصب
 من فوقها الاستار حفظاً للقبلة ونهت الى صنماء في التفتة وانكسرت فحملها وسال عن
 معطع الحجار الاول فبيع منها ما احتاج اليه ثم شرع في البناء على اساس ابراهيم عليه السلام
 ورفع جدرانها سبعاً وعشرين ذراعاً وجعل لها باين لاصقاً بالارض كما روى في حديثه
 وجعل فرشها وازرها ما ارعاه وصاغ لها المناجنيق وصفائح الابواب من الذهب ثم جاء
 الحجاج لحصاره ايام عبد الملك وبنى على المنيبد بالمنجنيقات الى ان تصدعت فحطها ثم
 لما طر بان الزبير شاو عبد الملك فيما ساء وزاده في البيت فامر بهدمه ورد البيت
 على قواعد قريش كما هي اليوم ويقال انه ندم على ذلك حين علم صحة رواية ابن الزبير
 لحديث عائشة وقال وددت اني كنت حملت ابا سب في امر البيت وبنائه ما ينهل
 فهدم الحجاج منها سنة اذرع وتبرأ مكاتب المنيبد وبنائها على اساس قريش وسد الباب
 الغربي وما نجت عتبة بابها اليوم من الباب الشرقي وترك سائرهما لم يغير منه شيئاً فكل
 البناء الذي فيه اليوم بناء ابن الزبير وبناء الحجاج في الحائط صلة ظاهرة للبناء لحمة
 ظاهرة بين البناءين والبناء متميز عن البناء بمقدار اصبع شبه الصدع وقد لمع ويبرز
 ههنا اشكال قوي لما فاني لما يقوله النفاة في امر الطوائف ويجذر الطوائف ان يدل على
 الشاذ وان الدائر على اساس المنيبد من اسفلها فمقع طوافه داخل البيت بناء على ان

اليوم قبناه هو ليلة اساعيل كما نصه القرآن وقام بها امره الله فيه وسكن اساعيل يوم
هاجر ومن نزل معهم من جرم الى ان قبضها الله ودفنوا بالمحرمه . وبيت المقدس بناه
داود وسليمان عليهما السلام امرها الله ببناء مسجد ونصب هيكله ودفن كثير من
الانبياء من ولد اسحاق عليه السلام بحواليه . وليلة مهاجرة نبينا محمد صلي الله وسلامه
عليه امره الله تعالى بالهجرة اليها واقامة دين الاسلام بها فبني مسجده المحرم بها وكان
لمحله الشريف في تربتها المساجد الثلاثة قرعة عين المسلمين وموى القديم وعظيمة
دينهم وفي الآثار من فضلها ومضاعفة الثواب في مجاورتها والصلاة فيها كثير معروف فليشر
الشيء من الخبر عن اولية هذه المساجد الثلاثة وكيف تدرجت احوالها الى ان كمل
ظهورها في العالم فاما مكة فالوفاة فيها يقال ان ادم صارت الله عليه بناها قبلة البيت
المحرم هدمها الطوائف بعد ذلك وليس فيه خبر صحيح يقول عليه ولما اقتبسوه من
منزل الابية في قوله وذريعتهم ابراهيم الفواعل من البيت واساعيل ثم بعث الله ابراهيم وكان
من شانه وشان زوجته سارة وغيرهما من هاجر ما هو معروف واوحى الله اليه ان يترك
ابنة اساعيل وامة هاجر بالقلعة فوضعها في مكان البيت وسار عنها وكيف جعل الله لها
من اللطف في نبع ماء زمزم ومرور الرفقة من جرم بها حتى احتملوهما وسكنوا اليها ونزلوا
معها بحوالي زمزم كما عرف في موضع فالتخذ اساعيل ووضع الكعبة دينا يارى اليه وادار
عليه سياجا من الردم وجعله زوتا لغنمه وجاء ابراهيم صلي الله عليه مرارا لزيارته من
الشام امر في اخرها ببناء الكعبة مكان ذلك الزرب قبناه واستعانت فيه بابو اساعيل
ودعا الناس الى حبيبه وبني اساعيل ساكنا به ولما قبضت امه هاجر وقام بنوه من بعده
بامر البيت مع اخوانهم من جرم ثم العالين من بعدهم واستمر الحال على ذلك والناس
يهرعون اليها من كل افق من جميع اهل الحليقة لا من بني اساعيل ولا من غيرهم من دنيا
لو تافى فقد نقل ان السابعة كانت شج البيت ونظمت وان تبعها كساها الملاة والوصائل
وامر بتطهيرها وجعل لها مفتاحا ونقل ايضا ان الفرس كانت تفتح وتقرّب اليه وان غزالي
الذهب اللذين وجدها عبد المطلب حين احضر زمزم كانا من قرايتهم ولم يزل يلزم
الولاية عليهما من بعد ولد اساعيل من قبل شؤنهم حتى اذا خرجت خراة واقام بها
بعدهما ما شاء الله ثم كنز ولد اساعيل وانتشروا وتبعوا الى كنانة ثم كنانة الى قريش
وغيرهم وساءت ولاية خراة فتلهم قريش على امره واخرجوه من البيت ومكمل اهلهم
يومئذ فقص بن كلاب قبلي البيت وسقته بنسب الدم وجرد النمل وقال الاعشى

افتتح مكة في الحبب الذي كان فيها سبعين الف اوقية من الذهب ما كان الملوك يهدون
 لهيت فيها الف الف دينار مكررة مرتين باثني فطاروزنا وقال له علي بن ابي طالب
 رضي الله عنه يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يفعل ثم ذكر لابي بكر
 فلم يحرکه هكذا قال الازرق وفي البخاري يسنده الى ابي واثل قال جلست الى شيبه بن
 عثمان وقال جالس ابي عمر بن الخطاب فقال سمعت ابي لادع فيها صفراء ولا يضاء
 الا قسمتها بين المسلمين قلت ما انت بفاعل قال ولم قلت فلم يفعله صاحبك فقال ها
 اللذان يقتدي بهما وخرجه ابو داود وابن ماجه واقام ذلك المال الى ان كانت فتنة
 الافطس وهو الحسن بن الحسين بن علي بن زين العابدين سنة تسع وتسعين ومائة
 حين غلب على مكة عبد الله الكعبة فاخذ ما في خزائنها وقال ما تصنع الكعبة بهذا المال
 موضوعا فيها لا ينفع به شئ احق به تسعين او على حربنا وخرجه وتصرف فيه وبطلات
 اللخيرة من الكعبة من يومئذ (واما بيت المقدس) وهو المسجد الأقصى فكان اول
 امره ايام الصابئة موضع الزهرة وكانوا يقرمون اليه الزيت فيها يقرمونه يصبونه على الصخرة
 التي هناك ثم دثر ذلك الهيكل واقعد بها بنو اسرائيل حين ملكوها قبله لصلاتهم. وذلك
 ان موسى صارت الله عليه لما خرج ببني اسرائيل من مصر لتبليهم بيت المقدس كما وعد
 الله اباهم اسرائيل واباه اسحق من قبله واقاموا بارض التي امر الله بانقاذة من خشب
 السند عين با ارجي مقادارها وصنعها وهياكلها وتماثيلها وارث يكون فيها التابوت ومائدة
 بعصاها ومثارة بفتادها وان يصنع مذبحا للقربان وصف ذلك كله في التوراة اكل وصف
 فصنع القبة ووضع فيها تابوت العهد وهو التابوت الذي فيه الاالواح المصنوعة عرضا عن
 الاالواح المنزلة بالكلمات العشر لما تكسرت ووضع المذبح عندها. وعهد الله الى موسى بان
 يكون هارون صاحب القربان ونصوا تلك القبة بين خيامهم في التيه يملكون اليها
 ويتفرقون في المذبح امامها ويتعرضون للوحي عندها. ولما اكملوا الشام وبقيت تلك القبة
 قبلتهم ووضعوها على الصخرة ببيت المقدس واراد داود عليه السلام بناء معبده على
 الصخرة مكانها فلم يتم له ذلك وعهد به الى ابنه سليمان فبناه لاربعمائة من ملكو ولحمه مائة
 سنة من وفاة موسى عليه السلام واتخذ عمده من الصفر وجعل به صرح الزجاج وشغى
 أبوابه وحفظاته بالذهب وصاغ هياكله وتماثيله وأوعيته ومثاراته ومناجحه من الذهب
 وجعل في ظهره قبرا لوضع فيه تابوت العهد وهو التابوت الذي فيه الاالواح وجاء به من
 حميون بلد ابي داود شجرة الاحياء والكهنية حتى وضعه في القبر ووضعت القبة والوعية

الجدران اقامت على بعض الاساس وترك بعضه وهو مكان الشادران وكذا قال ابن
 تقي الدين في حجر الاسود لا بد من رجوع الطائفت من التقييل حتى يستوي قائما لئلا يقع بعض
 طوائفه داخل البيت فاذا كانت الجدران كلها من بناء ابن الزبير وهو ابن بني على اساس
 ابراهيم فكيف يقع هذا الذي قالوه ولا مخلص من هذا الا باخذ امرين احدهما اما ان يكون
 التجميع هدم جميعه واعاده وقد نقل ذلك جماعة الا ان العيان في شواهد البناء بالتعام
 ما بين البناءين وتبين احد الشقين من اعلاه على الاخر في الصناعة يرد ذلك واما ان
 يكون ابن الزبير لم يرد البيت على اساس ابراهيم مع جميع جهاته ولما فعل ذلك في الحجر
 فقط ليدخله في الان مع كونها من بناء ابن الزبير ليست على قواعد ابراهيم وهذا بعيد
 ولا يهضم من هذين والله تعالى اعلم . ثم ان مساحة البيت وهو المسجد كان فضاه
 الطائفتين ولم يكن عليه جدران ايام النبي صلى الله عليه وسلم ولما بكر من بعده تم كثر الناس
 فاستمرى عمر رضي الله عنه دورا هدمها وزادها في المسجد وادار عليها جدارا دون القامة
 وفعل مثل ذلك عثمان ثم ابن الزبير ثم الوليد بن عبد الملك وبناه بعهد الرضا ثم
 زاد فيه المنصور وابنه المهدي من بعده ووقفت الرابدة واستقرت على ذلك لصدنا .
 وتشريف الله لهذا البيت وعمايته به اكثر من ان يماط به وكفى من ذلك ان جعله مهبطا
 للوحى والملائكة ومكانا للعبادة وفرض شعائر الممنوع ومناسكة واوجب لمرموه من سائر
 نواحيه من حقوق التعظيم والحق ما لم يوجب لغيره فيع كل من خالف دين الاسلام من
 دخول ذلك الحرم واوجب على داخله ان يهرد من المحيط الا ارارا بستره وحتى العائد
 به والاربع في مسارحه من مواقع الافات فلا يرام فيه خائف ولا عصابة وحش ولا يمتطع
 له شبر . وحد الحرم الذي يمتص به هذه الجريمة من طريق المدينة ثلاثة ايام الى التسعين
 ومن طريق العراق سبعة ايام الى الفزة من جبل المقطع ومن طريق الطائف سبعة
 ايام الى بطن غرة ومن طريق حمص سبعة ايام الى متقاع الشاشر . هذا شان مكة
 وخبرها وتسمى ام القرى وتسمى الكعبة لملوها من اسم الكعب ويقال لها ايضا بكة قال
 الاصمعي لان الناس يبك بعضهم بعضا اليها اي يدفع وقال جماعة بكة ابدلوا بها كما
 قالوا لا رب ولا زم فترد بالخرجون وقال الفقيه بالباء البيت وبالميم البلد وقال الزهري
 بالباء للمعبد كله وبالميم للمرم وقد كانت الام منذ عهد الجاهلية تقبله والملوك تبعث
 اليه بالاموال والذخائر كسرى وغيره وقصة الاسياق وغزالي الذهب اللذين وجدتهما
 عبد الخليل حين احفر زمزم مرة وقد وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

ملكه من تغور الشام وذلك لغوثانين وخمسمائة من النجوة وهدم تلك الكيسة وأظهر
الصخرة وبني المسجد على الخوال الذي هو عليه اليوم لهذا العهد ولا يعرض لك الاشكال
المعروف في الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن اول بيت وضع فقال
مكة قبل ثم ابي قال بيت المقدس قبل فكم بينها قال اربعين سنة فان المدة بين بناء
مكة وبين بناء بيت المقدس بمقدار ما بين ابراهيم وسليمان لان سليمان بناه وهو بنيف
على الالف بكثير . وأعلم ان المراد بالوضع في الحديث ليس البناء وإنما المراد اول بيت
عين للعبادة ولا يبعد ان يكون بيت المقدس عين للعبادة قبل بناء سليمان بنى هذه المدة
وقد نفل ان الصابئة بنوا على الصخرة هيكل الزهرة فلعل ذلك انها كانت مكانا للعبادة
كما كانت الجاهلية تضع الاصنام والتماثيل حولي الكعبة وفي جوفها والصابئة الذين بنوا
هيكل الزهرة كانوا على عهد ابراهيم عليه السلام فلا تبعد مدة الاربعين سنة بين وضع
مكة للعبادة ووضع بيت المقدس وان لم يكن هناك بناء كما هو المعروف وان اول من
بنى بيت المقدس سليمان عليه السلام فتنبه فيقول حل هذا الاشكال . وأما المدينة وهي
المسماة يقرب فهي من بناء يقرب ابن مهابل من العالقة وملكها بنو اسرائيل من ايديهم
فيما ملكوه من ارض الحجاز ثم جاؤهم بنو قيلة من غسان وغلبوا عليها وعلى حصونها . ثم
امر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة اليها لما سبق من عناية الله بها فهاجر اليها ومعه ابن
يكر وتبعه اصحابه ونزل بها وبني مسجده وبيوته في الموضع الذي كان الله قد اعده لذلك
وشرفه في سابق ازل واداه ابناء قيلة ونصروه فلذلك سموا الانصار وسمت كلمة الاسلام
من المدينة حتى عانت على الكهانات وغلب على قومه وفتح مكة وملكها وظن الانصار انه
يتحول عنهم الى بلده فافهم ذلك فخطبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبرهم انه غير
مقول حتى اذا قبض صلى الله عليه وسلم كان عليه الشرف بها وجاء في فضلها من
الاحاديث الصحيحة ما لا يخفاء به ووقع الخلاف بين العلماء في تفضيلها على مكة ويقولون
ما لك رحمته الله لما ثبت عنده في ذلك من النص الصريح عن رافع بن خديج ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال المدينة خير من مكة فنقل ذلك عبد الوهاب في المعونة الى احاديث
اخرى ندل بظاهرها على ذلك وخالف ابو حنيفة والشافعي . واصبحت على كل حال ثانية
المسجد المحرم وسمي اليها الامم باقتدائهم من كل اوب فانظر كيف تدرجت المضيئة في هذه
المساجد المعظمة لما سبق من عناية الله لها وتهم سر الله في الكون وتدرجهم على ترتيب
حكم في امور الدين والدنيا . وأما غير هذه المساجد الثلاثة فلا نعلم في الارض الا ما

والمذبح كل واحد حيث اعد له من المذبح واقام كذلك ما شاء الله ثم خربة بخت نصر
 بعد ثمانمائة سنة من بناؤه واحرق النوراة والعصا وصاغ اليها كل ونثر الاسحار ثم لما اعد
 ملوك الفرس بناء عزيز نبي بني اسرائيل لبعده باعانة مهن ملك الفرس الذي كانت
 الولادة لبني اسرائيل عليه من سبي بخت نصر وحدث لهم في بنائه حدودا دون بناء سليمان
 بن داود اعيداها السلام فلم يتجاوزوها ثم تداولتهم ملوك يونان والفرس والروم واستعمل المال
 لبني اسرائيل في هذه المدة ثم لبني خشان من كهنتهم ثم لصهرهم هيردوس ولبنيه من بعده
 وبني هيردوس بيت المقدس على بناء سليمان عليه السلام وتاقي فيه حتى اكمله في ست
 مئةين فلما جاء طيطش من لوك الروم وعلهم وملك امرهم خرب بيت المقدس ومسجدها
 وامران بزعم مكانة ثم اخذ الروم بدين المسيح عليه السلام ودأبوا بتعطيره ثم اختلف حال
 ملوك الروم في الاخذ بدين النصارى فارة وتركه اخرى الى ان جاء قسطنطين وتبصرت
 امه هيلانة وارتملت الى المقدس في طلب الخشبة التي صلب عليها المسيح بزعم فاحبرها
 القناسة بانه ربي بختنبته على الارض والتي عليها القمامات والقاذورات فاستخرجت الخشبة
 وبنت مكان تلك القمامات كنيسة القمامة كانها على قبره بزعم وهربت ما وجدت من
 عارة البيت وامرت بطرح الزبل والقمامات على الصخرة حتى غطاها وخفي مكانها جراه
 بزعمها لما فعلوه بقبر المسيح ثم بنوا بازاء القمامة بيت لهم وهو البيت الذي ولد فيه عيسى عليه
 السلام وبقي الامر كذلك الى ان جاء الاسلام وحضر عمر للفتح بيت المقدس وسال عن
 الصخرة فارى مكانها وقد علاها الزبل والتراب فكشف عنها وبني عليها مسجدا على طريق
 الدار وعظم من شاة ما اذن الله من تعظيمه وما سبق من ام الكتاب في فضله خسميا
 ثبت ثم احتفل الوليد بن عبد الملك في تشييد مسجده على سنن مساجد الاسلام بما شاء الله
 من الاحتفال كما فعل في المسجد الحرام وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وفي
 مسجد دمشق وكانت العرب تسميه بلاط الوليد والزم ملك الروم ان يبعث النعلة والمال
 لبناء هذه المساجد وان ينقوها بالسيوف فاطاع لذلك وتم بناؤها على ما اقترحه ثم لما
 ضعف امر الخلافة اعوام الخمسمائة من الهجرة في اخرها وكانت في ملكة العبيد بن خلفاء
 القاهرة من الشيعة واخذ امرهم زحف الذرنية الى بيت المقدس فملكوه وملكوا معه عامة
 ثغور الشام وبنوا على الصخرة المقدسة مئة كنيسة كانوا يعظمونها وينفقون بنائها حتى اذا
 استقل صلاح الدين بن ايوب الكردي بالملك مصر والشام ومحا اثر العبيد بن وبعدهم
 زحف الى الشام وجاهد من كان به من الذرنية حتى غلبهم على بيت المقدس وعلى ما كانوا

والسبب في ذلك ما ذكرنا مثله في البربر يعني اذ العرب ايضا اعرق في البدو
 واحد عن الصنائع وايضا فكانوا اجانب من الممالك التي استولوا عليها قبل الاسلام ولما
 تمككوا لم يفتح الامد حتى تستوفي رسوم الحضارة مع انهم استفادوا بما وجدوا من مبانى
 غيرهم وايضا فكان الدين اول الامر مانعا من المغالبة في البنين والاسراف فيه في غير
 القصد كما عهد لهم عمر حين استاذنوه في بناء الكوفة بالمجاعة وقد وقع الحريق في القصب
 الذي كانوا بنوا به من قبل فقال افعلى ولا يزيدن احد على ثلاثة ابيات ولا تطلوا
 في البنين والزمو السنة تلمكم الدولة وعهد الى الوفد وتقدم الى الناس ان لا يرفعوا
 بنيانا فوق القدر قالوا وما القدر قال ما لا يترى من السرف ولا يترجم عن القصد
 فلما بعد العهد بالدين والتشريع في امثال هذه المقاصد وثبتت طبيعة الملك والترف
 واستخدم العرب امة الفرس واخذوا عنهم الصنائع والمباني ودعمهم اليها احوال الدعة
 والترف فثبتت شيد المباني والصنائع وكان عهد ذلك قريبا ما تقراض الدولة ولم
 ينسج الا مد لكثرة البناء واختطاط المدن والامصار الا قايلا وليس كذلك غيرهم من
 الامم فالفرس طالت مدتهم الاقفا من الدين وكذلك القبط والبط والروم وكذلك
 العرب الاول من عاد وثمود والعمالة والتماعة طالت آمادهم ووسعت الصنائع فيهم
 فكانت مبانيهم ومبانيهم اكثر عددا وبقي على الامم امرا واسنصر في هذا الجملة كانت
 لك والله وارث الارض ومن عليها

الفصل التاسع

في ان المباني التي كانت تختطها العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل
 والسبب في ذلك شان الدارة والبعد عن الصنائع كاقدمنا فلا تكون المباني وثيقة
 في تشييدها وله والله اعلم وجه آخر هو آس به وذلك قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في
 اختطاط المدن كانه في المكان وطيب الهواء والمياه والمزارع والمراعي فانه بالفتاوت
 في هذا تفاوت جودة المصروفاته من حيث الثمران الطبيعي والعرب بهزل عن هذا
 ولما براعون مراعي البهيم خاصة لا يبالون بالماء طاب او شرب ولا قل او كثر ولا يسألون
 عن زكاء المزارع والمباني والاهوية لا تتناهم في الارض ونقلهم المحبوب من البلد البعيد
 ولما الرياح فالفرغ مختلف للمباب كها والظمن كقول لم يطيبها لان الرياح اما شتت مع
 القرار والسكنى وكثرت الفضلات وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقزير وان كيف لم

يقال من شان مسجد ادم عليه السلام بسند يرب من جزائر الهند لكثرة لم يثبت فيه شيء
يعزل عليه وقد كانت للام في القديم مساجد يعظفونها على جهة الديانة بزعمهم منها بيوت
النار للفرس وهما كل يونان وبيوت العرب بالحجاز التي امر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمها
في غزواته وقد ذكر المسعودي منها بيوتا لسنا من ذكرها في شيء اذ هي غير مشروعة ولا
هي على طريق ديني ولا يثبت اليها ولا الى الخبر عنها ويكنفي في ذلك ما وقع في التواريخ
فمن اراد معرفة الاخبار فعليه بها والله يهدي من يشاء سبيلا

الفصل السابع

في ان المدن والامصار بافريقية والمغرب قليلة

والسبب في ذلك ان هذه الاقطار كانت للبربر منذ الاف من السنين قبل الاسلام
وكان عمرانها كالة بدوية ولم تستمر فيهم الحضارة حتى تستكمل احوالها والدول التي ملكتهم
من الافريقية والعرب لم يطل امد ملكهم فيهم حتى ترسخ الحضارة منها فلم تنزل عوائد البكر
وشونها فكانوا اليها اقرب فلم تكثر مبانيهم وايضا فالصنائع بعيدة عن البربر لانهم
احرق في البدو والصنائع من نواحي الحضارة ولما تنم المباني بها فلا بد من المحدث في
تعلمها فلما لم يكن للبربر اتصال فلما لم يكن لهم تشوق الى المباني فضاء عن المدن وايضا
فهم اهل عصبية وانساب لا يتخلو عن ذلك جميع منهم والانساب والعصبية اجمع الى البدو
واما بدعو الى المدن الدعة والسكون ويدير ساكنها عيالاً على حاميتها فتجد اهل البدو
لذلك يستكثرون عن سكنى المدينة او الاقامة بها ولا بدعوا الى ذلك الا الترف والنقى
وقليل ما هو في الناس فاذلك كان عمران افريقية والمغرب كله او اكثره بدوياً اهل
خيام وظوا عن قباطن وكن في الجبال وكانت عمران بلاد النجيم كله او اكثره قري
وامصار اورساق من بلاد الاندلس والنام ومصر وعراق النجيم وامثالها لان النجيم في
الغالب ليسوا باهل انساب يحافظون عليها ويتناغون في صراحتها وانسابها الا في الاقل
واكثر ما يكون سكنى البدو لاهل الانساب لان لحمة النسب اقرب واشد فتكون عصبية
كذلك وتنزع اصحابها الى سكنى البدو والتجاني عن المصر الذي يذهب باللباس له ويصير
عبالاً على غيرة فافهمه وقس عليه والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

الفصل الثامن

في ان المباني والصنائع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى من كان قبلها من الدول

على البقر وإثارة الأرض وحصاد السنبل وسائر مؤن الفلح وتوزعوا على تلك الاعمال
 أو اجتماعهم وحصل بينهم ذلك مقدار من القوت فانه حينئذ قوت لضعافهم مرات
 فالاعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات العاملين وضروراتهم فاهل مدينة أو مصر اذا
 وزعت اعمالهم كلها على مقدار ضرورتهم وحاجاتهم اكتفى فيها بالاقل من تلك الاعمال
 وبقيت الاعمال كلها زائدة على الضرورات فتصرف في حالات الترف وعوائده وما يحتاج
 اليه غيرهم من اهل الامصار ويستجيبونه منهم باعواض وفيه فيكون لهم بذلك حظ من الغنى
 وقد تبين لك في النصل الخامس في باب الكسب والرزق ان المكاسب اثنا في قيم الاعمال
 فاذا كثرت الاعمال كثرت فيها بينهم فكثرت مكاسبهم ضرورة ودعهم احوال الرفه
 والغنى الى الترف وحاجاتهم من الثاقي في المساكن والملابس واستيادة الآنية والماعون واتخاذ
 الحفم والمراكب وهذه كلها اعمال تستدعي بنيتها ويختار الميرة في صناعتها والقيام عليها
 فتبقى اسواق الاعمال والصنائع ويكثر دخل المصر وخرجته ويحصل اليسار لمن يبتلي ذلك
 من قبل اعالمهم ومتى زاد العمران زادت الاعمال ثانيا ثم زاد الترف تابعا للكسب وزادت
 عوائده وحاجاته واستنبطت الصنائع لتخصيلها فزادت فيها وتضاعف الكسب في المدينة
 اذلك ثانيا ونفقت سوق الاعمال بها أكثر من الأوّل وكذا في الزيادة الثانية والثالثة
 لان الاعمال الزائدة كلها تخصص بالترف والغنى بخلاف الاعمال الاصلية التي تخصص بالمعاش
 فالمصر اذا فضل بعمران واحد فضله بزيادة كسب ورفه وعوائده من الترف لا توجد في
 الاخر فاما كان عمران من الامصار أكثر واوفر كان حال اهله في الترف ابان من حال المصر
 الذي دونه على وتيرة واحدة في الاصناف الفاخر مع الفاخر والناظر مع الناجر والصانع مع
 الصانع والسوقي مع السوقي والامير مع الامير والشرطي مع الشرطي * واعتبر ذلك في المغرب
 مثلاً بحال فاس مع غيرها من امصاره الاخرى مثل بجاية وبلسان وسبتة فيبينها بوتا كثيرا
 على التجهل ثم على الخصوصيات فحال الفاخر بفاس اوسع من حال الناصر ببلسان وهكذا كل
 صنف مع صنف اهله وكذا ايضا حال بلسان مع وهران والجزائر وهران وبلسان وهكذا كل
 مع ما دونها الى ان تنتهي الى المداشر الذين اعلمهم في ضروريات معاشهم فقط ويقصرون
 عنها وما ذالك الا لتفاوت الاعمال فيها فقامتها كلها اسواق للاعمال والمخرج في كل سوق
 على سببه فالفاخر في فاس دخله كفاء مخرجه وكذا الفاخر في بلسان وحيث الدخل والمخرج
 أكثر تكون الاحوال اعظم وهما فاس أكثر لتناق سوق الاعمال بما يدعو اليه الترف
 فالاحوال اعظم ثم كذا حال وهران وقسطنطينة والجزائر وبسكرة حتى تنتهي كما قلناه الى

براعوا في اختطاطها الا مراعي ايام ونيا يقرب من الفتر ومسا لك المظن فكانت بعيدة
عن الوضع الطبيعي للندن ولم تكن لها مادة تمد عمرانها من بعدهم كما قدسنا انه يحتاج اليو
في حفظ العمران فقد كانت مواظبا غير طبيعية للقرار ولم تكن في وسط الامم فيعبرها
الناس فلاول وهلة من التلال امرم وذهاب عصيتهم التي كانت سياجا لها الى عليها
المخرب والاختلال كان لم تكن والله يحكم لا معقب لحكمه

الفصل العاشر

في مبادي المخرب في الامصار

اعلم ان الامصار اذا اختطت اولاً تكون قليلة المساكن وقليلة آلات البناء من الحجر
والخجر وغيرها مما يعال على المحيطان عند التأني كالريح والرخام والبرج والرجاج والنسيفا
والصدف فيكون بناؤها يوتئد بدويًا ولائها فاسدة فاذا عظم عمران المدينة وكثر
ساكنها كثرت الآلات بكثرة الاعمال حيثئذ وكثرت الصنائع الى ان تبلغ غايتها من
ذلك كما سبق شأنها فاذا تراجع عمرانها وخفت ساكنها قلت الصنائع لاجل ذلك ففقدت
الاجادة في البناء والاحكام والمعالجة على ما ينبغي ثم تقل الاعمال لعدم الساكن فيقل
جلب الآلات من الحجر والرخام وغيرها فتفقد ويصير بناؤهم وتشييدهم من الآلات التي
في مبانهم فينقلونها من مصنع الى مصنع لاجل خلاه أكثر المصانع والقصور والمنازل
بقلة العمران وقصوره عما كان اولاً لا تزال تنقل من قصر الى قصر ومن دار الى دار
الى ان ينقد الكثير منها جملة فيعودون الى البداوة في البناء واتخاذ الطوب عوضاً عن
الحجارة والقصور عن التنيق بالكلية فيعود بناء المدينة مثل بناء القرى والمدن ويظهر
عليها سيما البداوة ثم تمر في المناقص الى غايتها من المخرب ان قدر لها به سنة الله في خلقه

الفصل الحادي عشر

في ان تناضل الامصار والمدن في كثرة الرق لاهابها ونفاق الاسواق

انما هو في تناضل عمرانها في الكثرة والقلّة

والسبب في ذلك انه قد عرف وثبت ان الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل
حاجاته في معاشه ومعايشه متعاونون جميعاً في عمرانهم على ذلك والحاجة التي تحصل بتعاون
طائفة منهم تشتت ضرورة الأكثر من عديم اضعافاً لقوة من المختلة مثلاً لا يستقل الواحد
بتحصيل حصته منه واذا اتدب لتحصياله السنة او العشرة من حداد وبنجار للآلات وقام

الامصار التي لا توفي اعمالها بضرورتها ولا تعد في الامصار اذ هي من قبيل الثرى والمدثر
فلذلك تجد اهل هذه الامصار الصغيرة ضعفاء الاحوال متقاربين في الفقر والخصاصة
لما ان اعمالهم لا تفي بضرورتهم ولا يفضل ما يتأثرونه كسباً فلا تنو مكاسبهم وهم لذلك
مساكين معارج الا في الاقل النادر واعتبر ذلك حتى في احوال الفقراء والسؤال فان
السائل بفاس احسن حالاً من السائل ببلسان او وهران ولقد شاهدت بناس السؤال
يسألون ايام الاضاحي اثنان ضخمايهم ورايتهم يسألون كثيراً من احوال الترف واقتراح
الماكل مثل سؤال الليم والسمن وعلاج الطيف والملابس والماعون كالغريبال والآنية
ولو سأل سائل مثل هذا ببلسان او وهران لاستنكر وعنف وزجر وبلشنا لهذا العهد عن
احوال القاهرة ومصر من الترف والفنى في عوائلهم ما يقضي منه العجب حتى ان كثيراً
من الفقراء بالمغرب يازعون من الثقة الى مصر لذلك ولما يبلغهم من ان شان الرفه بمصر
اعظم من غيرها ويعتقد العامة من الناس ان ذلك ازبادة ابقار في اهل تلك الاقاليم على
غيرهم او اموال مختزنة لديهم وانهم اكثر صدقة وباراً من جميع اهل الامصار وليس كذلك
وانما هو ما تعرفه من ان عمران مصر والقاهرة اكثر من عمران هذه الامصار التي لديك
فقطت لذلك احوالهم. واما حال الدخل والمخرج فتكافى في جميع الامصار ومنى
عظم الدخل عظم المخرج وبالعكس ومنى عظم الدخل والمخرج انصمت احوال
السكان ووسع المصركل شيء يهلك من مثل هذا فلا تنكره واعتبره بكثرة العمران
وما يكون عنه من كثرة المكاسبة التي يسمل بسببها البذل والابتاع على مبتغى ومثله ببلسان
المحيطات التي مع بيوت المدينة الواحدة وكيف يختلف احوالها في هجرانها او عشائرها
فان بيوت اهل النعم والثروة والموائد الخفية منها تكثر بساحتها واقتبتها بنثر
المحروب وسواها الفئات فيزدحم عليها غواني الليل والخشاش وبلحظ فوقها عصائب
الطيور حتى تروح بطاناً وتبلى شعباً ورباً وبيوت اهل الخصاصة والفقراء الكاسدة اراهم
لا يسرى بساحتها ديب ولا يملق بجزءها طائر ولا ناوى الى زوايا بيوتهم فارة ولا هرة كما
قال الشاعر

تسقط الطيور حيث تثبسط الحب وتنفى منازل الكرماء

فقال سر الله تعالى في ذلك واعتبر غاشية الاناسي بغاشية العجم من المحيولانات وفئات
الموائد بفضلات الرزق والترف وسهولتها على من يبدلها لاستغنائهم عنها في الاكثر
لوجود اعمالهم لديهم واعلم ان اتساع الاحوال وكثرة النعم في العمران تابع لكثرة الله

والمخارم السلطانية التي توضع على الاسواق والبياعات وتعتبر في قيم المبيعات ويعظم فيها الغلاء في المرافق والاقوات والاعمال فكثير لذلك نفقات ساكني كثيرة بالغة على نسبة عمارته ويعظم خرجه فيحتاج حينئذ الى المال الكثير للنفقة على نفسه وعياله في ضرورات عينتهم وسائر مؤنهم والبدوي لم يكن دخالة كثيرا اذا كان ساكنا بمكان كاسد الاسواق في الاعمال التي هي سبب الكسب فلم يتأمل كسبا ولا مالا فيتعذر عليه من اجل ذلك سكني المصر الكبير لغلاء مرافقه وعرة حاجاته وهو في بدو يسد خلته باقل الاعمال لانه قليل عوائد الترف في معاشه وسائر مؤنونه فلا يضطر الى المال وكل من يتشوف الى المصر وسكناه من اهل البادية فسريرا ما يظهر عجزه وينفخ في استيلائه الا من يقدم منهم تأمل المال ويحصل له منه فوق الحاجة ويميري الى الغاية السليمة لاهل العبدان من الدعة والترف فحينئذ ينتقل الى المصر ويتعلم حاله مع احوال اهله في عوائدهم وترتهم وهكذا شأن دابة عماران الامصار والله بكل شيء محيط

الفصل الرابع عشر

في ان الاقطار في اختلاف احوالها بالرفه والقرى بل الامصار اعلم ان ما توفر عمارته من الاقطار وتعددت الامم في جهاته وكثر ساكنه اتسعت احوال اهله وكثرت امواله وامصاره وعلمت دونه ومالكهم . والسبب في ذلك كله ما ذكرناه من كثرة الاعمال وما ياتي ذكره من انها سبيل لتروقه بما يفضل عنها بعد الرفاه بالصوريات في حاجات الساكن من الثفنة الباقية على مقدار العبدان وكثرته فيعود على الناس كسبا يتأثرونه حسبا . ان كذلك في فصل المعاش وبيان الرزق والكسب فيزيد الرفه لذلك وتوسع الاحوال ويحيى الترف والغنى وتكثر اثاره للدولة بتفاق الاسواق فيكثر مالها وينفخ سلطانيها وتنفذ في اتقاد المعامل والمصون واجتذاب المدين وتوسيع الامصار . واعتبر ذلك بافتقار المشرق مثل مصر واليمن وعراق العجم والهند والصين وناحية الخيال كلها وانقطاعها وراه البحر الرومي لما كثر عمارتها كيف كبر المال منهم وعلمت دولتهم وتعددت مدنها وحواشيمها وعلمت متاجرها واهوالها فانه لنفاهاة لهذا العهد من احوال تجار الامم النصرانية الواردن على المسلمين بالغرب في رغبهم واتساع احوالهم اكثر من ان يمدوا الوصف وكذا تجار اهل المشرق وما يند اعين احوالهم وايضا بها احوال اهل المشرق الاقصى من عراق العجم واليمن والهند بن فناء باذانهم

فأقروا لهم قليلة لقلة العمل فيها وما يتوقعونه لصغر مصيرهم من عدم القوت فيتمسكون بما يحصل منه في أيديهم ويحسرونه فيعجز وجوده لديهم ويغاثون على مستاهم وأما مرافقهم فلا تدعو إليها أيضاً حاجة بقلة الساكن وضعف الأحوال فلانفق لديهم سوقه فيخص بالرخيص في سعره وقد يدخل أيضاً في قيمة الاقوات قيمة ما يعرض عليها من المكوس والمغارم والباطون في الأسواق وابواب المحر والحيوة في منافع وصولها عن البيوعات للميسم وبذلك كانت الاسعار في الامصار اعلى من الاسعار في البادية اذ المكوس والمغارم والنفائض قليلة لديهم او معدومة وكانت في الامصار لا سيما في اخر الدولة وقد تدخل أيضاً في قيمة الاقوات قيمة علاجها في الفلج ويحافظ على ذلك في اسعارها كما وقع بالاندلس لهذا العهد وذلك انهم لما انجأهم النصارى الى سيف البحر وبلادة المتوعدة الخبيثة الزراعة التكدية النبات وملكوا عليهم الارض الزاكية والبلد الطيب فاحتاجوا الى علاج المزارع والقدن لاصلاح نباتها وقلتها وكان ذلك العلاج باعمال ذات قيم ومواد من الرطب وغيره لها مائة وصارت في قطنهم نفقات لها خنطر فاعتبروها في سعرهم واخص قطر الاندلس بالغلاء منذ اضطروهم النصارى الى هذا المجهور بالاسلام مع سواحلها لاجل ذلك وبسبب الناس اذا سعوا بغلاء الاسعار في قطنهم انما لقلة الاقوات والمحجوب في ارضهم وليس كذلك فهم اكثر اهل المعجور فلما علموا انهم اقومهم عليه وقل ان يظلم منهم سلطان ان سوقه عن فدان او مزرعة او فسخ الاقليل من اهل الصناعات والمهن او الطراء على الوطن من الغزاة الجاهدين ولذا ينقصهم السلطان في عملاتهم بالعملة وهي اقواتهم وعالوفاتهم من الزرع وانا السبب في غلاء سعر المحبوب عندهم ما ذكرناه. ولما كانت بلاد البربر بالعكس من ذلك في زكاء مناسهم وطيب ارضهم ارتفعت عنهم الموائج فجاء في الفلج مع كثرة وعمومه نصار ذلك سبباً لرخيص الاقوات ببلدكم والله مقدر الاليل والنهار وهو الواحد القهار لا رب سواه

الفصل الثالث عشر

في قصور اهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران والسبب في ذلك ان المصر الكثير العمران بكثرة مرفقه كما قد متناه وتكثر حاجات ساكنيه من اجل الترف وتعداد تلك الحاجات لما يدعو إليها فتتقلب ضرورات وتعتبر فيها الاعمال كلها مع ذلك عزيزة والمرافق غالية بازدحام الاغراض عليها من اجل الترف

الفصل الخامس عشر

في تاتل العفار والضباع في الامصار وحال قوائدها ومستغلاتها
اعلم ان تاتل العفار والضباع الكثرة لادل الامصار والمدن لا يكون دفعة واحدة ولا
في عصر واحد اذ ليس يكون لاحد منهم من الثروة ما يملك به الاملاك التي تخرج فيها عن
الحمد ولو بلغت احوالهم في الرفق ما عسى ان تبلغ وانما يكون ما كنهم وتألم لها تدريجاً اما
بالوراثة من اباؤهم وذويهم حتى تنأدى املاك الكثيرين منهم الى الواحد واكثر لذلك
او ان يكون بحواله الاسواق فان العفار في اخر الدولة واول الاخرى عند فناء الحماية
وخرق السياج وتداعي المصر الى الخراب ثل العجبة به لفلة المنفعة فيها بتلشي الاحوال
فترخص فيها وتماك بالاثمان اليسيرة وتغفل بالميراث الى ملك اخر وقد استجد المصر
شبابه باستعمال الدولة الثانية وانتظمت له احوال رائقة حسنة تحصل معها العجبة في
العفار والضباع لكثرة منافعها حيث لا تقعظم قيمها ويكون لها خطر لم يكن في الاول وهذا
معنى المحاولة فيها ويصبح مالكم من اغنى اهل المصر وليس ذلك بيسير واكتسابه اذ قدرته
تخرج عن مثل ذلك . واما قوائد العفار والضباع فهي غير كافية لما كنهم في حاجات معاشه
اذ هي لا تفي بعوائد الترف واسماؤه وانما هي في الغالب لسد الحاجة وضرورة المعاش والذي
سعداء من مشيئة البلدان ان القصد باقتناء الملك من العفار والضباع انما هو الخشية على
من يترك خلفه من الذرية الضعفاء ليكون مرباعهم ورزقهم فيه ونشؤهم بناتده ما داموا
عاجزين عن الاكتساب فاذا اقتدروا على تحصيل المكاسب سعوا فيها بانفسهم وربما
يكون من الولد من يهجر عن التكسب لضعف في بدنه او آفة في عقله المعاشي فيكون ذلك
العفار قواماً لحاله هذا قصد المترفين في اقتنائهم واما القوم من اجراء احوال المترفين
فلا وقد يحصل ذلك من القليل او النادر بحواله الاسواق وحصول الكثرة البالغة منه
والعالي في جنسه وقيمه في المصر الا ان ذلك اذا حصل ربما امتدت اليد عين الامراء
والولاة واغصبوه في الغالب او ارادوه على بيعه منهم ونالمت احصائه منه مضار ومعاظيب
والله غالب على امره وهو رب العرش العظيم

الفصل السادس عشر

في حاجات المتولين من اهل الامصار الى الجاه والمدافعة
وذلك ان المحضري اذا عظم ثموله وكثر للعفار والضباع تأتله واصبح اغنى اهل المصر

في باب الغني والرفه غرائب تسير الركبان مجدبها وربما تلقى بالانكار في غالب الامر
 ويحسب من يسميها من العامة ان ذلك لزيادة في اموالهم اولان المعادن الذهبية والفضية
 اكثر بارضهم اولان ذهب الاقدمين من الامم استأثروا به دون غيرهم وليس كذلك
 فمعدن الذهب الذي نعرفه في هذه الاقطار اما هو من بلاد السودان وهي الى المغرب
 اقرب وجميع ما في ارضهم من البضاعة فانما يجلبونه الى غير بلادهم للتمارة فلو كان المال
 غنيما موفورا لديهم لما جلبوا بضائعهم الى سواهم ينتفعون بها الاموال ولا يستغفلون عن
 اموال الناس بالجهلة . ولقد ذهب المجهولون لما راوا مثل ذلك واستغربوا ما في المشرق
 من كثرة الاحوال واتساعها وفور اموالها فقالوا بان عطايا الكواكب والسهم في
 ما ليد اهل المشرق اكثر منها حصصا في ما ليد اهل المغرب وذلك صحيح من جهة
 المطابقة بين الاحكام النجومية والاحوال الارضية كما قلناه وهم لما اعطوا في ذلك السبب
 النجومي وفي علمهم ان يعطوا السبب الارضي وهو ما ذكرناه من كثرة العيران والخصاصة
 بارض المشرق واقطاره وكثرة العيران تنيد كثرة الكسب بكثرة الاعمال التي هي سببه
 فذلك اختص المشرق بالرفه من بين الافاق لان ذلك لمورد الاثر النجومي فقد فهمت
 ما اشترنا لك اولاً انه لا يستغل بذلك وان المطابقة بين حكمي وعمران الارض وطبيعتها
 امر لا بد منه . واعتبر حال هذا الرفه من العيران في قطراف يقية وبرقة لما خفف سكتها
 وتناقص عمرانها كيف تلاشت احوال اهلها وانهم الى المبالغة والخصاصة وضعت جباياتها
 فقلت اموال دولها بعد ان كانت دول الشمة وصهاجة بها على ما بالغت من الرفه
 وكثرة الجبايات واتساع الاحوال في زناهم واحة باعهم حتى لقد كانت الاموال ترفع من
 القير وان الى صاحب مصر لحاجته ومهائنه وكانت اموال الدولة يمشح جواهر الكناهب
 في سفره الى فتح مصر الفتح من المال يستعد بها لارزاق الجنود وعلياهم ونفقات الغزاة
 وقطر المغرب وان كان في القدم دون افرقة فلم يكن بالليل في ذلك وكانت احواله
 في دول الموحدين متسعة وجباياته موفورة وهو لهذا العهد قد انقصر عن ذلك لتصور
 العيران فيه وتناقصه فقد ذهب من عمران الدبر فيه اكثره ونقص عن معدوده تنصاعا
 ظاهرا وموسا وكاد ان يلقي في اسواقه مثل احوال افرقية بعد ان كان عرانة موصلا
 من البحر الرومي الى بلاد السودان في طول ما بين السوس الاقص وبرقة وفي اليوم
 كلما اكثرها قنار وخلاصا وصار الا ما هو منها بسيف البحر او ما يقاربه من التلول
 والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الرازيين

السلطان والدولة سوق العالم فالبضائع كلها موجودة في السوق وما قرب منه وإذا ابتعدت
عن السوق افتقدت البضائع جملة ثم انه اذا اتصلت تلك الدولة وتعاقب ماوكها في ذلك
المصر واحدا بعد واحد استحكمت الحضارة فيهم وزادت رسوخا واعتبر ذلك في اليهود
لما طال ملكهم بالشام نحو ما من الف واربعماية سنة رخصت حضارتهم وحذقوا في احوال
المعاش وعوائده والفن في صناعاته من المطاعم والملابس وسائر احوال المنزل حتى
انما لتؤخذ عنهم في الغالب الى اليوم . ورخصت الحضارة ايضا وعوائدها في الشام منهم ومن
دولة الروم بعدهم ستمائة سنة فكانوا في غاية الحضارة . وكذلك ايضا القبط دام ملكهم في
الخلافة ثلاثة الاف من السنين فرسخت عوائد الحضارة في بلاد مصر واعتمدها بها ملك
اليونان والروم ثم ملك الاسلام الناصر للكل فلم تزل عوائد الحضارة بها متصلة وكذلك
ايضا رخصت عوائد الحضارة باليمن لاتصال دولة العرب بها منذ عهد العلافنة والتبابعة
الافاق من السنين واعتمدها ملك مصر وكذلك الحضارة بالعراق لاتصال دولة البسط
والفرس بها من لدن الكلدانيين والكيانية والكسروية والعرب بعدهم الاقاف من السنين
فلم يكن على وجه الارض هذا العهد احضر من اهل الشام والعراق ومصر وكذا ايضا
رخصت عوائد الحضارة واستحكمت بالاندلس لاتصال الدولة النظمية فيها للتوط ثم ما
اعتنوا من ملك بني امية الاقاف من السنين وكلنا الادوليين عظيمة فانصلت فيها عوائد
الحضارة واستحكمت . وانا افريقية والمغرب فلم يكن بها قبل الاسلام ملك ينظم انما قطع
الافريقية الى افريقية البحر وملكي الساحل وكانت طاعة البربر اهل الضاحية لم طاعة
غيره مستحكمة فكانوا على قلعة واوقاف واهل المغرب لم يتجاوزهم دولة وانما كانوا يبعثون
بطاعتهم الى التوط من وراء البحر ولما جاء الله بالاسلام وملك العرب افريقية والمغرب
لم يلبث فيهم ملك العرب الا قليلا اول الاسلام وكانوا لذلك العهد في طور البداوة ومن
استقر منهم ما فريقية والمغرب لم يبعد عنها من الحضارة ما يقاد فيه من سلوة اذ كانوا يراى
منسجين في البداوة ثم انتفض برارة المغرب الاقصى لا قرب العهد على يد ميسرة المظفري
ايام هاتم بن عبد الملك ولم يراجعوا امر العرب بعد واستقلوا بامر انفسهم وان بايعوا
لادر بس فلا تعد دولته فيهم عربية لان البربر هم الذين تولوا ولم يكن من العرب فيها
كثير عدد وثبتت افريقية للاغلبة ومن اليوم من العرب فكان لهم من الحضارة بعض
الشيء بما حصل لهم من ترف الملك ونعيم وكثرة عمران القبر وان وورث ذلك عنهم
كثما ثم صمما حجة من بعد هو ذلك كله قال لم يزل اربعماية سنة واصبرمت دولتهم واستحالت

ورقنة العيون بذلك وانسحبت احواله في الترف والعوائد زاحم عليها الامراء والملوك
وغصوا به ولما في طباع البشر من المدون تمتد اعينهم الى ثملك ما بيده وينافسونه فيه
ويجهلون على ذلك بكل ممكن حتى يحصلونه في ربة حكم سلطاني وسبب من المراهنة
ظاهر يتزع به ماله واكثر الاحكام السلطانية جائرة في الغالب اذ العدل المحض انما هو
في الخلافة الدرعية وهي قليلة الا . . . قال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة
ثم يعود ملكا عضوا فلا بد حينئذ لصاحب المال والثروة الشهيرة في العيران من حامية
تدود عنقها ينسحب عليه من ذي قرابة الملك او خالصة له او عصبية يتحاماها السلطان
فيستغل ابطالها ويرتع في امنها من طوارق التعدي وان لم يكن له ذلك اصبح منها بوجوه
الفتيلات واسباب الحكم والله يحكم لا معقب لحكمه

الفصل السابع عشر

في ان الحضارة في الامصار من قبل الدول وانما ترسخ بانصال الدولة وروسخها
والسبب في ذلك ان الحضارة هي احوال عادية زائدة على الضروري من احوال
العيران زيادة تنفاوت بتفاوت الرفه وتفاوت الامم في الفلحة والكثرة فتفاوتا غير مختصر وتقع
فيها عند كثرة الثغرات في انواعها واصنافها فتكون بمثابة الصنائع ويحتاج كل صنف منها
الى القوة عليه والمهارة فيه وبقدرا ما يتزايد من اصنافها تزايد اهل صناعتها ويتلون ذلك
الجول بها وهي اتصلت الياام وتعاقت تلك الصناعات خلق اولئك الصنائع في صناعتهم
ومهر واسي معرفتها والاعصار بطولها وانساح امدها وتكرير امانها تزايد استحكامها
ورسوخها واكثر ما يقع ذلك في الامصار لاستقرار العيران وكثرة الرفه في اهلها وذلك كله
انما يجي من قبل الدولة لان الدولة تبيع اموال الرعية وتنفعها في بطانتها ورجالها وتنسج
احوالها بالجاه اكثر من اتساعها بالمال فيكون دخل تلك الاموال من الرعايا وخروجها
في اهل الدولة ثم فهم تعلق بهم من اهل المصروم الاكثر فتعظم لذلك ثروتهم ويكثر
غنمهم وتزيد عوائد الترف ومذايبه وتستحكم لديهم الصنائع في سائر فنونه وهذه هي
الحضارة . ولهذا تمتد الامصار التي في الفاصية ولو كانت موفورة العيران تغلب عليها
احوال البداوة وتبعد عن الحضارة في جميع مذهبها بخلاف المادن المتوسطة في الاقطار
التي هي مركز الدولة ومزدها وما ذاك الا لجهالة السلطان لم وفيض امواله فيهم كالماء
يحضر ما قرب منه فاقرب من الارض الى ان ينتهي الى الجوف على البعد وقد قدمنا ان

اشخاص المكنونات عمراً محسوساً وتبين في المفقول والمفقول ان الاربعين للانسان غاية
 في تزايد قراءتها وانه اذا بلغ سن الاربعين وقفت الطبيعة عن اثر الشو والغبور به
 ثم تاخذ بعد ذلك في الانحطاط فلنعلم ان الحضارة في العمران ايضاً كذلك لانه غاية
 لا مزيد وراءها وذلك ان الترف والنعمة اذا حصل لاهل العمران دعاهم بطبعها الى
 مذاهب الحضارة والتخلف بعوائدها والحضارة كما علمت هي الترف والاستجمام احوال
 والكلف باصناعات التي توفى من اصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهيئة للطعام او
 الملابس او المأبى او الفرش او الاثاث وسائر احوال المنزل والناظر في كل واحد من
 هذه صنائع كثيرة لا يحتاج اليها عند البداوة وعدم التآني فيها واذا بلغ التآني في هذه
 الاحوال المتزايدة الغاية تبعه طاعة الشملات فتتلون النفس من تلك العوائد بالارباب
 كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها اما دينها فلا تستقيم صبغة العوائد التي
 يعسر زرعها واما دنياها فلكثرة الحاجات والمونات التي تطالب بها العوائد ويجري الكسب
 عن الوفاء بها . ويبان ان المصير بالثمن في الحضارة تعظم نفقات اهله والحضارة تنافوت
 بتنافوت العمران فمتى كان العمران اكثر كانت الحضارة اكمل وقد كنا قد علمنا ان المصير
 الكثير العمران ينحصر بالغلاء في اسواقه واسعاره حاجته ثم تزيدها المكوس غلاء لان
 الحضارة انما تكون عند انتهاء الدولة في استنفادها وهو زمن وضع المكوس في الدول لكثرة
 خرجها حينئذ كما تقدم والمكوس تعود على المبيعات بالغلاء لان السوق والبيع كلهم
 يجتنبون على سلمهم وبضائعهم جميع ما ينفقونه حتى في مؤنة انفسهم فيكون المكس لذلك
 داخل في قيم المبيعات وانما فتعظم نفقات اهل الحضارة وتخرج عن القصد الى الاسراف
 ولا يجيدون وليمة عن ذلك لما ملكتهم من اثر العوائد وطاعتها وتذهب مكاسبهم كلها في
 النفقات ويتناهبون في الاملاق والخصاصة ويغلب عليهم الفقر ويقل المستامنون للمبيعات
 فتفسد الاسواق وينسد حال المدينة وداعية ذلك كله افراط الحضارة والترف وهذه
 مفاسد في المدينة على العموم في الاسواق والعمران واما فساد اهله في ذاتهم واحداً
 واحداً على الخصوص فمن الكد والتعب في حاجات العوائد والتلون بالوان الترف في
 تحصيلها وما يعود على النفس من الضرر بعد تحصيلها بمصروف لون اخر من الوانها فلذلك
 يكثر منهم الفسق والشرب والسفاسة والتعميل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه
 وتصرف النفس الى التكر في ذلك والغوص عليه واستجماع المحللة له فيجدهم اجراء على
 الكذب والغامرة والفسق والخلاعة والسرقة والنجور في الايمان والارباب في المبيعات ثم تخدم

صعبة الحصار بما كانت غير مستعينة وتغلب بدو العرب الملاليين عليها وخربوها وبقي
 اثر خفي من حصار العران فيها والى هذا العهد يونس فيمن سالف له بالقلعة او القبر وان
 او المدينة سالف فبعد له من الحصار في شوث منزل وعوائد احواله اثاراً متميزة بغيرها
 يميزها الحصري البصري بها وكذا في اكثر امصار افريقية وليس ذلك في المغرب وامصار
 لرسوخ الدولة بافريقية اكثر مما منذ عهد الاغالبة والشيعة وصناعة واما المغرب
 فانتقل اليه منذ دولة الموحدين من الاندلس حظ كبير من الحصار واستحكمت به عوائدها
 بما كان لدولتهم من الاستيلاء على بلاد الاندلس وانتقل الكثير من اهلها اليهم طوعاً
 وكرهاً وكانت من اتساع النطاق ما علمت فكان فيها حظ صالح من الحصار واستحكمتها
 ومعظمها من اهل الاندلس ثم انتقل اهل شرق الاندلس عند جالية النصارى الى افريقية
 فابقي فيها وامصارها من الحصار اثاراً ومعظمها بتونس امتزجت بحصار مصر وما
 ينقله المسافرين من عوائدها فكان بذلك المغرب وافريقية حظاً صالحاً من الحصار عني
 عليه الخلاه ورجع الى اعتقاده وعاد الربر بالمغرب الى ادبياتهم من البداهة والحشونة وعلى
 كل حال فان اثار الحصار بافريقية اكثر منها بالمغرب وامصارها لما تداول فيها من الدول
 السالفة اكثر من المغرب ولقرب عوائدهم من عوائد اهل مصر بكثرة المتردين بينهم .
 فتنبطن لهذا السرفاء خفي عن الناس واعلم انها امور متناسبة وهي حال الدولة في القوة
 والضعف وكثرة الامة او الجبل وعظم المدينة او المصرو كثرة النعمة واليسار وذلك ان
 الدولة والمالك صورة الخليفة والعمران وكما مادة لها من الرعايا والامصار وسائر الاحوال
 واموال المجباية عائدة عليهم ويسارهم في الفالسب من اسواقهم ومتاجرهم واذا افاض السلطان
 عطاءه وامواله في اهلها انبنت فيهم ورجعت اليهم منه فبهي ذاهبة عنهم في المجباية
 والمخراج عائدة عليهم في العطاء فعلى نسبة حال الدولة يكون يسار الرعايا وعلى نسبة
 يسار الرعايا وكثرتهم يكون مال الدولة واصلة كله العمران وكثرت فاعبده وتاماله في
 الدول تجده والله يحكم لا معقب لحكمه

الفصل الثامن عشر

في ان الحصار غاية العمران ونهاية لعبه وانها مودنة بفساده
 قد بينا لك فيها سلف ان المالك والدولة غاية للعصية وان الحصار غاية للبداهة وان
 العمران كله من بداهة وحضارة وملك وسوقه له عمر محسوب كما ان الشخص الواحد من

والزنا يودي الى عدم ما يوجد منه ولذلك كان مذهب ما لك رحمة الله في اللواط اظهر
من مذهب غيره ودل على انه ابصر بمقاصد الشريرة واعتبارها للصالح فافهم ذلك واعتبر
به ان غاية العمران هي الحضارة والترف وانه اذا بلغ غاية انقلب الى الفساد واخذ في المحرم
كالاخلاق الطبيعية للحيوانات بل يقول ان الاخلاق المأصلة من الحضارة والترف هي عين
الفساد لان الانسان انما هو انسان باقتداره على جلب منفعته ودفع مضاره واستقامة خلقه
للسعي في ذلك والمضري لا يقدر على مباشرته حاجاته اما عجزاً لما حصل له من الدعة او
ترفها لما حصل له من المربي في النعيم والترف وكلا الامرين ذميم وكذا لا يقدر على دفع
المضار واستقامة خلقه للسعي في ذلك والمضري بما قد فقد من خلق الانسان بالترف
والنعيم في قهر التاديب فهو بذلك عيال على الحماية التي تدافع عنه ثم هو فاسد ايضا غالباً
بما فسدت منه العوائد وطلعتها وما نأوتت به النفس من مكانتها كما قررناه الا في الاقل
الناذر واذا فسد الانسان في تدرجه على اخلاقه ودينه فقد فسدت انسانيته وصار مستحقاً
على الحقيقة وهذا الاعتبار كان الذين يتربون على الحضارة وخلقها موجودين في كل
دولة فقد تبين ان الحضارة هي سن الوقوف لهر العالم في العراش والدولة والله سبحانه
وتعالى كل يوم هو في شأن لا يشغله شأن عن شأن

الفصل التاسع عشر

في ان الامصار التي تكون كرامتي للهلك شرب خمرها الدولة وانتقاضها
قد استقر بنا في العمران ان الدولة اذا اخلت وانتقضت فان المصير الذي يكون
كرسيها اساطنها ينتفض عمرانه وربما ينتهي في انتقاضه الى الخراب ولا يكاد ذلك يختلف
والسبب فيه امور. الاول ان الدولة لا بد في اولها من البداوة المتصبة للنجافي عن اموال
الناس والبعد عن التخليق ويدعو ذلك الى تنقيف الجباية والمخارم التي منها مادة الدولة
تنقل الثقات، ويقل الترف فاذا صار المصير الذي كان كرسياً للهلك في ملكة هذه الدولة
المجعدة ونقصت احوال الترف فيها نقص الترف فيمن تحت ايديها من اهل المصير لان
الرعايا تبع للدولة فيرجعون الى خلق الدولة اما طوعاً لما في طباع البشر من تقليد متبوعهم
او كرهاً لما يدعو اليه خلق الدولة من الانقياض عن الترف في جميع الاحوال وقلة
الزوائد التي في مادة العوائد فتقتصر لذلك حضارة المصير ويذهب منه كبير من عوائد
الترف وهو معنى ما نقول في خراب المصير. الامر الثاني ان الدولة انما يحصل لما الملك

بصراطى النفس ومذاهب والمجاهرة به وبدوا عيوب وأطراح المحسنة في الخوض فيه حتى
 بين الأقارب وذوي الحارم الذين لتقتضي البداوة الحياء منهم في الاقتداء بذلك وتجدد
 أيضاً بصراً بالكر والحدیعة يدفعون بذلك ما عساه ينالهم من التهرؤما يتوقعون من
 العقاب على تلك التبايح حتى يصير ذلك عادة وحلقاً لاكثرهم الا من عصمة الله ويوجع بحر
 المدينة بالسفلة من اهل الاخلاق الذميمة ويمارهم فيها كثير من ناشئة الدولة ولدايمهم
 من اهل عن الناديب وغلب عليه خلق الجواروان كانوا اهل انساب وبيوتات وذلك
 ان الناس بشر مماثلون وإنما تفاضلوا وتغزوا بالخلق واكتساب النضائل واجتناب الرذائل
 فمن استحكمت فيه صفة الرذائل باي وجه كان وفسد خلق الخضر فيو لم ينفعه زكاه نسبه
 ولا طيبه منبه ولهذا تجد كثيراً من اعتاب البيوت وذوي الاحساب والاصالة واهل
 الدول منطرحين في الغار منتقلين للحرف الدينية في معاشهم بما فسد من اخلاقهم وما تلونوا
 به من صفة الشر والسفلة وإذا أكثر ذلك في المدينة أو الامة تاذن الله بخرابها وانقراضها
 وهو معنى قوله تعالى وإذا اردنا ان نهلك قرية قريبة امرنا مترفياً ففهموا فيها حتى عليها القول
 فدمرناها تدميراً . ووجهه جرت ان مكاسمهم حيث لا تفي بما حاجتهم لكثرة العوائد ومطالبة
 النفس بها فلا تستقيم احوالهم وإذا فسدت احوال الأشخاص واحداً واحداً اخذل نظام
 المدينة وخربت . وهذا معنى ما يقوله بعض اهل الخواص ان المدينة اذا أكثر فيها غرس
 النارج تاذنت بالخراب حتى ان كثيراً من العامة تنهض غرس النارج بالدور وليس
 المراد ذلك ولا انه خاصية في النارج وإنما معناه ان البساتين واجراء المياه هو من ترويع
 الحضارة ثم ان النارج والليم والسرو ومثال ذلك ما لا طعم فيه ولا منفعة هو من غاية
 الحضارة اذا لا يقصد بها في البساتين الا اشكالها فقط ولا تفرس الا بعد التفتن في مذاهب
 الترف وهذا هو الطور الذي يخشى معه هلاك مصر وخرابه كما قلناه ولقد قيل مثل ذلك
 في الدفلى وهو من هذا الباب اذ الدفلى لا يقصد بها الا تلون البساتين بنورها ما بين
 احمر وابيض وهو من مذاهب الترف . ومن مناسد الحضارة الانهالك في الشهوات
 والاسترسال فيها لكثرة الترف فيقع التفتن في شهوات البطن من الماكل والملاذ ويتبع
 ذلك التفتن في شهوات الفرج بأنواع المناج من الزنا واللواط فينضي ذلك الى فساد النوع
 اما بواسطة اختلاط الانساب كما في الزنا فيجهل كل واحد ابنة اذ هو لغير رشدة لان
 المياه مختلطة في الارحام فتفقد الشفة الطبيعية على البنين والقيام عليهم فيها يكون وبودي
 ذلك الى انقطاع النوع او يكون فساد النوع كاللواط اذ هو بودي الى ان لا يوجد النوع

للملك وشاهدناه وعلمناه والله بقدر الليل والنهار. والسبب الطبيعي الأول في ذلك على الجملة ان الدولة والمالك للعبان بمثابة الصورة للمادة وهو الشكل المحافظ بنوعه لوجودها وقد تقرر في علوم الحكمة انه لا يمكن انفكاك احدهما عن الاخر فالدولة دون العبران لا تصور والعبران دون الدولة والمالك متعذر لما في طباع البشر من العدول الداعي الى الزايع فتتبعن السياسة لذلك اما الشرعية او الملكية وهو معنى الدولة واذا كانا لا يتفكان فاختلال احدهما موثر في اختلال الاخر كما ان عدمه موثر في عدمه والخلل العظيم انما يكون من خلال الدولة الكلية مثل دولة الروم او الفرس او العرب على العموم او بني أمية او بني العباس كذلك واما الدولة الشخصية مثل دولة اوشروان او هرقل او عبد الملك بن مروان او الرشيد فاختصاصها متعاقبة على العبران خافطة لوجوده وبقاءه وقرينة الشبهة بعضها من بعض فلا تؤثر كثير اختلال لان الدولة بالحقبة الفاعلة في مادة العبران انما هي العصبية والشوكة وفي مستقرة على اشخاص الدولة فاذا ذهبت تلك العصبية ودفعتها عصبية اخرى موزرة في العبران ذهبت اهل الشوكة باجمهم وعظم الخلل كما قررناه اولاً والله سبحانه وتعالى اعلم

الفصل العشرون

في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض وذلك انه من البين ان اعمال اهل المصريستدعي بعضها بعضاً لما في طبيعة العبران من التعاون وما يستدعي من الاعمال يختص ببعض اهل المصريفقومون عليه ويستصرون في صناعاتهم ويختصون بوظائفهم ويعملون معاشهم فيه ويرزقهم منه لعموم البلوى به في المص والحاجة اليه وما لا يستدعي في المصريكون غناً اذ لا فائدة لمثلهم في الاجتراف به وما يستدعي من ذلك لضرورة المعاش فيوجد في كل مصر كالتجارات والحداد والتجار وامثالها وما يستدعي له الزاد الترف واحواله فانما يوجد في المدن المستبصرة في العارة الاخيرة في عمائد الترف والحضارة مثل الزجاج والصانغ والدمان والطبايع والصابون والفراش والذباساح وامثال هذه وهي متفاوتة وقدرة ما تريد عمائد الحضارة وتستدعي احوال الترف تحدث صنائع لذلك النوع فتوجد بذلك المصردون غيره ومن هذا الباب التحامات لانها انما توجد في الامصار المستبصرة المستبصرة العبران لما يدعو اليه الترف والفني من التمتع ولذلك لا تكون في المدن المتوسطة وان نزع بعض

والاستيلاء بالغلب وإنما يكون بعد العداوة والحروب والعداوة تقتضي منافاة بين اهل
الدولتين وتكثر احداها على الأخرى في العوائد والأحوال وغلب احد المتنافيين
يذهب بالمتأني الآخر فتكون احوال الدولة السابقة منكرة عند اهل الدولة الجديدة
ومستبعدة وقيمة وخصوصا احوال الترف فتفتقد في عرفهم بتكرار الدولة لها حتى تتشأ لهم
بالندرج عوائد أخرى من الترف فتكون عنها حضارة مستأنفة وفيما بين ذلك قصور
الحضارة الأولى ونقصها وهو معنى اختلال العمران في مصر. الامر الثالث ان كل أمة
لا بد لها من وطن وهو منشأهم ومنه أولية ملكهم وإذا ملكوا ملكا اخر صار تبعاً للاول
والمصاراة تابعة لامصار الاول واتسع نطاق الملك عليهم ولا بد من توسط الكرسي تخوم
الملك التي للدولة لانه شبه المركز للنطاق فيبعد مكانه عن مكان الكرسي الاول وهوى
اختدة الناس اليه من اجل الدولة والسلطان فينتقل اليها العمران ويخف من مصر الكرسي
الاول والحضارة انما هي توفر العمران كما قدمناه فتتفص حضارته وتمتد وهو معنى اختلاله
وهذا كما وقع للبطونية في عدوهم بكرسهم عن بغداد الى اصبهان والغرب قبلهم في العدول
عن المدائن الى الكوفة والبصرة وابني العباس في العدول عن دمشق الى بغداد وابني
مروين بالغرب في العدول عن مراكش الى فاس وبالحجلة فالتخاذ الدولة الكرسي في مصر
يجل بهمران الكرسي الاول. الامر الرابع ان الدولة الثانية لا بد فيها من تبع اهل الدولة
السابقة واشياعها بنحو يلهم الى قطار اخر يومن فيو غائلهم على الدولة واكثر اهل مصر
الكرسي اشباع الدولة اما من الحماية الذين نزلوا به اول الدولة او اعيان المصريين
لم في الغالب مخالطة للدولة على طبقاتهم وتنوع اصنافهم بل اكثرهم ناشي في الدولة فهم
شعبة لها وان لم يكونوا بالشوكة والعصبية فهم بالليل والخبية والعقيدة وطبيعة الدولة
المتحدة يحو آثار الدولة السابقة فينقلهم من مصر الكرسي الى وطنها المتكمن في ملكهم فبعضهم
على نوع التغريب والمخس وبعضهم على نوع الكرامة والتلطيف بحيث لا يؤدي الى الثورة
حتى لا يفتي في مصر الكرسي الا الباعة والاهل من اهل الفلج والعبارة وسواد العامة وينزل
مكائهم حاميها واشياعها من يشتد به المصر وإذا ذهب من مصر اعيانهم على طبقاتهم بنص
سأكته وهو معنى اختلال عمرانهم ثم لا بد من ان يستجد عمران اخر في ظل الدولة الجديدة
وتحصل فيه حضارة أخرى على قدر الدولة ولما ذلك بمثابة من له بيت على اوصاف
مخصوصة فإظهار من قدرته على تغيير تلك الاوصاف وإعادة بنائها على ما يجتازة ويفتحه
فيحرب ذلك البيت ثم يعيد بناءه ثانياً وقد وقع من ذلك كثير في الامصار التي هي كراسي

معرضة واقطعوا حاجبا من الملائية والملاطنة والانياد وهم بمنزل عنه واورثوا ذلك اعقابهم
لهذا العهد وحدث في خاتم من الغلظة والنجبر ما يحدث لاققاب الملوك وخلفهم ونظروا
انفسهم في عباد السلاطين على قرب عهدهم بالسوق حتى محاذ ذلك مولانا امير المؤمنين
ابو العباس وانتزع ما كان بايديهم من ذلك كما نذكره في اخبار الدولة وقد كان مثل
ذلك وقع في اخر الدولة الصنهاجية واستقل بامصار الجريد اهلها واستبدوا على الدولة
حتى انتزع ذلك منهم شيخ الموحد بن وملكهم عبد المومن بن علي وتلقاهم كلهم من امارتهم بها
الى المغرب ومحا من تلك البلاد انارهم كما نذكر في اخبارهم وكذا وقع بسببته لآخر دولة بني
عبد المومن وهذا التغلب يكون غالبا في اهل السروات والبيوتات المرشحيين المشيخة
والرئاسة في المصر وقد يحدث التغلب لبعض السفلة من القوغاء والدهماء واذا حصلت
له العصبية والالتحام بالاوغاد لاسباب يميزها لثالثا لثغراب على المشيخة والعبادة اذا كانتا
فانقدن للعصابة والله سبحانه وتعالى غالب على امره

الفصل الثاني والعشرون

في لغات اهل الامصار

اعلم ان لغات اهل الامصار انما تكون باسان الامة او الجبل الغالبين عليها ان
الخططين لها ولذلك كانت لغات الامصار الاسلامية كلها بالشرق والمغرب لهذا العهد
عربية وان كان اللسان العربي المضري قد قسدت ملكته وتغير اعرابه والسبب في ذلك
ما وقع للدولة الاسلامية من الغلب على الامم والدين والملة صورة للوجود والمالك وكلها
مرادله والصورة مقدمة على المادة والدين انما يستفاد من الشريعة وهي باسان العرب لما
ان النبي صلى الله عليه وسلم هجر ما سوى اللسان العربي من اللسان في جميع
ما اكلمه واعتذر ذلك في نهبي عمر رضي الله عنه عن بطانة الاعاجم وقال انها خب اي مكر
وخديعة فلما هجر الدين اللغات الاجنبية وكان لسان القاطنين بالدولة الاسلامية عربيا
هجرت كلها في جميع ما اكلمه لان الناس تبع السلطان وعلى دينه فصار استعمال اللسان العربي
من شعائر الاسلام وطاعة العرب وهجر الامم افانهم والسنتم في جميع الامصار والممالك
وصار اللسان العربي لسانهم حتى ربح ذلك لغة في جميع امصارهم ومدنهم وصارت الالسنه
الاجنبية دخيلة فيها وغريبة ثم فسد اللسان العربي بنحوا لظنها في بعض احكامه وتغير
او اخبره وان كان بقي في الدلالات على اصله وسى لسانا حضريا في جميع امصار الاسلام

الملوك والروساء اليها فيمنعها ويجري احوالها الا انها اذا لم تكن لها داعية من كافة الناس
فسرعان ما تجر وتخرّب وتشرعها التهمة لقلّة فائدتهم ومعاشهم منها والله يقبض ويسهل

الفصل الحادى والعشرون

في وجود العصبية في الامصار وتغلب بعضهم على بعض
من البيان ان الاتهام والانصال موجود في طباع البشر وان لم يكونوا اهل نسب
واحد الا انه كما قدمنا اضعف ما يكون بالنسب وانه تحصل به العصبية بسماها
تحصل بالنسب واهل الامصار كثير منهم المتحمسون بالصر يجذب بعضهم بعضا الى ان
يكونوا لحما لحما وقرابة قرابة وتجد بينهم من العداوة والصداقة ما يكون بين القبائل
والعشائر مثله فيفترون شيئا وعصائب فاذا نزل الهرم بالدولة وتقلص ظل الدولة عن
القاصية احتاج اهل امصارها الى القيام على امرهم والنظر في حماية بلادهم ورجعوا الى الدورى
وتغز العلية عن السفلة والنفوس بها عاها متطاولا الى القلب والرياسة فتطبع المشيئة لخوا
الجو من السلطان والدولة الفاهرة الى الاستبداد وينازع كل صاحبه ويستوصلون
بالاتباع من الموالى والشيعة والاحلاف ويبدلون ما في ايديهم للاوغاد والاشباب
فيعصب كل لصاحبه ويتعين القلب لبعضهم فيعطف على اكفائهم ليقص من اعينهم
وينتقم بالقتل او التخريب حتى يتخذ منهم الشوكات النافذة ويقلم الاظفار المخادشة
ويستبد بصره اجمع ويرى انه قد استحدث ملكا بوزنة عتبة فيحدث في ذلك الملك الاصغر
ما يحدث في الملك الاعظم من عوارض الجدة والهرم وربما يسمو بعض هؤلاء الى منازع
الملوك الاعظم اصحاب البائل والعشائر والعصبيات والرحوف والبحروب والافطار
ولها ملك فينقلون بها من الجبلوس على السرير واتخاذ الآلة واعداد المراكب للسير في اقطار
البلد والفتح والحسبية والحطاب بالقبول ما يسفر منه من يشاهد احوالهم لما انقلوب من
شارت الملك التي ليسوا لها باهل انما دفعهم الى ذلك تقلص الدولة وانحما بعض القرايات
حتى صارت عصبية وقد ينزعه بعضهم عن ذلك ويجري على مذهب السداية فرارا من
الشعريض بنسب للشرية والعبث وقد وقع هذا بريقة هذا العهد في اخر الدولة المحضية
لاهل بلاد الجريد من طرابلس وقابس وتوزرون نقطة وقنصة وبسكرة والزاب وما الى
ذلك سمو الى مثلها عند تقلص ظل الدولة عنهم منذ عقود من السنين فاستلبوا على
امصارهم واستبدلوا بامرهم على الدولة في الاحكام والمجباية واعطوا طاعة معروفة وصفقة

ميسولة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاختلاف وإيدي البشر منتشرة فهي مشتركة
 في ذلك وما حصل عليه يد هذا امتنع عن الآخر إلا بعوض فالإنسان متى اقتدر على
 نفسه وتجاوز طور الضعف سعى في اقتناء المكاسب لينتق ما اتاه الله منها في تحصيل حاجاته
 وضروراته يدفع الأعباض عنها قال الله تعالى فابتغوا عند الله الرزق وقد يحصل له
 ذلك بغير سعي كالملح المصلح للزراعة وأمثاله إلا أنها إنما تكون معينة ولا بد من سعي
 معها كما يأتي فتكون له تلك المكاسب معاشاً إن كانت بقدر الضرورة والحاجة ورياسة
 ومملاً إن زادت على ذلك ثم إن ذلك الحاصل أو المكتنى إن عادت منفعة على العبد
 وحصلت له ثمرة من انفعائه في مصالحه وحاجاته سعى ذلك رزقاً قال صلى الله عليه وسلم
 إنما لك من ما لك ما أكلت فأفريت وألبست فألبست أو تصدقت فأضيت وإن لم ينتفع به في
 شيء من مصالحه ولا حاجاته فلا يسى بالنسبة إلى المال رزقاً وإنما لك منه حيث شئت يسى العبد
 وقدرت بهي كسباً وهذا مثل التراث فإنه يسى بالنسبة إلى المال كسباً ولا يسى رزقاً إذ لم يحصل
 به منفعة وبالنسبة إلى المزارع متى انتفع به يسى رزقاً وهذا سقيمة يسمى الرزق عند أهل
 السنة وقد اشترط المعتزلة في تسميته رزقاً أن يكون بحيث يصح تملكه وما لا يملك عندهم
 لا يسى رزقاً وإخراج الفصوات والحرام كله عن أن يسى شيء منها رزقاً والله تعالى
 يرزق الفاسق والظالم والمومن والكافر ويخص برحمته وهدايته من يشاء ولم في ذلك
 تنجيم ليس هذا موضع بسطها ثم اعلم أن الكسب إنما يكون بالسعي في الاقتناء والتقصّد إلى
 التحصيل فلا بد في الرزق من سعي وعمل ولو في تناول أو ابتغاء من وجوهه قال تعالى
 فابتغوا عند الله الرزق والسعي إليه إنما يكون بأقدار الله تعالى وإلهامه فأكل من عند الله
 فلا بد من الأفعال الإنسانية في كل مكسوب وممول لأنه إن كان عملاً بنفسه مثل
 الصنائع فظاهر وإن كان مكتنى من الحيوان والنبات وال معدن فلا بد فيه من العمل
 الإنساني كما تراه وإلا لم يحصل ولم يقع به انتفاع ثم إن الله تعالى خلق البحريين المدينين
 من الذهب والفضة قيمة لكل متول وهما الذخيرة والنية لاهل العالم في الغالب وإن اقتضى
 سواها في بعض الأحيان فأنما هو لقصد تحصيلها بما يقع في غيرها من سواها الأسواق التي
 ها هنا يعزل فيها أصل المكاسب والقيمة والذخيرة وإذا نقر هذا فاعلم أن ما بيده
 الإنسان ويقتنيه من المتولات إن كان من الصنائع فالمناد المكتنى منه قيمة عمله وهو القصد
 بالقيمة إذ ليس هناك إلا العمل وليس بمقصود بنفسه للقيمة وقد يكون مع الصنائع في
 بعضها غيرها مثل التجارة والمحابة معها الخشب والفنل إلا أن العمل فيها أكثر فقيمة

وايضاً فاكثر اهل الامصار في الملة لهذا العهد من اعتاب العرب المالكين لما اهل الكسب
 ترقوا بما اكثر في العجم الذين كانوا بها وورثوا ارضهم وديارهم واللغات متعارفة على
 لغة الاعراب على حيال لغة الابناء وان فسدت احكامها بمخالطة الاعجم شيئاً فشيئاً وتميمت
 لغتهم حضرية منسوبة الى اهل الحواضر والامصار بخلاف لغة البدو من العرب فانها
 كانت اعرق في العروبة ولما غلبت العجم من الديلم والبيرونية بعدد بالمشرق وزبابة
 والبربر بالمغرب وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الاسلامية فسد اللسان
 العربي لذلك وكاد يذهب اولاً ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة للذين
 بها حفظ الدين وصار ذلك مرجحاً لبقاء اللغة العربية المصرية من الشعر والكلام الا
 قليلاً بالامصار فلما ملك النتر والمغل بالمشرق ولم يكونوا على دين الاسلام ذهب ذلك
 المرجح وفسدت اللغة العربية على الاطلاق ولم يبق لها رسم في الممالك الاسلامية بالشرق
 وخراسان وبلاد فارس وارض الهند والسند وما وراء النهر وبلاد الشمال وبلاد الروم
 وذهبت اساليب اللغة العربية من الشعر والكلام الا قليلاً بقع تعليمية صناعية بالقبائل
 المتدربة من كلام العرب وحفظ كلامهم لمن يسه الله تعالى لذلك وربما بقيت اللغة
 العربية المصرية بمصر والشام والاندلس والمغرب لبقاء الدين طلباً لها فاحتفظت ببعض
 الشيء واما في ممالك العراق وما وراءه فلم يبق له اثر ولا عين حتى ان كتب العلوم صارت
 تكتب بالسان العجمي وكذا تدريس في المجالس والله اعلم بالصواب

الفصل الخامس

من الكتاب الاول

في المعاش ووجوبه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كل من الاحوال وفيه مسائل

الفصل الاول

في حقيقة الرزق والكسب وشرحها وان الكسب هو قيمة الاعمال البشرية
 اعلم ان الانسان مفتقر بالطبع الى ما يقوته ويموته في حالتيه واطواره من لدن نشو
 الى اشد الى كبره والله الغني وانتم الفقراء والله سبحانه خالق جميع ما في العالم للانسان
 وامتن به عليه في غير ما اية من كتابه فقال خالقكم ما في السماوات وما في الارض جميعاً
 منه وسخر لكم البحر وسخر لكم الفلك وسخر لكم الانعام وكثير من شواهد ويد الانسان

الإنهائات والتصرفات وأما ان يكون الكسب من البضائع وإعدادها للاعراض أما بالتقلب بها في البلاد واحتكارها وارتياب حوالة الاسواق فيها ويسمى هذا تجارة فبها وجه المعاش واصنافه وفي معنى ما ذكره المحققون من اهل الادب والمحنة كالحري وغيره فانهم قالوا المعاش اماره وتجارة وفلاحة وصناعة فاما الامارة فلوست بدهم. طبيعي المعاش فلا حاجة بنا الى ذكرها وقد تقدم شي من احوال المجانيات السلطانية واهلها في الفصل الثاني وأما الفلاحة والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعية للمعاش اما الفلاحة فهي متقدمة عليها كلها بالذات اذ هي بسيطة وطبيعية فطرية لا تحتاج الى نظر ولا علم ولهذا تنسب في الحقيقة الى ادم في البشرية معلمها والقائم عليها اشارة الى انها اقدم وجوه المعاش واسمها الى الطبيعة وأما الصنائع فهي ثانيها ومتاخرة عنها لانها مركبة وعلمية تصرف فيها الافكار والافكار ولهذا لا توجد غالباً الا في اهل الحضرة الذي هو متأخر عن البدو واثان عنه ومن هذا المعنى نسبت الى ادریس الاب الثاني للحقيقة فانه مستغنياً من بعده من البشر الوحي من الله تعالى وأما التجارة وان كانت طبيعية في الكسب فالأكثر من طرقها ومذايعها انما هي شبكات في الحصول على ما بين التمتين في الشراء والبيع ليس فائدة الكسب من تلك الفائدة ولذلك اباح الشرع فيه المكاسب لما انة من باب المقامرة الا انة ليس اخذاً للمال الغير تجارياً فهذا الخصاص بالشرعية

الفصل الثالث

في ان الخدمة ليست من الطبيعي

اعلم ان السائدان لا بد له من اتخاذ الخدمة في سائر ابواب الامارة والمالك الذي هو بسبيله من الجندي والشرطي والكاتب يستكني في كل باب من يعلم غناه فيه ويتكفل بارتزاقهم من بيت ماله وهذا كله مندرج في الامارة ومعايشها اذ كلهم يتسبب عليهم حكم الامارة والمالك الاعظم هو يسوع جدولهم وأما ما دون ذلك من الخدمة فسيبها ان اكثر المترفين يترفع عن مباشرة حاجاته او يكون عاجزاً عنها لما ربي عليه من خلق النعم والترف فيقتنذ من بتولى ذلك له ويقطعه عليه اجراً من ماله وهذه الحالة غير محبوبة بحسب الرجولية الطبيعية للانسان اذ الثقة بكل احد عجز ولانها تزيد في الوطائين والخرج وتدل على التبع والخفت الذي ينبغي في مذاهب الرجولية الفتره عنها الا ان الموائد قلب لمباح الانسان الى ما لو فيها فهو ان عولده لا ابن نسبه ومع ذلك فانه يندم الذي يستكني

أكثر وإن كان من غير الصنائع فلا بد في قيمة ذلك المناد والقنية من دخول قيمة العمل الذي حصلت به الأول العمل لم تحصل قيمته وقد تكوّن ملاحظة العمل ظاهرة في الكثير منها فيجعل له حصة من الثبته عظمى أو صغرى وقد تخفى ملاحظة العمل كما في أسعار الأقوات بين الناس فإن اعتبار الأعمال والنفقات فيها ملاحظ في أسعار المحبوب كما قدمناه لك في في الأقطار التي علاج الفلح فيها وموتنه يسيرة فلا يشعر به إلا القليل من أهل الفلح فقد تبين أن المنادات والمكتسبات كلها أو أكثرها إنما هي قيم الأعمال الإنسانية وتبين معنى الرزق والله المنفع به فقد بان معنى الكسب والرزق وشرح مساهما . وأعلم أنه إذا فقدت الأعمال أو قلت بانقراض العمران تأخذ الله برفع الكسب الأثرى إلى الأمصار القليلة الساكن كيف يقل الرزق والكسب فيها أو يفقد لقلة الأعمال الإنسانية وكذلك الأمصار التي يكون عمرائها أكثر يكون أهلها أوسع أحواضاً وأشدهم رفاهية كما قدمناه قبل ومن هذا الباب تنول العامة في البلاد إذا تناقص عمرائها إنما قد ذهب رزقها حتى أن الأثام والعيون ينقطع جريها في الفتر لما ان فور العيون إنما يكون بالانبطح والامتراء الذي هو بالعمل الإنساني كالمحال في ضروع الأنعام فالتم يكن انبطح ولا امتراء نصبت وغارت بالمجاعة كما يجف الصرع إذا ترك المراعى وانظر في البلاد التي تهمل فيها العيون لا يام عمرائها ثم باقي عليها الخراب كيف تغور مياهها حجارة كأنها لم تكن والله مفرد الليل والنهار

الفصل الثاني

في وجوه المعاش وأصنافه ومذاهبه

اعلم أن المعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله وهو مفعل من العيش كأنه لما كان العيش الذي هو الحياة لا يحصل إلا بهذه جملة موضحة على طريق المبالغة ثم إن تحصيل الرزق وكسبه إما أن يكون باخذ من يد الغير وانتزاعه بالافتدائ أو على قانون متعارف ويسى مغرماً وجباية وإما أن يكون من الحيوان الوحشي باقتراضه وأخذه برؤيه من البر أو البحر ويسى اصطياده وإما أن يكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله المتصرف بين الناس في منافعهم كاللبن من الأنعام والحبر من دوده والحسل من نحله أو يكون من النبات في الزرع والثمار با قيام عليه وإعداده لاستخراج ثمرته ويسى هذا كله فلما كان أن يكون الكسب من الأعمال الإنسانية إما في مواد معينة وتسعى الصنائع من كتابة ونجارة وخياطة وحياكة وفروسة وأمثال ذلك أو في مواد غير معينة وهي جميع

العاجزين عن المعاش الطبيعي وأسبابه يتقربون إلى أهل الدنيا بالأرزاق البحرية
 الحيوانية إما بتطوط عجيبة أو بما ترجع بزعمهم منها من خطوط أهل الدقائق بأعظام
 الامارات عليها في أماكنها يتغنون بذلك الرزق منهم بما يعضونهم على البحر والطلب
 وعرضون عليهم بأنهم إنما حلقهم على الاستعانة بهم طالب الجاه في مثل هذا من منال الحكماء
 والعقوبات وربما تكون عند بعضهم نادرة أو غريبة من الاعمال البحرية يومها على
 تصديق ما بقي من دعواه وهو مهزل عن السهر وطرقه فتولع كثير من ضعفاء العقول
 بجميع الأيدي على الاحتثار والتمسك فبؤسها بالليل مخافة الرقباء وعميون أهل الدول
 فإذا لم يعثر ولا على شيء رداً ذلك إلى الجحيل بالعالم الذي ختم به على ذلك المال
 يتأذون به أنفسهم عن اخناق مطالعهم والذي يميل على ذلك في الغالب زيادة على
 ضعف العقل إنما هو القفز عن طالب المعاش بالوجه الطبيعية للكسب من التجارة والطلب
 والصناعة فيطالبونه بالوجه المخرفة وعلى غير المجري الطبيعي من هذا وإمثاله عجزاً عن
 السعي في المكاسب وركبوا إلى تناول الرزق من غير تعب ولا نصب في تحصيله واكتسابه
 ولا يعلمون أنهم يوقعون أنفسهم بانتفاء ذلك من غير وجهه في نصب ومتاعب وجهه
 شديد أشد من الأول ويعرضون أنفسهم مع ذلك لنال العتونات وربما يميل على ذلك
 في الأكثر زيادة الترف وعلاؤه وخروجها عن حد النهاية حتى يقصر عنها وجوه الكسب
 ونهاية ولا تبيها لها فإذا عجز عن الكسب بالمجرى الطبيعي لم يجد وليمة في نفسه إلا
 التمني لوجود المال العظيم دفعة من غير كلفة لاني له ذلك بالعلواند التي حصل في أسرها
 فيعرض على ابتغاء ذلك ويسعى فيه جهده ولهذا ماكثر من تراه يعرضون على ذلك هم
 المترفون من أهل الدولة ومن سكان الامصار الكثيرة الترف المتبعة الاحوال مثل مصر
 وما في معناها فيجد الكثير منهم مغرمين بانقضاء ذلك وشده يابوسه لآلة الركبان عن تواذه
 كما يعرضون على الكسب هكذا بلعني عن أهل مصر في معاوضة من بالقوة من طلبه المغاربة
 لهم يعثر ومنه على دفين أو كثر ويزيدون على ذلك البحث عن تقويم المياه لما يرون
 ان غالب هذه الاموال الدفينة كلها في بحاري الدول والاماعظم ما يسترد فيها أو مختزناً في
 تلك الافاق ويوم عليهم استعاب تلك الدفاتر المسعلة في الاعتذار عن الوصول إليها
 بحرية النيل تستراً بذلك من الكذب حتى يميل على معاذ فيعرض سماع ذلك منهم على
 نضوب الماء بالاعمال البحرية للتحصيل متبغاة من هذه كلمة بشأن السحر وتوارث في ذلك
 القدر عن اولئك فاعلمهم البحرية وانارها باقية بارضهم في البراري وغيرها وقصة حيرة

لا يوثق بغناؤه كالمفتود اذ الخدم الفاعل بذلك لا يعدوا ربح حالات اما مضطلع بالهرم
 ولا موثوق فيها يحصل يده واما بالعكس فيها وهو ان يكون غير مضطلع بامره ولا موثوق
 فيها يحصل يده واما بالعكس في احدهما فخط مثل ان يكون مضطعا غير موثوق ان
 موثوقا غير مضطلع فاما الاول وهو المضطلع الموثوق فلا يمكن احد استعماله بوجه اذ
 هو باضطلاع وثقوي غني عن اهل الرتب الدينية ويحضر لما لا اجر من الخدمة لاقتداره
 على اكثر من ذلك فلا يستعمله الا الامراء اهل الجاه العريض لعموم الحاجة الى الجاه
 واما الصنف الثاني وهو من ليس بمضطلع ولا موثوق فلا ينبغي له ان يستعمل لانه
 يتحجب بخندومه في الامرين معاً فريض عليه لعدم الاصطناع نارة ويذهب ماله بالخيانة
 اخرى فهو على كل حال كل على مولاه فهذا الصنفان لا يطابع احد في استعمالهما ولم
 يبق الا استعمال الصنفين الاخرين موثوق غير مضطلع ومضطلع غير موثوق وللمناس في
 الترجيح بينهما مذهبان واكمل من الترجحين وجه الا ان المضطلع ولو كان غير موثوق ارجح
 لانه يومن من تضييعه ويحاول على الثمر من خيانه وجه الاستطلاع واما المضيع ولو
 كان مامونا فضرره بالتضييع اكثر من نفعه فاعلم ذلك واتخذ قانونا في الاستثناء
 بالخدمة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

الفصل الرابع

في ان ابتغاء الاموال من الدنانير والكوز ليس بما يشاء طبيعي
 اعلم ان كثيرا من ضغناء العقول في الامصار يحرصون على استخراج الاموال من
 تحت الارض ويتفقون الكسب من ذلك ويعتقدون ان اموال الامم السالفة مخزنة كلها
 تحت الارض مخنوم عليها كلها بطلامس سرية لا ينض ختامها ذلك الا من عثر على عليه
 واستغنى ما يحمله من الجور والدعاء والقرى بان فاهل الامصار بافرقية برون ان الافرنجية
 الذين كانوا قبل الاسلام بها دفنوا اموالهم كذلك واودعوها في الصحف بالكتابة الى
 ان يجدوا السبيل الى استخراجها واهل الامصار بالمشرق برون مثل ذلك في امم القبط
 والروم والفرس ويتناقلون في ذلك احاديث تشبه حديث خرافة من انتهوا بعض الطالبين
 لذلك الى حفر موضع المال ممن لم يعرف طلسمه ولا خبره فيجدونه خاليا او معبور
 بالبدن او يشاهد الاموال والجواهر موضوعة والمخمس دونها منتضين سيوفهم او يمد
 يد الارض حتى يظله خسقا او مثل ذلك من الهذر وتجدي كثيرا من طلبة الدرر بالمغرب

توجد لكنها في حكم النادر على وجه الاتفاق لا على وجه القصد إليها وليس ذلك بامرهم
 به الدلوى حتى يدخر الناس أو ما لم تحت الأرض ويحبون عليها بالاطلاس لا في القدم ولا
 في الحديث والركاز الذي ورد في الحديث وفرضه الفقهاء وهو دفن الجاهلة إنما يوجد
 بالعمور والاتفاق لا بالقصد والطلب وإضافته اختزن ماله وختم عايد بالاعمال الصورية
 فقد بالغ في اختاؤه فكيف ينصب عليه الأدلة والأمارات لمن يتغير ويكتب ذلك في
 الصناعات حتى يبالغ على ذخيره أهل الأمصار والآفاق هذا ناقض قصد الاختفاء وإيضاح
 فافعل العفلاء لا بد وإن تكون الغرض مقصود في الاتباع ومن اختزن المال فإنه
 بمنزلة لورده أو قريته أو من يورثه وإنما إن بقصد اختناؤه بالكلية عن كل أحد وإنما
 هو للبلادة والمالك أو لمن لا يعرفه بالكلية من سباني من الأمم فهذا ليس من مقاصد
 العفلاء بوجه وأما قول ابن أمير لالأم من قلنا وما علم فيها من الكثرة والوفور فاعلم
 أن الأمير ل من الذهب والفضة والجواهر والامتنعة إنما هي معادن ومكاسب مثل الحديد
 والنحاس والرصاص وسائر المعادن والمعادن والتمران يظهرها بالاعمال الإنسانية
 ويزيد فيها أو ينقصها وما يوجد منها بأيدي الناس فهو متناقل ويأثر وربما انتقل من
 قديم إلى قديم ومن دولة إلى أخرى بحسب اغراضه وإلهامه من الذي يمتدح الخزان فقص
 المال في الحرب وأمر بقوله نفس بهلاك السماوية والافترج وإن نقص في مصر وإمام فلم
 ينقص في الهند والدين وإما في الآفة والكلاب والاميران يورثها أو ينقصها مع أن
 المعادن يدركها البلاد كما يدرك سائر الموجودات ويسرع إلى التوليد والجوهر اعلم ما
 يسرع إلى غيره وكذا الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص في القصد بربانها من
 البلاد والديار ما يذهب ما عابها لا يقرب وقت وإنما ما وقع في مصر من أرملة الملك
 والأكورفد من مصر في ملكة فقط منذ آلاف أو يزيد من الدين وكان مونا من بدفتون
 بمصر من الدين والفضة والبرصم والذكي على مذهب من تقدم من أهل الدول ولما
 انقضى من دولة الفيل وملك العرب المادهم قريبا على ذلك في قبورهم وكثرة ما ضاعوا
 من قديم ما لا يوجد كالاهرام من قير المراك وغيرهما وكذا فعل اليونانيون من عدم
 وصارت قبورهم مغارة لذلك فإذا المعبد ويأثر على الدين فيها في كثير من الآثار
 أما ما قد فرغ من العلم أو ما يكرهون بمونا في الدين من أوعية وتواب من الذهب
 والفضة ذلك فصار قورا لجل من آلاف من الستين مظلة لمجرد ذلك فيها
 فلا تلك حتى أهل مصر باليهت عن المذهب لوجود ذلك فيها واستراحتها حتى أنهم

فرعون شاهدة باختصاصهم بذلك وقد تناقل اهل المغرب قصيدة ينسبونها الى حكيم
المشرق تعني فيها كيفية العمل بالتغوير بصناعة سميرة حسبا تراه فيها وفي هذه

يا طالبا للسر في التغوير
دعك ما قد صنعت في كتبهم
واسمع لصدق مقالي ونصحتي
فاذا اردت تغوير البئر التي
صور كصورتك التي اوقعتها
ويدها ما سكنان للبليل الذي
ويصدروها كما عابتهما
ويطأ على الطافات غير ملاس
ويكون حول الكل خنط دائر
واذبح عليه الطير والظفيرة
بالسندروس وبالمان وميعقة
من احمر او اصفر لا ازرق
ويشده خنطان صوف ابيض
والطالع الاسد الذي قد بينا
والدرد يصل بسعد عطار

يعني ان تكون الادلاءات بين قدميه كأنه يعيش عالما وعندي ان هذه القصيدة من موهبات
المشترفين فلم في ذلك احتمال غريبة واصطلاحات غريبة وانتهى الترفعة والكذب بهم
الى ان يسكنوا المنازل المشهورة والدور المعروفة لكل هذه ويمسرون الحنجر ويضعون
المناظر فيها والذواهد التي يكتبونها في صوانب كتبهم ثم يمدون صناديق النول بالمال
هذه الصناعات ويعتقون على اكبرها ذلك المنزل وسكناه ويؤمنون ان به دفينا من
المال لا يهرعن كثرته ويظلمون بالمال لا يشترأه الاة فيقولون اننا نزلت حلل النملاس
ويصدرون نظورا انا واحد التي قد اعدوها ما لك بانفسهم ومن نعلم فيلنست لما يراه من
ذلك وهو قد خدع وليس عليه من حوش لا يشعرون به في ذلك اصطلاح في كلامهم
يلبسون به عليهم لئلا يحدواهم فيها يتاوه من حشر ونور وذبح حيوان وامثال ذلك
واما الكلام في ذلك على الجملة فلا اصل له في علم ولا خبر واعلم ان الكون وان كانت

الفصل السادس

في ان السعادة والكسب انما يحصل غالباً لاهل المخصوص والفقير وان هذا الخلق من اسباب السعادة قد سلف لنا فيما سبق ان الكسب الذي يستفيد به البشر انما هو قيم اعمالهم ولو قدر احد عطل عن العمل جملة لكان فاقداً للكسب بالكلية وعلى قدر عمله وشرفه بين الاعمال وحاجة الناس اليه يكون قدر قيمته وعلى نسبة ذلك يؤكسبه او نقصانه وقد بينا انما ان الجاه يفيد المال لما يحصل لصاحبه من تقرب الناس اليه باعماله واموالهم في دفع المضار وجلب المنافع وكان ما يتقربون به من عمل او مال عوضاً عما يحصلون عليه بسبب الجاه من الاغراض في صالح او طالح وتصور تلك الاعمال في كسبه وقيمتها اموال وثروة فيستفيد الغنى والمسايرة لا قرب وقت ثم ان الجاه متوزع في الناس ومرتبة فيهم طبقة بعد طبقة ينتهي في العلوي الملوك الذين ليس فوقهم يدعالية وفي السفلى الى من لا يملك خيراً ولا نفعاً يات ابناء جنسه وبين ذلك طريقتان متعددة حكمة الله في خلقه بما ينظم معاشهم وتيسر مصالحهم ويتم بقاؤهم لان النوع الانساني لا يتم وجوده الا بالتعاون والله وان بدر فقد ذك في صورة مفروضة لا يصح نقاؤه ثم ان هذا التعاون لا يحصل الا بالاكراه عليه لجهلهم في الاكثر صالح النوع ولما جعل لهم من الاختيارات افعالهم انما تصدرها ابتكر والروية لا بالطبع وقد يمنع من المعاونة فيتمتع حملة عليها فلا بد من حامل يكره ابناء النوع على مصالحهم لتمام الحكمة الالهية في بقاء هذا النوع وهذا معنى قوله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليخذل بعضهم بعضاً ننزلهما برحمة ربك خير مما يجمعون فقد تبين ان الجاه هو القدرة المحاملة للبشر على التصرف في من تمت ايديهم من ابناء جنسهم بالان والناع والتسلط بالهوى والغلبة لجهلهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم في العدل باحكام الشرائع والسياسة وعلى اغراضه فيما سوى ذلك ولكن الاول مقصود في العناية الربانية بالذات والثاني داخل فيها بالعرض كسائر الشؤر والداخلية في القضاء الالهي لانه قد لا يتم وجود الخير الكثير الا بوجود شر يسور من اجل المواد فلا يفوت الخير بذلك بل يقع على ما ينطوي عليه من الشر اليسير وهذا معنى وقوع الظلم في المخالفة فتفهم ثم ان كل طبقة من طباق اهل العمران من مدينة او اقليم لها قدرة على من دونها من الطبايق وكل واحد من الطبقة السفلى يستمد يدي الجاه من اهل الطبقة التي فوقه ويزداد كسبه تصرفاً فمن تحت يده على قدر ما يستفيد منه والجاه على ذلك داخل على الناس في جميع

حين ضربت المكوس على الاصناف اخر الدولة ضربت على اهل المطالب وصدرت
ضريبة على من يشتغل بذلك من الحنفى والموسين فوجد بذلك المتعاطون من اهل
الاطلاع الذريعة الى الكشف عنه والدرع باستتراجته وما حصلوا الا على الخيبة في جميع
مساعهم نعوذ بالله من الخسران فيحتاج من وقع له شيء من هذا الوسواس والخلل وان
نعوذ بالله من العجز والاكسل في طلب معاشه كما نعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ذلك ويصرف عن طرق الشيطان وسواسه ولا يشغل نفسه بالمخالات والمكاذب من
الحكايات والله يرزق من يشاء بغير حساب

الفصل الخامس

في ان الجاه منيد للمال

وذلك انا نجد صاحب المال والمحطوق في جميع اصناف المعاش اكثر يساراً وثروة
من فاقد الجاه . والسبب في ذلك ان صاحب الجاه مخدوم بالاعمال يتقرب بها اليه في
سبيل التزلف والحاجة الى جاهه فالناس معينون له بالاعمال في جميع حاجاته من ضروري
او حاجي . او كما في تفصيل قيم تلك الاعمال كلها من كسبه وجميع ماشاته ان تبدل فيه
الاعراض من العمل يستعمل فيها الناس من غير عوض فيتوفر تلك قيم الاعمال عليه فهي
بين قيم للاعمال بكسبها وقيم اخرى تدعوه الضرورة الى اخراجها فتتوفر عليه والاعمال
لصاحب الجاه كثيرة فتفيد الغنى لا قرب وقت ويزداد مع الايام يساراً وثروة ولهذا
المعنى كانت الامارة احد اسباب المعاش كما قدمناه وفاقد الجاه بالكلية ولو كان صاحب
مال فلا يكون يساراً الا بقدر ما له وعلى نسبة ماله وهو لا هم اكثر التجار ولهذا نجد اهل
الجاه منهم يكونون ايسر بكثير وما يشهد لذلك انا نجد كثيراً من الفقهاء واهل الدين
والعبادة اذا اشتهر حسن الظن بهم واعتقد الجمهور معاملته الله في ارفادهم فاختص الناس
في اعانتهم على احوال دنياهم والاعمال في مصالحهم اسرعت اليهم الثروة واصبحوا ميسرين
من غير مال معتنى الا ما يحصل لهم من قيم الاعمال التي وقعت المعونة بها من الناس لهم
راينا من ذلك اعداداً في الاوصار والمدن وفي البلد ويسعى لهم الناس في الفخ والنجار
وكل هوقاعد بمنزلة لا يهرج من مكانه فينبذ ماله ويعظم كسبه ويتأمل الغنى من غير سعي
ويهيى من لا يظن لهذا الدرس في حال ثروته واسباب غناه ويساره والله سبحانه وتعالى
يرزق من يشاء بغير حساب

هفة الناس بهذا الترفع ولم يحصل له حظ من احسانهم وقد اجماع لذلك من اهل الطبقة التي هي اعلى منه لاجل المقت وما يحصل له من ذلك من الترفع عن تعاهدهم وغشيان منازلهم فتمتد مداهته وبقي في خصاصة وفقر او فرق ذلك بقابل اما الترفع فلا يحصل له احداً ومن هذا المشهور ان الناس ان الكمال في المعرفة يتروم من الحفظ والامانة قد ينسب بما رزق من المعرفة واقتناعه ذلك من الحفظ وهذا معناه ومن خلق الشيء يسر له والله المقدر لا رب سواه وقد يقع في الدول اضراب في المراتب من اهل هذا الخلق ويترفع فيها كثير من السئلة وينزل كثير من العلية بسبب ذلك وذلك ان الدول اذا بلغت شأها من الغالب والاستيلاء اعد منها همة الملك بل كهم وسلطانهم وليس من سواهم من ذلك واما اربا في مراتب دون مرتبة الملك وتحت يد السلاطين وكانهم خول له فاذا استمرت الدولة وتبع الملك تساوى حينئذ في المنزلة عند السلطان كل من اتى الى خدمته وتقرب اليه في حمة واحدة السلطان اغناؤه في كثير من مهماته فيجد كثيراً من الة وقد يسمى في التقرب من السلطان بده ونعمه وينزل اليه ووجه خدمته ويستعين على ذلك بهنهم من الخدم والخدماء والخدماء واهل لخدمته حتى يترفع قدره ومنه وينتفع السادة في خدمته يحصل له بذلك حظ عظيم من السعادة ويتعظم في عدد اهل الدولة وتاخذ الدولة حينئذ من ارباء قومها الذين ذالوا اضواءهم رعدوا اكافهم مقرون بما كان لانهم في ذلك من الانار لم تسبح به بنوسهم على السلطان ويعودون ثائره ويجرون في مغفار الدولة بسيرة فيقتهم السلطان لذلك ويباعدون ويعل الى هؤلاء المصلحين الذين لا يعتدون بتقديم ولا يذهبون الى دانه ولا ترفع انما داهم المنفع له والتمتلي والاعتال في غرضه حتى ذهب اليه فيضع بجاههم وتعلو منازلهم وتعرف اليهم الزوجه والمخاطرة بما يحصل لهم من نيل السلطان والمكانة عده وبقي مائة الدولة فيهم فروع من الترفع والاعداد لا يقدم لا يزيد ذلك الا بعدا من السلطان ومقتاً واخيراً فلولاء المصلحين عليهم ان تفرض الدولة وهذا امر طبيعي في الدولة ومنه جاء شأن المصلحين في الغالب والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لا رب سواه

الفصل السابع

في ان القائمين بامور الدين من القضاء والتبلي والدريس والامامة والتمتابة والاذان ونحو ذلك لا تعظم شروعاتهم في الغالب

أبواب المعاش ويتسع ويفيق بحسب الطبقة والطور الذي فيه صاحبه فان كان الجاه
 متبعا كان الكسب الناجي عنه كذلك وان كان غنيا قليلا فذلك وفائدة الجاه وان كان له
 مال فلا يكون يساره الا بتدار عمله او ماله ونسبة سعيه ذاهبا وايضا في تبيينه ما كثر
 اختيار واهل الملاعة في العال واهل الصنائع كذلك اذا فسدوا الجاه وانحصروا على
 فوائده صناعهم فائهم يصيرون الى الفقر والمقصصة في الاكثر ولا تسرع اليهم شدة واما
 برهقون العيش فغنى ويدافعون ضرورة الفقر مدافعة وادا تقرر ذلك وان الجاه متفرع
 وان السعادة لا يتغير مقدارها يحصل ان بذله وانعاده من اعظم النعم والاهل وان
 بذله من اجل المدين وان بذله ان تمت بدوه فيكون بذله بيد عالية وعزة في باج مثالة
 ويتفرع الى الخضوع وثائق كما يسأل اهل الامر والرك والاف في مذكر حصوله فذلك قلنا
 ان الخضوع والتلق من ادناس سبب هذا الجاه المتصل بالسعادة والكسب وان اكثر
 اهل التفرع والسعادة بهذا التلق ولذا يجد الكثير ممن يتلق ما ترفع والشم لا يحصل لم
 غرض الجاه فيقتصر في الكسب على اعطائه ويصبرون الى الفقر والنجاسة . وانما ان
 هذا الكبر والتفرع من الاخلاق المذمومة انما يحصل من توم الكمال وان الناس يحتاجون
 الى بضاعة من علم او صناعة كالهالم المتجر في علماء الكتاب الجيد في كتابه او الشاعر
 الطبع في شعره وكل محسن في بضاعة توم ان الناس يحتاجون لما يودون فيحدث له ترفع
 عليهم بذلك وكذا يتوم اهل الانساب من كان في امانه ملك او عالم مشهور او كامل في
 طوره يبرون بما راق او سمع من مال اباؤهم في المدينة ويتوهم انهم استحقوا مثل
 ذلك بقرانهم اليهم وورائهم عنهم مستحقون في الجاهر بالامر المعلوم وكذلك
 اهل الحيلة والبصر والختيار بالامر قد يتوم بههم كالا في نفسو بذلك واحتياجا اليه
 وتجد هؤلاء الاصناف كلهم متفرعين لا يرضعون لصاحب الجاه ولا يتكلمون له هو اعلى
 منهم ويستصغرون من سواهم لاعتقادهم الفضل على الناس فيستكف احدهم عن الخضوع
 واو كان الملك وبعده مثله وهوانا وسفها ويحاسب الناس في معاملتهم اياه بتدار ما يتوم
 في نفسو ويحتد على من قصر له في تيم ما يتوم من ذلك وربما يدخل على نفسو الهوم
 والاحزان من نقصهم فيو ويستبر في عاه عظيم من ايجاب الحق لنفسه او اباية الناس
 له من ذلك ويحصل له الملك من الاس لما في ضاع البشر من التاله وقل ان يسلم احد
 منهم لاعد في الكمال والتفرع عليه الا ان يكون ذلك شوع من الفقر والعالية والاستئالة
 وهذا كله في ضمن الجاه فاذا فقد صاحب هذا الحق الجاه وهو مفقود له كاتين لك

والدول والله قادر على ما يشاء والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

الفصل التاسع

في معنى التجارة ومذاهبها واصنافها

اعلم ان التجارة محاولة الكسب بتسوية المال بشراء السلع بالرخيص وبيعها بالغلاء ايما كانت السلعة من رقيق او زرع او حيوان او قماش وذلك القدر النامي يسمى ربحاً فالخاتمة لذلك الربح اما ان يحتزن السلعة ويحتمل بها حوالة الاوراق من الرخص الى الغلاء فيعظم ربحه واما بان ينقله الى بلد اخر فتنتفي فيه تلك السلعة اكثر من بلد الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه ولذلك قال بعض الشيوخ من التجار لطلب الكشف عن حقيقة التجارة انا اعلمها لك في كلمتين اشتراء الرخص وبيع الغالي فقد حصلت التجارة اشارة له بذلك الى المعنى الذي قررناه والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لا رب سواه

الفصل العاشر

في ابي اصناف الناس يمتدح بالتجارة وادبهم ينهي له اجتناب حرفة

قد قدسنا ان معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها باغلى من ثمن الشراء اما بانظار حوالة الاسواق او نقلها الى بلد هي فيه انتفى واغلى او بيعها بالغلاء على الاجال وهذا الربح بالنسبة الى اصل المال يسير لان المال اذا كان كثيراً عظم الربح لان القليل في الكثير كثير ثم لا بد في محاولة هذه التنمية من حصول هذا المال بايدي الباعة في شراء البضائع وبيعها ومعاملتهم في نقاضي ائتمانها واهل الصنعة قليل فلا بد من الغش والتطفيف المتجشع بالبضائع ومن الممثل في الاثمان المتجشع بالربح كنعطيل المحاولة في تلك المدة وبها غاوة ومن التجبؤ والانكار المصمت لراس المال ان لم يتفقد بالكتاب والشهادة وعناه المحكام في ذلك قليل لان الحكم انما هو على الظاهر فيعاني التاجر من ذلك احولاً صعبة ولا يكاد يحصل على ذلك النافه من الربح الا بعظم العناية والمصلحة او لا يحصل او يتلاشى راس مالو فان كان جريئاً على الخصومة بصيراً بالحسبان شديد المحاكمة مقدماً على المحكام كان ذلك اقرب له الى النصفة بمراتبهم وما حكنه ولا فلا بد له من جاه يدبر به بوقع له الهبة عند الباعة ويميل المحكام على انصافه من معاملته فيحصل له ذلك النصفة في مالو طوعاً في الاول وكرهاً في الثاني واما من كانت فاقفاً للجرأة والافدام من نفسه فاقد الحياه من المحكام فويلني له ان يجنب الاحتراف بالتجارة

والسبب لذلك ان الكسب كما قد مناه قيمة الاعمال وانما متفاوتة بحسب الحاجة اليها
فاذا كانت الاعمال ضرورية في العمران عامة المبررى بكون قيمتها اعظم وكانت الحاجة
اليها اشد واهل هذه البضائع الدينية لا تضطر اليهم عامة الخائف وانما يحتاج الى ما عندهم
الخاص من اقبل على دينه وان احتجج الى الدنيا والقضاء في الخصومات فليس على وجه
الاضطرار والعموم فينع الاستغناء عن هؤلاء في الاكثر وانما بهم باقامة مراسيم صاحب
الدولة بما له من النظر في المصالح فربما لم حفظا من الرزق على نسبة الحاجة اليهم على
النحو الذي قررناه لا يساو بهم باهل الشوكة ولا باهل الصنائع من حيث الدين والمراسم
الشريعة لكنه يقسم بحسب عموم الحاجة وضرورة اهل العرفان فلا يصح في قسمهم الا
الليل وهم ايضا لشرف بضائعهم أعز على الخلق وعند نفوسهم فلا ينضعون لاهل الجاه
حتى ينالوا منه حفظا يستدرون به الرزق بل ولا تفرغ اوقاتهم لذلك لما هم فيه من الشغل
بهذه البضائع الشريفة المستتبلة على اعمال الفكر والبدن بل ولا يسعهم انزال انفسهم
لاهل الدنيا لشرف بضائعهم فهم يعزل عن ذلك فاذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب
ولقد باحثت بعض الضلاء فذكر ذلك على وقوع بيدي اوراق منفردة من حسابات
الدواوين بدار المأمون تشتمل على كثير من الدخل والمخرج وكان غيما طالعت فيه
ارزاق القضاة والائمة والمؤذنين فوقفت على وعلم منه صحة ما قلته ورجع اليه وقضيتنا
الصعب من اسرار الله في خلقه وحكمه في عوالمه والله الخالق القادر لا رب سواه

الفصل الثامن

في ان النلاحة من معاش المتضعين واهل العافية من البدو
وذلك لانه اصيل في الطبيعة وبسيط في صفاء واذلك لا تجده بتخله احد من اهل
الحضر في الغالب ولا من المترفين وبمختص متخل بالمذلة قال صلى الله عليه وسلم وقد
رأى المسكة ببعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم الا دخلت الذل وحلة البخاري
على الاستكثار منه وترجم عليه باب ما يحذر من عواقب الاشتغال باله الزرع او تجاوز
الحمد الذي امر به والسبب فيه والله اعلم ما يتبعها من المغمم المنقضي الى التعمك واليد العالية
فيكون الغارم ذليلاً باناساً بما تناوله ايدي الفهر والاستطالة قال صلى الله عليه وسلم
لا تقوم الساعة حتى تعود الركاة مغرماً اشارة الى الملك العضوض الفاهر الناس الذي معه
السلطان والجور ونسيان حقوق الله تعالى في المتولات واعتبار الحقوق كلها مغرم للملك

سائل بالامن فانه حينئذ يكثر ناقلوها فتكثر وترخص ثمنها ولهذا تجد التجار الذين
يولعون بالدخول الى بلاد السودان آفة الناس وأكثرهم اموالاً لبعدهم عن طريقهم ومشتبه
واعتراض المنازة الصعبة الخطرة بالخوف والعطش لا يوجد فيها الماء الا في أماكن معروفة
يبتدي اليها ادلاء الركبان فلا يركب مختار هذا الطريق ويبدء الاقل من الناس
فتجد سلع بلاد السودان قليلة لدينا فنقتصم بالغلاء وكذلك سلعنا لديهم فتعظم تضاعف
التجار من نوافلها ويسرع اليهم النسي والذرة من اجل ذلك وكذلك المسافرون من
بلادنا الى المشرق لمد الشقة ايضاً واما المترددون في افق واحد ما بين امصاره والاداب
فما ندبهم قليلة طرايحهم تافهة لكثرة الحاج وكثرة ناقلها والله هو الرزاق ذو القدر العظيم

الفصل الثالث عشر

في الاحتكار

وما اشهر عند ذوي البصيرة في الامصار ان احتكار الزرع لثمن اوقات
الغلاء هووم ياتى بهود على فائده ما تلف ما خسران وسببه والله اعلم ان الناس لم يجتمع
الى الاقليات منسحبون الى ما يذولون فيها من المال اذ داراً رافق النفوس متعانة به
وفي تعاني النفوس بما طاسر كدير في باله على من ياتيه بمائها وامانة الله اعلم ان اربع
في اغناء امال الناس بالمال وهذا لم يكن مهيئاً فالنفوس متعانة به لانه لانه ضرورية
من غير سعة في الغد فهو كما ذكره وما عدا الاقليات والمأكولات من المبيعات لا اضطرار
للناس اليها ولما بهتهم عليها الناس في الشهوات فلا يذولون امالهم فيها الا ما شئوا
وحرص ولا يبقى لهم تعلق بما اعدوا فلهذا يكون من عرف بالاحتكار جميع القوى الفسافة
على متابعتهم لما ياخذونه من امالهم فيفسد ربيته والله تعالى اعلم . وحيث فيها يناسب هذا
حكاية طريفة عن بعض مشيئة المغرب اخبرني شيخنا ابو عبد الله الابلي قال حضرت
عبد القاضي فاس لمهد السلطان ابي سعيد وهو النقيب ابو الحسن المالكي وقد عرض عليه
ان يفتار بعض الاغالب الخزنية ليجازيوا قال فاطرق . لما تم قال لم من ميس الخبز
فانضمك المفاضرون من اصحابنا وعبيدنا وسألوه عن حكمة ذلك فقال اذا كانت
الحبايات كلها حراماً فاختار منها ما لا تنابى نفس معها ولا يضر قلب ان يذل فيها احد
ماله الا وهو طرب مسرور بوجوده غيراً سلف عليه ولا متعلقة به نفسه وذلكه ملائحة
شرعية والله سبحانه وتعالى يعلم ما تكن الصدور

لأنه يعرض ماله للبيع والذهاب ويصير مأكلة للباعة ولا يكاد يتصف منهم لاف
الغالب في الناس وخصوصاً الرعاع والباعة شرهون الى ما في ايدي الناس سواء هم متشبهون
عليه ولولا وازع الاحكام لاصبحت اموال الناس تمها ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين

الفصل الثاني عشر

في ان خلق الخباز نازلة عن خلق الاشراف والمالوك
وذلك ان الخباز في غالب احوالهم انما يماون البيع والشراء ولا بد فيه من المكايسة
ضرورة فان اقتصر عليها اقتصرت به على خلتها وفي اعنى خلق المكايسة بعيدة عن المروءة
التي تتلقى بها المالوك والاشراف واما ان استدخلت خلفها يتبع ذلك في اهل العلة السلي
منهم من الماحكة والعش والخلافة وتماهد الايمان الكاذبة على الاعمال رداً وقبولاً فاجدر
بذلك الخلق ان يكون في غاية الماداة لما هو معروف ولذلك تجد اهل الرياسة يتماون
الاحراف بهذه المعرفة لاجل ما يكسب من هذا الخلق وقد يوجد منهم من يسلم من هذا
الخلق ويتقاهم لانه عرف نفسه وكرم جلاله الا في النادر بين الوجود والله يهدي من يشاء
بفضله وكرمه وهو رب الاولين والاخرين

الفصل الثاني عشر

في نقل التاجر السلع

التاجر الصير بالعبارة لا ينقل من السلع الا ما تم الحاجة اليه من الغني والفقير
والسالمات والسوقه اذ في ذلك نفاق سلعة واما اذا اخبص نقله بما يحتاج اليه البعض
فقط فقد يتعذر نفاق سلعة حيث يباعوا بالشراء من ذلك البعض لعارض من العوارض
فتكسد سوقه وتفسد ارباحه وكذلك اذا نقل السلعة المحتاج اليها فانما ينقل الوسط من
صنفها فان العاني من كل صنف من السلع انما يخلص به اهل الثروة وحاشية الدولة وهم
الاقل واما يكون الناس اسوة في الحاجة الى الوسط من كل صنف فليغير ذلك جهده
فغير نفاق سلعة او كسادها وكذلك نقل السلع من البلد الى البلد المسافة او في تدة الخطر
في المارقات يكون اكثر نفاذة البار واعلم ارباحاً وكنل بحوالة الاسواق لان الباعة
المقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لعدم مكانها او شدة الضرر في طريقها فيقل حادوها
ويعز وجودها واذا قلت وعزت غلبت اثمانها واما اذا كان البلد قريب المسافة والعراق

وفي عوارض هذه المحرفة وهذه الأوصاف تنقص من الذكاء والمرؤة وتجرح فيها لاف
 الأفعال لا بد من عود آثارها على النفس فافعال المخير تعود بآثار المخير والركاء والفعال
 الشر والسفسفة تعود بضد ذلك فتتمكن وترسخ ان سبقت وتكررت وتنقص خلال المخير
 ان تاخرت عنها بما ينطبع من آثارها المدمومة في النفس شأن الملكات الناشئة عن الافعال
 وتتناوت هذه الآثار بتفاوت اصناف التجار في اطوارهم فمن كان منهم سافل الطور يخالفنا
 لاشرار الباعة اهل الغش والخلاية والغيور في الاثمان افراراً وبكراً كانت رداءة تلك
 الخافي عنه اشد وغلبيت عليه السفسفة وبعد عن المرؤة واكتسابها بالجهلة والا فلا بد له
 من تاثير المكايسة والمحاكة في مروءته وفقدان ذلك منهم في الجبلة ووجود الصف الثاني
 منهم الذي قدمناه في الفصل قبله انهم يدعون بالجهاد ويعرض لهم من مباشرة ذلك فهم
 نادر واقل من النادر وذلك ان يكون المال قد يوجد عنده دفعة بنوع غريب او ورثة
 عن احدهم اهل بيته فحصلت له ثروة تبعته على الاتصال باهل الدولة ونكسبه ظهوراً
 وشهرة بين اهل عصره فيرتفع عن مباشرة ذلك بثمنه ويدفعه الى من يقوم له به من
 وكلائه وحشيو ويسئل له الحكام الصف في حقوقهم بما يؤسسون من بره واتخاذهم فيدبرونه
 عن تلك الخافي بالبعد عن معاناة الافعال المنتصية لها كما مر فتكون مروءتهم اوسع وابعد
 عن تلك المحاجة الا ما يسري من آثار تلك الافعال من وراء الحجاب فانهم يفسطرون
 الى مشاركة احوال اولئك الوكلاء وفائقهم او خلائفهم فيما ياتون او يدرون من ذلك الا
 انه قليل ولا يكاد يظهر اثره والله خالقكم وما تسألون

الفصل السادس عشر

في ان الصنائع لا بد لها من العلم

اعلم ان الصناعة هي ملكة في امر علمي فكري وبكويدها هو جسيما في محسوس والاحوال
 الجسمانية المحسوسة فنقلها بالمباشرة اوجب لها واكمل لان المباشرة في الاحوال الجسمانية
 المحسوسة اتم فائدة والملكة صفة راضية تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة
 بعد اخرى حتى ترسخ صورته وعلى نسبة الاصل تكون الملكة ونقل المعاينة اوجب واغم من
 نقل الخبر والعلم فالملكة المحاصلة عنه اكمل وارسخ من الملكة المحاصلة عن الخبر وعلى قدر
 جودة التعليم وملكة المتعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته ثم ان الصنائع
 منها البسيط ومنها المركب والبسيط هو الذي يمتنع بالضروريات والمركب هو الذي

الفصل الرابع عشر

في ان رخص الاسعار مضر بالمخترفين بالرخص

وذلك ان الكسب والمعاش كما قدمناه انما هو بالصنائع او بالتجارة او بالتجارة هي شراء البضائع والسلع وادخارها بغيرها بحالة الاسواق بالزيادة في اثمانها وبسي ربحا ويحصل منه الكسب والمعاش للمخترفين بالتجارة دائما فاذا استندم الرخص في سلعة او عرض من مأكول او ملبوس او مقبول على الجملة ولم يحصل للتاجر حواله الاسواق فسد الربح والثناء بطول تلك المدة وكسدت سوق ذلك الصنف ففقد التاجر عن السعي فيها وفشلت رويس امواله واعتبر ذلك اولاً بالزراع فانه اذا استندم رخصه يفسد به حال المخترفين بسائر اطواره من الفلح والزراعة لقلة الربح فيه ونداريه او فقده فيفقدون الثناء في اموالهم او يحدوثة على قلة ويعودون بالانفاق على رويس اموالهم وتفسد احوالهم ويصبون الى الفقر والخصاصة ويتبع ذلك فساد حال المخترفين ايضا بالطين والحجر وسائر ما يتعلق بالزراعة من المحرث الى صيروريه مأكولا وكذا يفسد حال المجد اذا كانت ارزاقهم من السلطان على اهل الفلح زرعاً فانهما نقل جبايتهم من ذلك ويجزون عن اقامة الجندية التي هم بسببها ومطالبون بها ومنضغون لها وتفسد احوالهم وكذا اذا استندم الرخص في السكر او العسل فسد جميع ما يتعلق به وقعد المخترفون عن التجارة فيه وكذا المهنات اذا استندم فيها الرخص فاذا الرخص المفرط يجنب بمعاش المخترفين بذلك الصنف الرخيص وكذا الغلاء المفرط ايضا وانما معاش الناس وكسبهم في التوسط من ذلك وسرعة حواله الاسواق وعلم ذلك يرجع الى العوائد المتفرقة بين اهل العمران وانما يحمي الرخص في الزرع من بين المبيعات لعموم الحاجة اليه واضطرار الناس الى الاقوات من بين الغني والفقير والناالة من الخائف من الاكثر في العمران فيقيم الرفق بذلك ويرجع جانب القوت على جانب التجارة في هذا الصنف الخاص والله الرزاق ذو القدر العظيم

الفصل الخامس عشر

في ان خلق التجارة نازلة عن خلق الروساء وبعيدة من المروءة

قد قدمنا في الفصل قبله ان التاجر مدفوع الى المعاناة البيع والشراء وجلب التوائد والارباح ولا بد في ذلك من المكايسة والمحاكمة والتخلف وممارسة الخصومات والمجالح

يوجد منها كثير من الكمالات والناثق فيها في الغاية وتكون من وجوه المعاش في مصر
للمتخيل بل تكون فائدتها من اعظم فوائد الاعمال لما يدعو اليه الترف في المدينة مثل
الدهان والصفار والسماح والعلياخ والسناح والفراس ومعلم الفناء والرقص وقريح الطبول
على التوزيع ومثل الوراقين الذين يعانون صناعة انتساخ الكتب وبلدها وتصميمها فان
هذه الصناعة انما يدعو اليها الترف في المدينة من الاشتغال بالامور التكرية واثمال ذلك
وقد تخرج عن الحد اذا كان العهران خارجا عن الحد كما بلغنا عن اهل مصر ان فهم من
يعلم التطوير العجم والحجر الانسية وتقبل اشياء من العجايب بايمان قلب الاعيان وتعلم
الحداء والرقص والمشي على الخيوط في الهواء ورفع الاثقال من المحيطات والبحارة وغير
ذلك من الصنائع التي لا توجد عندنا بالمغرب لان عمران امصار لم يبلغ عمران مصر
والقاهرة ادام الله عمرها بما لمسلمين

الفصل الثامن عشر

في ان رسوم الفنانين في الامصار انما هو رسوم الحضارة وطول امد
والسبب في ذلك ظاهر وهو ان هذه كلها عرائد للفران والوان والعرايد انما هي
تكرار الذكر وطول الابد فتستقيم سنة ذاك وترسخ في الاجيال واذا استحكمت الفسفة
عمر نزعها ولهذا نجد في الامصار التي كانت استمرت في الحضارة لما تراجع عمرانها وتناقص
تغيت فيها آثار من هذه الصنائع ليست في غيرها من الامصار المستندة للفران ولو بلغت
مبا لغها في الوفور والكثرة وما ذاك الا لان احوال تلك القديمة الفران مستقيمة راسخة
اطول الاحقاب وتداول احوال وتكررها وهذه لم تبلغ الغاية بعد وهذا كائنا ما
الاداس لهذا العهد فانا نجد فيها رسوم المستنقعات قائمة وحواليها مستقيمة راسخة في جميع ما
تدعو اليه عن ايد امصارها كالمباني والطبج واصناف الهناء والابواب والالات والاوراق
والارقص وتفيد النرش في التصوير وحسن الترتيب والازنماع في الاله وصور الآتية من
المعاشن والخرش وجميع المباحين وقاعة الولاغ والاعراس وسائر الصنائع التي يدعو اليها
الترف وعرايد فيجدهم اقرب اليها واصبرها وتجد صنائعها مستقيمة لديهم فهم على حصنة
مرفوعة من ذلك ومعتل يتميزون بجمع الامصار وان كان عمرانها قد فناءت والاكبر منه
لا يساوي عمران غيرها من بلاد اللدوق وما ذاك الا لما قداه من رسوم الحضارة فهم
برسوخ الدولة الاموية وما قبلها من دولة القبط وما بعدهما من دولة الزيانيات وهما

يكون للكماليات والمقدمات منها في التعليم هو البسيط لم يسطح أولاً ولا يخص بالضروري
الذي وفر الدنيا على نفل فيكون سابقاً في التعليم ويكون تعليمه لذلك ناقصاً ولا يزال
السكر بخرج اضافياً وبركانها من القوة الى العمل بالاستنباط شيئاً فشيئاً على التدريج حتى
تكل ولا يحصل ذلك دفعة واحدة كما يحصل في ازمان واجيال اذ خروج الانبياء من القوة الى
العمل لا يكون دفعة لا سيما في الامور الصناعية فلا بد له اذن من زمان ولهذا تجد الصنائع
في الامصار الصغيرة ناقصة ولا يوجد منها الا البسيط فاذا تزايدت حضارتها ودعت امور
الترف فيها الى استعمال الصنائع خرجت من القوة الى العمل وتنقسم الصنائع ايضاً الى ما
يخص بامر المعاش ضرورياً كان او غير ضروري والى ما يخص بالافكار التي هي خاصة
الانسان من العلوم والصنائع والسياسة ومن الارل السكاكة والجمارة والحجارة والحدادة
وامثالها ومن الثاني الوراقة وهي معانة الكتب بالانسان والنجار والحداد والفارس والاشعر ونعمام
العلم وامثال ذلك ومن الثالث المبدية وامثالها والله اعلم

الفصل السابع عشر

في ان الصنائع اما تكمل بكمال العمران الحضري وكثير

والسبب في ذلك ان الناس ما لم يستوفوا العمران الحضري وتبين المدينة انما هم
في الضروري من المعاش وهو تحصيل الاغذية من الحقل والصيد وغيرها فاذا قدمت المدينة
وتزايدت فيها الاعمال ريفت بالضروري وزادت عليه صرف الرائد من يد الى الكالات
من المعاش ثم ان الصنائع والعلوم انما هي للاسنان من حيث فكره الذي يتزعمه عن الحيل والامانات
والقوة له من حيث الميول والذاتية فهو مقدم للضروري على الدائم والصنائع وهي
متاخرة عن الضروري وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع الناتج فيها حيث تزداد
استبانة ما ينال منها بحيث تتوفر دواعي الترف والوفرة مما العمران البدوي او القليل
فلا يحتاج من الصنائع الا البسيط خاصة المستعمل في الضروريات من نجار وحداد
سائلا او غارفا او جزار واذا وسدت هذه بعد فلا توجد فيه كاملة ولا مستجيبة واسا
يوجد منها مقدار الضرورة اذ هي كلها وسائل الى غيرها وليست مقصودة لذاتها واذا زخر
بحر العمران وطلبت فيه الكمالات كان من جملة الناس في الصنائع واستجابتها فكملت
جميع مقامها وتزايدت صنائع اخرى معها ما تدعو اليه دواعي الترف والحرارة من جزار
ودباغ وخزاز وصانغ وامثال ذلك وقد تنهي هذه الاصناف اذا استبحر العمران الى ان

الصناعة فليس طلبهم بها ولا سوفهم بنافعة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

الفصل العشرون

في ان الامصار اذا قاربته الخراب انتقصت منها الصنائع وذلك لما بيننا ان الصنائع انما تتجدد اذا احتيج اليها وكثر طالبا لها واذا ضعفت اسهل المصير واخذ في الهرم بانتفاض عمرائه وقلة ساكنيها فانقص فيه الثروة ورجعوا الى الاقتصار على الضروري من احوالهم فنزل الصنائع التي كانت من نزاع الثروة لان صاحبها حينئذ لا يبتغى له بها معاشة فينزل الى غيرها او يوت ولا يكون خلف منه فيذهب رسم تلك الصنائع فتهلك كما يذهب النقاشون والصوفاغ والكتاب والنساخ والاشغال من الصنائع لمجانة الثروة ولا تزال الصناعات في النقص ما زال المصير في النقص الى ان تفصيل والله الموفق الى العلم سبحانه وتعالى

الفصل الحادي والعشرون

في ان العرب ابعد الناس عن الصنائع

والله بهب في ذلك انهم اعرق في البدو وابتعد عن العمران الحضري وما يدعو اليه من الصنائع وغيرها واليه من اهل المشرق وامم النصرانية عدوة المير الرومي اقوم الناس عليهما لانهم اعرق في العمران الحضري وابتعد عن البدو وعمرانه حتى ان الابل التي اعانته العرب على الذود في الثمار الا عراق في البدو متفردة لديهم بالمجيلة ومتفردة مراعيها والرمال المهيئة لتماجيها ولهذا ابتعد اولاد العرب وما ملكوه في الاسلام فليلب الصنائع بالمجيلة حتى يلبس اليه من قنطرة اشروا في بلاد الهند من الصين والهند واروش الترك لانهم النصرانية كيف استكنرت فتم الله نافع وانجلبها الامم من الهند وبنجهم المنسوب من تدوير منزل العرب في ذلك ارسوخهم في الدائرة من اختلاف من الصين وشهد لك والملك فله الامصار بقلهم كما قد نه الصنائع بالمغرب لذلك قليلة وغير متفكره الا ما كان من صناعة الصوف من سبيو والمجالي في خروجه ودينه فانهم لما استصبروا بقله في الغيا المبالغ فيهم البليوي بها وكون هذين اعصاب الالب في قمارهم لما علم عليه من مال الدائرة ولما المشرق فقد رخصت الصنائع ههنا ذلك الامم الاذمة من الفرس والهند والقطر وبنو اسرائيل ويونان والروم اقطاعا ههنا لاوله فزنت فهم احوال الميسار ومن سبيلها الصنائع كما قدمناه فلم يبق ربحها واما البرن والمجرن وبنان والمجزرة وان أشد العرب الا

جزراً قبلت المحاصرة فيها ملباً لم تبلغ في قطر إلا ما ينشأ عن العراق والشام ومصر أيضاً
 لطول امداد الدول فيها فاستحكمت فيها الصنائع وكملت جميع اصنافها على الاستعداد
 والتيق وبقيت صبغتها ثابتة في ذلك العران لا تفارقة الى ان ينتفض بالكلية حال الصغ
 اذا رجع في الثوب وكذا ايضا حال تونس فيما حصل فيها بالمحاصرة من الدول الصنهاجية
 والموحدين من بعدهم وما استكمل لها في ذلك من الصنائع في سائر الاحوال وان كان ذلك
 دون الاندلس الا انه متضاعف برسوم منها تنقل اليها من مصر لقرب المسافة بينهما وتردد
 المسافرين من قطرها الى قطر مصر في كل سنة وما سكن اهلها هناك حصوراً في لون من عوائد
 نرفهم ومعكم صنائعهم ما يقع لديهم موقع الاستفسان فصارت احوالها في ذلك متشابهة من
 احوال مصر لما ذكرناه ومن احوال الاندلس لما ان اكثر ساكنها من شرق الاندلس حين
 الحجاز لم يلد المائتة السابعة وربع فيها من ذلك احوال وان كان عمرانها ليس يناسب لذلك
 لهذا العهد الا ان الصفة اذا استحكمت فليلاً ما يتحول الى بزل مجمل وكذا نجد بالقيروان
 ومراكش وقلعة بن حماد اثراً باقياً من ذلك وان كانت هذه كلها اليوم خراباً او في حكم
 الخراب ولا ينظن لها الا البصر من الناس فيجد من هذه الصنائع اناراً تدل على ما كا
 بها كأثر الخط المجهول في الكتاب والله المخلق العالم

الفصل التاسع عشر

في ان الصنائع انما تستجاد وتكثر اذا كثر طالها

والذهب في ذلك ظاهر وهو ان الانسان لا يسبح بملك ان يقع فيها تالاً كسبه في
 معاشه اذ لا فائدة له في جميع عمره في شيء مما سواه فلا يصره الا في قيمة في مصاي
 اليهود عليه بالبيع وان كانت الصناعة معلوبة وتوجه اليها التناق كانت حينئذ الصبر
 بمثابة السلعة التي تنفق سوفها وتجلب للبيع فيجهد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة لكي
 منها معاشهم واذا لم تكن الصناعة معلوبة لم تنفق سوفها ولا يوجه قصد الى تعلمها فاختار
 بالترك وقدت الالهال ولهذا يقال عن علي رضي الله عنه قيمة كل امرئ ما يجسد بمعنى
 صناعته هي قيمته اي قيمة عمله الذي هو معاشه وايضاً في سائر وان الصنائع واجاد
 اما نطلبها الدولة فهي التي تنفق سوفها وتوجه الطالبات اليها وما لم تطالب الدولة وانما يطلب
 غيرها من اهل المصر فليس على نسبتها لان الدولة هي السوق الاعظم وفيها تنفق كل شيء
 والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة فانفق منها كان أكثر باضرورة والسوق وان طلبها

ويتفرع عن علم الطبيعة وموضوعه مع ذلك بدن الانسان واما الكتابة وما يتبعها من الوراقه فهي حافظه على الانسان حاجته ومقيدة لها عن النسيان ومبلغه ضاير النفس الى السجد الغائب ومجلد نتائج الافكار والعلم في النصف ورافعة رتب الوجود للعاني واما الفناء فهو نسب الاصول ومظهر جمالها للاسماع وكل هذه الصنائع الثلاثة داع الى مخالطة الملوك الاعظم في خلواتهم ومجالس انهم فلها بذلك شرف ليس لغيرها وما سوى ذلك من الصنائع فتابعة وممتنه في الغالب وقد يختلف ذلك باختلاف الاغراض والدواعي والله اعلم بالصواب

الفصل الرابع والعشرون

في صناعة النلاحة

هذه الصناعة ترمي اتخاذ الاقوات والمحسوب بالقيام على ائارة الارض لها وازدراعتها وعلاج نباتها وتعمده بالسقي والتنمية الى بلوغ غايته ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه واحكام الاعمال لذلك وتحصيل اسبابه ودواعيه وهي اقدم الصنائع لما انها محصلة القوت المكمل لحياة الانسان غالباً اذ يمكن وجوده من دون جميع الاشياء الا من دون القوت ولهذا اخصت هذه الصناعة بالبدوا قدمنا انه اقدم من الحضر وسائق عليه فكانت هذه الصناعة لذلك بدوية لا يقوم عليها الحضر ولا يعرفونها لان احوالهم كلها ثابته على البداوة فصنائعهم ثابته عن صنائعها وثابته لها والله سبحانه وتعالى مقيم العباد فيما اراد

الفصل الخامس والعشرون

في صناعة البناء

هذه الصناعة اول صنائع العمران الحضري واقدمها وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل لكن والماوى للابدان في المدن وذلك ان الانسان لما جبل عليه من التفكير عواقب احواله لا بد ان يفكر فيها يدفع عنه الاذى من الحر والبرد كالتمخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والمحيطان من سائر جهاتها والبشر يختلف في هذه الجملة الفكرية فهم المعتدلون فيها يتخذون ذلك باعندال اهالي الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس واما اهل البدو فيبدون عن اتخاذ ذلك لتصور افكارهم من ادراك الصنائع البشرية فيها يدرون للغيران والكموف المعدة من غير علاج ثم المعتدلون المتخذون للماوى قد يتكاثرون في البسيط الواحد بحيث يتناكرون ولا يتعارفون فيحشون طروق

انهم تداولوا ملكة الاقامن السنين في ايام كثيرين منهم واخططوا امصاره ومدنه وبلغوا
 الغاية من الحضارة والترف مثل عاد وثمود والعائلة وحمر من بعدهم والنبابعة والاذرار
 فطال امد الملك والحضارة واستحكمت صيغتها وتوفرت الصنائع ورستت فلم تزل تلبى الدولة
 كما قدمناه فبقيت معتقدة حتى الان واخصت بذلك الوطن كصناعة الوشي والعصبة وما
 يستفيد من حوك الثياب والحبر فيها والله وارث الارض ومن عاينها وهو خير الموارثين

الفصل الثاني والعشرون

فحين حصلت له ملكة في صناعة فقل ان يجيد بعد ملكة في اخرى
 ومثال ذلك الخياط اذا اجاد ملكة الخياطة وحكمها ورستت في نفسه فلا يجيد من
 بعدها ملكة التجارة او البناء الا ان تكون الاولى لم تستحكم بعد ولم ترسخ صيغتها والسبب
 في ذلك ان الملكات صفات للنفس والوان فلا تزدهم دفعة ومن كان على الفطرة كان
 اسهل لقبول الملكات واحسن استعداد لحصولها فاذا تلوذت النفس بالملكة الاخرى
 ومخرجت عن الفطرة ضعف فيها الاستعداد باللون المحاصل من هذه الملكة فكان
 قبولها للملكة الاخرى اضعف وهذا يثبت يشهد له الوجود فقل ان يجيد صاحب صناعة
 يحكمها ثم يجيئ من بعدها اخرى ويكون فيها معاً على رتبة واحدة من الاجادة حتي ان اهل
 العلم الذين ملكهم فكرية فهم بهذه الغاية ومن حصل منهم على ملكة علم من العلوم واجادها
 في الغاية فقل ان يجيد ملكة علم اخر على نسبة بل يكون مقصراً فيه ان طلبه الا في الاقل
 النادر من الاحوال ومبني سببه على ما ذكرناه من الاستعداد وتلوذ به بلون الملكة
 المحاصلة في النفس والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لا رب سواه

الفصل الثالث والعشرون

في الاشارة الى امهات الصنائع

اعلم ان الصنائع في النوع الانساني كثيرة لكثرة الاعمال المتفاوتة في العمران فهي
 بحيث تشذ عن المحصر ولا ياخذها العبد الا ان منها ما هو ضروري في العمران او شريف
 بالموضع فخصها بالذكر وترك ما سواها فاما الضروري فالفلاحة والبناء والخياطة والتجارة
 والحجادة وما الشريفة فالموضوع فكان لتوليد والكتابة والورقة والفناء والطب فاما التوليد
 فاما ضرورية في العمران وعامة البلوى اذ بها يحصل حياة المولود وينموا له وموضوعها
 مع ذلك المولودون وامهاتهم واما الطب فهو حفظ الصحة للانسان ودفع المرض عنه

قطعة واحدة وبس الطابية وصناعة الطواب ومن صنائع البناء أيضاً ان تجل المحيطان
 بالكس بعد ان يجل بالماء ويغير اسرعاً أو اسرعاً على قدر ما يعتدل مزاجه عن
 افراط النارية المنسدة للادام فاذن له ما يرشاه من ذلك علاء من فوق المحيط
 وذلك ان يقيم من صنائع البناء عمل السقف بان يمد الخشب الحكمة النجارة او الساذجة
 على حائطي البيت ومن فوقها الابواح كذلك موصولة بالدساتر ويصب عليها التراب
 والكس ويسط بالاراك حتى تندخل اجزاؤها وتقيم ويملى عليها الكس كما يعلى على
 المحيط ومن صناعة البناء ما يرجع الى التيق والتزيين كما يصنع من فوق المحيطان
 الاشكال الجسدية من الجص يحمر بالماء ثم يرجع جسداً رفياً بقية البلل فيشكل على التناسب
 شيئاً بما يقاب الحديد الى ان يبقى له رونق ورواء وربما عولج على المحيطان ايضاً بقطع
 الرخام والاجر والخزف او بالصدف او السنج ينصل اجزاء متجانسة او مختلفة وتوضع في
 الكس على نسب وازواضع مقطرة عندهم يبدو به المحيط للعيان كأنه قطع الرياض المنبهة
 الى غير ذلك من بناء الجباب والصهاريج لسفع الماء بعد ان تعد في البيوت فصاع الرخام
 القوارى الحكمة المنطوق بالنوّهات في وسطها لنوع الماء الجاري الى الصبريج ينصب اليه من
 خارج في التنبات المنفضية الى البيوت وامثال ذلك من انواع البناء وتختلف الصانع في
 جميع ذلك باختلاف المكان والبصر ويعظم عمران المدينة ويتسع فيكثر وترب وربما
 يرجع الحكماء الى نظر هؤلاء فيما هم بصريه من احوال البناء وذلك ان الناس في المدن
 لكثرة الازدحام والعمارة يتشامخون حتى في النضاء والجرء للاعلى والاسفل ومن الانتفاع
 بظاهر البناء ما يتوقع منه حصول السرور في المحيطان فيبيع حجاره من ذلك الا ما كان
 له فيه حتى ويمتدون ايضاً في احتشاق الطرق والمنافذ للمياه التجارية والنضلات المسربة
 في القنوات وربما يدعي بعضهم حتى بعض في حائطه او علوه او قناتو لتفادي الجواران
 يدعي بعضهم على حجاره امتثال حائطه خشية سقوطه ويحتاج الى الحكم عليه جهدهم ودفع
 ضرره عن حجاره عن براه او يحتاج الى قبة دار او عرصة بين شر يكون بحيث لا يقع
 منها فساد في الدار ولا اهل المتفهم وامثال ذلك ويبنى جميع ذلك الا على اهل البصر
 العارفين بالبناء وحواله المستدلين عليها بالمعافاة والتمط ومراكز الخشب وهل المحيطان
 واعند الماء وقسم الماكن على نسبة اوضاعها ونافعها وتسريب المياه في القنوات شيواة
 ومرفوعة بحيث لا تغرب ما تربت عليها من البيوت والمحيطان وغير ذلك فلم هذا كله البصر
 والمخبرة التي ليستة لغيرهم وهم مع ذلك يمتثلون ما يحدوه والصور في الاجيال باعتبار

بعضهم بعضاً فيحتاجون الى حفظ مجتمعتهم بادارة ماء او اسوار تحوطهم ويصير جميعاً مدينة واحدة ومحصراً واحداً ويحيطهم بالحكام من داخل يدفع بعضهم عن بعض وقد يحتاجون الى الانتصاف ويخضعون المعامل والمحصول لم ومن تحت ايديهم مثل الملوك ومن في معانهم من الامراء وكبار القبايل في المدن كل مدينة على ما يتعارفون ويصطلحون عليه ويناسب مزاج هوائهم واختلاف احوالهم في الغنى والفقر وكذا حال اهل المدينة الواحدة فيهم من يتخذ التصور والمصانع العظيمة المساحة المشتملة على عدة الدور والبيوت والفرف الكبيرة لكثرة ولده وحشيه وعياله وتاجه ويؤسس جدرانها بالبحجارة ولطم بينها بالكلس ويعالي عليها بالاصبغة والجص ويالغ في ذلك بالتفديد والتفتيق اظهاراً للبطشة بالعناية في شأن المأوى ويهتني مع ذلك الاسراب والمذايا بالاختزان لاقراء والاصطبلات لربط مقرباته اذا كان من اهل الجبود وكثرة التابع والمحاشية كالامراء ومن في معانهم ومنهم من يبني الدويرة والبيوت لنفسه وسكنه ولده لا يفتني ما وراء ذلك لفصور حاله عنة واقتضاره على الكن الملبهي للبشرى من ذلك مراتب غير متحصرة وقد يحتاج هذه الصناعة ايضا عند تاسيس الملوك واهل الدول المدن العظيمة والمياكل المرتفعة وبنايون في اققان الاوضاع وعلو الاجرام مع الاحكام لتبلغ الصناعة مبالها وهذه الصناعة هي التي تحصل الدواهي لذلك وأكثر ما تكون هذه الصناعة في الاقاليم المعتدلة من المربع وما حولها اذا اقاليم المنفرة لا بناء فيها وإنما يتخذون البيوت حظائر من القصب والطين وإنما يوجد في الاقاليم المعتدلة له واهل هذه الصناعة القائمون عليها متناوتون فيهم الصياد الماهر ومنهم الناصر ثم في تنوع ارباعاً كثيرة فيها البناء بالبحجارة المجددة فيقام بها المجددان ملصقاً بعضها الى بعض بالطين والكلس الذي يمتد معها ويلتصم كالنم جسم واحد ومنها البناء بالتراب خاصة يتخذها لوجان من الخشب مناراً طويلاً وعرضاً باختلاف العادات في الهند وبواسطة اربعة اذرع في ذراعين فيصبان على اساس وقد يبعد ما بينهما بما يراه صاحب البناء في عرض الاساس ويوصل بينهما بالذراع من الخشب يربط عليها بالحبال والمجدد ويسد الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما بالوجين اخرين صغيرين ثم يوضع فيه التراب منطوقاً بالكلس ويركز بالمرآكر الممدة حتى يسم ركبة وينطأ اجزاء ثم يزداد التراب ثانية وثالثة الى ان يمتلى ذلك الخلاء بين اللوجين وقد تدخلت اجزاء الكلس والتراب وصارت جسماً واحداً ثم يهاد نصب اللوجين على الصورة ويركز كذلك الى ان يتم وينطأ الاوضاع كلها سهاراً من فوق سطر الى ان ينتظم الخائط كله ملتصقاً كانه

اعداد تلك النصال بالانتظام الى ان تصير اعضاء ذلك الشكل المخصوص والقائم على هذه الصناعة هو التجار وهو ضروري في العبران ثم اذا تغلبت الحضارة وجاء الترف وثائق الناس فيما يتخذونه من كل صنف من سنف ابواب او كرسي او ما عود حدث الثاني في صناعة ذلك واستجادته بفرانجب من الصناعة كالية ليست من الضروري في شيء مثل الخطوط في الابواب والكراسي ومثل مبرمة القطع من الخشب بصناعة المخرط يحكم برينها وتشكيلها ثم تولف على نسب مقدرة وتلم بالمدساتر فتبدو لراي العين ملتصقة وقد اخذ منها الاختلاف الاشكال على تناسب يصنع هذا في كل شيء يتخذ من الخشب فيحيي اني ما يكون وكذلك في جميع ما يحتاج اليه من الآلات المتخذة من الخشب من اي نوع كان وكذلك قد يحتاج الى هذه الصناعة في انشاء المراكب البحرية ذات الالواح والدسروي اجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار سجي في الماء بقوامه وكله ليكون ذلك الشكل اعون لما في مصادمة الماء وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسك تحريك الرياح وربما اعينت بحركة المذايف كما في الاساطيل وهذه الصناعة من اصلها محتاجة الى اصل كبير من الهندسة في جميع اصنافها لان اخراج الصور من القو الى الفعل على وجه الاحكام يحتاج الى معرفة تناسب في المقادير اما عموماً او خصوصاً وتناسب المقادير لا بد فيه من الرجوع الى المهندسين ولهذا كان ائمة الهندسة اليونانيون كلهم ائمة في هذه الصناعة فكان اقليدس صاحب كتاب الاصول في الهندسة تجاراً وبها كان يعرف وكذلك بلونيوس صاحب كتاب المخرطات وميلاوش وغيرهم وفيما يقال ان معلم هذه الصناعة في الخليفة هو نوح عليه السلام وبها انشأ سفينة النجاة التي كانت بها معجزة عند الطوفان وهذا التجارون كان ممكناً اعني كونه تجاراً الا ان كونه اول من علمها او تعلمها لا يقوم دليل من النقل عليه بعد الاماد وانما معناه والله اعلم الاشارة الى قدم التجارة لانه لم يصح حكايه عنها قبل خبر نوح عليه السلام فعمل كانه اول من تعلمها فتمهم اسرار الصنائع في الخليفة والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

الفصل السابع والعشرون

في صناعة المحيكة والمخباطة

هاتان الصنائعان ضروريان في العبران لما يحتاج اليه البشر من الرفه فالاول لتسج الغزل من الصوف والكتان والظن سداً في الطول والخمات في العرض لذلك التسج

الدول وقومها فانا قدما ان الصنائع وكالها انا هو بكمال الحضارة وكثيرها بكثرة الطالب
لها فلذلك عندما تكون الدولة بدوية في اول امرها تنفق في امر البناء الى غير قطرها
كما وقع للوليد ابن عبد الملك حين اجمع على بناء مسجد المدينة والقدس ومسجده بالنام
فجئت الى ملك الروم بالقسطنطينية في النعلة المهرية في البناء فبعث اليهم من حصل له
غرضه من تلك المساجد وقد يعرف صاحب هذه الصناعة اشياء من الهندسة مثل تسوية
المحيطان بالوزن واجراء المياه باخذ الارشاق وامثال ذلك فيحتاج الى البصريين من
مسائله وكذلك في جرافات الانفاق بالهندام فان الاجرام العظيمة اذا شيدت بالمحارة الكبيرة
يعجز قدر الفعلة عن رفعها الى مكانها من الحوائط فيقلل لذلك مضاعفة قوة الحبل بادخاله
في المعالق من انقاب مقطرة على سبب هندسية نصير الثقل عند معاناة الرفع خفيفا فحين
المراد من ذلك بغير كلفة وهذا انما يتم باصول هندسية معروفة متداولة بين البشر ومثلها
كان بناء الهيكل الماثلة لهذا العهد التي يحسب الناس انها من بناء الجاهلية وان ابدانهم
كانت على نسبتها في العظم الجسدي وليس كذلك وانما تم ذلك بالمحيل الهندسية كما
ذكرناه ففهم ذلك والله يخلق ما يشاء سبحانه

الفصل السادس والعشرون

في صناعة التجارة

هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الخشب وذلك ان الله سبحانه وتعالى
جعل للادي في كل مكون من المكونات منافع تكمل بها ضروراته او حاجاته وكان
منها الشجر فان له فيه من المنافع ما لا ينحصر ما هو معروف لكل احد ومن منافعها
التفادها خشباً اذا ببست واول منافعها ان يكون وقوداً للنيران في معاشهم وعصياً للارتكاف
والذود وغيرها من ضرورياتهم ودعائم ما ينشئ ميلة من انقالم ثم بعد ذلك منافع اخرى
لاهل البدو والمخضر فاما اهل البدو فيحتاجون منها العهد والاولاد لحياتهم والمخدوج
لظعناتهم والرماح والسي والسهام لسلاتهم واما اهل الحضرة فالسقف لبيوتهم والاغلاق
لاجرامهم والكراسي لجلوسهم وكل واحدة من هذه فالحشبة مادة لها ولا تصير الى الصورة
الخاصة بها الا بالصناعة والصناعة المتكفلة بذلك المحصلة لكل واحد من صورها في
التجارة على اختلاف رتبها فيحتاج صاحبها الى تفصيل الخشب اولاً اما بخشب اصغر منه
او الواح ثم تركيب تلك الفصائل بحسب الصور المطلوبة وهو في كل ذلك يحاول بصنعته

لما الوجه وهو معنى الطلق فتكون القابلة معبئة في ذلك بعض الشيء بغير الظاهر والوركين
وما يحتاج الى الرجم من الاسافل تسارق بذلك فعل الدافقة في اخراج المجنين وتسهل ما
يصعب منه بما يمكنها وعلى ما يتهدي الى معرفة عسرة ثم ان اخراج المجنين بقيت بينه
وبين الرحم الوصلة حيث كان يتغذى منها متصلة من سرته بمعاء وتلك الوصلة عضو
فضلي لتغذية الموالود خاصة فتقطعها القابلة من حيث لا يتغذى مكان الفضلة ولا تنسر
بمعاء ولا يرحم أمه ثم تدمل مكان الجراحة منه بالكي او بما تراه من وجوه الاندمال ثم ان
المجنيين عند خروجهم في ذلك الموضع الضيق وهو رطب العظام سهل الانعطاف والانتباه
فربما تتغير اشكال اعضائهم وارضاعها اقرب التكوين وطوبى المواد فتتأولة القابلة
بالفرج من الاصلاح حتى يرجع كل عضو الى شكله الطبيعي ووضعه المتدرلة ويرتد خلة سرياً
ثم بعد ذلك تراجع النساء ويتحاذى بالانزول والملازمة لمخرج اغشية المجنيين لانها ربما
تتاخر عن خروجها ويكوي بعض عند ذلك ان تراجع الماسكة طالما الدليعية قبل استكمال
مخرج الاغشية وفي فضلات فتعفن ويسري عنها الى الرحم فيقع الهلاك فتناذر القابلة
هذا ويحاول في اعادة الدفع الى ان يخرج تلك الاغشية التي كانت قد تاخرت ثم يرجع
الى الموالود فيتم اعضاءه بالادعان والذروا من الفاقصة لئلا يندب وتنهى رطوبة الرحم
وتنكس ارفع لها وتسهل الاستفراغ ببلون دماغه وتفرغه بالقوق لدفع السدد
من معاء وتجوها عن الالتصاق ثم تداوي النساء بعد ذلك من الوهن الذي اصابها
بالطلق وما يلحق رجمها من ألم الانصال اذ الموالود ان لم يكن عضواً طبيعياً فحالة
التكوين في الرحم صعبة بالانتمام كالمضغ المتصل فذلك كان في انصاله او لم يقرب من
الم القليل وتداوي مع ذلك ما يلحق الفرج من ألم من جراحة التمزيق عند الفحص في
المخرج وهذه كلها ادوية يندب هؤلاء القائل ايصرت بدوائها وكذلك ما يعرض للموالود
منه الرضاع من ادواء في بدنه الى حين انصاله ثم بعد ذلك ايصرت بدوائها من الطيب الماهر
وما ذاك الا لان بدن الانسان في تلك الحالة انما هو بدن انساني بالقوة فقط فلذا جاوز
التصال صار بدن انسانياً بالفضل فكانت حاجته حجة الى الطبيب اشد فمذه الانعانة
كما تراه ضرورة في العمان للنوع الانساني لا يتم كبره انما في القالب دونها وقد
يعرض لعدة التنفس النوع الانعانة من هذه الانعانة اما بخلق الله ذلك لم يبره
وشرقا لاعداده كما في معنى الايمان صلات الله وسلامه عليهم او بالعلم هداية لهم لما الموالود
ويظهر عليها فيتم ويترجم من دون هذه الصناعة فاما شأن المجترمة من ذلك فقد وقع

بالانعام الشديد فيتم منها قطع مقدرة فيها الاكسبة من الصوف للاشتغال ومنها الثياب
من الاظان والكتان للباس والصناعة الثانية لتغدير المنسوجات على اختلاف الاشكال
والحوادث تفصل او بالقرص قطعاً مناسبة للاعضاء البدنية ثم تلثم تلك القطع بالمخياطة
الحكيمة وصلاً وتثبيتاً او تقيماً على حسب نوع الصناعة وهذه الصناعة مختصة بالعرمان
الحضري لما ان اهل البدو يستغنون عنها ولما يشتملون الاثواب اشتغالاً ولما تفصيل
الثياب وتقدرها بالحامها بالمخياطة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها وقوم هذه في سر تحرير
المخيط في النسيج لما ان مشروعية النسيج مختلفة على نبيذ العلائق الدنيوية كلها والرجوع الى الله
تعالى كما خلقنا اول مرة حتى لا يعلق العبد قلبه بشيء من عوائد ترفو لا طيباً ولا نساء
ولا غططاً ولا خنثاً ولا تعرض لصيد ولا لشيء من عوائده التي تاورنت بها نفسه وخلفه
مع انه يفتن بها بالمرت ضرورية وانما يبيد كانه وارد الى الحضرة صارعاً بقلبه شغلاً لربو
وكان جزاءه ان ثم له اخلاصة في ذلك ان يخرج من دنوبه كيوم ولدته امه سبحانه ما
ارفقت بعبادك وارحمك بهم في طلب هدايتهم اليك . وهاتان الصنعتان قد تضاف في
المخلقة لما ات الدفء ضروري للبشر في العرمان المعتدل واما المنصرف الى البحر فلا
يحتاج اهله الى دفء ولهذا يلقن اهل الاقاليم الاول من السودان انهم عرارة في الثياب
ولقد هذه الصنائع ينسبها العامة الى ادريس عليه السلام وهو اقدم الانبياء وربما
ينسبونها الى هرمس وقد يقال ان هرمس هو ادريس والله سبحانه وتعالى هو الخلاق العليم

الفصل الثامن والعشرون

في صناعة التوليد

وفي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الادبي من بطن امه ومن الرقيق في
استرجاعه من رحها وبهيئة اسباب ذلك ثم ما يصلح بعد الخروج على ما تذكره وفيه من
بالنساء في غالب الامر لما اتين الظاهرات بعضهن على عورات بعض وتسمى القافة على
ذلك منهن القابلة استعير فيها معنى الاعطاء والقول كان النفساء تعطلها المجنين وكانها
قبلة وذلك ان المجنين اذا استكمل خلفه في الرحم وطواره وبلغ الى طابعه ولدته التي
قد رها الله لمكته وهي تسعة اشهر في القالب فيطلب المخرج بما جعل الله في المولود من
الترزع لذلك ويضيق عليه المنفذ فيعسر وربما مزق بعض جوارب الرحم بالضغط
وربما انقطع بعض ما كان في الاغشية من الالتصاق والانعام با ارحم وهذه الآم يشهد

ان اصل الامراض كلها انما هو من الاغذية كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الجامع
 للطب وهو قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس الداء واصل كل داء البردة فاما قوله
 المعدة بيت الداء فهو ظاهر واما قوله الحمية رأس الداء فالحمية المجموع وهو الاحتقان
 من الطعام والمعنى ان المجموع هو الداء العظيم الذي هو اصل الادوية واما قوله اصل
 كل داء البردة فمعنى البردة ادخال الطعام على الطعام في المعدة قبل ان يتم هضم
 الاول وشرح هذا ان الله سبحانه خلق الانسان وحفظ حياته بالغذاء يستعمله بالاكل
 وينفذ فيه القوى الهاضمة والغاذية الى ان يصير دما ملائما لاجزاء البدن من اللحم والعظم
 ثم تاخذ النامية فينقلب لحما وعظما ومعنى الهضم طبع الغذاء بالحرارة الغريزية طورا بعد
 طور حتى يصير جزءا باللفعل من البدن وتفسره ان الغذاء اذا حصل في الفم ولاكتة
 الاشداق انثرت فيه حرارة النظم طبعيا يسيرا وقلبت مزاجها بعض الشيء كما تراه في اللبنة
 اذا تناولها طعاما ثم اجدها مضغاً فترى مزاجها غير مزاج الطعام ثم يحصل في المعدة
 فتطبخ حرارة المعدة الى ان يصير كيموسا وهو صفو ذلك المطبوخ وترسله الى الكبد وترسل
 ما رسب منه في المعاء فتأخذ الكبد الى المخرجين ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك الكيموس الى ان
 يصير دما عبيطا وتطغو عليه رغبة من النسيج في الصفراء وترسب منه اجزاء يابسة في
 السوداء وينصر الحمار الغريزي بعض الشيء عن طبع الفليظ منه فهو البلم ثم ترسلها الكبد
 كلها في العروق والمجداول وباعدها طبع الحمار الغريزي هناك فيكون غن الدم
 الحاصل بثمار حار يطب به الروح الحيواني وتأخذ النامية ماخذها في الدم فيكون لحما
 ثم غليظة عظاما ثم يرسل البدن ما يفضل عن حاجته من ذلك فضلات مختلفة من العرق
 واللعاب والباطل والدع هذه صورة الغذاء ومخرجه من القوة الى الفعل للحما ثم ان اصل
 الامراض ومعظمها هي المحدمات وسببها ان الحمار الغريزي قد يضعف عن تمام النضج في
 طبعه في كل طور من هذه فيبقى ذلك الغذاء دون نضج وسببه غالباً كثرة الغذاء في
 المعدة حتى يكون اغلب على الحمار الغريزي او ادخال الطعام الى المعدة قبل ان تستوفي
 طبع الاول فيستغل به الحمار الغريزي ويترك الاول بماله او يتوزع عليها فيقص عن
 تمام الطبخ والنضج وترسل المعدة كذلك الى التشديد فلا تقوى حرارة الكبد ايضا على
 انضاجه وربما بقي في الكبد من الغذاء الاول فضلة غير ناضجة وترسل الكبد جميع ذلك
 على العروق غير ناضج كما هو فاذا اخذ البدن حاجته الملائمة ارسله مع الفضلات الاخرى
 من العرق والدع واللعاب ان اقتدر على ذلك وربما يعجز عن الكثير منه فيبقى في العروق

كثيراً ومنه ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد مسروراً مجنوناً واضعاً يديه على الارض شاخصاً بصره الى السماء وكذلك شان عيسى في المهد وغير ذلك وإما شان الالهام فلا ينكر وإذا كانت المحبوبات العجيم تختص بفرائب من الالهامات كاللعل وغيرها فما ظنك بالانسان المنفل عليها وخصوصاً بمن اخنص بكرامة الله . ثم الالهام العام للمولودين في الاقبال على القدي اوضح شاهد على وجود الالهام العام لم فشان العناية الالهية اعظم من ان يحاط به ومن هنا ينهم بطلان راي الثارابي وحكام الاندلس فيما استعملوه لعدم انقراض الانواع واستعماله انقطاع المكونات وخصوصاً في النوع الانساني وقالوا لو انقطعت اشخاص لا يستحال وجودها بعد ذلك لوقوفه على هذه الصناعة التي لا يتم كون الانسان الا بها اذ لو قدرنا مولوداً دون هذه الصناعة وكفنا لها الى حين الفصل لم يتم بقاؤه اصلاً ووجود الصانع دون الفكر ممتمع لانها ثمرة وتابعة له وتكلف ابن سينا في الرد على هذا الرأي لها لتتو اياه وذهابه الى امكان انقطاع الانواع وخرباب عالم التكوين ثم عوده ثانياً لافئضاءات فكرية واطماع غريبة تندرج في الاحقاب يزعمون فتقتضي تخوير طيبة مناسبة لراحه بحرارة مناسبة فيتم كونه انساناً ثم يقبض له حيوان يخلق فيه الالهام لترينيه والمحو عليه الى ان يتم وجوده وفصالة واطن في بيان ذلك في الرسالة التي سبها رسالة حي بن يقظان وهذا الاستدلال غير صحيح وان كانا نوافقة على انقطاع الانواع لكن من غير ما استدلل به فان دليلاً مبني على استناد الافعال الى العلة الموجبة ودليل القول بالناعل المختار يرد عليه ولا واسطة على القول بالناعل المختارين الافعال والقدرة القديمة ولا حاجة الى هذا التكلف . ثم لو سلمناه جدلاً فغاية ما ينبغي عليه اطراد وجود هذا الشخص بخلق الالهام لترينيه في الحيوان الاعجم وما الضرورة الداعية لذلك وإذا كان الالهام بخلق في الحيوان الاعجم فما المانع من خلقه للمولود نفسه كما قررناه أولاً وخلق الالهام في شخص لمصالح نفسه اقرب من خلقه فيه لمصالح غيره فكلا المذهبين شاهدان على انفسهما بالبطلان في مناجهما لما قررته لك والله تعالى اعلم

الفصل التاسع والعشرون

في صناعة الطلب وانها محتاج اليها في المحاضر والامصار دون البادية
هذه الصناعة ضرورية في المدن والامصار لما عرف من فائدها فان غرضها حفظ
الصحة للاصحاء ودفع المرض عن المرضى بالمداواة حتى يحصل لهم البرء من امراضهم واعلم

البادية بوجه وما ذاك إلا الاستغناء عنه إذ لو احتج إليه لوجد لأنه يكون له بذلك في
البدو معاش يدعوهم إلى سكناه ستة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلاً

الفصل الثلاثون

في أن المخط والكثابة من عداد الصنائع الانسانية

وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس ثم
تأتي رتبة من الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة إذ الكثابة من خواص الانسان التي يميز
بها عن الحيوان وايضاً فهي تدل على ما في الضائر وتتأدى بها الاغراض الى البلد البعيد
تتفقد الحجابات وقد دفست مؤنة المباشرة لها ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف
الاولين وما كتبهم من علومهم واخبارهم فهي شريفة بهذه الوجوه والمنافع وخروجها في
الانسان من القفرة الى الفعل انما يكون بالتعليم وعلى قدر الاجتماع وال عمران والتأخي في
الكالات والقالب لذلك تكون جودة المخط في المدينة اذ هو من جملة الصنائع وقد قدمنا
ان هذا شأنها وانها تابعة لل عمران ولذا اتجد أكثر البدو آمين لا يكتبون ولا يقرأون ومن
قرأ منهم او كتب فيكون ختاه قاصراً وقراءة غير نافذة وتجد تعليم المخط في الامصار
المخارج غرابها عن اليد ابلغ واحد من واسهل طريقة الاستيكام الصنعة فيها كما يمكن لنا عن
مهر هذا المهمل وان بها معلمين منتصبين لتعليم المخط يلقون على المتعلم قوانين واحكاماً في
وضع كل حرف ويزيدون الى ذلك المباشرة بتعليم وضعه فتعتمد لديه رتبة العلم والحس
في التعليم وتأتي ملكته على اتم الوجوه وانما اتى هذا من كمال الصنائع ووفرها بكثرة العمران
وانفساح الاعمال وقد كان المخط العربي بالهامة لغة من الاحكام والافقان والجودة في
دولة الدائمة لا بالاضت من الحضارة والترف ودراسي بالمخط المسميري وانتقل منها الى
البحيرة الا كان بها من دولة آل المنذر سبب الشايعة في التصبية والجديد من الملك العرب
بارض العراق ولم يكن المخط عندهم من الاجادة كما كان عند التباينة لقصور ما بين
الدواوين وكاتب الحضارة وتزادها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن البحيرة لغة
ايل الهالانت وقرايش فيما ذكر يقال ان الذي تعلم الكتابة من البحيرة هو سنان بن أمية
ويقال عرب بن أمية وانما دعاه اسم بن سدره وهو قول ممكن واقرب من ذهب الى
انهم نزلوها من اباد ايل العراق لقول شاعرهم

قوم لم ساحة العراق اذا ساروا جميعاً بالمجمل والقلم

والكبد والمعدة وتزايد مع الأيام وكل ذي رطوبة من المتزجات اذا لم يأخذوا الطبخ
والنصح يعنى فيتعفن ذلك الغذاء غير الناضج وهو المسمى بالمخاط وكل متعفن فيه حرارة
غريبة وتلك هي المسببة في بدن الانسان بالحصى واختبر ذلك باطعام اذا ترك حتى
يتعفن وفي الزيل اذا تعفن ايضا كيف تنبعث فيه الحرارة وتأخذ مأخذها فهذا معنى المحميات
في الايدان وهي راس الامراض واصلاها كما وقع في الحديث وهذه المحميات بعلاجها
الغذاء عن المريض اسابيع معلومة ثم يتأوله الاغذية الملائمة حتى يتم برؤه وذلك في حال
الصحة علاج في التحفظ من هذا المرض واصلا كما وقع في الحديث وقد يكون ذلك العفن
في عضو مخصوص فيتولد عنه مرض في ذلك العضو ويحدث جراحات في البدن اما في
الاعضاء الرئيسية او في غيرها وقد يمرض العضو ويحدث عنه مرض التوى الموجودة له
هذه كلها جماع الامراض واصلاها في الغالب من الاغذية وهذا كله مرفوع الى الطبيب
وووقوع هذه الامراض في اهل الحضرة والامصار اكثر لحسب عيشهم وكثرة ماكلهم وقلة
اقتصادهم على نوع واحد من الاغذية وعدم توقيتهم لتناولها وكثيرا ما يخلطون بالاغذية
من التوابل والبقول والفاكهة وطبا وباسا في سبيل العلاج بالاطبخ ولا يقتصرون في ذلك
على نوع او انواع فرما عددنا في اليوم الواحد من الطبخ اربعين نوعا من النبات
والحيوان فيصير للغذاء مزاج غريب وربما يكون غريبا عن ملائمة البدن واجزائهم ان
الاهوية في الامصار تنسد بمخالطة الابتغاة الصغنة من كثرة الفصالات والاهوية منشطة
للاولاج ومقوية بنشاطها الاثر الحار الفريزي في الهضم ثم الرياضة مفقودة لاهل الامصار
اذ هم في الغالب وادعون ساكنون لا تأخذ منهم الرياضة شيئا ولا توتر فيهم اثرا فكان وقوع
الامراض كثيرا في المدن والامصار وعلى قدر وقوعها كانت حاجتهم الى هذه الصناعة واما
اهل البدو فاكثروا قليل في الغالب والمجموع اعلم عليهم لثقل المحبوب حتى صار لهم ذلك
عادة وربما يظن انها جيلة لاستمرارها في الادم قليلة لديهم او مفقودة بالمجيلة وعلاج الطبخ
بالتوابل والفاكهة انما يدعو اليه ترف الحضارة الذين هم همزل عنه فيتناولون اغذيتهم
بسهولة بعيدة عما يحتاجها ويترتب مزاجها من ملائمة البدن واما اهويتهم فقليلة العفن
لثقل الرطوبات والمعنونات ان كانوا اهلين او لاختلاف الاهوية ان كانوا طواغيتا ان
الرياضة موجودة فيهم اكثر الحركة في ركض الخيل او الصيد او طاب المحاجات لمهنة
انفسهم في حاجاتهم فيحسن بذلك كونه الهضم ويجود وينفذ ادخال الطعام على الطعام فتكون
امزجتهم اصلح وابعد من الامراض فتقل حاجتهم الى الطب ولهذا لا يوجد الطبيب سيفا

ذلك كالأ في حقو وبأ نسبة إلى مقامه لشرفه وتزهو عن الصنائع العملية التي هي أسباب
 المعاش وال عمران كلها وأبست الأمية كالأ في حقنا نحن إذ هو مقطوع إلى ربو نحن متعاونون
 على الحياة الدنيا شأن الصنائع كلها حتى العلوم الاصطلاحية فإن الكمال في حقو هو تزهو
 عنها جملة بخلافنا ثم لما جاء الملك للعرب وفتحوا الأمصار ومكثوا المالك ونزلوا البصرة
 والكوفة واحتاجت الدولة إلى الكتابة استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلمه وتداولوه
 فترقت الأجادة فيه واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الاثنان إلا أنها كانت دون
 الغاية والخط الكوفي معروف الرسم لهذا العهد ثم انتشر العرب في الاقطار والمالك وانفتحوا
 أفريقية والاندلس واحتضنوا بنو العباس بغداد وترقت المخطوط فيها إلى الغاية لما استجرت
 في العماران وكانت دار الاسلام ومركز الدولة العربية وكان الخط البغدادي معروف
 الرسم وتبعه الأفريقي المعروف رسمه لهذا العهد ويقرب من أوضاع الخط المشريقي
 ويخيز ملك الاندلس بالأمويين فتميزوا بأحوالهم من الحضارة والصنائع والمخطوط فتميز
 صنف خطهم الاندلسي كما هو معروف الرسم لهذا العهد وطاير العماران والحضارة في
 الدول الإسلامية في كل قطر وعظم المملك وتفتت أسواق العلوم وانتشرت الكتب واجيد
 كتبها وتداولها وملئت بها القصور والخزائن المملوكية بما لا كفاة له وتنافس أهل الاقطار
 في ذلك وتنافسوا فيه ثم لما انحط نظام الدولة الإسلامية وتناقصت تناقص ذلك اجمع
 ودرست معالم بغداد بدروس الخلافات فانتقل شأنها من الخط والكتابة بل والعلم إلى
 مصر والقاهرة فلم تزل أسواقها بها نافذة لهذا العهد وله بها معلمون يسمون لتعليم المعروف
 بقولان في وضعها واشكالها متعارفة بينهم فلا يلبث المتعلم أو يتحكم اشكال تلك المعروف
 على تلك الأوضاع وقد لقنها حسناً وحذق فيها درية وكتاباً واخذها قبايين عملية فقيهي
 احسن ما يكون وأما أهل الاندلس فافترقوا في الاقطار عدد ثلاثي ملك العرب بها
 ومن خلفهم من البربر وتغلبت عليهم أمم النصرانية فانتشروا في عدوة المغرب وأفريقية
 من لدن الدولة القتونية إلى هذا العهد وشاركوا أهل العماران بما لديهم من الصنائع
 وتعلفوا بأذيال الدولة مغالب خطهم على الخط الأفريقي وعنى عليه ولسي خط القباير وان
 والمهلبية بنسبان على أنهما وصنائعها وصارت مخطوط أهل أفريقية كلها على الرسم
 الاندلسي بنسبها وما إليها لتوفر أهل الاندلس بها عند الجمالية من شرق الاندلس
 وبقي منه رسم ببلاد الجريد الذين لم يحاطوا بكتاب الاندلس ولا تفرسوا بمجوارهم إنما
 كان يغدون على دار المالك بنونس فصار خط أهل أفريقية من احسن مخطوط أهل

وهو قول يعبد لان ابادا وان نزلوا ساحة العراق فلم يزلوا على شاكلتهم من البدو والمخط
من الصنائع الحضرية وانما معنى قول الشاعر انهم اقرب الى المخط والقلم من غيرهم من
العرب لقرتهم من ساحة الامصار وضواحيها فالقول بان اهل الحجاز انما اتوها من الحيرة
ولقنها اهل الحيرة من النباغة وحمير هو الاقرب من الاقوال وكان لحمير كتابة تسمى
المسد حروفها منفصلة وكانوا ينعون من تعلمها الا باذنهم ومن حمير تعلمت مصر الكتابة
العربية الا انهم لم يكونوا يجيدون لها شان الصنائع اذا وقعت بالبدو فلا تكون بحكمة
المذاهب ولا مائلة الى الاتقان والتحقيق لكون ما بين البدو والصناعة واستغناء البدو عنها
في الاكثر وكانت كتابة العرب بدوية مثل او قريبا من كتابتهم لهذا العهد او نقول ان
كتابتهم لهذا العهد احسن صناعة لان هؤلاء اقرب الى الحضارة ومخالطة الامصار والدول
واما ماضر فكانوا اعرق في البدو والبعد عن الحضرة من اهل اليمن واهل العراق واهل الشام
ومصر فكان المخط العربي لاول الاسلام غير بالغ الى الغاية من الاحكام والاتقان والاجادة
ولا الى التوسط لمكان العرب من البدو والتوحش وبعدهم عن الصنائع وانظر ما وقع
لاجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسموا الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الاجادة
فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة المخط عند اهلنا ثم اقتفى التابعون من السلف
رسمهم فيها تبركا بما رسمه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير الخلق من بعده المتألفون
لوجه من كتاب الله وكلامه كما يقتضي هذا العهد خطوني اوعا لم تتركوا ويتبع رسمه خطأ او
صولا كما بين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبه فاتبع ذلك واثبت رسمنا وبنه العلماء بالرسم على
مواضعه ولا تلتفتن في ذلك الى ما يزعمه بعض المغفلين من انهم كانوا يحكمون لصناعة المخطولان
ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لاصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكتبا وجهه ويقولون في مثل زيادة
الالف في لا اذبحنه انه تنبيه على ان الذبح لم يقع وفي زيادة الياء في يا ايده انه تنبيه على كمال
القدرة الربانية والمثال ذلك ما لا اصل له الا التحكم المخص وما حملهم على ذلك الا
اعتقادهم ان في ذلك تنازعا للصعابة عن زعم النقص في قلة اجادة المخط وحسب ان المخط
كال فنزهه عن نقصه ونسبوا اليهم الكمال باجادته وطلبوا تعليلا ما خالف الاجادة من
رسمه وذلك ليس بصحيح . واعلم ان المخط ليس بكامل في حتمه اذ المخط من جملة الصنائع
المدنية المعاشية كما رابطة فيما مروا الكمال في الصنائع اضافي وليس بكامل مطلقا اذ لا يعود
نقصه على الذات في الدين ولا في الخللا وانما يعود على اسباب المعاش ويحسب العمران
والتعاون عليه لاجل دلالة على ما في النفوس . وقد كان صلى الله عليه وسلم اميا وكان

العلمية وتصحيحها بالرواية المسندة الى مؤلفيها وواضعيها لانه الشان الامم من التصحيح
 والضبط فبدلت تسند الاقوال الى قائلها والفتيا الى المحاكم بها المجتهد في طريق استنباطها
 وما لم يكن تصحيح المتن باسنادها الى مدققيها فلا يصح اسناد قول لم ولا فتيا وهكذا كان
 شان اهل العلم وحملته في العصور والاجيال والافاق حتى لقد قصرت فائدة الصناعة
 المحمدية في الرواية على هذه فقط اذ ثمرتها الكبرى من معرفة صحيح الاحاديث وحسنها
 ومسندها ومرسلها ومقطوعها وموقوفها من موضوعها قد ذهبت ونقصت زبدة في ذلك
 الامهات المتفقا بالقبول عند الامة وصار القصد الى ذلك لغوا من العمل ولم تبق ثمرة
 الرواية والاستغفال بها الا في تصحيح تلك الامهات المحمدية وسواها من كتب الثقة للفتيا
 وغير ذلك من الدواوين والالتفات العلمية واتصال سندها بمؤلفيها ليصح النقل عنهم
 والاسناد اليهم وكانت هذه الرسوم بالشرق والاندلس معبدة الطرق واضحة المسالك
 ولهذا نجد الدواوين المتسقة لذلك العهد في اقطارهم على غاية من الاتقان والاحكام والصححة
 ومنها هذا العهد بايدي الناس في العالم اصول عتيقة تشهد ببلوغ الغاية لم في ذلك واهل
 الافاق يتناقلونها الى الان ويشدون عليها يد الضمانة ولقد ذهبت هذه الرسوم لهذا
 العهد جملة بالمغرب واهل الانقطاع صناعة الخط والضبط والرواية منه باسقاط عمراوه
 وبداء اهاو وصارت الامهات والدواوين تتبخر بالخطوط البدوية تستحقها طلبة البربر
 صيانتهم مستحجة برداء الخط وكثرة الفساد والتصحيح فتستغنى على تصحيحها ولا يحصل
 منها فائدة الا في الاقل النادر وايضا فقد دخل الخلل من ذلك في الفتيا فان غالب
 الاقوال المنزوعة غير مروية عن ائمة المذهب وانما تتلقى من تلك الدواوين على ما هي طوي
 ونوع ذلك ايضا ما يتصدى اليه بعض ائمتهم من التاليف لقله بصرهم بصانعوه وعدم الصناعة
 الرافية بتقاصده ولم يبق من هذا الرسم بالاندلس الا اثاره خفية بالامناء وهي على
 الاضمحلال فقد كاد العلم ينقطع بالكاتب من المغرب والله غالب على امره ويلغوا لهذا
 العهد ان صناعة الرواية قائمة بالشرق وتصحيح الدواوين لمن يرويه بذلك سهل على
 متبعيه لتناق اسواق العلوم والصنائع كما نذكره بعد ان الخط الذي بقي من الاجادة
 في الانساح هنا لك انما هو للجم وفي خطوطهم واما النسخ بصر ففسد كما فسد بالمغرب
 واشد والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

الاندلس حتى اذا نفصل ظل الدولة الموحدية بعض الشيء وتراجع امر الحضارة والترف
وتراجع العمران نفص حينئذ حال الخط وقسدت رسومه وجهل فيه وجه التعلم بنسب
الحضارة وتناقص العمران ونقصت فيه اثار الخط الاندلسي تشهد بما كان لهم من ذلك الا
قدسناه من ان الصنائع اذا رخصت بالحضارة فيعسر شهورها وحصل في دولة بني مرين من
بعد ذلك بالمغرب الأقصى لون من الخط الاندلسي لقرب جوارهم وسقوط من خرج
منهم الى فارس فربما واستعالم ايام سائر الدولة ونسب عهد الخط فيما بعد عن سدة
الملك وداره كانه لم يعرف فصارت الخطوط باغريقية والمشرقية مائلة الى الرمامة بعيدة
عن الجودة وصارت الكتب اذا كتبت فلا فائدة شمل تصنيها منها الا الفناء
والهفوة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصنيف وتبر الانكسار الخساسة عن الجودة حتى
لا تكاد تقرأ الا بعد عسر ووقوع فيه ما وقع في سائر الصنائع بتقص الحضارة وفساد
الدول والله اعلم

الفصل السادس والثلثون

في صناعة الوراقة

كانت الصناعة قديماً بالدواوين العلمية والسيارات في نسخها وتجليدها وتصنيعها
بالرعاية والضبط وكان سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة وقد ذهب
ذلك لهذا العهد بهاب الدولة وتناقص العمران بعد ان كان منه في الملة الاسلامية بحر
زاخر بالعراق والاندلس اذ هو كله من توابع العمران واتساع نطاق الدرلة ونفاق اسواق
ذلك لدمجها فكثرت النسايب العلمية والدواوين وحصر الناس على توافرها في الافاق
والاعمار فانشئت وجادت وجاءت صناعة الوراقين المصانيف للانصاع والتصنيع
والتجليد و امر الامور الكتابية والدواوين واختصت بالامصار العظمى بالعمران وكانت
الصناعات اولاً لا تساغ العلوم وكتب الرسائل السلالية والافلاجات والصكوك في
الرقوق المبهاء بالصناعة من الجهد لكثرة الرقعة وقلة النسايب صدر الملة كما تذكره وقلة
الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك فانحصرت على الكتاب في الرق نشرتها الكتب بابت
وميلها الى الصلابة والانتان ثم طرأ بعد ذلك في التدوين وكثرة ترسيل السلطان وصكوكه
وضاق الرق عن ذلك فانتار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد وصنعه وكتب فيه رسائل
السلطان وصكوكه وانتدعه الناس من بعده صحتا لكتبهم بالعلم السلطانية والدينية وبانت
الاجادة في صناعتها ما شاءت ثم رفقت عناية اهل العلوم بهم اهل الدول على صيد الدواوين

عليها بعد ان يطل بالشع والكندر ويقطع الصوت فيه بتخفيف اليد في امراره او نقله من
 وتر الى وتر واليد اليسرى مع ذلك في جميع الات الاوتار توقع باصابعها على اطراف
 الاوتار فيما يقرع او يملك بالوتر فتحدث الاصوات متناسبة ملندودة وقد يكون القرع في
 الطحوت بالقبضان او في الاعواد بعضها ببعض على توقع متناسب يحدث عنه اللذات
 بالمصنوع ولينون لك السبب في اللذة الناشئة عن اللذات وذلك ان اللذة كما تتر في
 موضعها في ادراك الملائم والمحموس انما تترك مئة كيميائية فاذا كانت مناسبة للمدرك علامة
 كانت ملندودة واذا كانت منافية له متفارقة كانت موانة فالملائم من التلحوم ما ناسب
 كيميائية حساسة الذوق في مزاجها وكذا الملائم من الملمسات وفي الروائح ما ناسب مزاج
 الروح القلبي البخاري لانه المدرك واليه ترتد الحاسة ولهذا كانت الرياحين والازهار
 العطريات احسن رائحة واشد ملائمة للروح لغلبة الحرارة فيها التي هي مزاج الروح
 القلبي وما البريات والمصنوعات فالملائم فيها تناسب الارضائع في اشكالها وكيفية انما هي
 انصب عند النفس واشد ملائمة لها فاذا كان المرئي متناسبا في اشكاله وتخطيطه التي
 له بحسب مادته بحيث لا يخرج عما تتخذه مادته الخاصة من كمال الملائمة والوضع وذلك
 هو معنى الجمال والحسن في كل مدرك كان ذلك حيث يتناسبه تناسباً للنفس المدركة فتلك
 بادراك ملائمتها ولهذا تجد العاتين المذنبين في الحبة يعبرون عن غاية همتهم وحشيتهم
 بامتزاج ارواحهم بروح المحبوب وفي هذا سر تنبهه ان كنت من اهله وهو اتحاد المبدأ
 وان كان ما سواك اذا نظرت وتاملت رأيت بينك وبينه اتحاداً في البداية يشهد لك به
 اتحاد كما في الكزن ومعتاه من وجه اشراؤ الربوبية يشرك بين الموجدات كما نقول
 الحكاء فيود ان يمتزج بمشاهدات فيه الجمال فتد به بل تروم النفس حينئذ الخروج عن
 الوجود الى الحقيقة التي هي اتحاد المبدأ والكون ولما كان انفس الانبياء الى الانساق واقربها
 الى ان يدرك الكمال في تناسب مرضوعها هو شكله الانساني فكان ادراكه للجمال والحسن
 في تخطيطه واصواته من المدارك التي هي اقرب الى فطرته في كل انسان بالحسن من
 المرئي او المصنوع يمتزج النظرة بالحسن ان تكون الاصوات متناسبة لا متنافرة
 وذلك ان الاصوات لها كيميائية من الحمس والجر والرخاوة والنبدة والقلقة والاضطراب
 وغير ذلك والتناسب فيها هو الذي يوجب لها الحسن فالاول ان لا يخرج من الصوت
 الى مائة دفقة بل بتدرج ثم يرجع كذلك وهكذا الى المثل بل لا بد من توسط المفاهيم
 بين الصوتين وتامل هذا من افتتاح اهل اللسان التراكيب من الحروف المتنافرة ان

الفصل الثاني والثلاثون

في صناعة الفناء

هذه الصناعة في تعيين الاشعار الموزونة بتقطيع الاصوات على نسب منتظمة معروفة
 يوقع كل صوت منها توقيفا عند قطعه فيكون نغمة ثم توافي تلك النغم بعضها الى بعض
 على نسب متعارفة فيلزم سماعها لاجل ذلك التناسب وما يحدث عنه من الكيفية في تلك
 الاصوات وذلك انه تبين في علم الموسيقى ان الاصوات تتناسب فيكون صوت نصف
 صوت وربع اخر وخمس اخر وسبعة من احد عشر من اخر واختلف هذه النسب عند
 تاديبها الى السمع يخرجها من البساطة الى التركيب وليس كل تركيب منها ملذذا
 عند السماع بل تركيب خاصة هي التي حصرها اهل علم الموسيقى وتكلموا عليها كما هي
 ملذرة في موضع وقد يساوق ذلك التلحين في النغبات الثمانية بتقطيع اصوات اخرى
 من الجهادات اما بالقرع او بالنفخ في الآلات فتخذ لذلك فكري لما لذة عند الدماغ فيها
 لهذا العهد اصناف منها ما يسمونه الشبابية وهي قصبة جوفاء بانفخاش في جدرانها معدودة
 بنفخ فيها فتصوت ويخرج الصوت من جوفها على سداده من تلك الانفخاش ويقطع الصوت
 بوضع الاصابع من اليدين جميعا على تلك الانفخاش وضعا متعارفا حتى تحدث النسب
 بين الاصوات فيه وتصل كذلك متناسبة فيلزم السمع ادراكها للتناسب الذي ذكرناه
 ومن جنس هذه الآلة المزمار الذي يسمى الزلامي وهو شكل القصبة مضونة الجانبيين من
 الخشب جوفاء من غير تدوير لاجل اختلافها من قطعتين منفردتين كذلك بانفخاش
 معدودة بنفخ فيها بقصبة صغيرة توصل فينشد النفخ بواسطة اليدين وتصوت بنغمة حادة
 يجري فيها من تقطيع الاصوات من تلك الانفخاش بالاصابع مثل ما يجري في الشبابية ومن
 احسن آلات الزمر لهذا العلم السوق وهو يوق من نحاس اجوف في مقدار الذراع يتسع
 الى ان يكون انفراج يخرج منه في مقدار دون الكف في شكل بري القلم وينفخ فيه بقصبة صغيرة
 تودي الرع من القم اليه فيخرج الصوت ثجنا دويًا وفيه انفخاش ايضا معدودة وتقطع نغمة
 منها كذلك بالاصابع على التناسب فيكون ملذذا ومنها آلات الاوتار وهي جوفاء كلها
 اما على شكل قطعة من الكرة مثل البربط والراباب او على شكل مزيج كالقانون وتوضع
 الاوتار على بساطها مشدودة في راسها الى دساتر جائلة لتياني شد الاوتار ورخوها عند
 الحاجة اليه بادارتها ثم تفرع الاوتار اما بمود اخر او بوتر مشدود بين طرفي قوس يمر

تنتفي في مذاهب المذوذات وكان في سلطان العجم قبل الملة منها بحر راخر في امصارهم
ومدينتهم وكان ملوكهم يتخذون ذلك ويولعون به حتى لقد كان الملوك الفرس اهتماما به
هذه الصناعة ولم يكن في دولتهم وكانوا يجتهدون ومشاهدتهم ومجامعهم ويغنون فيها وهذا
شان العجم لهذا العهد في كل اقل من اقلهم ومملكة من ممالكهم واما العرب فكان لم
اولا فن الشعر يولنون فيه الكلام اجزاء متساوية على تناسب بينها في عدة حروفها
المتحركة والساکنة ويفصلون الكلام في تلك الاجزاء تفصيلا يكون كل جزء منها مستقلا
بالافادة لا ينقطع على الاخر ويسمونه البيت فتلائم الطبع بالتمجيزية اولا ثم تناسب
الاجزاء في المقاطع والمبادي ثم بتادية المعنى المقصود وتطابق الكلام عليها فليعلموا
من بين كلامهم بجم من الشعر ليس لغزهم لاجل اختصاصه بهذا التناسب وجعلوه
ديوانا لاخبارهم وحكمهم وشرفهم وشعرا لغزهم في اصابة المعاني واجادة الاساليب واستمرارها
على ذلك وهذا التناسب الذي من اجل الاجزاء والمتحرك والساکن من الحروف قطرة
من بحر من تناسب الاصوات كما هو معروف في كتب الموسيقى الا انهم لم يشعروا بها
سواء لانهم حينئذ لم يتفكروا علميا ولا عرفوا صناعة وكانت البداية اغلب شعاعهم ثم تغنى الحداثة
منهم في حداثتهم والتميز في فضاء خلواتهم فرجعوا الاصوات وترنوا وكانوا يسمون
الترنم اذا كان بالسر غناء واذا كان بالنهليل او نوع القراءة تغييرا بالعين المتغيرة
والياء الموحدة وعليها ابو اسحاق الزجاج بانها تذكر بالفاير وهو الباقي اي باحوال
الآخرة وربما ناسبوها في غنائهم بين النفقات مناسبة بسيطة كما ذكره ابن رشيق اخر كتاب
العبدية وغيره وكانوا يسمونه السناد وكان اكثر ما يكون منهم في الخفيف الذي يرقص
عليه ويمشي بالدف والمزمار فيضطرب ويستغنى المحلوم وكانوا يسمون هذا المزج وهذا
البسيط كله من التلاحين هو من اوائله ولا يبعد ان تنقل له الطابع من غير تعليم شان
البساط كاهل من الصناع ولم يزل هذا شان العرب في ديارهم وجاهليتهم فلما جاء الاسلام
واستولوا على ما لك الدنيا وحازوا سلطات العجم وغلّبهم عليه وكانوا من البداية
والغضاضة على الحال التي عرفت لم مع غضاضة الدين وشدة في ترك احوال الفراع
وما ليس سافع في دين ولا معاش فليجروا ذلك شيئا ما ولم يكن المذوذ عديم لا يرجع
القراءة والترنم بالشعر الذي هو ديدنهم ومذهبهم فلما جاءهم الشعر وعلمهم الرفعة
بما حصل لهم من غنائهم الامم صاروا الى نصارة العيش ورقة الحاشية واستقلوا الفراغ
وافترق الغنون من الفرس والروم فوقعوا الى الحجاز وصاروا من العرب وغنوا جميعا

المتعارفة الخارج فانه من باب وفاقا تناسبها في الاجزاء كما مر اول الباب يخرج من
 الصوت الى نصه او ثلثه او جزءه من كذا مئة على حسب ما يكون التنقل مناسباً على ما
 حصره اهل الصناعة فاذا كانت الاصوات على تناسب في الكيفيات كما ذكره اهل تلك
 الصناعة كانت ملائمة ملذوفة ومن هذا التناسب ما يكون بسيطاً ويكون الكثير من
 الناس مطهرين عليه لا يحتاجون فيه الى تعليم ولا صناعة كانهج المطبوعين على الموازين
 الشعرية وتوقيع الرقص وامثال ذلك وتسمى العامة هذه القابلة بالمضمار وكثير من
 القراء بهذه الملامة يقرؤون القرآن فيجدون في تلاحين اصواتهم كأنها المزامير فيطربون
 بحسن مساقم وتناسب نغمهم ومن هذا التناسب ما يحدث بالتركيب وليس كل الناس
 يستوي في معرفته ولا كل الطباع توافق صاحبها في العمل به اذا علم وهذا هو الغليون
 الذي يتكفل به علم الموسيقى كما نشرجه بعد عند ذكر العلوم وقد انكر مالك رحمه الله
 تعالى القراءة والتلحين واجازها الشافعي رضي الله تعالى عنه وليس المراد تلحين الموسيقى
 الصناعي فانه لا ينبغي ان يختلف في خطره اذ صناعة الغناء مباينة للقرآن بكل وجه لان
 القراءة والاداء تحتاج الى مقدار من الصوت لتعين اداء الحروف لا من حيث اتباع
 الحركات في موضعها ومقدار المد عند من بطلقة او يقصره وامثال ذلك والتلحين ايضا
 يتعين له مقدار من الصوت لا يتم الا به من اجل التناسب الذي قلناه في حقيقة التلحين
 واعتبار احدهما قد يخل بالآخر اذا تعارضا وتقدم الرولية متعين من نصير الرواية
 المتقولة في القرآن فلا يمكن اجتماع التلحين والاداء المتعبر في القرآن بوجه وانما مرادهم
 التلحين البسيط الذي يمتد اليه صاحب المضمار بطبعه كما قدمناه فردد اصواته تردباً
 على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره ولا ينبغي ذلك بوجه كما قاله مالك هذا هو
 محل الخلاف والظاهر تنزيه القرآن عن هذا كما ذهب اليه الامام رحمه الله تعالى
 لان القرآن محل خشوع بذكر الموت وما بعده وليس مقام التذاذ بادراكه المحسن من
 الاصوات وهكذا كانت قراءة الصحابة رضي الله عنهم كما في اخبارهم وانما قوله صلى الله
 عليه وسلم لقد اوتي مزماراً من مزامير آل داود فليس المراد به التردد والتلحين انما
 معناه حسن الصوت واداء القراءة والابانة في مخارج الحروف والنطق بها واذا قد ذكرنا
 معنى الغناء فاعلم انه يحدث في النهران اذا توشق وتجاوز حد الضروري الى الحجابي ثم
 الى الكلافي وتفتنوا فيحدث هذه الصناعة لانه لا يستدعيها الا من فرغ من جميع حاجاته
 الضرورية والمهمة من المعاش والمأكل وغيره فلا يظلم الا الفارغون عن سائر احوالهم

فهذا كانت المحسنة في التجربة فتبد عتلاً في الملكات الصناعية فتبد عتلاً في الحضارة الكاملة
فتبد عتلاً لأنها مجموعة من صناعات في شأن تدبير المنزل ومعايشة أبناء الجنس وتخصيل
الآداب في جناتهم ثم القيام بأمور الدين وإعبار آدابها وشراعتها وهذه كلها قوائم
تتقدم عموماً فيحصل منها زيادة عقل والكتابة من بين الصناعات أكثر إفادة لذلك لأنها
تفعل على العلوم والافتقار بخلافه الصناعات ويانه أن في الكتابة انتقالاً من الحروف
المعجمة إلى الكلمات المنطقية في الخيال ومن الكلمات المنطقية في الخيال إلى المفاتيح التي
في النفس ذلك دائماً فيحصل لما ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات وهو معنى النظر
العقلي الذي يكسب العلوم المجهولة فيكسب بذلك ملكة من العقل تكون زيادة عقل
ويحصل بقوة فطنة وكسب في الأمور لا تعود من ذلك الانتقال ولذلك قال
كسرى في كتابه لما رأى تلك الفطنة والكسب فقال دبرانه أي شياطين وجنون قالوا
وذلك أصل اشتقاق الديوان لاهل الكتابة ويظهر بذلك الحساب فأن في صناعة
الحساب نوعان فصنف في العدد بالضم والتفريق يحتاج فيه إلى استدلال كبير فينبغي
متعمقاً للاستدلال والتدبر وهو معنى العقل والله اعلم

الفصل السادس

من الكتاب الأول

في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائل وجوده وما يعرض
في ذلك كالمزاج والحوال وفيه مقدمة ولواحق

الفصل الأول

في أن العلم والتعليم طبيعي في الحيوانات البشري

وذلك أن الإنسان قد شاركه جميع الحيوانات في حيوانيته من الجنس والحرارة
والغذاء ولكن وغير ذلك وإنما يتميز عنها بالفكر الذي يمتد في التخلص معاشها والمعاون
عليه أبناء جنسها والاجتماع المهيء لذلك التعاون وقبول ما جاءته من الأنبياء عن الله
تعالى والسبل في أنواع صلاح أخيراً فهو مفكر في ذلك كله دائماً لا ينسى الذكر فيه
طرفة عين بل اختلاجه الفكر أسرع من لمح البصر وعن هذا الفكر تنبأ العلوم وما قدسما
من الصناعات فملاجه هذا الفكر مما جعل عليه الإنسان بل الحيوانات من تفصيل ما تستدعيه

بالاعيدان والطباير والمعازف والمزامير ومع العرب لطيبتهم للاصوات لطحنها عليها اشعارهم
 وظهر بالمدنية نهيط الفارسى وطوى يس وما نسب حازم مؤلف عبيد الله ابن جعفر فسمي شعر
 العرب ولحنه واجادوا فيه وطار لم ذكر ثم اخلف عنهم معبد وطبقته وابن سريج وانظاره
 وما زالت صناعة الفناء تتدرج الى انك كملت ايام بني العباس عند ابراهيم بن المهدي
 وابراهيم الموصلي وابنة اسحاق وابنة حماد وكان من ذلك في دولتهم ببغداد ما تبعه المحدث
 بعده يروى بها اسم هذا العهد وامعنى في اللهو واللعب واتخذت آلات الرقص في الملبس
 والقضبان والاشعار التي يترنم بها عليه وجعل صنفاً وحده واتخذت آلات اخرى الرقص
 تسمى بالكرج وهي تماثيل نحيل مسرجة من الخشب معلقة باطراف اقنية بلبسها النسوان
 ويمحاكين بها امتطاء الخيل فيكرونها ويفرون ويشاققون وامثال ذلك من اللهب المهد
 للولائم والاعراس وابام الاعياد ومجالس الفراغ والهو وكثير ذلك ببغداد وامصار
 العراق وانتشر منها الى غيرها وكان للموصليين غلام اسمه زرباب اخذ عنهم الفناء فاجاد
 فصره الى المغرب فمعه مئة تلميذ بالبحر بن همام بن عبد الرحمن الداخل امير الاندلس
 فبالغ في تكميمه وركب للقائه واتي له الجواز والاقطاعات والبحرايات واحله من دولته
 ونسبته بمكان فاورث بالاندلس من صناعة الفناء ما تناقله الى ازمان الطليق
 وطما منها باشبيلية بمرز آخر وتناقل منها بعد ذهاب غصارتها الى بلاد المدونة بافرقية
 والمغرب وانقسم على امصارها وجها الانب منها صباية على تراجع عمرانها وتناقص دولها
 وهذه الصناعة اخر ما يحصل في النهران من المصانع لانها كالية في غير وظيفة من
 الوظائف الا وظيفة الفرائخ والفرج وهو ايضا اول ما ينقطع من النهران عند اختلاف
 وتراجعهم والله اعلم

الفصل الثالث والثلاثون

في ان الصنائع تكسب صاحبها عقلاً وخصوصاً الكتابة والحساب

قد ذكرنا في الكتاب ان النفس الناطقة للانسان انما توجد فيه بالقوة وان خرجها
 من القوة الى الفعل انما هو بتجدد العلوم والاشراكات عن المحسوسات اولاً ثم ما يكسب
 بعدها بالقوة النظرية الى ان يصير ادراكاً بالالفعل وهناك منقضا فتكون ذاتا روحانية
 ويستكمل حيث قلنا وجودها فوجب لذلك ان يكون كل نوع من العلم والنظر يفيد
 هناك فريقاً والصنائع ايضاً يحصل عنها وعن ملكها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة

وكان فيها العلوم والصنائع اسواق نافعة وبحور زاخرة ورجع فيها التعليم لامتداد عصورها
وما كان فيها من الحضارة فلما خرجنا انقطع التعليم من المغرب الا قليلاً كان في دولة
الموحدين براكش مستنفاداً منها ولم ترجع الحضارة براكش لبداء الدولة الموحدية في اولها
وقرب عهد انقراضها بمبدها فلم تنصل احوال الحضارة فيها الا في الاقل من انقراض
الدولة براكش ارجل الى المشرق من افريقية القاضي ابو القاسم بن زيتون لهد واسط
المائة السابعة فادرك تلميذ الامام ابن الخطيب فاخذ عنهم ولقن تعليمهم وحقق في العقليات
والفاليات ورجع الى تونس بعلم كثير وتعليم حسن وجاء على اثره من المشرق ابو عبد
الله بن شعيب الدكالي كان ارجل اليه من المغرب فاخذ عن مشيخة مصر ورجع الى تونس
واستقر بها وكان تعليمة مفيداً فاخذ عنها اهل تونس واتصل سند تعليمها في تلاميذها
جيلاً بعد جيل حتى انتهى الى القاضي محمد بن عبد السلام شارح ابن الحاجب وتلميذه
وانتقل من تونس الى تلمسان في ابن الامام وتلميذه فانه قرأ مع ابن عبد السلام على
مشيخة واحدة وفي مجالس باعياها وتلميذ ابن عبد السلام بتونس وابن الامام بتلمسان
لهذا العهد الا انهم من الفتلة بحيث يمتحن انقطاع سندهم ثم ارجل من زوارة في اخر المائة
السابعة ابو علي ناصر الدين المشدالي وادرك تلميذ ابي عمرو بن الحاجب واخذ عنهم
ولقن تعليمهم وقرأ مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة وحقق في العقليات
والفاليات ورجع الى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد ونزل ببجاية واتصل سند تعليمه في
طلبتها وربما انتقل الى تلمسان عمران المشدالي من تلميذه واوطنها وبث طريقتة فيها
وتلميذه لهذا العهد ببجاية وتلمسان قليل او اقل من القليل وبقيت فاس وسائر اقطار
المغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والفيروان ولم تنصل سند
التعليم فيهم فمسر عليهم حصول الملكة والمحقق في العلوم وابسر طرق هذه الملكة فتق
اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرادها فيجد
اطالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من اعوام في ملازمة المجالس العلمية سكرتارياً لا يظفون
ولا يناوضون وعنايتهم بالحفظ اكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف
في العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من يرى منهم انه قد حصل تجدد ملكته قاصرة في علمه ان
فارض او ناظر او حلم وبانها انهم المتصور الا من قبل التعليم وانقطاع سنده ولا تمنعهم
ابليغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم بوظائفهم انه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك
وما يشهد بذلك في المغرب ان المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عند موت عقرة

الطباع فيكون الفكر راغياً في تحصيل ما ليس عنده من الإدراكات فيرجع الى من سبقه
يعلم او زاد عليه بمعرفة او ادراك او اخذ من تقدمه من الانبياء الذين يبلغونه بان
تلقاه فيلقن ذلك عنهم ويحرص على اخذه وعليه ثم ان فكره ونظره يتوجه الى واحد واحد
من الحقائق وينظر ما يعرض له لذاته واحداً بعد اخره ويمرّ على ذلك حتى يصير
الحقائق العوارض تلك الحقيقة ملكة له فيكون حينئذ عليه ما يعرض لتلك الحقيقة علماً
مختصاً وتشتوف نفوس اهل الجبل الناشئ الى تحصيل ذلك فيفزعون الى اهل معرفته
ويجيء التعليم من هذا فقد تبين بذلك ان العلم والتعليم طبيعي في البشر

الفصل الثاني

في ان التعليم للعلم من جملة الصنائع

وذلك ان المحدث في العلم والفنون فيه والاستيلاء عليه انما هو بمحصل ملكة في
الاحاطة بمبادئ وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من اصوله وما لم تحصل
هذه الملكة لم يكن المحدث في ذلك الفن المتناول حاصلًا وهذه الملكة هي في غير الفهم والوعي
لاننا نجد فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد ووعبها مشتركاً بين من شدا في ذلك الفن
وبين من هو مبتدئ فيه وبين العاقل الذي لم يحصل علماً وبين العالم الغريب والملكة
انما هي للعالم او الشاقي في الفنون دون من سواها فدل على ان هذه الملكة غير الفهم
والوعي والملكات كلها جسمانية سواء كانت في البدن او في الدماغ من الفكر وغيره
كالحساب والمجانيات كلها محسوسة فتنتقل الى التعليم ولهذا كان السند في التعليم في كل
علم او صناعة الى مشاهير المعلمين فيها معتبراً عند كل اهل افق وجبل ويدل ايضا على
ان تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه فكل امام من الائمة المشاهير اصطلاح
في التعليم يختص بوشان الصنائع كلها فدل على ان ذلك الاصطلاح ليس من العلم والا
لكان واحداً عند جميعهم الا ترى الى علم الكلام كيف يختلف في تعليمه اصطلاح المتقدمين
والمتأخرين وكذا اصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه الى مطالعته تجد
الاصطلاحات في تعليمه مختلفاً فدل على انها صناعات في التعليم والعلم واحد في نفسه
واذا تقرر ذلك فاعلم ان سند تعليم العلم لهذا العهد قد كاد ان ينقطع عن اهل المغرب
باختلال عمراؤه وتناقص الدول فيه وما يحدث عن ذلك من نقص الصنائع وفقدانها
كما مرّ وذلك ان القروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والاندلس واستمر عمراهما

العقل لسرعة الادراك للمعارف . ولقد بلغنا في تعليم الصنائع عن اهل مصر غايات لا تدرك
 مثل انهم يعلمون الحبر الانسية والحيوانات العجم من المائي والطائر من ذوات من الكلام
 والافعال يستغرب ندورها ويجزع اهل المغرب عن فهمها وحسن الملكات في التعليم
 والصنائع وسائر الاحوال العاديه يزيد الانسان ذكاء في عقله وإضاعة في فكره بكثرة
 الملكات الحاصلة للنفس اذ قدمنا ان النفس انما تنشأ بالادراكات وما يرجع اليها من
 الملكات فيزدادون بذلك كبراً لما يرجع الى النفس من الآثار العلمية فيظنة العامي تماوتاً
 في الحقيقة الانسانية وليس كذلك الا ترى الى اهل الحضرمع اهل البدو وكيف تجد
 الحضري متعلماً بالذكاء ممثلاً من الكيس حتى ان البدوي ليظنه انه قد فاته في حقيقة
 انسانيته وعقله وليس كذلك وماذا لا لا جادته في ملكات الصنائع والاداب في العوائد
 والاحوال المحضرية ما لا يعرفه البدوي فلما امتلأ الحضري من الصنائع ومكانتها وحسن
 تعليمها ظن كل من قصر عن تلك الملكات انها اكمل في عقله وان نفوس اهل البدو
 قاصرة بظنرها وجلبتها عن فطرتها وليس كذلك فانا نجد من اهل البدو من هو في اعلى رتبة
 من الفهم والكمال في عقله وفطرتة انما الذي ظهر على اهل الحضرمع ذلك هو رونق
 الصنائع والتعلم فان لما اتاراً يرجع الى النفس كما قدمناه وكذا اهل المشرق لما كانوا في
 التعليم والصنائع ارجح رتبة واعلى قدماً وكان اهل المغرب اقرب الى البداوة لما قدمناه
 في الفصل قبل هذا ظن المغفلون في بادئ الرأي انه اكمل في حقيقة الانسانية اختصاصاً
 به عن اهل المغرب وليس ذلك بتعجب فتنهته والله يزيد في الخلق ما يشاء وهو السميع
 العليم والارض

الفصل الثالث

في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعلم الحضارة
 والسبب في ذلك ان تعليم العلم كما قدمناه من جملة الصنائع وقد كنا قد علمنا ان
 الصنائع انما تكثر في الامصار وعلى نسبة ههنا في الكثرة والفلة والحضارة والعرف تكون
 نسبة الصنائع في المجودة والكثرة لانه امر زائد على المعاش فمضى فضلت اعمال اهل
 العمران عن معاشهم انصرفت الى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الانسان وهي
 العلوم والصنائع ومن تشوف بتطوره الى العلم من نشأ في القرى والامصار غير المتقدمة
 لا يبيد فيها التعليم الذي هو صنائعي لتقدان الصنائع في اهل البدو كما قدمناه ولا بد له
 من الرحلة في طلبه الى الامصار المستبصرة شأن الصنائع كلها واعتبر ما قررناه بحال بغداد

سنة وفي بتونس خمس سنين وهذه المدة بالمدارس على المعارف في اقل ما يتأتى فيها
لطالب العلم حصول منتهى من الملكة العلمية او الراس من تحصيلها فطال امد ما في
المغرب هذه المدة لاجل عسرهما من قلة المجودة في التعليم خاصة لاجل ما سوى ذلك ولما
اهل الاندلس قد ذهب رسم التعليم من بينهم وشبهت كتابهم بالعلوم لتناقص عبرات
المسلمين بها منذ مئتين من السنين ولم يبق من رسم العلم فيهم الا شت العربيه والادب
اقتصروا على حفظ سنن تعاليمهم في شغلهم لا ينفقوا على تعليمهم ولما انقطع سندهم لتناقص
عين ولما القليات فلا اثروا عرب وما شاك الا لانقطاع سندهم لتناقص فيها
العبارة وتقلب الحدود على جامعتها الا قليلا يصيب الجهر شغلهم بما يشغلهم أكثر من شغلهم
بما بعدها والله غالب على امره . ولما المشرق فلم ينقطع سندهم التعليم فيو بل اسواقه ناطقة
وبجوده لاخرة لاتصال العبران المرفور والاتصال بالسند فيه وان كانت الامصار العظيمة
التي كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة الا ان الله تعالى قد
ادال منها بامصار اعظم من تلك وانتقل العلم منها الى عراق العجم بخراسان وما وراء
النهر من المشرق ثم الى القاهرة وما اليها من المغرب فلم تزل مرفورة وعمارتها متصلا وسندهم
التعليم بها قائما فاهل المشرق على الجملة ارجح في صناعة تعليم العلم بل وفي سائر الصنائع
حتى انهم ليعظمون كثير من رحالة اهل المغرب الى المشرق في طلب العلم ان عقولهم
على الجملة اكمل من عقول اهل المغرب وانهم اشد نباهة واعظم كسبا بغيرهم الا في
وان نفوسهم الناطقة اكمل بغيرتها من نفوس اهل المغرب ويعتقدون التفاوت بينها
وبينهم في حقيقة الانسانية ويشيخون لذلك ويولعون بولما يرون من كيمهم في العالور
والصنائع وليس كذلك وليس بين قطر المشرق والمغرب تفاوت بهذا المقدار الذي هو
تفاوت في الحقيقة الواحدة اللهم الا اقاليم المنفرة مثل الاول والسابع فامت الامزجة
فيها منفرقة والنفس على نسبها كما مر ولما الذي فضل به اهل المشرق اهل المغرب هو
ما يحصل في النفس من آثار الحضارة من العقل الزيد كما تقدم في الصنائع وزيده
لان تحقيق ذلك ان الحضرة اديب في احوالهم في المعاش والمسلكت والبناء وامور
الدين والدنيا وكذا سائر اعمالهم وادابهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم فلم في ذلك كله
اداب يعرف عندها في جميع ما يتناولونه ويتلبسون به من اخذ وترك حتى كانت حدود
لا تتعدى وفي مع ذلك صنائع يتلقاها الاخر عن الاول منهم ولا شك ان كل صناعة
مرتبة يرجع منها الى النفس اثر يكسبها عقلا جديدة لتتمتع به لقبول صناعة اخرى وفيها

لفرعه عنه وأصل هذه العلوم العقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي
 مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم التي يعميها للأفائدة ثم يستمتع
 ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة ويو نزل القرآن وإضاف هذه العلوم
 العقلية كثيرة لأن المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبنائه
 جسوس وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص أو بالإجماع أو بالألحاق فلا بد من
 النظر في الكتاب ببيان الفاظ أولاً وهذا هو علم التفسير ثم بأسناد نقله وروايته إلى النبي
 صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عند الله وإخلاف روايات الفراء في قراءة تو وهذا
 هو علم القراءات ثم بأسناد السنة إلى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم
 وعدالهم ليقع الوثوق بأخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذه هي علوم
 الحديث ثم لا بد في استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانوني يفيده العلم بكيفية
 هذا الاستنباط وهذا هو أصول الفقه وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى
 في أفعال المكلفين وهذا هو الفقه ثم إن التكليف منها بدني ومنها قلبي وهو المخلص
 بالإنان وما يجب أن يعتقد ما لا يعتقد وهذه هي العقائد الإيمانية في الذات والصفات
 وأمور المحرر والنعم والعذاب والقدر والحجج عن هذه بالأدلة العقلية هو علم الكلام ثم
 النظر في القرآن والحديث لا بد أن تنفذ العلوم اللسانية لأنه متوقف عليها وهي أضاف
 فيها علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الأدب حسبما تتكلم عليها كلها وهذه العلوم
 العقلية كلها مختصة بالملة الإسلامية وإهلها وإن كانت كل ملة على الجملة لا بد فيها من
 مثل ذلك فهي مشاركة لها في الجنس البشري من حيث أنها علوم الشريعة المنزلة من عند
 الله تعالى على صاحب الشريعة المبلغ لها وأما على الخصوص فتباينة جميع الممال لأنها
 ناسخة لما وكل ما قبلها من علوم الممال فمهيورة والنظر فيها محظور فقد نهى الشرع عن
 النظر في الكتب المنزلة غير القراءات قال صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب
 إلا بتكذيبهم وقولوا آمنا بالذي أنزل البنا وأنزل إليكم وألهمنا وأحكم وأوحى
 نعمة الله عليه وسلم في بد عمر رضي الله عنه ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب
 التمران عن مل ألم أنكم بها يضاء نفية والله لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي ثم إن
 العلوم والصناعات العقلية قد تنفقت أسواقها في هذه الملة بما لا مزيد عليه وانتهت فيها
 فلا يبد فيها إلا أن إلى الغاية التي لا فوقها وهذبت الأصناف الملاحات وربت الفنون فجاءت
 من الرحلة في في المحسن والتفريق وكان لكل فن رجال يرجع إليهم فيو وأوضاع يستغاد

وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة لما كثرت عمارتها صدر الاسلام واستوت فيها الحضارة
كيف زخرت فيها بحار العلم وتنبشوا في اصطلاحات التعليم واصناف العلوم واستنباط
المسائل والفنون حتى اربوا على المتقدمين وفائق المتأخرين ولما تناقص عمارتها وابتدع
سكانها انطوى ذلك البساط بما عليه جملة وقد العلم بها والتعليم وانتقل الى غيرها من
امصار الاسلام ونحس لهذا العهد نرى ان العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما
ان عمارتها مستبهر وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين فاستحكمت فيها الصنائع
وتنبشت ومن جعلها تعليم العلم واكد ذلك فيها وحفظه ما وقع لهذه المصوّر بها منذ ما تبين
من السنين في دولة الترك من ايام صلاح الدين بن ايوب وهلم جرا وذلك ان اماره
الترك في دولته يخفون عادية سلطانهم على من يخلفونه من ذريتهم لما لة عليهم من الرق
او الولاء ولما يخشى من معاطب الملك وتكبائر فاستكثروا من بناء المدارس والروايا
والربط ووقفوا عليها الاوقاف المغلة يعملون فيها شركا لولدهم ينظر عليها او ينصب منها
مع ما فيهم غالباً من الجنوح الى الخير والتماس الاجور في المقاصد والافعال فكثرت
الاوقاف لذلك وعظمت الغلات والنفائذ وكثرت لب العلم ومعلمة بكثرة جرائمهم منها
وارتحل اليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ونفتت بها اسواق العلوم وزخرت
بجارها والله يخلف ما يشاء

الفصل الرابع

في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد

اعلم ان العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الامصار تخصيلاً وتعلماً هي
على صنفين صنف طبيعي للانسان بهتدي اليه بفكره وصنف نقلي ياخذ عن غيره
والاول هي العلوم الحكيمية الفلسفية وهي التي يمكن ان يقف عليها الانسان بطبيعة فكره
وبهتدي بهدائره البشرية الى موضوعاتها ومسائلها واتجاه براهينها ووجوه تعليمها حتى
ينفذ^(١) نظاره ويبحث على الصواب من الخطاء فيها من حيث هو انسان ذو فكر وادب
وهي العلوم النقليّة الوضعية وهي كلها مستندة الى الخبر عن الراسخ الشرعي ولا
للفعل الا في الحاق الفروع من مسائلها بالاصول لان المجزئيات^(٢) في ذلك كذا
لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه فتحتاج الى الاحقاق بوجه قياسي في كل صناعه
القياس ينفع عن الخبر بشدوت الحكم في الاصل وهو نقلي فخرج هذا النوع
منها

١ قوله عني بنظره المستعمل وفيه تعديل فيقول وقد عني كذا اي اطالع عليه فلا يصح
٢ المجزئيات

التي بدولة ثم ظهر بعد ذلك فيما يلي من التصور والاجيال ابو القاسم ابن فزرة من اهل
 شاطبة قصيد الى هندس ما دونه ابو عمرو وتلخيص فنظم ذلك كله في قصيدة لغز فيها
 اسماء الفراء بحروف ا ب ج د ت ر ثيا احكامه ليسر عليه ما قصده من الاختصار وليكون
 اسهل للحفظ لاجل نظمها فاستوعب فيها الفن اسمعيا حصنا رعى الناس بحفظها وتلقيها
 للولدان المتعلمين ويجرى العمل على ذلك في امصار المغرب والانديلس وربما اضيف
 الى فن القرائات فن الرسم ايضا وفي اوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية
 لان فيه حروفا كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط كزيادة الياء في باييد
 وزيادة الالف في لا اذبحته ولا اوضعوا والواو في جزاء والظالمون وحذف الالانات في
 مواضع دون اخرى وما رسم فيه من التاءات ممدودا والاصل فيه مربوط على شكل
 الهاء وغير ذلك وقد مر تحليل هذا الرسم المصنفي عند الكلام في الخط فلما جاءت هذه
 الخالفة لاضاع الخط وقانونوه احتج الى عصرها فكتب الناس فيها ايضا عند كتبهم في
 العلوم وانتهى بالمغرب الى ابي عمرو الداني المذكور فكتب فيها كتابا من اشهرها كتاب
 المتنع واخذ به الناس وجرول عليه ونظف ابو القاسم الشاطبي في قصيدته المشهورة على
 روي الرااء وولع الناس بحفظها ثم كثر اختلاف في الرسم في كلمات وحروف اخرى ذكرها
 ابو داود سليمان بن شجاع من والي بجاهد في كتبه وهو من تلاميذ ابي عمرو الداني
 واشتهر بعمل علوه ورواية كتبه ثم نقل بعده خلافا اخر فنظم الخزاز من المتأخرين
 بالمغرب ارجوزة اخرى زاد فيها على المتنع خلافا كثيرا وعزاه لناقله واشتهرت بالمغرب
 واقصر الناس على حفظها ويحروا بها كتب ابي داود والي عمرو الشاطبي في الرسم
 (واما التفسير) فاعلم ان القرآن نزل بلغة العرب وعلى اصا ايسر بلاغتهم فكانوا كلهم
 يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه وكان ينزل جملا جملا وايات ايات لبيان
 التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع ومنها ما هو في العقائد الالمانية ومنها ما هو
 في احكام المعاملات ومنها ما يتقدم ومنها ما يتأخر ويكون باستخالة وكاتب النبي صلى الله
 عليه وسلم بين الجبل وبيز النابض من المسوخ ويسرقه اصحابه فحرقوه وعرفوا سب
 نزول الايات ومقتضى الحال منها مقولا عنه كما علم من قوله تعالى اذا جاء نصر الله
 والفتح انما هي النبي صلى الله عليه وسلم وامثال ذلك ونقل ذلك عن الصحابة رضوان
 الله تعالى عليهم اجمعين وتداول ذلك التابعون من بعدهم ونقل ذلك عنهم ولم ينزل
 ذلك متناكلا بين الصدر الاول والسلف حتى صارت المعارف علونا ودونت الكتب

ملها التعليم واختص المشرق من ذلك والمغرب بما هو مشهور منها حسبما نذكره الآن عند
تعديد هذه النون وقد كسدت لهذا العهد اسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران فيه
وانقطاع سند العلم والتعليم كما قدمناه في الفصل قبله وما ادري ما فعل الله بالمشرق
والطن بونفاق العلم فيه واتصال التعليم في العلوم وفي سائر الصنائع الضرورية والكالبة
لكثرة عمرائه والحضارة ووجود الاعانة لطالبي العلم بالجمالية من الاوقاف التي انعمت
بها اراؤهم والله سبحانه وتعالى هو النعال لما يريد ويبدد التوفيق والاعانة

الفصل الخامس

في علوم القرآن من التفسير والقراآت

القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين
الامة الا ان الصحابة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض
الفاظه وكنيات المحروف في ادائها وتوقف ذلك واشتهر الى ان استقرت منها سبع طرق
معينة تواتر نقلها ايضا بادائها واخصصت بالانساب الى من اشهر بروايتها من ائمة الفقيه
فصارت هذه القراآت السبع اصولا للقراءة وربما زيد بعد ذلك قراآت اخرى لم يثبت
بالسبع الا انها عند ائمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل وهذه القراآت السبع معروفة في
كتبها وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها لانها عندهم كليات للاداء وهو غير
منضبط وليس ذلك عندهم بقادح في تواتر القرآن واباه الاكثر قالوا بتواترها وقال
اخرى بتواتر غير الاداء منها كالمند والتسهيل لعدم الوقوف على كيفيته بالسمع وهو
الصحيح ولم يزل القراء يتداولون هذه القراآت وروايتها الى ان كثبت العلوم ودونت
فكثبت فيها كتب من العلوم وصارت صناعة مخصوصة وعلم منفردا وتناقله الناس بالمشرق
والاندلس في جيل بعد جيل الى ان ملك بشرق الاندلس مجاهد من مولاي العامرين
وكان معنيا بهذا الفن من بين فنون القرآن لما اخذه يوم مولاه المنصور بن ابى عامر
واجتهد في تعليمه وعرضه على من كان من ائمة القراء بحضرته فكان سهمه في ذلك وافر
واخصص مجاهد بعد ذلك بامارة دانية في الجزائر الشرقية فنفتت بها سوق القراءة لما كان
هو من ائمتها وبما كان له من العناية بسائر العلوم عموما وبالقراآت خصوصا فظهر لهده
ابو عمرو الداني وبلغ الغاية فيها ووقفت عليه معرفتها وانتهت الى روايته اسانيدها
وتعددت تالفة فيها وحول الناس عليها وعدلوا عن غيرها واعتمدوا من بينها كتاب

المعنى بحسب المقاصد والأساليب وهذا الصنف من التفسير قل أن ينفرد عن الأول
 إذا الأول هو المقصود بالذات وإنما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلمه صناعاً
 يكون في بعض التفاسير غالباً ومن أحسن ما أشبه عليه هذا الفن من التفاسير كتاب
 الكشف للزمخشري من أهل خوارزم العراق إلا أن مولاه من أهل الاعتزال في العقائد
 فباتى بالحجج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة
 فصار بذلك للتحققين من أهل السنة انحراف عمة وتهدير للجمهور من مكاتبه مع اقترانهم
 برسوخ قدمه فيها بهامى باللسان والبلاغة وإذا كان الناظر فيه واقفاً على ذلك على المذاهب
 السنية محسناً للحجج عنها فلا جرم أنه مأمون من غوائل فلتهم مطاعنة لثراية فتوى سيغ
 اللسان وأند وصل إليها في هذه المصنوع تأليف لبعض العراقيين وهو شرف الدين
 الحلبي من أهل توريث من عراق العجم فيه كتاب الزمخشري هذا وتنع المناظرة
 ونعرض لمذاهبه في الاعتزال بادلته تزيها ويبين أن البلاغة إنما تقع في الآية على ما يرام
 أهل السنة لا على ما يراه المعتزلة فأحسن في ذلك ما شاء مع امتناعه في سائر فنون البلاغة
 وفوق كل ذي علم عليم

الفصل السادس

في علوم الحديث

وأما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة لأن منها ما ينظر في ناسبه ومنسوخه وذلك بما
 تست في شريعنا من جوارح النسخ ووقوعه لعلنا كن الله بعباده وثقته تأعيتهم باعتبار مصالحتهم
 التي تكفل لم بها قال تعالى ما تنسخ من آية أو نسها ما تيسر منها أو مثلاً فإذا تعارض
 الخبران بالذني والأنيات وتعدرا الجمع بينهما بعض التأويل وعلم تقدم أحدهما تعين أن
 الماخرون ناسخ ومعرفة الناسخ والمنسوخ من أم علوم الحديث وأحدها قال الزهري أعي
 الذنبا وانعزم أن يعرفنا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه وكان
 للشافعي رضي الله عنه فيه قدم راسخة وس علوم الأحاديث النظر في الأسانيد ومعرفة ما
 ييسر العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشرط لأن العمل إنما
 وجب ما يناسب على الظن صدقة من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمنع في
 الدارق التي تحصل ذلك الثبات وهو بمعرفة رواية الحديث بالعدالة والصدق وإنما
 يثبت ذلك بالقل عن أعلام الدين بعديهم وبراءتهم من المبرح والغفلة ويؤمن لنا

فكتب الكثير من ذلك ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين وانتهى ذلك
 الى الطائري والراقي والعاللي وامثال ذلك من المنسرين فكتبوا فيه ما شاء الله ان
 يكتبوه من الآثار ثم صارت علوم اللسان صناعة من الكلام في موضوعات اللغة واحكام
 الاعراب والبلاغة في التراكيب فوضعت الدواوين في ذلك بعد ان كانت ملكات
 للعرب لا يرجع فيها الى نقل ولا كتاب فتبوسى ذلك وصارت تنال من كتب اهل
 اللسان فاجتمع الى ذلك في تفسير القرآن لامة بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم وصار
 التفسير على صنفين تفسير نقلي مسند الى الآثار المشفولة عن السلف وهي معرفة الناجح
 والمسوخ واسباب النزول ومقاصد الآي وكل ذلك لا يعرف الا بالنقل عن الصحابة
 والتابعين وقد جمع المفسرون في ذلك واوعوا الا ان كتبهم ومنفولا عنهم تشتمل على
 الفصح والسبعين والمتبول والمردود والسبب في ذلك ان العرب لم يكونوا اهل كتاب
 ولا علم وانما غلبت عليهم البداهة والامية واذا تشوقوا الى معرفة شيء ما تشوقوا الى الفسوس
 البشرية في اسباب المكونات وبدء الخلق واسرار الوجود فلما يسألون عنه اهل الكتاب
 فليهم ويستفيدون منهم وهم اهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى واهل
 التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك الا ما تعرفه العامة
 من اهل الكتاب ومعظمهم من حجب الذين اخذوا بدين اليهودية فلما اسلموا بقول على ما
 كان عندهم ما لا يتعلق له بالاحكام الشرعية التي يتعاملون لها مثل اخبار بدء الخلق
 وما يرجع الى المحدثان والملاحم وامثال ذلك وهؤلاء مثل كتب الاخبار وهوب بن
 منبه وعبد الله بن سلام وامثالهم فامتثلت الناس من المقولات عندهم في امثال هذه
 الاغراض اخبار موقوفة عليهم وليست ما يرجع الى الاحكام فتشترى في الصحة التي يوجب
 بها العمل ويتساهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المقولات واصحابها
 كما قلنا عن اهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما يتناولون من
 ذلك الا انهم بعد صيتهم وعظمت اقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة
 فتعانت بالقبول من يومئذ فلما رجع الناس الى التحقيق والتحقيق وجاء ابو محمد بن
 عجلية من المناشرين بالمغرب فخلص تلك التفاسير كلها وتجرى ما هو اقرب الى الصحة
 منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين اهل المغرب والاندلس يحسن الحق وتبعه
 القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب اخر مشهور بالمشرق والصنف
 الاخر من التفسير وهو ما يرجع الى اللسان من معرفة اللغة والاعراب والبلاغة في تادية

آلاف متكررة وفرق الطرق والاسانيد عليها مختلفة في كل باب ثم جاء الامام مسلم ابن
 الحجاج القشيري رحمه الله تعالى فألف مسنده الصحيح هذا فيه حذوا البخاري في نقل
 الجميع عليه وحذف المتكرر منها وجمع الطرق والاسانيد وتوبة على ابواب الفقه وتراجمو
 ومع ذلك فلم يستوعبا الصحيح كله وقد استدرك الناس عليها في ذلك ثم كتب ابو داود
 السجستاني وابو عيسى الترمذي وابو عبد الرحمن النسائي في السنن باوسع من الصحيح
 وقصدوا ما توفرت فيه شروط العمل اما من الرتبة العالية في الاسانيد وهو الصحيح كما
 هو معروف واما من الذي دونه من المحسن وغيره ليكون ذلك اماما للسنن والعمل وهذه
 هي المسانيد المشهورة في الملتقى امهات كتب الحديث في السنة فانها وان تعددت ترجع
 الى هذه في الاغلب ومعرفة هذه الشروط والاصطلاحات كلها هي علم الحديث وربما
 يفردها عنها البعض والمسيوخ فيعمل فتا براسه وكذا الغريب والناس فيه تأليف مشهورة ثم
 المؤلفات والمختلف وقد ألف الناس في علوم الحديث واكثرها ومن فحول علمائهم
 ابو عبد الله الحاكم وتأليفه فيه مشهورة وهو الذي في هذه واظهر محاسنه واشهر كتاب
 المتأخرين فيه كتاب ابى عمرو بن الصلاح كان له في احوال المائة السابعة وثلاثة من الدين
 النووي يمثل ذلك والن شريف في مغزاه لانه معرفة ما يحفظ في السنن المنقولة عن
 صاحب الشريعة وقد انقطع لهذا العهد تخرج شي من الاحاديث واستدراكها على المتقدمين
 اذ العادة تشهد بان هؤلاء الائمة على تعددهم وتلاحق عصورهم وكثافتهم واجتهادهم لم
 يكونوا يغفلوا شيئا من السنة او يتركوه حتى يعثر عليه المتأخر هذا بعيد عنهم وانما تصروف
 العناية لهذا العهد الى تصحيح الامة المكتوبة وضبطها بالارواية عن مصنفها والنظر في
 اسانيدها الى مولها وعرض ذلك على ما تقرر في علم الحديث من الشروط والاحكام
 لتتصل الاسانيد بحكمة الى متنها ولم يزيدوا في ذلك على العناية باكثر من هذه الامة
 الخمس الا في القليل . فاما البخاري وهو اعلاها رتبة فاستعصب الناس شرحه واستغفروا
 عنه من اجل ما يحتاج اليه من معرفة الطرق المتعددة ورجلها من اهل الحجاز والشام
 والعراق ومعرفة احوالهم واختلاف الناس فيهم ولذلك يحتاج الى ايمان النظر في الفقه
 في تراجمو لانه يترجم الترجمة ويورد فيها الحديث بسد او طريق ثم يترجم اخرى ويورد
 فيها ذلك الحديث بعينه لما تضمنه من المعنى الذي ترجم به الباب وكذلك في ترجمة
 وترجمة ان يتكرر الحديث في ابواب كثيرة بحسب معانيه واختلافها ومن شرحه ولم
 يستوف هذا فيه فلم يوف حق الشرح كائن بطل وان المهلب وابن النين ونحوهم ولقد

والعدل التي تعرض في طرقها سيما والمجرح مقدم عند الأكثر فيوديه الاجتهاد الى ترك
الاخذ بما يعرض مثل ذلك فيه من الاحاديث وطرق الاسانيد ويكثر ذلك فقل
رواية الضعف في الطرق هذا مع ان اهل المجاز أكثر رواية الحديث من اهل العراق
لان المدينة دار الهجرة وماوى الصحابة ومن اشغل منهم الى العراق كان شغلهم بالجهاد
أكثر والامام ابو حنيفة انما قلتم رواية لما شدد في شروط الرواية والتبديل وضعف رواية
الحديث التي ينبغي اذا عارضها التبريل النسخي وقلست من اجابها رواية فقل حديثه لانه ترك رواية
الحديث متبعاً لما شاهده من ذلك ويدل على انه من كبار المجتهدين في علم الحديث اعتماد
مذهبه بينهم والنحويل عليه واعتباره ردّاً وقبولاً واما غيره من الحديثين وهم الجمهور
فتمسكوا في الشروط وكثر حديثهم والكل عن اجتهاد وقد توسع اصحابه من بعدهم في
الشروط وكثرت روايتهم وروى الطحاوي فأكثروا كتب مسنده وهو جليل القدر
الا انه لا يدل القميين لان الشروط التي اعتمدها البخاري ومسلم في كتابها جميع
عليها بين الامة كما قاله وشروط الشافعي غير متفق عليها كالمرواية عن المستور الحال
وغيره فلذلك قدّم القميين بل وكتب السنن المعروفة عليه لانه اخر شروطه عن شيوخه
ومن اجل هذا قيل في القميين بالاجماع على قبولها من جهة الاجماع على صحة ما فيها
من الشروط المنتق عليها فلا تأخذك ردة في ذلك فالقوم احق الناس باثبات المجبول
بهم والناس الخارج للصحة لم والله سبحانه وتعالى اعلم بما في حقائق الامور

الفصل السابع

في علم الفقه وما يتبعه من الفرائض

الفقه معرفة احكام الله تعالى في افعال المكلفين بالوجوب والمختلر والاسباب والكرامة
والاباحة وهي متلفة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الادلة فاما استقرجت
الاحكام من تلك الادلة قبل علمه فكانت السلف يستخرجونها من تلك الادلة على
اختلاف فيها بينهم ولا بد من وقوعه ضرورة ان الادلة عالجها من النصوص وفي بلة
العرب وفي اقتضاآت الفاظها لكثير من معانيها اختلاف بينهم معروف وايضاً فافسدة
مختلفة الطرق في الدبوت وتعارض في الاكثر احكامها ففتناج الى الترجيع وهو شتاف
ايضاً لالادلة من غير النصوص مختلف فيها وايضاً فالوقائع المتجددة لا توفي بها النصوص
وما كانت منها غير ظاهر في المصوص فيحصل على المصوص لمشابهة بينها وهذه كلها

جمعت كثيراً من شيوخنا رحمهم الله يقولون شرح كتاب البخاري دين على الأمة يعرفون
 ان احداً من علماء الامم لم يوف ما يجب له من الشرح بهذا الاعتبار . ولما صحح مسلم
 فكثرت عناية علماء المغرب بذكره عليه واجمعوا على تنقيحها على كتاب البخاري من
 غير الضميمة ما لم يكن على شرطه واكثر ما وقع له في التراجم واملى الامام المارزي من فقهاء
 المالكية عليه شرحاً وسماه المعلم بنواند مسلم اشتمل على عيون من علم الحديث وفنون من
 الفقه ثم اكمله القاضي عياض من بعده وثمة وسماه اكمال المعلم وتلاه يحيى الدين النوري
 بشرح استوفى ما في الكتابين وزاد عليها شجاء شرحاً وافياً . ولما كتب السنت الاخرى
 وفيها معظم ماخذ الفقهاء فاكثرت شرحها في كتب الفقه الا ما يختص بعلم الحديث فكُتب
 الناس عليها واستوفوا من ذلك ما يحتاج اليه من علم الحديث وموضوعاتها والاسانيد التي
 اشتملت على الاحاديث المعمول بها من السنة . واعلم ان الاحاديث قد تميزت مراتبها
 لهذا العهد بين صحيح وحسن وضعيف ومعلول وغيرها تنزلها ائمة الحديث وجهاً لبدته
 وعرفوها ولم يبق طريق في تصحيح ما يصح من قبل ولقد كان الائمة في الحديث يعرفون
 الاحاديث بفارقها واسانيدها بحيث لو روي حديث بغير سند وطريقه يفتنون الى انه
 قد قلب عن وضعه ولقد وقع مثل ذلك للامام محمد بن اساعيل البخاري حين ورد
 على بغداد وقصد المحدثون استخفافه فسألوه عن احاديث قالوا اسانيدها فقال لا اعرف
 هذه ولكن حدثني فلان ثم اتى بجمع تلك الاحاديث على الوضع الصحيح ورد كل متن
 الى سنده واقروا له بالامامة . واعلم ايضا ان الائمة المتقدمين تناوخوا في الاكثار من هذه
 الصناعة والافلال فامرو حنيفة رضي الله تعالى عنه بفعلت رواية الى سبعة عشر
 حديثاً او نحوها وما لك رحمه الله انما جمع عنده ما في كتاب الموطأ^(١) وغلبت اثنان مائة حديث
 او نحوها . واحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده ثبوتون الف حديث وكل ما اداه
 اليه اجتاده في ذلك وقد تقول بعض المبغضين الائمة سفين الى ان منهم من كان قليل
 البضاعة في الحديث فلمذا قات رواية ولا سبيل الى هذا المتكف في كبار الائمة لان
 الشريعة انما تؤخذ من الكتاب والسنة ومن كان قليل البضاعة من الحديث فتمتع عليه
 حادثة ورواية واجد والتشهير في ذلك لياخذ الدين عن اصول صحيحة وبتأني الاحكام
 عن صاحبها المبلغ لها وانما قال منهم من قال الرواية لا يجل الخطأ التي تعرض فيها

الذي في شرح الرقائق على الموطأ مسكاة اول حصة في عدة احاديث في الموطأ ٥٠٠ بها ٧٠٠ لها البويوب
 راجعها ١٧٢ حاصها ٦٦٦ وليس هو قولنا في هذه الائمة الا ليعلم المحدث

الناس ذلك عليه واسمعه مذهبه استهجاناً وإنكاراً وتلقا كنية بالافتغال وإلترك حتى
 انما يجهر ببعضها بالاسواق وربما تفرق في بعض الاحيان ولم يبق الا مذهب اهل
 الراي من العراق واهل الحديث من الحجاز . فاما اهل العراق فامامهم الذي استقرت
 عنده مذاهبهم ابو حنيفة النعمان بن ثابت ومقامه في الفقه لا يلحق شهد له بذلك اهل
 جلدتو وخصوصاً ما لك والشافعي . واما اهل الحجاز فكان امامهم ما لك بن انس الاصمعي
 امام دار الهجرة رحمة الله تعالى واخص بزيادة مدرك اخر للاحكام غير المدارك المعتبرة
 عند غيره وهو عمل اهل المدينة لانه راي ائمتهم فيما ينسبون عليه من فعل او ترك متابعون
 لمن قبلهم ضرورة لدينهم واقتنائهم وهكذا الى الجيل المباشرين للعل النبي صلى الله عليه
 وسلم الاخذين ذلك عنه وصار ذلك عنده من اصول الادلة الشرعية وظن كثير ان
 ذلك من مسائل الاجماع وانكره لان دليل الاجماع لا يخص اهل المدينة من سواهم بل
 هو شامل للامة . واعلم ان الاجماع انما هو الاتفاق على الامر الديني عن اجتهاد وما لك
 رحمة الله تعالى لم يعتبر عمل اهل المدينة من هذا المعنى وانما اعتبره من حيث اتباع
 الجيل بالمشاهدة للجيل الى ان ينتهي الى الشارع صلوات الله وسلامه عليه وضرورة
 اقتنائهم بعين ذلك يعم الملة ذكرت في باب الاجماع الابواب بها من حيث ما فيها من
 الاتفاق الجامع بينها وبين الاجماع الا ان اتفاق اهل الاجماع عن نظر واجتهاد في الادلة
 واتفاق هؤلاء في فعل او ترك مستندين الى مشاهدة من قبلهم ولو ذكرت المسئلة في باب
 فعل النبي صلى الله عليه وسلم وتقريره او مع الادلة المختلف فيها مثل مذهب الصحابي
 وشرع من قبلنا والاستصحاب لكان اليق ثم كان من بعد ما لك بن انس مجتهد بن ادريس
 المظلي الشافعي رحمهما الله تعالى رحل الى العراق من بعد ما لك ولقي اصحاب الامام ابي
 حنيفة واخذ عنهم ومزج طريقة اهل الحجاز بطريقة اهل العراق واخص مذهب وخالف
 ما لك رحمة الله تعالى في كثير من مذهبه وجاء من بعدهما احمد بن حنبل رحمة الله وكان
 من علية الحديثين وقرأ اصحابه على اصحاب الامام ابي حنيفة مع وفور بضاعتهم من الحديث
 فاختصوا بمذهب اخر ووقف التقليد في الامصار عند هؤلاء الاربعة ودرس المتأدون
 لمن سواهم وسد الناس باب الخلاف وطرقه لما اكثر تشعب الاصطلاحات في العلوم ولما
 حاق عن الوصول الى رتبة الاجتهاد ولا خشي من اسناد ذلك الى غير اهل ومن لا يوفق
 برأيه ولا يدينه فصرحوا بالغيث والاعواز وروى الناس الى تقليد هؤلاء كل من اخص
 به من المتأدين وحظروا ان يتداولوا نفايدهم لما فيه من التلاعب ولم يبق الا نقل مذاهبهم

اشارات للخلاف ضرورية الوقوع ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والائمة من بعدهم
 ثم ان الصحابة كلهم لم يكونوا اهل فنيا ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم وانما كان ذلك
 مختصا بالحاقلين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهيه ونسخه ودلائله بما تلاقوا
 من النبي صلى الله عليه وسلم او من سمعه منهم من علمهم وكانوا يسمون لذلك القراءة ابي
 الذئب يقرءون الكتاب لان العرب كانوا امة امية فاختص من كان منهم قارئا للكتاب
 بهذا الاسم لقرابته ومنه وبقي الامر كذلك صدر الملة ثم عظمت امصار الاسلام وذهبت
 الائمة من العرب بممارسة الكتاب وتمكن الاستنباط وكل الفقه واصبح صناعة وعلم
 فبدلوا باسم الفقه والعلماء من القراء وانقسم الفقه الى طريقتين طريقة اهل الرأي
 والقياس وهم اهل العراق وطريقة اهل الحديث وهم اهل الحجاز وكان الحديث قبلا في
 اهل العراق لما قدمناه فاستكثر وامن القياس ومهروا فيه فلذلك قيل اهل الرأي
 وموقف جماعتهم الذي استقر المذهب فيه وفي اصحابه ابو حنيفة وامام اهل الحجاز مالك
 بن انس والشافعي من بعده ثم انكر القياس طائفة من العلماء وبطلوا العمل به يوم
 الظاهرية وجعلوا المدارك كلها منحصرة في النصوص والاجماع وردوا القياس المحكي والعلة
 المنصوصة الى النص لان النص على العلة نص على الحكم في جميع محالها وكان امام هذا المذهب
 داود بن علي وابنه واصحابها وكانت هذه المذاهب الثلاثة هي مذاهب الجمهور المشتهرة
 بين الامة وشذ اهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه اشردوا به وبنوه على مذهبيهم في
 تناول بعض الصحابة بالقدح وعلى قولهم بعض الائمة ورفع الخلاف عن اقوالهم وفي كلها
 اصول واهية وشذ بنقل ذلك الخوارج ولم يحتفل الجمهور بمذاهبيهم بل اوسعوها جانب
 الانكار والقدح فلا تعرف شيئا من مذاهبيهم ولا نروي كتبهم ولا اثر لشيء منها الا في
 مواطنهم فكتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت دولتهم قائمة في المغرب والمشرق ولبن
 والخوارج كذلك ولكن منهم كتب وتأليف وازاد في الفقه غريبة ثم درس مذهب اهل
 الظاهر اليوم بدروس ائمة وانكار الجمهور على منقلوب ولم يبق الا في الكتب الجملدة وربما
 يعكف كثير من الطالبين من تكلف بانغال مذهبيهم على تلك الكتب يروم اخذ
 فقههم منها ومذهبيهم فلا يجلو بطائل وبصر الى مخالفة الجمهور وانكارهم عليه وربما عد
 بهذه النحلة من اهل البدع بنقلو العلم من الكتب من غير مفتاح المعليين وقد فعل ذلك
 ابن حزم بالاندلس على علورته في حفظ الحديث وصار الى مذهب اهل الظاهر ومهر
 فيه باجتهاد زعمو في اقوالهم وخالف امامهم داود وتعرض للكثير من ائمة المسلمين فنفى

فالبدائي كانت غالبية على اهل المغرب والاندلس ولم يكونوا يعانقون الحضارة التي
 لاهل العراق فكانوا الى اهل الحجاز اميل لماسبة البدائي ولهذا لم ينزل المذهب المالكي
 هناك عديم ولم يأخذوا تنفع الحضارة وتبذروها كما وقع في غيره من المذاهب والمناصب
 مذهب كل امام علما مخصوصا عند اهل مذهب ولم يكن لهم سبيل الى الاجتهاد والقياس
 فاحتاجوا الى نظير المسائل في الامحاق وتفرقوا عند الاشتباه بعد الاستناد الى الامول
 المقررة من مذهب امامهم وصار ذلك كله يمتنع الى ملكة راسخة يقتدر بها على ذلك
 النوع من التفكير او التفرقة وانواع مذهب امامهم فيها ما استطاعوا وهذه الملكة هي علم
 الفقه لهذا العهد واهل المغرب جميعا مقلدون لما لك رحمه الله وقد كان تلميذه افرقيا
 بمصر والعراق فكان بالعراق منهم القاضي اساعيل وطبقته مثل ابن خويز منداد وابن
 اللبان والقاضي ابو بكر الابرهي والقاضي ابو الحسين بن النصار والقاضي عبد الوهاب
 ومن بعدهم وكان بمصر ابن القاسم واشهب وابن عبد الحكم والحارث بن مسكين وطبقته
 ورجل من الاندلس عبد الملك بن حبيب فاخذوا عن ابن القاسم وطبقته وبث مذهب
 مالك في الاندلس وروى في كتاب الرضاة ثم دون العتيبي من تلامذتي كتاب العتيبة
 ورجل من افرقية اسد بن الفرات فكتب عن اصحاب ابي حنيفة اولاً ثم انتقل الى
 مذهب مالك وكتب على ابن القاسم في سائر ابواب الفقه وجاء الى القيروان بكتابه
 وسعى الاسدية نسبة الى اسد بن الفرات فقرأ بها سمعون على اسد ثم ارتحل الى المشرق
 ولقي ابن القاسم واخذ عنه وعارضه مسائل الاسدية فرجع عن كثير منها وكتب سمعون
 مسائلها ورواها واثبت ما رجع عنه وكتب لاسد ان يأخذ بكتاب سمعون فانفد من ذلك
 فترك الناس كتابه واتبعوا مدونة سمعون على ما كان فيها من اختلاط المسائل في الابواب
 فكانت تسمى المدونة والمختلطة وعكف اهل القيروان على هذه المدونة واهل الاندلس
 على الرضاة والعتيبة ثم اختصر ابن ابي زيد المدونة والمختلطة في كتابه المسمى بالختصر
 ولخصه ايضا ابو عبد البرادعي من فقهاء القيروان في كتابه المسمى بالتهذيب واعتمد
 الشافعية من اهل افرقية واخذوا به وتركوا ما سواه وكذلك اهل الاندلس كتاب
 العتيبة وهجروا الرضاة وما سواها ولم تزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الامهات
 بالشرح والابصار والجمع فكتب اهل افرقية على المدونة ما شاء الله ان يكتبوا مثل
 ابن بونس والليثي وابن محرز التونسي وابن بشير وامثالهم وكتب اهل الاندلس على العتيبة
 ما شاء الله ان يكتبوا مثل ابن رشد وامثالهم وجميع ابن ابي زيد جميع ما في الامهات من

وعمل كل مفاد مذهب من قلده منهم بعد تصحيح الاصول واتصال سندها بالرواية
لا يحصل اليوم للفق غير هذا ومدعي الاجتهاد لهذا العهد مردود على عقبيه مهور تليده
وقد صار اهل الاسلام اليوم على تليده هؤلاء الائمة الاربعة فاما احمد بن حنبل فقلده
قليل لبعده مذهبو عن الاجتهاد واصالتو في معاضدة الرواية وللأخبار بعضها ببعض
واكابرهم بالشام والعراق من بغداد وواحدوا هم أكثر الناس حفظا للسنة ورواية الحديث
واما ابو حنيفة فقلده اليوم اهل العراق ومسلمة الهند والصين وما وراء النهر وبلاد العجم
كلها لما كان مذهبه اخص بالعراق ودار السلام وكان تليده صحابة الخلفاء من بني
العباس فكثرت تاليفهم ومناظراتهم مع الشافعية وحسنت مباحثهم في الخلافات وجاءوا
منها يعلم مسة نظرف وانظار غريبة وهي بين ايدي الناس وبالمغرب منها شيء قليل نقله
اليو القاضي ابن العربي وابو الوليد الباجي في رحلتها واما الشافعي فقلده بمصر أكثرنا
سواها وقد كان انتشر مذهبه بالعراق وخراسان وما وراء النهر وقاموا بالحنفية في
التنوي والتدريس في جميع الامصار وعظمت مجال المناظرات بينهم وشحنت كتب
الخلافات بانواع استدلالهم ثم درس ذلك كله بدروس المشرق واقتطروا وكان الامام
محمد بن ادريس الشافعي لما نزل على بني عبد الحكم بمصر اخذ عنه جماعة من بني عبد
الحكم واشبه ابن القاسم وابن المواز وغيرهم ثم الحارث بن مسكين وبنوه ثم انقرض فقه
اهل السنة من مصر فظهر دولة الرافضة وتداول بها فقه اهل البيت وتلاشى من سواهم
الى ان ذهبت دولة العبديين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف بن ايوب ورجع
الهم فقه الشافعي واصحابه من اهل العراق والشام فعدا الى احسن ما كان ونفق سوقه
واشتهر منهم يحيى الدين النووي من الحنابلة التي ربيت في ظل الدولة الايوبية بالشام
وعز الدين بن عبد السلام ايضا ثم ابن الرقعة بمصر ونفي الدين بن دقيق العيد ثم بقي الدين
السبكي بعدها الى ان انتهى ذلك الى شيخ الاسلام بمصر لهذا العهد وهو سراج الدين البلقيني
فهو اليوم اكبر الشافعية بمصر كبير العلماء بل اكبر العلماء من اهل العصر . واما مالك
رحمة الله تعالى فاخص بمذهبه اهل المغرب والاندياس وان كان يوجد في غيرهم لانهم
لم يقلدوا غيره الا في القليل لما ان رحلتهم كانت غالبا الى الحجاز وهو ممتن سمرق والمدينة
بومئذ دار العلم ومنها خرج الى العراق ولم يكن العراق في طريقتهم فاقصروا عن الاخذ
عن علماء المدينة وشيخهم بومئذ واما مالك وشيوخه من قبله وتليده من بعده فخرج
الي اهل المغرب والانديلس وقلده دون غيره ممن لم تصل اليهم طريقة وايضا

الملكوتية من متأخري الاندلس كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي الي القاسم الشافعي ثم
المجدي ومن متأخري افريقية ابن النمر الطرابلسي وإمام وأما الشافعية والمجتهبة
والمجتهبة فلم يبقوا تأليف كثيرة وإعمال عظيمة صعبة شاهدة لم يتوسع الباع في الفقه
والحساب وخصوصاً أبا المعالي رضي الله تعالى عنه وإمثاله من أهل المذاهب وهو من
شريف الجمع بين المعقول والمنقول والوصول إلى الحقوق في الوراثة بوجه صحيح
يقينية عند ما تجهل المحظوظ وتشكل على التاممين وللعلماء من أهل الأماصار بها عناية
ومن المصنفين من يحتاج إلى الغلو في الحساب وفرض المسائل التي تحتاج إلى استقراجه
المجتهبات من فروع الحساب كالجبر والمقابلة والنسب في الجذور وإمثال ذلك فيلجأ
بها تأليفهم وهو وإن لم يكن متداولاً بين الناس ولا يندى بولونه من وراثتهم لغرابته
وقلة وقوعه فهو يندى المراتم وتحصيل الملكة في المتداول على أكمل الوجوه وقد يجمع
الأكثر من أهل هذا الفن على فضله بالمحدث المنقول عن أبي هريرة رضي الله عنه أن
الفراتس ثلث العلم وأنها أول ما ينسى وفي رواية نصف العلم خرجته ابن سيم الحافظ
واحتج به أهل الفرائض بناء على أن المراد بالفرائض فروض الوراثة والذي يظهر أن
هذا الحمل بعيد وإن المراد بالفرائض إنما هي الفرائض التكليفية في العبادات والمعادات
والملازمات وغيرها وبهذا المعنى يصح فيها النصية والثقلية وأما فروض الوراثة فهي أول
من ذلك كله بالنسبة إلى علم الشريعة كلها ويعين هذا المراد أن حمل لنظر الفرائض
على هذا الفن الخصوص أو تخصيصه بفروض الوراثة إنما هو اصطلاح ناشئ الفقهاء عند
حدوث الفنون والاصطلاحات ولم يكن صدر الإسلام يطلق على هذا إلا على عموم
مشتقاً من الفروض الذي هو لغة التقدير أو القطع وما كان المراد به في إطلاقه إلا جميع
الفروض كما قلناه وهي حقيقة الشرعية فلا ينبغي أن يحمل إلا على ما كان يحمل في عصرهم
فهو الذي يراد منه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

الفصل التاسع

في أصول الفقه وما يتعلق به من المجلد والمخلافات

اعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وإجلها قدراً وأكثرها فائدة وهو
النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف وأصول الأدلة الشرعية
في الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة النبوية له فعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانت

المسائل والخلاف والأقوال في كتاب النوادر فاشتبهل على جميع أقوال المذهب وفرغ
الأمهات كلها في هذا الكتاب ونقل ابن يونس معظمه في كتابه على المدونة وزخريت بحار
المذهب المالكي في الألفين إلى انقراض دولة قرطبة والقيروان ثم تمسك بها أهل المغرب
بعد ذلك إلى أن جاء كتاب أبي عمرو بن الحاجب لمقص فيو طرق أهل المذهب في
كل باب وتعدد أقوالهم في كل مسألة فجاء كالبرزخ للمذهب وكانت الطريقة المالكية
بقيت في مصر من لدن الحارث بن مسكين وابن المشور وابن اللبث وابن الرشيق وابن
شاس وكانت بالاسكندرية في بني عوف وبني سند وابن عطاء الله ولم ادر عن اخذها
أبو عمرو بن الحاجب لكنه جاء بعد انقراض دولة العبيدين وذهب فقهاء أهل البيت
وظهور فيها السنة من الشافعية والمالكية ولما جاء كتابة إلى المغرب آخر المائة العاوية
عكف عليه الكثير من طلبة المغرب وخصوصاً أهل بجاية لما كانت كبير مشيخهم أبو علي
ناصر الدين الزرلاوي هو الذي جال إلى المغرب فأنه كان قراء على أصحابه بمصر ونسخ
مختصره ذلك فجاء به وانتشر بفطر بجاية في تلميذه ومنهم انتقل إلى سائر الأمصار المغربية
وطلبة الثقة بالمغرب لهذا العهد يتداولون قراءته ويتدارسونها لما يؤثر عن الشيخ ناصر
الدين من الترغيب فيو وقد شرحه جماعة من شيوخهم كابن عبد السلام وابن رشد وابن
هارون وكلهم من مشيخة أهل تونس وسابق حلبيهم في الأجادة في ذلك ابن عبد السلام وم
مع ذلك يتعاهدون كتاب التهذيب في دروسهم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

الفصل الثامن

في علم النرائض

وهو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام النريضة ما يصح باعتبار فروضها الأصول
أو مناصحتها وذلك إذا هلك أحد الورثة وانكسرت سهامه على فروض ورثوه فأنه حينئذ
يحتاج إلى حسب صحيح انريضة الأولى حتى يصل أهل النروض جميعاً في النريضتين
إلى فروضهم من غير تجزئة وقد تكون هذه المناخات أكثر من واحد واثنين وتعدد
لذلك بعدد أكثر ويقدر ما تتعدد تحتاج إلى المحسبان وكذلك إذا كانت فريضة ذات
وجوهين مثل أن يقر بعض الورثة بوارث ويكره الآخر فتصح على الوجهين حينئذ وينظر
مبلغ السهام ثم تقسم التركة على نسب سهام الورثة من أصل الفريضة وكل ذلك يحتاج
إلى المحسبان وكانت غالباً فيو وجعلوه فناً مفرداً والناس فيو ناكيف كثيرة أشهرها عند

الكلام ملكة لا هول لم تكن هذه علومًا ولا قوانين ولم يكن الفقه حرفة يحتاج إليها لأنها
 جملة وملاكمة فلما فسدت الملكة في لسان العرب قديما اجتهدوا المتفردون لذلك بفن
 صحيح ومفاهيم مستنبطة صحيحة وصارت علومًا يحتاج إليها النفوس في معرفة أحكام الله تعالى
 ثم ان هناك استنفادات أخرى خاصة من تراكم الكلام وفي استعادة الأحكام الشرعية
 بين المعاني من ادائها الخاصة من تراكم الكلام وهو الفقه ولا يكفي فيه معرفة الدلالات
 الوضعية على الإطلاق بل لابد من معرفة أمور أخرى توقوف عليها تلك الدلالات
 الخاصة وبها تستفاد الأحكام بحسب ما أصل أهل الشرع وجهًا لهذه العلم من ذلك وجهه
 قوانين لهذه الاستنفاد مثل ان اللغة لا تنبئ بقياسًا وإنما ترك لا يراد به معناه معًا والميل
 لا يقتضي الترتيب والعلم اذا خرجت افراد المتناس من هل يبقى شيئا فيما عداهما والامر
 للوجوب او الندب والتورا او التراخي والفهم يقتضي الفساد او الصحة والمطلق هل يتحمل
 على المنع والص على العلة كالف في التعمد ام لا لا مثال هذه فكانت كلها من قواعد
 هذا الفن ولكونها من مباحث الدلالة كانت لازمة ثم ان الشارح في التباس من اعظم
 قواعد هذا الفن لان فيه يتبين الاصل والفرع فيما يفرق وتباين من الاحكام وينتج
 الوصف الذي يتناسب على التمسك على ان الحكم عاقبة في الاصل من حيث اوصاف ذلك
 المثل او وجود ذلك الوصف والفرع من غير معارض مع من ترتيب الحكم في مسائل
 اخرى من نزاع ذلك كلها قواعد هذا الفن. (واعلم ان هذا الفن من العلوم المستعدة
 في الملة وكان السلف في غيبة عنه بما ان استعادة المعاني من الانماط لا يحتاج فيها الى ازيد
 مما عندهم من الملكة اللسانية ولما القوانين التي يحتاج إليها في استعادة الاحكام منصوصا
 فهم اخذ معظمها ولما الاسانيد فلم يكونوا يحتاجون الى النظر فيها لقرب العصر وممارسة
 القلة وشغلهم بهم فلما انقرض السلف وذهب الصدر الاول وافتلت العاوم كتبها جماعة
 كاقرارهم من قبل احتياج الفقهاء والمجاهدين الى تفصيل هذه القوانين والقواعد
 لاستفادة الاحكام من الأدلة فكروا فقاموا براسمهم اصول الفقه وكلف اول من
 كتب فيه الشافعي رضي الله تعالى عنه امل في رسالة المشهورة تكلفها في الايام والفقه
 والبيان والمختصر والتمهيد وحكم العلة المصروفة من التباس ثم كتب فيها المصنف فيه وحققا
 تلك القواعد واوسع على القول فيها وكتب المتكلمون ايضا كذلك الا ان كتابه الفقهاء
 فيها من الفقه والفتن بالفرع وكثرة انملة منها والشواهد وبنها المسائل فيها على
 الكتب الفقهية والمتكلمون يوردون صور تلك المسائل على الفقه ويرجون الى الاستدلال

الاحكام ثلثي منه بما يوجب اليقين من القرآن وينبئ به قوله وفعله بخطاب شفاهي لا يحتاج الى
 نقل ولا الى نظر وقياس ومن بعده صلوات الله وسلامه عليه تعذر الخطاب الشفاهي
 واحتفظ القرآن بالتواتر واما السنة فاجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على وجوب
 العمل بما يصل اليها منها قولاً او فعلاً بالمثل الصحيح الذي يغلب على الظن صدقه
 وتعميم دالة الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ثم ينزل الاجماع منزلة الاجماع
 الصحابة على التكرار على مخالفتهم ولا يكون ذلك الا عن مستند لان مثله لا يتفقون من
 غير دليل ثابت مع شهادة الادلة بعصمة الجماعة نصار الاجماع دليلاً ثابتاً في الشرعيات
 ثم نظرنا في طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة فاذا هم يقيسون الاشياء
 بالاشياء منها وينظرون الامثال بالامثال واجماع منهم وتسلم بعضهم لبعض في ذلك
 فان كثيراً من الوقائع بعده صلوات الله وسلامه عليه لم تدرج في النصوص الثابتة
 فتأوها بما ثبت واقرها بما تدن عليه شروط في ذلك الاحكام ^{تصح} تلك المساواة بين
 الشبهين او المثلين حتى يغلب على التلويح ان حكم الله تعالى فيها واحد وصار ذلك دليلاً
 شرعياً واجماعهم عليه وهو القياس وهو راجع الادلة وانفق جمهور العلماء على ان هذه هي
 اصول الادلة وان خالف بعضهم في الاجماع والقياس الا انه شذوذ والمحقق بعضهم بهذه
 الاربعة ادلة اخرى لاحاجة بنا الى ذكرها لضعف مداركها وشذوذ الاول فيها فكان
 اول مباحث هذا الفن النظر في كون هذه ادلة فاما الكتاب فدليلاً المجزئة الفاطمة في
 منه والتواتر في نقله فلم يبق فيه مجال للاحتمال واما السنة وما نقل اليها منها فالاجماع
 على وجوب العمل بما يصح منها كما قلناه من متضاداتها كان العمل في حياته صلوات الله
 وسلامه عليه من انفاذ الكتب والرسول الى الامم بالاحكام والشرائع آمراً وناهياً واما
 الاجماع فلانفاقهم رضوان الله تعالى عليهم على انكارها لفتحهم مع العصمة النابتة للامة واما
 القياس فاجماع الصحابة رضي الله عنهم عليه كما قدمناه هذه اصول الادلة ثم ان المنقول
 من السنة يحتاج الى تصحيح الخبر بالنظر في طرق النقل وعدالة الدافين لتميز الحالة
 المحصلة للظن بصدقه الذي هو مناط وجوب العمل وهذه ايضا من قواعد الفن ويلحق
 بذلك عند المعارض بين المخبرين وطالب المتقدم منها معرفة الناسخ والمنسوخ وهي من
 فصوله ايضا واما يوجب بعد ذلك تعيين النظر في دلالة الالفاظ وذلك استناد المعاني
 على الالفاظ من تراكيب الكلام على الاطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية
 مفردة ومركبة والفرق بين النسابة في ذلك هي علوم النحو والنصرف والبيان وحين كان

شاعرا منهم ثم لما انتهى ذلك الى الائمة الاربعة من علماء الامصار وكانوا يمكن من حسن
 الظن بهم اقتصر الناس على تقليدهم ومنعوا من تقليد سواهم لذهاب الاجتهاد لصعوبة
 وتشعب العلوم التي هي مواده بانصال الزمان واقتفاء من يقوم على سوى هذه المذاهب
 الاربعة فاقامت هذه المذاهب الاربعة اصول الملة واجري الخلاف بين المتسكنين بها
 ولاخذن باحكامها مجرى الخلاف في النصوص الشرعية والاصول الفقهية وجرت بينهم
 المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب امامه تجري على اصول صحيحة وطرائق قوية يجمع بها
 كل على مذهبه الذي قلده وتمسك به واجريت في مسائل الشريعة كلها وفي كل باب
 من ابواب الفقه فتارة يكون الخلاف بين الشافعي ومالك والوحيدة يوافق احدها وتارة
 بين مالك والي حنيفة والشافعي يوافق احدها وتارة بين الشافعي والي حنيفة ومالك
 يوافق احدها وكان في هذه المناظرات بيان ماخذ هؤلاء الائمة ومشارت اختلافهم
 ومواقع اجتهادهم كان هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافيات ولا بد لصاحب من معرفة
 القواعد التي يوصل بها الى استنباط الاحكام كما يحتاج اليها المجتهد الا ان المجتهد يحتاج اليها
 للاستنباط وصاحب الخلافات يحتاج اليها لحفظ تلك المسائل المستنبطة من ان يذهبها
 الخلفاء بادلتوه وهو لمعري علم جليل الفائدة في معرفة ماخذ الائمة وادلتهم ومران المطالع
 له على الاستدلال فيها برمون الاستدلال عليه وتأليف الحنيفة والشافعية فيه اكثر من
 تأليف المالكية لان القياس عند الحنيفة اصل للكثير من فروع مذهبهم كما عرفت فهم
 لذلك اهل النظر والبحث . واما المالكية فالاثرا اكثر معتمد وليسوا باهل نظر وايضا
 فاكثروا اهل المغرب وهم بادية غفل من الصنائع الا في الاقل وللغزالي رحمه الله تعالى فيه
 كتاب الماخذ ولا يري الدبوسي كتاب التعليقة ولا ينقص من شيوخ المالكية عيون
 الادلة وقد جمع ابن الساعاتي في مختصره في اصول الفقه جميع ما يفتي عليها من الفقه الخلاف في
 مدرجات في كل مسألة ما يفتي عليها من الخلافات . (واما الجدل) . وهو معرفة اداب
 المناظرة التي تجري بين اهل المذاهب الفقهية وغورم فانه لما كان باب المناظرة في الرد
 والقبول متصفا وكل واحد من المناظرين في الاستدلال والنجواب يرسل عامة في
 الاحتجاج ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ فاحتاج الائمة الى ان يضعوا ادابا
 واحكاما ينف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل
 والطبيب وحيث يسوغ له ان يكون مستدلا وكيف يكون مخصوصا منقطعاً ومحل اعتراضه
 ان معارضته وابن نجيب عليه السكوت والمقصود الكلام في الاستدلال ولذلك قيل فيو انه

العلي ما أمكن لانه غالب فنوهم ومقتضى طريقهم فكان لفتاء الحنفية فيها اليد الطولى
 من الغرض على التكت التفتية والتقاط هذه الثنائين من مسائل الفقه ما أمكن وجاء
 ابو زيد الديلمي من ائمتهم فكتب في القياس باوسع من جميعهم وتم الاجمات والشروط
 التي يحتاج اليها فيه وكلت صناعة اصول الفقه بكمالها وعهدت مسائله وتمدت قواعد
 وعنى الناس بطريقة المتكلمين فيه وكان من احسن ما كتب فيه المتكلمون كتاب البرهان
 لامام الحرمين والمستصفي للقراني وهما من الاشعرية وكتاب العهد لعبد الجبار وشرحه
 المعتمد لابي الحسين البصري وهما من المعتزلة وكانت الاربعة قواعد هذا الفن واركانه
 ثم لخص هذه الكتب الاربعة فجلان من المتكلمين المتأخرين وهما الامام فخر الدين بن
 الخطيب في كتاب الحصول وسيف الدين الامدي في كتاب الاحكام واختلفت طرائقها
 في الفن بين التحقيق والاحتجاج فابن الخطيب اميل الى الاستكثار من الادلة والاحتجاج
 والامدي مولع بتعقيد المذاهب وتفرع المسائل ولما كتب الحصول فاختصره تليد
 الامام سراج الدين الارموي في كتاب التخصيل وتاج الدين الارموي في كتاب المحاصل
 واقتطف شهاب الدين القرافي منها مقدمات وقواعد في كتاب صغير سماه التفتيات
 وكذلك فعل البيضاوي في كتاب المنهاج وعنى المبتدئون بهذه الكتب وشرحها
 كثير من الناس . ولما كتب الاحكام للامدي وهو اكار تحقيقا في المسائل فلفه ابن
 عربون الحاجب في كتابه المعروف بالختصر الكثير ثم اختصره في كتاب اخر تداوله
 طلبة العلم وعنى اهل المشرق والمغرب به وعطا لعهو وشرحه وحصلت زبدة طريقة
 المتكلمين في هذا الفن في هذه المختصرات . ولما طريقة الحنفية فكتبها فيها كثيرا وكان
 من احسن كتابه فيها المتقدمين تاليف ابي زيد الديلمي واحسن كتابه المتأخرين فيها
 تاليف سيف الاسلام البزدوي من ائمتهم وهو مستوعب وجاء ابن الساعاتي من فقهاء
 الحنفية فجمع بين كتاب الاحكام وكتاب البزدوي في الطريقتين وسى كتابه بالندائع
 فقهاء من احسن الاوضاع وابدها دائرة العلماء لهذا العهد بتداوله وقراءة وبحثا وولوج
 كبير من علماء العجم يشرحه والمحال على ذلك لهذا العهد هذه حقيقة هذا الفن وتعين
 موضوعاته وتعيد النالكيف المشهورة لهذا العهد فيه والله ينفعنا بالعلم ويجهلنا من اهله
 بموكره وانه على كل شيء قدير . (ولما الخلافات) . فاعلم ان هذا الفقه المستنطق من
 الادلة الشرعية كثر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وانظارهم خلافا لا بد
 من وقوعه لما قدمناه وانسع ذلك في الملة اتساعا عظيما وكان للفقهاء ان يقلدوا من

ترتيبها إنما هي انشاء بخلقها الله في الفكر يتبع بعضها بعضاً ولا انسان عاجز من معرفة مبادئها
وغاياتها وإنما يحيط علماً في الغالب بالاسباب التي في طبيعة ظاهرة وينع في مداركها على
نظام وترتيب لان الطبيعة محصورة للنفس ونحت طورها وأما التصورات فطائفاً أوسع
من النفس لأنها للعقل الذي هو فوق طور النفس فلا تدرك الكثير منها فضلاً عن الاحاطة
وتأمل من ذلك حكمة الشارع في تهديد عن النظر الى الاسباب والوقوف معها فانه واد
يهم فيه الفكر ولا يعلمونه بطائل ولا يظهر حقيقة قل الله ثم ذرهم في خوضهم ياحيون وربما
انتفع في وقوفه عن الارتقاء الى ما فوقه فزلت قدمه واصبح من الضالين المالكين تعود
بالله من الحرمان والخسران المدين ولا تحسب ان هذا الوقوف او الرجوع عنه في تدرك
واختيارك بل هو لون يحصل للنفس وصيغة تستقيم من الخوض في الاسباب على نسبة لا
نفسها اذ اولعناها لتقرنا منها فنخرج من ذلك بقطع النظر عنها جملة وايضا فوجه تأثير
هذه الاسباب في الكثير من مسبباتها مجهول لانها إنما يوقف عليها بالعادة لاقران الشاهد
بالاستناد الى الظاهر وحقيقة التأثير وكيفية مثيرته وما اوتيتم من العلم الا قليلاً فانه لك
امرنا بقطع النظر عنها والقائها جملة والتوجه الى مسبب الاسباب كلها وقائها وموجدها
لترسيخ صفة التوحيد في النفس على ما علمنا الشارع الذي هو اعرف بصالح ديننا وطرق
سعادتنا لاطلاعه على ما وراء المحس قال صلى الله عليه وسلم من مات يشهد ان لا اله الا
الله دخل الجنة فان وقف عند تلك الاسباب فقد انقطع وحقت عليه كلمة الكفر وان
سبح في بحر النظر والبحث عنها وعن اسبابها وتأثيراتها واحداً بعد واحد فاما الضامن له ان
لا يعود الا بالخبرة فانه لك منها الشارع عن النظر في الاسباب وامرنا بالتوحيد المطلق
قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ولا نقن بما يزعم لك الفكر
من انه مقدر على الاحاطة بالكمالات والاسباب والوقوف على تفصيل الوجود كله وسفه
رايو في ذلك واعلم ان الوجود عند كل مدرك في بادي رايه ينحصر في مداركه لا بعدوها
والامر في نفسه يختلف ذلك والمحق من وراءه الا ترى الاصم كيف ينحصر الوجود عنده
في المحسوسات الاربع والمعتولات ويسقط من الوجود عنده صنف السموات وكذلك
الاعمى ايضاً يسقط عنده صنف المراتب ولولا ما يردهم الى ذلك تقليد الاباء والشيخية
من اهل عصرهم والكافة لما اقرأوا كتبهم يتبعون الكافة في اثبات هذه الاصناف لا يقتضي
فطرتهم وطبيعة ادراكهم ولو سئل المجنون الاعجم ونطق لوجدناه منكراً للمعتولات
وساقطة لديه بالكتابة فاذا علمت هذا فاعلم هنا كضرباً من الادراك غير مدركتنا لان

معرفة بالتواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها الى حفظ راي
وهو ما كان ذلك الراي من الفقه او غير وفي طريقتان طريقة البيهقي وهي خاصة
بالادلة الشرعية من النص والاجماع والاستدلال وطريقة العميدي وهي عامة في كل
دليل يستدل به من اي علم كان واكثره استدلال وهو من المناحي الخمسة والمغالطات
فيه في نفس الامر كثيرة واذا اعتبرنا النظر المنطقي كان في الغالب اشبه بالقياس المغالطي
والموسطائي الا ان صور الادلة والاقضية فيه ممنوعة مراعاة بغيرها طرق الاستدلال
كما ينبغي وهذا العميدي هو اول من كتب فيها ونسبت الطريقة اليه وضع الكتاب المسمى
بالارشاد مختصرا وتبعه من بعده من المتأخرين كالنسفي وغيره جاءوا على اثره وسلكوا
مسلكه وكثرت في الطريقة التأليف وفي هذا العهد مجرورة لنقص العلم والتعليم في الامصار
الاسلامية وفي مع ذلك كماله وابتست ضرورة والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

الفصل العاشر

في علم الكلام

هو علم يضمن الاحتجاج عن العقائد الایمانية بالادلة العقلية والرد على المبتدعة المخرفين
في الاعتقادات عن مذاهب السلف واهل السنة وسر هذه العقائد الایمانية هو التوحيد
فلقد تم هنا لطيفة في برهان عقلي يكشف لنا عن التوحيد على اقرب الطرق والمأخذ ثم
نرجع الى تحقيق علمه وفيما ينظر ويشير الى حدوثه في الملة وما دعا الى وضعه فنقول ان
الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الدوات او من الافعال البشرية والحيوانية
فلا بد لها من اسباب متقدمة عليها بها تقع في مستقر المادة وحينئذ يتم كونه وكل واحد من
هذه الاسباب حادث ايضا فلا بد له من اسباب اخر ولا تنزل تلك الاسباب مرتبة
حتى تنتهي الى مسبب الاسباب وموجدها وخالقها سبحانه لا اله الا هو وتلك الاسباب
في ارتفاعها تنسحق وتضعاف طولاً وعرضاً ويمار العنق في ادراكها وتعديدها فاذا لا
يحصروا العلم المحيط سبباً الافعال الشرية والحيوانية فان من جملة اسبابها في الشاهد
القصور والارادات اذ لا يتم كون الفعل الا بارادته والقصد اليه والنصود والارادات
امور نفسانية ناشئة في الغالب عن تصورات سابقة بتلو بعضها وتلك التصورات
هي اسباب قصد الفعل وقد تكون اسباب تلك التصورات تصورات اخرى وكل ما يقع
في النفس من التصورات مجهول سببه اذ لا يطالع احد على مبادي الامور النفسانية ولا على

ذلك ولودفع عنه ثم يتصدق عليه بما حضره من ذات يده وكذا علمك بالتوحيد مع
 انصافك به والعلم حاصل عن الانصاف ضرورة وهو اوثق مني من العلم المحاصل قبل
 الانصاف وليس الانصاف بمحاصل عن مجرد العلم حتى يقع العيب ويكثر مراراً غير
 منصورة فترسخ الملكة ويحصل الانصاف والتحقق ويبيح العلم الثاني النافع في الآخرة فان
 العلم الاول المجرد عن الانصاف قليل الجودى والنفعة وهذا علم اكثر النظر والمطالوب
 انما هو العلم الجمالي الناشئ عن العادة واعلم ان الكمال عند التنازع في كل ما كلف به اما
 هو في هذا فما طلب اعتقاده فالكمال في في العلم الثاني المحاصل عن الانصاف وما طلب
 عملة من العبادات فالكمال فيها في حصول الانصاف والتحقق بها ثم ان الاقبال على
 العبادات والمواظبة عليها هو المحصل لهذه الثمرة الشريفة قال صلى الله عليه وسلم في راس
 العبادات جعلت قرة عيني في الصلاة فان الصلاة صارت له صفة وحالاً يجود فيها متمي
 الذوق وقرة عينه وان هذا من صلاة الناس ومن لم بها قول للمصلين الذين هم عن صلاحهم
 ساهون اللهم وقتنا وهذا السراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب
 عليهم ولا الضالين فقد تبين لك من تتبع سائر رتبة ان المطلوب في التكليف كلها
 حصول ملكة راسخة في النفس يحصل منها علم اضطراري للنفس هو التوحيد وهو العقيدة
 الايمانية وهو الذي يجعل به السعادة فان ذلك سبيل في التكليف القلبية والبدنية ويتبين
 منه ان الايمان الذي هو اصل التكليف يتبعها هو بهذه المقام ذو مراتب اولها
 التصديق القلبي الموافق للسان واعلاها حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي وما يتبعه
 من العمل مستولية على القلب فيستقيم الجوارح وتدرج في طاعتها جميع التصرفات حتى
 تنظر الافعال كلها في طاعة ذلك المصدق الايماني وهذا ارفع مراتب الايمان ومن
 الايمان الكامل الذي لا يقارب المؤمن معه صغيرة ولا كبيرة اذ حصول الملكة ورسوخها
 مانع من الاعتراف عن مناهية طرفه عن قال صلى الله عليه وسلم لا يترني الراي حين يترني
 وهو مؤمن وفي حديث هرقل لما سأل ابا سفيان ابن حرب عن النبي صلى الله عليه وسلم
 واحواله فقال في اصحابه هل يترد احد منهم مستظلة لدينه قال لا قال وكذلك الايمان
 حين تحاط بشاشة القلوب ومعناه ان ملكة الايمان اذا استقرت عسر على النفس مخالفتها
 شان الملكات اذا استقرت فانها تحصل بنهاية الجيلة والقطرة وهذه هي المرتبة العالية من
 الايمان وهي في المرتبة الثانية من العصبة لان العصبة واجبة للاسياء وجوئاً مابقاً وهذه
 حاصله للمؤمنين حصولاً تاماً لا يعلم وتقدم فيهم وبهذه الملكة ورسوخها يقع التفاوت في

ادراكنا متفاوتة معدلة وخلاف الله أكبر من خلق الناس والمحصر محمول والوجود اوسع نطاقا من ذلك والله من وراءهم محيط فاتهم ادراكك ومدركاتك في المحصر وانبع ما ادرك الخارج به من اعتقادك وعملك فهو احرص على سعادتك واعلم بما ينفعك لانه من طور فوق ادراكك ومن نطاق اوسع من نطاق عقلك وليس ذلك بقادح في العقل ومداركك بل العقل ميزان صحيح فاحكامه يقينية لا كذب فيها غير انك لا تطمع ان تزن به امور التوحيد والاخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الالهية وكل ما وراء طوره فان ذلك طمع في محال ومثال ذلك مقال رجل رأى الزان الذي يوزن بالذهب فلطمع ان يزن به الجبال وهذا لا يدرك على ان الميزان في احكامه غير صادق لكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له ان يحيط بالله وبصفاته فانه ذرة من ذرات الوجود المحاصل منه وتطعن في هذا اللفظ من يقدم العقل على السمع في امثال هذه القضايا بقصور فهو واضمحلال رايه فقد تبين لك الحق من ذلك واذا تبين ذلك فقلل الاسباب اذا تجاوزت في الارتقاء نطاق ادراكنا ووجودنا خرجت عن ان تكون مدركة ففضل العقل في بدهام الاوهام ويحار وينقطع فاذا التوحيد هو العجز عن ادراك الاسباب وكيفية تأثيرها وتوحيص ذلك الى خالفها الخلل بها اذ لا فاعل غيره وكما ترتقي اليد وترجع الى قدرته وعلمنا بما هو من حيث صدور رايته وهذا هو معنى ما نل عن بعض الصديقين العجز عن الادراك ادراك ثم ان المعتبر في هذا التوحيد ليس هو الايمان فقط الذي هو تصديق حقيقي فان ذلك من حديث النفس وانما الكمال فيه حصول صفة منه تكيف بها النفس كما ان المطالب من الاعمال والعبادات ايضا حصول ملكة الطاعة والاعتقاد وتفرغ القلب عن شواغل ما سوى المعبود حتى يتقارب المرید الى السالك ربايا والتفرق بين المحال والعلم في العقائد فرق ما بين القول والانصاف وشرحه ان كثيرا من الناس يعلم ان رحمة اليتيم والمساكين قرينة الى الله تعالى مدوب اليها ويقول بذلك ويعترف به ويذكر ما خذه من الشرعية وهو لو راي يتيما او مسكينا من ابنا المستضعفين لمرعته واستكف ان ياتيه فضاكرا استسبح عليه الرحمة وما بهد ذلك من مقامات العطف والحنو والصدقة فهذا ما حصل له من رحمة اليتيم مقام العلم ولم يصل له مقام المحال والانصاف ومن الناس من يحصل له مع مقام العلم والاعتراف بان رحمة الله تعالى قرينة الى الله تعالى مقام اخر اعلى من الاول وهو الانصاف بالرحمة وحصول ملكة في راي يتيما او مسكينا باذنه والى وصي عليه والنفس الثواب في الشفقة عليه لا يكاد يصبر عن

هذه العقائد أكثر مفاها من الآي المشابهة فدعا ذلك الى الخصام والتناظر والاستدلال
 بالعلل زيادة الى النقل فحدث بذلك علم الكلام ولتبيين لك تفصيل هذا المجهل وذلك
 ان القرآن ورد فيه وصف المعبود بالتزيه المطلق الظاهر للدلالة من غير تاويل في آي
 كثيرة وهي سلوب كلها وصريحة في بابها فوجب الايمان بها ووقع في كلام الشارع صلوات
 الله عليه وكلام الصنابة والتابعين تفسيرها على ظاهرها ثم وردت في القرآن آي أخرى
 قليلة توهم التشبيه مرة في الذات واخرى في الصفات فاما السلف فقلوا ادلة التزيه لكثرتها
 ووضوح دلالتها وعلينا استغناء التشبيه وقضوا بان الآيات من كلام الله فامضوا بها ولم
 يتعرضوا لمناقضها بحجة ولا تاويل وهذا معنى قول الكثير منهم اقرأوها كما جاءت اي امنوا
 بابها من عند الله ولا تعرضوا لنا وبها ولا تشبهوها لجواز ان تكون ابتلاء فيجب الوقف
 والاعتناء له وشك لبعضهم مبتدعة اتبعوا ما نشأ به من الآيات وتوغلوا في التشبيه ففرقوا
 اشبهوا في الذات باعتماد اليد والقدم والرجه عملاً بظواهر وردت بذلك فوقوا سبيل
 التفسير الصحيح ومخالفة آي التزيه المطلق التي هي أكثر موارد وأوضح دلالة لان معقولة
 الجسم تقتضي النقص والافتقار وتغليب آيات السلوب في التزيه المطلق التي هي أكثر
 موارد وأوضح دلالة الاولى من الثانية بظواهر هذه التي لنا عنها غيرة وجمع بين الدليلين بتاويلهم
 ثم يرون من شناعة ذلك قولهم جسم لا كالأجسام وليس ذلك بدافع عنهم لانه قول
 متعاض وجمع بين نفي وإثبات ان كان بالمعقولة واحدة من الجسم وان خالفوا فيها ونفوا
 المعقولة المدركة ففرقوا فبقونا في التزيه ولم يبق الا جعلهم لفظ الجسم اسماً من اسماء
 وبقوا مثله على الاذن وفرق بينهم ذهبوا الى التشبيه في الصفات كإثبات الجبهة والاستواء
 والنزول والصوت والمعرف ومثال ذلك وآل قولهم الى التجميع فنزعو مثل الاولين الى
 قولهم صوت لا كالأصوات جهة لا كالجبهات نزول لا كالنزول يعنون من الأجسام
 وان يدفع ذلك بما اندفع به الاول ولم يبق في هذه الظواهر الا اعتادات السلف ومذاهم
 والايمان بها كما هي لئلا يكرهوا على معانها بنفها مع انها صريحة ثابتة من القرآن ولهذا
 نظر من انراه في عقيدة الرسالة لان الى زيد وكتاب المختصر له وفي كتاب السلف ابن
 عبد البر وغيرهم فاتهم بجهوم على هذا المعنى ولا تنهض عينك عن القرائن الدالة على
 ذلك في نفوس كلامهم م ما كثرت العلوم والصنائع وواع الناس بالتدوين ولجحت في
 سائر الاشياء والتب المتكهنون في التزيه حدثت بدعة المعتزلة في تعميم هذا التزيه في آي
 السلوب ففرضوا بنفي صفات المعاني من العلم والقدرة والارادة والجملة زائدة على احكامها

الايمان كالذي يبنى عليك من افلاويل السلف وفي تراجم البخاري رضي الله عنه في باب
 الايمان كثير منه مثل ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وان الصلاة والصيام من
 الايمان وان تطوع رمضان من الايمان والمحبة من الايمان والمراد بهذا كله الايمان
 الكامل الذي اشرنا اليه وإلى ما كتب وهو فعلي وأما التصديق الذي هو اول مراتبه فلا
 تفاوت فيه فمن اعتبر اوائل الاسماء وحمله على التصديق منع من التفاوت كما قال ائمة
 المتكلمين ومن اعتبر اواخر الاسماء وحمله على هذه الملكية التي هي الايمان الكامل ظهرت
 التفاوت وليس ذلك بقادح في اتحاد حقيقته الاولى التي هي التصديق اذ التصديق موجود
 في جميع رتبته لانه اقل ما يطلق عليه اسم الايمان وهو الخالص من عبادة الكفر والفصل بين
 الكافر والمسلم فلا يميز اقل منه وهو في نفسه حقيقة واحدة لا تتفاوت وإنما التفاوت في
 اشمال المحاصلة عن الاعمال كما قلناه فانهم اعلم ان الشارع وصف لنا هذا الايمان الذي
 في المرتبة الاولى الذي هو تصديق وعين امورا مخصوصة كلنا التصديق بها بقوله ما اعتقادها
 في انفسنا مع الاقرار ما نستنبطها وهي العقائد التي تنزلت في الدين قال صلى الله عليه وسلم
 حين سئل عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن
 بالقدر خيره وشره وهذه هي العقائد اليمانية المقررة في علم الكلام . ولذا روي بها محبة
 لتبين الحقيقة هذا الفن وكتبه حدوده . فنقول اعلم ان الشارع لما امرنا بالايمان بهذا
 الخلق الذي رد الافعال كلها اليه وافرد به كما قدمناه وعرفنا ان في هذا الايمان ثمانية
 عند الموت اذا حضرنا لم يعرفنا بكنهه حقيقة هذا الخلق المعهود اذ ذاك متعذر على
 ادراكنا ومن فوق طورنا فكلمنا اولاً اعتقاد تنزيهه في ذاته عن مشابهة المخلوقين والا لما
 صح انه خالق لم لعدم الفارق على هذا التقدير ثم تنزيهه عن صفات النقص والا لشابه
 المخلوقين ثم توحيد بالاتحاد والا لم يتم الخلق للمانع ثم اعتقاد انه عالم قادر فيذلك ثم
 الافعال شاهد قضيته كمال الاتحاد والخلق ومريد والا لم يخصص شيء من المخلوقات
 ومقدر لكل كائن والا فلا ارادة حادثة وانه بعيد ما بعد الموت تكبيراً لعباده بالاحياد ولو
 كان لامر فان كان عبثاً فهو للقاء السرمدي بعد الموت ثم اعتقاد بعثة الرسل للنجاة من
 شقاء هذا المعاد لاختلاف احوال الناس بالشقاء والسعادة وعدم معرفتنا بذلك وغام اطوار
 بنا في الاتباع بذلك وبيان الطريقين وان المحبة للعلم وجههم للعذاب هذه امهات العقائد
 اليمانية معللة بادلها العقلية وادلها من الكتاب والسنة كثير وعن تلك الادلة اخذها
 السلف وارشد اليها العلماء وحققها الائمة الا انه عرض بعد ذلك خلاف في تفاصيل

فهو ثم لخصه في كتاب الارشاد واتخذ الناس اماماً لعقائدهم ثم انتشرت من بعد ذلك
 علوم المنطقي في الملة وقراء الناس وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية بانه قانون ومعيار
 للدلالة فقط يسير به الادلة منها كما يسير من سواها ثم نظروا في تلك القواعد المتدمات
 في فن الكلام للاقدمين فحاشوا لكثير منها بالبراهين التي آذنت الى ذلك ورعوا ان كثيراً
 منها مقبوس من كلام الفلاسفة في الطبيعيات والاهليات فلما سيروها لمعيار المطلق ردوا
 الى ذلك فيها ولم يعتقدوا بخللان المدلول من بطلان دلائله كما صار ابو الفاضل فصارت
 هذه الطريقة من مصطلهم مبادية للخرقة الاولى رئيسي طريقة المتأخرين وربما ادخلوا
 فيها الرد على البلاسة فيما خالفوا فيه من العقائد الايمانية وجهلوا من خصوص العقائد
 لتناسب الكثير من مذاهب المتبعة ومذاهبهم واول من كتب في طريقة الكلام على هذا
 الشئ الفريال رحمه الله وتبعه الامام ابن السكيت وجماعة فنوا اثرهم واعتقدوا بتقديمه ثم
 توغل المتأخرون من بعدهم في بغالة كتب الفلسفة والنسب عليهم ثبات الموضوع في
 الدين ففسروه فيها راسخاً من اثناء المسائل فيها واعلم ان المتكلمين لما كانوا يستدلون
 في اكثر احكامها بالكنائيات واحكامها على وجوب الباري صفاته وهو نوع استدلاله غالباً
 والهمس الطبيعي ينتشر فيه الاسوي في الطبيعيات وهو بعض من هذه الكنائيات الا ان
 نظاره فيها خالف لنظر المتكلم وهو ينظر في الجسم من حيث يشترك ويسكن والمتكلم ينظر
 فيه من حيث يدل على الماتل وكذا ينظر الفيلسوفي في الاهليات اما هو ينظر في الوجود
 المطلق وما يقتضيه ذاته ونظر المتكلم في الوجود من حيث انه يدل على الموجد وبالحجالة
 فموضوع علم الكلام عند اهلنا هو العقائد الايمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث
 يمكن ان يستدل عليها بالادلة العقلية فيرفع الدع وتزول الشكوك والشبه عن تلك
 العقائد واذا ناملت حال الفتن في حدوده وكيف تدور كلام الناس فيه صدراً بعد
 صدوروا بهم يفرض العقائد صحيحة ويستفيض أئمة والادلة طلت حينئذ ما قررناه لك
 في موضوع ان وانه لا يحدوه ولقد اختلفت الشريقتان عنده هؤلاء المتأخرين والنسب
 مسائل الكلام مسائل الفلسفة بحيث لا يتميز احد الاثنين من الآخر ولا يحصل عاوي طالبا
 من كتبهم كما فعله البصاوي في الفواعل ومن جاء بعده من علماء العجم في جميع تاليفهم الا
 ان هذه الطريقة قد يعني بها بعض طلبة العلم للاطلاع على المذاهب والاغراق في معرفة
 النجاس لوفرة ذلك فيها واما تعاضد طريقه السلف لعقائد علم الكلام فاما هذه الطريقة الجديدة
 للمتكلمين واصحاب كتاب الارشاد وما حذا حذوه ومن اراد ادخال الرد على البلاسة

لما يلزم على ذلك من تعدد القديم بزعمهم وهو مردود بان الصفات ليست عين الذات
 ولا غيرها وقضوا بنفي السمع والبصر لكونهما من عناصر الاجسام وهو مردود لعدم اشتراط
 البنية في مدلول هذا اللفظ وانما هو ادراك المسموع او المصروع وقضوا بنفي الكلام لشبه ما
 في السمع والبصر ولم يعقلوا صفة الكلام التي تقوم بالنفس فتصوب بان القرآن مخلوق بدعة
 صرح السلف بخلافها وعلم ضرر هذه البدعة وانها بعض الخلفاء عن انهم شغل الناس
 عليها وبخلافها انهم اتهم السلف فاستحل الخلفاء اضرار كثير منهم ودمارهم وكانت ذلك سببا
 لانتهاض اهل السنة بالدلة العقلية على هذه العقائد دفعا في صدور هذه البدع وقام
 بذلك الشيخ ابو الحسن الاشعري امام المتكلمين فتوسط بين الطرقت ونفى التشبيه واتت
 الصفات المعنوية وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف وشهدت له الادلة المختصة
 لعموم فانبت الصفات الاربع المعنوية والسمع والبصر والكلام التام بالنسب بطريق النقل
 والعقل ورد على المبتدعة في ذلك كله وتكلم معهم فيما مردوه هذه البدع من القول بالصالح
 والاصح والتخصيص والتفصيل وكل العقائد في البعثة واحوال الجنة والنار والواب والعباد
 واتحق بذلك الكلام في الامامة لما ظهر حقيقته من بدعة الامامية من قهرها من عقائد
 الايمان وانما يجب على النبي تعذيبها والخروج عن العهد في ذلك لمن هي له وكذلك على
 الامة وقصارى امر الامامة انما قضية مصطفوية اجتماعية ولا تلحق بالعقائد فلذلك احتجوا
 بمسائل هذا الفن وسما مجبوعه علم الكلام اما لما فيه من المداطرة على البدع وفي كلام
 صرف وليست براجعة الى عمل وامان سبب وضعه والخوض فيه هو تنازعهم في اثبات
 الكلام المنسي وكثير انواع الشيخ ابي الحسن الاشعري واتت في طريقته من بعده نكته
 كان مجاهد وغيره واخذ عنهم القاضي ابو بكر الباقلاني فتصدر للامامة في طريقته وهذه
 ووضع المقدمات العقلية التي شوقف عليها الادلة والاثار وذلك مثل اثبات الجوه
 النرد والخلع وان العرض لا يقوم بالعرض وان لا يبقى زمانين وامثال ذلك ما شوقف
 عليه ائمتهم وجعل هذه التواعد تبعا للعقائد اليمانية في وجوب اعتقادها لتوقف تلك
 الادلة عليها وان بطلان الدليل يوضح بطلان المدلول وجملة هذه الطريقة وجاءت
 من احسن الفنون النظرية والعلوم الدينية الا ان صور الادلة تعتبر بها الايسة ولم تكن
 حيتية ظاهرة في الملة ولو ظهر منها بعض الشيء فلم يأخذ به المتكلمون للاستعانة بالعلوم
 الفلسفية المبينة للعقائد الشرعية بالمجمل فكانت مقبورة عندهم لذلك ثم جاء بعد القاضي
 ابي بكر الباقلاني امام المحرمين ابو المعالي فاعلى في الطريقة كتاب الشامل واوسع القول

والصبر والشكر والمقال ذلك فالروح العاقل والمتصرف في البدن تنشأ من ادراكات
وارادات واحوال وهي التي يتر بها الانسان وبعضها ينشأ من بعض كما ينشأ العلم من
الادلة والفرح والحزن عن ادراك المألوم او المتلذذ به والنشاط عن الخمول والكسل عن
الاعياء وكذلك المرید في مجاهدته وعبادته لا بد وان ينشأ له عن كل مجاهدة حال
نتيجة تلك المجاهدة وتلك الحال اما ان تكون نوع عبادة فترسخ وتصل مقاماً للمريد واما
ان لا تكون عبادة واما تكون صفة حاصلة للنفس من حزن او سرور او نشاط او كسل
او غير ذلك من المقامات ولا يزال المرید يترقى من مقام الى مقام الى ان ينتهي الى التوحيد
والمعرفة التي هي الغاية المطاوعة للسعادة قال صلى الله عليه وسلم من مات يشهد ان لا اله الا الله دخل الجنة فالمرید لا بد له من الترقى في هذه الاطوار واصلاً لكل الطاعات والاخلاص
ويقتدي بها الايمان وبصاحبها وتنشأ عنها الاحوال والصفات وتتابع وتزاد ثم تنشأ عنها
اخرى واخرى الى مقام التوحيد والعرفان واذا وقع تصوير في النتيجة او خلل ففعل انه
انما اتى من قبل التصدير في الذي قبله وكذلك في المخاطر النفسانية والوارثات القلبية
فهذا يحتاج المرید الى محاسبة نفسه في سائر اعماله ويهتد في حقها لان حصول النتائج
عن الاعمال ضروري وصورها من الخلال فهم كذلك والمرید يبعد ذلك بذوقه ومحاسب
نفسه على اسبابه ولا يشاركهم في ذلك الا القليل من الناس لان الغفلة عن هذا اكتمل
شاملة وغاية اهل العبادات اذا لم ينتهوا الى هذا النوع انهم ياتون بالطاعات مخلصة من
نظر الفقه في الاجزاء والامثال وهؤلاء يهتدون عن نتائجها بالاذواق والمواجد ليطلوا
على انما خالصه من التصدير ولا فظن ان اصل طريقتهم كلها محاسبة النفس على الافعال
والتروك والكلام في هذه الاذواق والمواجد التي تحصل عن المجاهدات ثم تستقر للمريد
مقاماً يترقى منها الى غيرها ثم لم مع ذلك اداب مخصوصة بهم واصطلاحات في الفاظ
تدور بينهم اذ الازضاع اللغوية انما هي للمعاني المتعارفة فاذا عرض من المعاني ما هو
غير متعارف اصلها عن التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه فهذا انحصار هؤلاء بهذا النوع
من العلم الذي ليس الواحد غيرهم من اهل الشريعة الكمال فيه وصار علم الشريعة على
صفتين صنف مخصوص بالفتهاء واهل التنبيه وهي الاحكام العامة في العبادات والعبادات
والمعاملات وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام
في الاذواق والمواجد المعارضة في طريقها وكيفية الترقى منها من ذوق الى ذوق وشرح
الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك فلما كثبت العلوم ودونت والف الفهم في الفقه

في عقائده فعليه كتب الغزالي والامام ابن الخطيب فانها وان وقع فيها مخالفة فلا صلاح
القديم فليس فيها من الاختلاط في المسائل والالتباس في الموضوع ما في طريقة هولاء
المتأخرين من بعدهم وعلى الجملة فينبغي ان يعلم ان هذا العلم الذي هو علم الكلام غير
ضروري لهذا العهد على طالب العلم اذ المصلحة والمصلحة قد انقرضت والائمة من اهل
الاسنة كفوناشائهم فيما كتبوا ودونوا والادلة العقلية انما احتاجوا اليها حين دافعوا وتصروا
واما الان فلم يبق منها الا كلام تنزه الباري عن كثير ايهامات واطلاقه ولقد سئل المجيد
رحمة الله عن قوم مرهم من المتكلمين يفيضون فيه فقال ما هؤلاء فقيل قوم يزعمون
الله بالادلة عن صفات المحدثات ونيات النقص فقال نفي العيب حيث يستحيل العيب
عيب لكن فائدة في احاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة اذ لا يحسن بمجامل السنة المجمل
بالتمحيط النظرية على عقائدها والله ولي المؤمنين

الفصل الحادي عشر

في علم التصوف

هذا العلم من العلوم الشرعية المأدبة في الملة واصلة ان طريقة هولاء القوم لم تزل
عند سلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والمداينة واصلا
المكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد
فما يقبل عليه المجهور من لذة ومال وجاه والافتراق عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان
ذلك عاماً في الصحابة والسلف فلما نشأ الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده
وجئ الناس الى مخالطة الدنيا اخص المتألمون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة وقال
القشيري رحمه الله ولا يشهد هذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس والمظاهر
لقب ومن قال اشتقاقه من الصفا او من الصفة فبيد من جهة القياس اللغوي قال
وكذلك من الصرف لانهم لم يمتصوا بلسه . قلت والظاهر ان قيل بالاشتقاق انه من
الصوف وهم في الغالب مخمضون بلسه لما كانوا عليهم مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب
الى لبس الصوف فلما اخص هولاء بذهب الزهد والافتراق عن الخلق والاقبال على
العبادة اخصصا بما أخذ مدركة لم وذلك ان الانسان بما هو انسان لما يتميز عن سائر
الحيوان بالادراك والادراك نوعان ادراك العلوم والمعارف من اليقين والظن والشك
والوهم وادراك الاحوال القائمة من المنزع والمحرز والقبض والسقط والارض والفض

كتابه الاحياء بعد ان ذكر صورة الرياضة . ثم ان هذا الكشف لا يكون صحيحا كاملا
 عندهم الا اذا كان ناشئا عن الاستقامة لان الكشف قد يحصل لصاحب المجموع والمجموعة
 وان لم يكن هناك استقامة كالنصرة والنصارى وغيرهم من المرتاضين وليس مرادنا الا
 الكشف الثاني عن الاستقامة ومثاله ان المرأة الصليبة اذا كانت محبوبة او معترفة وحوذي
 بها جهة المرنى فانه يتشكل فيه موجعا على غير صورته وان كانت مسطحة تشكل فيها
 المرنى صحيحا فالاستقامة للانس كالانسياط للمرأة فيما يتماع فيها من الاحوال ولما عني
 المتأخرون بهذا النوع من الكشف تكلموا في حقائق الموجودات العلوية والسفلية وحقائق
 الملك والروح والعرش والكوسى وامثال ذلك وقصرت مداركهم من لم يشاركون في طريقهم
 عن فهم ادواتهم ومواجههم في ذلك واهل الفتيا بين منكر عليهم ومسلم لهم وليس البرهان
 والدليل يتألف في هذه الطريق رداً وقبولا اذ هي من قبيل الوجدانات وربما قصد
 بعض المصنفين بيان مذهبهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه فاقى بالانغصص فالانغصص
 بالنسبة الى اهل النظر والاصطلاحات والعلوم كما فعل الفرغاني شارح قصيدة ابن الفارض
 في الديباجة التي كتبها في صدر ذلك الشرح فانه ذكر في صدور الوجود عن الناعل
 وترتيب ان الوجود كله صادر عن صفة الوجدانية التي هي مظهر الاحدية وهما معاصداران
 عن الذات الكريمة التي هي عين الوحدة لا غير ويسمون هذا الصدور بالتجلي واول
 مراتب التجليات عندهم تجلي الذات على نفسه وهو يتضمن الكمال بافاضة الابدان والظهور
 لقوله في الحديث الذي يشافونه كمت كثر اخفيا فاحببت ان اعرف فخلعت الخلق ليعرفوني
 وهذا الكمال في الابدان المتنزل في الوجود وتفصيل الحقائق وهو عدم عالم المعاني
 والمضرة الكالية والمحقيقة المحمدية وفيها حقائق الصفات واللوح والقلم وحقائق الانبياء
 والارسل اجمعين والكل من اهل الملة المهدية وهذا كله تنصيل الحقيقة المحمدية ويصدر
 عن هذه الحقائق حقائق اخرى في المحضرة الهبائية وهي مرتبة المثال ثم عنها العرش ثم
 الكرسي ثم الافلاك ثم عالم العناصر ثم عالم التركيب هذا في عالم الرتبة فاذا تجلت فهي في
 عالم التلقى ويسمى هذا المذهب مذهب اهل النبوي والمظاهر والمحضرات وهو كلام
 لا يقتدر اهل النظر على تفصيل مقتضاه لغوضه وانغلاقه وبعد ما بين كلام صاحب
 المشاهدة والوجدان وصاحب الدليل وربما انكر بظاهر الشرع هذا الترتيب وكذلك
 ذهب اخرون منهم الى القول بالوحدة المطلقة وهو رأي اغرب من الاول في تغلقه
 وتغاريه يزعمون فيه ان الوجود له قووى في تفاصيلها كانت حقائق الموجودات وصورها

وأصوله وأكلامه والتفسير وغير ذلك كتب رجال من أهل هذه الطريقة في طلبهم لهم
من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والترك كما فعله القشيري في
كتاب الرسالة والسهروردي في كتاب عوارف المعارف وأتاهم وجمع الغزالي رحمه الله
بين الأمرين في كتاب الأحياء فدون فيه أحكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم
وسنتهم وشرح اصطلاحاتهم في عارثهم وصار علم الصوف في الملة علماً بذوقاً بعد أن
كانت الطريقة عبادة فقط وكانت أحكامها إنما تدق من صدور الرجال كما وقع في سائر
العلوم التي دونت بالكتاب من التنبيه والتحديث وأسنة والأصول وغير ذلك . ثم إن
هذه الجاهدة والخلوة والذكر يتبعها علماً يكشف عن المحس والاطلاخ على عوالم من
أمر الله ليس لأصاحب المحس ادراك شيء منها والروح من تلك الميام وسبب هذا
الكشف أن الروح إذا رجعت عن المحس الشاكر إلى البهائم ضعفت أحوال المحس وقويت
أحوال الروح وعلم سبحانه وتعالى ذلك وأعان على ذلك الذكر فإنه كالغذاء لفتنة
الروح ولا يزال في غو وتزيد إلى أن يصير شهيداً بعد أن كان علماً ويكشف عن
المحس وبهم وجود النفس الذي لما من ذاتها وهو عين الإدراك فيعرض حينئذ للمواهب
الربانية والعلوم الدنيوية والخلق الأدنى وترب ذاته في خلق حقيقته من الاتقي الأعلى اتقى
الملائكة وهذا الكشف كثيراً ما يعرض لأهل العبادة فيدركون من حقائق الوجود
ما لا يدرك سواهم وكذلك يدركون كثيراً من الوانعات قبل وفروعها ويتصرفون بهم
وقوى تنوهم في الموجودات السنية وتصير طوع إرادتهم فالعلماء منهم لا يعتبرون
هذا الكشف ولا يصرفون ولا يتنبهون عن حقيقة شيء لم يعمروا بالعلم فيل يعدون
ما يقع لهم من ذلك محنة ويعوضون منه إذا حاجهم وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم
على مثل هذه الجاهدة وكان حديثهم من هذه الأكرامات أوفر الملاحظة لكنهم لم يقع لهم بها
عامة وفي مسائل الإبرك وعمر وعلمهم وعلمهم رضي الله عنهم كثير منها وتعلمهم في ذلك
أهل الطريقة من المشايخ رسالة القشيري على ذكرهم ومعرفة طريقهم من بعدهم . ثم
إن قوماً من المتأخرين انصرفوا عنهم إلى كشف الخجاب والملاذات التي وراءها
واختلعت طرق الرياسة عنهم في ذلك اختلاف فعملهم في أمانة الفتوى المحسية وتغذية
الروح العاقل بالذكر حتى يحصل للنفس إدراكها الذي لما من ذاتها يتم نشوتها وتغذيتها
فإذا حصل ذلك زعموا أن الوجود قد انحصر في مداركها حينئذ وانهم كشفوا أدوات
الوجود ونصروا حقائقها كلها من العرش إلى الطلح هكذا قال الغزالي رحمه الله في

الكشف ربما يعرض له توهم هذه الوحدة ويسى ذلك عندهم مقام الجميع ثم يترقى عنه الى
 التمييز بين الموجودات ويعبرون عن ذلك بمقام الفرق وهو مقام المعارف الحق ولا
 بد للرب عندهم من عقبة الجميع وهي عقبة صعبة لانه يتشكى على المرید من وقوفه عندها
 فتقتصر صفتها فتد تبيّن مراتب اهل هذه الطريقة ثم ان هؤلاء المتأخرين من المتصوفة
 المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلبوا في ذلك فذهب الكثير منهم الى المحلول
 والوحدة كما اشرنا اليه وما لا يصح منه مثل الهرقي في كتاب المقامات له وغيره ونعم
 ابن العربي وابن سبعين وثلهما ابن العنيد وابن النارض والنجيم الاسرائيلي في
 قضائهم وكان سائرهم غفلاطين لاسيما بحيلة المتأخرين من الرافضة الدائنين ايضا بالمحلول
 والوحدة الا انهم لم يعرف لا ولم يشارب كل واحد من الفريقين مذهب الاخر واختلف
 كلامهم وتباينت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه راس المعارفين
 يزعمون انه لا يمكن ان يساويه احد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه
 لآخر من اهل العرفان وقد اشار الى ذلك ابن سينا في كتاب الاشارات في فصول
 التصوف منها فقال جل جانب الحق ان يكون شرعة لكل وارد او يطالع عليه الا الواحد
 بعد الواحد وهذا كلام لا تقوم عليه نتيجة عقلية ولا دليل شرعي وانما هو من انواع الخطابة
 وهو يعنى ما نقوله الرافضة ودأبوا به ثم قالوا بترتيب وجود الابدال بعد هذا القطب
 كما قاله الشيعة في النقباء حتى انهم لما استدلوا لباس خرقه التصوف ليعلموا اصلا لطريقتهم
 وتعاليمهم رفعوه الى علي رضي الله عنه وهو من هذا المعنى ايضا والافعلي رضي الله عنه لم
 يخص من بين الصحابة بخليفة ولا طريقة في لباس ولا حال بل كان ابو بكر وعمر رضي
 الله عنهما ازهد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثرهم عبادة ولم يخص احد
 منهم في الدين بشي يترش عنه في الخصوص بل كان الصحابة كلهم اسوة في الدين والزهد
 والمجاهدة يهتد لذلك من كلام هؤلاء المتصوفة في امر الفاطمي وما تضمنت كتبهم في ذلك
 مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنوي او اثبات وانما هو اخو من كلام الشيعة والرافضة
 ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي الى الحق ثم ان كثير من الفقهاء واهل الفتيا اتبعوا
 لذلك هؤلاء المتأخرين في هذه المنالات والمغالاة والتأويل بالتيك سائر ما وقع لهم في
 الطريقة والحق ان كلامهم معهم فيه تفصيل فان كلامهم في اربعة مواضع احدها الكلام
 على المجاهدات وما يحصل من الاذواق والمواجد ومما سببه الناس على الاعمال لفصل
 تلك الاذواق التي تصير مقاماً ويرتقى منه الى غيره كما قلناه وانها الكلام في الكشف

وموادها والعناصر انما كانت بها من القوى وكذلك مادتها لما في نفسها قوة بها كان
 وجودها ثم ان المركبات فيها تلك القوى متضمنة في القوة التي كان بها التركيب كالقوى
 المعدنية فيها قوى العناصر بهيولها وازيادة القوة المعدنية ثم القوة الحيوانية تتضمن القوة
 المعدنية وازيادة قوتها في نفسها وكذا القوى الانسانية مع الحيوانية ثم التي تتضمن القوة
 الانسانية وازيادة وكذا الذات الروحانية التي انبثقت عنها تلك من غير انفصال هي القوى
 الالهية التي انبثقت في جميع الموجودات كقوة ربوبية وحكمة بها وانما كانت بها من كل وجه
 لا من جهة الظهور ولا من جهة الخفاء ولا من جهة النورية ولا من جهة المادة فالكامل
 واحد وهو نفس الذات الالهية وهي سبب الحقيقة واحدة ومبداة الاعتبار وهو المفضل لها
 كالانسانية مع الحيوانية الا ترى انها مندرجة فيها وكنانة كقوتها فتارة يتناولها ما يخص
 مع النوع في كل موجود كما ذكرناه وتارة بالكل مع المجرى على غربة المثال وفي هذا
 كله يفرق من الذركية والكثرية بوجه من الوجوه وانما اوسعها عندكم العلم والجمال
 والذي يظهر من كلهم انهم اثنين ذهنيان في ترتيب هذا المتعصب ان سميعة ما يتناولها الوحدة
 شبيهة بما نقوله الحكما في الاطلاق من ان وجودها مشروط بالوجود فاما عدم القوة لم
 تكن الا انوار موجودة بوجه وكذا عدم الموجودات التي اوسعها بها بشرطة وجود
 المدرك المحسوس بل والموجودات المعقولة والمعنوية ايضا مشروطة بوجود المدرك العقلي
 فاما الوجود المتصل كونه مشروط بوجود المدرك الا ان في فنونا من المدرك اذ المدرك الشرعي
 جملة لم يكن هناك تفصيل الوجود بل بوجه واحد فاعلم ان المدرك والذات والذات بل
 والارض والسماء والمدرك والذات والذات انما وجدت بوجود المدرك والذات والمدرك والذات
 جعل في المدرك من التفصيل الذي ليس في الموجود وانما هو في المدرك فقط ماذا قد كنت
 المدرك المتصل فلا تفصل بل انما هو ادراك واحد وهو اما لا شيعة وبعده برون ذلك مثال
 الشام فانه اذا نام وقد احس الظاهر فقد كل متسوس في الوجود والذات والذات والذات
 له الخيال فاقول فيكس البتة انما يعتبر تلك المدركات كما ان في التفصيل سبع مدرك
 الشرعي ولو قدر فقد مدركه فقد المدرك وهذا هو معنى قولهم بل هو المدرك الذي هو
 من حكمة المدرك الشرعية هذا المتسوس راسم على ما ينهم من كلهم انهم ذهنيان وهو في غاية
 السهولة لا يقطع بوجود الوجود الذي نحن مسافرون عنه والذات يتبعنا مع شئنا عن اعلمنا
 وبوجود السماء المثلثة والذكاء وسائر الانبياء الثلاثة عنا والذات ان قاطع بذلك ولا
 يكابر احد نفسه في اليقين مع ان المتعصبين من المتدبرين في الماخرين يتناولون ان المراد عند

من قبل لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب ولا هذا النوع من الادراك انما فهم الانباع
والافتداء ما استغلوا به ومن عرض له بشي من ذلك اعرض عنه ولم يحفل به بل يفرون
منه ويبرون امة من العوائق والهمم وانه ادراك من ادراكات النفس مخلوق حادث وان
الموجدات لا تنصرف في مدارك الاناس وعلم الله اوسع وخافته اكبر وشريعته بالهداية
اهلك فلا يحقون بشي ما يدركون بل حظروا الخوض في ذلك ومنعوا من يكشف له
الحجاب من اصحابهم من الخوض فيه والوقوف عنده بل يلتزمون طريقهم كما كانوا في
عالم الحس قبل الكشف من الانباع والافتداء ويأمرون اصحابهم بالانزاع وهكذا ينبغي
ان يكون حال المراد والله الموفق للصواب

الفصل الثاني عشر

في علم تعبير الرويا

هذا العلم من العلوم الشرعية وهو حادث في المائة عدد ما صارت العلوم صنائع وكتمت
الناس فيها ما الرويا والتعبير لها فقد كان موجودا في السلف كما هو في المخلف وربما
كان في الملوك والامم من قبل الا انه لم يصل اليها الاكتفاء فيه بكلام المبرين من اهل
الاسلام والا فافارويا موجودة في صنف البشر على الاطلاق ولا بد من تعبيرها فان
كان يوسف الصديق صايات الله عليه بعد الرويا كما وقع في القرآن وكذلك ثبت في
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابي بكر رضي الله عنه والرويا مدرك من مدارك
المعجب وقال صلى الله عليه وسلم الرويا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة
وقال لم يبق من المبعثات الا الرويا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له وارل ما
ما يبدى به النبي صلى الله عليه وسلم من الروح الرويا فكان لا يرى روبا الا جاءت مثل
فاني الصحيح وكان الذي صلى الله عليه وسلم اذا ابتلى من صلاة القداء يقول لاصحابي هل
راى احد منكم الليلة روبا يسالم عن ذلك ليستعز بها وقع من ذلك ما فيه ظهور الدين
وعزازه وما السبب في كون الرويا مدركا للغيب قوا ان الروح الثاني وهو الجنار
الطيف المدعو من بهويف الغيب الذي يتشرف في الشربامات ومع الله في سائر البدن
ويكمل افعال القوى الخيالية وحاسنها فاذا ادركته الملائكة بكثرة النصرف في
الاحساس بالمولدات وتصريف القوى الظاهرة وتشتت سطح البدن ما يغتاضه من
برد اللذيل لتشتت الروح من سائر اقطار النفس الى مركزه الثاني في حجبهم ذلك لماودة

ورؤيا من الشيطان نار رؤيا التي من الله في الصريحة التي لا تنفقد الى تاويل والي
من الملك في الرؤيا الصادقة تنفقد الى التعبير والرؤيا التي من الشيطان في الاضغاث .
واعلم ايضا ان الخيال اذا اتى اليه الروح مدركه فانما يصوره في القوالب المعتادة للعين
ما لم يكن المحس ادركه قط فلا يصور فيه فلا يمكن من ولد اعنى ان يصور له السلطان
بالجبر ولا البدو بالحجة ولا الاساء بالاولا في لانه لم يدرك شيئا من هذه وانما يصور له الخيال
امثال هذه في شبهها ومناسبتها من جنس مداركه التي هي المسموعات والمحمومات ولا يخطئ
المعبر من مثل هذا فرما الخناط يد التعبير وفسد قانونه ثم ان علم التعبير علم قوانين كلية
يعني عابها المعبر عبارة ما ينص عليه وناويله كما يقولون الجبريدل على السلطان وفي موضع
اخر يقولون الجبريدل على الغيظ وفي موضع اخر يقولون الجبريدل على الهم والامر السادس
ومثل ما يقولون الحجة تدل على الصدو وفي موضع اخر يقولون في كاتم سر وفي موضع اخر
يقولون تدل على الحجة وامثال ذلك فيمنظ المعبر هذه القوانين الكلية ويدبر في كل موضع
ما تقتضيه الترائن التي تعين من هذه الترائين ما هو اليق ما اراد ما وتلك الترائن منها في
البقطة ومنها في النوم ومنها ما يتقدم في نفس المعبر بالخاصية التي دخلت فيه وكل مسرلا
خلق له ولم يزل هذا العلم متناظرا بين السالف وكان مهذب بن سيرين قوي من اشهر العلماء
وكتب عنه في ذلك الترائين وناقها الناس لهذا الهدى والى الكرماني فيه من بعده ثم
اللف المتكلمون المتأخرون واكثرها والمبدول بين اهل المنرب لهذا الهدى كتب ابن
ابي طالب التبرواني من علماء التبروان مثل الختم وغيره وكتاب الاشارة للسالي وهو
علم مضي بنور الدعوة السامية التي سبها كما وقع في التخرج والله عالم الغيوب

الفصل الثالث عشر

في العلوم العقلية واصنافها

واما العلوم العقلية التي هي واجبة للانسان من حيث انه ذو فكر فهي غير محدودة
بل تلي بوجه النظر فيها الى اهل المال كليم ويسترون في مداركها وبما فيها وفي موجوده
في النوع الانساني منذ كان عمران الخليفة وتسمى هذه العلوم علوم الفاسفة والممكنة وفي
هذه ثلاثة اقسام علوم الاول علم المبادئ وهو علم بعصم الذهن عن الامور في اقتصاص
المطالعب المبرولة من الامور بما يحاط به المعرفة وفائدته تهبز العلماء من ادوابها
باسمها الماطر في المرحوات وعرضها لتنف على شقيق اليمن في الكائنات في تهي فكره

فعلى فتعلت المحاسن الظاهرة كلها وذلك هو معنى النوم كما تقدم في أول الكتاب ثم
 أن هذا الروح الثاني هو معية الروح الداني من الإنسان والروح الداني مدرك لجميع
 ما في عالم الأمر بذاته إذ حقيقته وذاته عين الإدراك وإنما يمنع من تعقله الإدراك الغيبية
 ما هو فيه من حجاب الاشتغال بالمدن وقضايا وحوائجها فلو قد خلا من هذا الحجاب
 وتجرد عنه لرجع إلى حقيقته وهو عين الإدراك فيعقل كل مدرك فإذا تيسر عن بعضها
 خنت شواغله فلا بد له من إدراك لهية من عالمه بقدر ما تجرد له وهو في هذه الحالة قد
 خنت شواغله المحس الظاهرة كلها وهي الشاغل الأعظم فاستعد له قول ما هالك من
 المدرك اللائقة من عالمه وإذا ادرك ما يدرك من عالمه رجع إلى بدنه إذ هو ما دام في
 بدنه جسماني لا يمكنه التصرف إلا بما يدركه ما يتوكله الإدراك الجسمانية له لما في الدماغيّة
 والتصرف منها هو الخيال فانه يتزعج من الدور المتسوسة صوراً خيالية ثم يدفعها إلى
 المحافظة تحتفظها له إلى وقت الحاجة إليها عند النظر والاستدلال وكذلك تجرد النفس
 منها صوراً أخرى نفسانية عقلية فيترق النظر بدنه المحسوس إلى المعقول والخيال واسطة
 بينهما ولذلك إذا ادركت النفس من عالمها ما تدركه أشبه الخيال فيصوره بالصوره
 المناسبة له ويدفعه إلى المحس الذي تدرك فيه الدائم كانه محسوس فينتقل المدرك من الروح
 العقلي إلى المحس والخيال أيضاً لا بد له من هذه حقيقة الروبا ومن هذا التفرز يباين لك الفرق
 بين الروبا الصائبة واشتباث الأحازم الكاذبة فإنما يكتبها ضروري الخيال حاله النوم لكن
 أن كانت تلك الصور منتزعة من الروح العقلي المدرك فيروبا وإن كانت مأخوذة من
 الصور التي في المحافظة التي كان اشتباثاً أو دعياً إليها من البصيرة فهي اشتباث أحلام
 وأما معنى التعبير فاعلم أن الروح الداني إذا ادرك مدركه وإفاده إلى الخيال فهو صورة فانه
 يصوره في الصور المناسبة لذلك المعنى بعض الشيء كما يدرك معنى السلطان الأصغر
 فيصوره الخيال بصورة الجبر أو يدرك المدبرة فيصوره الخيال في صورة الحجة فإذا اشتباث
 وهو لم يعلم من أمره إلا أنه رأى الجبر أو الحجة فيصدر الخيال في صورة الحجة فإذا اشتباث
 الجبر صورة شسوة فإن المدرك ورأى وهو يدعي قرائن أخرى تعين له المدرك فيقول
 مثلاً هو السلطان لأن الجبر يعني حكاماً يسلمون به من السلطان وكذلك الحجة يناسب
 أن تشبه بالعدو أو علم ضررها وتذا إلى في نفسه بالثناء لانهن أوتيه وإعمال ذلك
 ومن المرثي ما يكون خرباً لا ينتقل إلى تغيير بلها وما وضوحها أو لقرئ الكه في
 بين المدرك وشبهه ولهذا وقع في الصحيح الروبا ثلاث روبا من الله وروبا من الملك

اعلم بصحتها مع ان سيوف الشرع قائمة على ظهورها مانعة من اختيارها واما الفرس فكان
 شأن هذه العلوم العنقية عندهم عظيماً ونظامها متسماً لما كانت على دولهم من الصلابة
 واتصال الملك ولقد يقال ان هذه العلوم انما وصلت الى يونان منهم حين قتل الاسكندر
 دارا وغلب على مملكة الكينية فاستوى على كتبهم وعلومهم ما لا اخذه المحصور ولا فحقت
 ارض فارس ووجدوا فيها كتباً كثيرة كتب سعد بن ابى وقاص الى عمر ابن الخطاب
 ليستاذنه في شائها وتغلبها للمسلمين فكتب اليه عمر ان اطرحوها في الماء فان يكن ما فيها
 هدى فقد هدانا الله باهدى منه وان يكن ضللاً فقد كفانا الله فطرحوها في الماء اوفي
 البار وهضت علوم الفرس فيها عن ان تصل اليها . واما الروم فكانت الدولة منهم ليونان
 اولاً وكان هذه العلوم بينهم عيال رحب وحملها مشاهير من رجالهم مثل اساطين الحكمة
 وغيرهم واخص فيها المشاهير منهم اصحاب الرواق بطرقة حسنة في التعليم كانوا يقرأون
 في رواق يتألف من الشمس والبرد على ما زعموا واتصل فيها سند تعليمهم على ما يزعمون من
 ان لقمان الحكيم في تلميذه بقراد الاس ثم الى تلميذه اغلاطون ثم الى تلميذه ارسطو ثم الى
 تلميذه الاسكندر الافروسي ونامسطيون وغيرهم وكان ارسطو معلماً للاسكندر ملكهم
 الذي غلب الفرس على ملكهم وانتزع الملك من ايديهم وكان ارسطو في هذه العلوم قدماً
 وابعدم فيها صيتاً وكانت بين المعلم الاول فطارلة في العالم ذكر . ولما افترض امر
 اليونان وصار الامر للقيصرة واخذوا بدين الصرانية هجروا تلك العلوم كما تنقضية المال
 والشرائع فيها وبقيت في صحتها ودواوينها مغلدة باقية في خزانهم ثم ملكوا الشام وكتب
 هذه العلوم باقية فيهم ثم جاء الله بالاسلام وكان لاهل الظهور الذي لا كفاء له وانتزعا
 الروم ملكهم فيها ابتزوا للاهم وانتداه امرهم بالمداحة والفتنة عن الصنائع حتى اذا فتح
 من السلطان والدولة واخذوا المحصرة بالمحظ الذي لم يكن لغيرهم من الامم وتفتتوا في
 الصنائع والعلوم تشوقوا الى الاطلاع على هذه العلوم الحكيمة بما سمعوا من الاساقفة
 والاداسة المعاهدين بعض ذكر منها وما تسوا اليه افكار الاسان فيها فبعث ابو جعفر
 المصور الى ملك الروم انت يبعث اليه يكتب التعاليم مترجمة فيبعث اليه بكتاب
 اوقلديس وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون واطلوا على ما فيها وازدادوا حرصاً
 على التلذذ بما بقي منها وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في العلم رغبة بما كان يتفقه
 فانبعث هذه العلوم حرصاً وارقد الرسل على ملوك الروم في استنراج علوم اليونانيين
 واتساعها بالمحظ العربي وبعث المازجيين لذلك فارعى منه واستنوع وعكف عليه

ثم النظر بعد ذلك عندكم اما في المحسوسات من الاجسام المصغرة والماكونة عنها من
المعدن والنبات والحيوان والاجسام الذكية والحرركات الطبيعية والانس التي تعدت
عنها الحرركات وغير ذلك ويسمى هذا العلم بالعلم السامي وهو الثاني منها وما ان يكون
النظر في الامور التي وراء السابعة من الروحانيات ويسمونه العلم الالهي وهو الثالث منها
والعلم الرابع وهو الماظر في المنادير ويتصل على اربعة علوم وتسمى العالم اولها علم
الهندسة وهو النظر في المقادير على الاطلاق اما المستفادة من حيث كونها معدودة ان
المتصلة وهي اما ذرية واحدة وهو الخط او ذرية معدودة وهو السطح او ذو ابعاد ثلاثة وهو
الجسم العادي ينظر في هذه المقادير وما يعرف ثلثا منها من حيث ذاتها او من حيث نسبة
بعضها الى بعض وتأتيها علم الارثاغوني وهو معرفة ما يعرف منكم المتصل الذي هو العدد
ويوجد له من النواحي من العوارض اللائقة وتأتيها علم الموسيقى وهو معرفة نسب الاصول
والقيم بعضها من بعض وقد يربطها بالعدد ونزعة معرفة تلاجوز الله او رابعها علم الطبيعة وهو
تعيين الاشكال للافعال كحجر او ضاها وتقدمها لكل كوكب من السيارة والقيام على
معرفة ذلك من قبل الحرركات السايبة اما اخذة الموجودة لكل واحد منها ومن رجوعها
واستقامتها وتأتيها علم الارياها فبده اصول العلوم الطبيعية وهي سبعة المستقى وهو المتقدم
منها وهذه العلم ايم فالنزهة ايماني اولها ثم الفلسفة ثم الفيزياء ثم الموسيقى ثم الناحية ثم
الانجيات وكل واحد منها فروع تخرج عنه من فروع الطبيعة الطب والصيدا ومن فروع
علم العدد علم الحساب والتراتق والعاملاات ومن فروع الطبيعة الفيزياء وهي قوانين
لحسابات حرركات الكواكب وتقدمها الفوتوف على مواضعها متى قصد ذلك ومن فروع
النظر في العلوم علم الفلك والحكمة النجومية ومن تقدم عليها واحدا بعد واحد الى اخرها وعلم
ان اكثر من عني بها في الاجال الذين عرفوا الخوارزم الايمان الاعمال ان في السورة قل
الاسلام وما مارس الروم فكانت اسواق العلوم باقعة لديهم على ما لغنا لما كان العربان
موفورا فيهم والسورة والسامان قل الاسلام وعصره لم وكان لهذه العلوم مجور راخرة
في افقهم واصارهم وكان الكنديان ومن قبلهم من السريانيين ومن عاصروهم من الفيلسوف
عناية بالعلوم والنجاة وما يتبعها من السائر ثم وانفذ ذلك عنهم الامم من فارس ورومان
والاندلس بها التنبط وطالب بها فيهم كما وقع في المثلث من خبر شاروت وماروت وديان
اشجرة وما نقله اهل العلم من شأن البراق اصبحت مصر ثم ناهت المال بمقتل ذلك
وتغيرت فدرست عاونه وانت كمن لم تكن الاغايا يتسائلوا عن هذه المنافع والله

اذا توالفت على نسبة واحدة يكون اولها نصف ثانيها وثانيها نصف ثالثها الخ او يكون
 اولها ثلث ثانيها وثانيها ثلث ثالثها الخ فان ضرب الطرفين احداهما في الاخر كضرب كل
 عدد من بعدهما من الطرفين بعد واحد احداهما في الاخر ومثل مربع الواسطة ان كانت
 العدد فرداً وذلك مثل اعداد زوج الزوج المتزايدة من اثنين فاربعة فثمانية ف عشرة
 ومثل ما يحدث من الخواص العددية في وضع المثلاث العددية والمربعات والمكعبات
 والمسدسات اذا وضعت متتالية في سطورها بان يسمح من الواحد الى العدد الاخير
 تكون ثمانية وتوالي المثلاث هكذا في سطر تحت الاضلاع ثم تزيد على كل مثلث
 ثلث الصالح الذي قبله فتكون أربعة وتزيد على كل مربع مثلث الصالح الذي قبله فتكون
 خمسة وهلم جرا وتوالي الاشكال على توالي الاضلاع ويحدث جدول ذو طول وعرض
 في عرض الاعداد على تواليها ثم المثلاث على تواليها ثم المربعات ثم المكعبات الخ وفي
 طوله كل عدد واشكاله ما بلغ ويحدث في جميعها وقسمتها بعضها على بعض طولاً
 وعرضاً خواص غريبة استغرقت منها وتورثت في حواوهم من سائرهم وكذلك ما يحدث
 الزوج والفرد وزوج الزوج والفرد زوج الفرد والفرد فان لكل منها خواص
 متعلقة بنفسها هذا النسب واستغنى في غيره وهذا الذي اول اجزاء العالم وانبتها ويدخل
 في رايين الحساب والكماء المتمدنين والمتأخرين فيه تأليف واكثرهم بدرجته في العالم
 ولا يفردونه بالتأليف فهل ذلك ابن سينا في كتاب التثنية والثانية وغيره من المتقدمين
 واما المتأخرون فهو عدمه شهور اذ هو غير متداول ومنفعة في البراهين لا في الحساب
 فتميزه لذلك بعد ان استغنى ما زبدته في البراهين الحسابية كما قبله ابن البنا في كتاب
 رفع الحجاب والله سبحانه وتعالى اعلم . (ومن فروع علم العدد صناعة الحساب) . وهي
 صناعة علمية في حساب الاعداد بالضم والتفريق فالضم يكون في الاعداد بالامراء وهي
 الجمع والتضمير تضاعف عدداً واحداً عدد اخر وهذا هو الضرب والتفريق ايضا
 يكون في الاعداد اما بالافراد مثل ازالة عدد من عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح او
 تفصيل عدد باجزاء متساوية تكون عدتها محصلة وهو القسمة وسواء كان هذا الضم
 والتفريق في الصحيح من العدد او الكسر ومعنى الكسر نسبة عدد الى عدد وتلك النسبة
 تسمى كسراً وكذلك يكون بالضم والتفريق في المجذور ومعناها العدد الذي يضرب في
 مثله فيكون منه العدد المربع فان تلك المجذور ايضا يدعى الضم والتفريق وهذه
 الصناعة حادثة احتيج اليها للحساب في المعاملات والقب الناس فيها كثيراً وتداولوها في

العلماء من أهل الإسلام وحفظوا في فنونها واهتموا إلى العناية بانشاءهم فيها وظلوا كثيرا
من أراء العلم الأول والخصيص بالرد والقبول أو توف الشهرة عنده ودونوا في ذلك
الدواوين وأزوا على من تقدمهم في هذه العلوم وكان من آثارهم في الملة أبو نصر
الغفاري وأبو علي بن سينا بالمشرق والشافعي أبو الريد بن رشد والوزير أبو بكر بن
الضائع بالاندلس إلى الآخرين منهم في العناية في هذه العلوم واحد من هؤلاء بالشهرة والذكر
واقترع كثير على انتقال النماذج وما يشافى إليها من علوم النجامة والسمير والظلمات
ووقفت الشهرة في هذا المنقل على مسلمة بن أحمد الجبري من أهل الاندلس وتلميذه
ودخل على الملة من هذه العلوم وأعلم داخلته واستموت الكثير من الناس بما جنى إليها
وقد دلوا أراءه والناس في ذلك ما ارتكبه ولو شاء الله ما فعلهم ثم إن المقرب بالاندلس
لما ركبت ربح الثمران بها وناتجت العلوم منها هـ استعمل ذلك منها أبو بكر بن
رشد وغيره ما في تاريخ من الناس وشعرت رقية بن علماء السنة وبشأنه عن أهل المشرق
أن يشاع هذه العلوم لم تزل عندهم موقوفة وخصيصا في عراق النجيم وما بعده فبإراءه
المهر فاشتم على بيع من العلوم الخفية أنظر عمر بنهم واستقامت بمصاهرة منهم ولما ذهبت بمصر
على تأليف متعددة لرجل من علماء عراقهم بلاد خراسان بنهر بعد الدين الفخاري
مخبرا في علم الكلام فاحول الله واليهان فتمت ما كتب الله لك راحة في هذه العلوم وفي
انتهاها ما قبل على أن له أسلما على العلوم المكتوبة وقد ما راحة في سائر العلوم الخفية
وأما أبو زيد بن عمرو بن عثمان فكانت بالاندلس هذه العلوم لا سيما بلاد الأفرنجية
من أرض روم وما إليها من العلوم الخفية فانه لأدراك ما من رسومها ذلك متعددة
ومما ليس فيها متعددة ودواوينها بجماعة متوزعة ومما فيها من كثرة في الأعمال بما مالك
وتوحيها ما يشاء ويشار

الكتاب الرابع عشر

في العلوم العددية

طرا إلى انفراد في ودوعرفة شمس الامداد من حيث النافذ اما على الزوايا
أما ما شاع عرف مثل أن الامداد انفرادت فمماثلة بعدد واحد وان جميع الطرفين منها
مما هو بايع بكل عددين بعدد واحد من الطرفين بعد واحد ونزل بعدد واحد ان كانت
بذلك لعدد الامداد فردا مثل الانفراد على ثلثها بالانفراد على ثلثها ومثل ان الامداد

المعاملات الى اكثر من هذه السنة اجناس وبلغها الى فوق العشرين واستخرج لما كانها
اعمالاً واتبعة براهين هندسية والله يزيد في الخلق ما يشاء سبحانه وتعالى (ومن فروعه
ايضاً المعاملات) . وهو تصنيف الحساب في معاملات المدن في البياعات والمساخات
والزكوات وسائر ما يعرض فيه العدد من المعاملات بصرف في ذلك صناعتنا الحساب
في الجداول والمعالم والكسور والصحيح والمجذور وغيرها والفرض من كثير المسائل المنروضة
فيها حصول المزان والدربة بتكرار العمل حتى ترسخ الماكنة في صناعة الحساب ولاهل
الصناعة الحسابية من اهل الاندلس تأليف فيها متعددة من اشهرها معاملات الزهراوي
وابن السمع والي مسلم بن خلدون من تلميذ مسلمة الجرجيني وامثالهم (ومن فروعه
ايضاً الفرائض) . وهي صناعة حسابية في تصحيح السهام لذوي الفروض في الوراثات اذا
تعددت وهلك بعض الوارثين وانكسرت سهامه على ورثته او زادت الفروض عند
اجتماعها وتزاحمها على المال كله او كانت في الفريضة اقراراً وانكاراً من بعض الورثة
فيحتاج في ذلك كله الى عمل يعين به سهام الفريضة من كم تصح وسهام الورثة من كل بطن
مصححاً حتى تكون حقايق الوارثين من المال على نسبة سهامهم من جملة سهام الفريضة
فبدخلها من صناعة الحساب جزء كبير من صحيح وكسره وجذره ومعلومه وشيئله وترتب
على ترتيب ابواب الفرائض النفيية ومساثلها فتشتمل حينئذ هذه الصناعة على جزء من
الفقه وهو احكام الورثة من الفروض والعول والاقرار والانكار والوصايا والتدبير وغير
ذلك من مسائلها وعلى جزء من الحساب وهو تصحيح السهام باعتبار الحكم النقي وهي
من اجل العلوم وقد ورد اهل الاحاديث نبوية تشهد بنضالها مثل الفرائض ثلث العلم
فانها اول ما يرفع من العلوم وغير ذلك وعندي ان طواهر تلك الاحاديث كلها انما هي
في الفرائض العينية كما تقدم لا فرائض الوراثات فانها اقل من ان تكون في كميها ثلث
العلم واما الفرائض العينية فكثيرة وقد انبث الساس في هذا الفن قديماً وحديثاً واعدوا
ومن احسن التأليف فيه على مذهب مالك رحمه الله كتاب ابن ثابت وتخصر القاضي
ابي القاسم المحوفي وكتاب ابن المنبر والجمعي والصدري وغيرهم لكن الفضل الحوفي في كتابه
مقدم على جميعها وقد شرحه من شيوخنا ابو عبد الله سايان الشافعي كثير متخيلة فاس
فاوضح واوعب ولامام الحرمين فيها تأليف على مذهب الشافعي تشهد باتساع باعه في
العلوم وروسخ قدمه وكذا اللغنية والحامدة ونقائص الناس في العلوم متخللة والله يهدي
من يشاء بمؤ وكرمه لا رب سواه

الاضمار بالاعلام للبرهان ومن احسن التعليم عندم الابتداء بها لانها معارف مفهومة
 وواضحة متقطعة فونشأ عنها في الغالب عقل مذهبى ودرج على الصواب وقد يقال
 من اخذ نفسه بتعليم الحساب اول امره انه يغلب عليه التدقيق لما في الحساب من جهة
 المباين ومناقضة النفس فيصير ذلك خلة وتعود التدقيق ويازونه مذهباً ومن احسن
 التأليف المبسوط فيها لهذا العهد بالمغرب كتاب الحساب الصغير ولابن البنا المراكشي
 فيه تلخيص ضابط للثلاثين اعاليه مذهبى ثم شرحه بكتاب ساه رفع الحجاب وهو مستغنى على
 المبتدى بما فيه من البراهين الوثيقة المباين وهو كتاب جليل القدر ادركا المشقة تعظيها
 وهو كتاب جدير بذلك وانما جهة الاستغنى من طريق البرهان بيان علوم العالم
 لان مسامها واعمالها وانحة كلها وانما فريد شرحها فانما هو اعتناء العال في تلك الاعمال
 وفي ذلك من العسر على النظم ما لا يوجد في اعمال المسائل فتأمل والله يهدي بواره من
 ينشأ وهو الترتيب المتيقن (ومن فروعه الجبر والمقابلة) وهي صناعة يستخرج بها العدد
 المجهول من قبل المعلوم المتروك اذا كان بينهما نسبة تتحتوي ذلك فمثلاً فيقال على ان
 جعلوا العيون ولدت مراتب من طريق المشاهدة بالتقريب او لما العدد لان يتبعين
 المطلوب المجهول باستخراجه من نسبة المجهول اليه وانما الذي لان كل مجهول فهو من
 جهة اياه مذهبى وهو ايضا جدير لما يلزم من تعيينه من المرتبة الثانية وثالثها المال ومن
 امرهم وما بعد ذلك فعلى نسبة الناس في انصرو وبينهم يقع العمل المتروك في المسئلة
 فخرج الى معاداة بين اثنين او اكثر من جهة الاحتساب فيقالون بعدا بعض ويبيرون
 ما فيها من الكسر حتى يصير تيمنا ويحذفون المراتب التي اقل ارسوس ان يمكن حتى
 يصير الى الثلاثة التي عليها مدار الجبر عديم وفي العدد والذي والمال فان كانت المعادلة
 بين واحد واحد فعين المال والجذر بول اياهما بمعادلة العدد ويعين والمال وان
 فادل الجذر ويعين بعدتها وان كانت المعادلة بين واحد واثنين فخرجه العمل الهندسي
 من طريق تعدل الكسر في اثنان وفي جهة فبعدها ذلك القدر المفضل ولا يمكن
 المعادلة بين اثنين او اكثر ما اجبت المعادلة بينهم الى ست مسائل لان المعادلة
 بين عدد وجذر والمال مجرد او مركبة فبعض ستة ماول من كتب في هذا ابن عبد الله
 الشيرازي و بعده ابو كمال شجاع بن اسلم وجمه الناس على انزه فيه وكتابه في مسائل
 الست من احسن الكتب الموضوعة فيه وشرحه كثير من اهل الهندس فاجادوا ومن
 احسنهم موهبا كتاب الترتيب وقد افاض من اهل العالم من اهل المشرق

احكام الاشكال الكرية سطوحها وقطوعها واما الشروطات فهو من فروع الهندسة ايضا وهو علم ينظر فيما يقع في الاجسام المخروطة من الاشكال والقطوع ويبرهن على ما يعرض لذلك من العوارض ببراہین هندسية متوقفة على التعليم الاول وفائدتها تظهر في الصنائع العملية التي يرادها الاجسام مثل الخيارة والبناء وكيف تصنع الفنايل الغربية والمياكل النادرة وكيف يحول على حجر الانتقال ونقل المياكل بالهندام والنجال واما ثل ذلك وقد افرده بعض المؤلفين في هذا الفن كتابا في التحويل العملية يتضمن من الصنائع الغربية والتحويل المستظرفة كل عجيبة وربما استفاد على العلوم اصنوعة براهين الهندسية وهو موجود بأيدي الناس بنسبة الى بني شاكرو الله تعالى اعلم . (ومن فروع الهندسة المساحة) . وهو فن يحتاج اليه في جميع الارض ومعه استقراجه مقدار الارض المأهولة بنسبة شبر او ذراع او غيرها او نسبة ارض من ارض اذ قويت على ذلك ويحتاج الى ذلك في توظيف الخراج على المزارع والمدين وبساتين الفراسة وفي قسمة الميراث على الاراضي بين الشركاء والورثة واما ثل ذلك والناس فيها مروضات حسنة وكثيرة والله الموفق للصواب بمنه وكرمه . (المنظرة من فروع الهندسة) . وهو علم يتبين به اسباب القاطع في الادراك البصري بمعرفة كيفية وقوعها بناء على ان ادراك البصر يكون بغير دخل شعاعه راسه بطلعه الباصر وقاعدته المرئية ثم يقع القاطع كثيرا في رؤية القريب كثيرا والبعد صغيرا وكذا رؤية الاشباح الصغيرة تحت الماء ورؤية الاجسام المتناثرة كثيرة ورؤية النخلة البازلة من المظفر خفيا مستقيما والساعة دائرية واما ثل ذلك فبتميز في هذا العلم اسباب ذلك وكيفية البراهين الهندسية ويتبين به ايضا اختلاف المنظر في القمر باختلاف العروض الذي ينبغي عليه معرفة رؤية الالهة وحصول الكسوفات وكثير من امثال هذا وقد ألف في هذا الفن كثير من اليونانيين والهنود من الف فيوم من الاسلاميين ابن البرسم وغيره فيه ايضا تأليف وهو من هذه الرياضة وتنازعها

الفصل السادس عشر

في علم الهيئة

وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والتميز ويستدل بكيفيات تلك الحركات على اشكالها واضماع الافلاك لرمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية كما يبرهن على ان مركز الارض مباين لمركز فلک الشمس بوجود حركات الاقبال

الفصل الخامس عشر

في العلوم الهندسية

هذا العلم هو النظر في المقادير اما المتصلة كالخط والسطح والجسم وما المتصلة كالأعداد وفيما يعرض لها من العوارض الذاتية مثل ان كل مثلث فزواياه مثل قائمتين ومثل ان كل مثلثين متوازيين لا يلتقيان في وجهه ولو خرجا الى غير نهاية ومثل ان كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتبادلتان منها متساويتان ومثل ان الاربعة مقادير المتناسبة ضرب الاول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع وامثال ذلك والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة كتاب ارة ليدس ويسى كتاب الاصول وكتاب الاركان وهو ايسر ما وضع فيها للتعلم ولول ما ترجم من كتاب اليونانيين في الملة ايام ابي جعفر المنصور وختمه بمئة باختلف المترجمين فمنها لحين ابن اسحاق وكتاب بن قرة وايوسف بن النجاشي ويشتمل على خمس عشرة مثالا اربعة في المسطوح واحدة في الاقدار المناسبة اخرى في نسب المسطوح بعضها الى بعض وثلاث في العدد والعاشرة في المثلثات والقوى على المثلثات ومعناه الجذور وخمس في الجسيمات وقد اختصره الناس اختصارات كثيرة كما فعله ابن سيناء في تعاليم الشفاء افرده جزءا منها اخصه به وكذلك ابن الصلت في كتاب الاختصار وغيرهم وشرحه اخرون شروحا كثيرة وهو مدد العلوم الهندسية ما طلاق واعلم ان الهندسة تليد صاحبها اضافة في عقله واستقامة في فكره لان براهينها كلها في المنتظم غاية الترتيب لا يكاد الفاظ يدخل اقبسها لترتيبها وانتظامها فيبعد الفكر عما ستمها عن الخطا وينشأ لصاحبها عقل على ذلك المجمع وتد زعم انه كان مكتوبا على باب افلاطون من لم يكن مهندسا فلا يدخل منزلا وكان شيخنا رحمه الله يقولون ممارسة علم الهندسة للترك بمثابة الصابون الثوب الذي يغسل منه الاقدار وينقى من الاضرار والادرن وانما ذلك لما اشترنا اليه من ترتيبه وانتظامه (ومن فروع هذا الفن الهندسة المخصوصة بالاشكال الكرية والمخروطات) اما الاشكال الكرية ففيها كتابان من كتب اليونانيين لثاودوسيموس وميلاوش في مسطوحها وقطوعها وكتاب ثاودوسيموس مقدم في التعليم على كتاب ميلاوش لوقوف كثير من براهينها على ولا يد منها لمن يريد الخوض في علم الهيئة لان براهينها متوقفة عليها فالكلام في الهيئة كالكلام في الكرات السماوية وما يعرض فيها من الخطوط والدوائر باسباب الحركات كما تذكره فقد يتوقف على معرفة

الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداول مرتبة تسهيلاً على المتعلمين
وتسمى الأجزاء ويسمى استخراج مواضع الكواكب للوقت المغرب هذه الصناعة تعديلاً
وتقريباً للناس فيؤتاكيف كثيرة المتقدمين والمتأخرين مثل البتاني^(١) وابن الكاد وقد
حول المتأخرون لهذا العمل بالمغرب على ريج مسوب لابس اسحاق من منجى تونس في
أول المائة السابعة ويؤمنون ان ابن اسحاق حول فيه على الرصد وان يهودياً كان بصلياً
ماهرًا في الحيلة والتعالم وكان قد عني بالرصد وكان بيعت اليه بما يقع في ذلك من
احوال الكواكب وحركاتها فكان اهل المغرب لذلك عولوا بولواته مبناه على ما يزعمون
ولخصه ابن البنا في اخراجه المتهاج فوقع به الناس لما سهل من الاعمال فيه وانما يحتاج
الى مواضع الكواكب من الفلك لتدني عليها الاحكام النجومية وهو معرفة الآثار التي تحدث
عنها باوضاعها في عالم الانسان من الملك والدول والمواليد البشرية كما نبهت بعد توضيح
فيه ادانهم ان شاء الله تعالى والله الموفق لما ينجي ويرضاه لا معبود سواه

الفصل السابع عشر

في علم المنطق

وهو قوانين يعرف بها الصحيح من الناسخ في الحدود المعرفة للماهيات والتميز المتيقن
للتعديقات وذلك ان الاصل في الادراك انما هو المحسوسات بالمحسوسات الخمس وجميع
المحسوسات مشتركة في هذا الادراك من الناطق وغيره وانما يتميز الانسان عنها بادراك
الكليات وهي مجردة من المحسوسات وذلك بان يحصل في الخيال من الاختصاص المنفقة
صورة منطبقة على جميع تلك الاختصاص المحسوسة وهي الكلي ثم ينظر الذهن بين تلك
الاختصاص المنفقة والاختصاص اخرى توافقها في بعض فيحصل له صورة تنطبق ايضا عليها
باعتبار انما اتفقا فيه ولا يرال برنقي في التميز الى الكل الذي لا يبعد كلياً اخر معة بواقفة
فيكون لاجل ذلك سهلاً وهذا مثل ما يجرى من اختصاص الانسان صورة النوع المنطبقة
عليها ثم ينظر بينه وبين الحيوان ويوجد صورة الجنس المنطبقة عليهما ثم بينهما وبين النبات
الى ان ينتمي الى الجنس العالي وهو الجوهر فلا يبعد كلياً بواقفة في تنسيق العقل هنالك
عن البريد ثم ان الانسان لما خلق الله الفكر الذي به يدرك العلوم والصانع وكان
العلم امتازور للماهيات ويعني به ادراك سادس من غير حكم معه وانما تصدق بأي حكماً
ببوت امر لا مر فصار سعي الفكر في تحصيل المطالعات اما ان يجمع تلك الكليات بعضها الى

١ قوله البتاني شيخ المدرسة وبتدو الاماء كما صمد له اس حاك في وجده على احوالها

والادبار وكما يستدل بالرجوع والاستقامة للكواكب على وجود افلاك صغيرة حاملة لها
 بمحركة داخل فلكها الاعظم وكما يبرهن على وجود الفلك الثامن بمحركة الكواكب النائية
 وكما يبرهن على تعدد الافلاك للكوكب الواحد بتعداد الميول له وامثال ذلك وادراك
 الموجود من الحركات وكيفية اجناسها انما هو بارصاد فانما علمنا حركة الاقبال
 والادبار وكذا تركيب الافلاك في طبقاتها وكذا الرجوع والاستقامة وامثال ذلك
 وكان اليونانيون يعنون بارصد كثيراً ويتخذون له الآلات التي توضع ابرصد بها حركة
 الكوكب المعين وكانت تسمى عندهم ذات الحلقى وصناعة عملها والبراهين عليه في مطابقة
 حركتها بمحركة الفلك منقول ما يدي الناس وما في الاسلام فلم نفع به عناية الا في القليل
 وكان في ايام المأمون ثيب منه وصنع الآلة المعروفة للارصد المسماة ذات الحلق وشرع
 في ذلك فلم يتم ولما مات ذهب رسمه واغفل واعتمد من بعده على الارصاد القديمة وليس
 بمغنية لاختلاف الحركات بانصال الاحقاب وان مطابقة حركة الآلة الارصد بمحركة
 الافلاك والكواكب انما هو بالتقريب ولا يعطى التقيق فاذا طال الزمان ظهر تفاوت
 ذلك بالتقريب وهذه الهيئة صناعة شريفة وليس على ما يفهم في المشهور انما يعطى
 صورة السموات وترتيب الافلاك والكواكب بالمحققة بل انما تعطى ان هذه الصور والهيئات
 للافلاك لزمت عن هذه الحركات واست تعلم انما لا يبعد ان يكون الشيء الواحد لازماً
 لآخرين وان قلنا ان الحركات لازمة فواستدلال باللازم على وجود المألوم ولا يعطى
 المحققة بوجه على انه علم جليل وهو احد اركان النباهيم ومن احسن التأليف في كتاب
 المسحلي منسوب لطليموس وليس من ماوك اليونان الذين اساءوا بطليموس على ما
 حقه شراح الكتاب وقد اختصره الائمة من حكماء الاسلام كما فعله ابن سينا وادرجه في
 تعاليم الشفاء ولخصه ابن رشد ايضاً من حكماء الاندلس وابن السمع وابن الصلت في
 كتاب الاقتصاد وابن الفرغاني هيئة مختصة قريبا وحذف براهين الهندسية والله اعلم
 الانسان ما لم يعلم سبحانه لا اله الا هو رب العالمين . (ومن فروع علم الانباج) . وفي
 صناعة حسابية على قوانين عديدة فيما يختص كل كوكب من طريق حركته وما ادى اليه
 برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع
 الكوكب في افلاكه لاي وقت فرض من قبل حساب حركاتها على تلك القوانين
 المستفجرة من كتب الهيئة وهذه الصناعة قوانين كالمفدمات والاصول لها في معرفة الشهور
 والايام والتواريخ الماضية واصول متفرقة من معرفة الاوج والمحضيض والميول واصناف

قياسه وفيه عكوس التضاي. والسادس كتاب السبعة وهو القياس الذي يفيد خلاف
الحق ويقا له في المناظر صاحبه وهو فاسد وهذا اما كتب يعرف به القياس المغالطي
فيؤدر منه. والسابع كتاب الخطابة وهو القياس المفيد ترغيب الجمهور وحملهم على المراد
منهم وما يجب ان يستعمل في ذلك من المقالات. والثامن كتاب الشعر وهو القياس
الذي يفيد التذلل والتثنية خاصة للاقبال على التي او التفرقة وما يجب ان يستعمل
فيه من التضاي الخفية هذه هي كتب المنطق الثمانية عند المتقدمين ثم ان حكماء اليونانيين
بعد ان غلبت الصناعة ورثت راي ارسطو من الكلام في الكلمات الخمس المينة
للصور فاستدركوا فيها مقالة تخصص بها مقدمة بين يدي الفن فصارت تسعا وترجمت
كلها في اللغة الاسلانية وكتبها وتداولها فلاسفة الاسلام بالشرح والتفصيل كما فعله
التارابي وابن سينا ثم ابن رشد من فلاسفة الاندلس وابن سينا كتاب الشفاء
استوعب فيه علوم الفلسفة السبعة كلها ثم جاء المتأخرون في توير اصطلاح المجلدات والكتاب
بالنظر في الكلمات الخمس ثمرة وهي الكلام في المحدود والرسوم قالوها من كتاب البرهان
وحذفوا كتاب المقولات لان نظار المنطقي فيه بالعرض لا بالذات والمخترعة كتاب
المقابلة الكلام في العكس لانه من توابع الكلام في التضاي ابغض الوجوه ثم تكلم في القياس
من حيث احتاج للمقابلة على التوهم لا بحسب مادة وحدوث الفتن فيه بحسب المادة
وفي الكتب الخمسة البرهان والمبدل والخطابة والرسوم والسبعة ورعا يعلم بعضهم باليد وير
منها الامام واغفلوها كان لم تكن هي المهم المعتمد في الفن ثم تكلموا فيها وضوء من ذلك كلاما
معتبرا ونزلوا فيه من حيث انه فن براسه لا من حيث انه آلة للعلوم فلما لم الكلام فيه
واتسع واول من فعل ذلك الامام بشر الدين بن الخطيب ومن بعده افضل الدين بن الجوزي
وحلى كتبهم عند المشاركة لهذا العهد وله في هذه الصناعة كتاب كشف الاسرار وهو طويل
واختصر فيها مختصر الموجز وهو حسن في التعاليم ثم مختصر الجليل في قدر اربعة اوراق اخذ
بجميع الفن واصوله فبدأ به المتعلمون لهذا العهد فيتهنون به وشررت كتب المتقدمين
وطايرهم كان لم تكن وهي ممتلئة من غرة المنطق ودايدته كما قلناه والله الهادي للذياب

الفصل الثامن عشر

في الفلكيات

وهو علم يثبت عن الجسم من جهة ما تحته من الحركة والسكون فينظر في الاجسام

بعض على جهة التأليف تحصل صورة في الذهن كلية منطبقة على افراد في الخارج فتكون
 تلك الصورة الذهنية مفيدة لمعرفة ماهية تلك الاشخاص واما بان يحكم بامر على امر
 فيجب له ويكون ذلك تصديقا وغاية في المتبعة راجعة الى النصور لان فائدة ذلك اذا
 حصل انما هي معرفة حقائق الاشياء التي هي مقتضى العلم وهذا السعي من الفكر
 قد يكون بطريق صحيح وقد يكون بطريق فاسد فاقبض ذلك بتميز الطريق الذي يسمى
 به الفكر في تفصيل المطالب العلمية ليميز فيها الصحيح من الفاسد فكان ذلك قانون
 المنطق وتكلم فيه المنفردون اول ما تكلموا به جملة جملة ومترقا ولم يذهب طرقة ولم ينجح
 مسائله حتى ظهر في يونان ارسطوف ذهب مباحثه ورتب مسائله وفصوله وجعله اول
 العلوم المحكية وفاتحتها ولذلك يسمى بالعلم الاول وكتابه المخصوص بالمنطق يسمى النص
 وهو يشتمل على ثمانية كتب اربعة منها في صورة القياس واربعة في مادته وذلك ان
 المطالب التصديقية على اتماء ففيها ما يكون الماد الرب في اليقين بطريق ومنها ما يكون
 المطلوب فيه الظان وهو على مراتب فتنظر في القياس من حيث المطلوب الذي يتيه
 وما ينبغي ان تكون مقدماته بذلك الاعتبار ومن اي جنس يكون من العلم او من الظان
 وقد ينظر في القياس لابعبار مطلوب مخصوص بل من جهة اتناجه خاصة ويقال للتفكر
 الاول انه من حيث المادة ونعني به المادة المنبهة للمطلوب المخصوص من يقين او ظان
 ويقال للآخر الثاني انه من حيث الصورة واتناج القياس على الاطلاق فكانت اذ ذلك
 كتب المنطق ثمانية الاول في الاجناس التالية التي ينتهي اليها ثيريد المحسوسات
 وهي التي ليس فوقها جنس ويسمى كتاب المقولات . والثاني في التضايا التصديقية واصحابها
 ويسمى كتاب العبارة . والثالث في القياس وصورة اتناجه على الاختلاف ويسمى كتاب
 القياس وهذا اخر النظر من حيث الصورة . ثم الرابع كتاب البرهان وهو الظاهر في القياس
 المنهج لليقين وكيف يجب ان تكون مقدماته يقينية ويختص بشرط اخرى لا فائدة اليقين
 مذكورة فيه مثل كونها ذاتية واولية وغير ذلك وفي هذا الكتاب الكلام في المعرفات
 والمجرد اذ المطلوب فيها انما هو اليقين لوجوب المطابقة بين المبدأ والمجدول لا تشتمل
 غيرها فلذلك اخضعت عدد المتقدمين بهذا الكتاب . والخامس كتاب المجدول ومن
 القياس المفيد قطع المناظير والحق المخصص وما يجب ان يستعمل فيه من الشهوات
 ويختص ايضا من جهة افادته لهذا الغرض بشرط اخرى من حيث افادته لهذا الغرض
 وهي مذكورة هناك وفي هذا الكتاب يذكر المراضع التي يستنبط منها صاحب القياس

تقلب ومطالعة اغتراب وتأليفه فيها هي الامهات التي اقتدى بها جميع اطباء بعده
وكان في الاسلام في هذه الصناعة ائمة جليلون وراء الغاية مثل الرازي والجوسي طاب
سونا ومن اهل الاندلس ايضا ككثير واشهرهم ابن زهر وهو هذا العهد في المدن الاسلامية
كانها نقصت لوقوف الصرمان وتناقص وهي من الصنائع التي لا تستدعيها الا المحاضرة
والترف كما نبهت بعد . والبادية من اهل الصرمان طب يبنونه في غالب الامر على تجربة
فاصرة على بعض الاستخاص وتواركا عن مشايخ الحكي وتبناؤه وربما يصح منه البعض الا انه
ليس على قانون طبيعى ولا على موافقة المراجع وكان عند العرب من هذا الطب كثير
وكان فيهم اطباء معروفون كالمخارث بن كادة وغيره والطب المنقول في الترجمات من
هذا القبيل وليس من الوجي في شيء بل ما هو امر كان عاديا للعرب ووقع في ذكر احوال
الذي صلى الله عليه وسلم من نوع ذكر احواله التي هي عادة وجلة لا من جهة ان ذلك
مشروع على ذلك النحو من العمل فانه صلى الله عليه وسلم انما نعت ليعلمنا الشرائع ولم
يبحث للعرب الطب ولا غيره من العاديات وقد وقع له في شان تلقيح النبل ما وقع
فقال انتم اعلم بامور دينكم فان ينبغي ان يعمل شي من السلب الذي وقع في الاحاديث
التي هي المنقولة على انه مشروع فليس هناك ما يدل عليه اللهم الا اذا استعمل على جهة
التبرك وصدق العقد الايماني فيكون له اثر عظيم في النفع وليس ذلك في الطب المراجعي
بل ما هو من آثار الكلمة الايمانية كما وقع في مداواة المجنون بالعسل والله الهادي الى الصواب
لا رب سواه

الفصل العشرون

في الفلاحة

هذه الصناعة من فروع الطبيعيات وهي النفل في النبات من حيث تهيئة ونمو
بالسقي والعلاج وتعمده مثل ذلك وكان المتقدمون بها عناية كثيرة وكان النظر فيها
عندهم عاما في النبات من جهة غرسه وتربيته ومن جهة خواصه وروحانيته ومشاكلته
روحانيات الكواكب والمياكل المستعمل ذلك كله في باب السحر فعملت عنايتهم به
لاجل ذلك وترجم من كتب اليونانيين كتاب الفلاحة النبطية منسوبة الى اهل
مشملة من ذلك على علم كبير ولما نظر اهل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب وكان باب
السحر مسدودا والنظر فيه محظورا فاختصر ما منه على الكلام في النبات من جهة غرسه

السماوية والعنصرية وما يولد عنها من حيوان وإنسان ونبات ومعدن وما يتكون في الأرض من العيون والارزاق وفي الحيوان من السمك والطيور والبرق والصواعق وغير ذلك وفي مبدأ الحركة للأجسام وهو النفس على نوعها في الإنسان والحيوان والنبات وكتب أرسطو فيه موجودة بين أبدي الناس ترجمت مع ما ترجم من علوم الفلسفة إمام المأمون وألف الناس على حدوها وأربع من ألف في ذلك ابن سينا في كتاب الشفاء جمع فيه العلوم السبعة للفلاسفة كما قدمنا ثم شخص في كتاب النجاة وفي كتاب الاشارات وكأنه يخالف أرسطو في الكثير من مسائلها ويقول برأيه فيها وإمام ابن رشد فلفص كتب أرسطو وشرحها متبعا لغيره ألف وألف الناس في ذلك كثيرا لكن هذه هي المشهورة لهذا العهد والمعتمدة في الصناعة واهل المشرق عناية بكتاب الاشارات لابن سينا والامام ابن الخطيب عاين شرح حمد وكذا الامام في شرحه ايضا صير الدين الطوسي المعروف بخواجيه من اهل المشرق وبحث مع الامام في كثير من مسائله فوافي على انظاره ومحتواه وفوق كل ذي علم علم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الفصل التاسع عشر في علم الطب

ومن فروع الطبيعيات صناعة الطب وهي صناعة تنظر في بدن الانسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وسر المرض بالادوية والاغذية بعد ان يتبين المرض الذي يمتص كل عضو من اعضاء البدن واسباب تلك الامراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الادوية مستديرات على ذلك بامزجة الادوية وقولها وعلى المرض بالاعلاجات الموزنة بتضييق وقبول الدواء اولاً في السببية والفصلات والبض مماذن لذلك قوة الطبيعة فانها المدبرة في حائتي الصحة والمرض وإنما الطبيب بمنازعتها ويعينها بعض الشيء بحسب ما تقتضيه طبيعة المادة والنصل والسمن ويسمى العلم الجامع لهذا كله علم الطب وربما افردوا بعض الاعضاء بالكلام وجعلوه علماً خاصاً كالعصب وعالمها والجملها وكذلك الجنين بالنز من منافع الاعضاء ومعناها المنفعة التي لاجلها خلق كل عضو من اعضاء البدن الحيواني وان لم يكن ذلك من موضوع علم الطب الا انهم جعلوه من لواحقه وتوابعه وامام هذه الصناعة التي ترجمت كتبه فيها من القدمين جالينوس يقال انه كان معاصراً لعيسى عليه السلام ويقال انه مات اصفهانية في سبيل

فيها وتدفع شبه اهل البدع عنها الذين زعموا ان مداركهم فيها عقلية وذلك بعد ان
 تفرض صحة بالادلة العقلية كما تلقاها السلف واعتقدوها وكثير ما بين المتأمنين وذلك
 ان مدارك صاحب الشريعة اوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الانظار العقلية فهي فوقها
 ومحمطة بها لاستمدادها من الانوار الالهية فلا تدخل تحت قانون النظر الضعيف والمدارك
 المحاط بها فاذا هدانا الشارع الى مدرك فيلبيح ان ندعه على مداركنا وثق بوقوعها ولا
 نظفر في تصحيح مدارك العقل ولو عارضة بل نعلم ما امرنا به اعتقادا وحكما ونسكت عالم
 نفهم من ذلك ونفوضه الى الشارع ونعزل العقل عنه والمتكلمون انما دعاهم الى ذلك كلام اهل
 الاتحاد في معارضات العقائد السلفية بالبدع الظارية فاحتاجوا الى الرد عليهم من جنس
 معارضتهم واستدعى ذلك النجيم الطرية ومحاذاة العقائد السانئة بها واما النظر في مسائل
 الطلوعيات والاهليات بالتصحيح والبطالان فليس من موضوع علم الكلام ولا من جنس
 انظار المتكلمين فاعلم ذلك التميز بين الاثنين فانما مختلفان عند المتأخرين في الوضع
 والتأليف والمحق مغايرة كل منها لصاحب الموضوع والمسائل وانما جاء الالتباس من
 اتحاد المطالب عند الاستدلال وصار احتياج اهل الكلام كانه اشياء لمطالب الاعداد
 بالدليل وليس كذلك بل انما هو رد على المتكلمين والمطالب منقوش الصدق معلومة
 وكذا جاء المتأخرون من غلاة المتصوفة المتكلمين بالمجاداة ايضا فخطاوا مسائل الاثنين
 بنفهم وجعلوا الكلام واحدا فيها كالمثل كلامهم في البرات والاتحاد والمجمل والوعدة
 وغير ذلك والمدارك في هذه الفنون الثلاثة متباينة مختلفة ولبعدها من جنس الفنون
 والعلوم ومدارك المتصوفة لانهم يدعون فيها الوجدان ويرون عن الدليل والوجدان
 بعيد عن المدارك العلمية وانعاشها وتوابعها كما بيناه وبينه والله يهدي من يشاء الى
 صراط مستقيم والله اعلم بالحق والارباب

الفصل الثاني والعشرون

في علوم السير والمساومات

وفي علوم بكيفية استمدادات نفوس النفوس البشرية بها على التاثيرات في عالم
 الماصرا ما يغير معين او يمين من الامور الماوية والاول هو السير الثاني هو الدالجات
 ولما كان في هذه العلوم متوفرة عدد الشرائع لما فيها من الضرر ولما يشترط فيها من البهجة
 الى غير الله من كوكب او غيره كان في كتبها كالماتودة بين الناس الا ما وجد في كتب

وعلاجه وما يعرض له في ذلك وحفظ الكلام في الفن الاخر منه جملة واختصار ابن
المعلم كتاب الفلاحة الطبيعية على هذا المنهاج وبني الفن الاخر منه مفصلاً نقل منه مسددة
في كتبه الصغرية امهات من مسائله كما ذكره عند الكلام على المختار شاء الله تعالى
وكتب المتأخرين في الفلاحة كثيرة ولا يعدون فيها الكلام في الفراس والملاج وحفظ
النبات من جراحو وعقاقير وما يعرض في ذلك كلوهي موجودة

الفصل الحادي والتشرون

في علم الالهييات

وهو علم ينظر في الوجود المقتضى ما ولا في الامور العامة للجسمانيات والروحانيات
من الماهيات والوحدة والكنه والرجوب والاكبات وغير ذلك ثم ينظر في مادي
الموجودات وانها روحانيات ثم في كنهية صدور الموجودات عنها ومراتبها ثم في احوال
النفس بعد مفارقة الاجسام وعودها الى البدن وهو عندهم علم شريف يزعمون انه يوقنهم
على معرفة الوجود على ما هو عليه وان ذلك عين السعادة في رحمتهم وسياتي الرد عليهم
وهو نال الماهيات في ترتيبهم ولذلك يسمونه علم ما وراء الطبيعة وكتب المعلم الاول
في موجوده بين ايدي الناس ولحقه ابن سينا في كتاب الشفا والفا وما وكذلك لمعها
ابن رشد من حكماء الاندلس ولما وضع المتأخرون في علوم القوم ودوروا فيها ورد عليهم
الغزالي ما رد منها ثم خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة
لعروضها في مباحثهم وتنابه موضوع علم الكلام بموضوع الاطربات ومسائله بمسائلها فصارت
كانها فن واحد ثم غرر وترتب الحكماء في مسائل الالهييات والاطربات وخالطوها فتنا
واحداً قد روا الكلام في الامور العامة ثم انهم تالجبسيات وتناهبها ثم بالروحانيات
وتناهبها الى اخر العلم كما فعله الامام ابن الخليل في المباحث المشرقية وجميع من بعده
من علماء الكلام وصار علم الكلام بمسائل الحكمة وكتبه بمحشوه بها كان الغرض
من موضوعها ومسائلها واحد واليس ذلك على الناس وهو غير صواب لان مسائل علم
الكلام اما في عقائد مختلفة من الذريعة كما فيها السالف من غير رجوع فيها الى العقل ولا
تعويل عليه بمعنى انها لا تثبت الا بدان العقل معزول عن الشرع وانفائه وما تشدث
فيه المتكلمون من اقامة الحجج تدليس سيما عن الحق فيها ما لا يميل بالدليل بعد ان لم يكن
معلوماً هو شأن الفلاسفة بل انها هو الناس حجة عقيدة تهمة عقائد الايمان وبذلك السالف

فيها وتدفع شبه اهل البدع عنها الذين زعموا ان مداركهم فيها عقلية وذلك بعد ان
تفرض صحة بالدلالة العقلية كما تلقاها السلف واعتدوها وكثير ما بين المقامين وذلك
ان مدارك صاحب الشريعة اوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الانظار العقلية فهي فوقها
ومحطة بها لاستمدادها من الانوار الالهية فلا تدخل تحت قانون النظر الضعيف والمدارك
الحاط بها فاذا هداما الشارع الى مدارك فيلنفي ان نقده على مداركنا ونثق به دونها ولا
نظري في تصحيح مدارك العقل ولو عارضه بل نعلم ما امرنا به اعتقادا وحكما ونسكت عالم
نهم من ذلك ونفرضه الى الشارع ونزل العقل عنه والمتكلمون انما دعاهم الى ذلك كلام اهل
الاتحاد في معارضة العقائد السلفية بالبدع النظرية فاحتاجوا الى الرد عليهم من جنس
معارضةهم واستندوا على ذلك بالمنهج النظرية ومحاذاة العقائد السلفية بها واما النظر في مسائل
الطبيعية والالهييات بالتصحيح والبطلان فليس من موضوع علم الكلام ولا من جنس
انظار المتكلمين فاعلم ذلك التميز بين الاثنين فانها مختصات عند المتأخرين في الوضع
والتأليف والمحقق مغايرة كل منهما لصاحبه بالموضوع والمسائل وانما جاء الالتباس من
اتحاد المطالب عند الاستدلال وصار احتياج اهل الكلام كانه انشاء لطلب الاعتداد
بالدليل وليس كذلك بل انما هو رد على المتكلمين والمطلوب مفروض الصديق معاونة
وكذا جاء المتأخرون من غلاة المصوفة المتكلمين بالموجد ايضا فخطاها مسائل الذين
بنهم وجعلوا الكلام واحدا فيها كلاما مثل كلامهم في النبوت والاتحاد والحوادث والوحدة
وغير ذلك والمدارك في هذه النون الثلاثة متباينة مختلفة وايعدها من جنس التوفيق
والعلوم مدارك المصوفة لانهم يدعون فيها الوجدان ويفرون عن الدليل والوجدان
يعيد عن المدارك العلمية واتبعها وتوابعها كما يساه ونبيه والله يهدي من يشاء الى
مراده مستقيم والله اعلم بالصواب

الفصل الثاني في المشركون

في علوم السحر والالهامات

وفي علوم كسبية استمدادات فتدبر النور البشرية بها على المائزات في عالم
الاصرار اما بغير معين او معين من الامور الساوية والاول هو السحر الثاني هو الالهامات
ولما كانت هذه العلوم مشهورة عند الراغب لما فيها من الضرر ولما به تهرل فيها من الوجوه
الى غير الله من كوكب او غيره كما في كتبها كالمقدمة بين الناس الا ما وجد في كتب

وعلاجه وما يعرض له في ذلك وحذفوا الكلام في النفس الاخر منه جملة واختصروا بين
 العلوم كتاب النلاحة النجلية على هذا المنهاج وبقي الفن الاخر منه مفكلاً نقل منه مدخله
 في كتب السرية امهات من مسائل كما نذكره عند الكلام على الصناعات شاء الله تعالى
 وكتب المتأخرين في النلاحة كثيرة ولا يعدون فيها الكلام في الفراس والمعالج وحفظ
 النبات من حوائج وعقائد وما يعرض في ذلك كذا وهي موجودة

الفصل الحادي والعشرون

في علم الالهيات

وهو علم ينظر في الوجود الماضي فأولاً في الامور العامة المجازيات والروحانيات
 من الماهيات والوحدة والكمية والجوهر والاعتكاف وغير ذلك ثم ينظر في مادي
 الموجودات وانها روحانيات ثم في كيفية صدور الموجودات عنها ومرتباتها ثم في احوال
 النفس بعد مفارقة الاجسام وعودها الى المبدأ وهو عندهم علم شرف يزعمون انه يورثهم
 على معرفة الوجود على ما دوا عليه وان ذلك عين السعادة في زعمهم وسياتي الرد عليهم
 وهو نال لطبيعيات في ترتيبهم ولذلك يسمى علم ما وراء الطبيعة وكتب العالم الاول
 فيه موجودة بين ايدي الناس وثيقة ابن سينا في كتاب الشفا والمنا وكذلك لخصها
 ابن رشد من حكاية الاندلس ولما وضع المتأخرون في علم التوم ودونوا فيها ورد عليهم
 الغزالي ما رد منها ثم خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة
 لعروضها في مباحثهم ونشأ به موضوع علم الكلام موضوع الالهيات ومسائلها فصارت
 كتاباً بين واحد ثم غيروا ترتيب المسائل في مسائل الفقهيات والالهيات وخططوا منها
 واحداً قدسوا الكلام في الامور العامة ثم اتهموه بالجهليات ونواها ثم بالروحانيات
 ونواها الى اخر العلم كما فعله الامام ابن المتكلم في المباحث المشرقة وجمع من بعده
 من علماء الكلام وصار علم الكلام محطاً لمسائل الحكمة وكتبه يمشوه بها كان الفرض
 من موضوعها ومسائلها واحد والنسب ذلك على الناس وهو غير صواب لان مسائل علم
 الكلام انما هي عقائد متلقاة من الذريعة كما فيها السلف من غير رجوع فيها الى العمل ولا
 فهو بل عاين بمعنى انها لا تثبت الا بوفان العقل معزول عن الذريع والشارع وما يحدث
 فيه المتكلمون من اقامة الشئح عاين بغير الحق درنا لتصل بالبدليل به ان لم يكن
 معلوماً هو شأن الفلسفة بل انما هو اللباس حجة عادية تفقد متائد الايمان وناصب السلف

هذاهذا الفلسفة المشعوذة أو الشعوذة . هذا تفصيل مراتب ثم هذه الخاصة تكون في الساحر
 بالقوة شأن القوى البشرية كلها وإنما تخرج الى الفعل بالرياضة ورياضة السحر كلها إنما
 تكون بالوجه الى الأفلاك والكواكب والعلوم العلوية والسياطين بأمرع التعظيم والعبادة
 والخضوع والتذلل فهي لذلك وجهة الى غير الله وسجود له والوجهة الى غير الله كفر فلما
 كان السحر كفرًا والكفر من مواد وسبايو كرايت وهذا اختفب الثغمة في قتل
 الساحر هل كفره السابق على فعله أو تصرفه بالافساد وما ينشأ عنه من الفساد في
 الأكلان والكل حاصل منه ولما كانت المرتبة الأولى من السحر لها حقيقة في الخارج
 والمرتبة الأخيرة الثالثة لا حقيقة لها اختفب العلماء في السحر هل هو حقيقة أو إنما هو
 تحويل فالقانون بان له حقيقة نظرنا الى المرتبتين الأولى والثالثة بان لا حقيقة له
 نظرنا الى المرتبة الثالثة الأخيرة فليس بينهم اختلاف في نفس الأمر إنما جاء من قبل
 اثبات هذه المراتب والله أعلم . وأعلم ان وجود السحر لامرية فهو بين العقلاء من أجل
 التأثير الذي ذكرناه وقد نقاش به القرآن قال الله تعالى ولكن الشياطين كفروا يعلمون
 الناس السحر وما أنزل على الملائكة من هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقول
 إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من
 أحد إلا بأذن الله وسر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان يخيل اليه أنه ينزل الله شيء
 ولا يفعل ولا يجعل سحره في مشعل ومشاقة وجنب طلعة ودفن في ثرثرون فانزل الله عز
 وجل عليه في المعوذتين ومن شر الغائات في العقد قالت عائشة رضي الله عنها كان
 لا يقرأ على عقدة من تلك العقد التي سحر فيها إلا انحلت ولما وجود السحر في أهل بابل
 وهم الكلدانيون من النبط والسريانيين فكثير ونطق به القرآن وجاءت به الأخبار وكان
 للسحر في بابل ومصر زمان زعمه موسى عليه السلام أسواق نافعة ولهذا كانت مميزة وموسى
 من جنس ما يدعون ويتناغون فيه وبقي من أثار ذلك في الدراي بصعيد مصر شواهد
 دالة على ذلك وراينا بالعميان من بصور صورة الشجن المسحور منجنح أسياء مقابلة لما
 نراه وبماولة موجودة بالمسيور واثال تلك المعاني من أسماء وصفات في الناليف والفرين
 ثم يذكر على تلك الصورة التي أتمامها مقام التنصيص المسحور عنما أو معنى ثم يثبت من رتبة
 بعد استنساخه في فيه بتكرير محتاج تلك الحروف من الكلام السوء ويعتد على ذلك المبتدئ
 في مسيراته بذلك تنازلاً بالعقد والزام واخذ العهد على من اشرك به من الجن سيفه
 وقدره في ذلك الأسماء والآخرة بالزعم ولذلك البنية في الأسماء الأربعة رتبة في تزيين

الاسم المتقدم فيها قبل نبوة موسى عليه السلام مثل النبط والكلدانيين قاتل جميع من
 تقدمه من الانبياء لم يفرعوا الشرائع ولا جاءوا بالاحكام اما كانت كتبهم موعظة وتوحيد
 الله وتذكيراً بالجنة والنار وكانت هذه العلوم في اهل بابل من السريانيين والكلدانيين
 وفي اهل مصر من النبط وغيرهم وكان لهم فيها التأليف والانوار ولم يترجم لها من كتبهم
 فيها الا القليل مثل الفلاحة النبطية من اوضاع اهل بابل فاخذ الناس منها هذا العلم
 وتفننوا فيه ووضعت بعد ذلك الاوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب جملهم
 الهندسي في صور الدرج والكواكب وغيرها ثم ظهر بالشرق جابر بن حيان كبير السحرة في
 هذه الملة فتصنف كتب التوم واستخرج الصناعة وغاص في زبدتها واستخرجها ووضع فيها
 غيرها من التأليف واكثر الكلام فيها وفي صناعة السيميا لانها من تواليها لاف احوال
 الاجسام السبعة من صورة الى اخرى انما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية فهو من
 قبل السحر كما ذكره في موضعه . ثم جاء مسلمة بن احمد الجرجاني امام اهل الاندلس
 في العالم والسيريات فخلص جميع تلك الكتب وهدبها وجمع طرقها في كتابه الذي سماه
 غاية الحكيم ولم يكتب احد في هذا العلم بعده . ولقد علمنا مقدمة يمين بها حقيقة السحر
 وذلك ان النفوس البشرية وان كانت واحدة بالذات في مختلفات بالخواص وهي اوصاف
 كل صنف مختص بخاصة واحدة بالذات لا توجد في الصنف الاخر وصارت تلك الخواص
 غطيرة وجيلة لصنفها نفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام لها خاصية تستعد بها لمعرفة
 الربانية ومخاطبة الملائكة عليهم السلام عن الله سبحانه وتعالى كما مر وما يتسع ذلك من
 التأثير في الاكابر واستجواب روحانية الكواكب للتصرف فيها والتأثير بقوة نفسانية ان
 شيطانية فاما تأثير الانبياء فمدد اليه وخاصية ربانية ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع
 على المغيبات بقوة شيطانية وهكذا كل صنف مختص بخاصة لا توجد في الاخر والنفوس
 الساحرة على مراتب ثلاث يأتي شرحها فاولها الموثرة بالهمة فقط من غيرالة ولا سميت
 وهذا هو الذي تسميه الثلاثة السحر والثاني يعرف من مزاج الافلاك او العناصر
 خواص الاعداد واثيرة الطلسمات وهو اضعف رتبة من الاول والثالث تأثير في
 القوى الخفية بعد صاحب هذا التأثير الى القوى الخفية فينتصرف فيها بنوع من التصرف
 ويأتي فيها ارباعاً من الخفايا والامكانة وصورها بقصد من ذلك ثم يتفرع الى خمس من
 الراتين بقوة نفس الموثرة فيه فيستلزم الراتين كانها في الخارج وليس هناك شيء من ذلك
 كما ينبغي عن بعضهم انه يرى البساتين والانهيار والصور وليس ذلك من ذلك ويحيى

الشريفة ويرفع في خرقه حرير صفراء بعد ان يمس في الطيب فرعيل ان له اثرا في صحابة
 الملوك وخدمهم ومعاشرتهم وامثال ذلك كثير وكتاب الغاية لمسلم بن احمد الجرجاني
 هو مدونة هذه الصناعات وفيه استنباطها وكال مسائلها وذكر لنا ان الامام الفخر بن الخطيب
 وضع كتابا في ذلك سماه بالسرا المكتوم وانه بالمشرق يتداوله اهله ونحن لم نثقف عليه
 والامام لم يكن من ائمة هذا الشأن فيما نظن ولعل الامر بخلاف ذلك وبالمغرب صنف
 من هؤلاء المتبحرين لهذه الاعمال السرية يسمون بالبعاجين وهم الذين ذكرت اولاً انهم
 يشيرون الى الكساء او الجلد فينفق ويشيرون الى بطون الغنم بالبيع فتبيع ويسمى
 احدهم لهذا العهد باسم البعاج لان اكثر ما يتقل من السحر يبيع الانعام ببرهه بذلك
 اهله يعطونه من فضائها وهم مستترون بذلك في الغاية خوفا على انفسهم من المحاكم اثبتت
 منهم جماعة وشاهدت من افعالهم هذه بذلك واخبروني ان لهم وجهة ورياضة خاصة
 بدعوات كسرية واشراك الروحانيات الجبن والكنك سطرت فيها صحيفة عندهم تسمى
 المخزنية يتدارسونها وان بهذه الرياضة والوجهة يصلون الى حصول هذه الافعال لم
 وان التأثير الذي لم انا هو فبا سوي الانسان المحرم من المتاع والحيوان والرقيق ويعبرون
 عن ذلك بقولهم اما نعل فيما تمضي فيه الدراهم اي ما يملك ويبيع ويشترى من سائر
 المتكلمات هذا ما زعموه وسالت بعضهم فاخبرني به واما افعالهم فظاهرة موجودة وقفا
 على الكثير منها وعابنها من غير ريبة في ذلك هذا شأن السحر والطلسمات واثارها في العالم
 فاما الفلاسفة ففرقوا بين السحر والطلسمات بعد ان اثبتوا انها جميعا اثر للنفس الانسانية
 واستدلوا على وجود الاثر للنفس الانسانية بان لها اثرا في بدنها على غير المحرري الطبيعي
 واسباب الجسمانية بل اثار عارضة من كينيات الارواح نارة كالسحونة المحادثة عن النرج
 والسرور ومن جهة التصورات النفسانية اخرى كالذي يقع من قتل النور فان الماثير
 على حرف حافظ او على حل منتصب اذا قوي عدة نوره السقوط سقط بلا شك ولهذا
 تجد كثيرا من الناس يعودون انفسهم ذلك حتى يذهب عنهم هذا النور فينهدم عرشهم
 على حرف الحافظ والمحل المنتصب ولا يخافون السقوط فثبت ان ذلك من اثار النفس
 الانسانية وتصورها للسقوط من اجل النور واذا كان ذلك اثرا للنفس في بدنها من غير
 الاسباب الجسمانية الطبيعية فجاز ان يكون لها مثل هذا الاثر في غير بدنها اذ نسبتها الى
 الابدان في ذلك النوع من التأثير واحدة لانها غير حالة في البدن ولا متعلقة فيه فثبت
 انها مؤثرة في سائر الاجسام واما التفرقة عندهم بين السحر والطلسمات فهو ان السحر

سنة مع النخ متعلقة بريئة الخارج من قيو بالفتك فتزل عنها ارواح خبيثة ويقع عن
 ذلك بالسحور ما يحاوله الساحر وشاهدنا ايضا من المتعلمين للبحر وعملوا من يشير الى كساء
 اوجلد ويتكلم عليه في سر فاذا هو مقطوع مخرق ويشير الى بطون الغنم كذلك في مراعيها
 بالبحر فاذا امعاها ساقطة من بطونها الى الارض سمعنا ان بارض الهند لهذا العهد من
 يشير الى انسان فيمضت قلبه ويقع ميتا وينقب عن قلبه فلا يوجد في حشاه ويشير الى
 الزمانه وتنفخ فلا يوجد من حبو بهائي وكذلك سمعنا ان بارض السودان وارض الترك
 من يسير السحاب فيمطر الارض المخصوصة وكذلك راينا من عمل الطلسمات عجائب في
 الاعداد الخفية وهي رك رف واحد المحدثين مائتان وعشرون والآخر مائتان واربعه
 وثمانون ومعنى الخفية ان اجزاء كل واحد التي فيه من نصف وثلاث وربع وسدس
 وخمس وانما لما اذا جمع كانت مساويا للعدد الاخر صاحبة فتسمى لاجل ذلك الخفية
 ونقل اصحاب الطلسمات ان لتلك الاعداد اثرا في الالفه بين المتعلمين واجتماعها اذا وضع
 فلما مثلا ان احدها بطالع الزهرة وهي في بيتها او شرفها ناظرة الى القمر فطرمودة وقبول
 ويحمل طالع الثاني سابع الاول ويضع على احد الثقلين احد المحدثين والاخر على
 الاخر ويقصد بالاكتر الذي يراد اثلافة اعني المحبوب ما ادرى الاكثر كمية او الاكثر
 اجزاء فيكون لذلك من التاليف العظيم بين الثقلين ما لا يكاد يترك احدهما عن الاخر
 قاله صاحب الغاية وغيره من ائمة هذا الشأن وشهدت له التجربة وكذا طالع الاسد
 ويسمى ايضا طالع الحصى وهو ان يرسم في قالب هند اصبع صورة اسد شائلا ذنبه على
 على حصاة قد قسمها بنصفين وبين يديه صورة حية مناسبة من رجاليو الى قبالة وجهه
 فاخرة فاما الى قيو وعلى ظهره صورة عقرب تدب ويصحب برسمه حاول الشمس بالوجه
 الاول او الثالث من الاسد بشرط صلاح النارين وسلامتهما من الخسوس فاذا وجد
 ذلك وعثر عليه طبع في ذلك الوقت في مقدار المثال فما دونه من الذهب وغش بعد
 في الزعفران محاولا بماء الورد ورفع في خرقه حبر صفر فأنهم يزعمون ان لمسكه من العز
 على السلاطين في مباحثهم وخدمتهم وتسييرهم له ما لا يعبر عنه وكذلك السلاطين فيو
 من الترف والعز على من تحت ايديهم ذكر ذلك ايضا اهل هذا الشأن في الغاية وغيرها
 وشهدت له التجربة وكذلك وفق المستدس الخاص بالشمس ذكر طائفة بوضع عند حاول
 الشمس في شرفها وسلامتها من الخسوس وسلامة القمر بطالع ملوكي يعتبر فيه نظر صاحب
 العاشر اصحاب الطالع نظر مودة وقبول ويصلح قيو ما يكون في مواليد الملوك من الادلة

وتسميكم بكلمة الله فانتمل معها كل عقد يصري ولم يثبت وبطل ما كانوا يحاولون فاما
 الشريعة فلم تفرق بين السحر والطلسمات وجعلته كله باباً واحداً محظوراً لأن الأفعال
 اما اباح لنا الشارع منها ما جهنا في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا او في معاشنا الذي فيه
 صلاح دنيانا وما لا نهنا في شيء منها فان كان فيه ضرر او بوع ضرر كالسحر المحاصل
 ضرر به الوقوع ويطلق به الطامات لان اثرها واحد كالنجامة التي فيها بوع ضرر باعتقاد
 التأثير فتفسد العقيدة الايمانية برد الامور الى غير الله فيكون حينئذ ذلك الفعل محظوراً
 على تسميته في الضرر وان لم يكن نهياً عليماً ولا فيه ضرر فلا اقل من تركه قربة الى الله
 فان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فجعلت الشريعة باب السحر والطلسمات
 والشعوذة باباً واحداً لما فيها من الضرر وخصته بالمحظ والتعريم واما الفرق عديم بين
 المعجزة والسحر فالذي ذكره المتكلمون انه راجع الى التعدي وهو دعوى وقوعها على وفق
 ما ادعاه قائلو السحر مصروف عن مثل هذا التعدي فلا يقع منه وقوع المعجزة على
 وفق دعوى الكاذب غير مندور لان دلالة المعجزة على الصدق عقلية لان صفة نفسها
 الصديق فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصادق كاذباً وهو محال فاذا لا يقع المعجزة مع
 الكاذب باطلاق واما المحكاة فالفرق بينهما عديم كما ذكرناه فرق ما بين الخير والشر
 في نهاية الطرفين فالساحر لا يصدر منه الخير ولا يستعمل في اسباب الخير وصاحب
 المعجزة لا يصدر منه الشر ولا يستعمل في اسباب الشر وكانها على طرفي القوس في اصل
 فطرتها والله يهدي من يشاء وهو القوي العزيز لا رب سواه ومن قبيل هذه التأثيرات
 النفسية الاصابة بالعين وهو تأثير من نفس الميمان عندما يستحسن بعينه مدركاً من
 الذوات او الاحوال ويفرط في استحسانه وينشأ عن ذلك الاستحسان حينئذ انه يروم
 معه سلب ذلك الشيء عن انصفه فيؤثر فساداً وهو جيلة فطرية اعني هذه الاصابة
 بالعين والفرق بينهما وبين التأثيرات وان كان منها ما لا يكتسب فصدورها راجع الى
 اختيار فاعلمها والنظري منها فرق صدورها لانفس صدورها ولهذا قالوا القائل بالسحر ان
 بالكرامة يقتل القائل بالعين لا يقتل وما ذلك الا لانه ليس بما يريد ويقصده او يتركه
 وانما هو مجبور في صدوره عه والله اعلم بما في الغيوب ومطلع على ما في السرائر

لا يحتاج الساحر فيه الى معين وصاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب والسيرار
 الاعداد وشرايين الموجودات وازواضع الفلك الموزنة في عالم العناصر كما يقوله المتخون
 ويقولون السحر اتحاد روح بروح والطلسم اتحاد روح بجسم ومعناه عندهم ربط الطلسمات
 العلوية بالساوية بالطلسمات السفلية والطلسمات العلوية هي روحانيات الكواكب ولذلك يستعين
 صاحبها في غالب الامر بالقيامة والساحر عندهم غير مكتسب لسحره بل هو منطور عندهم
 على تلك الجملة المختصة بذلك النوع من التأثير والفرق عندهم بين المعجزة والسحر ان
 المعجزة قوة الهية تبعث على النفس ذلك التأثير فهو مويد بروح الله على فعله ذلك والساحر
 انما يفعل ذلك من لدن نفسه ويقوت النفسانية وبامداد الشياطين في بعض الاحوال
 فيبينها الفرق في المعقولة والمحسوسة والذات في نفس الامر وانما تستدل بشئ على الفرفة
 بالعلامات الظاهرة وهي وجود المعجزة لصاحب الخبير وفي مقاصد الخبير وللنفوس المتخففة
 الخبير والتحدي بها على دعوى النبوة والسحر انما يوجد لصاحب الشر وفي افعال الشر في
 الغالب من التفريق بين الزوجين وضرر الاعداء امثال ذلك والنفوس المتخففة للشر
 هذا هو الفرق بينهما عند الحكماء الاطليين وقد يوجد لبعض المتصوفة واصحاب الكرامات
 تأثير ايضا في احوال العالم وليس معدودا من جسد المعروف انما هو بالامداد الالهي لان
 طريقتهم ومعلمهم من اثار النبوة وتواضعها ولم في الممدد الالهي يحفظ على قدر حاتم واما انهم
 ويمسكهم بكلمة الله واذا اقتدر احد منهم على افعال الشر فلا ياتونها لانه متعبد فيما ياتوه
 ويذره للامر الالهي فلا يقع لهم فيه الاذن لا ياتونه بوجه ومن انما منهم فقد عدل عن
 طريق الحق وربما سلب حاله ولما كانت المعجزة بامداد روح الله والقوى الهية فلذلك
 لا يعارضها شئ من السحر وانظر شان سمرة فرعون مع موسى في معجزة العصا كيف تلفت
 ما كانوا يافكون وذهب سحرهم واضمحلت كان لم يكن وكذلك لما انزل على النبي صلى الله
 عليه وسلم في المعوذتين ومن شر الفاتات في العقد قالت عائشة رضي الله عنها فكانت
 لا يقرؤها على عقدة من العقد التي تنفر فيها الا افضلت فالسحر لا يثبت مع اسم الله وذكره
 وقد نقل المؤرخون ان زركش كاوياني راية كسرى كان فيها الوفق الميثمي العددي
 منسوجا بالذهب في اوضاع فلكية رصدت لذلك الوفق ووجدت الراية يوم قتل رسماً
 بالهندسية واقعة على الارض بعد انهم اهل فارس وشتائمهم وهو فيها ترجم اهل الطلسمات
 والافاق مخصوص بالغالب في السحر وبان الراية التي يكون فيها او معها لا تنزيم
 اصلا الا ان هذه عارضها الممدد الالهي من ايمان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

كضعيف قوى النور وأمثال ذلك ومنهم من جعل سر التصرف الذي في الحروف
للتسوية العددية فإن حروف ايجد دالة على اعدادها المتعارفة وضعاً وطبعاً فينبغي من
اجل تناسب الاعداد تناسب في نفسها ايضاً كما بين الباء والكاف والراء لدلالاتها كلها على
الاثنين كل في مرتبة فالباء على اثنين في مرتبة الاحاد والكاف على اثنين في مرتبة
العشرات والراء على اثنين في مرتبة المئين وكالذي بينها وبين السال والميم والياء لدلالاتها
على الاربعة وبين الاربعة والاثنين نسبة الضعف وخرج للاسما اوافق كما للاعداد يختص
كل صنف من الحروف بصنف من الاوافق الذي يناسبة من حيث عدد الشكل او
عدد الحروف وامتزج التصرف من السر المحرفي والسر العددي لاجل التناسب الذي
بينها فامر التناسب الذي بين هذه الحروف وامتزجة الطبائع او بين الحروف والاعداد
فامر عسر على الفهم اذ ليس من قبيل العلوم والقياسات وانما مستندهم فيه الذوق والكشف
قال البوني ولا نظن ان سر الحروف ما يتوصل اليه بالقياس العقلي وانما هو بطريق
المشاهدة والتوفيق الالهي واما التصرف في عالم الطبيعة بهذه الحروف والاسماء المركبة فيها
وتأثير الاكوان عن ذلك فامر لا ينكر لثبوت عن كثير منهم ثبوتاً وقد بطن ان تصرف
هؤلاء وتصرف اصحاب اللطيمات واحد وليس كذلك فان حقيقة الطلسم وتأثيره على ما
حقته اهله انه قوى روحانية من جوهر الفهر فتعمل فيما له ركب فعل غلبة وقهر باسرار
فلكية ونسب عديدة وبخورات جالبات ارواحانية ذلك الطلسم مشدودة فيه بالهمة
فاندها ربط الطبائع العلوية بالطبائع السفلية وهو عندهم كالمخبرة المركبة من هوائية
وارضية ومائية ونارية حاصلة في جملتها شميل وتصرف ما حصلت فيه الى ذاتها ونقله الى
صورها وكذلك الاكسير للاجسام المعدنية كالمخبرة تنقلب المعدن الذي تسري فيه الى
نفسها بالاحالة ولذلك يقولون موضوع الكيمياء جسد في جسد لان الاكسير اجزاء كلها
جسدانية ويقولون موضوع الطلسم روح في جسد لانه ربط الطبائع العلوية بالطبائع
السفلية والطبائع السفلية جسد والطبائع العلوية روحانية وتتميز الترقين وتصرف
اهل الطلسمات واهل الاسماء بعد ان تعلم ان التصرف في عالم الطبيعة كل ما هو النفس
الانسانية والهم البشرية لان النفس الانسانية مغمطة بالطبيعة وحكمة عليها بالذات الا
ان تصرف اهل الطلسمات انما هو في استنزاع روحانية الافلاك وربطها بالصور او بالنسب
العددية حتى يحصل من ذلك نوع مزاج بفعل الاحالة والقلب بطبيعتها فعل المخبرة فيما
حصلت فيه وتصرف اصحاب الاسماء انما هو ما حصل لهم بالجاهدة والكشف من النور

له بها شهد له ذلك اما بانه من مآذبا او بان التماسه الذي كان في اصل الابداع ويردخ
 العلم قضي بذلك كله او يتيم من العلم الا قليلا وليس كل ما حرمة الشارع من العلوم
 بمنكر الثبوت فقد ثبت ان الصرحى مع حظره لكن حسبنا من العلم ما علمنا . (ومن
 فروج علم السيبيا عديم استغراج الاجوبة من الاسئلة) . بارتباطات يربط الكلمات
 حرفية بوهيون انها اصل في معرفة ما يجاولون علمه من الكائنات الاستقبالية وانما في شبه
 المعابة والمسائل السائلة ولم في ذلك كلام كثير من ادعية واعجبة زايرة العالم السبتي
 وقد تقدم ذكرها وتبين هنا ما ذكره في كنيته اهل تلك الزايرة بدافرتها وجدولها
 المكتوب حولها ثم نكتشف عن الحق فيها وانها ليست من الغيب وانما هي مطابقة بين مسئلة
 وجوابها في الافادة فقط وقد اشرنا الى ذلك من قبل وليس عندنا رواية يعول عليها في
 صحة هذه التصديده الا اننا نخرجنا اصح النسخ منها في ظاهر الامر والله الموفق بمو وهي هذه

يقول سبتي ويصعد ربة مصلي على هادى الناس ارسالا
 يصعد المبعوث خاتم الانبيا ويرضى عن الصيب ومن لم تلا
 الا هذه زايرة العالم الذي تراه يجهيك وبالعقل قد حلا
 فن احكم الوضع فيكم جمعة ويدرك احكاما تدبرها العلا
 ومن احكم الرسل فيدرك قوة ويدرك اللغوى ولكل حصلا
 ومن احكم التصريف يحكم سره ويعقل حوابة وصح له الولا
 وفي عالم الامر تراه يمتثقا وهذا مقام من بالاذكار كمال
 فهذه سرائر عليكم يستشها اقمها دوائر او للقاء عدلا
 فطاء لها عرش وفيه نقوشنا بنظم ونثر قد تراه يجهد ولا
 ونسب دوائر مكتسة فلكها وارسم كما كنا لادراجها العلا
 واخرج لا ونار وارسم حروفها وكورته على حد من خلا
 اتم شكل زبرم وسو بونه وحقق بهامهم ونورم جلا
 وحصل علوما للطباع سهندسا وعلما لموسيقى والارباع مثلا
 وسو لموسيقى وعلم حروفهم وعلم بالات فحقق وحصلا
 وسو دوائر ونسب حروفها وطالما اطاف والاقلع جدولا
 امير لاسا فهو نهاية دولة زناية آبت وحقق لها خلا
 وقطر لاندلس فابن لودم وجاء منو نصر وظاهره تلا

الالهي والإمداد الرباني فيسفر الطبيعة لذلك طائفة غير مستعصية ولا يحتاج إلى مدد من
 القوى الفكرية ولا غيرها لأن مددة أعلى منها ويحتاج أهل الطلسمات إلى قليل من الرياضة
 تفيد النفس قوة على استئصال روحانية الأفعال وأهون بها وجهة ورياضة بخلاف أهل
 الاسماء فإن رياضتهم هي الرياضة الكبرى وليست لتقص النصرف في الإكثار إذ هو حجاب
 وإنما النصرف حاصل لم بالعرض كرامة من كرامات الله لم فإن خلا صاحب الاسماء عن
 معرفة أسرار الله وحقائق المكنوت الذي هو نتيجة المشاهدة والكشف واقتصر على مناسبات
 الاسماء وطبائع الحروف والكلمات ونصرف بها من هذه الحبيبة وهؤلاء هم أهل السيميا في
 المشهور كان إذا لافرق بينه وبين صاحب الطلسمات بل صاحب الطلسمات أوثق منه
 لأنه يرجع إلى أصول طبيعية علمية وقوانين مرتبة ولما صاحب أسرار الاسماء إذا فاته
 الكشف الذي يطلع به على حقائق الكلمات وأثار المناسبات بذوات المخلوص في الوجهة
 وليس له في العلوم الاصطلاحية قانون برهاني يعول عليه فيكون حالة أضعف رتبة وقد
 يخرج صاحب الاسماء قوى الكلمات والاسماء بقوى الكواكب فيعين لذكر الاسماء المحسنى
 أو ما يرسم من أوقافها بل ويسائر الاسماء أوقافاً تكون من حظوظ الكواكب الذي يتناسب
 ذلك الاسم كفعلة البوني في كتابه الذي سماه الانماط وهذه المناسبة عديم هي من لدن
 الحضرة العائدية وهي برزخية الكمال الاسيائي وإنما تنزل تفصيلها في المحقائق على ما هي عليه
 من المناسبة وثابت هذه المناسبة عديم إنما هو بحكم المشاهدة فإذا خلا صاحب الاسماء
 عن تلك المشاهدة وتلقى تلك المناسبة تقلباً كان عمله بمثابة عمل صاحب الطلسم بل هو
 أوثق منه كما قلناه وكذلك قد يخرج أيضاً صاحب الطلسمات عمله وقوى كواكب بقوى
 الدعوات المولفة من الكلمات المخصوصة لمناسبة بين الكلمات والكواكب إلا أن مناسبة
 الكلمات عديم ليس كما هي عند اصحاب الاسماء من الاطلاع في حال المشاهدة وإنما يرجع
 إلى ما اقتضت أصول طريقهم السحرية من اقتسام الكواكب لجميع ما في عالم المكنونات
 من جواهر وأعراض وذوات ومعان والحروف والاسماء من جملة ما فيه فلكل واحد من
 الكواكب قسم منها بخصه ويبين على ذلك مباني غريبة متكررة من تقسيم سور القرآن
 وآيه على هذا النحو كما فعلة مسلمة الجبريطي في الغاية والظاهر من حال البوني في انماطه
 أنه اعتبر طريقة ثم فإن تلك الانماط إذا تصفيتها وتصفت الدعوات التي تضمنتها وتقسيمها
 على ساعات الكواكب السبعة ثم وقفت على الغاية وتصفت قيامات الكواكب التي فيها
 وهي الدعوات التي تختص بكل كوكب يسمونها قيامات الكواكب أي الدعوة التي يتنام

ملوك وقرسان واهل الحكمة
 ومهدي توحيد بنون حكيم
 واقسم على الفطركن متفقا
 ففش وبرشون الراء حرقهم
 ملوك كناية دلول لقايمهم
 فهند حياثيب وسند فهرس
 فقصرهم حاء ويزد جردم
 وعباس كلهم شريف معظم
 فان شئت تدقيق الملوك وكلهم
 على حكم قانون الحروف وعلمها
 فن علم العالم تعلم علمنا
 فيخرج علمه ويعرف ربه
 وحيث اتى اسم والعروض بشقة
 وتاتيك احرف فسو لضرها
 فن بتذكور وقابل وعروض
 وفي العند والجند وير يعرف غالبا
 واخير المطلاع وسويو رتبة
 ويدركها المره فيبلغ قصده
 اذا كان سعدوا الكواكب اسعدت
 وابساع دالم برموز في
 واوتار زبرهم فللماء بهم
 وادخل بافلاك وعدل يبدول
 وجوز شدوذ النجوموز وثلة
 فاصل لدينا واصل لفتنا
 فادخل لنسطا طعلى الوفق جذره
 فيخرج ايماننا وفي كل مطلب
 ونشني بمصرها كذا حكم عدلهم

فان شئت نصهم وقطرهم حلا
 ملوك الشرق بالا وفاق نزلا
 فان شئت للروم في البحر شكلا
 وافر نسهم دال وبالطاء كملا
 واعراب قومنا ترقيق اعلا
 وقرس ططاري وما بعدهم طلا
 لكاف وقبطهم بالامو طولا
 ولكن تركي هذا الامل عطلا
 فخنم بيوتا ثم نسب وجدولا
 وعلم طبائعا وكلة مثلا
 ويعلم اسرار الوجود واكللا
 وعلم ملاحم بجايهم فصلا
 فحكم الحكيم فيه قطعها ليقنلا
 واحرف سيويو تاتيك فيصلا
 بترتليك الغالي الاجزاء شحلا
 وزد لم وصانيه ففي الفعل فعلا
 واعكس يجذريويو بالدور عدلا
 وتعطي حروفها وفي نظها لتيلا
 فحسبك في الملك ونيل اسمه العلا
 فنسب دنادينا تجدد فيه منيلا
 وثنانم الملك يجييو قد جلا
 وارسم ابا جاد وباقيو جملا
 اتى في عروض الشعر عن جملة ملا
 وعلم لغونا فاحفظ وحصلا
 وسنج باسمه وكبر وهلا
 بنظم طبيعي وسرمن العلا
 فعلم النواقيح ترى فيه منيلا

تكون بها فاعلم اذا جدت خدمة وتذكر اسراراً من العالم العلوي
سري بها ناجي ومعروف قبلة وباح بها الحلاج جهراً فاعلم
وكان بها الشيلي يدأب دائماً الى ان رقي فوق المرادين واعلم
فصنف من الاناس قلبك جاهلاً ولازم لاذكار وصم وتغلا
فانال سر التوم الا محقق عليم باسرار العلوم محصلا
ع صحح وسلم في سنة ١٠١٠ هـ = ١٦٩٨ م ٨٨ ح ١١ ص ١٢٠
مقامات المحبة وميل النفوس والمجاهدة والطاعة والعبادة وحب
ونعشق وفناء الفناء وتوجه ومراقبة وخلعة دائمة
الانفعال الطائفي

لبرجيس في المحبة الرفق صرفوا بقزدير او نحاس الخفاط اكمل
وقيل بنضة صتيماً رابته فجعلك طالماً خطوطة ما علا
نوخ بو زيادة النور للفر وجعلك للقول شمس اصلا
ويومك والجنود عود لهدم ووقت الساعة ودعوة الا
ودعوة بغاية فهي اعلم وعن طسيان دعوة ولما جلا
وقيل بدعوة حروف لوضعها بجري هواء او مطالب احلا
فتنقش احرقاً بدال ولما وذلك وفق الدرب حصل
اذالم يكن يهوى منك دلالها فدا لهدون وزينب معطلا
فحسن لبائس ولباغهم اذا هو لك وباقيهم قليلة حملا
ونقش مشاكل بشرط لوضعهم وما زدت السبعة لعلك عدلا
ومفتاح درم ففعلها سوس فيوري وبتطامي دورتها نلا
وجعلك بالقصد وكن متقدماً ادلة وحشي لتيقظ مبالا
فاعكس بيوتها باللف وديف فبالسها سر وفي سرها انجلا

فصل في المقامات للنهاية

للك النبيص صورة من العالم العلوي وتوجه ادار او لبسها انجلا
ويرسب في الحسن وهذا تنبيه بنثر وترنيل حقيقة ابرلا
وفي يد طول وفي النبيص نالسن فينكي الى عود يواوب بالبالا
وقد بينا انزل بسن سماها وعبد نجما ل. كلام اخلا

٨٨٨١ ح

خط الاتصال

٨٨٨١ ح

خط الاتصال

٨٧٧٧ ح

الوتر للجمع وتابع الجور العام

٨٧٧٧ ح

الاتصال والاتصال

٨٧٧٧ ح

الواجب التام في الاتصالات

٨٧٧٧ ح

اقامة الانوار

٨٧٧٧ ح

الجور الحبيب في العمل

٨٧٧٧ ح

اقامة السؤال عن المالك

مقام الا ولا نور عه مقام بها ه ح لا

الاتصال الروحاني والاتصال الرباني

ابا طالب السر لتبليد ربه
لدى سائر الحسن تصادف منها
كذلك ريسهم وفي الشمس اعلا
وما قلته حقاً وفي الغير اعلا
اقوله غورك ونصر كمو اجنلا
اداشت نهي في الوجود مع النفي
وديننا متيناً او نكرت متوصلا
وفي سر سدا لام اراك مسربلا
كذا قالت الهند و صوفية الملا
وما حكم صنع مثل جبريل انزلا
ويوم الخيوس الدو والاحد اعجلا
وفي اثنين للخصي تكون مكمللا
أراك بها مع نسبة الكل اعطلا
وعود ومصداكي بنور شخصلا
والاخلاص والسبع المفاقي مرتلا

اتصال انوار الكبرياء
بلعاني لا في لا ظغ في لد سع ق جمع ه ف وي
وفي يدك البني حديد ونام
وابة حشر فاجعل القالب وجهها
في السر في الاكران لا نهي غيرها

استخراج الاحرف من بيت التصويد . (تنبيه) . تركيب حروف الاوتار والمجدول على ثلاثة اصول حروف عربية نقل على هيئتها وحروف برسم الغبار وهذه تبدل فيها ما ينقل على هيئته متى لم ترد الادوار عن اربعة فان زادت عن اربعة نقلت الى المرتبة الثانية من مرتبة العشرات وكذلك لمرتبة المئين على حسب العمل كما ستبينه ومنها حروف برسم الزمام كذلك غير ان رسم الزمام يعطى نسبة ثانية فهي بمنزلة واحد الف وبمنزلة عشرة ولها نسبة من خمسة بالعدد في فاستحق البيت من المجدول ان توضع فيه ثلاثة حروف في هذا الرسم وحرفان في الرسم فاخصروا من المجدول بيوتاً خالية متى كانت اصول الادوار زائدة على اربعة حسبت في العدد في طول المجدول وان لم ترد على اربعة لم يحسب الا العامر منها . (و العمل في السوال ينفر الى سبعة اصول) . عدة حروف الاوتار وحفظ ادوارها بعد طرحها اثني عشر اثني عشروفي ثمانية ادوار في الكلام وستة في الناقص ابناً ومعرفة درج الطالع وسلطان البرج والدور الاكبر الاصلي وهو واحد ابناً وما يخرج من اضافة الطالع للدور الاصلي وما يخرج من ضرب الطالع والدور في سلطان البرج واطافة سلطان البرج للطالع و العمل بتبعة ينتج عن ثلاثة ادوار مضروبة في اربعة تكون اثني عشر دوراً ونسبة هذه الثلاثة الادوار التي هي كل دور من اربعة نشأة ثلاثية كل نشأة لها ابتداء ثم انها تضرب ادواراً رباعية ايضاً ثلاثية ثم انها من ضرب ستة في اثنين فكان لها نشأة يظهر ذلك في العمل ويتبع هذه الادوار الاثني عشر نتائج وهي في الادوار اما ان تكون نتيجة او اكثر الى ستة فاول ذلك نفرض سولاً عن الزاوية هل هي علم قديم او محدث بطالع اول درجة من القوس اثنا عشر حروف الاوتار ثم حروف السوال فوضعتنا حروف وتمر رأس القوس ونظاير من رأس الجوزاء وثلاثة وتمر رأس الدلو الى حد المركز واضفنا اليه حروف السوال ونظرنا عدتها واول ما تكون ثمانية وثمانين واكثر ما تكون ستة وتسعين وهي جملة الدور الصحيح فكانت في سوالنا ثلاثة وتسعين ويختصر السوال ان زاد عن ستة وتسعين بان يسقط جميع ادوار الالاتعشرية ويحفظ ما خرج منها وما بقي فكانت في سوالنا سبعة ادوار الباقي تسعة اثني عشر الحروف ما لم يبلغ الطالع اثني عشرة درجة فان لم تثبت لها عدة ولا دور ثم تثبت اعدادها ايضاً ان زاد الطالع عن اربعة وعشرين في الوجه الثالث ثم تثبت الطالع وهو واحد وسلطان الطالع وهو اربعة والدور الاكبر وهو واحد واجمع ما بين الطالع والدور ومن اثنان في هذا السوال واضرب ما خرج منهما في سلطان البرج يبلغ ثمانية واضف السلطان

ومات اجليو واشرب حبها
فطلب في التهلكة غايته ومن
ومن صاحب الحسنى للأنوار بالمنى
وتغبر بالعباد اذا جدت خدمة
فهذا هو النور وحسن تناله
الوصية والقيم والامان والاسلام والتحرر والاهلية
فهذا قصيدنا وتسعون عدة
عجبت لانيات وتسعون عددا
فمن فهم السر فيهم نفس
حرام وشري لاظهار سرنا
فان شئت اهليه فغلاظ بينهم
لعلك ان تقبوا وسامع سرهم
فجعل لعباس لسره كاتم
وقام رسول الله في الناس خاطبا
وقد ركب الارواح اجسادهم فظهر
الى العالم العلوي يفتي فناوينا
فقد تم فظلمنا وصلنا
وصلى القاهرش ذوالجلد والاعلا
محمد المادسي الشفيق امامنا

مرتبة ما من الحلة شرح اسع ص ٨٨٨ حوط ع ٥٥١١١ تصحيح النيرين وتعديل
الكواكب عند كل تاريخ مطلوب ب سر كل روه ٨١ لوطرح الاوتار الكلية
٢١ ح ١٢١ ح الاول ح ٨٦٤ ح ٥٥٤ ح ٥٥٤ ح ٨ عو ح ١ ح ٨ عو عو عو ح
كلمة الزابرجة

كيفية العمل في استخراج اجوبة المسائل من زابرجة العالم بقول الله سنقول
عن لقيناه من القائلين عليها

السؤال لة ثلاثمائة وستون جوابا عدة الدرج وثمانيف الاجوبة عن سؤال واحد
في طالع مخصوص باختلاف الاسئلة المضافة الى حروف الاوتار وتناوب العمل من

مع الدور في السلطان تبلغ اثني عشر اضعف لها الباقي من الدور الثاني وهو خمسة تبلغ سبعة عشر وهو ما للدور الثاني فدخلنا به بقية عشر في حروف الاوتار فوقع العدد على واحد اثبت الالف وعلم عليها من بيت التصيد واسقط من حروف الاوتار ثلاثة حروف عدة الخارج من الدور الثاني وضع الدور الثالث واضعف خمسة الى ثمانية تكن ثلاثة عشر الباقي واحد انقل الدور في ضلع ثمانية بواحد وادخل في بيت التصيد بثلاثة عشر وخضع ما وقع عليه العدد وهو ق وعلم عليه وادخل بثلاثة عشر في حروف الاوتار واشتم ما خرج وهو سين وعلم عليه من بيت التصيد ثم ادخل ما يلي السين الخارجة بالباقي من دور ثلاثة عشر وهو واحد فضع ما يلي حرف سين من الاوتار فكان ب انتهيا وعلم عليها من بيت التصيد وهذا يقال له الدور المعطوفه وميزانه صحيح وهو ان تضعف ثلاثة عشر بمثلها وتضيف اليها الواحد الباقي من الدور تبلغ سبعة وعشرين وهو حرف باء المستخرج من الاوتار من بيت التصيد وادخل في صدر الجدول بثلاثة عشر وانظر ما قابله من السطح واضعفة بمثلها ورد عليه الواحد الباقي من ثلاثة عشر فكان حرف جيم وكانت للجملة هجعة فذلك حرف زاي فانهتاه وعلمنا عليها من بيت التصيد ويزال ان تضعف الهجعة بمثلها وزد عليها الواحد الباقي من ثلاثة عشر يكن خمسة عشر وهو الحرف م من بيت التصيد وهذا الحرف ادوار الثلاثيات وضع الدور الرابع واحد من العدد تسعة باضافة الباقي من الدور السابق فاضرب الناتج مع الدور في السلطان وهذا الدور اخبر العمل في البيت الاول من الرباعيات فاضرب على حرفين من الاوتار واسمى بتسعة في ضلع ثمانية وادخل بتسعة من دور الحرف الذي اخذته اشترأ من بيت الفة زاد فالناتج حرف راء فانهتاه وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بتسعة وانظر ما قابله من السطح يكون حرف هاء العدد واستدأ يكون الف وهو الثاني من حرف الراء من بيت التصيد فانهتاه وعلم عليها من الثاني تسعة يكون الف ايضا تسعة وعلم عليه فاضرب على معرفة من الاوتار واسمى بتسعة بمثلها تبلغ ثمانية عشر ادخل بها في حروف الاوتار ثقت على حرف راء بها وعلم عليها من بيت التصيد ثمانية واردين وادخل بثمانية راء في حروف الاوتار ثقت على حرف راء وعلم عليها اثنين واضعف اثنين الى تسعة تكن احد عشر ادخل في صدر الجدول ما يلي واحد عشر فانهتاه من السطح الف انتهيا وعلم عليها ستة وضع الدور الخامس وعنده تسعة عشر الباقي تسعة واحد بتسعة في ضلع ثمانية وانظر على حرفين من الاوتار واضعف تسعة بمثلها وانزل الى حة عشر عدد دورها اسمها سبعة وعشرين وادخل بها في حروف

المبالغ فيكون خمسة فهذه سبعة اصول فخرج من ضرب الطالع والدور الاكبر في
 سلطان القوس عالم يبلغ اثني عشر فيه تدخل في ضلع ثمانية من اسفل الجدول صاعداً
 وان زاد على اثني عشرة طرح ادواراً وتدخل بالباقي في ضلع ثمانية وتعلم على منتهى العدد
 والخمسة المستخرجة من السلطان والطالع يكون الطالع في ضلع السطح المبسوط الاعلى من
 الجدول وتعد متواليات خمس ادواراً ونقطة عليها الى ان يقف العدد على حرف من اربعة
 وهي الف او باء او جيم او زاي فوقع العدد في عملنا على حرف الالف وخلف ثلاثة
 ادوار فضر بها ثلاثة في ثلاثة كانت تسعة وهو عدد الدور الاول فائتية واجمع ما بين
 الضلعين القائم والمبسوط يكن في بيت ثمانية في مقابلة البيوت الهامة بالعدد من الجدول
 وان وقف في مقابلة الخالي من بيوت الجدول على احدها فلا يعتبر وتستمر على ادوارك
 وادخل بعد ما في الدور الاول وذلك تسعة في صدر الجدول ما يلي البيت الذي
 اجتمعوا فيه وهي ثمانية ماراً الى جهة اليسار فوقع على حرف لام الف ولا يخرج منها ابداً
 حرف مركب وانما هو اذن حرف ناء اربعة ايام برسم الرام فعلم عليها بعد ثمانية من بيت
 القصيد واجمع عدد الدور للسلطان يبلغ ثلاثة عشر ادخل بها في حروف الاوتار وائت
 ما وقع عليه العدد وحلم عليه من بيت القصيد ومن هذا القانون تدريجكم تدور الحروف
 في النظم الطبيعي وذلك ان تسبح بحروف الدور الاول وهو تسعة لسلطان الراج وهو
 اربعة تبلغ ثلاثة عشر اضعفها بثلاثة تكون ستة وعشرين امسك منها درج الطالع وهو
 واحد في هذا السؤال الباقي خمسة وعشرون فعلى ذلك يكون نظم المعروف الاول ثم
 ثلاثة وعشرون مرتين ثم اثنان وعشرون مرتين على حسب هذا المخرج الى ان ينتهي
 الواحد من اثنان البيت المتناوب ولا تقف على اربعة وعشرين ادراج ذلك الواحد
 اولاً ثم ضع الدور الثاني واضف حروف الدور الاول الى ثمانية الخارجة من
 ضرب الطالع والدور في السلطان تكن سبعة عشر الباقي خمسة فاصعد في ضلع ثمانية
 بخمسة من حيث انتهيت في الدور الاول وحلم عليه وادخل في صدر الجدول بسبعة عشر
 ثم بخمسة ولا تعد الخالي والاورع تدرج فوجدنا حرف باء ختماية وانما هو ثون لان
 دورنا في مرتبة العشرات فكانت التسعمائة بتسعين لان دورنا سبعة عشر فاولم تكن
 سبعة عشر لكانت ثمان فائتية ثون ثم ادخل بخمسة ايضاً من اوله وانظر ما حاذى ذلك
 من السطح فيوجد واحداً فافقر العدد واحداً يقع على خمسة اضرب لما واحد السطح تكون
 ستة ابدع واروا وحلم عليها من بيت القصيد اربعة واشهرها النهاية المباركة من ضرب الله الله

خمسة ادخل في ضلع ثمانية وخمسين وادخل في بيت القصيد بخمسة تقع على عين سبعين
 اثنيها وعلم عليها وادخل في الجدول بخمسة وخذ ما قبالها من السطح وذلك واحد اثني
 وعلم عليه من البيت ثمانية واربعين واسطو واحداً من ثمانية واربعين للأُس الثاني واضف
 اليها خمسة الدور الجعلة اثنان وخمسون ادخل بها في صدر الجدول ثقف على حرف فب
 غبارية وهي مرتبة مئينية لتزايد العدد فتكون مائتين وهي حرف راء اثنيها وعلم عليها من
 القصيد اربعة وعشرين فاقفل الامر من ستة وتسعين الى الابداء وهو اربعة وعشرون
 فاضف الى اربعة وعشرين خمسة الدور واسطو واحداً تكن الجعلة ثمانية وعشرين
 ادخل بالنصف منها في بيت القصيد ثقف على ثمانية اثنت ٢ وعلم عليها ووضع الدور التاسع
 وعدده ثلاثة عشر الباقي واحد اصعد في ضلع ثمانية بواحد اصعد في ثمانية بواحد وليست
 نسبة العمل هنا كنسبتها في الدور السادس لتضاعف العدد ولانه من النشأة الثانية ولانه
 اول الثلث الثالث من مربعات البروج واخر الستة الرابعة من المثلثات فاضرب ثلاثة
 عشر التي للدور في اربعة التي هي مثلثات البروج السابقة الجعلة اثنان وخمسون ادخل
 بها في صدر الجدول ثقف على حرف اثنين غبارية وانما هي مئينية لتجاوزها في العدد عن
 مرتبتي الاحاد والسترات فاثني مائتين راء وعلم عليها من بيت القصيد ثمانية واربعين
 واضف الى ثلاثة عشر الدور واحد الاس وادخل باربعة عشر في بيت القصيد تبلغ ثمانية
 فعلم عليها ثمانية وعشرين واطرح من اربعة عشر سبعة يبقى سبعة اضرب على حرفين من
 الاوتار وادخل بسبعة ثقف على حرف لام اثني وعلم عليه من البيت وضع الدور العاشر
 وعدده تسعة وهذا ابتداء المثلثة الرابعة واصعد في ضلع ثمانية بخمسة تكون خلا فاصعد
 بتسعة ثمانية تصير في السابع من الابداء اضرب تسعة في اربعة لصعودنا بتسعين وانما
 كانت تضرب في اثنين وادخل في الجدول بسنة وثلاثين ثقف على اربعة زمامية وهي
 عشرة فاخذناهما احادية لثلة الادوار فاثنت حرف دال وارث اضمنت الى ستة وثلاثين
 واحد الاس كان حدها من بيت القصيد فعلم عليها ولو دخلت بالثسعة لاغير من غير
 ضرب في صدر الجدول لوقف على ثمانية فاطرح من ثمانية اربعة الباقي اربعة وهو المتصود
 ولو دخلت في صدر الجدول بثمانية عشر التي هي تسعة في اثنين لوقف على واحد زمامي
 وهو عشري فاطرح منه اثنين تكرر التسعة المائي ثمانية نصفها المطلوب ولو تدخل في صدر
 الجدول بسبعة وعشرين بضربها في ثلاثة لوقفت على عشرة زمامية والعمل واحد ادخل
 بتسعة في بيت القصيد وانتما خرج وهو الفثم اضرب تسعة في ثلاثة التي هي مركب تسعة

الاوتار تقع على ب اثنتيها وعلم عليها اثنين وثلاثين واطرح من سبعة عشر اثنين التي هي في
 ا س اثنين وثلاثين الباقي خمسة عشر ادخل بها في حروف الاوتار ثقف على ق اثنتيها وعلم
 عليها ستة وعشرين وادخل في صدر الجدول ستم وعشرين ثقف على اثنيث بالغبار
 وذلك حرف ب اثنتي وعلم عليها اربعة وخمسين واضرب على حرفين من الاوتار وضع
 الدور السادس وعدته ثلاثة عشر الباقي منه واحد فتبين اذ ذاك ان دور البظم من خمسة
 وعشرين فان الادوار خمسة وعشرون وسبعة عشر وخمسة وثلاثة عشر وواحد فاضرب
 خمسة في خمسة تكن خمسة وعشرين وهو الدور في نظم البيت فانل الدور في ضلع ثمانية
 بواحد ولكن لم يدخل في بيت التصيد بثلاثة عشر كما قدمناه لانه دور ثان من نشأة تركيبة
 ثمانية بل اضفنا اربعة التي من اربعة وخمسين الحارجة على حروف ب من بيت التصيد
 الى الواحد تكون خمسة نصف خمسة الى ثلاثة عشر التي للدور تبلغ ثمانية عشر ادخل بها
 في صدر الجدول وخدما قابلا من السطح وهو الف اثنتي وعلم عليه من بيت التصيد اثني
 عشر واضرب على حرفين من الاوتار ومن هذا الجدول تنظر احرف السوال وما خرج
 منها زده مع بيت التصيد من اخره وعلم عليه من حروف السوال ليكون داخلا في العدد
 في بيت التصيد وكذلك تفعل بكل حرف بعد ذلك مناسبا لحروف السوال
 فما خرج منها زده الى بيت التصيد من اخره وعلم عليه ثم اضف الى ثمانية عشر ما علمته على
 حرف الالف من الاحاد فكان اثنين تبلغ الجملة عشرين ادخل بها في حروف الاوتار
 ثقف على حرف راء اثنتي وعلم عليه من بيت التصيد ستة وتسعين وهو نهاية الدور في
 الحرف الوزني فاضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور السابع وهو ابتداء مخترع ثان
 بنشأ من الاختراعين ولهذا الدور من العدد تسعة نصف لها واحدا تكون عشرة للنشأة
 الثانية وهذا الواحد تزيده بعد الى اثني عشر دورا اذا كان من هذه النسبة او نقصه
 من الاصل تبلغ الجملة خمسة عشر فاصعد في ضلع ثمانية وتسعين وادخل في صدر الجدول
 بعشرة ثقف على خمسين وانما هي خمسون من مائة اعنة بثلاثي وتلك ق اثنتيها وعلم عليها من
 بيت التصيد اثنين وخمسين واسقط من اثنين وخمسين اثنين واسقط تسعة الى الدور
 الباقي واحد واربعون فادخل بها في حروف الاوتار ثقف على واحد اثنتي وكذلك ادخل
 بها في بيت التصيد تجد واحدا فمذا ميزان هذه النشأة الثانية فلم علم عليه من بيت التصيد
 علامتين علامة على الالف الاخير الميزاني واخرى على الالف الاولى فقط والثانية اربعة
 وعشرون واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور الثامن وعدته سبعة عشر الباقي

الحرقة وطرح واحدا الباقي من دور الثاني عشر تبلغ ثلاثة وثلاثين ادخل بها في البيت تبلغ خمسة فائتها واضف تسعة بمثلها وادخل في صدور الجدول ثمانية عشر وخذ ما في السطح وهو واحد ادخل به في حروف الاوتار تبلغ اثنتي عشرة وعلم عايد واضرب على حرفين من الاوتار وضع النتيجة الثانية ولها سبعة عشر الباقي خمسة فاصعد في ضلع ثمانية بنفسه واضرب خمسة في ثلاثة الزائدة على تسعين تبلغ خمسة عشر اضف لها واحد الباقي من الدور الثاني عشر تكن تسعة وادخل بسنة عشر في بيت التصيد تبلغ ثمانية وعلم عايد اربعة وستين واضف الى خمسة الثلاثة الزائدة على تسعين وزد واحدا الباقي من الدور الثاني عشر يكن تسعة ادخل بها في صدور الجدول تبلغ ثلاثين زمانية واضرب ما في السطح تجد واحدا اثنتي عشرة وعلم عايد بيت التصيد وهو التاسع ايتا من البيت وادخل تسعة في صدور الجدول نقف على ثلاثة وهي عشرات فائتها لأم وعلم عايد وضع النتيجة الثالثة وصددها ثلاثة عشر الباقي واحد فانقل في ضلع ثمانية براد واضف الى ثلاثة عشر الثلاثة الزائدة على التسعين وواحد الباقي من الدور الثاني عشر تبلغ سبعة عشر وواحد النتيجة تكن ثمانية عشر وادخل بها في حروف الاوتار تكن لانا اثنتي عشرة ايتا من السطح (والمثال في هذا السؤال السابق اردنا ان نعلم ان هذه الزاوية تعلم بتدريج او قد علم بطالع اول درجته من القوس انقضا حروف الاوتار ثم حروف السؤال ثم الاصول وهي عدة السحر وقفا ثلاثة وتسعون ادوارا سبعة الباقي منها تسعة الطالع واحد سلطان القوس اربعة الدور الاكبر واحد درج الطالع مع الدور اثنا عشر ضرب الطالع مع الدور في السلطان ثمانية اضافة السلطان الطالع خمسة بيت التصيد^(١) سؤال عظيم الخافي حزيت فنص اذن غرائب مثلت ضيغلة الجهد مثلا

حروف الاوتار ص ط ه ز ح ك ه م ص و ن ب ه س ا ن ل م ن ص ع ف ص و
 رس ك ل م ن س ع ف ص ق ر س ث خ ذ ط غ ش ط ي ع ح ص و ج ر و
 ح ل ص ك ل م ن ص ا ب ج د ه و ز ح ط ي

حروف السؤال ا ل ز ا ي ر ج ع ل م م ح د ث ا م ق د ي م

- الدور الاول ١ الدور الثاني ١٧ الباقي ٥ الدور الثالث ١٤ الباقي ١
 الدور الرابع ٩ الدور الخامس ١٧ الباقي ٥ الدور السادس ١٤ الباقي ١
 الدور السابع ٩ الدور الثامن ١٧ الباقي ٥ الدور التاسع ١٤ الباقي ١
 الدور العاشر ١٤ الدور الحادي عشر ١٧ الباقي ٥ الدور الثاني عشر ١٤ الباقي ١
 النتيجة الاولى ١ النتيجة الثانية ١٧ الباقي ٥ النتيجة الثالثة ١٤ الباقي ١

الماضية واسقط واحداً وادخل في صدر الجدول ستة وعشرين وأثبت ما خرج وهو مائتان
 بحرف راء وعلم عليه من بيت القصيد ستة وتسعين وأضرب على حرفين من الأوتار وضع
 الدور الحادي عشر وله سبعة عشر الباقى خمسة اصعد في ضلع ثمانية بمهسة وتحسب ما
 تكرر عليه المشي في الدور الأول وادخل في صدر الجدول بمهسة ثقب على خال فخذ ما
 قابله من السطح وهو واحد فادخل بواحد في بيت القصيد تكن من اثنته وعلم عليه اربعة
 ولو يكون الوقف في الجدول على بيت عام لاثنتا الراحد ثلاثة واضعف سبعة عشر بمنها
 واسقط واحد واضعها بمنها وزدها اربعة تبلغ سبعة وثلاثين ادخل بها في الأوتار ثقب
 على ستة اثنتها وعلم عليها واضعف خمسة بمنها وادخل في البيت ثقب على لام اثنتها وعلم
 عليها عشرين واضرب على حرفين من الأوتار وضع الدور الثاني عشر وله ثلاثة عشر
 الباقى واحد اصعد في ضلع ثمانية بواحد وهذا الدور اشر الادوار واشر الاختراعين واشر
 المراتب الثلاثة واشر المائات الرباعية والواحد في صدر الجدول يقع على ثمانين زمانية
 وإنما في احدى ثمانية وليس معتلين من الادوار الا واحد فلو زاد عن اربعة من مراتب
 اثني عشر او ثلاثة من مائات اثني عشر لكانت هي وإنما في دفاترها وعلم عليها من بيت
 القصيد اربعة وسبعين ثم انظر ما ناسبها من السطح بكم خمسة اضعها بمنها لاس تبلغ
 عشرة اثنتي وعلم عليها وانتظر في ابي المراتب وقعت وجدناها في الرابعة دخلنا بسبعة
 في حروف الاوتار وهذا المدخل يسمى الزوائد اشر في فكانت ف اثنتها واضف الى سبعة
 واحد الدور الجدة ثمانية ادخل بها في الأوتار تبلغ من اثنتها وعلم عليها ثمانية واضرب
 ثمانية في ثلاثة الزائدة على عشرة الدور فاتها اشر مراتب الادوار بالمائات تبلغ اربعة
 وعشرين ادخل بها في بيت القصيد وعلم على ما يخرج منها وهو اثنان وعلمها ستة
 وتسعون وهو نهاية الدور الثاني في الادوار الجزئية واضرب على حرفين من الأوتار وضع
 النتيجة الأولى ولها تسعة وهذا العدد يناسب بهذا الباقى من حروف الأوتار بعد طرحها
 ادواراً وذلك تسعة فاضرب تسعة في ثلاثة التي هي زائدة على تسعين من حروف الاوتار
 واضف لها واحد الباقى من الدور الثاني عشر تبلغ ثمانية وعشرين فادخل بها في حروف
 الأوتار تبلغ الف اثنته وعلم عليه ستة وتسعين وان ضربت سبعة التي هي ادوار اشر حروف
 التسعين في اربعة وهي الثلاثة الزائدة على تسعين والواحد الباقى من الدور الثاني عشر
 كان كذلك واصعد في ضلع ثمانية بتسعة وادخل في الجدول بتسعة تبلغ اثنان زمانية
 واضرب تسعة فيما ناسب من السطح وذلك ثلاثة واضف لذلك سبعة عدد الاوتار

فبواو اس ر ر اس اب ارق اع ارض ح ر ج ل د ارس ال دى وس ر ادم ن ال
 دورها على خمسة وعشرين ثم على ثلاثة وعشرين مرتين ثم على واحد وعشرين مرتين
 الى ان تنتهي الى الواحد من اخر البيت وتنتقل الحروف جميعا والله اعلم ن ف روح روح
 ال و د س ادر س ر ه ال درى س وان س در و اب لا م رب وال ع ل ل
 هذا اخر الكلام في استخراج الاجوبة من زايحة العالم منظومة والقوم طرائق اخرى
 من غير الزايحة يستخرجون بها اجوبة المسائل غير منظومة وعندهم ان السر في استخراج
 الجواب منظوماً من الزايحة انما هو منجم بيت ما لك بن وهيب وهو سؤال عظيم الخلق
 البيت ولذلك يخرج الجواب على رويه واما الطارق الاخرى فيخرج الجواب غير منظوم
 فمن طرائقهم في استخراج الاجوبة ما نقله قال بعض المحققين منهم
 فصل في الاطلاع على الاسرار الخفية من جهة الارتباطات الحرفية
 اعلم ارشدنا الله واياك ان هذه الحروف اصل الاسئلة في كل قضية وانما تستخرج
 الاجوبة على تجزئتها بالكتابة وفي ثلاثة واربعون حرفاً كما ترى والله علام الغيوب اول اع
 ط س ال م خ ي د ل ر ق ت ا ر ذ ص ف ن غ ش ا ك ل ه ي ب م ض ب ح ط ل ج
 ه دن ل ث ا

وقد نظمت بعض الفضلاء في بيت جعل فيه كل حرف مشدداً من حرفين وسماه القطب فقال
 سؤال عظيم الخلق حزت فصن اذن غريب شك ضبطه المجد مثلاً
 فاذا اردت استنتاج المسئلة فاحذف ما تكرر من حروفها وابنت ما فضل منه ثم
 احذف من الاصل وهو القطب لكل حرف فضل من المسئلة حرفاً بمائتة وابنت ما فضل
 منه ثم امزج الفضلين في سطر واحد تبدأ بالاول من فضله والثاني من فضل المسئلة وهكذا
 الى ان يتم الفضلان او ينفذ احدهما قبل الاخر فتضع البقية على ترتيبها فاذا كان عدد
 الحروف الخارجة بعد المزج موافقاً لعدد حروف الاصل قبل الحذف فالعمل صحيح
 فحينئذ تصيب اليها خمس نونات لتعدل بها الموازين الموسيقية وتكمل الحروف ثمانية
 واربعون حرفاً فتعبر بها جدولاً مربعاً يكون اخرها في السطر الاول اول ما في السطر
 الثاني وتقل البقية على حالها وهكذا الى ان تمام عمارة الجدول ويعود السطر الاول بعينه
 وتوالي الحروف في القطر على نسبة الحركة ثم تغرق وترتكب حرف بقسمة مربعة على
 اعظم جزء يوجد له وتضع الوتر مقابل الحرف ثم تستخرج النسيب العنصرية للحروف الجدولية
 وتعرف قوتها الطبيعية وموازينها الروحانية وغرائرها النفسانية واسوسها الاصليّة من

اذا قسم عالم النجوم على اول رتب السريان خرج الجزء الاول من عالم التركيب وكذلك
 الى نهاية الرتبة الاخيرة من عالم الكون فافهم وتدبر والله المرشد الامين . ومن طريقهم
 ايضا في استخراج الجواب قال بعض المحققين منهم اعلم ايذا الله بآياتك بروج منه ان علم
 الحروف جليل يتوصل العالم بها لا يتوصل بشيء من العلوم المتداولة بين العالم والعمل
 شرائط تلتزم وقد يستخرج العالم اسرار الخلق وسرائر الطبيعة فيقطع بذلك على تفهيمي
 الفلسفة اعني السيميا واختها ويرفع لثة تنجيب الجهولات ويطالع بذلك على مكنون خبايا
 القلوب وقد شهدت جماعة بارض المغرب من افضل ذلك فافهم الغرائب وخرق
 العوائد وتصرف في الوجود بتأييد الله واعلم ان ملاك كل فضيلة الاجتماع وحسن الملكة
 مع الصبر مفتاح كل خير كما ان الحرق والعلية رأس الحرمان فاقول اذا اردت ان تعلم
 قوة كل حرف من حروف النايطوس اعني ايجاد الخ العدد وهذا اول مدخل من علم
 الحروف فانظر ما لذلك الحرف من الاعداد فتاك الدرجة التي هي مناسبة الحرف في
 قوته في الجسمانيات ثم اضرب العدد في مثله فتخرج لك قوته في الروحانيات وهي وتره
 وهذا في الحروف المنقولة لا يتم بل في غير المنقولة لان المنقولة منها مراتب المعاني
 باقي عليها الدنان فيما بعد واعلم ان لكل شكل من اشكال الحروف شكلا في العالم العلوي
 اعني الكرسي ومنها المتحرك والسكن والعلاوي والسفلي كما هو مرقوم في امكان من الجدول
 الموضوعة في الزبارج واعلم ان قوى الحروف ثلثة اقسام الاول وهو اقلا قوة تظهر بعد
 كتابتها فتكون كتابة لها روحاني خصوصا بذلك الحرف المرسوم فهي خرج ذلك
 الحرف بقوة نفسانية وجميع هذه كانت قوى الحروف مؤثرة في عالم الاجسام الثاني قولها في
 اهمية الفكرة وذلك ما يصدر عن تصرف الروحانيات لها فهي قوة في الروحانيات
 العلويات وقوة شكلية في عالم الجسمانيات الثالث وهو ما يجمع الناطق اعني القوة
 النفسانية على تكوينه فتكون مثل النطق به صورة في النفس بعد النطق به صورة في
 الحروف وقوة في النطق وما طاباتها فهي الطبيعية المنسوبة للقوليات في الحروف
 وهي الحرارة واليبوسة والبرودة والرطوبة والبرودة والبرودة والرطوبة فهذا
 سر العدد الجاني والحرارة جامعة للهباء والباروفا ا ه ط م ف ش ذ ز س ق ت ظ
 والبرودة جامعة للبراء والماء ب و ي ن ص ت ض د ح ل ع ر خ غ واليبوسة جامعة
 للار والارض ا ه ط م ف ش ذ ب و ي ن ص ت ض د ح ل ع ر خ غ حروف الطبايع
 ا لعل هذه عبارة بمسائل لا ترقى حد ترتيب المشاركة لا ترتيب الحمار به الذي قدمه في نسخة ٢٢٤ قاله دسر

المجدول الموضوع لذلك وهذه صورته

الاول	الموازنين	و	الاسوس	الفرائز	الموازنين	القوى	ا
ب	ح	د	هـ	و	ز	ح	ب
ج	د	هـ	و	ز	ح	د	ج
د	هـ	و	ز	ح	د	هـ	د
هـ	و	ز	ح	د	هـ	و	هـ
و	ز	ح	د	هـ	و	ز	و
ز	ح	د	هـ	و	ز	ح	ز

١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١
١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١
١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١

ثم نأخذ وتوكل حرف بعد ضربه في اسوس اوتاد الفلك الاربعة واحذر ما يلي
الاولاد وكذلك السواقط لان نسبتها مضطربة وهذا الخارج هو اول رتب السريان
ثم نأخذ مجموع العناصر ونخط منها اسوس المولدات يبقى اس عالم الخلق بعد عرضه
العدد الكونية فنحصل عليه بعض المجرعات عن المواد وفي عناصر الامداد يخرج افق
النفس الاوسط وتطرح اول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط وهذا
مخصوص بعالم الاكران البسيطة لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في افق النفس الاوسط
يخرج الافق الاعلى فنحصل عليه اول رتب السريان ثم تطرح من الرابع اول عناصر
الامداد الاصلى يبقى ثالث رتبة السريان فنضرب مجموع اجزاء العناصر الاربعة ابداً
في رابع مرتبة السريان يخرج اول عالم التفصيل والثاني في الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل
والثالث في الثالث يخرج ثالث عالم التفصيل والرابع في الرابع يخرج رابع عالم التفصيل
فتصبح عوالم التفصيل ونقط من عالم الكل تبقى العوالم المجردة فتقسم على الافق الاعلى
يخرج الجزء الاول وينقسم المنكسر على الافق الاوسط يخرج الجزء الثاني وما اكسر من
الثالث وينعين الرابع هذا في الرباعي وان شئت اكثر من الرباعي فتستكثر من عوالم
التفصيل ومن رتب السريان ومن الاوقات بعد الحروف والله يرشدنا وبإياه وكذلك

وتداخل اجزاء بعضها في بعض وتداخل اجزاء العالم فيها علويات وسفليات باسباب
الامهات الاول اعني الطوائع الاربع المنفردة فني اردت استخراج مجهول من مسئلة ما
تحت طالع السائل او طالع مسئلتك واستنطق بحروف اوتادها الاربعه الاول والرابع
والسابع والعاشر مستوية مرتبة واستخرج اعداد القوى والوتاد كما سنبين واحمل والنسب
واستخرج الجواب يخرج لك المطلوب اما بصريح اللفظ او بالمعنى وكذلك في كل مسئلة
تقع لك بيانه اذا اردت ان تستخرج قوى حروف الطالع مع اسم السائل والحاجة فاجمع
اعدادها بالحمل الكبير فكان الطالع الحمل رابعة السرطان سابعة الميزان عاشرة المجدي
وهو اقوى هذه الوتاد فاسقط من كل برج حرفي التعريف وانظر ما يخص كل برج
من الاعداد المنطقه الموضوعة في دائرتها واحذف اجزاء الكسري في النسب الاستنطاقية
كلها وانبت تحت كل حرف ما يخصه من ذلك ثم اعداد حروف العناصر الاربعه وما
يخصها كالاول وارسم ذلك كله احرفاً ورتب الوتاد والقوى والقرائن سطر ممزجاً
وكسر واضرب ما يضرب لاستخراج المارين واجمع واستخرج الجواب يخرج لك النصير
وجوابه مما لة افرض ان الطالع الحمل كما تقدم ترسم ح م ل فللماء من العدد ثمانية لها
النصف والرابع والثلث من العدد اربعون لها النصف والرابع والثلث
والعشر ونصف العشر اذا اردت التدقيق م ك ي ه د ب اللام لها من العدد ثلاثون لها
النصف والثلثان والثلث والخمس والسادس والعشرون وهكذا تفعل بسائر
حروف المسئلة والاسم من كل لفظ يقع لك واما استخراج الوتاد فهو ان تقسم مربع كل
حرف على اعظم جزءه بوجوده مما لة حرف دلة من الاعداد اربعة او ثمانية عشر
اقسمها على اعظم جزءه يوجد لها وهو اثنان يخرج وتر الدال ثمانية ثم تضع كل وتره قابلاً
لحرفه ثم تستخرج النسب العنصرية كما تقدم في شرح الاستنطاق ولها قاعدة تطرق في
استخراجها من طبع الحروف وطبع البيت الذي يحمل فيه من المجدول كما ذكر الشيخ
ابن عرف الاصطلاح والله اعلم

فصل في الاستدلال على ما في الضائر الخفية بالقوانين الحرفية

وذلك لوسأل سائل عن عليل لم يعرف مرضه ما علته وما الموافق ليرث منه فخر
السائل ان يصي ما شاء من الاشياء على اسم العلة المجهولة لتجمل ذلك الاسم قاعدة لك
ثم استنطق الاسم مع اسم الطالع والعناصر والسائل واليوم والساعة ان اردت التدقيق
في المسئلة والا اقتصر على الاسم الذي به السائل وفعلت به كما نبين فاقول مثلاً سي

يخرج الجزء الاول ومن هنا يطرد العمل في التامة وله مقامات في كتب ابن وخشية
والدوني وغيرها وهذا التدبير يجرى على القانون الطبيعي الحكيم في هذا الفن وغيره من
فنون الحكمة الالهية وعليه مدار وضع الزيارج المحرقة في الصنعة الالهية في البرزخات الفلسفية
والله الملم وبه المستعان وعليه التكلان وحسبنا الله ونعم الوكيل

الفصل الرابع والعشرون

في علم الكيمياء

وهو علم يتفرع في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ويشرح العمل
الذي يوصل الى ذلك فيصفون المكونات كلها بعد معرفة امزجتها وقواها لعلم يعثرون
على المادة المستعدة لذلك حتى من المتضلات المحيانية كالعظام والريش والبيض
والهذرات فضلا عن المعادن ثم يشرح الاعمال التي تخرج بها تلك المادة من القوة الى
العمل مثل حل الاجسام الى اجزائها الطبيعية ما لتصفيد والتقطير وجمع الذهب منها
بالتمكيد وامهائه الصاب بالتهير والصلابة مثال ذلك وفي زعمهم انه يخرج بهذه الصناعات
كلها جسم حار يسمونه الاكسور وانه باقى منه على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة
الذهب او الفضة بالاستعداد القريب من الفعل مثل الرصاص والقصدير للناس
بعد ان يمين بالانار فيهود ذهباً ابرزوا ويكون من ذلك الاكسور اذا الغرط اصدلا حاتم
بالروح ومن الجسم الذي باقى عليه بالجمد فترسخ هذه الامتلاحات وصورة هذا العمل
الصناعي الذي يقاب هذه الاجسام المستعدة الى صورة الذهب والفضة هو علم الكيمياء
وما زال الناس يولنون فيها فليها وحدتها وربما يمزى الكلام فيها الى من ليس من اهلها
وامام المدونين فيها جابر بن حيان حتى انما يسمونها بغير حق مما علم جابر وله فيها سبعون
رسالة كلها شديدة بالانفار وزعموا انه لا يخرج مقادير الامتلاحات علما بجميع ما فيها
والغفاري من حكماء المشرق المتأخرين له فيها دروس وابتداعات مع اهلها وغيرهم من
الحكام وكذب فيها مسلمة البريتلي من حكماء الاندلس ككتاب الذي جاء رتبة الحكم وجملة
فربما كتبوا الاخر في التمر والاساليب الذي ساء غاية الحكيم وزعم ان هاتين الصناعتين
هما شيخان للكملة وثمانان الاوم من لم يقف عليها فهو فاعلة في العلم والتمسك بالبرهان وكلامه
في ذلك الكتاب وكلامهم اجمع في تالكه في النار في ادر فيها على قولهم في ان استلحاحهم
في ذلك ونحن نذكر سبب عدولهم الى هذه الزعم لاننا رأينا بالبرهان من ائمة هذا

عمل تام قائم بنفسه في المالات الوضعية وصفة العمل بهذا الوتر المذكور ان ترسمه مقطعا
 متزجا بالفاظ السؤال عن قانون صنعة التكسير وعلية حروف هذا الوتر اعني البيت
 ثلاثة واربعون حرفا لان كل حرف منبسط من حرفين ثم تحذف ما تكرر عند المزج من
 الحروف ومن الاصل لكل حرف فضل من المسئلة حرفا يائلا وتثبت التفصيل سطر
 متزجا بعضه ببعض الحروف الاول من فضلة التطلب والثاني من فضلة السوال حتى
 يتم التفصيلان جميعا فتكون ثلاثة واربعين فتضيف اليها خمس نونات ليكون ثمانية واربعين
 لتعدل بها الموازين الموسيقية ثم تضع التفصلة على ترتيبها فان كان عدد الحروف الخارجة
 بعد المزج يوافق العدد الاصلي قبل الحذف فالعمل صحيح ثم عبر بها مزجت جدول
 مرتعا يكون اخرها في السطر الاول اول ما في السطر الثاني وعلى هذا السبق حتى يعود
 السطر الاول ابدء وتوالي الحروف في القطر على نسبة الحركة ثم تخرج وتر كل حرف
 كما تقدم ^(١) ونصعة مقابل الحرف ثم تستخرج النسب العنصرية للحروب الجدولية لتعرف
 قوتها الطبيعية وموازنها الروحانية وغرائزها النفسانية واسوسها الاصلية من الجدول
 الموضوع لذلك وصنة استخراج النسب العنصرية هو ان تنظر الحرف الاول من الجدول
 ما طبيعته وطبيعة البيت الذي حل فيه فان انتقلت ففسن والا فاستخرج بين الحرفين
 نسبة ويتسع هذا القانون في جميع الحروف الجذرية وتحقق ذلك سهل على من عرف
 قوانينه كما هو مقرر في دوائرها الموسيقية ثم تاخذ وتر كل حرف بعد ضربه في اوس
 او تاد الفلك الاربعة كما تقدم واخذ ما يلي الاوتاد وكذلك السواقل لان نسبتها
 مضربة وهذا الذي يخرجك هو اول مراتب السريان ثم تاخذ مجموع العناصر وتجد
 منها اسوس المولدات يبقى اس عالم الخاني بعد عروضه للعدد الكثرية فتعمل على بعض
 الجردات عن المواد وفي عناصر الامداد يخرج افق النفس الاوسط وتطرح اول رتب
 السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط وهذا مخصوص بعالم الاكران البسيطة
 لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في افق النفس الاوسط يخرج افق الاعلى فتعمل على
 اول رتب السريان ثم تخرج من الرابع اول عناصر الامداد الاصلي يبقى ثالث رتبة
 السريان ثم تضرب مجموع اجزاء العناصر الاربعة ابدا في رابع رتب السريان يخرج
 اول عالم التفصيل والثاني في الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل وكذلك الثالث والرابع
 فتخرج عالم التفصيل وتحط من عالم الكل تبقى العوالم الجردة فتقسم على افق الاعلى

فصار في التدبير واحداً فصيحاً وينبغي لك ان تعلم كيفية عمله وكيفية اوزانه وادماجه
وكيف تركيب الروح فيه وادخال النفس عليه وحل قدر النار على تفصيلها منه بعد
تركيبها فان لم تقدر فلاي علة وما الاسباب الموجب لذلك فان هذا هو المطلوب فانهم
واعلم ان التلافة كلها مدحت النفس وزعمت انها المدبرة للجسد والحاملة له والدافعة
عنه والمفاعلة فيه وذلك ان الجسد اذا خرجت النفس منه مات وبرد فلم يقدر على الحركة
والامتناع من غيره لانه لا حياة فيه ولا نور ولما ذكرت الجسد والنفس لان هذه الصفات
شبهة بجسد الانسان الذي تركيبة على الغذاء والعشاء وقوامه ونماجه بالنفس الحية النورية
التي بها يفعل العظام والاشياء المتغلبة التي لا يقدر عليها غيرها بالقرية الحية التي فيها
ولما انعمل الانسان لاختلاف تركيب طبائعه ولوا تفتت طبائعه اسلمت من الاعراض
والضاد ولم تقدر النفس على الخروج من بدنه ولكن خالداً باقياً فسيبان مدبر الاشياء
تعالى . واعلم ان الطبائع التي يحدث عنها هذا العمل كيفية دافعة في الابتداع فيضية
محتاجه الى الانتهاء وليس لها اذا صارت في هذا الحد ان تستحيل الى ما منه تركبت كما
قلنا انما في الانسان لان طبائع هذا الجوهر قد لزم بعضها بعضاً وصارت شيئاً واحداً
شبيهاً بالنفس في قوتها وفعلها وبالجسد في تركيبه ومجتمعه بعد ان كانت طبائع مفردة
باعتبارها فيا عجباً من افعال الطبائع ان القوة الضعيف الذي يقوى على تفصيل الاشياء
وتركيبتها ونماجها فلذلك قلت قوي وضعيف ولما وقع التغيير والفتاء في التركيب الاول
للاختلاف وعدم ذلك في الثاني للاتفاق . وقد قال بعض الاولين التفصيل والتقطيع
في هذا العمل حياة وبقاء والتركيب موت وفناء وهذا الكلام دقيق المعنى لان المحكم
اراد بقوله حياة وبقاء شروجه من العدم الى الوجود لانه ما دام على تركيبه الاول فهو
فان لا محالة فاذا ركب التركيب الثاني عدم الفناء والتركيب الثاني لا يكون الا بعد
التفصيل والتقطيع فاذا التفصيل والتقطيع في هذا العمل خاصة ماذا بقي الجسد المخلول
انبسط فيه لعدم الصورة لانه قد صار في الجسد بمنزلة النفس التي لا صورة لها وذلك انه
لا وزن له فيه وسرى ذلك ان شاء الله تعالى وقد ينبغي لك ان تعلم ان اختلاط
اللطيف بالظليل اهلون من اختلاط الغليظ بالغليظ ولما اريد بذلك التشاكل في
الارواح والاجساد لان الانتهاء تتصل باشكالها وذكرت لك ذلك لئلا تعلم ان العمل اوفى
وايسر من الطبائع اللطائف الروحانية منها من الغليظة الجسمية وقد قدور في العقل
ان الاجار اقوى واصبر على النار من الارواح كاتري الذهب والمديد والنحاس اصبر

الاشياء كانت شعريه على حروب المجمع من ابداع ما يجيء في الشعر مفعولة كلها الغز
الاحاجي والمعاينة فلا تكاد تنهم وقد ينسبون للغز الى رحمة الله بعض التاكليف فيها وليس
يصحح لان الرجل لم تكن مداركه العاليه لتفت عن خطاء ما يذهبون اليه حتى ينهله
وربما ننسب بعض المذاهب والاقوال فيها لخالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن
الحكم ومن المعلوم الذين ان خالداً من الجيل العربي والبدارة اليه اقرب فهو بعيد عن
العلوم والصنائع بالجملة فكيف له بصناعة غريبة المنحى مبنية على معرفة طبائع المركبات
وامزجتها وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم الهم
الا ان يكون خالد بن يزيد اخر من اهل المداير الصناعية تشبه باسمه فممكن . ولانا
انقل لك هنا رساله ابي بكر بن بشرون لابي السمع في هذه الصناعة وكلاهما من تلميذ
مسلمه فستدل من كلامه فيها على ما ذهب اليه في شأنها اذا اعطينة حقاً من التامل
قال ابن بشرون بعد صدر من الرسالة خارج عن الغرض والمقدمات التي لهذه
الصناعة الكريمة قد ذكرها الاولون وانصت جميعها اهل الفلسفة من معرفة تكوين المعادن
وتخلق الاحجار والحيوان وطباع البقاع والامكن فمنعنا اشهارها من ذكرها ولكن ابي
لك من هذه الصنعة ما يحتاج اليه فبدأ بعرفته فقد قال لي ينبغي لطلاب هذا العلم ان
يعلموا اولاً ثلاث خصال اولها هل تكون والثانية من اتي تكون والثالثة من اتي كيف
تكون فاذا عرف هذه الثلاثة واحكمها فقد ظفر بمطلوبه وبلغ نهايته من هذا العلم واما
البحث عن وجودها والاستدلال عن تكونها فقد كميناً كما بعثنا به اليك من الاكسير
واما من اتي شيء تكون فانما يريدون بذلك البحث عن الحجر الذي يمكن العمل وان كان
العمل موجوداً من كل شيء بالقره لانها من الطبائع الاربع منها تركمت ابتداءً والباقي
ترجع انتهاءً ولكن من الاشياء ما يكون فيو بالقره ولا يكون باللعل وذلك ان منها ما
يمكن تفصيلها ومنها ما لا يمكن تفصيلها فالتي يمكن تفصيلها تعالج وتدبر وهي التي تخرج من
القره الى اللعل والتي لا يمكن تفصيلها لا تعالج ولا تدبر لانها فيها بالقره فقط وانما يمكن
تفصيلها لاستغراق بعض طبائعها في بعض وفضل قوة الاكبر منها على الصغير فينبغي لك
وفلك الله ان تعرف اوتقن الاحجار المنصه التي يمكن فيها العمل وحسنه وقوته وعملها
وما يدير من العمل والعقد والنتيجه والتكليس والتشريف والتقليب فان لم يعرف هذه
الاصول التي هي عباد هذه الصنعة لم ينتج ولم يظفر بخير ابدأ وينبغي لك ان تعلم هل يمكن
ان يستعان عليه بغيره او يكتفي به وحده وهل هو واحد في الابتداء او شاركة غيره

هو يابس الأشياء ويعقد رطوبتها وإحمرارها يظهر رطوبتها ويعقد يبسها وإنما افتردت
الحر والبرد لأنها فاعلان والرطوبة واليبس منعلافت وعلى انفعال كل واحد منها
لصاحبه تحدث الاجسام وتكون وإن كان الحر أكثر فعلاً في ذلك من البرد لأن البرد
ليس له نقل الأشياء ولا تحركها والحر هو علة الحركة وهي ضعفت علة الكون وهو الحرارة
لم يتم منها شيء ابتداءً كما أنه إذا افترطت الحرارة على شيء ولم يكن ثم برد احرقته واهلكته
فمن أجل هذه العلة استنجع إلى البارد في هذه الاعمال ليتوى بكل ضد على ضده ويدفع
عنه حر النار ولم يحدّر الفلاسفة أكثر شيء إلا من النيران المحرقة وأمرت بتطهير الطبايع
والانفاس وإخراج دنسها ورطوبتها ونفي آفاتهما وإسباغها عنها على ذلك استقام رأيهم
وتدبيرهم فأنما علمهم إنما هو مع النار أولاً واليه يصير آخرها فلذلك قالوا إياكم والنيران
المحرقات وإنما أرادوا بذلك نفي الآفات التي معها فيجمع على الجسد اثنين فتكون أسرع
فلاذكي وكذلك كل شيء إنما يتلاشى وينسد من ذاتي لنضاد طبائعه واختلافه فيتوسط
بين شيتين فلم يبد ما يقوى ويعينه إلا قوته الآفة واهلكته وأعلم أن الحكماء كلها ذكرت
ترداد الأرواح على الأجساد مراراً ليكون الزم إليها وأقوى على قتال النار إذا هي
بأشربها عند الآفة أعني بذلك النار العنصرية فاعلمه . ولنفذ الآن على البحر الذي
يمكن منه العمل على ما ذكرته الفلاسفة فقد اختلفوا فيه فمنهم من زعم أنه في المحيوان ومنهم
من زعم أنه في النبات ومنهم من زعم أنه في المعادن ومنهم من زعم أنه في الموجد وهذه
الدعاوى ليست بنا حاجة إلى استقصائها ومناظرة أهلها عليها لأن الكلام يطول جداً
وقد قلت فيما تقدم أن العمل يكون في كل شيء بالقوة لأن الطبايع موجودة في كل شيء
فهو كذلك فنريد أن نعلم من أي شيء يكون العمل بالقوة والفعل ففصد إلى ما قاله
المحرّاني أن الصبغ كله أحد صيغتين أما صبغ جسد كالزعفران في الثوب الأبيض حتى
يجول فيه وهو مضطرب منتفض التركيب والصبغ الثاني تغليب الجوهر من جوهر نفسه إلى
جوهر غيره ولو توكلت تغليب التثوير بل التراب إلى نفسه وتغليب المحيوان والنبات إلى نفسه
حتى يصير التراب نباتاً والنبات حيواناً ولا يكون إلا بالروح المحي والكيان الفاعل الذي
له توليد الأجزاء وتغليب الأعيان فإذا كان هذا هكذا فنقول أن العمل لا بد أن يكون
أما في المحيوان وأما في النبات وبرهان ذلك أنها مطبوعان على الغذاء ويؤقلمها ويقامها
فأما النبات فليس في شيء ما في المحيوان من اللطافة والقوة ولذلك قلّ تعرض الحكماء فيه
وأما المحيوان فهو آخر الاستحالات الثلاث ونهايتها وذلك أن المعدن يستقبل نباتاً والنبات

على النار من الكبريت والزئبق وغيرها من الارواح فاقول ان الاجساد قد كانت
ارواحاً في بدنها فلما اصابها حر الكيان قلما اجساد الرجة غليظة فلم تنذر النار على اكثها
لا فرط غلظها وتلججها فاذا افترطت النار عليها صيرتها ارواحاً كما كانت اول خلقها وان
تلك الارواح الطيفة اذا اصابها النار اقبلت ولم تنذر على البقاء عليها فينبغي لك ان
تعلم ما صير الاجساد في هذه الحالة وصير الارواح في هذا الحال فهو اجل ما تعرفه .
اقول انما اقبلت تلك الارواح لاشتغالها ولطافتها ولما اشتعلت لكثرة رطوبتها ولان النار
اذا احست بالرطوبة تعلقت بها لانها هوائية تشاكل النار ولا تزال تغتذي بها الى ان
تفنى وكذلك الاجساد اذا احست بوصول النار اليها لقلته تلججها وغلظها ولما صارت
تلك الاجساد لا تشتعل لانها مركبة من ارض وماء صابر على النار فطيفة متحد بكثيف
لطول الطبخ اللين المازج للاشياء وذلك ان كل متلاش اما يتلاشى بالنار المتارقة لطيف
من كثيف ودخول بعض في بعض على غير التحليل والماوفة فصار ذلك الانضمار
والاندخل مجاورة لا حازجة فسهل بذلك اختراقها كالماء في الدهن وما اشبهها ولما وصفت
ذلك اتسندل به على تركيب الطبايع وتقابلها فاذا علمت ذلك علمنا شافياً فقد اخذت
حظك منها وينبغي لك ان تعلم ان الاخلاط التي هي طبايع هذه الصناعة موافقة بعضها
لبعض منفصلة من جوهر واحد بجميعها نظام واحد بتدبير واحد لا يدخل عليه غريب في
المجزة منه ولا في الكل كما قال النبالسوف انك اذا احكمت تدبير الطبايع وتأكيها ولم
تدخل عليها غريباً فقد احكمت ما اردت احكاماً وقواماً اذ الطبيعة واحدة لا غريب
فيها فمن ادخل عليها غريباً فقد زاع عنها وقع في الخلل . واعلم ان هذه الطبيعة اذا
حل لها جسد من قرائنها على ما ينبغي في العمل حتى يشاكلها في الرقة والطاقة انبسطت
فيو وجرت معه حيناً جرى لان الاجساد ما دامت غليظة جافية لا تنبسط ولا تتراوج
وحل الاجساد لا يكون بغير الارواح فافهم هذا لك الله هذا القول واعلم هذا لك الله ان
هذا العمل في جسد المحمدي هو الحق الذي لا يضل ولا يتنقض وهو الذي يقب
الطبايع ويمسكها ويظهرها المراتك وازهاراً عجيبة وليس كل جسد يعمل خلاف هذا من
العمل التام لانه مخالف للحياة ولما حله بما يوافقه ويدفع عنه حرق النار حتى يزول عن
الغلظ وتقلب الطبايع عن حالها الى ما لها ان تغلب من اللطافة والغلظ فاذا بلغت
الاجساد بهايتها من التحليل واللطيف ظهرت لها هناك قوة تمسك وتغوص وتقلب
وتتند وكل عمل لا يرى له مصداق في اولو فلا خير فيه . واعلم ان البارد من الطبايع

(التدبير على بركة الله) خذ الحجر الكريم فأودعه الفرعة والأنبيق وفصل طبائعه الأربع التي هي النار والماء والارض والماء وهي الجسد والروح والنفس والصيغ فإذا عززت الماء عن التراب والماء عن النار فأرفع كل واحد في أمائه على حدة وخذ الهايط أسفل الأماء وهو الثفل فأغسله بالنار الحارة حتى تذهب النار عنه سواده ويزل غلظه وجناؤه وبيضة تبيضاً محكاً وطير عنه فضول الرطوبات المستجنبة فيؤفاته يصير عند ذلك ماء أبيض لا ظلمة فيه ولا ريح ولا تضاد ثم اعمد إلى تلك الطبائع الأول المساعدة منه فطهرها أيضاً من السواد والتضاد وكرر عليها الغسل والتصفيد حتى تاطف وتبرق وتصفو فإذا فعلت ذلك فقد فتح الله عليك فأبدأ بالتركيب الذي عليه مدار العمل وذلك ان التركيب لا يكون إلا بالتزويج والتعنين فاما التزويج فهو اختلاط الطيف بالغليظ واما التعنين فهو التمشية والحقق حتى يختلط بعضه ببعض ويصير شيئاً واحداً لا اختلاف فيه ولا نقصان بمنزلة الامتزاج بالماء فعند ذلك يقوى الغليظ على امساك الطيف وتقوى الروح على مقابلة النار وتصدر عليها وتقوى النفس على الغوص في الاجساد والديب فيها وإنما وجد ذلك بعد التركيب لان الجسد المخلول لما اودج بالروح ما رجه بجميع اجزائه ودخل بعضها في بعض اشتراكها فصار شيئاً واحداً ووجب من ذلك ان يعرض للروح من الصلاح والفساد والبقاء والتبوت ما يعرض للجسد لموضع الامتزاج وكذلك النفس اذا امتزجت بهما ودخلت فيها بخدمة التدبير اختلطت اجزائها بجميع اجزاء الاخرين اعني الروح والجسد وصارت هي وهما شيئاً واحداً لا اختلاف فيه بمنزلة الحجرة الكلي الذي سلمت طبائعه وانفقت اجزائه فاذا اتى هذا المركب الجسد المخلول والحق عليه النار وظهر ما فيه من الرطوبة على وجهه ذاب في الجسد المخلول ومن شأن الرطوبة الاشتعال وتعلق النار بها فاذا ارادت النار التعلق بها منعها من الاتحاد بالنفس مما رجة الماء لها فان النار لا تقعد بالدهن حتى يكون خالصاً وكذلك الماء من شأنه النور من النار فاذا احدث عليه النار ورادت تطهيره حسنة الجسد اليابس المازج له في جوفه نفعة من الطيران فكان الجسد علة لاسلاك الماء والماء علة لبقاء الدهن والدهن علة لثبات الصيغ والصيغ علة لظهور الدهن واطار الدهنية في الاشياء المظلمة التي لا نور لها ولا حياة فيها فهذا هو المستقيم وهكذا يكون العمل وهذه التصفية التي سالت عنها وهي التي سميت التكاثر بيضة واياها يعنون لا بيضة الدجاج واعلم ان الحكمة لم تشبه بهذا الاسم لغير من ذكره لانه يسمونها ولقد سالت مسئلة عن ذلك يوماً وليس عنده

يستحيل حيواناً بالحيوان لا يستحيل الى شيء هو الطيف منه الا ان ينعكس راجعاً الى الغلط
 وانه ايضا لا يوجد في العالم شيء يتعاني به الروح المحية غيره والروح الطيف ما في العالم ولم
 تتعلق الروح بالحيوان الا بمشاكلها فاما الروح التي في النبات فانها يسيرة فيها غلط
 وكثافة وفي مع ذلك مستغرقة كاملة فيه لغلطها وغلط جسد النبات فلم يقدر على الحركة
 لغلطها وغلط روحه والروح المتحركة الطيف من الروح الكامنة كثيراً وذلك ان المتحركة
 لها قبول الغذاء والنقل والنفث وليس للكامنة غير قبول الغذاء وحده ولا تجري اذا
 قبست بالروح المحية الا كالارض عند الماء كذلك النبات عند الحيوان فالعمل في
 الحيوان اعلى وارفع واهون وايسر فينبغي للعاقل اذا عرف ذلك ان يحرب ما كان سهلاً
 ويترك ما يجتهد فيه عسراً . واعلم ان الحيوان عند الحكماء ينقسم اقساماً من الالهيات التي
 هي الطبائع والمعدنية التي هي المواليد وهذا معروف متيسر اللهم فذلك قسمت الحكماء
 العناصر والمواليد اقساماً حية واقساماً ميتة فجعلوا كل فتورك فاعلوك سبباً وكل ساكن
 متغولاً ميتاً وقسموا ذلك في جميع الاشياء وفي الاجساد الدائمة وفي العقاقير المعدنية
 قسموا كل شيء يدوب في النار ويطير ويشتمل حياً وما كان على خلاف ذلك سموه
 ميتاً فاما الحيوان والنبات فسموا كل ما انفصل منها طبائع اربعة حياً وما لم ينفصل سموه
 ميتاً ثم انهم طلبوا جميع الاقسام الحية فلم يجدوا لوفق هذه الصناعة ما ينفصل فصولاً
 اربعة ظاهرة للعيان ولم يجدوه غير الحجر الذي في الحيوان فينبغي عن جنس حتى عرفوه
 واخذوه ودبروه فتكيف لهم منه الذي ارادوا وقد يتكيف مثل هذا في المعادن والنبات
 بعد جمع العقاقير وغلطها ثم تنصل بعد ذلك فاما النبات فمما ما ينفصل بعض هذه
 الفصول مثل الاشنان واما المعادن ففيها اجساد وارواح وانفاس اذا مزجت ودرت
 كان منها ماله تأثير وقد دبرنا كل ذلك فكان الحيوان منها اعلى وارفع وتديره اسهل
 وايسر فينبغي لك ان تعلم ما هو الحجر الموجود في الحيوان وطريق وجوده انا بينا ان
 الحيوان ارفع المواليد وكذا ما تركب منه فهو الطيف منه كالنبات من الارض ولما كان
 النبات الطيف من الارض لانه انما يكون من جوهره الصافي وجسده اللطيف فوجب
 له بذلك اللطافة والرقية وكذا هذا الحجر الحيواني بمنزلة النبات في التراب وبالحجالة فانه
 ليس في الحيوان شيء ينفصل طبائع اربعة غيره فافهم هذا القول فانه لا يكاد يمتنى الا على
 جاهل بين الجهالة ومن لا عقل له فقد اخبرتك ماهية هذا الحجر واعطتك جنسه وانا
 ادين لك وجوه تدابير حتى يكمل الذي شرطناه على انفسنا من الاضاف ان شاء الله سبحانه

قوة أرضية حاسة قابضة منعكسة الى مركز الارض لتلقاها وهي الماسكة الروحانية والانسانية
 جميعاً والمحيط بها واما سائر الباقيات فمتدعة ومختزعة الباساً على الجاهل ومن عرف
 المقدمات استغنى عن غيرها . فهذا جميع ما سألني عنه وقد بعثت به اليك مسروراً
 ونرجو بتوفيق الله ان تبلغ الملك والسلام انتهى كلام ابن بشرون وهو من كبار تلاميذ
 مسلمة المهر يعني شيخ الاندلس في علوم الكيمياء والمسيحية والسحر في القرن الثالث وما بعده .
 وانت ترى كيف صرف الفاظهم كلها في الصناعة الى الرزق والافاز التي لا تكاد تبين ولا
 تعرف وذلك دليل على انها ليست بصناعة طبيعية . والذي يجنبان يعتمد في امر الكيمياء
 وهو الخي الذي يعضده الواقع انها من جنس اثار النفوس الروحانية وتصرها في عالم
 الطبيعية اما من نوع الكرامة ان كانت النفوس خيرة او من نوع السحر ان كانت النفوس
 شريرة فاجرة فاما الكرامة فظاهرة واما السحر فلان الساحر كما ثبت في مكان تخفيق قلبه
 الاغياح المادية بقوة السحرية ولا بد له مع ذلك عندهم من مادة يقع فعله السحري فيها كتحريك
 بعض المحويزات من مادة الارساب او الحجر والنبات وبالمجمل من غير مادتها المخصوصة بها
 كما وقع لسحرة فرعون في الجبال والعصي وكما ينقل عن سحرة السودان واليهود في قاصية
 الجنوب والترك في قاصية الشمال انهم يسحرون الجوالامطار وغير ذلك . ولما كانت هذه
 تخليقاً للذهب في غير مادته الخاصة به كان من قبيل السحر واليتكلمون فيه من اعلام الحكماء
 مثل جابر ومسلمة ومن كان قبلهم من حكماء الامم انما انحل هذا الخي ولهذا كان كلامهم فيه
 الغارزاً حذراً عليها من انكار الشرائع على السحر وانواعه لا ان ذلك يرجع الى الصناعة بها كما
 هو رأي من لم يذهب الى التحقيق في ذلك وانظار كيف سمي مسلمة كتابة فيها رتبة الحكميم وسمى
 كتابة في السحر والطلسمات غاية الحكميم اشارة الى عموم موضوع الغاية وخصوص موضوع
 هذه لان الغاية اعلى من الرتبة فكأن مسائل الرتبة بعض من مسائل الغاية وتشاركها في
 الموضوعات ومن كلامه في التنين يتبين ما قلناه ونحن نبين فيما بعد غلط من يزعم ان
 مدارك هذا الامر با لصناعة الطبيعية والله العالم الخبير

الفصل الخامس والعشرون

في ابطال الفلسفة وفساد متعلقاتها

هذا الفصل وما بعده مهم لان هذه العلوم عارضة في العمران كثيرة في المدن
 وضررها في الدين كثير فوجب ان يصدع بشأنها ويكشف عن المعتقد الخفي فيها وذلك

غيري فقلت له ايها الحكم الناضل اخبرني لاي شيء سمعت الحكماء مركب الحيوان بيضة
اختياراً منهم لذلك ام لمعني دعاهم اليه فقال بل لمعني غرض فقلت ايها الحكم وما ظهر
لم من ذلك من المنفعة والاستدلال على الصناعة حتى شبهوها وبموها بيضة فقال لشيها
وقرارها من المركب فتدبر فيوه فانه سيظهر لك معناه فبقيت بين يديه مفكراً لا اقدر على
الوصول الى معناه فلما راي ما بي من الفكر وان نفسي قد مضت فيها اخذ بعصدي
وهزني هزة خفيفة وقال لي يا ابا بكر ذلك النسبة التي بينها في كية الالوان عند امتزاج
الطبايع وتأليفها فلما قال ذلك انجلت حفي الظلمة واضاء لي نور قلبي وقوى عقلي على فهمه
فهمضت شاكر الله عليه الى منزلي واقمت على ذلك شكلاً هندسياً يبرهن به على صحة ما قاله
مسئلة وانا واضعة لك في هذا الكتاب مثال ذلك ان المركب اذا تم وكل كان نسبة ما
فيه من طبيعة الهواء الى ما في البيضة من طبيعة الهواء كسبة ما في المركب من طبيعة النار
الى ما في البيضة من طبيعة النار وكذلك الطبيعتان الاخرتان الارض والماء فاقول ان
كل شيئين متناسلين على هذه الصفة هما متشابهان ومثال ذلك ان تجعل سطح البيضة هزوح
فان اردنا ذلك فاننا نأخذ اقل طبائع المركب وهي طبيعة اليوسة ونضيف اليها مثلاً من
طبيعة الرطوبة ونديرها حتى تنشف طبيعة اليوسة طبيعة الرطوبة وتقبل قوتها وكان في
هذا الكلام ومراً ولكنه لا ينبغي عليك ثم تجعل عليها جميعاً مثلاً من الروح وهو الماء فيكون
الجميع ستة افعال ثم نعمل على الجميع بعد التدبير مثلاً من طبيعة الهواء التي هي النفس وذلك
ثلاثة اجزاء فيكون الجميع ستة افعال ثم نعمل بالثورة وتجعل تحت كل ضلعين من المركب
الذي طبيعة محيطة بسطح المركب مثلاً من اول الضلعين المحيطين بسطح طبيعة
الماء وطبيعة الهواء وهما ضلعاً اسوداً والآخرين مثلاً من ذلك الضلعان المحيطان بسطح البيضة
اللتان هما الماء والهواء ضلعاً هزوحاً فاقول ان جميعاً يشبه سطح هزوح طبيعة الهواء التي
تسمى نفساً وكذلك يحيط بسطح المركب والحكمة لاسم ايها باسم شيء لا يشبهه في الكلمات
التي سالت عن شرحها الارض المتدسة وهي المنة فمن الطبايع العلوية والسفلية والخماس
هو الذي اخرج سواده وقطع حتى صار هباء ثم سحر بالزجاج حتى صار نحاساً والنحاس
سحرم الذي يجذب فيه الارواح وخرجه الطبيعة العلوية التي تستبين فيها الارواح لتقابل
عليها النار والفرقة لون احمر فان يجدته الكيف والارصاد حجر لثلاث قوى مختلفة
النفوس ولكلها امتشاكاة ومتجانسة فالواحدة روحانية نيرة صافية وهي الناعلة والثانية
نفسانية وهي متحركة حساسة غير انهما اغاظ من الالوان وكرها دون مركز الاولى والالثة

وهو العاشر ويرى عيون ان السعادة في ادراك الوجود على هذا النحو من القضاء مع تهاديب
 النفس وتخلتها بالفضائل وان ذلك ممكن للانسان ولو لم يرد شرع لتمييز بين الفضيلة
 والجميلة من الافعال بمقتضى عقله ونظره وميله الى المحمود منها واجتنابه المذموم بطريقه
 وان ذلك اذا حصل للنفس حصلت لها البهجة واللذة وان الجهل بذلك هو الغفاه
 السرمدي وهذا عندهم هو معنى النعيم والعذاب في الآخرة الى خبط لم في تفاصيل ذلك
 معروف من كتابهم وامام هذه المذاهب الذي حصل مسائلها ودون عليها وسطر تحتها
 فيما بلغنا في هذه الاحقاب هو ارسطو المقدوني من اهل مقدونية من بلاد الروم من
 تلاميذ افلاطون وهو معلم الاسكندر ويسمونه المعلم الاول على الاطلاق بعنوت معلم
 صناعة المنطق اذ لم تكن قبله مهذبة وهو اول من رتب قانونها واستوفى مسائلها واحسن
 بعضها ولقد احسن في ذلك القانون ما شاء لو تكفل له بقصدهم في الاهليات ثم كان من
 بعده في الاسلام من اخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رأيه حتى النعل بالنعل الا في
 القليل وذلك ان كتب اولئك المتقدمين لما ترجمها المتأخرون من بيتي العباس من اللسان
 اليوناني الى اللسان العربي تصغفها كثير من اهل الملة واخذ من مذاهبهم من اضلة الله من
 متغلب العلوم وجادلوا عنها واخذوا في مسائل من تفاربعها وكانت من اشهرهم ابو نصر
 الفارابي في المائة الرابعة لعهد سيف الدولة وابو علي بن سينا في المائة الخامسة لعهد نظام
 الملك من بني بويه باصباحها وغيرها . واعلم ان هذا الرأي الذي ذهب اليه باطل بجميع
 وجوهه فاما اسنادهم الموجودات كلها الى العقل الاول واكتفاءهم به في الترتي الى الواجب
 فهو قصور عما وراء ذلك من رتب خلق الله فالوجود اوسع نطاقا من ذلك ويخلق ما
 لا تعلمون وكانهم في اقتصارهم على اثبات العقل فقط والغفلة عما وراءه بمنابة الطبيعيين
 المتنصرين على اثبات الاجسام خاصة المعرضين عن النقل والعقل المعتدلين انه ليس
 وراء الجسم في حكمة الله شيء وما البراهين التي يزعمونها على مدعائهم في الموجودات
 ويعرضونها على معيار المنطق وقانونه فهي قاصرة وغير وافية بالغرض اما ما كان منها
 في الموجودات الجسدية ويسمونه العلم الطبيعي فوجه قصوره ان المطابقة بين تلك النتائج
 الذهبية التي تستخرج بالحدود والافسة كما في زعمهم وبين ما في الخارج غير يقيني لان تلك
 احكام ذهنية كلية عامة والموجودات الخارجية متشعبة بموادها ولعل في المواد ما يجمع من
 مطابقة الذهني الكلي للخارجي الشخصي اللهم الا ما لا يشهد له الحس من ذلك فدليله
 شهوده لا تلك البراهين فابن الفين الذي يحدونه فيها وربما يكون تصرف الدهن ايضا

ان قوما من عقلاء النوع الانساني زعموا ان الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي قدرك
 ذواته واحالة باسبابها وعللها بالانظار الفكرية والاقيسة العقلية وان تصبح العقائد
 الابائنية من قبل النظر لا من جهة السمع فانما بعض من مدارك العقل وهؤلاء يسمون
 فلاسفة جميع فيلسوف وهو باللسان اليوناني مصب الحكمة فيجيب عن ذلك وشهرته
 وجودها على اصابة الغرض منه ووضع قانونا يهتدي به العقل في نظره الى التمييز بين
 الحق والباطل وسموه بالمنطق ومحصل ذلك ان النظر الذي يفيد تمييز الحق من الباطل
 انما هو للذهن في المعاني المتزعة من الموجودات الشخصية فيجود منها اولاً صور منطقية
 على جميع الاشخاص كما ينطبق الطابع على جميع النوش التي ترسبها في طين او شمع وهذه
 مجردة من المحسوسات تسمى المعقولات الاوائل ثم تجرد من تلك المعاني الكلية اذا كانت
 مشتركة مع معان اخرى وقد تميزت عنها في الالوهن فتجرد منها معان اخرى وفي التي
 اشتركت بها ثم تجرد ثانية ان شاركها غيرها وثالثاً الى ان ينتهي التجريد الى المعاني البسيطة
 الكلية المنطقية على جميع المعاني والاشخاص ولا يكون منها تجريد بعدها وفي الاجاس
 العالية وهذه المجردات كلها من غير المحسوسات هي من حيث تاليف بعضها مع بعض
 لتحصيل العلوم منها تسمى المعقولات الثواني فاذا نظر الفكر في هذه المعقولات المجردة وطلب
 تصور الوجود كما هو فلا بد للذهن من اضافة بعضها الى بعض ونفي بعضها عن بعض
 بالبرهان العقلي البيني ليحصل تصور الوجود تصوراً صحيحاً مطابقاً اذا كان ذلك بقانون
 صحيح كما مر وصنف التصديق الذي هو تلك الاضافة والحكم متقدم عندهم على صنف
 التصور في النهاية والتصور متقدم عليه في البداية والتعليم لان التصور الدام عندهم هو غاية
 الطلب الادراكي ولما التصديق وسيلة وما سمعة في كتب المنطقيين من تقدم التصور
 وتوقف التصديق عليه فبمعنى الشعور لا بمعنى العلم الدام وهذا هو مذهب كبيرهم ارسطو
 ثم يزعمون ان السعادة في ادراك الموجودات كلها ما في المحس وما وراء المحس بهذا
 النظر وتلك الدراهم . وحاصل مداركهم في الوجود على الجملة وما آلت اليه وهو الذي
 فرعوا عليه قضايا انظارهم انهم عثروا اولاً على الجسم السفلي بمحكم الشهود والمحس ثم ترقى
 ادراكهم قليلاً فشعروا بوجود النفس من قبل الحركة والنفس في الحيوانات ثم احسوا من
 قوى النفس باطلان العقل وتوقف ادراكهم ففصلوا على الجسم العالي السماوي بخو من
 النفس على امر الذات الانسانية ويجب عندهم ان يكون تلك النفس وعقل كما للانسان
 ثم انهم بذلك نهاية عدد الاحاد وفي العشر تسع منفصلة ذواتها مجمل واحد اول مفرد

كثيراً ما يعنون بمحصل هذا الإدراك للنفس بمحصل هذه البهجة فيما لو ثبت بالريضة
 امانة القوى الجنسية ومداركها حتى الفكر من الدماغ لمحصل النفس ادراكها الذي لها من
 ذاتها عند زوال الشواغب والموانع الجنسية فيحصل لهم بهجة ولذة لا يعبر عنها وهذا الذي
 زعموه بقدر محضه مسلم لم وهو مع ذلك غير وافي بمقصودهم فاما قولهم ان البراهين والادلة
 العقلية متصلة لهذا النوع من الادراك والابتهاج عنه فباطل كما رأيت اذ البراهين والادلة
 من جملة المدارك الجنسية لانها بالقوى الدماغية من الخيال والفكر والذكر ونحن اول
 شيء نعني به في محصل هذا الادراك امانة هذه القوى الدماغية كلها لانها متازعة لة قاذية
 فيه وتجد الماهر منهم عاكفاً على كتاب الشفاء والاشارات والنباء وتلاخيص ابن رشد
 للنفس من تاليف ارسطو وغيره يبعثر اوراقها ويتوقى من براهينها ويبتس هذا النسط
 من السعادة فيها ولا يعلم انه يستكثر بذلك من الموانع عنها ومستهتم في ذلك ما يغفلون
 عن ارسطو والفارابي وابن سينا ان من حصل لة ادراك العقل النعال وانصل به في حياته
 فقد حصل حظ من هذه السعادة العقل النعال عندهم عبارة عن اول رتبة يتكشف عنها
 المحس من رتب الروحانيات ويصلون الاتصال بالعقل النعال على الادراك العلمي
 وقد رايت فسادها وانما يعني ارسطو واصحابه بذلك الاتصال والادراك ادراك النفس
 الذي لها من ذاتها وبغير واسطة وهو لا يحصل الا يتكشف بحجاب المحس واما قولهم ان
 البهجة الناشئة عن هذا الادراك هي عين السعادة الموعود بها فباطل ايضاً لانا انما ندين
 لما قررناه من وراء المحس مدركاً آخر للنفس من غير واسطة وانما يتضح بادرارها ذلك
 ابتهاجاً شديداً وذلك لا يعين لنا انه عين السعادة الاخرية ولا بدّل هي من جملة الملاذ
 التي لتلك السعادة واما قولهم ان السعادة في ادراك هذه الموجودات على ما هي عليه فقبول
 باطل مبني على ما كنا قدمناه في اصل التوحيد من الاوهام والاغلاط في ان الوجود عند
 كل مدرك ينحصر في مداركه وبيننا فساد ذلك وان الوجود اوسع من ان يحاط به وان
 يستوفى ادراكه بمحسوسات روحانياً واجتماعياً والذي يحصل من جميع ما قررناه من مذاهبهم
 ان الجزء الروحاني اذا فارق القوى الجنسية ادرك ادراكاً ذاتياً لة مخصوصاً يصنف من
 المدارك وهي الموجودات التي احاط بها علمنا وليس بعامة الادراك في الموجودات كلها اذ لم
 تنحصر وانه يتضح بذلك النقص من الادراك ابتهاجاً شديداً كما يتضح الصبي بمدركه الجنسية
 في اول نشوه ومن لنا بعد ذلك بادرار جميع الموجودات او بمحصول السعادة التي وعدنا
 بها الشارع ان لم نعمل لها هيات هيئات لما توعدون * واما قولهم ان الانسان مستثل

في المعنويات الأولى المطابقة للخصائص بالصور الخيالية لا في المعنويات الثواني التي
 تغير بدورها في الرتبة الثانية فيكون الحكم حيث يثبت يقيناً بمثابة الحسوسات اذ المعنويات الأولى
 أقرب الى مطابقة الخارج لكامل الانطباق فيها فنسلم لم حيث يثبت دعاوهم في ذلك الا انه
 ينبغي لنا الاعراض عن النظر فيها اذ هو من ترك المسلم لما لا يعنيه فان مسائل الطبيعيات
 لا يهتد في ديننا ولا معاشنا فوجب علينا تركها . واما ما كان منها في الموجودات التي
 وراء الحس وهي الروحانيات وبسمونة العلم الالهي وعلم ما بعد الطبيعة فان ذواتها
 معيولة راساً ولا يمكن التوصل اليها ولا البرهان عليها لان تغير يد المعنويات من الموجودات
 الخارجية المخصصة انما هو ممكن فيها هو مدرك لنا ونحن لا ندرك الذوات الروحانية
 حتى نتجسس منها ماهيات أخرى بحجاب الحس بينها وبينها فلا يتأتى لنا برهان عليها
 ولا مدرك لنا في اثبات وجودها على الجملة الا ما نجهده بين جنتينا من أمر النفس
 الانسانية واحوال مداركها وخصوصاً في الرويا التي هي وجدانية لكل احد وما وراء
 ذلك من حقيقتهما وصفاتها فامر غامض لا سبيل الى الوقوف عليه وقد صرح بذلك
 محققهم حيث ذهبوا الى ان ما لا مادة له لا يمكن البرهان عليه لان مقدمات البرهان
 من شرطها ان تكون ذاتية وقال كبيرهم افلاطون ان الالهيات لا يوصل فيها الى
 يقين ولما يقال فيها بالاخلاق والاولى يعني الظن واذا كنا انما نحصل بعد التعب والنصب
 على الظن فقط فيكشفنا الظن الذي كان اولاً فاني فائدة لهذه العلوم والاشتغال بها ونحن
 انما عنايتها بتحصيل اليقين فيما وراء الحس من الموجودات وهذه هي غاية الافكار الانسانية
 عندهم واما قولهم ان السعادة في ادراك الموجودات على ما هي عليه بتلك الدلائل فتقول
 مزيف مردود وتفسيره ان الانسان مركب من جزأين احدهما جسماني والاخر روحاني
 مختزج به ولكل واحد من الجزأين مدارك مخصصة به والمدرك فهو واحد وهو الجزء الروحاني
 يدرك تارة مدارك روحانية وتارة مدارك جسمانية الا ان المدارك الروحانية يدركها بذاته
 بغير واسطة والمدارك الجسمانية بواسطة آلات الجسم من الدماغ والحواس وكل مدرك
 فله ابتهاج بما يدركه واعتبره بحال الصبي في اول مداركه الجسمانية التي هي بواسطة كيف
 يتفتح بما يبصره من الضوء وما يسمعه من الاصوات فلا شك ان الابتهاج بالادراك الذي
 للنفس من ذاتها بغير واسطة يكون اشد والذ فالنفس الروحانية اذا شعرت بادراكها
 الذي لها من ذاتها بغير واسطة حصل لها ابتهاج ولذة لا يعبر عنها وهذا الادراك لا يحصل
 بنظر ولا علم ولما يحصل بكشف حجاب الحس ونسيان المدارك الجسمانية بالجملة والمصروفة

لذلك اوضاع الافلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع نوع من انتواع الكائنات
 الكلية والاشخصية فالمتقدمون منهم يرون ان معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها بالتجربة وهن
 امر تقصر الاعبار كلها لو اجتمعت عن تحصيلها اذ التجربة انما تحصل في المرات المتعددة
 بال تكرار يحصل عنها العلم والظن وادوار الكواكب منها ما هو طويل الزمن فيحتاج
 تكرره الى آحاد واحفاب متطاولة يتفاصر عنها ما هو طويل من اعبار العالم وربما ذهب
 ضعفاء منهم الى ان معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها كانت بالوحي وهو راي قائل وقد
 كفونا مونة البطالون من اوضح الادلة فيؤان تعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابعدهم
 الناس عن الصنائع وانهم لا يتعرضون للاخبار عن الغيب الا ان يكون عن الله فكيف
 يدعون استنباطا بالصناعة ويشيرون بذلك لتابعهم من الخلق وما بطاليس ومن تبعه
 من المتأخرين فيرون ان دلالة الكواكب على ذلك دلالة طبيعية من قبل مزاج يحصل
 للكواكب في الكائنات العنصرية قال لان فعل النيران واثرها في العنصرات ظاهر
 لا يسع احدا حجة مثل فعل الشمس في تبدل النصول وامزجتها ونفع النبات والزرع
 وغير ذلك وفعل القمر في الرطوبات والماء وانضاج المواد المتعفة وفراكة الفناء وسائر
 افعا لو ثم قال ولنا فيما بعدها من الكواكب طريقان الاول التقليد ان نقل ذلك عنه
 من أئمة الصناعة الا انه غير متبع للنسب الثانية المحسوس والتجربة بقياس كل واحد منها الى
 النيران الاعظم الذي عرفنا طبيعته واثرة معرفة ظاهرة فينتظر هل يريد ذلك الكواكب عند
 القران في قوته ومزاجه فتعرف موافقته له في الطبيعة او ينقص عنها فتعرف مضادة ثم
 اذا عرفنا قواها مفردة عرفناها مركبة وذلك عند تناظرها باسكال الثالث والتربيع
 وغيرها ومعرفة ذلك من قبل طبائع البروج بالقياس ايضا الى النيران الاعظم واذا عرفنا
 قوى الكواكب كلها فهي مؤثرة في الهواء وذلك ظاهر والمزاج الذي يحصل منها للهواء
 يحصل للآخرة من المولدات وتنفذ في النطف والذرة فتصير حالا للبدن المتكون عنها
 والنفس المتعلقة به الفائضة عليه المكتسبة لها لما مية ولما يتبع النفس والبدن من الاحوال
 لان كيميات البررة والنطفة كيميات لما يتولد عنها وينشأ منها قال وهو مع ذلك ظني
 وليس من اليقين في شيء وليس هو ايضا من النضام الالهي يعني القدر انما هو من جملة
 الاسباب الطبيعية للكائن والنضام الالهي سابق على كل شيء وهذا يحصل كلام بطاليس واصحابه
 وهو منصوص في كتابه الاربع وغيره ومئة يتبين ضعف مدرك هذه الصناعة وذلك ان
 العلم الكائن او الظن به انما يحصل عن العلم بجملة اسبابه من الفاعل والقابل والصورة

بنهذيب نفسه وإصلاحها بملابس المحمود من الخلق ومجانبة المذموم فأمر مبني على أن
 اجتنب النفس بأدراكها الذي لها من ذاتها موعود بها لأن الرذائل عاقبة
 للنفس عن تمام إدراكها ذلك بما يحصل لها من الملكات الجسمانية والروحية وقد بينا أن أثر
 السعادة والشقاوة من وراء الإدراكات الجسمانية والروحانية فهذا النهذيب الذي توصلوا
 إلى معرفته إنما نفعه في البهجة الناشئة عن الإدراك الروحاني فقط الذي هو على مقاييس
 وقوانين وأما ما وراء ذلك من السعادة التي وعدنا بها الشارع على امتثال ما أمر به من
 الأعمال والأخلاق فأمر لا يحيط به مدارك المدركين وقد تنبه لذلك زعيمهم أبو علي ابن
 سينا فقال في كتاب المبدأ والمعاد ما معناه أن المعاد الروحاني وأحواله هو ما يتوصل
 اليه بالبراهين العقلية والمقاييس لأن على نسبة طبيعية معنوية ووثيرة واحدة قلنا في البراهين
 على سبعة وأما المعاد الجسماني وأحواله فلا يمكن إدراكه بالبرهان لأنه ليس على نسبة واحدة
 وقد بسطنا لنا الشريعة الحقنة الحميدة فيلنظر فيها ولنرجع في أحوالها لهذا العلم كما
 رأيت غير راض بمقاصدهم التي حرموا عليها مع ما فيه من مخالفة الشرائع وظواهرها وليس
 له فيها علمنا الأثرة واحدة وهي تتخذ الذهن في ترتيب الأدلة والتجسس لتحصيل ملكة
 الجودة والصواب في البراهين وذلك أن نظم المقاييس وتركيبها على وجه الأحكام والألقان
 هو كاشر طرقهم في صناعتهم المنطقية وقولهم بذلك في علومهم الطبيعية وهم كثيرًا ما يستعملونها
 في علومهم الحكمية من الطبيعيات والعالم وما بعدهما فيستولي الناظر فيها بكثرة استعمال
 البراهين بشرطها على ملكة الألقان والصواب في التحجج والاستدلالات لأنها وإن كانت
 غير رافضة بمقصودهم فهي أصح ما علمناه من قوانين الأنظار هذه هي غرة هذه الصناعة
 الإطلاع على مذاهب أهل العلم وأرائهم ومضامها علمت فليكن الناظر فيها متحررًا عنها
 من معاطبها وليكن نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات والإطلاوع على التفسير
 والفقه ولا يكون أحد عليها وهو خلو من علوم الملة قل أن يسلم لذلك من معاطبها والله
 الموفق للصواب والحق والهادي اليه وما كنا لننهدي لولا أن هدانا الله

الفصل السادس والعشرون

في إبطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها

هذه الصناعة يزعم أصحابها أنهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها
 من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في الموادات العنصرية مفردة ومجموعة فتكون

البلول من توقع الفلأطع وما بيعت عليه ذلك التوقع من تطاول الإعداء والانتصاف
بالدولة إلى التفتك والذرة وقد شاهدنا من ذلك كثيراً فينبغي أن تظهر هذه الصناعة
على جميع أهل العمران لما ينشأ عنها من المضار في الدين والدول ولا يقدح في ذلك
كون وجودها طبيعياً للشريعة فتضي مداركهم وعلمهم فالخير والشر طبعان وموجودتان
في العالم لا يمكن نزعها وإنما يتعاقب التكاليف بأسباب حصولها فينبغي السعي في اكتساب
الخير بأسبابه ودفع أسباب الشر والمضار وهذا هو الواجب على من عرف مقاصد هذا العلم
ومضاره ولعلم من ذلك أنها وإن كانت صحيحة في نفسها فلا يمكن أحداً من أهل الملة
تحصيلها ولا ملكها بل إن نظر فيها ناظر وطان الاطاعة بها فهو في غاية النقص في
نفس الامر فإن الشريعة لما حظرت النظر فيها فقد اجتمع من أهل العمران لقراءتها
والتحقيق لتعليمها وصار المولع بها من الناس وهم الأقل وأقل من الأقل إنما يطالع كتبها
ومقالاتها في كسر يني متستراً عن الناس وتحسب رتبة الجمهور مع تشعب الصناعة وكثرة
فروعها واعتباؤها على أنهم فكيف يحصل منها على طائل ونحن نحمد الله الذي هم بفعلة
ديننا ودنيا وسهلت ما خفي من الكتاب والسنة وعكف الجمهور على قراءته وتعليمه ثم
بعد التحليل والتفصيل وطول الدراسة وكثرة المجالس وتعدد ما إنما يتحقق فيه الواحد
بعد الواحد في الأعصار والاجيال فكيف يعلم الجمهور للشريعة مصروب دونة صد المحظر
والفهم من كثر عن الجمهور صعب المأخذ يحتاج بعد الممارسة والتحصيل لأصول وفروع
إلى مزيد حدس وتجهيز يكفان به من الناظر فإين التخصيص والتجذوق مع هذه كلها
ومع ذلك من الناس مردود على عقبيه ولا شاهد له يقوم بذلك لغرابته الذين أهل
الملة وقلة حلتوه فاعبر ذلك يتبين لك صحة ما ذهبنا إليه والله أعلم بالغييب فلا يظهر على
غيبه أحداً . وما وقع في هذا المعنى لبعض اصحابنا من أهل العصر عندما غلب العرب
عساكر السلطان أبي الحسن وحاصروه بالقيروان وكثرت ارباب الفريقت الاولياء
والاهواء وقال في ذلك ابو القاسم الروحي من شعراء أهل تونس

استغفر الله كل حين	قد ذهب العيش واصفاء
اصبح في تونس وامس	والصبح لله والمساء
الخوف والجوع والمنايا	يهدتها المرح والوباء
والناس في مرية وحرب	وما عسى ينفع المراد
فاحمد به ترسه عالياً	حل بو الهالك والتواء

والغاية على ما تبين في موضع القوى الخفية على ما قررناه في فاعلة فقط والمحرم
العصري هو القابل ثم ان القوى الخفية ليست هي الناعل بجهلها بل هناك قوى اخرى
فاعلة معها في الجزء المادي مثل قوة التوليد للاب والنوع التي في النطفة وقوى الخاصة
التي تميز بها صلب صلب من النوع وغير ذلك فالقوى الخفية اذا حصل كمالها وحصل
العلم فيها انما هي فاعل واحد من جملة الاسباب الفاعلة للكائن ثم انه يشترط مع العلم بقوى
النجوم وتأثيراتها مزيد من حدس وتخمين وحيلة يحصل عنده الظن بوقوع الكائن
والحدس والتخمين قوى للناظر في فكره وليس من علل الكائن ولا من اصول الصناعة
فاذا فقد هذا الحدس والتخمين رجعت ادراجها عن الظن الى الشك هذا اذا حصل
العلم بالقوى الخفية على سداده ولم تعترضه آفة وهذا معزولاً فيه من معرفة حسابات
الكواكب في سيرها لا يعرف بوضايعها ولما ان اختصاص كل كوكب بقوة لا دليل عليه
ومدرك بطليموس في اثبات القوى للكواكب الخمسة بنسبتها الى الشمس مدرك ضعيف
لان قوة الشمس غالبية لجميع القوى من الكواكب ومستولية عليها فقل ان يشعر بالزيادة
فيها او النقصان منها عند المفارقة كما قال وهذه كلها فادحة في تعريف الكائنات الواقعة
في عالم العناصر هذه الصناعة ثم ان تأثير الكواكب فيما تحتها باطل اذ قد ثبت في باب
التوحيد ان لا فاعل الا الله بطريق استدلال كما رأيت واجتج له اهل علم الكلام بما
هو غني عن البيان من ان اسناد الاسباب الى المسببات مجهول الكيفية والعقل منهم على
ما يقضى به فيما يظهر بادي الرأي من التأثير فلعل استنادها على غير صورة التأثير المتعارف
والقدرة الالهية رابطة بينهما كما ربطت جميع الكائنات علماً وسفلاً سيما الشرع برد المحادث
كأما الى قدرة الله تعالى ويبر ما سوى ذلك والنبوءات ايضاً منكراً لشان النجوم وتأثيراتها
واسماء الدرعيات شاهد بذلك في مثل قولوا ان الشمس والقمر لا يجفان لموت احد
ولا لحياوة وفي قوله اصبح من عبادى مومن وكافري فاما من قال مطرنا بنضل الله
ورحمته فذلك مومن بكافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر في
مومن بالكواكب الحديث الصحيح فقد بان لك بطلان هذه الصناعة من طريق الشرع
وضعف مدركها مع ذلك من طريق العقل مع ما لها من المضار في العرآن الانساني بما
تبعث في عقائد العلوم من الفساد اذا اتفق الصدق من احكامها في بعض الاحاين
انفاقاً لا يرجع الى تعاليل ولا تحقيق فيلجج بذلك من لا معرفة له وبطن اطراد الصدق في
سائر احكامها وليس كذلك فيقع في رد الاتباء الى غير خالفها ثم ما ينشأ عنها كثير في

لو حدث الأشعري عن له الى رايه انه
السال اخبرهم بالي ما يتولونه براه

الفصل السابع والعشرون

في انكار ثرة الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من المناسد عن انغالها
اعلم ان كثيرا من المعاجزين عن معاشهم تحيلهم الطامع على انغال هذه الصنائع
ويرون انها احد مذاهب المعاش ووجوه وان اقتناء المال منها ايسر واسهل على
مبتدئ فيرتكبن فيها من المتاعب والمشاق ومعاناة الصعاب وعمق المحكام وخسارة
الاموال في النفقات زيادة على النبل من غرضه والمطلب اخر اذا ظهر على شية وهم
يحسبون انهم يحسبون صنعا وانما اطعمهم في ذلك روية ان المعادن تستحيل وينقلب بعضها
الى بعض المادة المشتركة فيها ولوقت بالعلاج صيرورة النضة ذهبيا والفضة والنفسد
فضة ويحسبون انها من ممكنات عالم الطبيعة ولم في دلائل ذلك طارق مختلفة لاختلاف
مذاهبهم في التدبير وصورته وفي المادة الموضوعة عندهم للعلاج المسماة عندهم بالبحر الكرم
هل هي العذرة او الدم او الشعر او البيض او كذا او كذا ما سوى ذلك وجملة التدبير
عندهم بعد تعين المادة ان غمى بالهر على حجر صلد املس وتسقى اثناء امائها بالماء بعد
ان يضاف اليها من العقاقير والادوية ما يناسب النقص منها ويؤثر في انتقالها الى المعدن
المطابو ثم تجفف بالشمس من بعد السقي او تطبخ بالنار او تصعد او تكلس لاستخراج
ما فيها او ترابها فاذا رضى بذلك كله من علاجها وتم تدبيره على ما اقتضت اصول صنعه
حصل من ذلك كل تراب او مانع يسونة الاكسير ويؤمنون انه اذا بقي على النضة المحمأة
بالنار عادت ذهبيا والفضة المحلى بالدار عاد فضة على حسب ما قصد به في عمله ويؤمن
المحققون منهم ان ذلك الاكسير مادة مركبة من العناصر الاربعة حصل فيها بذلك العلاج
الخاص والتدبير مزاج ذو قوى طبيعية تصرف ما حصلت فيه اليها وتقلبه الى صورتها
وزاجها ونبت فيه ما حصل فيها من الكيمياء والقوى كالتحيرة للخرقالب العجين الى
ذائبا وتعل فيه ما حصل لها من الانفدش والاشاشة ليصنع هضمة في المعدة ويستعمل
سريرا الى الغذاء وكذا اكسير الذهب والنضة فيما يحصل فيه من المعادن بصرفة اليها
ويقلبه الى صورتها هذا يحصل زعمهم على الجملة فتقدم حاكينهم على هذا العلاج يتبعون
الرزق والمعاش فيه ويتناقلون احكامهم وقواعده من كتب لائمة الصناعة من قبلهم

واخر قال سوف باقي
 والله من فوقنا وهذا
 باراضد الحسن الجباري
 مطلقونا وقد زعم
 مر خميس على خميس
 ونصف شهر وعشر ثلث
 ولا نرى غير زور قول
 انا الى الله قد علمنا
 رضيت بالله في المساء
 ما هذه الانجم السواري
 يقضي عليها وليس تقضي
 ضلت عقول ترى قدما
 وحكمت في الوجود طبعاً
 لم تر حلواً ازاء مريم
 الله ربي ولست ادري
 ولا الهول في التي تنادي
 ولا وجود ولا اعداء
 ولست ادري ما الكسب الا
 ولنا مذهبي ودينني
 اذ لا فصول ولا اصول
 ما تبع الصدر واقتنينا
 كانوا كما يعلمون منهم
 يا اشعري الزمان اني
 انا اجزي بالشر شراً
 وانني ان اكن مطيعاً
 وانني تحت حكم بار
 وليس باستطاعتكم ولكن

به اليكم صبارخاه
 يقضي لعبد ما يشاء
 ما فعلت هذه العوا
 انصكم اليوم امامه
 وجاء سميت واربعه
 وثالث ضمة النضاه
 اذالك جهل امر ازدره
 ان ليس يستدفع القضاء
 حسيك البدر او ذكاه
 الا عباديد او امامه
 وما لها في الوري اقتضاه
 ما شانه الجرم والفساه
 بحدثة الماء والموا
 نفسوهو تربة وماه
 ما الجوهر الفرد في الخلاه
 مالي عن صورة عراه
 ولا ثبوت ولا انتفاء
 ما جلب البيع والشراء
 ما كان والناس اولياه
 ولا جدال ولا ارتياه
 يا حبيذا كان الاقتناه
 ولم يكن ذلك الهذاه
 اشعرني الصيغ والفتاه
 والخبر عن مثله جزاه
 فرب اعصى ولي رجاه
 اطاعة العرش والثره
 اتاحه الحكم والنضاه

حكايات وقعت لبعضهم من ثم له الغرض منها أو وقف على الوصول يقتنعون باستماعها
 والمناوضة فيها ولا يستريحون في تصديقها شأن الكائنات المفرمين بوساوس الاخبار فيها
 يكتفون به فاذا سئلوا عن تحقيق ذلك بالمعاينة أنكروا وقالوا انما سمعنا ولم نر فكذلك
 شأنهم في كل عصر وجيل واعلم ان انتقال هذه الصنعة قديم في العالم وقد تكلم الناس
 فيها من المتقدمين والمتأخرين فانتقل منها عنهم في ذلك ثم تنقل بها يظهر فيها من التحقيق
 الذي عليه الامر في نفسه فنقول ان معنى الكلام في هذه الصناعة عند الحكماء على حال
 المعادن السبعة المتطرفة وهي الذهب والفضة والرصاص والقصدير والنجاس والمخديد
 والمخارصيني هل هي مختلفات بالوصول وكلها انواع قائمة بانفسها او انها مختلفة بمقتضى
 من الكيفيات وهي كلها اصناف لنوع واحد فالذي ذهب اليه ابو نصر الفارابي وتابعة
 عليه حكاه الاندلس انها نوع واحد وان اختلافها انما هو بالكميات من الرطوبة واليبوسة
 واللين والصلابة والالوان من الصفرة والبياض والاسود وهي كلها اصناف لذلك النوع
 الواحد والذي ذهب اليه ابن سينا وتابعة عليه حكاه المشرق انها مختلفة بالوصول وانما
 انواع متباينة كل واحد منها قائم بنفسه يحقق بحقيقته له فصل وجنس شأن سائر الانواع
 وبني ابو نصر الفارابي على مذهبه في اتفاقها بالوع امكان انقلاب بعضها الى بعض
 لا يمكن تبدل الاعراض حيث تدبر وعلاجها بالصنعة فمن هذا الوجه كانت صناعة الكيمياء
 عند ممكنة سهلة المأخذ وبني ابو علي ابن سينا على مذهبه في اختلافها بالنوع انكار هذه
 الصناعة واستحالة وجودها بناء على ان التصل لا سبيل للصناعة اليه وانما مختلفة خالق
 الاشياء وقدرها وهو الله عز وجل والفصول مبهوتة الخفايا رأسا بالنسور فكيف
 يماول انزالها بالصنعة وغاطلة الطغرائي من اكابر اهل هذه الصناعة في هذا القول ورد
 عليه بان التدبير والعلاج ليس في تخليق الفصل وابداعه وانما هو في اعداد الماددة لقبوله
 خاصة والتصل باقي من بعد الاعداد من لدن خالقو وبارئو كما يفيض النور على الاجسام
 بالاصل والاماء ولا حاجة بنا في ذلك الى تصويره ومعرفة قال واذا كنا قد عثرنا على
 تخليق بعض الحيوانات مع المحمل بنفوسها مثل العقرب من التراب والخن مثل الحيات
 المتكونة من الشمس ومثل ما ذكره اصحاب الملاحة من تكوين الخجل اذا فدت من
 عجاجل القمر وتكوين القصب من قرون ذوات الطلق وتصغير سكرًا بحشو القرون
 بالعمل بين يدي ذلك الخلق القرون فما المانع اذا من العثور على مثل ذلك في الذهب
 والفضة فتتخذ ادها تضيقها للتدبير بعد ان يكون فيها استعداد اول القبول صورة الذهب

يتداولونها بينهم ويتناظرون في فهم لغزها وكشف أسرارها اذ هي في الأكثر تشبه
 المهي ككتاب جابر بن حيان في رسائله السبعين ومنسقة الحجر يطي في كتابه رتبة المحكم
 والطرائي والمخبري في قصائده العريقة في اجادة النظم وامثالها ولا يحلون من بعد هذا
 كله بطائل منها . فاوضحت يوماً شيئاً اما البركات التلغيفي كبير مشيخة الاندلس في مثل
 ذلك ووقفة على بعض الناكث فيها فتصنفه طويلاً ثم ردة الي وقال لي وانا الضامن له
 ان لا يعود الي يتيو الا بالخفية ثم منهم من يقتصر في ذلك على الدلسة فقط اما الظاهرة
 كتبويه النضة بالذهب او النحاس بالفضة او خلطها على نسبة جزء او جزءين او ثلاثة
 او الخفية كالفا الشبه بين المعادن بالصناعة مثل تبيض النحاس وتبييض بالزرق المصعد
 فيجهد جسماً معدنياً تنبها بالفضة ويحني الا على المقاد المارة فيقدر اصحاب هذه الدلاس
 مع دلسهم هذه سكة يسريونها في الناس ويطبعونها بطابع السلطان فويها على الجمهور
 بالخلاص وهؤلاء الحسن الناس حرفة واسنأ هم عاقبة لتاجهم بسرقة اموال الناس فان
 صاحب هذه الدلسة انما هو يدفع نحاساً في النضة وفضة في الذهب ليستخلصا نفسه فمن
 سارق او اشر من السارق ومعظم هذا الصنف لدينا بالمغرب من طلبة الدبر المتنبذين
 باطراف البقاع ومسكن الاغارب وون الى مساجد البادية ويوهون على الاغنياء منهم
 بان يابدهم صناعة الذهب والنضة والنفوس مولعة بجهها والاستهلاك في طلبها فيحصلون
 من ذلك على معاش ثم يبقى ذلك عندهم تمت الخوف والرقبة الى ان يظلم العجز وتقع
 الفضية فيفرون الى موضع اخر ويستجدون حالاً اخرى في استمراء بعض اهل الدنيا
 باطاعهم فيما لديهم ولا يزالون كذلك في ابتغاء معاشهم وهذا الصنف لا كلام معهم لانهم
 باغوا الغاية في الجهل والرداءة والاحتراف بالسرقة ولا حاسم لعلمهم الا اشتداد المحكام
 عليهم وتناولهم من حيث كابل وقطع ايديهم حتى ظهر لهم على تانهم لان فريو افساداً المسكة
 التي تعم بها البروى وهي يقول الناس كافة في السلطان مكثف باصلاحها ولا حنياط عليها
 والاشتداد على مفسديها واما من اشغل هذه الصناعة ولم يرض بهمال الدلسة بل استنكب
 عنها ونزه نفسه عن افساد سكة المسلمين ونقودهم وانا يطلب احالة النضة للذهب
 والريصاص والنحاس والمفسد الى النضة بذلك النعمون العلاج وبالاكسير الماحصل
 عنده فلنا مع هؤلاء منكم وبحث في مداركهم بذلك مع اننا لا نعلم ان احداً من اهل العالم
 له هذا الغرض او حصل منه في نية انما تذهب اعارهم في التدبير والفكر والصلابة
 المصيدة والكليس واعنيام الاخطار جميع العقاقير والبحث عنها ويتناظرون في ذلك

من يدعي حصوله على الذهب بهذه الصنعة بمثابة من يدعي بالصنعة تخليق انسان من
 المني ونحن اذا سلمنا له الاحاطة باجزائه ونسبته وطوارق وكيفية تخليقه سيخبرنا وعلم
 ذلك علماً حصلاً بنفاذ سبل حتى لا يشك منه شيء عن علمه سلمنا له تخليق هذا الانسان
 وانى له ذلك ولغريب هذا البرهان بالاختصار ليسهل فهمه فنقول . حاصل صناعة الكيمياء
 وما بدعونه بهذا التدبير انه مساوقة الطبيعة المعدنية بالفعول الصناعية ومحاذاتها به الى
 ان يتم كون الجسم المعدني او تخليق مادة بقوى وانعزال بصورة مزاجية تفعل في الجسم
 فعلاً طبيعياً فتصوره ونقله الى صورتهما والفعال الصناعي مسبق بتصورات احوال
 الطبيعة المعدنية التي يقصد مساوقتها او محاذاتها او فعل المادة ذات القوى فيها تصوراً
 مفصلاً واحدة بعد اخرى وتلك الاحوال لا نهاية لها والعلم البشري عاجز عن الاحاطة
 بما دونها وهو بمثابة من يقصد تخليق انسان او حيوان او نبات هذا يحصل هذا البرهان
 وهو ان ما علمته واستعمله فيه من جهة الوصول كما رايته ولا من الطبيعة انما
 هو من تعذر الاحاطة وقصور البشر عنها وما ذكره ابن سينا بمنزل عن ذلك وله وجه
 اخر في الاستعانة من جهة غايته وذلك ان حكمة الله في التجريب وتداولها فيها قيم كالمكسب
 الناس وهم لا يهتمون فلو حصل ما علمها بالصنعة لطال حكمة الله في ذلك وكثر وجودها
 حتى لا يحصل احد من اقتنائها على شيء موله وجه اخر من الاستعانة له ايضاً وهو ان الطبيعة
 لا تترك اقرب الطرق في افعالها وتركب الاعراض والا بعد فلو كان هذا الطريق
 الصناعي الذي يزعمون انه صحيح واكثر اقرب من طريق الطبيعة في معدنها او اقل زماناً
 لما تركت الطبيعة الى طريقها الذي سلكته في كون النضة والذهب وتخليقها وما تشبه
 الطغرائي هذا التدبير بما عثر عليه من مفردات لا مثا له في الطبيعة كما لعرب ولا تفعل
 والمجبة وتخليقها فامر صحيح في هذه ادى اليه العنبر كما زعم . وما الكيمياء فلم ينقل عن احد
 من اهل العالم انه عثر عليها ولا على طريقها وما زال مشغولها بمخبرون فيها عشوة الى الهل
 جراً ولا يظنرون الا بالحكايات الكاذبة ولو صح ذلك لاحد منهم لحفظته عنه اولاده او
 تلميذه في هدايتهم وتوقل في الاصدقاء وذن تصديقه صحة العمل بعده الى ان ينشر
 ويبلغ البناء الى غيرنا وما قولهم ان الاكسبر بمثابة المنيرة وأنه مركب يحيل ما يحصل
 فيه ونقله الى ذلك فاعلم ان المنيرة انما تلبس العين وتعدده للضم وهو فساد والفساد
 في المواد سهل يقع باسرها من الافعال والطبايع والمطلوب بالاكسبر قلب المعدن الخ
 ما هو اشرف منه واعلى فهو تكوين وصلاح والتكوين اصعب من التماسد فلا يقاس

والنفس ثم تحاولها بالعلاج الى ان يتم فيها الاستعداد لقبول فصلها انتهى كلام الطبراني
 بعناية وهذا الذي ذكره في الرد على ابن سينا صحيح لكن لنا في الرد على اهل هذه الصناعة
 ماخذ اخر يتبين منه استحالة وجودها وبطلان مزعمهم اجمعين لا الطبراني ولا ابن سينا
 وذلك ان حاصل علاجهم اثمهم بعد الوقوف على المادة المستعدة بالاستعداد الاول
 بمعلومها موضوعاً ومجاذون في تدبيرها وتلاجهما تدبير الطبيعة في الجسم المعدني حتى
 احالته ذهباً او فضة ويضاعفون القوى الناعلة والمنعلة ليم في زمان اقصر لانه تدين في
 موضوعه ان مضاعفة قوة الناعل تنقص من زمن فعله وتدين ان الذهب انما يتم كونه في
 معدنه بعد الف وثمانين من السنين دورة الشمس الكبرى فاذا تضاعفت القوى والكيفيات
 في العلاج كان زمن كونه اقصر من ذلك ضرورة على ما قلناه او يخبرون بعلاجهم ذلك
 حصول صورة مزاجية لتلك المادة تصيرها كالمخبرة فتعمل في الجسم المعالج الافاعيل
 المطلوبة في احالته وذلك هو الاكسبر على ما تقدم . واعلم ان كل متكون من المولدات
 العنصرية فلا بد فيه من اجتماع العناصر الاربعة على نسبة متفاوتة اذ لو كانت متكافئة
 في النسبة لما تم امتزاجها فلا بد من الجزء الغالب على الكل ولا بد في كل منمزج من
 المولدات من حرارة غريزية هي الداعلة لكونه بالحفاظة لصورته ثم كل متكون في زمان
 فلا بد من اختلاف اطواره وانتقاله في زمن التكوين من طور الى طور حتى ينتهي الى
 غايته وانظر شان الانسان في طور الهلانة ثم العلة ثم المضغة ثم الصور ثم الجنين ثم المولود
 ثم الرضيع ثم الى ما بينه ونسب الاجزاء في كل طور يختلف في مفاديرها وكيفياتها ولا
 لكن الطور بعينه الاول هو الاخر وكذا الحرارة الغريزية في كل طور مختلفة لها في
 الطور الاخر فانظر الى الذهب ما يكون له في معدنه من الاطوار منذ الف سنة وثمانين
 وما ينتقل فيه من الاحوال فيحتاج صاحب الكيمياء الى ان يساوق فعل الطبيعة في المعدن
 ويحاذيه بتدبيره وعلاجه الى ان يتم ومن شرط الصناعة انما تصور ما يقصد اليه بالصناعة
 فمن الامثال السائرة للحكام اول العمل اخر الفكرة واخر الفكرة اول العمل فلا بد من
 تصور هذه الحالات للذهب في احواله المتعددة ونسبها المتفاوتة في كل طور واختلاف
 الحار الغريزي عند اختلافها ومقدار الزمان في كل طور وما يتوجب عنه من مقدار القوى
 المضاعفة ويقوم مقاومة حتى يحاذي بذلك كل فعل الطبيعة في المعدن او تعد لبعض
 المواد ضرورة مزاجية تكون كصورة المخبرة للجنين وتعمل في هذه المادة بالمناسبة لطورها
 ومفاديرها وهذه كلها انما يحصرها العلم المحيط والعلوم البشرية قاصرة عن ذلك وانما حال

الفصل الثامن والعشرون

في ان كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل

اعلم انه مما اضرب بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غايته كثرة التأليف واختلاف
الاصطلاحات في التعلم وتعدد طرقها ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك وحينئذ
يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها او اكثرها ومراعاة طرقها ولا يفي
عمره بما كتب في صناعة واحدة اذا تجرد لما فرغ الاضطر ولا بد دون رتبة التحصيل وبمثل
ذلك من شان الفقه في المذهب المالكي بكتاب المدونة مثلاً وما كتب عليها من الشروحات
الفقهية مثل كتاب ابن يونس والحسي وابن بشير والتمهيدات والمقدمات والبيان والتحصيل
على المتيبة وكذلك كتاب ابن الحاجب وما كتب عليه ثم انه يحتاج الى تمييز العارضة
التي هي من النظرية والبدئية والمصرية وطرق المتأخرين عنهم والاحاطة بذلك كله
وحينئذ يسلم له منصب الفتيا وهي كلها متكررة والمعى واحد والمتعلم مطالب باستحضار
جميعها وتمييز ما بينها والعري ينضي في واحد منها ولو اقتصر المعلمون بالمعتمد على
المسائل المذهبية فقط لكان الامر بدون ذلك بكثير وكان التعلم سهلاً وماخذة قريباً
ولكنه لا يلا يرتفع لاستقرار العوائد عليه فعمارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تنويعها
وبمثل ايضا علم العربية من كتاب سيدي وجميع ما كتب عليه وطرق البصريين
والكوفيين والبغداديين والاندلسيين من بعدهم وطرق المتأخرين والمتأخرين مثل ابن
الحاجب وابن مالك وجميع ما كتب في ذلك وكتب بطايب بو المتعلم وينضي عمره
دونه ولا يطالع احد في الفاية منه الا في القليل النادر مثل ما وصل اليها بالمغرب لهذا
العهد من تأليف رجل من اهل صناعة العربية من اهل مصر يعرف بان هشام ظهر من
كلاهما فيها انه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل الا لسيدي و ابن حنبل
واهل طينتها العظم ملكه وما احاط به من اصول ذلك الفن وتنايعه وحسن تصرفه
فيه ودل ذلك على ان الفضل ليس مفهوماً في المتأخرين سيما مع ما قدمناه من كثرة
الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتأليف ولكن فضل الله يؤتو من يشاء وهذا
نادر من نادر الوجود والا فالظاهر ان المتعلم ولو قطع عمره في هذا كله فلا يفي له
بتحصيل علم العربية مثلاً الذي هو آلة من الآلات وسيلة فكيف يكون في المنة ود الذي
هو الثمرة ولكن الله يهدي من يشاء

الأكسيرا الحبيرة وتحقيق الامر في ذلك ان الكسيرا ان صح وجودها كما تزعم الحكماء
 المتكلمون فيها مثل جابر بن خيوان ومسلمة بن احمد الجرجاني وامثالهم فليست من باب
 الصنائع الطبيعية ولا تتم بامر صناعي وليس كلامهم فيها من معنى الطبيعيات انما هو من
 معنى كلامهم في الامور البحرية وسائر الخوارق وما كان من ذلك العلاج وغيره وقد ذكر
 مسلمة في كتاب الغاية ما يشبه ذلك وكلامه فيها في كتاب رتبة الحكميم من هذا المعنى وهذا
 كلام جابر في رسائله ونحو كلامهم فيه معروف ولا حاجة بنا الى شرحه وبالمجمل فامرها
 عند من كليات المواد الخارجة عن حكم الصنائع فكالا يتبدر ما منه الخشب والحجران
 في يوم او شهر خشباً او حيواناً فياخذ البحر تخليقه كذلك لا يتبدر ذهب من مادة الذهب
 في يوم ولا شهر ولا يتغير طريق عاداته الا بارقاد ما وراء عالم الطبائع وعلى الصنائع
 فكذلك من طلب الكسيرا طلباً صناعياً ضيع ماله وجملته ويقال لهذا النذير الصناعي
 النذير الضمير لان نيلها ان كان صحيحاً فهو واقع ما وراء الطبائع والصنائع فهو كالمشي على
 الماء وامضاء الهباء والنفوذ في كثائف الاجساد ونحو ذلك من كرامات الاولياء الخارقة
 للعادة او مثل تخليق الطير ونحوها من معجزات الانبياء قال تعالى واذا تخلق من الطين
 كهيئة الطير باذني فتنفخ فيه فتكون طيراً باذني وعلى ذلك فسيبيل تسيرها مختلف بمسبب
 حال من يوتاهها فربما اوتيتها الصالح وبوتيتها غيره فتكون عنده معارة وربما اوتيتها الصالح
 ولا يالك ابتناءها فلا تتم في يد غيره ومن هذا الباب يكون علمها سحرية فقد تبين انما انما
 تقع بتأثيرات النفوس وخوارق العادة اما معجزة او كرامة او سحراً ولهذا كان كلام الحكماء
 كلهم فيها الغارز لا يظهر حقيقة الا من خاض لجة من علم السحر واطلع على تصرفات
 النفس في عالم الطبيعة وامور غرق العادة غير مقتصرة ولا يقصد احد الى تحصيلها والله
 بما يعملون بصير ولا يكثر ما يحبل على الناس هذه الصناعة واتخاذها هو كما قلناه المعجز عن
 الطرق الطبيعية المعاش واشغاره من غير وجوه الطبيعة كالنلاحة والنجارة والصناعة
 فيمقتضعب العاجز ابتغاء من هذه وبروم الحصول على الكثير من المال دفعة بوجوه
 غير طبيعية من الكسيرا وغيرها واكثر من يعني بذلك الفقراء من اهل العمران حتى في
 الحكماء المتكلمين في انكارها واستغناءها فان ابن سينا القائل باستغنائها كان عالية الوزراء
 فكان من اهل الغنى والثروة والماراني القائل بإمكانها كان من اهل الفقر الذين يعوزهم
 ادنى بلغة من المعاش واسباب هذه همه ظاهرة في انظار النفوس المولعة بطرقها واتخاذها
 والله الرزاق ذو القدر المتين لا رب سواه

هو أيضاً ولا مهيأ ولا متعلماً الا وضحة وفتح له مقالة مختص من الفن وقد استولى على ملكته
 فلذا وجه التعليم المتبد وهو كما رايت انما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض
 في اقل من ذلك بحسب ما يتجلى له ويتيسر عليه وقد شاهدنا كثيراً من المصلين لهذا العهد
 الذي ادركنا بمجمل طرق التعليم وافادتهم ويحضر من المعلم في اول تعليمه المسائل المقتلة
 من العلم ويطلب لونه باحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مراناً على التعليم وصولاً فيه
 ويكتنونه رعي ذلك وتحصيله ويخطون عليه بما يلغون له من غايات الفنون في مبادئها وقبل
 ان يستعد لهم فان قبول العلم والاستعدادات لهنه تنفذ تدريجاً ويكون المعلم اول
 الامر عاجزاً عن التهم بالجملة الا في الاقل وعلى سبيل التقريب والاجمال وبالاغالب
 المحسنة ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً بخلافه مسائل ذلك الفن وتكرارها
 عليه والانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذي فوقه حتى يتم الملكة في الاستعداد
 ثم في التفصيل ويحيط هو بمسائل الفن ولذا القيت عليه الغايات في البدايات وهو حيث
 عاجز عن التهم والوعي وبعد عن الاستعداد له كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة
 العلم في نفسه فتكاسل عنه وانصرف عن قبوله وتبادى في هجرته وانما اتى ذلك من سوء
 التعليم ولا ينبغي للعلم ان يزيد متعلماً على فهم كتابه الذي اكسب على التعليم منه بحسب
 طاقته وعلى نسبة قبوله للعلم مبتدئاً كان او متنبهاً ولا يخطط لمسائل الكتاب بغيرها حتى
 يعينه من اوله الى اخره ويحصل اغراضه ويستولي منه على ملكة بها ينفذ في غيره لان
 المعلم اذا حصل ملكة ما في علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي وحصل له نشاط
 في طلب المزيد والنهوض الى ما فوق حتى يستولي على غايات العلم واذا خطط عليه
 الامر يجز عن الفهم وادركة الكلال والطمس فكله ويس من التفصيل وهجر العلم
 والتعليم والله يهدي من يشاء وكذلك ينبغي لك ان لا تملول على المعلم في الفن الواحد
 بغيرى الجاهل ونظير ما بينها لانه ذريعة الى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من
 بعض فيعسر حصول الملكة بتفريقها واذا كانت اوائل العلم واواخره حاضرة عند الفكرة
 مجامعة للنسيان كانت الملكة ايسر حصولاً واحكم ارتباطاً واقررب صبغة لان الملكات انما
 تحصل بتتابع الفعل وتكراره واذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه والله اعلم ما لم
 تكونوا تعلمون ومن المذاهب المجعلة والطرق الواجبة في التعليم ان لا يخطط على المعلم
 علان معاً فانه حيث قل ان يظهر الواحد منها لما فيه من تقسيم اليال وانصرفوا عن كل
 واحد منها الى فهم الاخر فيستغلان معاً ويستصعبان ويعود منها بالمجبة واذا تفرغ

الفصل التاسع والعشرون

في ان كثرة الاختصارات المولدة في العلوم مخلة بالتعليم
ذهب كثير من المتأخرين الى اختصار الطرق والاشياء في العلوم بولعوت بها
ويدونون منها برنامجاً مختصراً في كل علم يشتغل على حصر مسائله وادلتها باختصار في
الافاظ وجعلوا القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخلاً بالابلاغ وعسراً
على الفهم وربما عمدوا الى الكتب الامهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاخصروها
تقريباً للمخاطب كما فعله ابن الحاجب في الفقه واصول الفقه وابن مالك في العربية والخميني
في المنطق وامثالهم وهو فساد في التعليم وفيه اخلال بالتفصيل وذلك لان فيه تخلطاً على
المتلقي بالقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم كما
سيأتي ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم يتبع الفاظ الاختصار العويصة للفهم يتزاحم
المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها لان الفاظ الاختصارات تبهدها لاجل ذلك
صعبة عويصة فينقطع في فهمها حظ صالح عن الوقت ثم بعد ذلك فالملكة الحاصلة من
التعليم في تلك الاختصارات اذا تم على سداده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي
تتحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع في تلك من التكرار والاحاطة بالمتحدثين
لحصول الملكة النامة واذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلته كشأن هذه الموضوعات
المختصرة فقصودوا الى تسهيل المحفظ على المتعلمين فاركبوه صعباً يقطعهم عن تفصيل الملكات
النافعة ويتركها ومن يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له والله سبحانه وتعالى اعلم

الفصل الثلاثون

في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته
اعلم ان تاليف العلوم للتعلمين انما يكون مفيداً اذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً وقليلًا
قليلًا باقى عليها ولا مسائل من كل باب من الفنون في اصول ذلك الباب. ويرغب له في شرحها
على سبيل الاجمال وبراقي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي
الى اخر الفنون وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم الا انها جزئية وضعيفة وغائبة
انما هيأته لفهم الفنون وتفصيل مسائلها ثم يرجع به الى الفنون ثانية فيرفعها في التاليف عن تلك
الرتبة الى اعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الاجمال ويذكر له ما هنالك من
الخلافاً ووجهه الى ان ينتهي الى اخر الفنون فيجود ملكة ثم يرجع به وقد شذف بالترك

الشعيب بالشبهات في ذهك فاطرح ذلك واتخذ حسب الاناظر وعوائق الشبهات واترك
 الامر الصناعي جملة واخص الى فضاء الفكر الطبيعي الذي فطرت عليه وسرح نظرك فيه
 وقرب ذهك فيه للغرض على مرأيتك منه واضعاً لها حيث وضعها اكابر النظائر قبلك
 مستعرضاً للفتح من الله كما فتح عليهم من ذهبن من رحمته وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فاذا
 فعلت ذلك اشرفت عليك انوار النفع من الله بالظفر بمطولك وحصل الامام الوسط
 الذي جمعه الله من منتضيات هذا الفكر ونظاره عابك كالقنأة وحيثما فارجع يواي قراب
 الادلة وصورها فافرغه فيها ورفه مقفه من القانون الصناعي ثم اكسه صور الاناظر وابرز
 الى عالم الخطاب والمناقشة وثيق العرى صيحه اليان . واما ان وقفت عند المناقشة
 والشبهة في الادلة الصناعية ونمضض صوابها من خطاها وهذه امور صناعية وضعية
 تستوي جهاتها المتعددة وتشابه لاجل الرضع والاصطلاح فلا تميز جهة الحق منها اذ
 سهو الحق اما تسمين اذا كانت بالطبع فيستمر ما حصل من الشك والارتباب وتبدل
 المحجب على المطالب وتبعد بالناظر عن تشديده وهذا شات الاكثرين من النظائر
 والمناظرين سيما من سبقت له بجمعة في لسانه فربطت عن ذهني ومن حصل له شعيب
 بالناظر المنطقي تعصب له فاعتقد انه الذريعة الى ادراك الحق بالطبع فيقع في الحيرة
 بين شبه الادلة وشكوكها ولا يكاد يخلص منها والذريعة الى درك الحق بالطبع اما هو
 الفكر الطبيعي كالقنأة اذا جرد عن جميع الاوهام وتعرض الناظر فيه الى رحمة الله تعالى
 واما المنطق فانما هو واصف لعمل هذا الفكر فيساقفه لذلك في الاكثر فاعتبر ذلك
 واستظهر رحمة الله تعالى متى اعوزك فهم المسائل تشرق عليك انواره بالالهام الى الصواب
 والله الهادي الى رحمته وما العلم الا من عند الله

الفصل الواحد والثلاثون

في ان العلوم الالهية لا توسع فيها الانظار ولا تنزع المسائل
 اعلم ان العلوم المتعارفة يرب اهل العبران على صنفين علوم مقصودة بالذات
 كالشرعيات من التفسير والمحدث والفقه وعلم الكلام وكالطبيعيات والالهييات من
 الفلسفة وعلوم هي آية وسيلة لهذه العلوم كالعربية والمحاسب وغيرها للشرعيات والالهييات
 الفلسفة ورعا كان آله علم الكلام ولاصول الفقه على طريقة المناظرين فاما العلوم التي
 هي مقاصد فلا خرج في توسعة الكلام فيها ونثرع المسائل واستكشاف الادلة والانظار

الفكر لتعليم ما هو بسيله متبصرًا عليه فربما كان ذلك اجدر لتحصيل الله سبحانه وتعالى
 الموفق للصواب . واعلم ايها المتعلم اني اتفكك بفائدة في تعلمك فان تلقيتها بالقبول
 وامسكتها بيد الصناعة ظننت بكثرة عظيم وذخيرة شريفة واقدم لك مقدمة تعينك سيرة
 فيها وذلك ان الفكر الانساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر متبدعاته وهن
 وجدان حركة النفس في البطن الاوسط من الدماغ تارة يكون مبداءه للافعال الانسانية
 على نظام وترتيب وتارة يكون مبداءه لعلم ما لم يكن حاصلًا بان يتوجه الى المطلوب وقد
 تصور طريقه ويروم نفيه او اثباته فيلوح له الوسط الذي يجمع بينهما اشرع من لمح البصر
 ان كان واحدًا ويتقل الى تحصيل اخر ان كان متعددًا ويصير الى الظفر مطلوبه وهذا
 نشان هذه الطبيعة الفكرية التي تميز بها البشر من بين سائر المخلوقات ثم الصناعة المخلوقة
 هي كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية تصفة لتعلم سدادته من خطائهم لانها وان
 كان المضروب لما ذاتيا الا انه قد يعرض لما الخطاء في الاقل من تصور الطرفين على
 غير صورتها من اشتباه الهيمات في نظم القضايا وترتيبها للتناج فتعريف المعاني للتخلص
 من ورطة هذا الفساد اذا عرض فالمعاني اذا امر صناعي مساوق للطبيعة الفكرية
 ومنطبق على صورة فعلها ولكون امرًا صناعيًا استغنى عنه في الاكثر ولذلك تجد كثيرًا
 من فحول النظائر في الخلية يحصلون على المطالب في العلوم دون صناعة المناطق ولا سيما
 مع صدق النية والتعرض لرخصة الله فان ذلك اعظم معنى ويسلكون بالطبيعة الفكرية
 على سددها فيفيض بالطلع الى حصول الوسط والعلم بالمطلوب كما فطرها الله عليه ثم من
 دون هذا الامر الصناعي الذي هو المناطق مقدمة اخرى من التعلم وهي معرفة الانفاط
 ودلائلها على المعاني الذهنية ترددها من مشافهة الرسوم بالكتاب ومشافهة اللسان
 بالمخاطب فلا بد ايها المتعلم من مجاوزتك هذه المحجب كلها الى الفكر في مطلوبك فالاول
 دلالة الكتابة المرسومة على الانفاط المتولة وهي اخفها ثم دلالة الانفاط المتولة على المعاني
 المطلوبة ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قواها المعروفة في صناعة المناطق
 ثم تلك المعاني مجردة في الفكر اشتراطًا بتخصصها بالمطلوب بالطبيعة الفكرية بالتعرض
 لرخصة الله ومواهبه وليس كل احد يتجاوز هذه المراتب بسرعة ولا يتفحص هذه المحجب في
 التعلم بسهولة بل ربما وقف الدهن في حجب الانفاط بالمناقشات او عثر في افتراءك
 الادلة يشغب المجدال والشبهات وقعد عن تحصيل المطلوب ولم يكد يخاض من تلك
 العثرة الا قليلاً من هداه الله فاذا اثبتت بمنى ذلك وعرض لك ارتباك في فهمك ان

يبحث فيه أو ينقطع دونه فيكون انقطاعاً في الغالب انقطاعاً عن العلم بالمجيلة وهذا
مذهب أهل الأندلس بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربرام المغرب في ولدانهم إلى أن
يجاوزوا حد البلوغ إلى الشيبه وكذا في الكبر إذا رجع بمداينة القرآن بعد طائفة من
عمرهم فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواه وأما أهل الأندلس فذهبهم
تعليم القرآن والكتاب من حيث هو وهذا هو الذي يراعى في التعليم إلا أنه لما كان
القرآن أصل ذلك وانه ومنع الدين والعلوم جعلوا أصلاً في التعليم فلا يتصرفون
لذلك عليه فقط بل يخطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والتربس وأخذهم
بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب ولا تخصص عنايتهم في التعليم القرآن
دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من سميها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى
الشيبه وقد شذبا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بها وبرز في الخط والكتاب
وتعلق بأذيال العلم على المجيلة لو كان فيها سند لتعليم العلوم أكثرهم ينقطعون عن ذلك
لا تقطاع سند التعليم في أقاليمهم ولا يحصل ما يدبرهم إلا ما حصل من ذلك التعليم الأول
وفيه كفاية إن أرشده الله تعالى واستعداد إذا وجد المعلم وأما أهل إفريقية فيخطون في
تعليمهم للولدان القرآن بالمحدث في الغالب ومداينة قوانين العلوم وثلاثين بعض مسانداً
إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءته
أكثر من سواه وعنايتهم بالخط تبع لذلك وبالمجيلة فعنايتهم في تعليم القرآن أقرب إلى
طريقة أهل الأندلس لأن سند طريقتهم في ذلك متصل بمشقة الأندلس الذين أجازوا
عند تغلب النصارى على شرق الأندلس واستقروا بتونس وعينهم أخذ ولدانهم بعد ذلك
وأما أهل المشرق فيخطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا ولا أدري بم عنايتهم منها والذي
ينقل لنا أن عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشيبه ولا يخطون
بتعليم الخط بل لتعليم الخط عنهم قانون ومعلمون له على أفراد كما تعلم سائر الصناعات ولا
يتداولونها في مكاتب الصبيان وإذا كتبوا لم إلا لأجل فبسط قاصر عن الإجابة ومن أراد
تعليم الخط فعلى قدر ما يسع له بعد ذلك من الهبة في طلبه ويتفهم من أهل صنعه فاما
أهل إفريقية والمغرب فأفادهم الانقصار على القرآن التصور عن ملكة الإنسان سبحانه
وذلك أن القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما أن البشر مصروفون عن الاتيان عملاً
ثم مصروفون لذلك عن الاستعمال على أساليب والاحتذاء بها وليس لهم ملكة في غير
أساليب فلا يحصل لصاحب ملكة في اللسان العربي وحفظه المجدود في العمارات وقلة

فان ذلك يريد طالعها تمكنا في ملكها وايضا كما لمعانيها المتصورة واما العلوم التي هي آلة لغورها مثل العربية والمنطق واماها فلا ينبغي ان ينظر فيها الا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط ولا يوسع فيها الكلام ولا تنزع المسائل لان ذلك مخرج لها عن المقصود اذ المقصود منها ما في آلة لا غير فكلمها خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال بها لغوا مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكها بطولها وكثرة فروعها وربما يكون ذلك عائنا عن تحصيل العلوم المتصورة بالذات لطول وسائلها مع ان شأنها اهم والعمريه قصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآلية تضييقا للعمير وشغلا لا يعني وهذا كما فعل المتأخرون في صناعة النجود وصناعة المنطق واصول الفقه لانهم اوسعوا دائرة الكلام فيها واكثرها من التفاريع والاستدلالات بما اخرجهما عن كونها آلة وصيرها من المقاصد وربما يقع فيها انظار لا حاجة بها في العلوم المتصورة فهي من نوع اللغو وهي ايضا مضرة بالمعلمين على الاطلاق لان المعلمين اهتمامهم بالعلوم المتصورة اكثر من اهتمامهم بوسائلها فاذا قطعوا العمريه في تحصيل الوسائل فحي يظنون بالمقاصد فلماذا يجب على المعلمين هذه العلوم الآلية ان لا يستمروا في شأنها وينهوا التعلّم على الغرض منها ويقتنوا بوعده فمن نزعت بوجهه بعد ذلك الى شيء من التوغل فليبرق له ما شاء من المراقبي صعبا او سهلا وكل ميسر لما خلق له

الفصل الثاني والثلاثون

في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقه اعلم ان تعليم الولدان للقرآن شعار من شعار الدين اخذ به اهل الملة ودرجوا عليه في جميع امصارهم لما يسبق فيه الى القلوب من رسوخ الايمان وعقائده من ايات القرآن وبعض متون الاحاديث وصار القرآن اصل التعليم الذي ينبغي عليه ما يحصل بعد من الملكات وسبب ذلك ان التعليم الصغر اشد رسوخا وهو اصل لما بعده لان السابق الاول للقلوب كالاساس للملكات وعلى حسب الاساس واسا ليه يكون حال ما يبنى عليه واختلت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلافهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات فاما اهل المغرب فذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط واخذهم اثناء المدرسة بالرسم ووسائله واختلاف حملة القرآن فيه لا يختلطون ذلك بسورة في شيء من مجالس تعليمهم لان حديث ولا من فقه ولا من شعروا من كلام العرب الى ان

الملكية ومن كان مرياً بالعسف والنهر من المتعلمين أو المالكات أو المخدم سطا به النهر
وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه الى الكسل وسجل على الكذب
والخسث وهو الظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الايدي بالنهر عليه وخطة المكر
والخدعة لذلك وصارت له عادة وخافاً وفسدت معاني الانسانية التي له من حيث
الاجتماع والتعاون وهي المحبة والمدافعة عن نفسه ومثله وصار عبداً على غيره في ذلك
بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والحاق المجهول فانقبضت عن غايتها ومدى
انسانيتها فارتكس وعاد في اسفل السافلين وهكذا وقع لكل امة حصلت في قبضة النهر
ونال منها العسف واعتبره في كل من يملك امره عليه ولا تكون الملكية الكفالة له رفيعة
بوتيد ذلك فيهم استغناء وانظاره في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء حتى
انهم يوصفون في كل اثنى وعصر بالمخرج ومعناه في الاصطلاح المذمور الخفايا والكيد
وسببه ما قلناه فينبغي للعالم في تعليمه والوالد في ولده ان لا يستبدل عليهم في التاديب
وقد قال محمد بن ابي زيد في كتابه الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين لا ينبغي
لمدب الصبيان ان يزيد في ضربهم اذا احتاجوا اليه على ثلاثة اسواط شيئاً ومن كادهم
عمر رضي الله عنه لم يودبه الشرع لا اذبه الله حرصاً على صون النفوس عن مذلة التاديب
وعلمنا بان المقدر الذي عيى الشرع لذلك املك له فانه اعلم بمصلحيه ومن احسن
مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لعلم ولده محمد الامين فقال يا احمران امير المؤمنين
قد دفع اليك مائة نفسه وغرة قلبه فصير يدك عليه ببسطة وطاعة لك واجبة فكأن له
بحيث وضعك امير المؤمنين اقربته القرآناً وعرفته الاخبار ورقع الاشعار وعلة السنن
وبصره بمواقع الكلام وبدته وامنه من الفضل الا في اوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بني
هاشم اذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ولا تمن بك ساعة الا كانت
مغتنم فائدة فبدهاها من غير ان تحزن فتمت ذهبة ولا تمن في مساعدته فيستحي الفراغ
وبالفقه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فان اباحها فعليك بالشدّة والغلظة انتهى

الفصل الرابع والثلاثون

في ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم
والسبب في ذلك ان البشر يأخذون معارفهم واخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب
والفضائل تارة علماً وتعليماً واتارة بماكاة وتأييماً بالباشرة الا ان حصول الملكات هي

التصرف في الكلام وربما كان اهل افرقية في ذلك اخف من اهل المغرب لما يخطون
 في تعليمهم القرآن بعبارات العلوم في قوانينها كما قلناه فيقندرون على شيء من التصرف
 وعادة الملل بالملل الا ان ملكهم في ذلك قاصرة عن البلاغة لما ان اكثر ممنوظم عبارات
 العلوم الباراة عن البلاغة كما سيأتي في فصله واما اهل الاندلس فافادهم الثنين في التعليم
 وكثرة زوايا الشعر والترسل ومدارسة العربية من اول العصر حصول ملكة صاروا بها
 اعرف في اللسان العربي وقصروا في سائر العلوم لبعدهم عن مدارسة القرآن والمحدث
 الذي هو اصل العلوم واساسها فكانوا لذلك اهل حفظ وادب بارع او مقصر على حسب
 ما يكون التعليم الثاني من عند تعليم الصبي ولقد ذهب القاضي ابو بكر ابن العربي في
 كتاب رجليه الى طريقة غريبة في وجه التعليم واعاد في ذلك وابتدأ وقدم تعليم العربية
 والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب اهل الاندلس قال لان الشعر ديوان العرب
 ويدعو الى تقيده وتعليم العربية في التعليم ضرورة فساد اللغة ثم ينتقل منه الى الحساب
 فيمهرن فيه حتى يرى الثناني ثم ينتقل الى درس القرآن فانه يتيسر عليك بهذه المقدمة
 ثم قال وبما غفلة اهل بلادنا في ان يوخد الصبي بكتاب الله في اول امرة بقراً ما لا يفهم
 وينصب في امر غيره اعم عليه ثم قال ينظر في اصول الدين ثم اصول الفقه ثم الجدل ثم
 الحديث وعلومه ومن ذلك ان يخط في التعليم علمان الا ان يكون المتعلم قابلاً لذلك
 بعبارة الذهن والنشاط هذا ما اشار اليه القاضي ابو بكر رحمه الله وهو لعربي مذهب حسن
 الا ان العوائد لا تساعد عليه وفي امالك بالاحوال ووجه ما اخضعت به العوائد من
 تقدم دراسة القرآن ايثاراً للتبرك والذوق وخشية ما يعرض للولك في جون الصبي من
 الافات والقواطع عن العلم فيفوت القرآن لانه ما دام في الحجز منقاد الحكم فاذا تجاوز البلوغ
 ولحل من رتبة القهر فما عصفت به رياح الشبهة فاللغة بساحل البطالة فيغتنبون في
 زمان الحجز وربة الحكم تحصيل القرآن املا يذهب خلقاً منه ولو حصل اليقين باستثماره
 في طلب العلم وقبوله التعليم لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي اولى ما اخذ به اهل
 المغرب والمشرق ولكن الله يحكم ما يشاء لا معقب لحكمه سبحانه

الفصل الثالث والثلاثون

في ان الشدة على المتعلمين مضرة بهم

وذلك ان ارهاق الحد في التعليم مضر بالمعلم سيما في اصغار الولد لانه من سوء

بثوب اذعانهم الى مثل شان التفتاه من الغوص على المعاني والقياس والحاكاة فبقية من في
الغلط والمعاني السليم الفصح المتوسط الكيس التصور ففكره عن ذلك وعدم اعتياده اياه
يتنصر لكل مادة على حكمها وفي كل صنف من الاحوال والاشخاص على ما اخصص به ولا
يعدي الحكم بقياس ولا فهم ولا يفارق في اكثر نظره المبادئ المحسوسة ولا يميزها في ذهني
كالساجح لا يفارق البرعد الموجع قال الشاعر

فلا توغل اذا ما سمعت فان السلافة في الماهل

فمكون ما مونا من النظر في سياسته مستقيم النظر في معاملته ابناء جينته نجس معاشته
وتندفع آفاته ومضاره باستقامة نظره وفوق كل ذي علم عليم ومن هنا يتبين ان صناعة
المطلق غير مأمونة الغلط لكثرة ما فيها من الانتزاع وبعد ما عن المحسوس فانها تنظر في
المعقولات الثرائي ولعل المبادئ فيها ما ينافي تلك الاحكام وينافيها عند مراعاة التطرق
اليه في واما النظر في المعقولات الاولى وهي التي يفتردها قريب فليس كذلك لانها
خيالية وصور المحسوسات حافظة موهنة بتدريج اذ بانها في الارتفاع والتميز والتميز في التوفيق

الفصل السادس والثلاثون

في ان حيلة العلم في الاسلام اكادهم العلم

من التبريم الرابع ان حيلة العلم في الملة الاسلامية اكادهم العلم لا من العلوم
الشرعية ولا من العلوم العقلية الا في القابل النادر وان كان منهم العربي في دينه في
عجميه في الفقه وديناه ودينه ومع ان الملة عذرة وما عجز به عنها عربي والسبب في ذلك
ان الملة في اولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى احوال السنداء والبدان ولما استحكم
الشرعية التي هي امر الله ونهيه فكان الرجل يقولها في صوته وروثه رغب ما خافها من
الكتاب والسنة بما فقهه من صاحب الشرع وانما به في الزم بموضع عرب لم يعرف امر العلم
والنكاح والسنة والنسب ولا دفع اليد ولا دعوت الله حاجة وحجرت الامر على ذلك زمن
الانبياء والتابعين وكانوا لا يرون في العلم من قبل ذلك وقلة القراء ابي الذين يرون
الكتاب والسنة الذين لان الامية يرون في سنة في السنة ما كان عرا قليل لعله
الفراد يرون قراء اشاره الى معانيهم قراء الكتاب الله والمنة الماندة عن الله لانهم لم
يعرفوا الاحكام الشرعية الا ما سمعوا من النبي في غلبه في اوردته وادله وروح
قال عليه السلام وسمعت نبيكم ارسى ان الله ما تمسككم بكتاب الله وحيي ظاهرا

المباشرة والثلاثين اشد استحياءاً واكثر رويًا فاعمل قدر كثرة الشيوخ يكون حصول
 الملكات ورسوخها والاصطلاحات ايضا في تعلم العلوم مخاطبة على المتعلم حتى لقد يظن
 كثير منهم انها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك الا مباشرة لاختلاف الطرق فيها من
 المعلمين فلما اهل العلوم وتعدد المشايخ يفيد تمييز الاصطلاحات بما برأه من اختلاف
 طرقهم فيها فيجهد العلم عنها ويعلم انها انتهاء وتعليم وطرق توصيل وتنهض قواه الى الرسوخ
 والاستحكام في المكان ويجمع معارفه ويميزها عن سواها مع نقوبة ملكته بالمباشرة والثلاثين
 وكثرتها من المشيئة عند تعددهم وتنوعهم وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية
 فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الثمانيات والكمال بقاء المشايخ ومباشرة الرجال
 والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الفصل الخامس والثلاثون

في ان العلماء من بين البشر ابعد عن السياسة ومذاهبا
 والسبب في ذلك انهم معنادون للنظر التكري والفوص على المعاني وانزاعها من
 المحسوسات وتجريدها في الذهن امورا كلية عامة ليحكم عليها بامرا عموم لا بخصوص مادة
 ولا شخص ولا جيل ولا امة ولا صنف من الناس وتطبيقات من بعد ذلك الكلي على
 الخارجيات وايضا يفسون الامور على اشباهها وامثالها بما اعتادوا من القياس التقني فلا
 يزال احكامهم وانظارهم كلها في الذهن ولا تصير الى المطابقة الا بعد الفراغ من البحث
 والنظر ولا تصير بالجملة الى مطابقة وانما ينفرد ما في الخارج عما في الذهن من ذلك
 كالاحكام الشرعية فانها فروع عما في المختوض من ادلة الكتاب والسنة فتطلب مطابقة ما
 في الخارج لما عكس الانظار في العلوم العقلية التي تطلب في صحتها مطابقتها لما في الخارج
 فهم معنودون في سائر انظارهم الامور الدنيوية والانظار الفكرية لا يعرفون سواها والسياسة
 يحتاج صاحبها الى مراعاة ما في الخارج وما يلحقها من الاحوال ويتبعها فانها خفية ولعل
 ان يكون فيها ما يمنع من الاحتكاك بشبه او مثال وبنافي الكلي الذي يحاول تطبيقه عليها ولا
 يقاس شيء من احوال العمران على الاخر اذ كما اشتبه في امر واحد فعلمنا اختلافنا في امور
 فتكون العلماء لاجل ما تعودوا من تعميم الاحكام وقياس الامور بعضها على بعض اذا
 نظروا في السياسة اغرغوا ذلك في قالب انظارهم ونوع استدلالهم فيتعون في الغلط
 كثيرا ولا يبرهن عليهم ويلحق بهم اهل الذكاء والكيس من اهل العمران لانهم يبتزون

واستقر العلم كله صناعة فاخصت بالهجوم وتركها العرب وانصرفوا عن اتقانها فلم يحسبها
 الا المربون من الهجوم شأن الصنائع كما قلناه اولاً فلم يزل ذلك في الامصار ما دامت
 الحاضرة في الهجوم وبلاذهم من العراق وخراسان وما وراء النهر فلما خربت تلك الامصار
 وذهبت منها الحضارة التي هي سر الله في حصول العلم والصنائع ذهب العلم من الهجوم جملة
 لما شملهم من البداة واخص العلم بالامصار الموقورة الحضارة ولا اوفر اليوم في الحضارة
 من مصر في ام العالم وادان الاسلام وينبوع العلم والصنائع وبقي بعض الحضارة في ما
 وراء النهر لما هناك من الحضارة بالدراة التي فيها فلهم بذلك حصنة من العلوم والصنائع
 لا تذكر وقد دلنا على ذلك كلام بعض علمائهم في تأليف وصلت الينا الى هذه البلاد وهي
 سعد الدين التفتازاني وما غيره من الهجوم فلم نزل من بعد الامام بن الخطيب ونصير
 الدين الطوسي كلاماً يعول على نهايته في الاصابة فاعتبر ذلك وتامله ترتباً في احوال
 الخليفة والله يخفي ما يشاء لا اله الا هو وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على
 كل شيء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله

الفصل السابع والثلاثون

في علوم اللسان العربي

اركانه اربعة وهي اللغة والنحو والبيان والادب ومعرفتها ضرورية على اهل الشريعة
 اذا ماخذ الاحتكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ونقلها من الصحابة
 والتابعين عرب وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان
 بان اراد علم الشريعة وتفاوتت في التاكيد بتفاوت مراتبها في التوفيق بمقصود الكلام حسبما
 يتبين في الكلام عليها فتناً والذي يفصل ان الامم المتقدم منها هو النحو اذ به يتبين
 اصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولا الجهل لاصل
 الافادة وكان من حق علم اللغة التقدم لولا ان اكثر الاوضاع باقية في موضوعاتها لم يتغير
 بخلاف الاعراب الدال على الاستناد والسند والمسند اليه فانه تغير بالجملة ولم يبق له اثر
 فلذلك كان علم النحو اهم من اللغة اذ في جهله الاخلال بالغام جملة وليست كذلك اللغة
 والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

علم النحو

اعلم ان اللغة في المعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لاساني

بعد النبل من لدن دولة الرشيد فما بعد احتيج الى وضع التفسير القرآنية وتبسيط المحدثات
 مخافة ضياعها ثم احتيج الى معرفة الاسانيد وتعديل الناقيلين للتدوينين ^{المتبعين} من الاسانيد
 وما دونه ثم كثر استخراج احكام الواقعة من الكتاب والسنة وفسد مع ذلك اللسان
 فاحتيج الى وضع القوانين المنجوية وصارت العلوم الشرعية كلها مكات في الاستنباطات
 والاستقراجات والتبظير والقياس واحتاجت الى علوم اخرى وهي وسائل لها من معرفة قوانين
 العربية وقوانين ذلك الاستنباط والقياس والذب عن المعقائد الایمانية بالادلة لكثرة
 البدع والاحاد فصارت هذه العلوم كلها علومًا ذات مكات محتاجة الى التعلم فاندرجت
 في جملة الصنائع وقد كنا قد مرنا ان الصنائع من متعل الحضر وان العرب ابعد الناس
 عنها فصارت العلوم لذلك حضرية وبعد عنها العرب وعن سوقها والحضر لذلك الهدى
 هم العجم اومن في معناهم من الموالى واهل الخواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم في الحضارة
 واحوالها من الصنائع والحرف لانهم اقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس
 فكان صاحب صناعة الخوصيون والمبارسي من بعده والرجاج من بعدها وكلم عجم في
 انسابهم وانما زبوا في اللسان العربي فاكتسبوه بالمري وعفا لغة العرب وصير قواين
 وقتا لم بعدهم وكذا حملة الحديث الذين حفظوه عن اهل الاسلام اكثرهم عجم او
 مستعجمون باللغة والمري وكان علماء اصول الفقه كلهم عجم كما يعرف وكذا حملة علم
 الكلام وكذا اكثر المنسرين ولم يتم بحفظ العلم وتدوينه الا الاعاجم وظهر مصداق قوله
 صلى الله عليه وسلم لو تعلق العلم باكاف السماء لئلا قوم من اهل فارس واما العرب
 الذين ادركوا هذه الحضارة وسوقها ومخرجوا اليها عن البداوة فتبطلت الرياسة في الدولة
 العباسية وما دفعوا اليه من القيام بالملك عن القيام بالعلم والنظر فيه فانهم كانوا اهل
 الدولة وصانعيها واولي سياستها مع ما يلحقهم من الانفة عن اتغال العلم حيثئذ بما صار من
 جملة الصنائع والروساء ابداً يستنكفون عن الصنائع واليمن وما يجر اليها ودفعوا ذلك الى
 من قام به من العجم والمولد من زوال يرون لم حق القيام به فانه دبتهم وعولهم ولا
 يحفرون حملها كل الاحتفال حتى اذا خرج الامر من العرب جملة وصار للعجم صارت
 العلوم الشرعية غريبة النسبة عند اهل الملك بما هم عليه من البعد عن نسبتها وامنت
 حملتها بما يرون انهم بعداء عنهم مشتغلون بما لا يعني ولا يجدي عنهم في الملك والسياسة
 كما ذكرناه في نقل المراتب الدينية فهذا الذي قررناه هو السبب في ان حملة الشرية ان
 عامتهم من العجم واما العلوم العقلية ايضا فلم تظهر في الملة الا بعد ان تميز حملة العلم ومولاه

الطريق في التعليم وكثير الاختلاف في اعراب كثير من أي القراءات باختلافهم في تلك
القواعد وطال ذلك على المتعلمين وجاء المتأخرون بها منهم في الاختصار فاختصروا
كثيراً من ذلك الطول مع استيعابهم لجميع ما نقل كإفعل الله ما ناك في كتاب التسهيل
وأما لو اقتصارهم على المبادي للمتعلمين كما فعله الزنطري في المائذل وابن السكيت في
المقدمة له وربما ففهم ذلك مثلاً مثل ابن مالك في الأربوزين الكبرى والصغرى وابن
معطي في الأربعة الألفية والجملة فالألف في هذا الفن أكثر من أن يحصى أرباباً
بها وطرق التعليم فيها مختلفة فطريقة المتقدمين مغايرة لطريقة المتأخرين والكوفيين
والبصريين والبغداديين والأندلسيون بخلاف طرقهم كذلك وقد كادت هذه الصناعة
أن توشى بالذهاب لما رأينا من القس في سائر العلوم والصنائع يتناقصا لغيران ووصل
اليها بالمغرب هذه المصنوعات من مصر منسوبة إلى جمال الدين بن همام من علماء
استوفى فيه أحكام الأعراب بمهارة ومنصلة وتكلم على الحروف والفرقات والجمل وحذف
ما في الصنائع من التكرار في أكثر أجزائها وبه بالمعنى في الأعراب وإشار إلى كتب أعراب
القرآن كلها وضبطها بأرباب وفصل رة وأعاد انزلت سائر ما فوقها من على علم
يفهم لغو قدره في هذه الصناعة وقصور بساعتها منها وكأية يجوز في طريقة من هذا
الموصل الذين اتفقوا اثر ابن جني وأتبعوا معناه في كتابه فانه من ذلك في علمه
على قوة ذاكنه وإطلاعه والله يزيد في الخلق ما يشاء

علم اللغة

هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية وذلك انه لما فسدت ملكة اللسان العربي
في المركبات المسماة عند أهل النحوي بالأعراب واستحدثت القوانين لفظها كما قلناه ثم
استمر ذلك الفساد بلاسة العجم ومناطهم حتى نادى الفساد إلى موضوعات الألفاظ
فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضعه عندهم ميلاً مع هجة المتعربين في
اصطلاحاتهم المخالفة لصرح العربية فاحتج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والنسب
خشية الدروس وبنا ينشأ عنه من الجمل بالقرآن والمحدث ففسد كثير من أمة اللسان
لذلك وأما في الدواوين وكان سابق الخلية في ذلك التحليل بن أحمد الفراهيدي ألف
فيها كتاب العين فصر فيه مركبات حروف المهيم كلها من الثنائي والثلاثي والرباعي
والخماسي وهو غاية ما ينهي إلى التركيب في السان العربي وثاق له صهر ذلك ويعود
حديثة صادرة وذلك أن جملة الكلمات الثمانية تخرج من جميع الأعداد على التوالي من

فلا بد ان تصير ملكة منفردة في العضو الناعل لها وهو اللسان وهو في كل امة بحسب
اصطلاحاتهم وكانت الملكة المحاصلة للعرب من ذلك احسن الملكات وأوضحها ابانة عن
المقاصد للدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني مثل الحركات التي تعين الناعل من
المفعول من الجورز اعني المضاف ومثل المحروف التي تنضي بالافعال الى الذوات من
غير تكلف الناطق اخرى وليس يوجد ذلك الا في لغة العرب ولما غيرها من اللغات فكل
معنى او حال لا بد له من الناطق فخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم في مخاطبتهم
اطول مما نقدره بكلام العرب وهذا هو معنى قولوا صلى الله عليه وسلم اوتيت جبريل مع الكلم
واختصر لي الكلام اختصاراً فصار المحروف في لغتهم والحركات والمضات اي الاوضاع
اعتبار في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيولصناعة يستفيدون ذلك منها انها هي ملكة
في السنتهم باخذها الاخر عن الاول كما نأخذ صيغتنا لهذا العهد لغاتنا فلما جاء الاسلام
وفراة الجاهل اطلب الملك الذي كان في ايدي الامم والدول وخالفوا العجم تغيرت تلك
الملكة ما التي اليها اسمع من المخالقات التي للمتغربين والسمع ابروا الملكات اللسانية ففسدت
ما التي اليها ما يغايرها بجنوحها اليه باعنياد اسمع وخشي اهل العلوم منهم ان تشهد تلك
الملكة راساً وبطول العهد بها فيمضق القرآن والمحدث على المنهوم فاستغبطوا من مجاري
كلامهم قرائن لذلك الملكة مطردة شبه الكلمات والقواعد بقيت وفي عليها سائر انواع
لكلام ويلتفتون الاشياء بالاشياء مثل ان الناعل مرفوع والمفعول منصوب والمند
رثوع ثم راق تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلموا على تسميته اعراباً وتسمية
لوجوب لذلك التغير عاملاً في افعال ذلك وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم ففقدوها
الكتاب وجعلوها صناعة لم تشهروها واصطلموا على تسميتها علم النحو واول من كتب
بها ابراهيم بن عبد الله بن يحيى كانه وقال بابتارة علي رضي الله عنه لانه رأى تغير الملكة
اشار عليه بطلبها فنزع الى ضبطها بالقرائن المحاضرة المستقرة ثم كتب فيها الناس من
نده الي ان انتهت الى الخطيب بن احمد النراهمدي ايام الرشيد اخرج ما كان الناس اليها
هاب تلك الملكة من العرب فذهب الصناعة وكل اربابها واخذها عنه سيويو فكمثل
اربعها واستكثر من ادائها وشواهد ما وضع فيها كتابه المشهور الذي صار اماماً لكل
كتب فيها من بعده ثم جزم ابو علي الناري وابو القاسم الزجاج كتباً منتصرة للتعلمين
ذوق فيها منقول الانام في كتابه ثم طال الكلام في هذه الصناعة وحدث اختلاف بين
الاعرف في المعرفة والحصرة المصنوعين الذين العرب وكثرت الادلة فيحتاج اليهم وتباينت

بقوس وقلب ترتيبه الى ترتيب كتاب الصحاح في اعتبار اواخر الكلم وبناء التراجم عليها
 فكانا نوماً في رحم وسليلى اية هذه اصول كتب اللغة فيما علمناه وهنا ك مختصرات اخرى
 مختصة بصنف من الكلم ومستوعبة لبعض الابواب او كلها الا ان وجه المحصر فيها خفي
 ووجه المحصر في تلك جلي من قبل التراكيب كما رايت ومن الكتب الموضوعة ايضاً في
 اللغة كتاب الرنخشري في المجاز بين فيه كل ما تجوزت به العرب من الالفاظ وفيما تجوزت
 به من الدلوات وهو كتاب شريف الافادة ثم لما كانت العرب تفضح الشيء على العصور
 ثم تستعمل في الامور الخاصة الفاظاً اخرى خاصة بها فوق ذلك عندنا بين الوضع
 والاستعمال واحتاج الى فقه في اللغة عزيز المأخذ كما وضع الايض بالوضع العام لكل ما
 فيه بياض ثم اخص ما فيه بياض من الخيل بالاشتبه ومن الانسان بالازهر ومن الغنم
 بالالبح حتى صار استعمال الايض في هذه كلها مجتازاً وخروجاً عن لسان العرب واخص
 بالالف في هذا المعنى الثعالبى وافرد في كتاب له سباه فقه اللغة وهو من اكمل ما يأخذ
 به اللغوي نفسه ان يحرف استعمال العرب عن مواضعه فليس معرفة الوضع الاول يكافئ
 في الترتيب حتى يشهد له استعمال العرب لذلك واكثر ما يحتاج الى ذلك الاديب في فني
 التلميح ونثره حذراً من ان يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مترادفها ومراكبها وهو اشده
 من اللحن في الاعراب والفحش وكذلك ألف بعض المتأخرين في الالفاظ المشتركة
 وتكتفل بمحصرتها وان لم تنفع الى النهاية في ذلك فهو مستوعب للاكثر وما المختصرات
 الموجودة في هذا الفن المخصوصة بالمداول من اللغة الكثير الاستعمال تسهلاً لحفظها على
 الطالب فكثيرة مثل الالفاظ لابن السكيت والاصحح لتعلم وغيرها وبعضها اقل لغة من
 بعض لاختلاف نظرهم في الامم على الطالب للحفظ والله المخلق العليم لا رب سواه

علم البيان

هذا العلم حادث في الملة بعد علم العربية واللغة وهو من العلوم السمانية لانه متعلق
 بالالفاظ وما تنبذ ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني وذلك ان الامور التي يقصد
 المتكلم بها افادة السامع من كلامه هي اما تصور متردات تسند ويسند اليها ويقضي بعضها
 الى بعض والدالة على هذه هي المتردات من الاسماء والافعال والحروف وما يميز المسندات
 من المسند اليها والازمنة وبدل عليها بتغير الحركات وهو الاعراب وابتداء الكلمات وهذه
 كلها في صناعة النحو ويقضى من الامور المكتسبة بالواقعات المحتاجة الدلالة احوال المتخاطبين
 او الفاعلين وما يقتضيه حال الفعل وهو يحتاج الى الدلالة عليه لانه من غام الافادة واذا

واحد الى سبعة وعشرين وهو دون نهاية حروف المعجم بواحد لان الحرف الواحد منها
 يواحد مع كل واحد من السبعة والعشرين فتكون سبعة وعشرين كلمة ثنائية ثم يواحد الثاني
 مع الستة والعشرين كذلك ثم الثالث والرابع ثم يواحد السابع والعشرون مع الثامن
 والعشرين فيكون واحداً فتكون كلها اعداداً على التوالي العدد من واحد الى سبعة وعشرين
 فيجمع كما في العمل المعروف عند اهل الحساب ثم تضاعف لاجل قلب الثاني لان
 التقديم واللاحق بين المعروف معتبر في التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات ويخرج
 الثنائيات من ضرب عدد الثنائيات فيما يجمع من واحد الى ستة وعشرين لان كل ثنائية
 يزيد عليها حرفاً فتكون ثلاثية فتكون الثنائية بمنزلة الحرف الواحد مع كل واحد من
 الحروف الباقية وهي ستة وعشرون حرفاً بعد الثنائية فيجمع من واحد الى ستة وعشرين
 على التوالي العدد ويضرب فيه جملة الثنائيات ثم تضرب الخارج في ستة جملة مقربات
 الكلمة الثلاثية فيخرج مجموع تراكيبها من حروف المعجم وكذلك في الرباعي والخماسي
 فانحصرت له التراكيب بهذا الوجه ورتب ابوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف
 واعتمد فيه ترتيب الخارج فبدأ بحروف الخلق ثم بعده من حروف الخلق ثم الاضراس ثم
 السنة وجعل حروف اللغة اخرها وهي الحروف الهجائية وبدأ من حروف الخلق بالعين
 لانه الاقصر منها فلذلك سمي كتابه بالعين لان المتقدم كان لا يذهبون في تسمية دولابهم
 الى مثل هذا وهو تسمية باول ما يقع فيه من الكلمات والافاظ ثم بين المهمل منها من
 المستعمل وكان المهمل في الرباعي والخماسي اكثر لفلة استعمال العرب لفة لفظه ولحق به الثاني
 لفة دورانه وكان الاستعمال في الثاني اغلب فكانت اوضاعه اكثر لدورانه وضمن التحليل
 ذلك كله في كتاب العين واستوعبه احسن استيعاب وارواه وجاء ابو بكر الزبيدي وكتب
 لطشام الموميد بالاندلس في المائة الرابعة فاختصره مع المحافظة على الاستيعاب وحذف
 منه المهمل كله وكثيراً من شواهد المستعمل ولخصه ليعتد الحسن تخلص والى المجوهري
 من المشاركة كتاب الصعاج على الترتيب المتعارف لحروف المعجم فجعل البداية منها
 بالهجرة وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الاخير من الكلمة لاضطرار الناس في الاكثر
 الى اخير الكلم وحصر اللغة اقتداء بمصر التحليل ثم الف فيها من الاندلسيين ابن سيده
 من اهل دانية في دولة علي بن عباد كتاب الحكم على ذلك المتقى من الاستيعاب وعلى
 نحو ترتيب كتاب العين وزاد فيه التعرض لاشتقاقات الكلم وتصريفها فجاء من احسن
 الدولتين ولخصه محمد بن ابي الحسين صاحب المستنصر من ملوك الدولة الحنصرية

البيان وهو اسم الصنف الثاني لان المتقدمين اول ما تكلموا فيه ثم تلاخصب مسائل الفن
 واحدة بعد اخرى وكتب فيها جعفر بن يحيى واجتاز حفظ وقداية وامثالهم املاءت غير وافية
 فيها ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئاً فشيئاً الى ان مضى السكاكيري زبده وذهب مسائله
 وذهب ابوابه على نحو ما ذكرناه انفاً من الترتيب والقسمة كتابه المسن بالاحتاج في النحو
 والقصص يسبق البيان فيسجل هذا الذي من بعض اجزائه في نسخة المتأخرون من كتابه ولفظها
 منه اذ بات في المداولة لهذا العهد كما عمله السكاكيري في كتاب البيان وابن مالك في كتاب
 المصباح وجمال الدين القزويني في كتاب الايضاح والنايضي ورواصف تبارك من
 الايضاح والنايضي وهذا العهد عند اهل المشرق في المشرق والعلوم منه اكثر من غيره
 وباجتهاد في المناقشة على هذا الفن اقروم من المغاربة وسيدنا في علم الله تعالى في العلوم
 اللسانية والاصناف الكالاية توجد في الصمران والمشرق او في عمر النابغ المشرق كما ذكرناه ان
 قول لسانية السليم وهو اهل المشرق كتناسير المشرق وهو كذا يعني على هذا الفن
 وهو انه لا اهل السليم ماله المشرق من اصنافه علم الالفاظ من حيث هو من حيث هو
 الادب المشرقية وفردوا له القالب ويعدون اهلها ونوعاً من انواعها في اهلها من
 اهل المشرق ولما احتل على ذلك الرابع من بين اهلها وان علم الالفاظ سهل المداولة
 ومحببت عليهم وهذا البلاغة والبيان لدقة ادبارها وشعرها في معانيها في اهلها من
 الف في الالفاظ من اهل افريقية ابن رشدي وكتاب الالفاظ له مذهب ويرى كثير من
 اهل افريقية والاندلس على مناهجهم ان ثمة هذا الفن لها في فهم الالفاظ من الترتيب
 لان ايجازها في وقاء الالفاظ من تيسر في قصصها والالفاظ المتعارفة ومعرفة وهي اهل دراية
 الكلام مع الكمال فيما ينص بالالفاظ في انتفاها وجودة وضعها وتركيبها وهذا هو الاجاز
 الذي تقدر الافهام من دركها فلا يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق فينا لطة اللسان
 العربي وحصول ملكته فيدرك من ايجاز على قدر ذوقه فلها كانت مدارك العرب
 الذين سمعوا من مملكتهم على ما كان في ذلك لانهم مرسان الكلام وجهاً بذنه والذوق عندهم
 موجود ما رغبوا بكونه واجتاز ما يكون الى هذا الفن المتفهمون واكثر تبارك
 المتقدمين غفل عنه حتى ظهر جوار الله الزمعي ووسع كتابه في التفسير وتبع آي الترتيب
 باحكام هذا الفن بما يبيد في بعض من ايجاز فاعده هذا النقص على جميع التفسير لولا
 انه يريد بمكان اهل الرابع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة ولاجل هذا يتأمل
 كثير من اهل السنة مع وفور بساطته من البلاغة في احكامه بمكانه المنة وشارك في هذا

حصلت للتكلم فقد بلغ غاية الافادة في كلامه واذا لم يشتغل على شيء منها فليس من حسن
 كلام العرب فان كلامهم واسع ولكل مقام عدوم مقال يختص به بعد قال الاعراب
 والابانة الا ترى ان قولهم زيد جاءني مغابرة ولم جاءني زيد من قبل ان المتقدم منها هو
 الاثم عند الحكم فن قال جاءني زيد افاد ان اهتاه به بالحيث قبل الشخص المسند اليه
 ومن قال زيد جاءني افاد ان اهتاه به الشخص قبل المجرى المسند وكذا التعبير عن اجزاء
 الجملة بما يناسب المقام من موصول او ميم او معرفة وكذا تأكيد الاسناد على الجملة
 كقولهم زيد قائم وان زيدا قائم متغايرة كلياً في الدلالة وان استوت من طريق
 الاعراب فان الاول العاري عن التأكيد اما يزيد الخالي للذهن والثاني المؤكد بان يزيد
 المتروك والثالث يزيد المنكر فهي مختلفة وكذلك يقول جاءني الرجل ثم تقول مكانه يعيد جاءني
 رجل اذا قصدت بذلك التكرير تعظيماً فراجع لرجل لا ينادى له من الرجال ثم الجاء لاسنادية
 تكرير مصرية وهي التي لها خارج نظامه ارباً وانما في التي لا خارج لها كاذب
 وانما هو لم قد يمين ترك العاطف بين الجاهلين اذا كانت الثانية محل من الاعراب
 فيشرك بذلك منزلة التابع المنفرد بهما وتوكيداً وبدلاً بلا عطف او يمين العطف اذا لم
 يكن الثانية محل من الاعراب ثم يقتضي الجمل الاطباء والابحار فيورد الكلام عليها ثم قد
 يدل باللفظ ولا يريد متاوقف ويريد لازماً ان كان مفرداً كما تقول زيد اسد فلا تريد حقيقة
 الاسد المتأخرة وانما يريد شيئاً عنه اللازمة وتسند ما الى زيد وتسمى تداً استجارية وقد تريد باللفظ
 المركب الدلالة على ما روي كما تقول زيد كثير الرماد وتريد به ما ازم ذلك عنه من
 الجود وقرى الضيف لان كثرة الرماد ناشئة عنها فهي دالة عليها وهذه كلها دلالة زائدة
 على دلالة الالفاظ المنفرد والمركب وانما هي هيأت واحوال الواقعة حصلت للدلالة عليها
 الاحوال وهيأت في الالفاظ كل بحسب ما ينضبط مقامه ناشئة هذا العلم المسمى بالبيان
 على الجمع عن هذه الدلالات التي للهيأت والاحوال والمقامات وجعل على ثلاثة اصناف
 الصنف الاول يبحث فيه عن هذه الهيأت والاحوال التي تعاقب باللفظ جميع متضبات
 الجمل ويسمى علم البلاغة والصنف الثاني يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وادومه
 وهي الاستعارة والكناية كالقلماء ويسمى علم الايات والمحققا بها صنف اشرف وهو النظر في
 ترتيب الكلام وتصنيفه نوع من التفريق اما يصح يفصله او يجهس يشابه بين الالفاظ او
 ترصيع يقطع اوزانه او تورية عن المسمى المتصوود بانها معنى اخفى منه لاستتراك اللفظ بينهما
 وامثال ذلك ويسمى عديم علم البديع واطلق على الاصناف الثلاثة عند المحدث اسم

يعمل ويكتب في ذلك فيما نعلمه وهو الغاية التي ينو إليها الأديب ويقف عندها والتمه بها
 ونحن الآن نرجع بالتحقيق على الإجمال فيما تكلمنا عليه من علوم اللسان والله الهادي الصواب
 الفصل الثامن والثلاثون

في أن اللغة ملكة صناعية

اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن
 المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها وليس ذلك بالنظر إلى المفردات
 وإنما هو بالنظر إلى التراكيب فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الانقاط المتتالية للتعبير
 بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التاليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ التكلم
 حيث نزل الغاية من إفادة مقصوده للسامع وهذا هو معنى البلاغة والملكات لا تحصل إلا
 بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه اللغات صفة ثم تتكرر فيكون حالاً ومعنى
 الحال أنها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة فالتكلم من العرب
 حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيلة وأسا ليهم في مخاطبتهم
 وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي المفردات في معانيها فيلقنها أولاً ثم
 يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن
 كل متكلم واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كاحدهم هكذا
 أصبحت اللسان واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها الصبيم والأطفال وهذا هو معنى ما
 نلوه العامة من أن اللغة للعرب بالاطيع أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم ولم يأخذوها
 عن غيرهم ثم إنهم لما فسدت هذه الملكة لمصر بمخالطتهم الأعراب وبسبب فسادها ان
 الثاني من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كقبيات أخرى غير القبيات التي
 كانت للعرب فيعبر بها عن مقصوده لكثرة المخاطلين للعرب من غيرهم ويسمع كقبيات
 العرب أيضاً فاضطط عليه الأمر وأخذ من هذه وهذه فاستحدثت ملكة وكانت ناقصة عن
 الأولى وهذا معنى فساد اللسان العربي ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية
 وأصحها بعد ذلك عن بلاد النجيم من جميع جهاتهم ثم من أكثرتهم من تقيت وهذا لب
 وخزاعة وبني كنانة وغطافان وبني أسد وبني قيس وأما من بعد عنهم من ربيعة ولخم
 وجذام وغسان وأباد وقضاعة وعرب اليمن الجاوزين لاسم النهر والروم والحبشة فلم
 تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعراب وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتياج بلغاتهم

الذين بعض المشاركة حتى يقتدر على الرد عليهم من جنس كلامه او يعلم انه بدعة فيعرض عنها ولا ينصر في معتقده فانه يتعين عليه النظر في هذا الكتاب للظفر بنبي من الاعجاز مع العلامة من البدع والاهواء والله الهادي من يشاء الى سواء السبيل

علم الادب

هذا العلم لا موضوع له ينظر في انبات عوارضه او نفيها ولما المقصود منه عند اهل اللسان غمته وفي الاجادة في فني المنظوم والمنثور على اساليب العرب ومناحيهم فيجربون لذلك من كلام العرب ما عساه يتجدد ليو الكلمة من شعر عالمي الطبقة ويصح متساوي في الاجادة ومسائل من اللغة وانحو مثبوتة اثناء ذلك متفرقة يستفري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من ايام العرب بهم يوما يقع في اشعارهم منها وكذلك ذكر المثل من الانساب الشهيرة والاخبار العامة والمقصود بذلك كله ان لا ينجي على الناظر فيوشي من كلام العرب واساليبهم ومناحي بلاغتهم اذا تصفحه لانه لا تحصل الملكة من حفظه الا بعد فهو يحتاج الى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه ثم انهم اذا ارادوا حل هذا الفن قالوا الادب هو حفظ اشعار العرب واشبارها والاخذ من كل علم يطرف يربدون من علوم اللسان او العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي الثرائف والمحدث اذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب الا ما ذهب اليه المتأخرون عند كلهم بصناعة البدع من التورية في اشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية فاحاج صاحب هذا الفن حيثئذ الى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائما على فهمها وجعلنا من شيوخنا في مجالس التعليم ان اصول هذا الفن وركابة اربعة دواوين وفي ادب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابي علي الفارسي البغدادي وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع عنها وكتب المحدثين في ذلك كثيرة وكان الغناء في الصدر الاول من اجزاء هذا الفن لما هو تابع للشعر اذ الغناء انما هو تليغية وكان الكتاب والنضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون انفسهم به حرصا على تحصيل اساليب الشعر وفنونهم فلم يكن اتفاقا قاصدا في العدالة والبرق وقد ألف الفاضلي بوالفرج الاصبهاني وهو ما هو كتابة في الاغانى جمع فيه اخبار العرب واشعارهم وانسابهم وابائهم ودولهم وجعل مبتداه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المتون الرشيد فاستوعب فيه ذلك اتم استيعاب واوفاه ولم يرض انه ديوان العرب وجامع اشعار الجاسن التي سلفت لم في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الاحوال ولا

شاهدان بذلك ولم ينفذ من احوال اللسان المدون الاحركات الاعراب في اواخر
الكلم فقط الذي ادم في لسان مضر طريقة واحدة ومبهما معروفا وهو الاعراب وهو بعض
من احكام اللسان وانما وقعت العناية بلسان مضر لما فسد بشفا لظنهم الاعاجم حين استولوا
على مالک العراق والشام ومصر والمغرب وصارت ملكة على غير الصورة التي كانت
اولا فانقلب لغة اخرى وكان القرآن منزلا به والمحدث النبوي منقولا بلفظه وهما اصلا
الدين والملة فحفظي تناسبهما وانفلاق الافهام عنهما فقد ان اللسان الذي تنزلا به فاحتجج الي
تدوين احكامه ووضع مقاييسه واعتبادا قوانينه وصار علما ذا فصول وارباب ومقدمات
ومسائل ساء اهله بعلم النحو وصناعة العربية فاصبح فننا محفوظا وعلما مكتوبا وسلكا الى
فهم كتاب الله وسنة رسوله واقتا وعلما او اعتنبا بهذا اللسان العربي لهذا العهد واستغنيا
احكامه باعتراض المحركات الاعرابية في دلالتها بامور اخرى موجودة فهو فتكون لها
قوانين مختصا وعلما تكون في اواخره على غير المنهاج الاول في لغة مضر فليست اللغات
وملكتها مجتمعا وقد كان اللسان المنصري مع اللسان السبيري بهذه المداية وتفرقت عند
مضر كثير من موضوعات اللسان السبيري وتصاريف كلماته فشهد بذلك الانتقال الموجودة
لدينا خلافا من جملة الفصول على انها لغة واحدة وبانسان اسيراء اللغة السبيرية على
مقاييس اللغة المنصرية وقوانينها كما يزعم بعضهم في اشتقاق الاول في اللسان السبيري انه
من القول وكثير من اشباه هذا وليس ذلك صحيحا ولغة اخرى متمايزة للغة مضر
في الكثير من اوضاعها وتصاريفها وحركاتها مترا بها كما هي لغة العربية مع لغة مضر
الا ان العناية بلسان مضر من اجل العربية كما تلتها جعل ذلك علم الاعتقاد والاستقراء
وليس عندنا لهذا العهد ما يمهنا على ذلك ذلك ويدعوننا الذي وقع في لغة هذا الجيل
العربي لهذا العهد حيث كانوا من الالة لار شائهم في التعلق بالثقافة فاتهم لا يتلفون
بها من يفرج الثقاف عند اهل الالهة كما هو مذكور في كتب العربية انه من اقصى
اللسان وما فوقه من الحسك الاعلى وما دلتون بها اليه من تفرج الكفاف وان كانت
الذي من موضع الثقاف وما يليه من الالهة الاعلى كما في الالهة من مائة مائة
الكفاف والثقاف وهو موجود للبل السج حيث كانوا من غرب او شرق حتى صار ذلك
علامة عليهم من بين الامم والايال والديانتهم لا يشاءكم فيها غيرهم حتى ان من يريد
التعرف والانتساب الى الجيل من الالهة يقولون في التاني بها وهذا انه اما تفرج
العربي الصريح من الدليل في العربي في السبيري بالاساءة بهذه الثقافة وبما به

في النسخة والساد عند أهل الصناعة العربية والله سبحانه وتعالى اعلم وهو الشافي

الفصل التاسع والثلاثون

في أن لغة العرب لهذا العهد لغة معتلة مغيرة للغة مضر وحجر
وذلك إنما نجد ما في بيان المقاصد والرفاء بالدلالة على شين اللسان المضري ولم
يتقدمها إلا دلالة الحركات على تعيين انفعال من المفعول فاعتراضها منها بالتقدم والتأخير
وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد إلا أن البيان والبلاغة في اللسان المضري أكثر
وأعرف لأن الالفاظ بأعيانها دالة على المعاني بأعيانها ويدق ما تقتضيه الاحوال ويسمى
بساط الاحمال حينئذ إلى ما يدل عليه وكل معنى لا بد وإن تكنه احوال فخصه فيصير
أن تعتبر تلك الاحوال في نادرة اللغة ودلائلها صفات وتلك الاحوال في جميع الالسن أكثر
ما يدل عليها بالفاظ فمنها ما لا يرفع وما في اللسان العربي فاما يدل عليها باحوال وكيفيات
في تراكم الالفاظ وتاليها من تقدم أو تأخير أو حذف أو حركة اعراب وقد يدل
عليها بالحروف غير المتغيرة وأذلك تناوت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب
تناوت الدلالة على تلك الكيفيات كما قدمناه فكان الكلام العربي لذلك أوجز وأقل
الفاظاً وعباراً من جميع الالسن وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت جميع الكلام
واختصر لي الكلام اختصاراً واعتبر ذلك بما ينحكي عن عيسى بن عمر وقد قال له بعض
النحاة أرى أجد في كلام العرب تكراراً في قولهم زيد قائم وإن زيداً قائم وإن زيداً قائم
والمعنى واحد فقال له أن معانيها مختلفة فالاول لا فائدة الخالي الذهن من قيام زيد والثاني
إن سمعته فأنكره والثالث لم أعرف بالأصراع على أنكره فاختلست الدلالة باختلاف
الاحوال وما زالت هذه البلاغة والبيان دين العرب ومذهبهم لهذا العهد ولا تتبدل
في ذلك إلى خرفة النحاة أهل صناعة الاعراب الفاصرة مداركهم عن التحقيق حيث
يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت وأن اللسان العربي فسد اعتباراً بما وقع وأخر الكلام
من فساد الاعراب الذي يتداولون قرأته وهي مقالة حسنها الشيع في طباعهم والقاهها
القصوري في انتدبهم ولا يفتن نجد الزم الكثير من الفاظ العرب لم تزل في موضوعاتها
الاولى والتعريف عن المقاصد والاعوان في تفاوت الالبانة ووجود في كلامهم لهذا العهد
ولسا لب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة في طباعهم وفهم الخطيب المصنف في
مخالفهم ومجامعهم والشاعر المناقب على أساليب لغتهم والدوق المصحح والطبع السليم

فما طغت العرب فيها البرابرة من العجم يوفون عجمانها بهم ولم يكد يخلو عنهم مضر ولا
 جيل فغلبيت العجمة فيها على اللسان العربي الذي كان لم وصارت لغة اخرى متزجة
 والعجمة فيها اغلب لما ذكرناه في عن اللسان الاول ابعد وكذا المشرق لما غلب العرب
 على اعمى من فارس والترك فحما لطوم ويداولت بينهم لغاتهم في الأكرة والفلاحين والسبي
 الذين اتخذوهم خولا ودبابات واطناراً ومراضع ففسدت لغتهم بفساد الملكة حتى انقلب
 لغة اخرى وكذا اهل الاندلس مع عجم الجلالة والافرنجة وصار اهل الامصار كلهم من
 هذه الاقاليم اهل لغة اخرى مخصوصة بهم تخالف لغة مضر ويخالف ايضاً بعضها بعضاً
 كما نذكره وكانها لغة اخرى لاستعجم كل ملكها في اقليم والله يخفى ما يشاء ويقدو

الفصل الحادي والاربعون

في تعليم اللسان المصري

اعلم ان ملكة اللسان المصري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ولغة اهل الجبل كلهم
 مغايرة للغة مضر التي نزل بها القرآن وانما هي لغة اخرى من امتزاج العجمة بها كما قدمناه
 الا ان اللغات لما كانت ملكات كما مر كان تعلمها ممكناً شأن سائر الملكات ووجه التعليم
 ان ينبغي هذه الملكة ويروم تحصيلها ان ياخذ تلمذة يحفظ كلامهم القدم البحاري على
 اساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فعول العرب في اصباحهم واشعارهم
 وكلمات المواعين ايضاً في سائر فروعهم حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور
 منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في
 صدره على حسب عباراتهم وتاليف كلماتهم وما وعاه وحفظه من اساليبهم وقريب
 الفاظهم فتفصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكتابتها ورسوخاً وقوة
 ويحتاج مع ذلك الى سلامة الطبع والفهم الحسن لمنازع العرب واساليبهم في التراكيب
 ومراعاة التطابق بينها وبين مقتضيات الاحوال والذوق يشهد بذلك وهو ينشأ ما بين
 هذه الملكة والطبع السليم فيها كما نذكره وعلى قدر الحفظ وكثرة الاستعمال تكون جودة
 القول المصنوع نظماً ونثراً ومن حصل على هذه الملكات فقد حصل على لغة مضر وهو النافذ
 البصير بالابلاغة فيها وهكذا ينبغي ان يكون تعلمها والله يهدي من يشاء بهضاً وكرموا

الفصل الثاني والاربعون

في ان ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم

أما لغة مضر بعينها فإن هذا الجيل الباقيين معظمهم ورواسيهم شرقاً وغرباً في ولد منصور
 بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان من سلهم بن منصور ومن بني عامر بن صعصعة
 بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور وهم لهذا العهد أكثر الأمم في المعمور وأغلبهم وهم
 من أحقاب مضر وسائر الجيل منهم في النطاق بهذه الغاف أسوق وهذه اللغة لم يتبدعها هذا
 الجيل بل هي متوارثة فيهم متعاقبة ويظهر من ذلك أنها لغة مضر الأولين وأصلها لغة النبي
 صلى الله عليه وسلم بعينها وقد ادعى ذلك فقهاء أهل البيت وزعموا أن من قرأ في أم
 القرآن أهدنا الصراط المستقيم بغير القاف التي لهذا الجيل فقد لحن وأفسد صلاته ولم
 ادر من أين جاء هذا فإن لغة أهل الأمصار أيضاً لم يستحدثوها وإنما تناقلوها من لدن
 سلهم وكان أكثرهم مضر لما نزلوا الأمصار من لدن النخ وأهل الجيل أيضاً لم يستحدثوها
 إلا أنهم أبعد من مخالطة الأعاجم من أهل الأمصار فذا برجح فيما يوجد من اللغة لديهم
 أنه من لغة سلهم هذا مع اتفاق أهل الجيل كلهم شرقاً وغرباً في النطق بها وأنها الخاصة
 التي يتميز بها العربي من العيين والمحصري فنتم ذلك والله الهادي المبين

الفصل الأربعون

في أن لغة أهل الحضرة والأمصار لغة قائمة بنفسها بخالفة لغة مضر
 أعلم أن عرف الخطاطب في الأمصار وبين الحضرة بلغة مضر القديمة ولا بلغة
 أهل الجيل بل هي لغة أخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجيل العربي
 الذي لعهدنا وهي عن لغة مضر أبعد فأما أنها لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر يشهد لما فيها
 من التباين الذي يعد عند صناعة أهل النحوت كما وفي مع ذلك تختلف باختلاف الأمصار
 في اصطلاحاتهم فلهذا أهل المشرق مبانة بعض الشيء اللغة أهل المغرب وكذا أهل الأندلس
 سوا وكل منهم متصل بلغة إلى نادية مقصوده وإلبانة عما في نسه وهذا معنى اللسان
 والذمة وفقدان الأعراب ليس بضائر لهم كما قلناه في لغة العرب لهذا العهد وأما أنها أبعد
 عن اللسان الأول من لغة هذا الجيل فلأن البعد عن اللسان إنما هو بخالطة العجمة فمن
 راعى ألعجم أكثر كانت لغة عن ذلك اللسان الأصلي أبعد لأن الملكة إنما تحصل
 بالتعليم كما قلناه وهذه ملكة متميزة من الملكة الأولى التي كانت للعرب ومن الملكة
 الثانية التي للعجم فعلى مقدار ما يسعون من العجمة وبرون عليه يبعدون عن الملكة
 الأولى واعتبر ذلك في أمصار إفريقية والمغرب والأندلس والمشرق أما إفريقية والمغرب

يحبسون انهم قد حصلوا على رتبة في لسان العرب وهم ابعد الناس عنه واهل صناعة العربية بالاندلس ومعلوها اقرب الى تحصيل هذه الملكة وتعاليمها من سواهم لقيامهم فيها على شواهد العرب وامثالهم والنفقة في الكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم فيستقون الى المتدنى كثير من الملكة اثناء التعليم فتتعلق النفس لها وتستعد الى تحصيلها وقبولها واما من سواهم من اهل المغرب وافريقية وغيرهم فاجروا صناعة العربية مجرى العلوم مجتمعا وقطعا والظاهر عن النفقة في تراكيب كلام العرب الا ان اعرابا شامخا او رجلا مدهما من جهة الاقتضاء الذهني لا من جهة محامل اللسان وتراكيبها فصبحت صناعة العربية كائنا من جملة قرائن المناطق الغالية او المجدل وبعدت عن مناحي اللسان وملكته وما ذلك الا لعدم علم من البحث في شواهد اللسان وتراكيبهم وتغيير اساليبهم وغفلهم عن المران في ذلك لعدم علمهم في ما يقيد الملكة في اللسان وتلك التوازنات انما هي وسائل للتعليم لكنهم اجروها على غير ما قصد بها واصاروا ما عاكسا بتماما وبعدوا عن ثمرتها وتعلم ما اقرئناه في هذا الباب ان حصول ملكة اللسان العربي انما هو بكثرة المحفظ من كلام العرب حتى يرتسم في مخيلته المتوالي الذي يسموا عليه تراكيبهم ينسج هو عليه ويتنزل بذلك منزلة من نشاء معهم وخالف عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم والله مقدر الامور كلها والله اعلم بما لغيب

الفصل الثالث والاربعون

في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان وتشتق منه وبيان انما يحصل ذالبا المستمر بين من التعم اعلم ان لفظة الذوق يدور لها المعنيين بنون البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان وقد مر تفسير البلاغة وانها مطابقة الكلام لله من جميع وجوه يتناول نوع التراكيب في افادة ذلك فالمتكلم بلسان العرب والبلغ فيه يغري الهيئة المفيدة لذلك على اساليب العرب واداء مخاطباتهم وينظم الكلام على ذلك الوجه سواء فافا اتصلت مقامات بعضها لغة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه وسهل عليه امر التركيب حتى لا يكاد يسيو فرو غير منى البلاغة التي للعرب وان مع تركيبها غير جاري على ذلك المعنى مجده وما عنه سمعة بادي فكره وينير فكره كما استغاده من حصول هذه الملكة فان الملكات اذا استقرت ورسمت في محافلها ظهرت كائنا طبيعة وجبلة لذلك الجبل ولذلك يظن كثير من المغفلين من لم يعرف شان الملكات ان الصواب العرب في

والسبب في ذلك ان صناعة العربية انما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاسمها
خاصة فهو علم بكيفية لانتس كيفية فليست نفس الملكة وانما هي بمثابة من يعرف صناعة من
الصنائع علماً ولا يحكمها عملاً مثل ان يقول بصير بالخياطة غير حكم الملكة في التعبير عن
بعض انواعها الخياطة في ان يدخل الخياط في خنث الابر ثم يفرزها في لحي الثوب
مخمين ويخرجها من الجانب الاخر بقدر كذا ثم يردّها الى حيث ابتدأت ويخرجها
فدام من هذا الاول بطرح ما بين التثنية والاولى ثم يقادى على ذلك الى اخر العمل
ويطوي صورة الحبل والتثنية والتثنية وسائر انواع الخياطة واعمالها وهو اذا طوّل ان
يجل ذلك بيده لا يحكم منه شيئاً وكذا لو سئل عالم بالنبذة عن تفصيل الخشب فيقول
هو ان تضع المشارة على راس الخشبة وتعملك بطرفه وتتركها على حبلك بطرفه الاخر
وتعاقبها بينكنا وطرافه المصوبة المتعددة فتقطع ما دلت عليه ذابرة وجارية الى ان ينتهي
الى اخر الخشبة وهو او طوّل بهذا العمل او شي منه لم يحكمه وهكذا العلم بقوانين
الاعراب مع هذه الملكة في نفسها فان قوانين الاعراب انما هو علم بكيفية الصل
واحد هو نفس العمل ولذلك يجد كثيراً من جهالة العامة والمهرة في صناعة العربية
التي هي انك بذلك القوانين اذا سئل في كتابة سطرين الى اخير او ذي مودته او شكري
ظلاله او قصد من قصوداً خطاً فيها عن الصواب والكنز من اللين ولم يجد تأليف
الكلام لذلك والعارة عن المقصود على اسلوب اللسان العربي وكذا تجد كثيراً من
يعلم هذه الملكة ويحيد التثنية من المذموم والمأثور وهو لا يحسن اعراب الناعل من
المتعذر والمرفوع من البرود ولا يفهم قوانين صناعة العربية فمن هذا تعلم ان تلك
الملكة في غير صناعة العربية وانما صنعتية فيها ماهرة وقد نجد بعض المهرة في صناعة
الاعراب يبرأ بنال هذه الملكة وهو قليل وانما في اكثر ما يقع للعاقلين لكتاب
صيرت غاية في رعي قوانين الاعراب منتطّل سلاكتها من اشغال العرب وتواهد
اشغالهم في اراهم فكان فروجهم من علم هذه الملكة فيجد التاكيد على العمل
لقد منتطّل على منتطّل كانم العرب والمصريين في اناكسره مثل حاجاج
وتج ولشان الملكة فاستدش فليتها فكان المنع في اوقات ومن دلائل العاقلين لكتاب
سويومن يتفكر عن الصواب في العمل على علم الامان متداولة ولا يتصل على ملكة
وانما الطوائف لكتاب المتأخرين المتأخرين من ذلك الا من القوانين العربية مودة بين
الاعراب العرب، وكذا هو في هذا الامر فاما الملكة او غيرها فليست

من القوانين المشطرة في الكتب فليس من تحصیل الملكة في شيء انما حصل استحسانها كما
عرفت وانما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتياد والتكرار لكلام العرب فان عرض لك
ما تسمعه من ان سبويه والفارسي والمصري وامثالهم من قريش ان الكلام كانا اختيارا مع
حصول هذه الملكة لم فاعلم ان اولئك القوم الذين تبع عنهم انما كانوا يتكلمون فيهم فقط
واما المربي والنشاة فكانت بين اهل هذه الملكة من العرب ومن تعلمها منهم فان راوا ذلك
من الكلام على غاية لا وراها وكانهم في اول نفاخهم من العرب الذين نشأوا في اديانهم
حتى ادركوا كه اللغة وصاروا من اهلها فم وارت كانبها في النسب فليسوا با تمام في
اللغة والكلام لانهم ادركوا اللغة سبغ عنونها واللغة في شباها ولم تذهب انار الملكة ولا
من اهل الامصارم فكانوا على الممارسة والممارسة لكلام العرب حتى استولوا على سائده
واليوم الواحد من العجم اذا خالط اهل اللسان العربي بالامصار فاول ما يهتد تلك
الملكه المقصودة من اللسان العربي بعقبة الانار ومجد ملكتهم الخاصة بهم ملكة اخرى
مخالفة لملكة اللسان العربي ثم اذا فرضنا انه اقبل على الممارسة لكلام العرب وانما علم
بالممارسة والمحافظة يستفيد تحصيلها فقل ان يحصل له ما قدمناه من ان الملكة اذا سبقها
ملكه اخرى في الحمل فلا تحصل الا ناقصة محدودة وارت فرضنا عيها في النسب سلم من
مخالطة اللسان العربي بالكلية وذهب الى تعلم هذه الملكة بالممارسة فما يهتد لانه ذلك
لكه من الدور بحيث لا يتحى عليك بما تقرر وما يدعي كثير من ينظر في هذه القوانين
الاربابية حصول هذا النوع لها وهو غلط او منافية وانما حصلت له الملكة ان حصلت في
الملكه القوانين البيانية وليست من ملكة العبارة في شيء والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الفصل الرابع والاربعون

في ان اهل الامصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية التي تستفاد
بالتعلم ومن كان منهم ابعد عن اللسان العربي كان حصوله اضعف وايسر
والسبب في ذلك ما يسبق الى التعلل من حصول ملكة منافية للملكة المطلوبة بما
سبق اليه من اللسان المحض الذي افادته اليه حتى زال بها اللسان عن الملكة الاولى
الى ملكة اخرى هي لغة المحضر لهذا العهد ولهذا اشد الما بين يدهم من الى المسابقة بتعليم
اللسان للاردان وتعتقد الخاض ان هذه المسابقة بصنائعهم وليس كذلك ولما هي بتعليم هذه
الملكه بغير ازالة اللسان وكلام العرب نعم صناعة النور اقرب الى تما ازالة ذلك وما كان

لغتهم اعرابا وبلاغة امر طبيعي ويقول كانت العرب تتفق بالاطيع وليس كذلك وانما في
 ملكة لسانية سبغ نظم الكلام فتمت وتشتب فظهرت في بادي الراي انما جلة وطبع
 وهذه الملكة كما تهتم انما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والفتن. لتواص
 ترا كثير وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استعملها اهل صناعة اللسان
 فان هذه القوانين انما تفيد علما بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في عملها
 وقد مر ذلك واذا تقرر ذلك فملكة البلاغة في اللسان تمهيدي البليغ الى وجود النظم
 وحسن التركيب الموافقي لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم ولو رام صاحب هذه الملكة
 حينئذ عن هذه الصبيل المعبية والراكيب المخصوصة لما قدر تعالج ولا واقفة عليه لسانه لانه
 لا يعتمد ولا يهتدي اليه ملكة الراكبة المصنعة عنده واذا عرض عليه الكلام جازئا عن اسلوب
 العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم اعرض عنه ويجهل انه ليس من كلام العرب الذين
 مارس كلامهم وربما يجهل عن الاحتياج لذلك كما تصنع اهل القوانين الشعرية والبيان
 فان ذلك الاستدلال بما حصل من القوانين المفاداة بالاستقراء وهذا امر وجداني حاصل
 بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم ومثاله لو فرضنا صبيا من صبيانهم نشأ وربي
 في جيلهم فانه يتعلم لغتهم ويحكم شان الاعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غائبها وليس
 من العلم القانوني في شيء وانما هو يحصل هذه الملكة في لسانه وانطق وكذلك تحصل هذه
 الملكة لمن بعد ذلك الجمل بمفظ كلامهم واشعارهم وسننهم والمداومة على ذلك بحيث
 يحصل الملكة ويصير كواحد من نفاة في جيلهم وربي بين اجيالهم والقوانين بمنزل عن
 هذا واستعمل هذه الملكة عند ما تخرج وتستقر اسم الذوق الذي اصطلى عليه اهل صناعة
 البيان وانما هو موضوع لادراك الطعم لكن لما كان عمل هذه الملكة في اللسان من حيث
 الداني بالكلام كما هو محل لادراك الطعم استعمل لها اسما وايضا فمر وجداني اللسان كما
 ان اللطيم بمسوسة له فقبل له ذوق واذا تبين لك ذلك علمت منه ان الاعاجم الدخايل
 في اللسان العربي الطارين عليه المصطرين الى النطق بولها لطة اهواء كالترس والروبر
 والترك بالشرق وكالبر بالغرب فانه لا يحصل لهم هذا الذوق لصور حثلهم في هذه
 الملكة التي قررا امرها لان قصارهم بعد طائفة من العروسة ملكة اخرى الى اللسان
 وفي لغاتهم ان يعتنوا بما يتداولونه اهل مصر بينهم في الحاضرة من مفرد ومركب نالا
 يضرعون اليوم من ذلك وهذه الملكة قد ذهبت لاهل الامصار وبعدوا عنها كما تقدم

من القوانين المسطرة في الكتف فليس من يحصل الملكة في شيء انما يحصل امتثالها كما
عرفت وانما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتناء والتكرار لكلام العرب فان عرفت لك
ما تسمعه من ان سيمويه والمارسي والزمخشري وامثالهم من فرسان الكلام كانوا اعجابا مع
حصول هذه الملكة لم فاعلم ان اولئك القوم الذين سمع عنهم انما كانوا شيئا في نسبهم فقط
واما المربي والشاة فكانت بين اهل هذه الملكة من العرب ومن تعلمها منهم فانه راوا بذلك
من الكلام على غاية لا وراءها وكانهم في اول نشأتهم من العرب الذين نشأوا في اجسامهم
حتى ادركوا كنه اللغة وصاروا من اهلها فلم يارب كانوا جميعا في النسب فليسوا بالايام في
اللغة والكلام لانهم ادركوا الملة في عبقرونها واللغة في شجاعتها ولم يذهب انوار الملكة ولا
من اهل الاصاغر عكسوا على الممارسة والممارسة لكلام العرب حتى اسولوا على مناجاة
واليوم الواحد من العجم اذا خاطب اهل اللسان العربي بالامصار فاول ما يجد تلك
الملكة المتصورة من اللسان العربي مستقيمة الاثا ويوجد ملكتهم الخاصة بهم ملكة اخرى
مخالفة لملكة اللسان العربي ثم اذا فرضنا انه اتقيل على الممارسة لكلام العرب واتبعها
بالممارسة وانحفظ يستغفر فيحصل ان يحصل له ما قدمناه من ان الملكة اذا سبقها
ملكه اخرى في المحل فلا تحصل الا بقصة جديدة وانما فرضنا شيئا في النسب سلم من
مخالطة اللسان العجمي بالكلية وذهب الى تعلم هذه الملكة بالممارسة وربما يحصل له ذلك
لكنه من التدوير بحيث لا ينبغي عليك بما تقرر وربما يدعي كثير من يظهر في هذه القوانين
الجامعة حصول هذا الذوق لها وهو غلط او مغالطة وانما حصلت له الملكة ان حصلت في
تلك القوانين البيانية وليست من ملكة العبارة في شيء والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الفصل الرابع والاربعون

في ان اهل الاصاغر على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية التي تستفاد
بالعلم ومن كان منهم ابعد عن اللسان العربي كان حصوله له اصعب واعسر
والسبب في ذلك ما يسبق الى العلم من حصول ملكة متينة للملكة المتأولة بما
سبق اليه من اللسان المحضري الذي افادته اللممة حتى نزل بها اللسان عن ملكة الاولى
الى ملكة اخرى في لغة الضمر لهذا العهد ولهذا تجد المحدثين يذهبون الى المماثلة بتعليم
اللسان للولدان وتعتقد ان هذه المماثلة يصنعونها وليس كذلك وانما في تعليم هذه
الملكة يحتاج الى اللسان وكلام العرب نعم صناعة التواقرف الى هنا لانه ذاك وما كان

لأنهم أعرابا وبلاغة امرطيجي ويقول كانت العرب تنطق بالفتح وليس كذلك وإنما في
 ملكة السانية سنة نظم الكلام تمكنت ورتجيب فطهرت في بادي الرأي أنها جيلة وطبع
 وهذه الملكة كما قلنا إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص
 تراكمها وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استعملها أهل صناعة اللسان
 فإن هذه القوانين إنما تنفذ عملًا بذلك اللسان ولا تنفذ حصول الملكة بالفعل في عملها
 وقد مر ذلك وإذا تنزل ذلك فملكة البلاغة في اللسان عمدي البليغ إلى وجود النظر
 وحسن التركيب المرافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم ولو رام صاحب هذه الملكة
 حينئذ عن هذه السبل المعينة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه ولا وافقه عليه لانه لا
 لا يعتمد على غيره ولا يعتمد على ملكة الراجحة عنده وإذا عرض عليه الكلام حائداً عن أسلوب
 العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم أعرش عنه وشبه وعلم أنه ليس من كلام العرب الذين
 مارس كلامهم وربما يهملون الاحتياج لذلك كما تصنع أهل القوانين النحوية والبائية
 فإن ذلك استدلال بما حصل من القوانين المفاد بالاستقراء وهذا امر وجداني حاصل
 بممارسة كلام العرب حتى يصير كمن يحد منهم وبشأنه لو فرضنا صبيًا من صبيانهم نشأ وربى
 في جيلهم فإنه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الأعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غايها وليس
 من العلم القانوني في شيء وإنما هو يحصل هذه الملكة في لسانه ونطقه وكذلك تحصل هذه
 الملكة لمن بعد ذلك الجليل بمحض كلامهم وأشعارهم وعملهم والمداومة على ذلك بحيث
 يحصل الملكة ويصير كمن بعد من نشأ في جيلهم وربى بين أجيالهم والقوانين بحزل عن
 هذا واستعمل هذه الملكة عند ما ترسخ وتستقر أسس الذوق الذي اصطالح عليه أهل صناعة
 البيان وإنما هو موضوع لأدراك الطعم لكن لما كان يعمل هذه الملكة في اللسان من حيث
 النطق بالكلام كما هو عمل لأدراك الطعم استعمل لها اسمًا وبهذا فهو وجداني اللسان كما
 أن اللسان محسوسة له فقبل له ذوق وإذا تبين لك ذلك علمت منه أن الأعراب الداخليين
 في اللسان العربي المتأثرين عليه المضطربين إلى التثاق به لها أمانة أهلية كما نرى والروم
 والترك بالشرق وكأدبر بالمغرب فإنه لا يحصل لهم هذا الذوق لتصور حيلهم في هذه
 الملكة التي قرأنا أنها لا تقصر أعم بعد طائفة من البحر وسبق ملكة أخرى إلى اللسان
 وهي لغتهم أن يعتنوا بما يتداولونه أهل مصر بينهم في المخاورة من مرد وركب لما
 يظهرون إليه من ذلك وهذه الملكة قد ذهبت لأهل الأمصار وبدا عنها كما تقدم

عجمهم أصلاً لغة أهل الأندلس والبربر في هذه العدن وهم أهلها. ولسانهم لسانها الأسي
 الأمصار فقط وهم فيها منتسبون في بحر عجمهم ووطانهم البربرية فيصحب عليهم تفصيل
 الملكة اللسانية بالتعليم بخلاف أهل الأندلس واعتبر ذلك بحال أهل المشرق لعهد
 الدولة الأموية والعباسية فكان شأنهم شأن أهل الأندلس في تمام هذه الملكة وأجادها
 لبعدهم لذلك العهد عن الأعاجم ومخاطبتهم إلا في القليل فكان أمر هذه الملكة في ذلك
 العهد أقوم وكان فحول الشعراء والكتّاب أوفر لثوفر العرب وإنائهم بالمشرق وأنظر ما
 اشتمل عليه كتاب الأغاني من نظمهم ونثرهم فارت ذلك الكتاب هو كتاب العرب
 وديوانهم وفيه لغتهم وأخبارهم وأيامهم وملتهم العربية وسيرتهم وأثار خلفائهم وملوكهم
 وأشعارهم وغناهم وسائر مغانهم إلا فلا كتاب أوجب منه لأحوال العرب وبقي أمر هذه
 الملكة مستحكما في المشرق في الدولتين وربما كانت فيهم أبلغ من سواهم من كان في
 المجاهلية كما نذكره بعد حتى تلاشى أمر العرب ودرست لغتهم وفسد كلامهم وانقضى أمرهم
 ودولتهم وصار الأمر للأعاجم والملك في أيديهم ولتقلب لم وذلك في دولة الديلم والسلاجقة
 وخاطبا أهل الأمصار والحاضر حتى بعدوا عن اللسان العربي وملكنه وصار متعلما
 منهم مقصرا عن تحصيلها وعلى ذلك نجد لسانهم لهذا العهد في فني المنظوم والمنثور فإن
 كانوا مكثرين من الله بخلق ما يشاء ويختار والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لا ريب وإياه

الفصل الخامس والأربعون

في انقسام الكلام إلى فني النظم والنثر

اعلم أن لسان العرب وكلامهم على فني في الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقي
 ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية وفي النثر وهو الكلام غير
 الموزون وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام فاما الشعر ففنه
 المدح والهجاء والزنا وإما النثر ففنه السجع الذي يروي بقسما ويتنم في كل كلمتين
 منه قافية واحدة يسمى سجعاً وهو المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقاً ولا يقطع
 أجزاء بل يرسل أرسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها ويستعمل في المنطوق والنداء
 وترغيب المجهور وترهيبهم وإما القرآن وإن كان من المنثور إلا أنه خارج عن الوصفين
 وأيسر يسمى رسالة طلقاً ولا يسمى سجعاً بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانها
 الكلام عندها ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها وينتهي من غير التزام بحرف يكون

من لغات اهل الامصار اعرق في العجمة وابعد عن لسان مصر قصر بصاحبه عن تعلم
 اللغة المصرية وحصول ملكها لتتمكن المناقاة حقيقته واعتبر ذلك في اهل الامصار قاهل
 افرقية والمغرب لما كانوا اعرق في العجمة وابعد عن اللسان الاول كان لهم قصور تار
 في تحصيل ملكته بالتعليم ولقد نقل ابن الرقيق ان بعض كتاب القبروات كتب الى
 صاحب له يا اخي ومن لا عدمت فقه اعلمني ابو سعيد كلانا امك كمت ذكرت انك
 تكون مع الذين تاتي وعاقنا اليوم فلم يهيا لنا المخرج ولما اهل المنزل الكلاب من امر
 الذين فقد كذبوا هذا باطلا ليس من هذا حرفا واحدا وكنت اليك وانا مشتاق اليك
 ان شاء الله وهكذا كانت ملكهم في اللسان المصري شبيه ما ذكرنا وكذلك اشعارهم كانت
 بعيدة عن الملكة نازلة عن الطبقة ولم ترزل كذلك لهذا العهد ولهذا ما كان بافرقية من
 مشاهير الشعراء الا ابن رشيق وابن شرف واكثر ما يكون فيها الشعراء طارئين عاجبا
 ولم ترزل طبقتهم في البلاغة حتى الان مائلة الى القصور والهل الاندلس اقرب منهم الى
 تحصيل هذه الملكة بكثرة معانائهم وامتلأهم من المعنوظات المتقوية نظما ونثرا وكان
 فيهم ابن حبان المورخ امام اهل الصناعة في هذه الملكة ورافع الراية لم فيها وابن عبدربه
 والقسطلاني وامثالهم من شعراء ملوك الطوائف لما زخرت فيها بجمار اللسان والادب
 وتداول ذلك فيهم مشين من السنين حتى كان الانقراض والهجلاء ايام تغلب الصراينة
 وشغلوا عن تعلم ذلك وتنافس الممران فتناقص ذلك شان الصنائع كلها فتقصرت الملكة
 فيهم عن شانها حتى بلغت الحضيض وكان من اخرهم صالح بن شريف وذلك من مرجل
 من طبقة الطبقة الاشديون بسببة وكتاب دولة ابن الاسمر في اولها والقت الاندلس
 افلاذ كبدها من اهل تلك الملكة بالهجلاء الى العدة لعدة الاشديلة الى سببة ومن
 شرق الاندلس الى افرقية ولم يلبوا الى ان انقرضوا وانتفع سند تعليمهم في هذه الصناعة
 ليسر قبول العدة لها وصعوبتها عليهم بهوج السهم وربوهم في العجمة البربرية وفي
 مناقية لما قلناه ثم عادت الملكة من بعد ذلك الى الاندلس كما كانت ولهم بها ابن بشرين
 وابن جابر وابن الجباب وطبقتهم ثم ابراهيم الساحلي الطرشي وطبقة وقفاهم ابن الخطيب
 من بعدهم لما لك لهذا العهد شيئا بسعاية اعدائهم وكان له في اللسان ملكة لا تدرك
 ورائع اثره تلوذ به بعده وبالهجلاء فشان هذه الملكة بالاندلس اكثر وتعاليمها يسر واسهل
 بما هم عاين لهذا العهد كما قدمناه من معانة عاوم اللسان ومخافاتهم عاجبا وعلى علوم الادب
 وسند تعاليمها ولان اهل اللسان العجمي الذين تنسد ملكتهم انما هم طارقون عليهم وليست

يأتفون به ما تضمنهم من تطبيق الكلام على المقصود ومقتضى الحال فيه ويجبرونه بذلك
 القدر من التزيين بالاسجاع والالفاظ البدعية ويفعلون بما سوى ذلك وأكثر من اخذ
 بهذا الفن وبالغ فيه في مآثر الخفاء كلامهم كتاب المشرق وشعران لهذا العهد حتى انهم
 ليخيلون بالاعراب في الكلمات والنصريف اذا دخلت لم في تجنيس او مطابقة لا يسمعون
 معها فيرتجعون ذلك النصف من التجنيس ويدعون الاعراب وينسبون بنية الكلمة
 عما ما تصادف التجنيس فتأمل ذلك بما قدمناه لك تفصيلا في محبة ما ذكرناه والله الموفق
 للصواب به وكرمه والله تعالى اعلم

الفصل السادس والاربعون

في انه لا تنطق الا جادة في فني المنظوم والمأثور مما لا للاقل
 والاسبغ في ذلك انه كما بيناه ملكة في اللسان فاذا تسبقت الى معاد ملكة اخرى قدسرت
 بالمثل عن تمام الملكة اللاحقة لان تمام الملكات وهو ما لا يطابق انقي على النظرة الاولى
 اسهل وايسر واذا تقاسمت اركبة اخرى كانت منازعة لما في المادة القابلة وجازية عرب
 سرعة التبرل فرقة من المناقاة وتدل الزام في الملكة وهذا من جود في الملكات البرنامية
 كلها على الاطلاق وقد برهننا جليدي في موضع آخر من هذا البرهان فانه يورثه في اللغات
 فانها ملكات اللسان وهي بمنزلة الصناعة اذ اقل من تقدم له شيء من النتيجة كقبح يكون
 قاصرا في اللسان العربي ابدأ فالاعجمي الذي سبقت له اللغة الفارسية لا يستولي على ملكة
 اللسان العربي ولا يزال قاصرا فيه ولو تملك وطلة وكذا البربري والرومي والافريحي
 قل ان تجد احدا منهم يحكم الملكة اللسان العربي وما ذلك الا لما سبق الى السنين من
 ملكة اللسان الاخر حتى ان طالب العلم من اهل هذه اللسان اذا طلبه من اهل اللسان
 العربي جاء مقصرا في مآثره من الغاية والفصول وما اوتي الا من قبل اللسان وقد
 تقدم لك من قبل ان اللسان واللغات شبهة بالصنائع وقد تقدم لك ان الصنائع
 وملكاتها لا تزدحم بان من سبقت له الجادة في صناعة تنبئ ان يبعد اشترى او يستولي
 فيها على الغاية والله خاتكم وما تعلمون

الفصل السابع والاربعون

في صناعة الشعر ووجه تسميته

هذا الفن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عندهم ويوجد في سائر اللغات

صحتها ولا فائدة وهو معنى قوله تعالى انزل احسن الحديث كتابا متشابها معاني تشعير
 منه بخارج القدين عيشون رزقهم وقال قد فصلنا الايات وبسبب اخر الايات منها فواصل اذ
 لم يثبت انباءها ولا التزم فيها ما يلتزم في السبع ولا هي ايضا قرياض واطلاق اسم الثاني على
 ايات القرآن كلها على النصوص لما ذكرناه واختصت بام القرآن للقلبة فيها كالنعم الثاني
 ولهذا ذهب السبع الثاني وانظر هذا مع ما قاله المنسرون في تعليل تسميتها بالثاني
 يشهد لك الحق برجح ما قلناه . واعلم ان لكل واحد من هذه الفنون اساليب تخص به
 عدد اثاره ولا فصل للثاني الاخر ولا تستعمل فيه مثل النسب المقتضى بالشمع والحمد
 والدعاء المقتضى بالخشط والدعاء المقتضى بالمخاطبات وامثال ذلك وقد استعملت
 المنسرون اساليب الشعر ومما رتبته في المشور من كثرة الاستيعاب والتزام التقنية وقدم
 الاسلوبين يدي الافتراض وشار هذا المشور اذا ناله ثمة من باب الشعر وفنه ولم يفترا
 الا في الزن واستمر المناخرون من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها في المخاطبات
 السابعة الثانية وقد سرت الاستعمال في المشور كله على هذا الفن الذي ارتضوه وخلطوا الاساليب
 فيه وطمروا المرسل وناسوه وخصوصا اهل المشرق وصارت المخاطبات السلطانية لهذا
 العهد عند الكتاب المنفل جارية على هذا الاسلوب الذي اشرنا اليه وهو غير صواب
 من جهة الملائمة لما يلاحظ في تعاقب الكلام على مقتضى الحال من احوال المخاطبات
 والمخاطبات وهذا الفن المشور المقتضى ادخل المتأخرون فيه اساليب الشعر فوجب ان
 تنزه المخاطبات السلطانية عنه اذا اسلب الشعر تنافها للودعية وخلط الحمد بالفرح
 والاطياب في الاوصاف وضرب الامثال وكثرة التشبيهات والاستعارات بحيث لا تدعو
 ضرورة الى ذلك في المخاطبات والتزام التقنية ايضا من اللزعة والتزيين وجلال الملك
 والسلطان وخطاب الجمهور عن الملوك بالترغيب والترهيب ينافي ذلك وبإية
 والمحمود في المخاطبات السلطانية الترسيل وهو اطلاق الكلام وارساله من غير تجميع الا
 في الاقل النادر وحيث ترسله الملكة ارسالا من غير تكلف له ثم اعطاه الكلام حقة في
 مطابقته لمقتضى الحال فان المقامات مختلفة ولكل مقام اسلوب مخصوص من اطلاق الالفاظ
 او حذفها او اثبات او تصريح او اشارة وكناية واستمارة واما اجراء المخاطبات السلطانية
 على هذا النحو الذي هو على اساليب الشعر فمذموم وما حمل عليه اهل العصر الاستيلاء
 الصلبة على السنتهم وقصورهم لذلك عن اعطاء الكلام حقة في مطابقته لمقتضى الحال
 فيجوز عن الكلام المرسل البعد منه في البلاغة والتفاسح خطوه واولها بهذا المعجم

في تنزيل الكلام في قواله ولا يكفي فيه ملكة الكلام العربي على الإطلاق بل يحتاج
بخصوصه الى تاليف ومحاولة في رعاية الاساليب التي اختصها العرب بها واستعمالها والذكر
هنا سلوك الاسلوب عند اهل هذه الصناعة وما يريدون بها في اطلاقهم فاعلم انما عبارة
عندهم عن المتوال الذي يتبع به التراكيب والفاظ الذي يفرغ فيه ولا يرجع الى الكلام
باعتبار افادته اصل المعنى الذي هو وظيفة الاعراب ولا باعتبار افادته كمال المعنى من
خصوص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب
فيه الذي هو وظيفة العروض ثم هذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية وانما
يرجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك
الصورة يتزعمها الذهن من اعيان التراكيب واشخاصها ويصيرها في التمثيل كالفاظ
او المتوال ثم ينتفي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الاعراب والبيان فيربصا فيه
رضا كما يفعل البناء في الفال لب او النسيج في المتوال حتى يتسع الفال لب بموصول التراكيب
الرافعة بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه فان
أكل فن من الكلام اساليب تختص به وتوجد فيه على النحاء مختلفة فسرال الطلول في الشعر
يكون بمطاب الطلول كقولو بادارية بالعلياء فالسند ويكون باستدعاء الصحب للترتوف
والسؤال كقولو قفا نسال الدار التي خفاها لها . او باستكفاء الصحب على الطلل كقولو .
قفا نيك من ذكرى حبس ومنزل . او بالاستفهام عن الجواب لمخاطب غير معين كقولو .
الم تسال فتنبك الرسوم . ومثل تحية الطلول بالامر لمخاطب غير معين بجملة كقولو .
حي الديار بجانب الفزل . او بالدعاء لها بالسقيا كقولو

اسقي طلوعم اجش هدم وغدت عليهم نصرة ونعيم

او سؤالا السقيا لها من البرق كقولو

يا برق طالع منزل بالابرق واحد الصحاب لها حذاء الابرق

او مثل التفعيع في المجرع باستدعاء البكاء كقولو

كذا قليل الخطيب وليقذغ الامر وليس لهين لم ينض ماؤها عذر

او باستعظام الحادث كقولو . ارايت من حملوا على الاعواد . او بالتعجيل على الكون
بالمصيبة لتفد كقولو

منابت العشب لا حام ولا راع مضى الردى بطويل الرمح والباع

او بالانكار على من لم يتفجع له من الجهادات كقولو الخارجية

الآن الآن انما نتكلم في الشعر الذي للعرب فان امكن ان نجد فيه اهل اللسان الاخرى
 مقصودهم من كلامهم والا فلكل لسان احكام في البلاغة فخصه وهو في لسان العرب غريب
 النزعة عزيز المعنى اذ هو كلام متصل قطعاً قطعاً متساوية في الوزن متحدة في الحرف
 الاخير من كل قطعة وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتاً ويسمى الحرف
 الاخير الذي ينتهي فيروياً وقافية ويسمى جملة الكلام الى اخره قصيدة وكلية ويندر
 كل بيت منه بافادته في تراكيبه حتى كانه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده واذا
 افرد كان تاماً في ياء في مدح او تشبيب او رثاء فيحرص الشاعر على اعطاء ذلك البيت
 ما يستقل في افادته ثم يستأنف في البيت الاخر كلاماً اخر كذلك ويستطرد الخروج
 من فن الى فن ومن مقصود الى مقصود بان يوطي المقصود الاول ومما ياتي الى ان تناسب
 المقصود الثاني ويبعد الكلام عن التافركا يستطرد من التشبيب الى المدح ومن وصف
 البدياء والطول الى وصف الركاب او الخيل او الظيف ومن وصف المدح الى وصف
 قومه وحساركه ومن التفييم والعزاء في الرثاء الى التائر وامثال ذلك وبراعي فيوافق
 القصيدة كما في الوزن الواحد جذراً من ان يتساهل الطيف في الخروج من وزن الى
 وزن يتاربه فقد يمتحن ذلك من اجل المقاربة على كثير من الناس وهذه الموازين شروط
 واحكام فقصدها علم العروض وليس كل وزن يتفق في الطبع استعماله العرب في هذا
 الفن وانما هي اوزان مخصوصة تسببها اهل تلك الصناعة الجبر وقد حصروها في خمسة
 عشر بيتاً بمعنى انهم لم يبدروا للعرب في غيرها من الموازين الطبيعية نظراً . واعلم ان فن
 الشعر من بين الكلام كان شريفاً عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم واجهارهم
 وشاهد صراحيهم ونظامهم واصداً برجمون الروي الكثير من علومهم وحكمهم وكانت
 مكاتبة مشقة فيهم شات المكاتبات كلها والمكاتبات اللسانية كلها انما تكتسب بالصناعة
 والارضاخ في كلامهم حتى يحصل فيه في تلك المكنة والشعر من بين الكلام حسب الماخذ
 على من يريد اكتساب مكاتبة بالصناعة من الماخذين لاستقلال كل بيت مدونه كالم
 تام في مقصوده ويصلح ان ينفرد دون ما سواه يحتاج من اجل ذلك الى نوع تلطف في
 تلك المكنة حتى يفرغ الكلام المشعري في قرايب التي حرفت له في ذلك المعنى من شعر
 العرب ويذره مستغنياً بنفسه ثم يأتي بيت اخر كذلك ثم يبيت ويستكمل الفنون الوافية
 بمقصوده ثم يناسب بين البيوت في من الالة بعضها مع بعض بحسب اختلاف الفنون التي
 في القصيدة ولصعوبة صفاء وغرابة فنو كان محكماً للتراجم في استنباطه اساليباً وشيخاً الاقمار

على المبال في هذا كان من تأليف الكلام مفرداً عن نظراً للنحوي والبيان والعروضي نعم
 أن مراعاة قوانين هذه العلوم شرط فيولا يتم بدونها فإذا تفصلت هذه الصناعات كلها في
 الكلام اختص بتوزيع من النظر لطريف في هذه التواليف التي يسمونها اساليب ولا يفيد
 الاحتفاظ بكلام العرب نظراً ونظراً وإذا تقرر معنى الأسلوب ما هو فلنذكر بعده حداً أن
 ربما للشعر به تنهم حقيقة على صعوبة هذا الفرض فانا لم نقف عايناً لاجد من المتقدمين
 فيها رأينا وقبول العروضيين في حده أنه الكلام الموزون المتي ليس بجيد لهذا الشعر الذي
 نحن بصده ولا رسم له وصناعته إنما تنظر في الشعر باعتبار ما فيه من الأعراب واللائحة
 والوزن والتواليف الخاصة فلا جرم أن حدهم ذلك لا يصلح له عدداً فلا بد من تعريف
 بعضنا حقيقة من هذه الحقيقة فنقول الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستمارة
 والأوصاف المتصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في فرضه
 ومقصده ما قبله وبعده المجازي على اساليب العرب المخصوصة بقولنا الكلام البليغ
 جنس وقولنا المبني على الاستمارة والأوصاف فعل عايناً من هذه فائدة في التاليف ليس
 بشعر وقولنا المنجز بأجزاء متفقة في الوزن والروي فصل له عن الكلام المنثور الذي ليس
 بشعر عند الكل وقولنا مستقل كل جزء منها في فرضه ومقصده عايناً وبعده باعتبار
 الحقيقة لأن الشعر لا يكون ابانة الا كذلك ولم يفصل بيني وقولنا المجازي على الاساليب
 المخصوصة بفصل له عالم يميزه على اساليب العرب المعروفة فائدة حبشلة لا يكون
 شعراً إنما هو كلام متعارف لأن الشعر له اساليب خاصة لا تكون للشعر وكذا اساليب
 المنثور لا تكون للشعر فما كانت من الكلام منظوماً وليس على تلك الاساليب فلا يكون
 شعراً وهذا الاعتبار كان الكثير من لفتنا من شيوخنا في هذه الصناعة الادبية برون
 أن نظم المتنبي والمصري ليس هو من الشعر في شيء لانهم لم يجرى على اساليب العرب من
 الامم عند من يرى ان الشعر يوجد للعرب وغيرهم ومن يرى انه لا يوجد لغربهم فلا يحتاج
 الى ذلك ويقول مكانه المجازي على الاساليب المخصوصة وأذ قد فرغنا من الكلام على
 حقيقة الشعر فلنرجع الى الكلام في كيفية عمله فنقول اعلم ان لعمل الشعر واحكام صناعته
 شروطاً اولها الخفلة من جنس اي من جنس شعر العرب حتى تتشأ في النفس مأكدة
 يتبع على منوالها ونزير المأخوذ من البحر التي الكثير الاساليب وهذا المأخوذ المختار اقل
 ما يكفي فيه شعر شاعر من النحل الاسلاميين مثل ابن ابي ربيعة وكثير وذوي الزمر
 وجبريل وابن نواس ومسيب والجندي والرضي والي فراس وأكابرهم شعركاتب الاعاني لانه

أما خبر الخبايا ما لك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف
 أو تجهية فريقه بالراحة من ثقل وهاثو كقولك
 التي الرياح ربيعة بنت نزار. أودى الردى بفريقك المخوار
 وأمثال ذلك كثير في سائر فنون الكلام ومذاهبها وتنظم التراكيب فيها بالجميل وغير
 الجمل انشائية وخبرية اسمية وفعالية متفقة وغير متفقة مفصولة وموصولة على ما هو شأن
 التراكيب في الكلام العربي في مكان كل كلمة من الأخرى يعرفك فيوما تستفيد
 بالارتياض في اشعار العرب من القالب الكلي المبرر في الذهن من التراكيب المعينة التي
 يطبق ذلك القالب على جميعها فإنت مولف الكلام هو كالبنا أو النساخ والصورة
 الذهبية المطبقة كالقالب الذي يبنى فيه أو المنوال الذي يتبع عليه فان خرج عن
 القالب في بقاء أو عن المنوال في تشبيه كان قاسداً ولا نقول ان معرفة قوانين البلاغة
 كافية في ذلك لانا نقول قوانين البلاغة انما هي قواعد غاية قياسية تنبذ جوار استعمال
 التراكيب على هيأتها الخاصة بالقياس وهو قياس على شيء متطرد كما هو قياس القوانين
 الاعرابية وهذه الاساليب التي نحن نقرر لها ليس من القياس في شيء انما هي هيئة توضع
 في النفس من تبع التراكيب في شعر العرب لم يأتها على الساذج حتى تعجز صورها
 فيستفيد بها العمل على مثالها والاحتذاء بها في كل تركيب من الشعر كما قدمنا ذلك في
 الكلام باطلاق وزن القوانين العلمية من العربية والبيان لا تقيد فعليمة بوجه وليس كل
 ما يصح في قياس كلام العرب وقوانينه العلمية استعماله وإنما المستعمل عندهم من ذلك
 اتقاء معرفة مطلع عليها المحافظون لكلامهم تندرج صورها تحت تلك القوانين القياسية
 فإذا نظر في شعر العرب على هذا النحو وبهذا الاسلوب الذهبية التي نصير كالقالب
 كان نظراً في المستعمل من تراكيبهم لا فيما يقتضيه القياس ولهذا قلنا ان المصلح لهذه
 القالب في الذهن انما هو حفظ اشعار العرب وكلامهم وهذه القالب كما تكون في المنظوم
 تكون في المنثور فان العرب استعمالهم في كلا الفنين وجاء به منفصلاً في النوعين
 ففي الشعر بالقطع الموزونة والآثافي المتردة واستغلال الكلام في كل قطعة وفي المنثور
 يعتبرون الموازنة والنشابة بين النظم غالباً وقد يبدونه بالاسجاع وقد يرسلونه وكل
 واحدة من هذه معروفة في لسان العرب والمستعمل منها عندهم هو الذي يبنى مولف
 الكلام عليه تاليفه ولا يعرفه الا من حفظ كلامهم حتى يجرد في ذهني من القالب المعينة
 الشخصية قالب كلي مطلق يخلو حسوه في التاليف كما يمتدو البنا على القالب والنساخ

الله يعينون شعر إلى بكر^(١) بن خلفاجة شاعر شرق الاندلس لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد كما كانوا يعينون شعر المتنبي والمعري بعدم التمسح على الأساليب العربية كما مر فكان شعرها كلاماً منظوماً نازلاً عن طبقة الشعر والمحاكم بذلك هو الذوق والمطلب الشاعر أيضاً المحوشي من الألفاظ والمفرد وكذلك السوقي المبتدل بالندول بالاستعمال فإنه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة أيضاً فيصير مبتدلاً ويقرب من عدم الافادة كقولهم النار حارة والسما فوقنا ومقدار ما يقرب من طبقة عدم الافادة يبعد عن رتبة البلاغة اذا هارطافاً ولهذا كان الشعر في الربابيات والنبويات قليل الاجادة في الغالب ولا يحدق فيه الا القبول وفي القليل على العشر لان معانيها متداولة بين الجمهور وقصير مبتدلة لذلك واذا تذر الشعر بعد هذا كله فليراوضة ويعاوده فان الترجمة مثل الضرع بدر بالامتراء ويحب بالترك والاهال وبالحيلة هذه الصناعة وتعلمها مستوفى في كتاب العدة لابن رشيق وقد ذكرنا منها ما حضرنا بحسب المجهود ومن اراد استيفاء ذلك فعليه بذلك الكتاب ففيه البغية من ذلك وهذه نبذة كافية والله المعين وقد نظم الناس في امر هذه الصناعة الشعرية ما يجب فيها ومن احسن ما قيل في ذلك واظله لابن رشيق

لعن الله صنعة الشعر ماذا	من صنوف المجاهل منه لثيا
يؤثرون الغريب منه على ما	كان سهلاً للسامعين مينا
وزويت الحال معنى صحيحاً	وخسيس الكلام شيئاً ثميناً
يجهلون الصواب منه ولا يد	رون للجهل أنهم يجهلون
فهم عند من سوانا يلامو	ن وفي الحق عندنا يندرون
انما الشعر ما يناسب في النظم	وان كان في الصفات فنونا
فاني بعضه يشاكل بعضاً	واقامت له الصدور المتونا
كل معنى اناك منه على ما	تفتى ولم يكن او يكونا
فتناهي من البيان الما ان	كاد حسناً يبين للناظرنا
فكان الالفاظ منه وجوه	والله اني ركب فيها عيوننا
انما في المرام حسب الاماني	يفعل بحسنة المتشددنا
فاذا ما مدحت بالشعر حزناً	رمت فيه مذاهب المشتهينا
فجعلت التسبيح سهلاً قريباً	وجعلت المديح صدقاً مينا

جميع شعر أهل الطبقة الإسلامية كله والخيار من شعر المجاهلية ومن كان خالياً من المخطوط
 فخطبة قاصر ردي ولا يعطيه الروني والملاوة الاكثر المخطوط فمن قل خطبة او عدم
 لم يكن له شعر وإنما هو نظم ساقط واجتنب الشعر اولى بمن لم يكن له مخطوط ثم بعد الامتلاء
 من المخطوط وشجعت الفريجة للسمع على المنوال بقيل على النظم وبالاكثر منه تستقيم ملكته
 وترجح وربما يقال ان من شرطه نسيان ذلك المخطوط لتسهي رسومة الجهرية الظاهرة اذ
 هي صادرة عن استعمالها بعينها فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتفش الاسلوب فيها
 كانه منوال ياخذ بالسمع عليه بانماها من كلمات اخرى ضرورة ثم لا بد له من المخلقة
 واستفادة المكان المنظور فيه من المياه والازهار وكذا المسبوع لاستنارة الفريجة باستجماعها
 وتنشيطها بلاد السرور ثم مع هذا كله فشرطه ان يكون على حجام ونشاط فذلك اجمع
 له والخط للفريجة ان تأتي بذلك المنوال الذي في خطبه قالم وخير الاوقات لذلك
 اوقات البكر عند الهبوب من النوم وفراغ المعدة ونشاط الفكر وفي هولاء الجاهم وربما
 قالم ان من يراعى العشق ولا تشاء ذكر ذلك ابن رشيقي في كتاب العدة وهو الكتاب
 الذي انفرد بهذه الصناعة واعطاء حقها ولم يكتب فيها احد قبله ولا بعده مثله قالم
 فان استصعب عليه بعد هذا كله فليتركه الى وقت اخر ولا يكره تنسه عليه وليكن بناء
 البيت على القافية من اول صوغه ونسجه بعضها وبشيء الكلام عليها الى اخره لانه ان غفل
 عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها في محلها فرما تحي نافرة قلقة واذا سمح
 الخاطر بالبيت ولم يناسب الذي عنده فليتركه الى موضع الايقى فان كل بيت مستغل
 بنفسه ولم تنق الا المناسبة فليغير فيها كما يشاء وليراجع شعره بعد الخلاص منه بالنسج
 والنقد ولا يرضى به على الترك اذا لم يبلغ الاجادة فان الانسان مفتون بشعره اذ هو نبات
 فكره واختراع فريجه ولا يستعمل فيه من الكلام الا الافصح من التركيب والمخالص
 من الضرورات اللسانية فليجهرها فانها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة وقد حظرت
 اللسان عن المولد ارتكاب الضرورة اذ هو في سعة منها بالعدول عنها الى الطريقة المثلى
 من الملكة ويجنب ايضا الملقد من التركيب جهده وإنما يقصد منها ما كانت معانيه
 تسابق الفاظه الى الفهم وكذلك كثرة المعاني في البيت الواحد فان فيه نوع تعقيد على
 الذهن وإنما المختار منه ما كانت الفاظه طبقة على معانيه اراو في فان كانت المعاني كثيرة كان
 حشو واستعمل الدهن بالنقص عليها فبمع الذوق عن استيفاء مدركه من البلاغة ولا
 يكون الشعر سهلاً الا اذا كانت معانيه تسابق الفاظه الى الدهن ولهذا كان شيوخنا رحمهم

ان للسان ملكة من الملكات في النطق يحاول تحصيلها تكرارها على اللسان حتى تحصل
والفري في اللسان والنطق انما هو الالفاظ واما المعاني فهي في القباير وايضا المعاني موجودة
بعد شكل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يذاه ويرضى فلا يحتاج الى صناعة وتاليف
الكلام للعبارة عنها هو الحاجة للصناعة كما قلناه وهو نهاية التعليل للمعاني فكما ان الالفاظ
التي يختلف بها الماء من البحر منها آية الذهب والفضة والصدف والزجاج والمخرف والماء
واحد في نفسه وتختلف الجودة في الالفاظ المعروفة بالماء باختلاف جسمها لا باختلاف الماء
كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تاليفه
باعتبار نظيره على المقاصد والمعاني واحدة في نفسها ولما اجماع بتأليف الكلام ولما يليق
على مقتضى ملكة اللسان اذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن بمثابة المقعد الذي يروم
البروز ولا يستطاعه لقدان القدرة عاينوا لله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

الفصل التاسع والاربعون

في ان حصول هذه الملكة بكثرة المحفوظ وجودتها بجودة المحفوظ
قد قدمنا التاليف من كثرة الحذف لان يروم تعلم الاسانم العربي وعلى قدر جودة
المحفوظ وطريقه في جمعه وكثرت من قايه تكون جودة الملكة المحاصلة عنه للمحافظ فمن كان
مختلطة شعر حبيب او السابلي او ابن المعتز او ابن هاني او الشريف الرضي او رسائل
ابن المقفع او سهل بن هارون او ابن الزيات او الديبع او السابلي تكون ملكته اجود
واعلى مقامه ورتبة في البلاغة من ينفذ شعر ابن سهل من الماخزين او ابن الفقيه او ترسل
اليساسي او العاد الاصماني لنزول طبقة هؤلاء عرب او تلك يظهر ذلك البصر الناقد
صاحب الذوق وعلى مقدار جودة المحفوظ او المسبوع تكون جودة الاستعمال من بعده ثم
اجادة الملكة من بعدها فيارتقاء المحفوظ في طبقاته من الكلام ترتقي الملكة المحاصلة لان
الطبع انما يتبع على منزلها وتتفوق الملكة بغدتها وذلك ان النفس وان كانت في جبلتها
واحدة انما يتبع في مختلف في البشر بالثورة والضعف في الادراكات واختلافها انما هي
باختلاف ما يرد عليها من الادراكات والملكات والالوان التي تكيفها من خارج فبذلك يتم
وجودها وترجع الثروة الى الفعل صورها والملكات التي تحصل لها انما تحصل على التدرج
كأنه مناه الملكة الشعرية تنشأ عنفظ الشعر وملكة الكتابة ينفذ الاسجاع والرسيل والالهامة

وتعليت ما يلين في السبع وان كانت لفظه موزونا
 واذا ما عرضته بهجاء عبت فيه فداهب المرقبينا
 فجعلت الصريح منه دواء وجعلت التعريض داءه دفينا
 واذا ما بكيت فيو على العا دين يوما للدين والظاء عينا
 جلت دون الاسي وذلت ماكا ن من الدمع في العيون مصونا
 ثم ان كنت عاتاك جيت بالوعس وعيلنا بالصعوبة بينا
 فتزكت الذي عنتت طريو حذرا آمنا عزيزا مهينا
 واضح القريض ما قارب النظم وان كانت واضحا مستبينا
 فاذا قبل اطبع الناس طرا واذا رم اعجز المجرينا
 ومن ذلك ايضا قول بعضهم

الشعر ما قومت ربع صدوره وشددت بالتهذيب اس متونه
 ورايت الاطبا يشرب صدوره وفقت بالانجاز عور عيونيه
 وجمعت يوت قريو ويعيله وجمعت بين محبه ومعينه
 واذا ملحت به جوادا ما جلدنا وقضيت بالذكر حق ديونه
 اصغيت به نضش ورشيت وخصصته بتطيره وثبتوه
 فيكون جزلا في مساق صوفيه ويكون سهلا في انشاق فنونه
 واذا بكنت به الدبار واهلها اجرمت للمخزون ماء شؤونه
 واذا اردت كتابة عن ربة باينت يوت ظهوره ويطوونه
 فجعلت سامعة بشوب شكوكه بشؤونه وظنونه ييقنونه

فصل الثامن والاربعون

في ان صناعة النظم والثر انما في الالفاظ لا في المعاني
 اعلم ان صناعة الكلام نغما ونثرا انما في الالفاظ لا في المعاني وانما المعاني تبع لها
 وفي اصل فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر انما يباو لها في الالفاظ بمنزلة
 اطفالنا من كلام العرب ليكثر استعماله وجريته على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسانه
 مضر ويقلص من الهجعة التي ربي عليها في جهلا ويفرض نفسه امثلا وليد ينشأ في جبل
 العرب ويلقن لغتهم كما يلقتها الصبي حتى يصير كانه واحد منهم في لسانهم وذلك اما قدمنا

لله أنت ومن يقول هذا الكمال مطلق . ويظهر لك من هذا الفصل وما تقرر فيه من أن
 وهو اصطلاح السبب في أن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة والذوق منها من
 كلام الجاهلية في منظورهم ومنظورهم فانا نثبت شعر حسبان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة
 والحطيم بن عيسى بن الفرزدق ونصيب وغيلان ذي الرمة والأخوه وبقاؤهم في كلام المفسر
 من العرب في الدولة الأموية ومصدرا من الدولة العباسية في خطبتهم ونثرهم وشعاراتهم
 للملك أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعترة وابن الكلثوم وزهير وحطيم بن حيدة
 وطرفة بن العبد ومن كلام الجاهلية في منظورهم وشعاراتهم والطبع السليم والذوق الصحيح
 شاهدان بذلك لناقد الشعر بالبلاغة والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين ادركوا الإسلام
 سمعوا المنطقة الصالحة من الكلام في القرآن والحديث اللذين يميز البكر عن الأثيان بفعلها
 كونهما ألحقت في قلوبهم ونشأت على أساسها نفوسهم فنهضت طبائعهم وأرقت ملكاتهم في
 البلاغة على ملكات من تلهم من أدب الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نفعها فكان
 كلامهم في نظهم ونثرهم أحسن ديباجة وأصف رونقا من أولئك وأوصفت مدني وأعل
 نفقيا بما استفادوا من الكلام العالي في الطبقة وتامل ذلك يشهد لك به لو أنك ان كنت
 من أهل الذوق والبصيرة بالبلاغة . ولقد سألت يوما شيخنا العريق أبا التمام قاضي
 غرناطة لهدنا وكان شيخ هذه الصناعة أخذ بعنة عن جماعة من مشيختها من تلاميذ
 الشلوين وأجبر في علم اللسان وجاء من وراء الغاية في وفاء لئله يوما ما بال العرب
 الإسلاميين أعلى طبقة في البلاغة من الجاهليين ولم يكن المستنكر ذلك بدوقه فسكت
 طويلا قال لي والله ما أدري فقلت أعرض عليك شيئا ظهر لي في ذلك ولعله السبب فيه
 وذكرت له هذا الذي كتبت فسكت صمعا ثم قال لي يا فتوى هذا كلام من حق أن يكتب
 بالذهب وكان من بعدها يؤثر محلي ويصيح في مجالس التعليم إلى شولي ويعهد لي بالنهاة
 في العلوم والله خلق الإنسان وعلمه البيان

الفصل الخمسون

في ترفع أهل المراتب عن اتعال الشعر

اعلم أن الشعر كان دينا للأعراب في علومهم وأشعارهم وحكمهم وكان روضة العرب
 منافسون فيه وكانوا يتنزهون بسوقه كما دللنا أنه وعرض كل واحد منهم ديباجة على قول
 الشان وأهل البصر يتميز حوله حتى انتهى إلى المناغة في تعليل أشعارهم بأركان البيت

وتفريعها وتفرع الفروع على الاصول والنصوافية الربانية بالعبادات والإذكار وتعطيل
 الجواس الظاهرة بالخلوة والانفراد عن الخلق باستطاع حتى تحصل له ملكة الرجوع الى
 حبه الباطن وروحه ويقلب ربانيا وكذا سائرهما وللنفس في كل واحد منها لون تكييف
 به وعلى حسب ما تنفأت الملكة عليه من جودة اورداء تكون تلك الملكة في نفسها فلكه
 البلاغة العالية الطابقة في جنسها انما تحصل بحفظ العالي في طبقته من الكلام ولهذا كان
 الفقهاء واهل العلوم كلهم قاصرين في البلاغة وما ذلك الا لما يسبق الى محفوظهم ويبنى به
 من القوانين العلمية والعبارة الفنية الخارجة عن اسلوب البلاغة والناركة عن الطبقة
 لان العبارات عن القوانين والعلوم لاحظ لها في البلاغة فاذا سبق ذلك المخطوط الى النكر
 وكثر وتولدت به النفس جاءت الملكة الناشئة عنه في غاية التصور وانعزعت عباراته عن
 اساليب العرب في كلامهم ومكنا نجد شعر الفقهاء والخواص والمكلمين والفقهاء وغيرهم من
 لم يزل من حفظ النبي المحرم من كلام العرب . اخبرني صاحبنا الناضل ابو القاسم بن
 رضوان كاتب العلامة بالدولة المربنية قال ذكرت يوما صاحبنا ابا العباس بن شعيب
 كاتب السلطان ابي الحسن وكان المتدبر في البصر باللسان لعيده فانشدته مطلع قصيدة
 ابن الجوتي ولم اتسبها له وهو هذا

لم ادر حين وفقت بالاطلال ما النرق بين جديدها والبال
 فقال لي على البديهة هذا شعر فقيه فقلت له ومن اين لك ذلك قال من قوله ما
 الفرق اذ هي من عبارات الفقهاء وليست من اساليب كلام العرب فقلت له لله ابوك انا
 ابن الجوتي . واما الكتاب والشعر فليس كذلك فخيرهم في محفوظهم ومخالفاتهم كلام
 العرب واساليبهم في التمرسل وانفاهم له الجيد من الكلام . ذكرت يوما صاحبنا ابا
 عبد الله بن الخطيب وزير الملوك بالاندلس من بني الاسمر وكان الصدر المقدم في الشعر
 والكتابة فقلت له اجد استصعابا علي في نظم الشعر حتى رمته مع بصري به وحفظي للجيد من
 الكلام من القرآن والحديث وفنون من كلام العرب وان كان محفوظي قليلا فلما انيت
 والله اعلم من قل ما حصل في حفظي من الاشعار العلمية والقوانين الناليفية فاني حفظت
 منها في المشاطبي الكبرى والصغرى في التراءات وتدارست كتابي ابن الجاسج في اللغة
 والاصول وجمل الجوتي في المنطق وبعض كتاب التسهيل وكثيراً من قوانين العلم في
 بياض فامتلا محفوظي من ذلك وخذش وجه الملكة التي استعددت لما بالخطوط الجيد
 من القرآن والحديث وكلام العرب تماق القرينة عن بلوغها فظن اني ساءت هجاء قال

المطوق اوديزوس الشاعر واثنى عليه وكان في سحر ايضا شعرا مقدس ومن ولا فسد لسان
مضر ولقنهم التي دونت مقاييسها وقوانين اعرابها وفسدت اللسان من بعد بحسب مسا
خالها ومازجها من اللحية تكامت تحيل العرب بأنهم لغة من اختلفت لغة سلفهم من مضر
في الاعراب جملة وفي كثير من الموضوعات اللغوية وبناء الكلمات وكذلك انمض اهل
الامصار فثبات فيهم لغة اخرى خالفت لسان مضر في الاعراب واكثر الارباع
والنصاريف وخالفت ايضا لغة الجبل من العرب لهذا العهد واختلفت في نطقها بحسب
اصطلاحات اهل الافاق فاهل الشرق وامصار لغة غير لغة اهل المغرب وامصاره
وتخالفت ايضا لغة اهل الاندلس وامصاره ثم لما كان الشعر موجودا باطلع في اهل كل
لسان لان الموازين على نسبة واحدة في اعداد المتفرقات والساكن وتقالها موجودة في
طباع البشر فلم يجر الشعر بقلدان لغة واحدة وفي لغة مضر الذين كانوا محمل وقرسات
ميدان وحسب اشهر بين اهل الخلقة بل كل جيل واهل كل لغة من العرب المستعجمين
واحضروا اهل الامصار يتعاطون منه ما يطاعونهم في انفعالهم ووصف بنائهم على مبع كلامهم
فاما العرب اهل هذا الجبل المستعجمين عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا
العهد في مائر الاعراب على ما كان عليه سلفهم المستعجمين وباتون منه بالمطولات مشغلة
طلي مذاهب الشعر واغراضه من النسيب والمدح والرائه والهجاء ويستطردون في الخروج
من فن الى فن في الكلام وربما يجهلوا على المنصود لاول كلامهم واكثر ابتدائهم في قصائد هيام
الشاعر ثم بعد ذلك ينسبون فاهل امصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالاصبعيات
نسبة الى الاصبعي راوية العرب في اشعارهم واهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من
الشعر بالبدوي وربما يلقون فيه الحاننا بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية ثم يقنون
به ويسمون الغناء به باسم الجوراني نسبة الى حوران من اطراف العراق والشام وفي من
منازل العرب البادية ومساكنهم الى هذا العهد . ولم فن آخر كثير التداول في قديمهم
يسمون به مصابغا على اربعة اجزاء يتخالف اخرها الثلاثة في روي يلقونهم القافية الرابعة
في كل بيت الى اخر القصيدة شيئا بالمرح والخمس الذي احدته المتأخرون من المولدين
ولم يزل العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم القول والمتأخرون والكثير من المتأخرين
العلوم لهذا العهد وخصوصا علم السامر يستنكر هذه الفنون التي لم اذا سمعها ويسمى قديمهم
اذا اشد ويعتقد ان ذوقنا لما عليها الاستعجابا وقلدان الاعراب منها وهذا انما اتى من
فقدان الملكة في لغتهم فلم تحصل له ملكة من ملكاتهم لشدة له طيبة وذوقه بل اغتيا ان

الحرام موضع حميم وبيت ابراهيم كما فعل امرؤ القيس بن جهمر والناطقة الدنيا في وزهر بن
 الياسبي وشترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلمية بن عبد الواعشى وغيرهم من اصحاب
 المعانيات السبع فانه انما كان يتوصل الى تعليل الشعر بها من كانت له تدرة على ذلك
 بقوم وعصبيته ومكانه في مصر على ما قيل في سبب تسميتها بالمثلاث ثم انصرف العرب
 عن ذلك اول الاسلام بما شغلهم من امر الدين والنبوة والرحمة وما ادهشهم من اسلوب
 القرآن ولفظه فامسروا عن ذلك وسكتوا عن المنقوض في نظم والمثرا فاستقر
 ذلك واراد من الرشد من الملك ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره وممنعة النبي صلى الله
 عليه وسلم واثاب عليه فرجعوا خيفة الى ديدهم منه وكان لهم في ربيعة كبير قريش
 لذلك العهد مقامات فيه ما لية وطيفة مرتفعة وكان كثيرا ما يعرض شعره على ابن عباس
 فيقبض لا يتأخيه معجبا بآدم جاءه من بعد ذلك الملك والدولة العزيرة وقدم اليهم العرب
 باشعارهم بتدحروهم بهاء ويحيزهم الخلفاء باعظم الجوائز على نسبة الجودة في اشعارهم ومكانهم
 من قروم ويحرضون على استبداء اشعارهم بطلعون منها على الآثار والاختبار واللفظ وشرفها
 اللسان والعرب بها لبون وليدم يحتفظها ولم يزل هذا الشأن ايام بني امية وصدر من
 دولة بني العباس وانظر ما نقله صاحب العقد في مسامرة الرشيد للاصمعي في باب الشعر
 والشعراء نجد ما كان عليه الرشيد من المعرفة بذلك والروخ فيه والعناية باقتضائه والبصر
 بجيد الكلام وردئه وكثرة حفظه منه ثم جاء خلق من بعدهم لم يكن اللسان لسانهم من
 اجل النسيبة وتقصيرها باللسان وانا تعلمه صناعة ثم مدحوا باشعارهم امراء العجم الذين
 ليس اللسان ثم طال بين معروفهم فقط لاسوي ذلك من الاغراض كما فعله حبيب لم يجتري
 والمتنبي وابن هاني ومن بعدهم ولم جراً قصار غرض الشعر في الغالب انما هو الكذب
 والاستبداء للذهب المنافع التي كانت فيه للاولين كما ذكرناه انما واقتب منه لذلك اهل
 الهيم والارانب من المتأخرين وتغير الحال واصبح تعاطوه هجنة في الرئاسة رذيلة لاهل
 المناصب الكثرة والله مغالب الليل والنهار

الفصل الحادي والخمسون

في اشعار العرب واهل الامصار لهذا العهد

اعلم ان الشعر لا ينفص باللسان البر في فقط بل هو موجود في كل لغة سواء كانت
 عربية او عجمية وقد كان في الفرس شعراء وفي يونان كذلك وذكر منهم ارسلوا في كتاب

كان سلبها من الافات في فطريته ونظيره والا فالاعراب لا تدخل في البلاغة انما البلاغة مطابقة الكلام للقصود ولتقتضي الحال من الوجود فيو نسوا لو كان الرفع دالا على الفاعل والنصب دالا على المنفعل او بالعكس وانما يدل على ذلك قرائن الكلام كما هو لغتهم هذه فالدلالة بحسب ما يصطليح عليه اهل الملكة فاذا عرف اصطلاح في ملكه واشهر صحة الدلالة واذا طابقت تلك الدلالة للقصود ومقتضى الحال صححت البلاغة ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك واساليب الشعر وفنونه موجودة في اشعارهم هذه ما عدا حركات الاعراب في اواخر الكلم فان غالب كلماتهم موقوفة الاخر ويميز عندهم الناعل من المنفعل والمبتدأ من الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الاعراب فمن اشعارهم على لسان الشريف ابن هاشم ببكى ابيازية بنت سريجان وبذكر ظنهما مع قومها الى المغرب

قال للدريغ ابن هاشم علي	نرى كيدي حرا شكت من زفيرها
ينزل للاعلام ابن ما رات خاطري	برد اعلام البدوياني عصيرها
وماذا شكت الروح ما طرا لها	عذاب وداع تلت الله خيرها
بحسن قطاع عامري ضميرها	طوى وهند جاءني ذكرها
وهادت كما خيرة في يد غاسل	على مثل شوك الطلع عقدوا يسيرها
تجا بدوها اثنين والزرع بينهم	على شول لعه والمعا في جبرها
وبات دموع العين ذارقات لثامها	شبه دوار السواني يدبرها
تدارك منها الحيم حذرا ورادها	مروان يحمي مترا كبا من صيرها
لصبيتي التيان من جانب الصفا	عبرن ولحاف البرق في غدبرها
ها ايقني مني سنا بليت غدرة	اننداد ناحيت مني حتى فقيرها
ونادى المهادي بالرحيل وشددوا	وعرج غاربها على مستعيرها
وشد لها الادم دياب بن غنم	على بد ماضي وليد مقرب مسيرها
وقال لم حسن بن سرحان غرير	وسوقا الشيوخ ان كان ناهو خيرها
وبدلس وسده سها بالسليح	وبالبيان لا يتجسروا في صغيرها
غدري زمان السخيم عابس الوجي	وما كان بري من حمير وميرها
غدري وهو زعجا صديقي وصاحبي	وباليه ما من درمي ما يدبرها
ورجع يقول لم بلاد ابن هاشم	لخير البلاد المعطشة ما يجيرها
حرام على باب بغداد وارضاها	داخل ولا عائد لك من بعيرها

بهزنا غناك النور من غير شامس احب بلاد الله عندي حشامها
 الى منزل بالجعفرية للذي مقيم بها ما لذ عندي مقامها
 ونلقى سرادة من هلال بن عامر بزل الصدي والزل عني سلامها
 هم نضربها بالمال شرقا ومغربا اذا قاتلنا قريبا سريع انصرامها
 عليهم ومن هو في حمام شقية من الدهر ما غنى بقية حشامها
 فدع ذارلا ناسف على سالف مضى ترى الدنيا ما دام لا بعد درامها
 ومن اشعار المشاهير منهم قول خالد بن حمزة بن عمر بنج الكعبون من اولاد ابي الول
 ويا زب اقبال اولاد مهمل ويحيى شاعر مهمل بن مسكينة بن مهمل عن ايامه فخر عليهم
 فيها بقوه

يقول وذا قول المصاحب الذي ثنا قوارع قيعات بعاني مصاحبها
 يرجع بها حادي المصاحب اذا انشئ فترتا من انشاد القرافي عرابها
 شجرة عذارة من ثنائسنا شدي بها تام الرضا ملها بها
 مشربا عن نافذ في محضربا محبة القيصاف داني ودابها
 وهبض عند كاري طاي اشرى الندي قوارع من شبل وهدي بربابها
 اشبل مجتبا من حبا كطرافف فراح يرجع المرحمين الننا بها
 فخرت ولم تقصر ولا انت عادم سوى قلت في جمهور ما دابها
 لغزلك في ام المئين بن حمزة وحاني عماما حاديا في حرابها
 اما نعام الله قاصبا بعد ما انى ربابس بنى يحيى وحلاق دابها
 شهابا من اهل الامر يا شبل تارق وبل ريت من بالورج طاهل بها
 شواهد طمانا راضرت بعد طنرو وانما علقاما عاصر انا بها
 واضرم بعد الطفيعين التي صحت نعاما الى بيت المذا يقتدى بها
 كما كان هو بها على ناسف رجاء بنى كعب الذي يفتي بها
 وديها في العتاب

وليا تعاندي انا انشئ لاني غنيت بعدلاق النبا دار نصابها
 على ونا قدشع بها كل مبع بالابيات تسانى الندي من وثابها
 فان كانت الاملاك بشت حرايس عاينا بامرانف اتنا انشأ بها
 ولا نقرها الارهاف ودبل وزرق السابا والملايا ركابها

تظل على أحداث الثعالب السواربي يظلم البحر فوق التصاري فصيلها
ومن شمع سلطان بن مظفر بن يحيى من الزواردة أحد بطون رياح واهل الرياسة فهم
يقولوا وهو معتقل بالمدينة في بين الاميرالي تركن داهن ابي حفص اول ملوك افر بقة من الموحدين
يقولون في نوح الدجا بند ذهبة حرام على اجنان هيفي بنامها
ايا من لقي حاله الوجدن الاسى وروحاها يمي طال ما في سقاها
تتبارزة بدو مسة عربية عداوية ولها ببيعة مراصها
مؤولة بالبدو لا تالف الثرى سواك بل الوعسا بها في خياها
عنان ومشتها بها كل مربة معجونه بها ولها صحيج غرامها
ومرابعها عشب الاراضي من الحيا لوانى من المحور الحلايا حسامها
تسوق بسوق العين ما تداركت عليها من السحب السواربي غمامها
وماذا بكت بالمام وماذا تخطت عيون تنذرية المزن عذابا جمامها
كان شروس البكر لا تستثياها عليها ومن زمر الاثافي سزاها
فلاة ودينا وانما ع ومنسمة ومرعى سرى نافي سراجي ندامها
ومشربها من مخض ان شولها عليهم ومن لم السواربي طدامها
فما تبذل الا ارباب المرقص الذي يبيع الذي بها بقامي زحامها
سكن اللهذا الرادى المخير بالسيا وبلاذ ويحيى ما يلي من ردامها
فكاناها بالثر منى رابتي ظفرت بايام مضت في ركادها
لها لي افراس الصبا في سوادى اذا تمست لا تخطى من ايدى سهاها
وفرسي يدنا تحت سرتي مسافة زمان السبا سرجا ويدي لحامها
وكم من رجاج اسهرني ولم ارمى من الخلق ابي من نظام انسامها
وكم غمرها من كاعب دريخته مطرزة الاجنان باشي وشامها
وصفت من وجدني عليها طرفة بكفي لم يس جدانا فسادها
ونار غلظ الوجدن في انسا وتبرج لا يهنا من الماء خرامها
ايا من ردت الرعد هذا الى من في السم في نار عاني ظلامها
ولكن لم يمالئ من تكلمه سادة واني حادها ثم بها ثامها
هنود ورايات من السند اثبات الربا بعوت الله يهنو علامها
ارى في التلايا لعين اظعان عروني ورشي على كتي وسيري امامها

و بعضهم شاكى من اوغاد قادر
فصمناه عنه وانقضى منه مورد
وشمن على ذاني المداغ طلب العلا
وحزنا حتى وطن ترشيش بعد ما
ومهد من الاملاك ما كان خارج
هردع قروم من قروم قبيلنا
مهربنا هم عن كل تاليف في العدا
الان داد من لا كان فيهم هبة
وركوا السبايا المهنات من اهلبا
ومافى المطايا بالهر الا نسوة
وكسبوا من اصناف الدنيا ذخائر
وعادوا نظير البرمكين قبل دا
وكاموا لنا درعا لكل موبقة
خالوا الدار في جميع العالم ولا انترا
كسوا المحي جلابا البهم لستره
لذلك منهم حارس ما درى القنا
يقظ ظلوكا ليس نحن باهلها
منظما هو ومن واثاه في سو القو
فهل عروني ان القتي برصود
وبرجعت الاوغاد منه ويحسبوا
جرى يطلبوا تحف الصواب شرائع
وهو لو حلى ما كان للرأي عارف
وان نحن ما نستمأول عنه راحة
وان ما وطا ترشيش بقباق وسعها
وانة منها عن قريب مفاصل
وعن فانات الطرف بعض غواجب
يتوه اذا تاهرا ويصو اذا حصل

خلى عنه في استكام المعانق باب
على كره موقى الباني ودياب
لم ما مخططنا للثور نقاب
نفقا عليها سبقا ورقابه
على احكام والى امرها له ناب
بني كسبلا ولها الفرع وطاه
ولتنا لم عن كل قيد مناب
رئيسها وبمخراته قدير مصاب
وليسع من انزعاج البحر برناب
بجواهر ما يفلو بها بجلاب
ضخم الجزائ الزمان تصاب
والا هلالا في زمان دياب
الان بان من نارا لشد وشاب
ملاهم ولا دار الكرام مناب
وهم لو دروا لسطع قبح جباب
ذهل حلى ان كان عقاة غاب
ننى يكن له في السامح شتاب
بالايمان من على القبايح عالم
وهو ب لا آلف بغير حساب
بروحه ما ينجي بروج مصاب
لقوا كل ما به تاساوه سراب
ولا كان في قلة عتاه صواب
وانه باسهم الدلاف سواب
عليه وينى بالنزوح ارنا
خروج نازر من الما وقبا
وبه خلفا سمار وخلفا سباب
بجمن قروان وصوت رباب

ولا قسم فيها قياساً بدلكم
وعانقوا على ملكاكم في ورودها
أيا عروة ركبنا الضلالة ولا لم
الا عنا هو ابو نرى كيف راجهم
خلط القنا وبقرنا في مرقب العلا
وحق النبي واليهت واركانه الذي
لبر الليالي فيوان طالت الحيا
ولا برما تبقى البوادي على كنف
وكل مسافة كالسد اياه غابر
وكل كيميت يكتم من عض نابه
وشغل بنا الارض السبعة مدة
بالا بالوالقودا لعيان ويا لقنا
اشهدني وانا عنيد فتردها
وشحن كما ضرس الماني بكم
عني كان يوم القبط باده ابرعني
كذلك برحوا الى اليسر ابعته
وخلى رجلا لا يرى القيم جارهم
الا فيهموها وعقد بوسهم
وكم ثار طعنها على البدو سابق
فني ثار قطار الصوى يومنا على
وكم ذا يبيها اثرها من غنينة
وان جانا جنوها الملو وشعرا
عليكم سلام الله من ارض ناعم
من شعر عرب من بني سحران لاراة نزل زوبها غيثا الى احلاف من قوس
فردهم بدالب ثاره تارل

نقول فتاة الحى ام سلامق
قيمت بطول الليل ما تالف الكرى
بعين اراع الله من لارني لها
موجعة كانت الشقا في سهاها

بضلع من عدم اليقين وربما
 هم جازله زينه وطوع ايام
 حرام على ابن تافركين ما مضى
 طان كان له عقل وجميع وقطنة
 واما البدال بداه من فاعل
 ويحيي بها سوق علينا سلاعه
 ويحيي غلام طالب ربيع ملكنا
 ايا واكبين الحيز تبخل اقامة
 ومن شعر علي بن عرين ابرهم من روماء بني عامر لهذا العهد احد بطون زغبة بهانب
 بني عمو المتطاولين الى رياسته

مخيرة كالدر في يد صانع
 اياحها منها فيه اسباب ما مضى
 غدا مئة لام الحبي حين وانطلقت
 ولكن صهري يوم بان هم الينا
 والا كابرص النهائي فنادج
 والا كان القلب في يد قابض
 لما قلت سب من شقا الدين زارني
 الا باربع كان بالامس طامر
 وغيد تداني للظلا في ملاعب
 ونعم يشوف الناظرين النمامها
 وعروء باسها ابدعو لسرها
 واليوم ما فيها سوى اليوم حولها
 وقتنا بها طورا طويلا نساها
 ولا يصح فيهم سوى وحش خاطري
 ومن بعد هذا تدي لمصور بو علي
 وقواله يا ابو الوفا كل راكع
 زواجر ما تنفلس بالعود انا

اذا كان في ملك المحرور نظام
 وشاء تبارك والضمن تسام
 عصاما ولا صنبا عليو سكار
 تبرم على شوك القناد برار
 وبين عواج الكائنات ضرار
 اتاعم بمنشار القطيع ششار
 اذا كان ينادي بالفراق وخمار
 يصيح وحسده والقطيع لمار
 دجبي الليل بهم ساهر ونيار
 لنا ما بدا من مهرق وكظمار
 واطلاق من شرب الميا ونمار
 بنوح على اطلال لها وشمار
 بعين متيقنا والدموع سمار
 وسقي من اسباب ان عرفت او هام
 سلام ومن بعد السلام سلام
 دخلتم ببحر غاة قامت دهام
 لها سيلات على النضا واكام

الاصم الطليطي ثم يحيى بن يحيى والطليطي من الموشحات المذبة قوله
كيف السبيل الى صبري وفي العالم اثنيان والركب في وسط الدلا . بالخرد الباع قد بان
وذكر غير واحد من المشايخ ان اهل هذا الشأن بالاندلس يذكرون ان جماعة من
الوشاحين اجتمعوا في مجلس باشيالة وكان كل واحد منهم اصطلع موشحة وتائق فيها تقدم
الاصم الطليطي للاندلس فلما افتتح موشحة المشهورة بقوله

ضاحك عن حمان . سافر عن درر ضاق عنه الزمان . وحرارة صدرى
صرف ابن يحيى موشحة وتبعة الباقين وذكر الاصم الطليطي انه سمع ابن زهير يقول ما
حسدت قط وشاحا على قول الا ابن يحيى حين رقع له

اما ترى احمد . في عهده العالي لا يلقي اطعمة الغرب . فارتا مثله يامدرك
وكان في عصرها من الموشحين المطبوخين ابو بكر الابطش وكان في عصرها ايضا الحكم
ابو بكر بن باجه صاحب التلاحين المعروفة ومن الحكايات المشهورة انه سخر مجلس
محمد ومه ابن تيقوليت صاحب سر قسيلة فالتقى على بعض قينانو موشحة

يجرر الذليل ايا حجر . وصل الشكر منك بالشكر

فطرب المذوح لذلك فلما ختمها بقوله

عند الله راية النصر لا يبر العلاء ابي بكر

فلما طرق ذلك التلمين سمع ابن تيقوليت صاح واطرباه وشق ثيابه وقال ما احسن ما
بدات وما ختمت وحلف بالايان المغلظة لا يثني ابن باجه الي داره الا على الذهب
فخاف الحكم سوء العاقبة فاحتمل بان جعل ذهبيا في نعله ومشي عليه وذكر ابو الخطاب
بن زهرانة جرى في مجلس ابي بكر بن زهير ذكر ابي بكر الابطش الوشاح المتقدم الذكر
فقص منه بعض المحاضرين فقال كيف نقص من يقول

ما لذني شراب راح . على رياض الافاح لولا هضم الوشاح . اذا نسي في الصباح
او في الاصيل . اضحي يقول ما للشبول . لطمت خدي
والشال . هبت فالي غصن اعتدال . ضبه بردي
ما اباد القلوبا . يثني لنا مستريبا بالخطلة رد نوبا . وبالماء الثنوبا
برد غليل . صب غليل لا يستعمل . فيو عن عدي
ولا يزال . في كل حال برجو الوصال . وهو في الصد
واشهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين بن محمد بن ابي الفضل بن شرف قال الحسن بن

على ما يجري في دارها وبويعها
تقدنا نرى شباب الدين ياقص كلهم
انا قلت اذا ورد الكتاب يسري
ايا حين تسريح الذوائب والحي
يلطخة عين البيت غير حاملها
ويقبل من اخذ النار ماذا قالها
ويبرد من يبرأت قلبي ذبالها
ويبيض العذارى ما حبيبتل جمالها
(الموشحات والازجال للاندلس)

واما اهل الاندلس فلاكثر الشعر في قطرم ويهذب منها حيو وفنونو ويلغ التنبيق فيه
الغاية استحدث المتأخرون منهم فتا منه تمرؤ بالموشح ينظمونه اساطا اساطا واخصاناً اغصاناً
يكثرن منها ومن اعاريضها المختلطة ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً يلتزمون عند قول في
تلك الاغصان ولوزانها متتالياً فيما يبد الى اشر القطعة وأكثر ما تنهي شندهم الى سبعة
ايات ويشغل كل بيت على اغصان عددها بحسب الاغراس والمذايب وينسبون فيها
ويعدحون كما يفعل في القصائد وشجاروا في ذلك الى النهاية واستثارة الناس - بهمة المحاجة
والكافة لمسئلة تناولو وقرب طريقه وكانت الخترة لما يجريرة الاندلس مقدم بن ماضر
القريري من شعراء الامير عبد الله بن محمد المراني واخذ ذلك عنه ابو عبد الله احمد بن
عبد ربو صاحب كتاب العقد ولم يظهر لها مع المتأخرين ذكر وكسدت موشحاتها فكان
اول من برع في هذا الشأن عبادة القزاز شاعر المعتمد بن همامج صاحب المارية وقد
ذكر الاعلام البطلموسي انه مع ابا بكر بن زهير يقول كل الوشاحين جمال على عبادة القزاز
فيما اتفق له من قول

بدرتم - نيمس ضحفا غصن نقا - مبتك ثم

ما اثم ما اوشحها ما اورقا - ما اثم

لاجرم - من لها قد عشقا - قد حرم

وزعم انه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمن الطوائف وجاء
مصايها خليفة منهم ابن ارفع راسه شاعر المامون بن ذي النون صاحب طليطلة قالوا وقد
احسن في ابتدائه في موشحاته التي طارت له حيث يقول
المودق قد ترم - بابدع تلحين - وسقت المذايب - رياض الله ائين
وفي انتهائه حيث يقول

شطر ولا تدم - عساك المامون مروح الكتائب - يحبي بن ذي النون

ثم جاءت الحلية التي كانت في دولة الملمدين فظهرت لهم البدائع وسابق فرسان حلبيهم

قال ابن زهير كنا نحن عند هذا الرداء وكان معه في بابه مطرف . اخبر ابن سعيد عن
والده ان مطرفا هذا دخل على ابن الفرس فقام له واكرمه فقال لا تفعل فقال ابن الفرس
كيف لا اقوم لمن يقول

قلوب مصائب . بالحافظ تصيب . فقل كيف بقي بلا وجه

وبعد هذا ابن جرمون برصية . ذكر ابن الراسين ان يحيى الخزرجي دخل عليه في مجلس
موشحة لنفسه فقال له ابن جرمون لا يكون الموشح موشح حتى يكون عاريا عن التكلف قال
على مثل ماذا قال علي مثل قولني

يا فاجري هل الى الوصال منك . سبيل
او هل ترى عن هوانك سالي قلب . الطليل

وابو الحسن شمل بن مالك بقرناطة . قال ابن سعيد كان والذي يسمي بقرنا
ان سبل الصباح في الدرق عاد يجر في اجمع الافق فتداعت وادب الورق
انزاه خافت من الفرق فيكبت حجرة على الورق

واشتهر بانبيالة لذلك العهد ابو الحسن بن الفضل قال ابن سعيد عن والده سمعت سهل
بن مالك يقول يا ابن الفضل لك على الوشاحين الفضل بقولك

واحسنا لزوات مضى عشية بان الهوى واناضى
وافردت بالرشم لا بالرضى وبست على جمرات الغضب
اعاقى بالذكر تلك الطلول والتم بالوم تلك الرسوم

قال وسمعت ابا بكر بن الصابوني ينشد الاساذ ابا الحسن الزجاج موشحاته غير ما مرة فما
تسمعه يقول له الله درك الا في قولك

قسما بالهوى لذي حجر ما لليل المشوق من فجر

حمدا لصبح ليس يطرد ما لليل فيما اظن غد صبح بالليل انك الابد

او قداعت قرادم النهر فجحوم السماء لا تسري

ومن موشحات ابن الصابوني قوله

ما حال صب ذي ضنى واكتئاب امضة يا ويلتاء الطليع

عامة محبوبه باجتناب ثم اتقدي فيه الكرى بالحب

جفا جاني النوم لكتفي لم ايك الا لئلا انبال

وذا الوصال اليوم قد غرتي منه كما شاء وساء الوصال

دويذة رايت حام بن سعيد على هذا الافتتاح
 شمس غاريت بذرا راح ونديم
 وابن مهرويس الذي له . يا ليلة الوصل والمعود . يا الله عودي
 وابن مهمل الذي له . ما العبد في حلة وطاق . وشتم طيب . وانما العبد في الخلاقي . مع المحبيب
 وابو اسحاق الرويني قال ابن سعيد سمعت ابا الحسن سهل بن مالك يقول انه دخل
 على ابن زهير وقد آسن وعليه زي البادية اذ كان يسكن بخصن اسلميه فلم يعرفه فجلس
 حيث انتهى به المجلس وجرت المناظرة فأنشد لنفسه موشمة وقع فيها
 كحل الدجى يجرى . من مقله النهر . على الصباح
 ومعصم النهر . في حلال تنضير . من البطاح
 فقرك ابن زهير وقال انت تقول هذا قال اخبر قال ومن تكون فعرفه فقال ارتفع فوالله
 ما عرفتك قال ابن سعيد وسابني الشبلية التي ادركت هؤلاء ابو بكر بن زهير وقد شرقت
 موشماته وغرقت قال وسمعت ابا الحسن سهل بن مالك يقول قيل لابن زهير لو قيل
 لك ما ابدع وارفع ما وقع لك في التوشيع قال كنت اقول
 ما للهولة . من سكر ولا يبق . يا لسكران . من غير سكر . ما لك حيب المشوق . يندب الاوطان
 هل تستعاد . ايامنا بالخليج . وابنا لينا
 او نستفاد . من النعم الاربع . ملك دارنا
 واد يصاد . حسن المكان البهيج . ان يمجينا
 بهر ظله . دوح عليا انيق . مورق فونان . واما مجري . وعلم وغريق . من جنى الرمان
 واشتهر بعده ابن ميمون الذي له من الزجل المشهور قوله
 فتوق بينهم كل حين بما سب من يد وعين
 ويشد في الفهد
 عاشت مليحاً طلت راي فليس يقل ساع من قتال
 ويهلل بذي الدين منامي ما يعمل فينا بذي الببال
 واشتهر معها يومئذ بفرناطة المهر بن الفرس قال ابن سعيد ولما سمع ابن زهير قوله
 له ما كنت من يوم بهيج بنهر حص على تلك المروج
 ثم انه قلنا على قم الخليج نفض في جانه مسك الختام
 عن عيش زانه صافير والمدم ورد الاصل ضمة كسا النظام

ثم قال أبو بكر بن مرقان

الحق يريد حديث تعالى عاد في الواد الحبور والمتره والصاد
نفيه حبان ذلك الذي يصطاد قلوب الوري في سبي شيكانو

ثم قال أبو بكر بن مرقان

اذ اشهر كانوا يرهها ترى النور يرشقي لذيك الجبها
وليس مرادوان يقع فيها إلا ان يقبل يديها
وكان في عصرهم بشرق الاندلس يخالف الاسود وله شماس من الرجل منها قوله
قد كنت مشبوب واخشيت الشيب وزدني ذا العشق لامر صعب

يقول فيو

حين تنظر الخد الشريف الجهي تنهي في المحبرة الى ما تنهي
يا طالب الكيميا في عيني تنظر بها الفضة ترجع ذهب
وجاءت بعدهم حالية كان ساقها مدغيس وقمت له الليثايب في هذه الطريقة فمن
قوله في زجله المشهور

ور ذا ذوق يتزل وشعاع الشمس بضرب
فترى الواحد ينفض وتري الاثر يذهب
والنبات يشرب ويسكر والغصون ترقص وتلرب
وتريد تجي اليها ثم تستني وترب

ومن تناسل ازجال او قوله

لاح الضياء والنجوم حباري فقم بنا تنزع الكسل
شربت مزوجا من قراعا احلى هي عندي من العسل
يا من يلحنى كما نقاد فلكدك الله بما نقول
يقول بان الذنوب مولد وانه يفسد العقول
لارض الحجاز يكون الكاشد اش ما سائق لنا النصول
مر است للبح والزيارا ودعي في الشرب ميمول
من ليس لو قدروا ولا استطاعا الدية بالغ من العمل

وطرعه هو هلاه باشيابة ابن حيدر الذي فصل على الرجال في فتح مرقاة بالزجل

الذي اراد هذا

فلمست باللائم من صدي بصورة المحق ولا بالمال
 واشتهر بين اهل الصدوق ابن خالف الجزائري صاحب الموشحة المشهورة
 يد الاصباح قد قدحت زناد الانوار في عجاير الزهر
 وابن عزرا الحافني وله من موشحة
 نثر الزمان موافق حيا له منه باجسام
 ومن محاسن الموشحات للناشرين موشحة ابن سهل شاعر اشبيلية وصية من يدها فيها قوله
 هل يرى ظلي المصهي ان قدسني قلبه صب حلة عرفت مكس
 فهو في نار وضيق مثل ما لصحت ربح الصبا بالقبس
 وقد نفع على منالها فيها صاحبنا الوزير ابو عبد الله بن الخطيب شاعر الاندلس والمغرب
 لعصره وقد مر ذكره فقال

جادك الفيت اذا الفيت هما با زمان الوصل بالاندلس
 لم يكن وصلك الا حلما في الكرسى او طسة الخلد
 اذ يقول الدهر اسباب المني تفل الخطو على ما قرص
 زمرا بين فرادى وثني مثل ما يدعو الوفود المومر
 والكميا قد جال الروض سنا قمنا الازهار فهو تهم
 وروى السمان عن ماء السما كيف يروى ما لك عن انفس
 فكدها الحسن ثوبا معلما بزدني منه باهت ملبس
 في ليال كتمت سر المرى بالدجى لولا تنوير القدر
 مال شيم الكاس فيها وهوى مستقيم السير سعد الاخر
 وطر ما فهو من عيب سوى انه مر كلج الجسر
 حيث لذ النوم منا او كما هيم الصبح نجوم المحرس
 غارت الشمس بنا اوربا اثرت فينا عيون الترجس
 اسبغ شيء لامرئ قد ناعا فيكون الروض قد كمن فيه
 تنهب الازهار فهو النرصا امننت من مكرو ما تنقبه
 فاذا الماء تناجس والمصا وخلا كل خليل باخرو
 تنصر الورد غيورا بدما يكتسب من غيظ ما يكتسب
 وترى الآس ليلا فيها يسرق الدمع بادني فرس

وكان من المجيدين لهذه الطريقة لأول هذه المائة الاديب ابو عبد الله الالوسي وله من

قصيدة يمدح فيها السلطان ابن الاحمر

طل الصباح قم يا نديمي نشرو
سيبك الفجر اجلت شفقاً
تري غباراً خالص ابيض نقي
وسقياً سكنى عند البشر
فهو النهار باصاحي المعاش
والليل نصا للقلب والعناق
جاد الزمان من بعدما كان ينجل
كما جرع مرو فيما قد مضى
قال الرقيب يا ادبا لاش ذا
وتعجبوا عدائي من ذا الحبر
يعشق ملج الارقى الطبايع
ليس يرمج الحسن الاشاعر اديب
اما الكاس فحرام نعم هو حرام
ويد الذي يحسن حسابه ولم
واهل العقل والتدبر والمجرب
ظبي يهي فيها يطاني الجبر
غزال يهي ينظر قلوب الاسود
تم يهيمهم اذا اتسم يضجكم
قوم ككائنات ونقر نقي
جوهر ومرجان اي عهد بافلان
وشارب اخضر يريد لاش يريد
يسبل دلال مثل جناح الغراب
على بدن ابيض بلون الحليب
وزوج هندات ما علمت قبلها
تحت العكاك من اخصر ارقبي

وتضحكون بعد ما نظرو
في ميايق الليل وقوم قلبو
فضه هو لكن الشفق ذهبو
نور الجنون من نورها تكمبو
عيش الفتي فيه بالله ما اطبو
على سرير الوصل يتقلبو
واش كهفتو من يريو عقرو
يشرب سواه وياكل طبو
في الشرب والعشق ترى تقبو
قلت يا قوم ما تنهيو
علاش تكفرو بالله او تكتبو
بنض بكرو ويضع ثبو
على الذي ما يدري كيف يشرو
يقدر يحسن الناظر ان يجلو
يفغر ذنوبهم لهذا ان اذنو
وقلبي في حجر الغضا يلهو
وما لم قبل النظر يذهبو
ويروحوا من بعد ما يندبو
خطيب الامة للقلب لئلو
قد صنه الناظر ولم يثبو
من تنجو بالمسك قد عيو
ليالي هجري منه يستغرو
ما فقط راعي للقيم يحاو
ديك الصلا يارب ما اصلو
من رقتو يفتي اذا تمللو

من حاتم التوحيد بالسيف ليحيى
 قال ابن سعيد لتينة ولقيت نعيذه المجمع صاحب الرجل المشهور الذي ارله
 يا ليتني ان رأيت حبي اقبل اذني يا ارميلا
 ليش اخذ عش الغزال واسرق فم الخيلا
 ثم جاء من بعدهم ابو الحسن سهل بن مالك امام الادب ثم من بعدهم لهذه العصور
 صاحبنا الوزير ابو عبد الله بن الخطيب امام الفقه والنثر في المائة الاسلامية غير مدافع فمن
 محاسن في هذه الطريقة

امرج الاكواش واملاكي تجدد ما خلق المال الا ان يبدد
 ومن قوله على طريقة الصوفية ونحو معنى الششتري منهم
 بين طالع ونزول اختلطت بالقزول ومضى من لم يكن وبقي من لم يزول
 ومن محاسن ايضا قوله في ذلك المعنى

البعد عك يا بني اعظم مصابي وحين حصل لي قربك نسبت قرايبي
 وكان لعصر الوزير ابن الخطيب بالاندلس شهيد بن عبد العظيم من اهل وادي ايش وكان
 اماما في هذه الطريقة وله من زجل يعارض يومئذ في قول لاس الضيا في اليوم حيارى بقوله

حل الجون يا اهل الشطارا مذ حلت الشمس بالسميل
 جددي كل يوم خلعا لا تجعلني اسسها بل
 انما يتماها في سبل على خفورة ذاك السبات
 وصل بغداد وابتناز النيل احسن عدي في ذلك الجاهات
 وطافتها اصبع من اربعين ميل ان مررت الريح على وجات
 لم يلق الفيار امارا ولا يتدار ما يكمل
 وكيف ولا ذو وضع رناعا الا ريسر فرسو النيل

وهذه الاربعة الزجلية فاذا العهد في الامة بالاندلس من الشعر وفيها انظمهم حتى انهم لم يظفون
 بها في سائر اليوم الخمسة عشر لكن بالذمة العامة ويسمونه الشعر الزجلي مثل قول شاعرهم
 في دهر يمشي جنونك وسين وانت لاشنقه ولا قلب يلين
 حتى ترى قلبي من اسجالتك كبرج صعدة السكة ما بين المحدثين
 الدموع ترشش والبارثيس والمطارق من ثمال ومن بين
 خائب الله النصارى للزرو وانت تغزو في قلوب العاشقين

بالقلم المحض رقة ايضاً وهو عرض البلد وكان اول من استعمله فيهم رجل من اهل الاندلس نزل
بفاس وعرفه بان غير فنيظ فطلمة على طريقة الموشح ولم يخرج فيها عن هذا هيب الا هرايب مظهرها

أبكائي بدائي الدهر نوح الحمام	على الفص في البستان قريب الصباح
وكنت استعير صمو مداد الظلام	وما الندى يجري بشفر الافاح
باكرت الرياض والطل فيها افترق	مر الجواهر في تخور الجوار
ودمع الذراع ينهرق انهراق	يحامي تعاليف حلفت بالمار
لونا بالفضون شغال على كل ساق	ودار الجميع بالروض دور السدار
وايدي الندى تمزق جيوب الكمام	ويحمل نسيم المسك عنها رياح
وداع الصبا يطلى بسك الغمام	وجر النسيم ذبلو عليها وفاح
رايت الحمام بين الورق في التضييب	قد ابتلت ارباشو بقطر النداء
تنوح مثل ذاك المستهام الغريب	ند التف من نوبو المديد في ردا
ولكن بما احمر ومانو خضيب	ينظم ساورك جواهر وثقلا
جلس بين الاغصان جوار المستهام	جناحاً توسد والندى في جناح
وصار يشكي ما في الفؤاد من غرام	منها ضم متقاره لندره وصباح
فقلت باسقام احمرمت ساني المجموع	اراك ما تزال تبكي بدع منوع
قال لي بكمت حتى صنعت لي الموع	بلا دمع نقي طول حياقي نوح
دلي فرغ طار لي لم يكن لورجوع	الشمس الكبا والخريف من عهد نوح
صكذا هو الوفا كذا هو الزمام	انظر جنون صارت بحال الهراج
وانتم من ابلى منكم اذا تم طام	يقول عتاني ذا الهكا والافاح
قلت باسقام لو خضبت بحر الضنا	كست تبكي وتزلي لي بدع هتوت
ولو كانت بقلبك ما بقلبي انا	ما كان يصير تحملك فروع الغصون
الدم تقاضي العير كم من منا	حتى لا يوبل جملة نرائي العيون
وما كسا جسسي الفول والسقام	اخفاني تحولي عن عيون الافاح
لوجني المنايا كان موت في المنام	ومن مات بعد باقوم اذ استراح
قال لي لو رقت لا راق الرياض	مست شوقي طليو ود النور للبراد
وتخضبت من دمي وذاك البياض	طروق البعد في عني يوم الداد
واما طرف متفاري حديثو استفاض	باطرافك البلد والجسم صار رماذ

ارقي هو من ديني فيما تقول
 اي دين بقالي معاك واي عقل
 تحمل ارداف فقال كالرقيب
 اصب لم ينس غدر او يتشع
 بصيرليك المكان حزن نجبي
 صامتك مثل خصال الاعداء
 عهد الامصار وفسح العزب
 بهل العلم انفرد والعلم
 ففي الصدور بالرح ما اطعمو
 من السابح في اربع صفات
 الشمس نور والشمس صبر
 يركب جواد الجود ويطلق عنان
 من خلعت يلبس كل يوم بطيب
 اسمته تظهر على كلب من يحميه
 قد اظهر الحق وكان في حجاب
 وقد بنى بالسر ركن الثقي
 تخافه حيث تلقاه كما ترتجيه
 ياتي الحروب ضاحكا وفي عابسه
 اذا جدد سيفه ما بين الردود
 وهو سي المصطفى والاله
 نراه خليفة امير المؤمنين
 الذي الامارة تخضع الروس
 بته بقي بدور الزمان
 وفي المسالي والشرف يبعدو
 والله يفرهم ما دار الفلك
 وما يعني ذا القصيد في عروض

جديده عليك حتى ما اكذبو
 من يبعثك من ذا وذا تسلمو
 حين ينظر العاشق وحين يرقبو
 في طرف ديسا والبدر تطلعو
 وعين تغيب ترجع في عيني ثبو
 او الرمل من هو الذي يمسو
 من فصاحة لفظه ينقرو
 ومع بديع الشعر ما اكثرو
 وفي الرقاب بالسيف ما اطعمو
 فمن يبعث قلبي او يحسو
 والغيت جودو والشم منسو
 الاغنيا والجند حزن يركبو
 منه بنات المعالي تطيرو
 قاصد ووارد قط ما ينجو
 لاش بقدر الباطل بعد ما ينجو
 من بعد ما كان الزمان مغربو
 فبح سماحة وجوه ما اسبو
 غلاب هو لاشي في الدنيا يغابو
 فليس شي يعني من يضربو
 للسلطنة اختارو واستخرو
 بقود جيوشه ويزنت موكبو
 نعم وفي تقيل يديو يربو
 يطلعو في المجد ولا يثربو
 وفي التواضع والكميا يثربو
 واشرفت شمس ولاح كوكبو
 ياشمس خدر ما لما مغربو

ثم استحدث اهل الامصار بالمغرب فتا اخر من الشعر في اثار يرض مزدوجة كالشمس تظلم واخبر

ويجمل في مطلوبو ولوان كان
ويشي بسوق كان واو باصبيان
حتى اتي على اخرها . وكان منهم علي بن الموفن سلمان وكان لهذه العديدين
يقولون يزعمون من ضواحي مكاسة رجل يعرف بالكيف ابداع في مذاهب هذا الفن ومن
احسن ما عني له محفوظي قوله في رحلة السلطان ابي الحسن ودي مرين الى افريقية
يصف رعيهم بالقروان ويعزيهم عنها ويوسمهم بها وقع لغزهم بعد ان عيهم على غزاهم
الى افريقية في ملعة من فنون هذه الطريقة قول في منتقها وهو من ابداع مذاهب البلاغة
في الامتار بالمقصد في مطلع الكلام واقتباسه في زراعة الاستلال

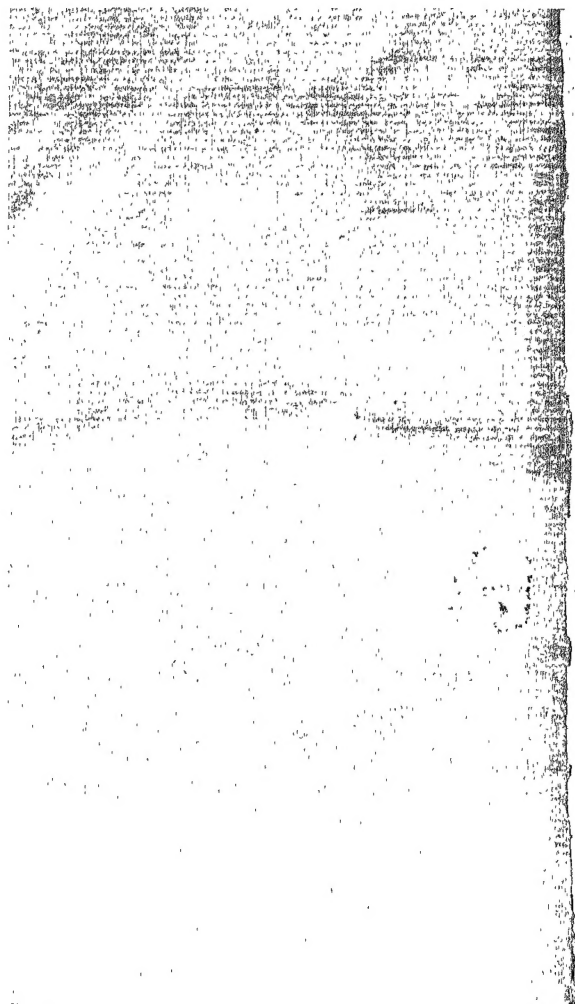
سبحان مالك شياطر الامرا ونواحيها في كل حين وزمان
ان دلتنا عظمهم لنا قسرا وان عصباه عاقب بكل هوان
الاب يقول في السؤال عن جيوش المغرب بعد التفتيش
كن مرعي قل ولا تكن راغي والراعي عن رعيته مسئول
واستغنى بالصلاة على الداعي للاسلام والرعي السني الكبول
على اختلاف الراشدين والاتباع واذكر بعدهم اذا تحب وقول
اجتياح شلوا الصحرا ودماسح البلاد مع سكان
عسكر فاس الميرة القراء ومن سارت بوعرائم السلة الى
اجتياح بالسي الذي ردم وقيلعتم لو كالا حشل الدنيا
من جيوش الغرب ومن يسالك الملوكة في افريقيا السرحا
ومن كان بالعدايا يزودكم ويبيع مريه الكماز رندا
قام قل للسند صادف البورا ويبر شوط بعد ما يفتان
وبزف كردوم ونهب في الدنيا اي ما زاد غزاهم سجان
لو كان ما برب تونس القريا وبلاذ الغرب سد السكندر
منى من سرقها الى غرما دليقا يند بدا انما يصغر
لا بد الطائر ان تقيب نبا او ياتي الرضا ب
ما اعوصها من امور وما ترى لوقرا كل في الديوان
لجرت بالدم وانصدع حبرا وهوت الخراب وخافت الغزلان
ادركني بعثلك الفخاص وتذكر لي بمخاطرك سحبا

فاستحسنه أهل فاس وولم يروا قطبها على طريقته وتركوا الأعراب الذي ليس من شأنهم
وكثر مجامع بينهم واستغل فيه كثير منهم ونوعوه اصنافا إلى المزدوج والكاري والملمعة
والفرل واختللت أمارتها باختلاف ازدواجها وملاحظاتهم فيها فمن المزدوج ما قاله ابن
شجاع من قولهم وهو من أهل تارا

الكمال زينة الدنيا وعز النفوس	يبهت وجوها ليس هي بأهيا
فما كل من هو كدير الفلوس	ولو له الصلح والرتبة العليا
يكبر من كثرة ما لو ولو كان صغير	ويصغر عزيز القوم اذا ينتهر
من ذا ينطبق صدره ومن ذا يصير	يكاد ينفع لولا الرجوع للقدور
حتى يلقي من هو في قوم كبير	لمن لا اصل عندو ولا لو خطر
لذا ينبغي يحزن على ذي العكوس	ويصغ عليه توب فراش صافيا
التي صارت الأذنان امام الروس	وصار يستفيد الواد من الساقيا
ضعف الناس على ذا فسد الزمان	ما يدروا على من يكثروا ذا العتاب
التي صار فلان يفتح بو فلان	ولو رأيت كيف برد المجاب
عشنا والسلام حتى رأينا عيان	اناس السلاطين في جلود الكلاب
كبار النفوس جزا ضاعف الاوس	هم ناحيا والمجد في ناحيا
يروا انهم والناس يروم تيوس	وجوه البلد والعمدة الراسيا

ومن مفاهيم قول ابن شجاع منهم في بعض مزدوجانو

نعب من تبع قلبو ملاح ذا الزمان	اهل يا فلان لا يابح المحسن فيك
ما منهم ملج عاهد الا وخلف	قليل من عايد تحيس ويحس عليك
يهي على العشاق ويتبعوا	ويستعبدوا تقطيع قلوب الرجال
وان واصليا من حينهم يقطعوا	وان عاهدوا خافوا على كل حال
ملج كان هو يتو وثقت قلبي معو	وصيرت من خدي تقدمو نعال
وهديت لومو وسط قلبي مكان	وقلت لقلبي اكرم من حل فيك
وهو ن عليك ما يعتريك من هوان	فلا بد من هول الهوى يعتريك
سكتة عايد وارفضيت بو امير	فلو كان برسه جاني اذا يبصرنا
يرجع مثل درجولي نوحه القدير	مردبه ويتعطس بحال الفروا
ونقلت من ساعا يسوق الضمير	وبهم مرادو قيل انت تذكرنا



ان كان تعلم حمام ولا رياض
تظهر عند الميهين النضاض
الاقوم عاريت فلا مهابا
ما يورين كيف يصوروا كسرا
الاولا بما يحسن خطيبا الباب
فما كنا على الجريد والراب
ما بلغك عن عمر في الخطاب
ملك الشام بالحجاز وناج كسرى
رد ولدت لو كره ذكرى
هذا الماروق مردي الاعوان
وبقت حتى الى زمن عثمان
لمن دخلت غنائها الديوان
وافترق الناس على ثلاثة امرا
اذا كان ذا في مدة الدار
واصاب المحضر في مكاسه
تذكر في حبيها اياتا
ان مزين اذا انكف برأينا
قد ذكرنا ما قال سيد الوزرا
قال لي رايت هانا بدا ادري
ويقول لك ما دعى الماروق
اراد المولى موت ايت بجي

عن السلطان شهر وشيلة سباعا
وعلامات تدثر على الصباعا
مجهولين لا مكان ولا امكان
وكيف دخلوا مدينة القبروان
فبقيت مبرنا الى تونس
واش لك في اغراب افريقيا اللويس
الثاروق فافتح القرى المولس
وقم من افريقيا وكان
ونقل فيها تفرق الاخوات
صرح في افريقيا بهذا التصريح
وفتوا ابن الزبير عن تصحيح
ماث عثمان واغلب علينا الرج
وبقي ما هو للسكوت عنوان
اش تعيل في الماخر الا زمان
وفي تاريخ كانا وكبرانا
شف وسفج وان مرانا
لجندا وتونس قد سقط بنا
عيسى بن الحسن الرفيع الثمان
لكر اذا جاء القدر عيس الايمان
من حضرة ناس الى عرب فاس
سلطان تونس وصاحب الابواب



ثم اخذ في ترجيل البلطان وجوشو الى آخر رحلته ومنه في السمر مع اعراب افريقيا واتي
فيها بكل غريبة من الاداع واما اهل تونس فاستمدتوا في طلبة ايضا على لغتهم الحضرة
الا ان اكثره زواجر من هاهنا وفيه شئ ارداه وكان لعامة بغداد ايضا فمن الشعر
يحمونه المواليا وتحمه فتر من منها القوما وكان وكان ومنه منفرد ومنه في بيتان
واسر في دو بيت على الاختلافات المعتدلة في كل واحد منها وغالبا في درجة من
اربعة اعصان وتسهم في ذلك اهل مصر الزمان

CALL No: {

۲۹۷۵۹

۱۲۱

ACC. No. ۱۸۷۷۹

AUTHOR

TITLE

۱۲۱

۱۸۷۷۹

۲۹۷۵۹

مقدمہ ابن خلدون

Date	No.	Date	No.
11.04.70			
32/6			

ALP TIME TIME



MAULANA AZAD LIBRARY ALIGARH MUSLIM UNIVERSITY

RULES:—

1. The Book must be returned on the date stamped above.
2. A fine of Re. 1-00 per volume per day shall be charged for text-books and 10 Paise per volume per day for general books kept over-due.